الإعلام الإسلامي

بين الأصالة والمعاصرة

obeikandl.com

obeikandl.com

الإعلام الإسلامي

بين الأصالة والمعاصرة

رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه

الدكتور

محمد غياث مكتبي

تقديم

الأستاذ الدكتور

وهبة الزحيلي

الأستاذ الدكتور

محمد راتب النابلسي

دار المكتبي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
1431هـ - 2010م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 هاتف 2248433 فاكس 2248432
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل الذين بلَّغوا دعوة الله في الأرض للأجيال المتعاقبة ، وعلى آلهم وصحبهم والتابعين لهم بإحسان وبعد :

فإنَّ الإسلام دين الرحمة والإنقاذ والنجاة والإصلاح هو دين دعوة وإعلام أصيل قائم على جوهر الموضوعية والحق والتجرد والصدق وحبّ الآخرين ؛ من أجل إسعادهم في دار الدنيا وفي مقرِّ الآخرة دار الخلود : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

وعلى الرغم من أن الإعلام والصحافة ومختلف وسائل النشر المعاصرة والقنوات الفضائية والمحلية ، احتلت مكانة السلطة الرابعة في الدول المعاصرة ، بل قد تكون هي الأولى في توجيه السياسة ، فإنَّ الإسلام كان سبَّاقاً في نشر كلمة الحق والتوحيد وإيجاد مناهج السياسة الرشيدة ، وبناء الفرد والمجتمع الفاضل ، وتوفير مناخ القوة والعزة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على أساس من الحق والعدل والمساواة والحرية والشورى والإخاء الإنساني ، دون تعدٍّ ولا إلحاق ظلم بأحد ، أياً كان انتماؤه أو جنسه ، أو دينه أو مذهبه ، لأن نظرة الإسلام نظرة مستقبلية راسخة ، ليكتب لدعوته السلمية الحكيمة بالكلمة الطيبة الخلود ، ويتحقق الاستقرار ، وتتوطد دعائم السلم والأمن العالمي والمحلي ، وذلك كله في مظلة القوة الهادئة العادلة لأداء المهمة الراسخة ، والأمانة لتفعيل الطاقة والعمل على أتمِّ وجه .

لذا امتلأت توجيهات القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية بطاقات إعلامية

خالدة الأثر ، وأمثلتها كثيرة ، فمن آي القرآن المجيد: ما أوضح قصص الأنبياء والرسل مع الأقوام القديمة ، ومع قبائلهم وعشائرهم ، وتبلورت قصصهم في آية واحدة هي: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ومن أمثلة السيرة النبوية: استعراض كتائب جيش الفتح الأعظم لمكة المكرمة في السنة الثامنة من الهجرة في عشرين من شهر رمضان المبارك بقيادة خالد بن الوليد والزبير بن العوام وغيرهما أمام قادة قريش بزعامة أبي سفيان والعباس وحكيم بن حزام وبُدَيل بن ورقاء الخزاعي في مَرِّ الظهران على أربعة فراسخ من مكة عند مضيق الوادي ، وهو عرض عسكري رائع ، بُهر به المشركون. وقبل ذلك العرض الكبير أمر رسول الله ﷺ جيش الفتح أن يوقدوا ناراً ، فأوقدوا عشرة آلاف نار، فدهش زعماء قريش مما رأوا كأنها نيران عَرَفة، وكان عمر بن الخطاب رئيس الحرس يراقب انفعالات الزعماء القرشيين ، مما حمل أبا سفيان والعباس وكبار قريش إلى إعلان الإسلام في مظلة النبوة الهاشمية العالمية المسالمة حيث نهى رسول الله ﷺ قبل دخول مكة عن القتال وترك سفك الدماء ، وتُوِّج النصر بالعفو عن أهل مكة ، بقول النبي ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»؟!.

وهذه أطروحة علمية نال بها الأخ الدكتور محمد غياث مكتبي درجة الدكتوراه تتبع فيها مسيرة الإعلام الإسلامي في مصادره وأصوله المعتمدة على مدى التاريخ ، وركز فيها على بيان ميزات هذا الإعلام ، ورَصَد تأثيراته وفاعلياته ، في سِفرْ ضخم شامل موضوعات الإعلام المختلفة مع الموازنة والمقارنة بينه وبين إعلام الآخرين ، سواء منه العالي والهابط ، وانتهى في خاتمته إلى مجموعة اقتراحات وتوصيات بنَّاءة ، ثم ذيَّله بثمانية فهارس ، مقدراً قيمة العلم وأمانته ، وشرف المعرفة وغاياتها التي ينبغي توظيفها في قمة كل إعلام ، ومن أجل خدمة الإنسان أي إنسان كان.

ومن المعلوم أن الأخ الدكتور محمد غياث مكتبي يعمل في حقلين: حقل نشر الكتب العلمية الإسلامية النقية وغيرها مما يخدم عقلية الجيل المعاصر بأمانة وصدق ، وغيرة ووعي ، وذلك في مسيرة صامتة مخطط لها.

والحقل الثاني: الحقل العلمي كتابةً وتقييماً واصطفاء لكلِّ ما ينشر ويحقق ويقدم لإغناء كنز المعرفة ، والجديد فيها.

وهو يمتاز بالأصالة ، والخلق الكريم ، والأدب الجم ، والعقلية المتفتحة ، والسيرة الطيبة.

فأهنئه على منهجه الحكيم ، حيث بنى نفسه مبتدئاً من نقطة الصفر ، إلى أن أصبحت منشوراته الكثيرة مقصد القراء وطلاب العلم والتثقف بثقافة الإسلام الغنية ، والانطلاق من توجيهات القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية ، وعلوم الإسلام المختلفة.

وفَّقه الله وأسعده ، والله يحب المحسنين.

أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي
عضو المجامع الفقهية الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي

تمنى عليَّ الأخ الكريم الدكتور محمد غياث مكتبي ، صاحب ومدير عام دار المكتبي ، أن أقدم له كتاباً نال به درجة الدكتوراه في الإعلام.

ونظراً لأن الإعلام يعـدُّ أقوى سلاح تملكه الأمم القويـة ، قال تعالى مشيراً إلى إعلام فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] فكان الأقوياء فيما مضى يجبروننا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريدون بكلفة عالية، وبعد بروز قوة الإعلام صاروا يجبروننا بقوة الإعلام أن نريد ما يريدون ، وهو أفعل تأثيراً وأقل كلفة.

ولكن الحقيقة التي غابت عن المسلمين أن الدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته ، لأنه يقوم على الإفصاح والبيان بعكس الأديان الآخرى ، التي لا تختص برسالة ، وتتذرع بالكتمان والسرية ، ولا أدلة على ذلك من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ـ١٦٠].

وبذلك نرى أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في تصحيح مفاهيم الإسلام والدعوة إلى مبادئه السمحة ، وقيمه الأصيلة النافعة ، بطريقة عملية وفنية ، لتكون هذه القيم منهاج حياة كل مسلم في بيته وعمله ، ومع إخوانه وأقاربه ، وفي معاملاته وعاداته وتقاليده وعبادته؛ لذا ليست قاصرة على أجهزة إعلام دينية متخصصة ، بل هي خطة عمل كل أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية ، وهي مضامين ومحتويات رسائلها الإعلامية مهما اختلفت أشكاله وقوالبها وتنوعت أساليبها ووسائلها ، فهي مضامين صالحة لكل زمان ومكان ، تؤدي إلى النتائج المرجوة منها والتي هي هدف الإعلام المفيد في أقرب وقد ممكن.

كما تكمن أهمية الإعلام الإسلامي في الذود عن الإسلام والدفاع عنه ورد المعتدين الذين خلت لهم الساحة ، وسنحت لهم الفرصة بغيبة الإعلام الإسلامي عن ميدان الإعلام «إن أية دعوة مهما كانت من السمو لا يمكن أن يجتذب إليها الأنصار إلا إذا كان لها (إعلام) ، وقد احتل الإعلام في العصر الحديث ، مكاناً يجعله في الدرجة الأولى من الأهمية، ويعرف ذلك المسلمون ولكنهم لا يعملون به فيما يتعلق بنشر الإسلام ، وإذا كان الإسلام ينتشر فإنه ينتشر بقوته الذاتية ، رغم الهجوم عليه ورغم العقبات التي تعترض طريقه».

فالإعلام الإسلامي يجب أن يوضِّح حقائق الإسلام ، وقيمه التي قضى المسلمون ـ قبل غيرهم ـ على معظمها، وشوَّهوا صورها ببعدهم عنها، وبسلوكهم سلوكيات مضادة لها. يقول الدكتور عبد الحليم محمود ، في ذلك: «إن الغربيين يستمدون فكرتهم عن الإسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ، فإنهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء ، مستكينين ، فرقت بينهم الأهواء والشهوات ، وقعدت بهم الصغائر ، وانصرفوا عن عظائم الأمور، وأصبحوا مستعبدين مستذلين ، ولو كان الإسلام ديناً قوياً ، لما كان المسلمون هكذا. والغربيون ينظرون إلى المسلمين في العصر الحاضر ناسين شيئين:

أولهما: أن المسلمين حالياً متمسكين بالإسلام وصلتهم به تقريباً صلة اسمية فقط.

ثانيهما: ينسون ماضي المسلمين العظيم، وقوتهم، أيام كانوا متمسكين بالإسلام.

ولأن المسلمين أيضاً يكتبون عن الإسلام كتابات متناقضة ، تعرضه بصورة غير منسجمة ، وتبين أنه دين مليء بالاختلافات ، مما يجعل الأجانب يشكّون فيه ولا يفهمونه ، فالإسلام في حاجة إلى عرضه عرضاً ميسراً سهلاً قوياً».

وهذه هي مهمة الإعلام الإسلامي ، نشر المفاهيم الدينية ، والقيم الإسلامية الصحيحة بالأسلوب الفني الجذاب ، حتى يظهر الإسلام على صورته الحقيقية ، وحتى يؤدي الإعلام أيضاً رسالته بطريقة صحيحة، لأنها مستمدة من مصدر صحيح.

وقد حاول أعداء الإسلام أن يظهروا أن الإسلام لا يصلح لأن يقدم عبر وسائل وأجهزة إعلام العصر الحديث ، كما حاولوا أن يظهروا أنه ضد التطور والتقدم ، وضد الوسائل والأساليب الحديثة ، غير أن هذا محض افتراء ومجرد تقولات لا

نصيب لها من الصحة ، وقد ساعدهم على ذلك غفلة المسلمين وانبهارهم بالحضارات الزائفة البراقة ، وتناسيهم لما يمتلكون من ثروات إعلامية إسلامية هائلة ، مما أدى إلى غيبة الإعلام الإسلامي عن الميدان وانفراد أعداء الإسلام بساحة الإعلام يُشَهِّرون من خلالها بالإسلام ومبادئه السمحة وقيمه الأصيلة النبيلة ، ويتجنُّون عليه وعلى رسول الكريم ﷺ.

وقد فعل أعداء الإسلام ذلك لأنهم أدركوا أن الإسلام قوة دولية عظيمة ، تزلزل كيانهم ، وتهدد وجودهم ، فبدؤوا يشنُّون الحملات المضادة للإسلام ، وقد حدث مثل هذا قديماً مع الكفار في مكة ومع المنافقين في المدينة ، وسوف نرى أن الممارسة الصحيحة للإعلام الإسلامي كانت وراء دحر هؤلاء وإحباط مخططاتهم وكيدهم ، في ذات الوقت التي كانت فيه السبب في انتصار الإسلام والمسلمين وانتشار دعوتهم.

وقد عاد أعداء الإسلام ، وجاء عليهم زمان غاب فيهم الإعلام عن الساحة ، واختفى فيه من الميدان ، فانتهزوا الفرص ، بعد أن أخذوا منه مبادئ الممارسة الصحيحة للإعلام ، وبدؤوا مستخدمين وسائلهم المستحدثة وأساليبهم الرخيصة المبتذلة المغرية ، بدؤوا يحاولون إبعاد المسلمين عن ماضيهم وعن دينهم.

يقول الأستاذ (جب) المستشرق الإنكليزي ، حين يستعرض أنجع الوسائل لتغريب المسلمين تغريباً حقيقياً ، يهضمون فيه الحضارة الغربية حتى تصبح فيهم شيئاً ذاتياً ، لا مجرد تقليد للغرب ، يقول: «وللوصول إلى هذا التطور الأبعد ، الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية ، يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة» ، ثم يستطرد المستشرق الإنكليزي (جب) مقرراً: «إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي» ، كذلك يبدي ملاحظة عن النتائج الرهيبة لهذا الغزو فيقول: «إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة ، قد ترك في المسلمين ـ من غير وعي منهم ـ أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حدٍّ بعيد ، وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي عن حضارته من آثار».

وقد صدق المستشرق الإنكليزي (جب) حيث أصبح كلامه حقيقة واقعة في حياة شعوب البلدان الإسلامية ، تقول الدكتورة إجلال خليفة مقررة ذلك: «تتعدد وتتباين التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي والمواطن المسلم ، وأخطر هذه التحديات في الواقع هي في نظري التحديات الداخلية والتي تحيط بالإنسان المسلم عن قرب ، وتصافح عقله ووجدانه وروحه وإحساسه صباح مساء ، وأهم هذه التحديات الداخلية في العالم الإسلامي هي:

- التمزق الذي يسود الوطن الإسلامي والتشاحن والتناحر الذي نشاهده بين بعض قادة الدويلات الإسلامية، وتوجيه أجهزة الإعلام للسبِّ والقذف وهدم غيرهم من أبناء المجتمع الإسلامي ، دون أي نشاط ضد أعداء المسلمين.

- انصراف أجهزة الإعلام عن مخاطبة جماهير المسلمين من واقع احتياجاتها الإعلامية فحوالي (٩٠٪) من المادة المذاعة والمنشورة تبعد بعداً تاماً عن عقائد الجماهير الإسلامية، وتهدم ما تبنيه المادة الإعلامية القليلة المرتبطة بالقيم الإسلامية والتي لا تتعدى (٤٪) من مجموع ما يوجه إلى الجماهير من برامج أجهزة الإعلام على اختلافها ، حتى إن إعلامنا المسجدي المعاصر يعيش أجيالاً مضى على فنائها مئات السنين ، وإنما تحتاج جماهير المساجد إلى من يعاصر قضايا العصر ومشكلات الأجيال الحالية ، وتبدد الظلام الديني الذي تحيطها به أجهزة الإعلام الإلحادية والمعادية لعقيدتنا الإسلامية ، والتي تعمل على تشكيك المسلم في معتقداته وفي آراء قادته وأئمته من سبق منهم ومن بقي بينهم.

- عزل مناهج التعليم في المدارس المختلفة عن جوهر الدين الإسلامي مع أن الدين الإسلامي يتناول الإنسان منذ كان نطفة وطفلاً وصبياً ويافعاً وشاباً ورجلاً وشيخاً وحتى حياته الأخرى فيما بعد الوفاة، يتناوله سلوكياً وروحياً وعقلياً وعقائدياً وفكرياً وتكويناً علمياً مع الإحاطة بكل ما يقع عليه، ويقع عليه بصره و أحاسيسه ويحسه ويتخيله. وبذلك يتكون التلميذ والطالب بأسلوب أقرب إلى الاضطراب النفسي والجهل بما يدور حوله ، وبما يشاهده مما يجب أن يتعلمه ، فالعلم الذي لا يُقرِّب إلى الله سبحانه ليس بعلم ، والأمثلة على ذلك كثيرة في الواقع الذي نعيشه.

- فصل تعليم الدين الإسلامي عن الحياة وأمور الدنيا والعمل على حصره على ما بعد الحياة والوجود الدنيوي ، وبذلك تخرج مناهجنا التربوية والاقتصادية

والسياسية والثقافية ناقصة ، بل باطلة ومضطربة ، وما نعمله اليوم نهدمه في الغد لفشله بحجة التعديل ، وبذلك تمر الأيام ونحن نرجع إلى الوراء ، إلى ما قبل بزوغ نور الإسلام لنعيش ونحن في نهاية القرن العشرين وبدء القرن الخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة في العصور الجاهلية الأولى ، بل في أسوأ من تلك العصور المظلمة .

ـ وإلى جانب ذلك كله هناك عزل المسجد عن معالجة شؤون المسلمين ، واقتصاره على تأدية الصلاة، ولم ينشأ المسجد لذلك فقط، وإنما أنشأ الرسول ﷺ المساجد للنظر فيما يهم المسلمين من أمور وقضايا ، تحل باجتماع أهل الرأي من المسلمين في صلاة الجماعة ، ولوجود إمام يوجه شعب المسجد إلى ما يريده الله من الإنسان في وجوده من الحياة على الأرض ، وكيف يكون عاملاً للإصلاح ، والصلاح لنفسه ، ولمن حوله من إنسان وحيوان ونبات وجماد ؛ لأنها جميعاً يكفيها فخراً أنها من صنع الخالق جلت قدرته .

ـ سيادة الإعلام الفاسد في ربوع الوطن الإسلامي لعمله على إبراز نشاط النماذج الفاسدة من بني البشر ، وإهمال الإعلام عن القدرة الحسنة للإنسان المسلم بغرض العمل على انحلال المجتمع وإشاعة الفوضى والتسيُّب والفساد في أركانه ، وهدم قيمه الإسلامية» .

مما سبق يتضح لنا أهمية الإعلام الإسلامي ، ويتضح لنا ما حدث للمسلمين من خسائر من جراء غيبة الإعلام الإسلامي عن الميدان ، وقد انتهز أعداء الإسلام هذه الفرصة وبدؤوا حربهم على الإسلام وقيمه ومبادئه ، وذلك خوفاً من انتشاره وسيادته مما يؤدي إلى اندحارهم واختفاء سلطانهم ، لذا بدؤوا حملاتهم الشعواء ضد الإسلام ورجاله ومبادئه ، وساعدهم على ذلك المسلمون أنفسهم «إن أكبر خطأ يرتكبه الإعلام الإسلامي لكل من يعمل من دعاة وخطباء وأئمة وصحفيين وإذاعيين وناشرين وكتَّاب ، وعلماء ومعلمين ، وفنيين وغيرهم ، أن ينعزلوا بأنفسهم عن أخطار الاتصال الجماهيري ، تاركين أفراد الأمة يسقطون صرعى في الهوان المتكرر ، والإلحاد المدبر ، والتخطيط الشيطاني المدمر ، إن سكوت الإعلاميين المسلمين، واعتصامهم بأبراجهم العاجية وصمتهم إزاء ما تقوم به كتائب الظلام وجند الشيطان ، يعتبر تخاذلاً ونكوصاً ، فلا بد من التصدي ، وفضح النفاق ، وكشف الخداع وإظهار الزيف .

فالمسلمون أمة شديدة البأس وليس صمتها على المنافقين والمشركين دليل تصديقها لأباطيلهم».

وإذا كان هناك قلة من حكماء المفكرين أصبحوا يرون الآن أنه لا إنقاذ للبشرية إلا بالعودة إلى الدين، فقد كان لزاماً على إعلامنا أن يلتقط هذه الشهادات المخلصة، ويؤيدها، ويناقشها من واقع الإسلام وتاريخه، وعبره وأحداثه، وإذا كان هؤلاء الحكماء يذكرون العودة إلى الدين ولم يحددوا ديناً بالذات، فقد وجب علينا الإثبات أن الإسلام هو الدين الوحيد الصالح للبشر، والمهيمن على ما سبقه من التشريعات، والمبرأ من كل شك لحقها زيفاً أو تزويراً، فالعالم قد أصبح حقيقة يعني إفلاساً روحياً، والمنصفون من حكمائهم أصبحوا يدينون عقائدهم التي تهتز تحت مجهر الحقائق، ويرحبون بأي جديد يشدهم إلى حقيقة الإسلام.

هم يرون أن هذه الأفكار وغيرها التي بنت عليها أوروبة حضارتها إنما جاءت من أصول وينابيع الإسلام. وهذه هي مهمة إعلامنا، التركيز بإخلاص على تقديم وعرض هذه الينابيع بالأسلوب العصري، فالإسلام يواكب كل عصر بأسلوب علمه، ويحل له مشاكله بأسلوب تطوره.

والإعلام الإسلامي له وظائف وأهداف يرمي إليها لتكوين المفاهيم الصحيحة لدى جماهير المستقبلين له في كل مكان من أنحاء العالم، ولغرس القيم والمبادئ الصحيحة السليمة التي تفيد الناس في دنياهم، حيث تنظم شؤونهم وأحوالهم المعيشية وتنظم علاقة البشر ببعضهم البعض، كما تنظم أيضاً علاقة البشر بخالقهم سبحانه وتعالى وترشدهم إلى الغذاء الروحي المتمثل في العبادات والتي تؤدي إلى الاستقرار النفسي في الدنيا وإلى السعادة الأبدية الخالدة في الحياة الآخرة.

ومن هنا تظهر بجلاء أهمية الإعلام الإسلامي في الإعلام عن هذا الدين والإقناع له، لتعم السعادة البشرية جميعها ولتنقشع غشاوات الظلام، وليبدد نور الإسلام ظلمات المادية والإلحادية ومذاهبها المقنَّعة تحت مسميات كثيرة براقة وزائفة، حسبنا أنها تثبت فشلها يوماً وراء يوم، وهذه هي مهمة الإعلام الإسلامي ودور رجاله في إنقاذ البشر جميعاً وإسعادهم بالإسلام ونوره قولاً وعملاً.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله على نعمة الإيمان بالله واليقين به سبحانه ، وكفى بها نعمة لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١) .

والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على رسول الله ، الذي هدانا الله تعالى به بعد الضلالة ، واستنقذنا بعد العماية ، وأنزلنا على المحجّة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يتنكّبها إلا خاسر : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢) .

أما بعد :

فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على رسوله ﷺ ، ليأخذ بيد العالم إلى ما فيه الخير والهداية والصّلاح ، وذلك بعد أن تمزّقت روابطه ووَهَتْ علاقاته ، وأوشك على التردّي والانهيار .

---

(١) التوبة : ٧٢ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

وهكذا أقام الإسلام بالقرآن عالماً جديداً ، تربطه بخالقه أقوى وأعظم الصّلات ، وشهد المنصفون في العالم أن ذلك العالم كان أقرب المجتمعات التي شهدتها الإنسانية ، وهي ترنو إلى المثل الأعلى والكمال .

وخلال مدة وجيزة شهد العالم حضارة الإسلام ، حيث دخلت أنواره إلى شتى بقاع المعمورة ، وما كان ليتم ذلك إلا بالبلاغ والدعوة والإعلام .

وكان البلاغ الذي يعني الإعلام ، هو كل ما أمر الله رسوله ﷺ به .

مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١) .

وبهذه الروح القرآنية السمحة ، وهذا التوجيه الرباني السامي ، مضت الدعوة في طريقها تكسب لها كل يوم أنصاراً وأتباعاً ، وتتجاوز كل العقبات التي وضعها الكافرون والملحدون في طريقها لتمضي إلى غايتها المرجوَّة ، ولذلك كان لابدّ من الصبر والتحمل ، قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾(٢) .

ولذلك وعى الرعيل الأول منهج الدعوة والتبليغ والإعلام ، وفهموا أن مهمتهم ليست في إجبار الناس على الدخول في الإسلام ، إنما مهمتهم حمل مشاعر النور إلى الناس كافة ، ذلك لأن قرآنهم عالمي ، ورسولهم صلوات الله عليه بُعِث للناس كلهم ، وكل تشريعاتهم رحمة للعالمين ، وبالتالي فالدّين كله دعوة لكل البشر من أجل تحقيق الحياة الأفضل ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٣) .

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) طه : ١٣٠ . «وسبح بحمد ربك» صلّ وأنت حامدٌ لربك . «آناء الليل» : ساعاته .

(٣) الفرقان : ١ . «تبارك» : تعالى وتمجَّد . «الفرقان» : القرآن الفاصل بين الحق والباطل .

ولما شاء الله أن نخوض في هذا المجال الواسع ـ الإعلام ـ باشرنا بكتابة هذه الأطروحة ، وقسّمناها إلى خمسة أبواب هي :

ـ ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي .

ـ المسيرة التاريخية للإعلام .

ـ نظرية الإعلام كما رسمها القرآن الكريم .

ـ دور الإعلام وتأثيراته في الجماهير .

ـ نظرات في إعلام الآخرين : مقارنةً مع إعلامنا!

فإن وفّقنا في هذه الدراسة ، فذلك من فضل الله ومنّته وكرمه ، وإلا فمن النفس الأمّارة بالسوء ، لكن يشفع لنا أننا لم نألُ جهداً في سبيل الوصول إلى الهدف ، والذي عبّر عنه خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) هود: ٨٨.

obeikandl.com

الباب الأول

ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي

الفصل الأول: مفهوم الإعلام الإسلامي.

الفصل الثاني: مشروعية الإعلام في الإسلام.

الفصل الثالث: خصائص الرسالة الإعلامية الناجحة.

الفصل الرابع: مدى تأثير ملكية وسائل الإعلام على الوظائف الإعلامية.

الفصل الخامس: أهم ميّزات الإعلام الإسلامي.

الفصل السادس: علاقة الإعلام بالعلوم الأخرىٰ.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
مفهوم الإعلام الإسلامي

أ ـ الإعلام لغة[1]:

الإعلام: من مادة علم، والعلم: نقيض الجهل، وعَلِم علماً، وعَلِمَ هو في نفسه تعليماً.

ـ أذن بالشيء إذناً وأذاناً وأَذَانة: علم به.

ـ وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2]: أي: كونوا على علم.

ـ وآذنه الأمر وآذنه به: أعلمه.

ـ وقد قرئ، (فَآذِنُوا بحرب من الله)[3] معناه: أي أعلموا كل مَنْ لم يترك الربا بأنه حرب من الله ورسوله.

ـ ويقال: قد آذنته بكذا وكذا، أوْذِنُه إيذاناً وإذْناً إذا أعلمته، وأذَّنْتُ: أكثرت الإعلام بالشيء.

ـ والأذان: الإعلام.

ـ وآذنتك بشيء: أعلَمْتُكه.

---

(١) الصحاح للجوهري، لسان العرب لابن منظور، تاج العروس للزبيدي، وترتيب القاموس المحيط للطاهر الزاوي، مادة (علم).

(٢) البقرة: ٢٧٩.

(٣) التلخيص في القراءات الثمان، ص ٢٢٣.

obeikandl.com

ـ وآذَنتُه: أعلمتُه.

ـ قال الله عز وجل: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾[2] أي: إعلام.

والأذان والأَذِين والتأذين: النداء إلى الصلاة، وهو إعلام بها وبوقتها.

ـ قال ابن الأثير: وقد ورد في الحديث ذكر الأذان: وهو الإعلام بالشيء.

ـ وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾[3] قيل: تأذن: آعلم، وهو قول الزجاج.

ـ وفرق سيبويه بينهما فقال: علمت كأَذِنت، وأعلمت كأذَّنت، وعلمته الشيء فتعلم.

ويقال: استعلم خبر فلان، وأعلمنيه حتى علمه، واستعلمني الخبر فأعلمته إياه، وعلم الأمر وتعلمه: تيقَّنه.

ـ وإذا نظرنا إلى المعنى اللغوي في الدعوة وجدنا فيه معنى النداء للمشاركة في شيء، وأنه يفيد المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل، وكذلك إذا نظرنا إلى المعنى اللغوي للإعلام وجدنا فيه المعنى نفسه مما يدل على أن الدعوة هي الإعلام، والإعلام هو الدعوة، ولا فرق بينهما من حيث اللغة في جانبها التبليغي.

ـ ولعلنا لا نتجاوز الإطار العلمي حيث نذهب إلى أن المفهوم العربي لكلمة (بلاغة) يقترب من المفهوم الحديث لعملية الاتصال، فالبلاغة تنبئ عن الوصول والانتهاء.

ـ يقال: بلغ فلان مراده إذا وصل، وبلغ الرَّكبُ المدينة إذا انتهى إليها

---

(١) الأنبياء: ١٠٩.
(٢) التوبة: ٣.
(٣) إبراهيم: ٧.

وبلغه هو إبلاغاً وبلغه تبليغاً ، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمي :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلاً فقد أبلغت أسماعي

أي : قد انتهيت فيه .

ـ وتبلغ الشيء : تكلَّف البلوغَ إليه حتى وَصَلَهُ .

ـ والبلاغ : ما يُتبلغ ويُتوصل به إلى الشيء المطلوب .

ـ وفي التنزيل : ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾[1] ، أي لا أحد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أُرسلت به .

ومن الدلالة العربية للبلاغة يتبين ما نقصده من اقترابها من الدلالة الحديثة للاتصال[2] من حيث هو (عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الأفراد وذلك باستخدام نظام الرموز المتعارف عليها)[3] ومن هنا يتبين لنا أن اللفظ العربي للإعلام يحمل في تضاعيفه عدة معانٍ ، متقاربة تارة ومتباعدة تارة أخرى ، فهو بمفهومه المعاصر يعني الاستعلام عن الحوادث والأخبار ، ويعني الخبر والرواية ، كما يشير إلى الدعاية والتوجيه والإرشاد .

ب ـ الإعلام اصطلاحاً :

عرَّف العلماء الإعلام تعريفات كثيرة ، نختار منها أشهر التعريفات التالية :

١ ـ **تعريف أتوجروت** ، حيث قال : (الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نَفْس الوقت)[4] .

---

(١) الجن : ٢٣ .

(٢) تؤكد دائرة المعارف البريطانية على خاصية التفاعل التي تميز الإعلام عن غيره ، من حيث النتائج والآثار وردود الأفعال التي يمكن تقديرها ، والتي تهدف إلى إحداث تجاوب بين المرسل والمستقبل .

(٣) المدخل إلى وسائل الإعلام ، د. عبد العزيز شرف ، ص ٧٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

فالإعلام تعبير موضوعي وليس ذاتياً من جانب الإعلامي ، سواء أكان صحفياً أم مذيعاً أم مشتغلاً بالسينما أو التلفزيون.

فالإعلام يقدم حقائق مجردة بعضها سارٌّ وبعضها غير سارٍّ ، فالإعلامي ليس له غرض معين فيما ينشره على الناس اللهم إلا الإعلام في ذاته[1]. والواقع عكس هذا تماماً إذ إن المذيع أو المحرر أو الصحفي أو الفني لا يعبر في الغالب عن ذاته فيما يذيع أو يحرر ، وإنما هو مجرد ناقل أو أداة للمصدر الإعلامي الأساسي ؛ والذي لا ينكره أحد أنه يعمل من أجل تحقيق أهدافه الخاصة ولحساب مصلحته ، وأكبر دليل على ذلك تأثير رجال الحكم ورجال الأعمال على الإعلام ومساره ، ومن هنا يمكن أن نقول: إن الإعلام من حيث الواقع ذاتي وليس موضوعياً ، وذلك بعكس الإعلام الإسلامي تماماً ، إذ إن الإعلامي المسلم ، أو المحرر الإسلامي ، أو الصحفي الإسلامي ، عندما يعلن عن رأيه في أمر من الأمور فإنما ينطلق من روح الإسلام ومبادئه وتعاليمه ، ويعبر عن جوهر الإسلام ، وإن الإعلامي المسلم الصادق عندما يذيع أو يحرر أمراً من الأمور أو قضية من القضايا ، فإنما يتجرد من ذاته كلية لأنه ينطلق من القرآن والسنة ، ويكفيه قدوة في ذلك قول الله عز وجل لنبيه الكريم: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾[2] ، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾[3] ولقد وجَّه القرآن الكريم إلى الرسول ﷺ العتاب في بعض المواقف ، ومن ذلك قصته مع ابن أم مكتوم وأسرى بدر وغيرها ، مِما يدل على أن الإعلام الإسلامي إعلام موضوعي وليس ذاتياً.

٢ ـ تعريف الدكتور إبراهيم إمام:

عرف الإعلام بقوله: (هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير ، د. إبراهيم إمام ، ص ١٢.
(٢) الشورى: ٤٨.
(٣) هود: ١٢.

الوقائع ، أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يصير هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم)[١] .

وما ذكرناه على التعريف الأول ينطبق على هذا التعريف حيث يوجد تطابق كبير بينهما .

٣ ـ ويعرفه بعضهم بأنه : (الأسلوب المنظم للدعاية السياسية أو ترويج الأفكار في وسط مهيّأ نفسياً لاستقبال السيول الفكرية التي تقذفها المصادر ؛ التي تتحكم بالرأي العام ، وتمسك زمام الأمور بيد من حديد)[٢] .

ولعل هذا التعريف يصدق على الواقع الإعلامي المعاصر ، وخصوصاً الدول الشيوعية التي تحكم بيد من حديد .

٤ ـ ويعرفه آخرون بأنه : (نشر الحقائق والأفكار والآراء بين جماهير الشركة أو المؤسسة بوسائل الإعلام ، كالصحافة والإذاعة والسينما والمحاضرات والندوات ، والمعارض والحفلات وغيرها ، وذلك بغية التفاهم والإقناع ، ولجلب التأييد)[٣] .

وهذا التعريف يقصر الإعلام على أمور إعلامية جزئية ، ولا يصلح ليكون تعريفاً عاماً للإعلام .

٥ ـ ويعرفه آخرون بأنه : (إدخال حقائق موضوعية ومواد ثقافية وآراء لها بعض التأثير على معتقدات وسلوك من تنقل إليهم)[٤] .

٦ ـ ويعرفه السيد هادي نعمان الهيتي بأنه : (عملية تزويد الناس بالأخبار والحقائق والمعلومات الصادقة عن طريق وسائل خاصة ، أو هو إطلاع

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير ، د. إبراهيم إمام ، ص ١٢ .
(٢) الشخصية الإسلامية مؤسسة إعلامية ، زهير الأعرجي ، ص ٩ .
(٣) فن العلاقات العامة والإعلام ، د. إبراهيم إمام ، ص ١٨٦ .
(٤) التدريب الإعلامي ، تقرير منظمة اليونيسكو ، ص ٥ .

الرأي العام في الداخل والخارج على ما يدور من أحداث ووقائع ، وبث الثقافة والوعي بين صفوفه)[1].

٧ ـ ويعرف «رايت» الإعلامَ بقوله: (هو العملية التي ينتقل بمقتضاها معنى بين الأفراد)[2].

وبالنظر إلى هذا التعريف نجد أنه يقصر الإعلام على الأفراد ، ولم يذكر الجماعات.

وبعد عرض التعريفات السابقة يتبين لنا أن المفكرين قد اختلفوا في وضع تعريف دقيق لمفهوم الإعلام ، وكذلك تختلف الدول حسب أنظمة الحكم القائمة في فهم الإعلام وتفسيره حسب فلسفة المجتمع ، ونظرته لمختلف الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيه ، ومن خلال عرضنا لهذه التعريفات المتعددة نجد أن علماء الإعلام يجتهدون في وضع تعريف أمثل لهذا المصطلح الحديث.

إن ثمة شبه اتفاق لا يختلف عليه أحد ـ تقريباً ـ في أساسيات العمل الإعلامي ، وفي المبادئ والأسس التي يقوم عليها الإعلام ، وفي:

١ ـ الحقائق التي تدعمها الأرقام والإحصاءات.

٢ ـ التحلي بالموضوعية والتجرد من الذاتية في عرض الحقائق.

٣ ـ الصدق والأمانة في جمع ونقل البيانات من مصادرها الأصلية.

٤ ـ التعبير الصادق عن الجمهور الذي يتوجه إليه الإعلام.

وهذا يعني ما يلي:

١ ـ أن الإعلام الذي لا يقوم على أساس من الواقع ، بل على الخيال والافتراضات ، ينفى عنه مفهوم الإعلام.

---

(١) الإعلام العربي والدعاية الصهيونية ، هادي نعمان الهيتي ، ص ٢١.

(٢) البحث العلمي والإعلام ، نظريات وتطبيقات ، د. إسحاق القطب ، ص ١.

٢ ـ أن رجل الإعلام الذي يضفي وجهة نظره الشخصية التي تمليها عليه أهواؤه على المعلومات التي يزود بها الجمهور ، ويلون هذه المعلومات حسب ما يراه ، يفقد صفته كرجل إعلام .

٣ ـ إذا لم يكن الصدق والأمانة منهاجاً في الحصول على البيانات واستقائها من مصادرها ، فإن الإعلام يفقد أهم دعامة له ، وهي الصدق .

٤ ـ إذا لم يأت الإعلام معبراً تعبيراً صادقاً وأميناً عن تراث الأمة وعادات الجماهير وتقاليدها التي يتوجه إليها ، وأن يناسب ثقافات وتفكير الجماهير وروح الأمة ، فإنه سوف لا يلائم جمهوره ، وبالتالي لا يستطيع الناس فهمه أو التجاوب معه .

ج ـ تعريف الإعلام الإسلامي :

بعد عرض تعريف الإعلام ، نود أن نعرِّف الإعلام الإسلامي اصطلاحاً ، ولقد عملت جاهداً للحصول على تعريف عام ومحدد للإعلام الإسلامي ، فلم أجد ، مع العلم بأنني رجعت إلى الكثير من الكتب الإعلامية عامة وكتب الإعلام الإسلامي خاصة ، غير أنني وجدت تعريفين فقط أذكرهما فيما يلي :

ـ التعريف الأول :

(تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة ، بوساطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ، ومتبعة في موضوع الرسالة التي يتناولها ، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته ، وعباداته ، ومعاملاته)[1] .

---

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، د. محيي الدين عبد الحليم ، ص ١٥٤ .

ـ التعريف الثاني:

(بيان الحق وتزيينه للناس، بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة، بقصد جلب العقول إلى الحق، وإشراك الناس في نوال خير الإسلام وهديه وإبعادهم عن الباطل أو إقامة الحجة عليهم)[1].

ولعلَّ هذين التعريفين من أفضل وأوسع وأشمل التعاريف لكلمة الإعلام؛ وذلك بسبب النظرة الشمولية المستوعبة لجوانب الموضوع، وتفرُّعاته، وتفصيلاته.

* * *

(١) الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب، ص ١٧ ـ ١٨، وللتوسع يراجع: مقومات رجل الإعلام، تيسير القباني، ص ١٧ ـ ٢٢.

obeikandl.com

الفصل الثاني
مشروعية الإعلام في الإسلام

تنبثق مشروعية الإعلام الإسلامي من منطلقات أساسية، ترتكز عليها الشريعة الإسلامية الخالدة.

وهذه المنطلقات الأساسية هي:

١ ـ أن الإسلام دين أنزله الله تعالى لهداية البشرية كافة:

فهو ليس ديناً مقصوراً على جنس دون جنس، ولا خاصاً بشعب دون شعب، ولا لأمة هي أربى من أمة، وإنما هو دين أنزله الله تعالى لهداية البشر أجمعين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1] والله تعالى يصف ذاته في أم الكتاب بأنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وأم الكتاب سورة من سور الكتاب المبين، تتردد على لسان المسلم في كل يوم سبع عشرة مرة في الفرائض المكتوبات وحدها ـ فكيف بالنوافل؟ وهي ذات مضمون فكري عالمي، مؤداه: أن الله تعالى هو رب العوالم كلها من أنسية وجنية، نباتية وحيوانية، علوية وسفلية، تعيش معنا فوق هذا الكوكب الأرض، أو تسبح في أجواء الفضاء المترامي، أو تمخر عباب الماء في قاع المحيطات المتلاطمة الأمواج، أو تعمر بعض الأجرام السماوية الأخرى.

---

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) الفاتحة: ٢.

فهذه العوالم المتعددة ذات الطبائع المتغايرة ؛ تتناغم كلها باسم الحق الواحد الأحد العظيم القدرة ، النافذ الإرادة ، وتتنادى لتسبِّح الحي الذي لا يغفل ولا ينام ، وتتوافى جميعها بدعوة الحق ، من لدن كانت سراً من أسرار الملأ الأعلى إلى أن ظهرت على مسرح الكون الواسع .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾(١) .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٢) .

٢ ـ إن كل من اعتنق هذا الدين مسؤول عن إبلاغه لغيره .

إنها لمسؤولية الوجوب العيني بالنسبة للتبليغ على إطلاقه .

ومسؤولية الوجوب الكفائي بالنسبة للتفقه في الدين باعتباره الوسيلة المثلى للتبليغ ، وهذه بعض النصوص الواردة في ذلك :

ـ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾(٣) .

ـ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(٤) .

ـ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾(٥) .

ـ ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٦) .

---

(١) الأعراف : ١٧٢ .
(٢) الإسراء : ٤٤ .
(٣) سورة النحل : ٣٦ .
(٤) آل عمران : ١١٠ .
(٥) الأنعام : ١٥١ .
(٦) البقرة : ٤٢ «ولا تلبسوا» : لا تخلطوا ، أو لا تستروا .

ـ ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[1].

ـ ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

ـ ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[3].

ـ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[4].

والأحاديث الشريفة في هذا المعنى كثيرة جداً ، وكلها متفقة على وجوب تبليغ الدعوة للناس كافةً ، لهدايتهم ، ونيل الثواب العظيم المترتب على هذا التبليغ ، ومنها قوله ﷺ:

ـ «بلِّغوا عني ولو آية»[5].

ـ «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ، وبلَّغها كما سمعها ، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع»[6].

ـ «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[7].

ـ «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم»[8].

---

(١) إبراهيم: ٥٢.
(٢) آل عمران: ١٠٤.
(٣) التوبة: ١٢٢.
(٤) النحل: ١٢٥.
(٥) رواه البخاري (٣٤٦١) والترمذي (٢٦٦٩) وأحمد (٦٤٨٤).
(٦) رواه البزار (١٤١) وابن حبان (٦٧٩) ينظر مجمع الزوائد (١/ ١٣٧).
(٧) رواه مسلم (٢٦٤٧) وأبو داود (٤٦٠٩) والترمذي (٢٦٧٤).
(٨) رواه البخاري (٢٩٤٢).

٣ ـ مهمة النبي ﷺ والدعاة من بعده منحصرة في الإعلام دون الهداية:

وهذا واضح تمام الوضوح بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢] والهدى المقصود هنا هو هدى التوفيق إلى الدين الحق، أما الهدى بمعنى الإرشاد إلى الحق والدلالة عليه فتلك وظيفته ﷺ المثبتة له في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٣].

والدليل على ذلك أيضاً قوله تعالى:

- ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[٤].
- ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٥].
- ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٦].

٤ ـ إن التقصير في الإعلام بالإسلام والدعوة إليه معصية يعاقب عليها الله سبحانه، لأنه من باب كتمان العلم المنهي عليه:

ودليل ذلك من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٧] قال الشوكاني: (قيل: معناه أنهم يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق، يقال:

---

(١) القصص: ٥٦.
(٢) الأنعام: ١١٧.
(٣) الشورى: ٥٢ ـ ٥٣.
(٤) المائدة: ٩٩.
(٥) المائدة: ٩٢.
(٦) النحل: ٣٥.
(٧) آل عمران: ١٨٠.

طُوِّق فلان عملَه طَوْقَ الحمامة؛ أي: أُلزم جزاء عمله)[1]. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ قال: هم أهل الكتاب بخلوا أن يبينوه للناس.

ـ ويقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2].

يقول الشوكاني أيضاً: (هذه الآية توبيخ لأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، أو اليهود فقط على الخلاف في ذلك، والظاهر أن المراد بأهل الكتاب: كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب، أي كتاب كان، كما يفيده التعريف الجنسي للكتاب، قال الحسن وقتادة: إن الآية عامة لكل عالم، وكذا قال محمد بن كعب. ويدل على ذلك قول أبي هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية، ثم يقول عن قتادة: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم علماً فليعلمه للناس، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة)[3] تلك هي المنطلقات الأساسية التي تتجلى فيها ومنها مشروعية الإعلام في الإسلام، وأنه ضرورة ملزمة للإسلام حيثما وجد مسلم يعبد الله تعالى في أي مكان فوق ظهر الأرض.

وإن المسلم مطالب بالإعلام والدعوة لدين الله ما دام فيه نفس يتردد، لا يُماري في ذلك عدو أو جهول، ولقد تجلت جهود المسلمين الأوائل في الإعلام بدين الله وتحمل المكائد والمصائب في سبيل الله، وعدم التواني عن المجاهدة والمكابدة رغم مؤامرات الأعداء، ومناصبتهم العداء للإسلام وأهله، وبحسبنا أن نشير إلى سير الصحابة رضوان الله عليهم، وما تكبدوه

---

(١) فتح القدير، الإمام الشوكاني: ١٠/ ٤٠٤.
(٢) آل عمران: ١٨٧.
(٣) فتح القدير، الإمام الشوكاني: ١/ ٤١١.

من مشاق في سبيل التبليغ بكل مراتب التبليغ ؛ حتى تقدم موكب الإسلام الزاحف عبر الأراضي الشاسعة والبلدان الواسعة ، كل ذلك يشهد لهؤلاء الدعاة والأبطال أنهم كانوا إعلاميين ناجحين ، بل دعاة مجاهدين .

(١) صدق المحتوى أو المضمون :

إن هذه السمة التي يتميز بها الإعلام الإسلامي ، تعقد له لواء الصدارة على جميع الأجناس الإعلامية الأخرى في هذا الصدد ، وفي الحقيقة : يستمد الإعلام الإسلامي صدقه من صدق الرسالة ، والرسول ﷺ ، فهذا النبي الأمي لم يعرف عنه الكذب لا في جاهلية ولا إسلام ، وشهد له الأعداء قبل الأصدقاء بصفاء الوجدان وسلامة اللسان ، وهو الذي أراد الجهر بالدعوة فصعد على الصفا وجعل ينادي : «يا بني فهر ، يا بني نوفل ، يا بني عبد شمس ، لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم : أكنتم مصدِّقيَّ»[(١)]؟! فأجابوا جميعاً بصوت واحد : ما جربنا عليك كذباً .

وقد جاء الحض على الصدق والالتزام به في مواضع كثيرة جداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما أحكم قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾[(٢)] الوعيد في الآية لمن كذب على الله ، ولمن أنكر الصدق أيضاً .

ـ وفي مجال الدعوة يقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[(٣)] .

والصدق والتصديق عنوان التقوى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[(٤)] وفي الوقت الذي يموج فيه العالم بالأكاذيب ،

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦) .
(٢) الزمر : ٣٢ .
(٣) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦ «باليمين» بيمينه ، أو بالقوة والقدرة .
«الوتين» : نياط القلب ، أو نخاع الظهر .
(٤) الزمر : ٣٣ .

وتسود الأساليب الميكافيلية كل مرافق الحياة وشؤون الحكم والسياسة في كثير من الدول نتوقع أن ينهض بيننا أسلوب في الإعلام الإسلامي النقي، يقول الحقيقة مهما كانت مرة، ويقدم طوق النجاة لمن أعياهم التَّطْواف فوق خشبة متآكلة تترنح على سطح الماء بين أمواج كالجبال، والكل يكذبُ ويكذب ويكذب، حتى صدقوا أنفسهم. . . !!

(٢) شرف الغاية والمقصد:

الإعلام الإسلامي يهدف إلى غايات إعلامية نبيلة، وهو لا يسلك سُبل العصر من تأريث الأحقاد بين الطبقات، ولا إثارة الفقراء على الأغنياء، ولا تحريض الأقليات على الأكثريات، ولا بعث النعرات والعصبيات وتقديس تراب الأرض وتفضيله على رابطة العقيدة، ولا ينفخ أبواق الحرب والضرب في غير قضية، ولا هدف سوى إرضاء الساسة، وسماسرة السلاح؛ الذين يضاعفون (بلايينهم) على حساب خراب العالم، ولا يحابي السلطة بغض الطرف عن أخطائها وخطاياها من أجل حفنة (دولارات). ولا تبين الدعوات الشاذة والمبادئ المهمة، التي تفتك بروح المجتمع وتعمل بأوامر الملحدين، بل تحتضن المبادئ الإنسانية الخيرة التي هي سياج الأمن ومفتاح النجاح لبني البشر في حضانة الدستور السماوي الخالد.

والإعلام الإسلامي يبني ولا يهدم، يصون ولا يُضَيِّع، يرفع راية التعاون على البر والتقوى، ويصون نفسه عن الدنايا والخوض في الأعراض والحرمات وتلويث سمعة الأبرياء، رائده في ذلك التوجيه القرآني العظيم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾[2].

---

(١) الإسراء: ٣٦. «ولا تقف»: ولا تتبع.

(٢) النور: ١٩.

- فلا جري وراء الفضائح ، لجعلها حديث الغادي والرائح .

- ولا إسراع بنشر نبأ من فاسق ، قبل التثبت من جلية الخبر ، وتقدير العواقب في جانب الفرد والمجتمع إذا شاع وذاع .

- ولا اشتغال بالتافه من الحديث مع المعادين للقيم ، والضاربين على الوتر ، لجعلهم قدوة الشباب وأنموذج البطولة .

- ولا إسراف في ترفيه ، ولا مبالغة في قتل الوقت ، ولا استخفاف بعقلية الجماهير ، ولا استثارة لميولهم الدنيا ، وغرائزهم السفلى .

والإعلام الإسلامي ذو غايات نبيلة في إصلاح الأفراد والمجتمعات الإسلامية .

(٣) قوة الرصد والتوجيه والمتابعة :

يفتح الإعلام الإسلامي أعينه على ظواهر المجتمع ويسجلها ، ويهتم بتحليل الأحداث واستخراج العبر منها ، لأن الإعلام في حقيقته رصد للأحداث ، وتوجيه للمجتمع ، ومتابعة للنتائج وليس بإعلام ذلك الذي يترك المجتمع وأحداثه في جانب ، ويذهب في طريق التسلية الرخيصة والدعاية الفاسدة والشعارات الجوفاء .

فإن رسول الله ﷺ كان لا يترك حادثة تمر ، ولا مشكلة تثار ، إلا ويصعد المنبر فيحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يدلي بالبيان الشافي والتصريح الوافي ، فيصبح الأفق الاجتماعي واضحاً مستنيراً بالحكمة الوضاءة والموعظة الحسنة ، والأمثلة على ذلك في كتب الصحاح لا تحتاج إلى إيضاح .

قارن ذلك بسياسة الصمت المريض ، الذي تلتزم به الدوائر الإعلامية الضامرة إزاء الأحداث المثيرة ، التي تفضح اتجاهاتها الشريرة : (فقد لاحظ الباحث (هاجمان) الذي أحصى توجيهات (جوبلز) جميعها للصحف ، أن

تلك التوجيهات بلغ عددها خمسين ألف توجيه ، وأن ربعها كان عبارة عن أوامر باتباع أسلوب الصمت).

وبعض أجهزة الإعلام المعاصرة تترك الأحداث تبيض وتفرخ ، والشائعات تسري وتنتشر ، ولا يخطر ببال القائمين عليها أنه (في غيبة الحقائق تسود الأكاذيب).

ونذكر ما ترويه كتب السيرة من أن أهل المدينة فزعوا ذات يوم ، ولم يعرفوا مصدر الرعب والفزع ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً ممتطياً فرساً عارياً ، وقد عرف جلية الخبر قائلاً: «لن تراعوا لن تراعوا».

هكذا ينهض الرسول الكريم بنفسه ليأتي بالخبر من مصدره ، ويقدم الإعلام الإسلامي توجيهاته المعتدلة النافعة غير ذات عوج ولا انحياز ضد مصلحة الجماهير ، فلا ممالأة لفريق على فريق ، ثم يتابع ويتابع ، ويجدد التذكير بالقضايا المهمة ، ويجمع ما تفرق من شمل الأمة ، ويحركها بالفكرة الإسلامية إلى ما فيه هداها الرشيد ، واتباعها للصراط المستقيم.

إن الإعلام الإسلامي إعلام قضية ، وليس إعلام تجارة ، وكل من اهتم بأن يكون عمله رسالة وليس تجارة ، فإنه يتابع خطواته ويهتم بصدى كلماته ، ويتعقب نتيجة حركاته ، ويتابع ما تحقق أول بأول.

ونحن نجد مثل هذا في توجيهات النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن ، فنجده يعقب بقوله: «فإذا فعلوا ، فأخبرهم... فإذا أطاعوك فخذ منهم....»[1].

فاهتمامه بتحقيق الأمر قبل تكليفهم بغيره يعتبر متابعة ومراجعة دقيقة لنتائج الدعوة ، ومقياساً للتجاوب معها ، صلوات الله وسلامه على من أدبه ربه فأحسن تأديبه.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٨٤) والترمذي (٦٢٥) والنسائي (٥/ ٢) وابن ماجه (١٧٨٣).

(٤) سلامة الوسيلة أو الوساطة:

ليس مما يرضاه الله تعالى أن تتخذ وسيلة معوجة لغاية معتدلة.

ولا فصل عندنا بين الوسيلة والغاية في معيار الأخلاق الإسلامية.

فالأهداف النبيلة الشريفة لا يتم عندنا تحقيقها بوسائل غير قويمة... فإذا كانت أهداف الإعلام الإسلامي بالكيفية التي وصفناها بها، وإنها كذلك، فإن هذه الأهداف الإعلامية الإسلامية لا تنحو منحى مشبوهاً في التطبيق.

أ ـ وما تعرفه العصور الحديثة من التحكم في وسائل الإعلام وتوجيهها توجيهاً مخططاً لمصلحة دهاقنة السياسة، وأباطرة المال والأعمال، لا يعرفه الإسلام بتاتاً.

ب ـ وما تلجأ إليه الأجهزة الإعلامية من تقديم الأغنيات والرقصات والإعلان مدفوع الأجر عن المعسكرات، وأماكن العربدة، وعلب الليل، وغيرها من الدعايات غير الأخلاقية، أمر لا يقبله الإسلام ولا يقره.

ج ـ في الإعلام الإسلامي: تبقى المبادئ والفضائل في المحل الأرفع، وكل ما عداها خاضع لها.

أما في الإعلام غير الإسلامي: فتتوارى المعنويات أمام الماديات، وتتحكم الأطماع فيما يقدم للجماهير من رسائل إعلامية، لأنه إعلام لا يقوم بأداء رسالة ولا ينهض للدفاع المخلص عن قضية، ولا يتورع عن أن يستخدم أي وسيلة إعلامية حتى ولو تورط في تحصيل المال الحرام، أو استخدام أحابيل الشيطان في عرض الأفكار الملوثة بين الكاس والطاس، وبوساطة التأثيرات الخليعة والجنسية والحيوانية.

د ـ وكما تتضمن الوسيلة أو الوساطة نوع الأداة المرسلة، فإنها تتضمن كذلك سلامة المادة الإعلامية المقدمة: سلامتها من الارتجال الممقوت، سلامتها من الإثارة والاستفزاز، سلامتها من التهديد والوعيد، جنوحها

إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، استنادها إلى الإرشاد والنصيحة ، قيامها على الإخلاص في الدعوة ، تلبيتها لاحتياجات الفرد المسلم ، وأخيراً وليس آخراً: ارتباطها بالعقيدة الصحيحة في الله سبحانه ، دون تأثر بالخرافات والأباطيل والبدع والأهواء المستحدثة ، لأن الإعلام بالدعوة جزء لا ينفصل ، نظرية وتطبيقاً عن الدعوة نفسها.

إن الإسلام على عكس ما يعتقد الكثيرون لا يمانع في استخدام أي أداة إعلامية حديثة أو قديمة في تبليغ الدعوة ، ما دام استخدامها مرتبطاً بالقواعد الأساسية في التبليغ ، وما التزام أصحابها بروح الخلق الإسلامي العفيف ، دون إسراف في الأداء ، أو تهويل في عرض المادة ، أو إثارة لنوازع غير خيرة في النفس البشرية.

يستوي في ذلك ما عرف في مجال التكنولوجية من أدوات الاتصال الحديثة ، أو ما عرف على مدى العصور من أساليب التأثير لدى الجماهير.

وقد عرفت أدوات التأثير الآتية في حقل الإعلام الإسلامي:

١ ـ الأذان:

للأذان خصائص إعلامية رفيعة الدرجة في التأثير من الناحية الإعلامية فهو يتميز إعلامياً:

١ ـ بالتكرار.

٢ ـ وبترديد مبادئ إسلامية بقصد تعميقها في القلب.

٣ ـ وبجمعه للمسلمين في أماكن معينة لتحقيق التعارف ، والترابط ، والتواصل.

٤ ـ وبوصول تأثيره إلى جهات جغرافية متعددة.

٥ ـ ويتجرد المؤذن من دوافع المادة ، حيث من الأفضل أن يكون متطوعاً.

وفي «صحيح البخاري» برواية المازني عن أبيه أنه أخبره: أن أبا سعيد الخدري قال له: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك، فأذنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ[1].

٢ ـ الخطبة:

وهي أيضاً وسيلة إعلامية ممتازة، لها صفة التكرار والتجدد، وقوة المناسبة للأحداث الجارية، هذا قبل أن تتجمد على أيدي أصحابنا من خطباء الورق، وإلا فإن المرء ليمتلئ إعجاباً بالأسلوب النبوي المفعم قوة وفتوة وحماساً في أداء الخطبة، لا ترتيلها من قرطاس أصم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

«كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم... ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة...»[2].

من هنا كان النكير الشديد على من يلغو أثناء الخطبة؛ لأن المطلوب هنا تحقيق عمل اتصالي كامل: يتطلب اكتمال العناصر الأربعة في عملية الاتصال وهي:

المرسل — المرسل إليه — الرسالة — الوسيلة

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً... والذي يقول له: أنصت، ليست له جمعة»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩) ومالك في الموطأ (٦٦) وابن ماجه (٧٢٣) وأحمد (١١٣٢٥).

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) والنسائي (٣/ ١٨٨) وابن ماجه (٤٥).

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٣٠) والبزار (٦٤٤) ينظر مجمع الزوائد (٢/ ١٨٤)، وإسناد أحمد لا بأس به.

٣ ـ الرسالة المكتوبة:

لقد كانت هذه الأداة سلاحاً إعلامياً خطيراً، استخدمه النبي ﷺ استخداماً مؤثراً من ناحيتين:

أ ـ الناحية البلاغية في الإعداد والصياغة.

ب ـ الناحية المعنوية في عرض الفكرة بقوة وثقة من نصر الله، وبيان لأثرها في سعادة الدارين بالنسبة للمرسل إليه.

ـ فكتابه إلى (أكيدر دومة الجندل) يتميز بالقوة والفحولة وجزالة الأسلوب؛ لأنه موجه إلى أساطين البلاغة وفَصاحة الأسلوب.

ـ وخطابه إلى (هرقل) ملك الروم، يناقش علاقة الحاكم بالمحكوم ومسؤولية الحاكم عن تجاهل مصلحة الرعية، ويُبيِّن الخطر الذي يصيبها إذا تنكَّب بها طريق الهدى، واستمرأ سبيل الغواية والردى، وهذه العلاقة كانت الشغل الشاغل في كل المجتمعات الرومية القديمة.

ـ وخطابه إلى المقوقس صاحب مصر، يثير مسألة الوحدة بين الأديان بالنسبة لمصدر الهداية الأول، ويذكر بتبشير نبي الله عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ وهو يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء.

٤ ـ الاتصال الشفهي:

وفيه من خصائص النجاح الإعلامي ما تقدم ذكره في الباب الأول، ولعل لتفضيل النبي ﷺ للاتصال الشخصي في الدعوة حكمة مقررة، وهي تحقيق الإيجابية الإعلامية، وتنشيط الداعي إلى العمل، وتوليد العلاقة الحميمة بين المرسل والمرسل إليه... إلخ، وما أثبته علم الاتصال الحديث من فوائد عظيمة كذلك، وفي «صحيح مسلم»: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج»[1].

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠٤) والنسائي في فضائل القرآن (٣٣) والدارمي (٤٥٦) وأحمد (١١١٠١).

وكم تحمل النبي الكريم ﷺ في ذلك من ألوان الأذى وبذل المجهود ، لاسيما إذا تذكرنا أنه ﷺ فعل ذلك وهو في العقد الخامس من عمره ، وقد اقترب من الشيخوخة وضعف السن ، إلا أنه بفضل الله قد نجح نجاحاً بارزاً ، حيث كان يعرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج وغيره ، تحقيقاً للمزايا النفسية التي تتأكد عن طريق الإعلام الشخصي .

وكان ﷺ يسأل عن القبائل ومنازلها قبيلةً قبيلةً ، فيقول: «أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فإذا مُتُّمْ كنتم ملوكاً في الجنة»[1] .

٥ ـ القدوة الشخصية :

وهل هناك من مصدر إعلامي كالمؤثر الشخصي ، والقدوة الحسنة؟! إن جميع المبشرين يضجون من هذا المصدر بالذات ، وقوته في نشر الإسلام ، إذ ما يكاد المسلم ينزل في بقعة ما ، ويشرع في أداء عباداته اليومية من طهارة ووضوء وصلاة ، حتى يلتف من حوله الكثيرون تأملاً له ، وإعجاباً ورغبة في اعتناق دينه ، والكثير من كتابات المستشرقين تصرح بدهشتهم من هذا التأثير المباشر للإسلام ، وما له من قوة خارقة على الدعوة لنفسه بنفسه ، رغم الجهود الضارية التي تبذلها تلك القوى المتعددة ، في محاربة دين الله ، في كل مكان .

بيد أننا نود الإشارة هنا إلى قضية مهمة ، تميز الإعلام الإسلامي عن غيره ، فبعضهم يظن أن رجل الإعلام وظيفته قاصرة على عرض المادة الإعلامية دون التزام بها ، ولا إلزام .

ولا توجد خدعة أسوأ من هذه الخدعة في عالم الاتصال ، أفيكون رجل الإعلام ، مُبلِّغاً لفرضية الصلاة وهو لا يصلي؟ أو يقدم رسالة إعلامية مبلغاً عن (التوحيد) وهو قبوري مخرف؟ أو يستعرض تاريخ الرسالة الإسلامية في

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٩٢ و٤/ ٣٤١) والطبراني في المعجم الكبير (٤٥٨٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٢) .

محاربة المسكرات ، وإبطال أضرارها وهو سِكِّير مدمن؟ كيف يستقيم هذا في منطق العقل؟

يـا أيهـا الـرجـل المعلـم غيـره ... هــلا لنفســك كــان ذا التعليــم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيمـا يصـحَّ بـه ، وأنـت سقيـم؟

ابـدأ بنفسـك ، فـانْهها عـن غيهـا ... فـإذا انتهـت عنـه فـأنـت حكيـم!

إننا نطالب رجال الإعلام المسلمين: أن يؤثروا بسلوكهم قبل أن يؤثروا بأقوالهم. نطالبهم أن يكونوا أمثلة صادقة حية لما يبلِّغون به الناس... فالقدوة الشخصية هي أقوى وسيلة إعلامية في التاريخ ، وبها انتشر الإسلام في أركان الأرض السبعة لا على أيدي علماء متخصصين ، ولا إعلاميين مدربين ، ولكن على أيدي تجار مخلصين دأبوا على العبادة والطاعة ، وجمعوا بين الدين والدنيا ، وأخلصوا لله النية والعمل ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ـ وأما عن موقف الشريعة الإسلامية من الثقافة فيمكن اختصارها بما يلي:

ـ ما المقصود بالثقافة الجماهيرية:

أصيبت بعض المجتمعات الإسلامية بوباء وافد ، وبلاء راصد ، أصابها في جهة القلب من مصدر حياتها الفكرية: وهي وسائل الإعلام الرسمية ، وأنشئت في هذه البلدان دوائر تدعى بدوائر الثقافة الجماهيرية ، وما هي بدوائر ثقافة بل إفساد ، وما هي بمبتغية إرشاد الجماهير ولا إصلاحها بل الهبوط بها إلى حضيض الغريزة ومستنقعات الجهالة والحيوانية... وما هذا القول بقولنا وحدنا ، وإلا ضربوا به ـ كعادتهم ـ عرض الحائط ، ولكنه قول المتخصصين في شؤون الثقافة الصافية والإعلام النظيف ، نلطمهم به حتى يفيقوا ، ويعلموا أن ما يقدمونه للجماهير المسلمة ليس إلا غثاء كغثاء السيل ، وما ازدادت به الجماهير إلا نكوصاً عن الحق ، وعناداً عن سلوك سبيل المؤمنين ، استكباراً في الأرض ومكر السيئ ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

فليسمعوا آراء المتخصصين فيما يقدمونه عبر إعلامهم العميل من غثاءات وتفاهات ترفعت عنها الجماهير نفسها ، فصارت الأمة كلها في جانب ، وهم وحدهم في أبراجهم الإعلامية يدقون الطبول ، وينفخون في المزامير ، ويحرقون البخور لسادتهم من براذع[1] الاستعمار الجديد ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ . . . ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ـ بعض المفكرين أمثال [أميل دوركهايم] ١٨٥٥ ـ ١٩١٧ م ، و[فريناند تونيز] ١٨٥٥ ـ ١٩٣٦ م ، يعتقدون أن الإنسان الجديد الذي يعيش في المجتمع الصناعي، الذي انتزع من أمن المجتمع الصغير أنماطه المستقرة ، أصبح فقيراً من الناحية الروحية ؛ مما حطم قدرته على أن يرتبط بالآخرين بروابط عاطفية ، وهو الأمر الذي يميز الاتصال داخل المجتمع الصغير.

ـ يقول المفكر كوربهوزن:

* (إن النتيجة الحتمية لوجود المجتمع الجماهيري هي قيام الدكتاتورية)

وإن كان المفكر دانيال يقول:

* (إن المجتمع الجماهيري لم يعد وصفاً دقيقاً للمجتمع الغربي).

وقد قام الباحث بتحليل الخصائص الرئيسة للثقافة الجماهيرية التي قيل: إنها تنبع من طبيعة المجتمع الجماهيري!

وبشكل عام: يشير الاستخدام الشائع لاصطلاح [الثقافة الجماهيرية] إلى السلع المصنعة فقط من أجل [السوق الجماهيرية] التي تقدم صوراً منطبعة ، والتي يستجليها الجمهور بشكل غير نقدي.

وذلك على عكس ثقافة الصفوة ، أو الثقافة العليا التي تقدم مضموناً

---

(١) «براذع»: جمع بَرْذعة ، وهي ما يُوضَع على الحمار أو البغل ؛ لِيُركَبَ عليه ، كالسَّرْج للفرَس.

تراعي فيه التقاليد الجمالية ، وتتسم استجابة الجمهور وفق هذا المضمون بالحاسية النقدية ، فنجد أن :

ـ (الثقافة الجماهيرية موصوفة ، ومكتوب عليها أن يكون مستواها الثقافي أدنى من مستوى الثقافة العليا . . .)[1].

ـ مزيد من التعريف بالثقافة الجماهيرية :

الثقافة الجماهيرية مفروضة من أعلى ، وضعها الفنيون أو المتخصصون الذين استأجرهم رجال الأعمال ، أو (لوردات) الثقافة الجماهيرية ، وهذه الثقافة إنما برزتْ لإشباع احتياجات الجماهير الثقافية ، وفي الوقت نفسه : لتحقق مكاسب تساعدهم على الاحتفاظ بنفوذهم الطبقي ، ولكن بمرور الوقت حطمت هذه الثقافة الجماهيرية الجدار الذي فصل بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية ، ودمجت الثقافة الجماهيرية قطاعات الشعب المختلفة ، وقدمت لهم ـ كما يقول بعضهم ـ ثقافة رفيعة هابطة .

هذا الوصف التحليلي الذي قدمناه للثقافة الجماهيرية ، التي تتبناها اليوم أجهزة إعلام عديدة في دول العالم الإسلامي يبين أنها ليست مجرد ثقافة تطلقها أجهزة الإعلام ، وليست مجرد برامج يصوغها إعلاميون على الهواء ، أو الورق ، وإنما هي تنفيذ لمخططات أساسية ، ذات أوجه متعددة ، منها ما هو ثقافي ، ومنها ما هو اقتصادي ، ومنها ما هو سياسي ، ومنها ما هو علمي . . . فليس الإعلام الجماهيري إلا ترسانة عجلة تدميرية هدفها تغيير أوضاع المجتمع كله ، وليس أمامنا الآن سوى بحث الأضرار التي وضعت في الحقل الإعلامي لمدة زمنية موقوتة .

ـ مكمن الخطر في الإعلام الجماهيري :

إن ما يسمى بالإعلام الجماهيري ؛ إنما هو وباء زادت به الجماهير وبالاً على وبال ، وظلاماً على ظلام ، ونكوصاً على نكوص ، وما ينبغي

---

(١) للتوسع يراجع : الأسس العلمية لنظريات الإعلام، د. جيهان أصدر شتي : ص ٣٨١ .

للقائمين على شؤون المجتمع الإسلامي أن يتركوه فريسة لهذا التدجيل الخطير على الجماهير باسم الإعلام الجماهيري ، وذلك أن الإعلام النظيف لابد له من رسالة ينهض بها في إصلاح المجتمع ، وإبعاده عن تيارات الفساد والانحلال ، وقيادته إلى ما يحييه من زاد ثقافي ديني علمي .

ولم يقل أحد من العقلاء بأن مهمة الإعلان أن ينحدر إلى مستوى العامة ، أو يكتفي بتصوير واقعهم الثقافي الهابط ، أو يقوم بتمجيد ما عليه البعض منهم من رذائل يقوم بتصويرها على أنها «أمجاد واقعية» لها صفة الخلود الشعبي؟! أو يقوم بعملية تبسيط أو «تنقيح» هو تشويه للتراث ، يجعله تحت أقدام أشباه العوام ليزدروا ما فيه ؛ بدلاً من تشويقهم إليه لينهضوا إلى استجلائه ، والاغتراف من حياضه بأعين مفتوحة وصدور منشرحة . . . . ذلك كله عبث تتجافى عنه روح الإعلام الإسلامي الصحيح .

إن مهمة الإعلام أن يجذب الأمة إلى أعلى ، لا أن ينجذب معها إلى أسفل!!

الإعلام تربية :

إن الإعلام تربية للأمة بجميع نواحي نموها الجسدية ، والعقلية ، والوجدانية ، والتربية إنماء . . . والإنماء زيادة . . . والزيادة خير وبركة .

فما بال الإعلاميين الجماهيريين يسهمون في أحداث النقص والتشويه الفكري والوجداني في مجتمعات الإسلام بمآثرهم الجماهيرية القائمة على ما يدعونه بالفولكلور الشعبي ، من رقص وتهريج وبذاءة وحيوانية ، وأساطيرخرافية قائمة على العنصرية والقومية والنعرات الجاهلية .

هذه الترهات التي تجعل مجموع عقل الأمة مساوياً لنصف عقل فرد من أفرادها : حياتهم آلية منتجة ، وأحاسيسهم باردة متبلدة ، وغرائزهم ضعيفة

راكدة ، وعقولهم ضيقة جامدة ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[1].

والثقافة الجماهيرية تشير إلى السلع الثقافية التي تنتج فقط: من أجل «السوق» الجماهيري! وهي سلع متشابهة ، لأنها تميل إلى إرضاء جمهور غير متنوع ، بل تخدم اتجاهاً هابطاً في المجتمع.

هذه الثقافة الجماهيرية تجذب ، ولكنها ليست أصيلة تماماً ، لأنها تهدف إلى الاستهلاك الجماهيري ، وليس إلى تحقيق الكمال ، ومن الأمور التي تميز الثقافة الجماهيرية: أنها تجعل الجمهور يهتم بالرموز التي تتناول الأشياء العامة ، والاهتمامات البعيدة ، وأنها تعتمد على تلك الأشياء والاهتمامات: مثل القومية ، والنعرات المتطرفة ، والحب الشديد للوطن ونسيان الله تعالى ، أو الوعي الطبقي الماركسي ، أو العنصرية.

وهذه الدعوات الضالة ، والرموز المهتزة التي يتضمنها الإعلام الجماهيري لا يمكن أن تكون مخلصة أمينة ؛ لأنها قائمة على التعصب الذميم للتراث أو اللون أو العرق ، ونحن لا نستسيغ أن يقدم للجماهير المسلمة إعلام يتسم بهذه الخصائص ، ونعتقد ـ عن يقين ـ أن إعلاماً كهذا لا يخدم أمة ، ولا يرفع خسيسة ، ولا يرقى بشعب ، ولا ينفي خبثاً عن سلوك ، ولا يغسل قلباً من حقد ، ولا يرفع دولة عن ضعة ، ولا يسمو بمجتمع إلى غاية شريفة ، ونرى أنه ـ على العكس من هذا تماماً ـ يستطيع أن يرمي بالأمة كلها في مهاوي الضياع، وأن يركن أنفاسها لمستنقع من الأوحال، وأن يُسْقِط شبابها وبنيها إلى حضيض الإلحاد والكفر والنفاق وسائر الموبقات بل إلى حافة الإفلاس والفقر الروحي والمادي ، ويجعلها على شفا جرف هار من الهلاك الأبدي.

وأوخم عاقبة لشعب هذه خصائصه الإعلامية أن يصير إلى:

تحطيم حواجز الطبقة ، والتقاليد ، والأذواق القديمة ، وإذابة كل تمييز

---

(١) المنافقون: ٤.

ثقافي ؛ إذ خلطت الثقافة الجماهيرية الثقافات ، وشكَّلت ما يمكن أن يسمى بالثقافة المتآلفة ؛ وأوجدت تشابهاً في الأذواق والتطلعات والميول والاتجاهات.

وبدلاً من أن تطفو القشدة إلى سطح اللبن ؛ وزعت الثقافة الجماهيرية هذه الطبقة على جميع الأجزاء ، ولم تسمح لها بأن تطفو منفصلة عن القمة!!

وأردأ عاقبة لشعب هذه خصائص أجهزته الإعلامية: أن يصير فقيراً من الناحية الروحية ، بعيداً عن الاتصال بمصدر القوة العليا في هذا الكون.

فهل يستطيع شعب أن يستكمل مقومات حياته، بينما أجهزة إعلامه تطعن في الجسد الاجتماعي الحي ، المتآزر بعضه مع بعض ، الذي إن شكا منه عضو تألم له سائر الجسد بالحمى والسهر؟!.

القيم الدينية لازمة للشعب لزوم الماء والهواء للكائن الحي... وما يستطيع مجتمع أن يتحرك دونها ؛ إلا كما يتحرك اللولب الصغير في لعبة الزنبرك: يندفع قليلاً إلى الأمام في حركةٍ آلية ، قد تكون متعرجة ، وقد تكون دائرية ، ثم لا تلبث اللعبة أن تتوقف تماماً ، وقد خَفَتَ فيها كل صوت ، وبطلت فيها كل حركة ، وتعطل فيها كل جزء ، ومن ذا الذي يقول: إن اللولب الآلي يمكن أن يحل محل الروح الحية المحركة بالفعل لا بالقوة؟!

الإعلام الجماهيري لا يعبر عن الجمهور:

لاشك أن الجماهير تنتظر من أجهزتها الإعلامية أن تنير لها طريقها في الحياة ، وأن تضيف إليها جديداً من الثقافات والخبرات المفيدة ، فإذا كان الإعلام الجماهيري ينبعث من هذا المجتمع الجماهيري ، فما هي الطريقة التي يعبر بها عنه؟

وبأي رسالة يتجه في برامجه الإعلامية إلى هذا المجتمع؟ وما الجديد المفيد في مضمون هذه الرسالة؟ وإذا كان اعتبار القائمين على إعلام هذا

المجتمع: أنه مجتمع متخلف روحياً.. فما هو التعويض الذي يزودون به هذا المجتمع الفقير المتخلف الضرير؟ ماهي تلك القيم والآداب التي يعكسها الإعلام الجماهيري، ويفرق بها الجماهير؛ لتعيش تحت أوهام ومسكنات وسط ضجيج الدعايات القبيحة الكاذبة؟ إن الإعلام الجماهيري لا يعبر عن الجماهير... وهذه هي الأسباب:

(١) أنه يُبْعِد الأمة عن تراثها الحقيقي، ويعزلها عن أمجاد ماضيها الإسلامي، ويقدم لها حلولاً مستوردة لكثير من قضايا حياتها، ويغمر رسائله الإعلامية إليها بنماذج مشوهة لرافعي الشعارات البراقة، وعبدة المدنية الكاذبة، ضارباً عرض الحائط بكل ما نشأت عليه وتوارثته من شرائع الله، وقضايا مجتمعاتها، وعلاقتها بالله الذي خلقها فسواها، وقدَّر لها فهداها.

(٢) أنه يبث في الأمة روح اليأس والاتكالية، ويقتل فيها بذرة الطموح والأمل، ويخمد عزيمتها فلا تخلص في أي عمل، وكيف يتفانى الفرد في عمله أو يطيل جهات أمله، وهو يرى نفسه قد صار حبة رمل في صحراء واسعة مترامية، أو قطرة ماء في بحر لُجِّيٍّ، وصار أمله في مستوى عمله، ورأسه في موضع قدمه، فإذا ندَّت عنه صرخة كان جزاءه الموت حتى لا يُسمع له صوت! فأي إعلام ذلك الذي يعلم الناس أنهم سوائم تعمل لتأكل؟!

ومن هنا نرى أن الإعلام بمختلف أصعدته يركز على الأمور المادية الحسية، ويضرب عرض الحائط بكل نفيس روحي قيِّم، وكأن الإنسان مجرد جسد يسعى الجميع لتحقيق مطالبِهِ وتجسيد نزعاته وشهواته، وهنا يتساءل المرء: أين ذهبت الروح، وتلاشت القيم الفاضلة؟!

(٣) إن الإعلام الجماهيري يتغاضى عن الآداب والأخلاق التي ضمنت حياة الاستقرار والأمانة والشرف دهوراً طويلة، وينشر على المجتمعات التي ابتليت به صفحات غريبة من الأخلاق الجماهيرية التي تقتل الفرد من

أجل المجموع... ويا لها من كذبة مروعة، على الفرد وعلى الجمهور معاً!!

وبذلك صارت القوة ديناً... والمادة إلهاً... والأخ عدواً... وتكونت داخل المجتمع عصابات تقلد أبطال الروايات المعروضة: تتفاهم بالسلاح، وتتخاطب بالقذائف، وتتخاطر على البعد بالأساليب البوليسية في التجسس، وأصبحت أجهزة التلفاز على وجه الخصوص مدرسة في الإجرام لا يوجد ما هو أوسع منها انتشاراً، ولا أفظع منها للأخلاق تدميراً.

ويعاني الأطفال ـ على وجه الخصوص ـ من وسائل الإعلام؛ عندما يُعْرَض أمام أنظارهم مشاهد الإجرام، والغِنى الحرام، ونحو ذلك، مما يؤثر في نفوسهم تأثيراً كبيراً، ويُغيِّر سلوكهم نحو السلبية؛ لأن الإعلام يعرض تلك النماذج الفاسدة؛ على أنها هي التي تقود المجتمع، وتترأس الحياة.

(٤) إن الإعلام الجماهيري يخاطب الجميع على أنهم حشود متكتلة، وذرات مجتمعة، فلا اعتبار للفرد ولا قيمة لشخصه، وإنما الكل عبيد لشعارات مرفوعة وهتافات موضوعة، والخطاب موجه إليهم جميعاً باعتبارهم المجموع الذي يسير به دولاب الحياة، والفرد ليس إلا ترساً في عجلة الإنتاج الجبري.

ومع هذا كله، فالاغتيالات جماعية، والقصائد جماهيرية، والاجتماعات كتلية، والمسرحيات شعبية، والفرد بين الأقدام والأقدام تطحنه... ويرفع عقيدته بالشعارات والألسنة تلعنه... لماذا؟ لأنه... لأنه... عدو الشعب بكل تأكيد!!

(٥) إن الإعلام الجماهيري يقتل في الجماهير ملكة النقد، ذلك أنه يقدم مواد إعلامية تتجرعها الجماهير كالدواء الإجباري المرّ، فتصبح لا قدرة لديها على حفظ توازنها أمام هذا الدواء الذي تتجرعه ولا تكاد تسيغه، وتصبح لا حيلة لها إلا تقبل السموم الإعلامية الهابطة بلا مقاومة

ولا نقد. . . لأن النقد هو حصيلة اليقظة الكاملة لعناصر الوجود الفكري والمادي يطرد به كل ميكروب غريب عنه ، ولكن أولئك الإعلاميين الكذبة نجحوا في أن يخمدوا أنفاس الحياة الفكرية في ضمير الأمة ، فمن أين لها الاسترجاع التلقائي لعناصر قوتها كي تصيح في وجه قادة الغزو الثقافي: (اخرجوا من حياتنا أيها المدَّعون الكذبة!!!) إن إعلامنا هذا ليست له رسالة ، ولا يتسم أمام الله تعالى ثم أمام الجماهير بأي أمانة ، ولا يراعي في وعي الناس وثقتهم إلاًّ ولا ذمة ، فتكون النتيجة: أن يصاب بالشلل ضميرها فلا تقوى أن تقول للظالم: «لا».

ويؤكد الباحث «ريفرز وشرام» هذه النتيجة بقوله: إن ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية كان سبباً في بروز مشكلة اجتماعية جديدة عرفت في القرن العشرين بظاهرة الثقافة الجماهيرية ، أي المضمون الثقافي الهابط ، الذي نشرته وسائل الإعلام الواسعة الانتشار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

ومما يندى له الجبين: أن يترأس قيادةَ الإعلام ، ووزارات التوجيه الثقافي أناسٌ يكنّون للتراث العربي والإسلامي كل عداء ، وبالتالي يخرجون على الجماهير بكل تفاهات النشر ، وسيئات الأفكار المستوردة ؛ بدعوى التطوير والحداثة ، فالقديم عندهم رجعية ، والجديد ـ مهما كان سبيله ـ يعانق التقدم والازدهار!!!

دور الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام الجماهيري:

إن أكبر خطأ يرتكبه الإعلام الإسلامي ـ بكل الطوائف العاملة فيه من دعاة وخطباء وأئمة وإذاعيين وصحفيين ومعلمين وغيرهم ـ أن ينعزلوا بأنفسهم عن أخطاء الإعلام الجماهيري ، ويتركوا عامة الشعب تسقط صريعة تحت هذا الهوان اليومي المتكرر. . . . وهم يخطؤون أيضاً إذ اكتفوا بالنظر شَذَراً إلى ما يحدث أمام أعينهم من تشويه لبصيرة الشعب ، ويا لها من جريمة مضاعفة: أن يسكت رجال الإعلام المسلمون ، ويعتصموا

بأبراجهم العاجية ، بينما جريمة ذبح كاملة تحدث لعقيدة الشعب ، وعاداته الطيبة ، وتراثه الديني أيضاً.

إن مؤامرة الصمت هذه يجب أن تتوقف فوراً يجب أن يقوم الإعلاميون المسلمون بتبصير أمة الإسلام بحقيقة مجدها ، واتساع إمكاناتها ، والكثرة الكاثرة في خيراتها وممتلكاتها وأعدائها ، وأعظم من هذا كله تأييد الله لها ، عليهم أن يتصدوا للإعلاميين الجماهيريين بإبطال كبرهم ، وفضح نفاقهم وغشهم ، وإظهار الزيف في بضاعتهم.. وعليهم أن يشعروا أنهم ليسوا أوصياء على أمة من العبيد التي لا همَّ لها سوى قطع الأحجار وحمل الأثقال ، فالمسلمون أمة شديدة العزم قوية البأس ، وليس صمتها على المنافقين دليل تصديقها لأباطيلهم ، ولنتذكر دائماً أن الباطل لا يصول ولا يجول إلا في غفلة الحق ، أما إذا انتشر النور ، فإن كتائب الظلام تولي فزعة مذعورة[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: أصول الإعلام الإسلامي إبراهيم سرسيق ص: ١١٥ ـ ١٢٤.

obeikandl.com

الفصل الثالث

خصائص الرسالة الإعلامية الناجحة

أ ـ ما المقصود بالرسالة الإعلامية؟

المقصود بالرسالة الإعلامية: (كل مادة ذات صفة إعلامية ، مقروءة أو سمعية ، أو بصرية سمعية ، أو مرئية أو شفهية ، يقصد منها التأثير على المتلقي ، ويمكن قياس نتائجها بالنسبة لأهداف محددة سابقاً).

فقولنا: رسالة: الهدف منها تبيين المسار الإعلامي الذي تتجه إليه وفيه المادة المقدمة ، وهو أنها في اتجاه معين إلى هدف أو موضوع معين ، وليست مجرد لغو يطلق حيثما اتفق ، وكيفما اتفق ، وبلا هدف محدد واضح جليّ.

وقولنا: إعلامية: الهدف منها بيان الطبيعة المفروضة في المادة الإعلامية ، وهي أنها ليست كالرسالة الموجهة إلى فرد بعينه ، بل لها صفة الشمول لفئة أو طبقة أو أمة بأكملها ، وقد تكون صفتها شخصية من حيث ذاتها ، ولكن في الوقت نفسه يتم إعداد الكثير من نسخها ليتم إرسالها أيضاً إلى الأفراد العديدين.

وقولنا: مقروءة أو سمعية... إلخ الهدف منها بيان الوسائط الإعلامية التي تُـعَـدُّ أداة التوصيل للرسالة الإعلامية إلى المرسل إليه ، وهي تختلف بحسب طبيعة الرسالة ، وشخصية المتلقي ، وظروف الإرسال ، وعوامل أخرى ثانوية.

وقولنا: يقصد منها التأثير: الهدف من ذلك: بيان أن لكل رسالة إعلامية غموضاً معيناً، وإذا لم يكن لدى رجل الإعلام غرض يبتغيه من رسالته، سقطت رسالته من مجال الإعلام بمعناه الحديث.

وقولنا: يمكن قياس نتائجها: الهدف من هذا بيان أهمية المتابعة في مجال الإعلام، وكيفية تقويم الرسالة الإعلامية بالنظر إلى النتائج التي حققتها.

ولرجال الاتصال وسائل معينة يعرفون بها اتجاهات الرأي العام، ومدى بلوغ الرسالة الإعلامية هدفها في تشكيلة ما، أو التأثير في المتلقي أيّاً كان.

ب ـ الخصائص الإعلامية للرسائل الناجحة:

١ ـ أن تكون ذات معنى في حياة المتلقي:

ومعنى كونها ذات معنى: أن تكون متصلة بحياة الجمهور ومعبرة عنه، ومغيرة ومؤثرة في سلوكه واتجاهاته، وفي سلوك واتجاهات من يتصل به من أهل وعشيرة في البيئة نفسها التي يحيا فيها.

وقد دلت التجارب الكثيرة على أن المتلقي لا يهمه في كثير أو قليل ـ أن يبذل جهداً في متابعة أو مشاهدة رسالة إعلامية لا تمت إليه بصلة، فهو يعرض عنها إلى غيرها من وسائل الترفيه، أو يبحث عن مادة أخرى يجد فيها ما يربطه بوسيلة الاتصال، وأساس ذلك كله: أن الإعلام عملية اختيارية وليست إجبارية، فكل إنسان يحس بحريته الكاملة في أن يقتنع بما يقرأ أو يسمع أو يشاهد، وكل إنسان كذلك يتمتع بالحرية المطلقة في أن يحول اقتناعه إلى سلوك عملي، وقد يكون مقتنعاً بأن التدخين مضر، واللفافة في يده لا يتركها، أو أن القيادة السريعة طريق إلى الموت السريع، ومع ذلك يقود سيارته بأقصى سرعة ممكنة، غير عابئ بالمخاطر المترتبة على ذلك.

ولكن الرسالة الإعلامية الناجحة: هي التي تفلح في تحقيق هذه المعادلة: (الفهم + الإقناع) = السلوك العملي، ومن الواضح أن الفهم في

مجال الإعلام مقدمة للإقناع ، وهذا أمر يتعلق بإعداد الرسالة وتهيئتها لتكون واضحة بالنسبة للمرسل إليه ، وحيث إن الوضع أمر نسبي ـ فقد يكون واضحاً بالنسبة لك ما ليس واضحاً بالنسبة لي ـ فإن الأمر يقتضي أن يتعرف رجل الاتصال على طبيعة المتلقي وميوله ومستوى ثقافته ، قبل أن يتصدى له بالرسالة الإعلامية الموجهة .

كما أن الوسيلة الإعلامية نفسها تمارس دوراً مهماً في جعل الرسالة ذات معنى بالنسبة للمجتمع ، تلك هي نقطة البداية في «العمل الإعلامي» .

(٢) أن تكون قادرة على كسب ثقة المتلقي :

بمعنى أن تكون الرسالة خالية من المبالغة في إعدادها ، ومن التهويل في طريقة تقديمها ، دون أن يتصف مقدمها بالتفريط أو الإفراط في إبداء انفعالاته :

فلا يكون ساخناً جداً لأن الرسالة تهمه ، ولا يكون بارداً جداً كأنَّ الرسالة لا تعنيه ، ذلك أن رجل الإعلام بشر في البداية والنهاية ، ولا ينبغي أن يتوقع من المتلقي لرسالته الإعلامية ، أن يتأثر بها ؛ إلا إذا وجد أن رجل الإعلام قد تأثر بها قبله .

وفاقد الشيء لا يعطيه ، مهما أجاد في طريقه إعداده أو تقديمه لمادَّته ، وينسحب هذا على جميع موجهي الرسائل الإعلامية كائنة ما كانت ، تلك التي يتصلون بالمستمع عن طريقها ، وما أجمل قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومن الحكمة العربية : (ما فيك يظهر فيك) .

وبعض المواد الإعلامية تكون المبالغة فيها مقصودة . . . ويكون ذلك سبباً من أسباب كسب ثقة المتلقي كما في رسوم الكاريكاتور ؛ الذي يستهدف إبراز إحدى جوارح الجسم ، فيعمد إلى المبالغة في رسمه ، جلباً للسخرية منه .

وكما في مسرحية (البخيل) لموليير ، حيث يبالغ عن طريق الحوار في تقبيح صورة البخيل باعتباره أنموذجاً اجتماعياً منفراً ، فالمبالغة هنا مقصودة: هدفها تنفير الناس من سلوك البخيل الذي يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويحاسب وحده.

ـ ولكن لماذا كان كَسْبُ ثقة المتلقي شرطاً في نجاح الرسالة؟

لأن ذلك يؤثر في مدى تقبل الجمهور للرسالة الإعلامية التي يقدمها رجل الاتصال ، وقد يحرك عدم الثقة عوامل المقاومة المضادة لعناصر الرسالة ، ومن ثم فإن رجل الإعلام مطالب في المقام الأول بأن يكون ما يقدمه للجمهور معقول المعنى ، مبرراً بدرجة كافية ، خالياً من عنصر التهديد والوعيد ، لأن النفس أميل إلى نبذ ما يهددها ، وتجاهل ما يخدعها ، وطرح ما يجلب لها التوتر والانزعاج.

فكيف يكون في الرسالة الإعلامية القائمة على الود والتواصل ما يقلب نهارنا ليلاً وسلامنا ويلاً؟ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾.

(٣) أن تتبع الترتيب السيكلوجي لا الترتيب المنطقي:

هذه ناحية مهمة جداً في إعداد المادة الإعلامية ، ولا يعد إعلامياً ناجحاً كل من افتقد هذه الحاسة الفنية الإعلامية ، لاسيما من يشتغلون بالتحرير الصحفي ، والإعداد الإذاعي والتلفزيوني.

والمقصود: أن المادة الإعلامية تتصف بما يشبه الوحدة العضوية ، ولكن رجل الإعلام لا يقدم المادة كما هي ، بل يقدمها كما يستطيع المتلقي أن يتأثر بها في أفضل حالة ممكنة ، هذا هو المقصود بالترتيب السيكلوجي ، أي الترتيب النفسي كما يكشفه العلم.

وبعبارة أخرى: نحن مطالبون بأن نقيس حركة النبض النفسي لدى المتلقي.

مطالبون بأن نسايره ونسير معه في إحساسه بالمادة الإعلامية.

مطالبون بأن نقدم له المادة بقدر ما تمنحه طاقته النفسية من الفهم والتقبل والامتناع والحماس أيضاً.

مطالبون بأن نستثير عاطفته قبل أن نخاطب عقله.

وإليك هذه التجربة التي أجراها (هارتمان)، وتحدث عنها في صحيفة علمية متخصصة.

(أ) ففي إحدى النشرات الحزبية: استخدمت طريقة الاستمالة العاطفية في الدعاية لمرشَّحي الحزب، من إغراء، وإثابة، وإثارة... إلخ.

(ب) وفي دوائر أخرى: وزعت نشرات تتبع طريقة (الاقتناع المنطقي) التي تقوم على تقديم الأفكار العقلية، ومناقشتها بطريقة منطقية بحتة.

(ج) وفي دوائر أخرى: لم تكن هناك نشرات من أي من النوعين، ولا غيرهما.

وكانت النتيجة العجيبة:

- زيادة نسبة الناخبين بمقدار ٥٠٪ عن ذي قبل، بالطريقة العاطفية.
- زيادة نسبة الناخبين بمقدار ٣٥٪ عن ذي قبل بالطريقة المنطقية.
- زيادة نسبة الناخبين بمقدار ٢٤٪ عن ذي قبل، بالطريقة الثالثة.

نصيحة لرجل الإعلام:

اجعل مخاطبتك للعاطفة وسيلة إلى إقناعك للعقل.

واجعل للمادة الإعلامية مناطق إثارة، ومناطق إقناع، وليكن لكل منها أسلوبه المناسب.

اتبع في أداء كل جزء من المادة ما يناسبه، فالتلوين في الأداء وسيلة جاذبية، ودليل على الاقتناع بالرسالة الإعلامية.

الرسالة الإعلامية تحلق بجناحين من العاطفة والعقل ، دون أن يجور أحدهما على الآخر.

(٤) ألا تعارضها رسالة إعلامية أخرى:

من المعروف في مجال الإعلام: أن الرسالة الإعلامية لا ينبغي أن تعارضها أو تواجهها رسالة إعلامية أخرى ، أما إذا تعارضت الرسالة الإعلامية مع غيرها: فإما أن تكون متوافقة معها ، أو مضادة لها:

أ ـ فإن كانت متوافقة معها لم يكن كبير تأثير ، لأن المتلقي يميل إلى استقاء معلومات جديدة ، وقد تلقى هذه المعلومات من الرسالة الأولى ، ومن ثم فإن المتلقي لا يرى إضاعة جهده ووقته في استقبال مادة إعلامية مكررة.

وقد تزيد المادة المكررة نوعاً من التأكيد لما سبق أن تلقَّاه ، ولكن التأكيد وحده ، شأنه شأن كل النوافل الثانوية في حياة الإنسان ، لا يحتل المكانة الأولى من اهتمام الفرد بشؤون دنياه. وهذا يؤكد ضرورة الاهتمام بالتنسيق في إدارة المطبوعات على مستوى الدولة كلها ، بل على مستوى المنطقة الإسلامية الممتدة ، لأن كثيراً من المطبوعات يهددها التكرار: فنرى كتاباً قد صدر في موضوع معين ، يتلوه كتاب آخر في الموضوع نفسه في الدولة نفسها أو دولة تجاورها ، وهذا يضاعف من نسبة الفاقد في الجهد والمال أيضاً.

ـ ويحدث أيضاً في الزوايا الإذاعية كثير من مثل هذا ، مما يؤكد ضرورة التنسيق الإذاعي والتلفزيوني ، وضرورة التجميع لما تشابه من المواد الإعلامية منعاً للتكرار.

وأرى أن تسعى وسائل الإعلام للتعاون فيما بينها ، لاسيما في مجال الطبع والنشر ؛ لأن التعاون يعود بالفائدة الجلّى على المتلقي ، وعلى الناشر بوجه خاص ؛ ففي التعاون قوة ، ومنع للتكرار ، وإبراز للجانب المشرق من الكتابات ، وتوجيه للمؤلفين لتطوير قدراتهم ، وإفادة للقارئ بأسلوب

جديد ، بعيداً عن الغموض ، أو عن تكرار طبع الكتاب الذي يُعدُّ خبزاً يومياً للمكتبات.

وما من شك أن هذه الطريقة ذاتها هي مفتاح الجودة الإعلامية ، وزيادة التخصص في إنتاج الراجح ، مما يسمح بالإفادة منها بمختلف اللغات الأخرى ، وتصديرها للإذاعات الإسلامية وصحفها أيضاً ، لأن كثيراً من أجهزة الإعلام الإسلامية تحتاج إلى عملية نقل دم إعلامية حتى تقوى في مداها وفي برامجها ، وبذلك تصبح ذات ثقل تأثيري على شعوبها ، وعلى عاتق الدول الإسلامية المتقدمة في مجال الخبرة الفنية والعلمية دور كبير في هذا أيضاً.

ب ـ أما إذا كانت الرسالة الإعلامية الأخرى مضادة للأولى ـ فهنا يكمن الخطر كل الخطر ، فإن من شأن الرسائل الإعلامية المتعارضة أن توقع المتلقي في ارتباك وحيرة شديدين ـ أيهما يصدق: الأولى أو الثانية؟! إن تفضيل رأي على رأي ، أو رسالة على رسالة ، أو مضمون فكرة إعلامية على مضمون فكرة إعلامية أخرى أمر لا يجعله مرشداً ، أو مرفهاً ، ولا يتوقع منه أن يضعه موضع الغرض لمجموعةٍ من السهام الطائشة ، وإذا كان التعارض بين رأيين يؤدي لإسقاط أحدهما للآخر ، فإن معارضة الحجة بأخرى يجعل المتلقي يطرح الحجتين أيضاً.

وصفوة القول في هذا المقام: إن مستقبل الرسالة الإعلامية يحتاج إلى ما يقدمه إليه رجل الاتصال من جانب واحد ، غير متعارض ولا متناقض ، مدفوعاً إلى ذلك بالثقة من جهة ، ومجاراة رأي الأغلبية من جهة أخرى.

وهناك ملاحظة أخرى تتعلق بإعداد الرسالة الإعلامية ؛ لتكون ذات حصانة قوية ضد ما يحتمل أن يعارضها من الرسائل الإعلامية ، ألا وهي ضرورة البرهنة على مضمون المادة ، فمن الأفضل أن تصاغ المادة بطريقة تذكر معها الأدلة والحجج ، حيث يتعذر مقاومتها أو معارضتها بغيرها ، لأن الرسالة الإعلامية باعتبارها شكلاً من الأشكال الأدبية من حيث

الصياغة ، أو العلمية من حيث المضمون ، ينبغي أن تكون مستوفاة من ناحية الإقناع العاطفي والمنطقي معاً.

ومن الجدير بالذكر هنا: أن البرهنة القائمة على حقائق الحياة الواقعية أكثر ثباتاً وتعمقاً في النفوس من البرهنة القائمة أو المستندة على الآراء الشخصية أو الشهادات المنقولة.

وهذا هو ما أسفرت عنه التجارب العلمية ؛ التي أجريت في هذه الناحية المهمة المتعلقة بأساليب الإقناع الإعلامي.

إن آفة الرسائل الإعلامية في أجهزة الإعلام عندنا: أنها أشبه ما تكون بموضوعات التعبير الإنشائي التي يكتبها طلاب المدارس الثانوية ، بينما تحتم الأمانة الإعلامية ، وأخلاقيات العمل الإعلامي أن يتعب رجال الإعلام أنفسهم ، وكذا المشتغلون بإعداد البرامج الإعلامية ؛ ليقدموا رسائلهم بحيث تكون ذات طابع علمي نظيف ، يجد المستمع فيه ما يفيده ويرشده ، ويستطيع أن يقاوم به أيَّ رسالة معارضة توجه إليه من أجهزة الإعلام المضادة.

(٥) أن يكون للرسالة الإعلامية مطلب واضح ، وهدف محدد:

ماذا يريد رجل الإعلام من توجيه رسالته الإعلامية؟

ـ هل يقصد إلى تحقيق هدف محدد ، ولكنه لا يكشف عنه الستار ، بل يتركه إلى ذكاء المتلقي قارئاً كان أو مستمعاً أو مشاهداً؟

أو أن من الضروري تركيز الضوء الإعلامي على الهدف ، حيث لا يتعب المتلقي في البحث عن الهدف المتخفي وراء مضمون الرسالة؟

وإذا كان رجل الإعلام يعرض في رسالته لقضية من القضايا ذات الصفة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية... فهل يقدم وجهات النظر المتعددة حولها فحسب ، أو يهتم بإبراز وجهة نظره هو أيضاً؟

ما القول الفصل في هذا الموضوع؟

إن أمامنا تجربة عملية تقدم لنا الجواب الشافي عن هذه التساؤلات جميعاً ، وكل ما علينا فِعْلُه هو أن نتذكر جيداً ، لأنها ذات دلالات علمية وإعلامية في غاية الأهمية :

(عرض الباحثان ماندال ، وهوفلاند على عينة مختارة من الطلبة تسجيلات لبرنامجين ، من المفروض أنهما مأخوذان من برنامج إذاعي يستحسن إعادة تقييم العملة .

كان البرنامجان متماثلين تماماً ، باستثناء أن :

أحدهما ذكر نتائجه بوضوح وتحديد .

في حين ترك البرنامج الثاني نتائجه ضمنية لكي يستنتجها الجمهور .

وقد وصلت نسبة التغيير بين أفراد المجموعة التي سمعت البرنامج الذي ذكر أهدافه بوضوح ٤٧,٩٪ .

في حين بلغت نسبة التغيير ١٩,٣٪ فقط ، بين أفراد المجموعة الثانية ، التي استمعت إلى البرنامج الذي لم توضح أهدافه بل كانت تلك الأهداف ضمنية .

ماذا نستفيد من هذه التجربة؟

نستفيد أنه : كلما كانت أهداف الرسالة الإعلامية واضحة محددة ، كان ذلك أدعى إلى أن يتقبلها الجمهور ويتفهمها ، ويعمل بما فيها .

هناك قضية أخرى ترتبط بتحديد الهدف من الرسالة : ألا وهي اهتمام مقدم الرسالة بالكيفية التي يتم بها تحقيق هدف الرسالة الإعلامية ، فقد يكون هدف الرسالة واضحاً ، وقد يكون أيضاً مفهوماً ، ولكن عائقاً واحداً يقوم دون وضع هذا الهدف موضع التنفيذ ؛ ألا وهو الكيفية التي يمكن بها إنجازه ، وهذا مثال نوضح به القضية :

قد يتوجه خبير الاتصال إلى الجمهور برسالة إعلامية هادفة كالدعوة إلى التبرع بالدم مثلاً ، ويأتي بكل الدلائل المقوية لدعوته ، وما لها من آثار

حميدة في إنقاذ الجرحى وتقديم المعونة لهم ، لاسيما إذا كان ذلك في وقت الحرب ، ويصبح المتلقي في ذروة الاقتناع الذي يوشك أن يتحول إلى نزوع عملي .

ولكن ما الذي ينقص رسالة كهذه؟

ينقصها أن يشرح رجل الاتصال للمستمع طريقة التبرع بالدم : من حيث المكان الذي يتم فيه ذلك ، والزمان المناسب لتقديم هذه الخدمة ، والكيفية التي يتم بها الحصول على الكمية المطلوبة ، بشرط ألا تكون منفرة ، وبشرط أن لا يكون هذا كله مما يشق على المتطوع : من بعد المكان أو تأخر الزمان ، أو تعقيد الكيفية ، أو صعوبة الاهتداء إلى مركز الخدمة التطوعية .

فقد استنتج الباحث كارتريت ، بعد دراسة الاستمالات التي تشجع شراء سندات الحرب أنه :

كلما تم تحديد أسلوب العمل المطلوب لتحقيق الهدف بدقة ، في الرسائل الإعلامية ؛ زاد احتمال إقدام الجمهور على السلوك المطلوب لتحقيق ذلك الهدف ، وقد وجد الكابتن والزرزفيلد بالمثل أنه :

(كلما كان الاقتراح الذي يقدمه القائم بالاتصال محدداً ، ازداد احتمال اتباع النصيحة) .

٦ ـ أن يستفيد معدُّ الرسالة الإعلامية من الآراء والاتجاهات السائدة :

والاستفادة هنا لا تعني أن يلتزم معد الرسالة بحرفية الاتجاهات والآراء السائدة لدى الجماهير ، وأن يجعل منها نقطة البدء في اختيار موضوعاته ، ولكن محور العمل بهذه الخاصية الإعلامية :

أن رجل الإعلام يستطيع من خلال الاتجاهات السائدة أن يتبنى اتجاهات جديدة لدى الجماهير ، ويستفيد استفادة ذكية مما يوجد لديها بالفعل ، وهذا عنصر مهم من العناصر التي قامت عليها الدعاية الألمانية في عهد

(جوبلز).

فإذا كان لدى الجماهير اتجاه أساس نحو المحافظة على النفس والوقاية من الأمراض، فإنه يمكن ربط الكثير من الرسائل الإعلامية بهذا الاتجاه الأساس.

وهذه بعض الأمثلة:

أ ـ الانضمام إلى الفرق الطبية لمقاومة مرض وبائي.

ب ـ الاشتراك في حملة من حملات النظافة لتطهير شوارع المنطقة من البرك، والمستنقعات، ورفع الفضلات والقاذورات.

ج ـ الإسهام في تنظيف المناخ البيئي من أسراب الذباب أو البعوض، أو مقاومة حملات الجراد.

د ـ الدعوة إلى التوقف عن تناول سلعةٍ معينة لما تسببه من متاعب صحية خلال وقت معين، أو التوقف عن تناولها نهائياً.

ـ القاعدة هنا أيضاً: هي أن الأقلية في معظم الحالات تخضع لرأي الأكثرية.

وبهذا يستفيد رجل الاتصال كثيراً من محاولات الإقناع باستخدام (الصيغ الكلية) مثل: نحن، جميع، كل...

(وهذا مشروط في أي حال؛ أن يكون لدى رجل الإعلام معيار خلقي يتحرك على أساسه في حرفة الإعلام[1] وهو أمر مفروغ منه، بل إن أهميته

---

(١) ومن هنا يحلو للكثيرين في سائر المهن على اختلافها أن يجتمعوا لوضع ميثاق شرف المهنة، وهو أمر لابأس به على كل حال، من باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ شريطة ألا يقتصر الجهد المبذول على شراء المداد والكتابة به، ثم طرح المداد والميثاق في السلة المعروفة.

لتعلو على سائر الأهميات ، لا في الإعلام وحده بل في سائر المهن النظرية العلمية) .

وفي سبيل الإصلاح : يمكن لرجل الإعلام أن يستخدم الصيغ الكلية هذه استخداماً دعائياً ؛ ليثبت منه إلى تحريك عناصر المجتمع كلها ـ من أكثرية وأقلية ـ ليضعها تحت الرقابة الشاملة والتوجيه الإصلاحي العام .

وماذا تكون رسالة الإعلام إلى القيادة الحية الذكية الواعية ؛ التي يمكنها أن تمسك بزمام الصفوة وتقود الناس كافةً إلى واحة الفردوس الحضاري القائم بالدرجة الأولى على الوعي الديني؟[1] .

* * *

(١) للتوسع يراجع : أصول الإعلام الحديث : إبراهيم سرسيق : ٦٥ ـ ٧٥ .

obeikandl.com

الفصل الرابع

مدى تأثير ملكية وسائل الإعلام على الوظائف الإعلامية

لابد من دراسة هذا الموضوع المهم ، وذلك من خلال عدة محاور ، أهمها ما يلي :

المبحث الأول : الجانب الإيماني طبيعته وأثره في تجديد نمط الملكية .

مدخل :

أولاً : تعريف الإيمان :

الإيمان في المعنى اللغوي للكلمة من «آمن» به «إيماناً» بمعنى : صدقه .

والإيمان ضد الكفر .

والإيمان بمعنى التصديق ، ضده التكذيب ، يقال : آمن به قوم وكذب به قوم .

والإيمان : الثقة ، وإظهار الخضوع ، وقبول الشريعة[1] .

وقد ربط علماء الشريعة بين المعنى اللغوي والمعنى الذي أراده الشارع لمفهوم الإيمان ، موضحين أن حقيقة المعنى اللغوي تقود إلى المعنى

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : مادة «أمن» ، مختار الصحاح : الرازي ـ مادة «أم ن» ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ مادة «أمن» .

الشرعي الصحيح ، وأن المعنى الشرعي لا يتناقض مع حقيقة المعنى اللغوي الصحيح[١].

ويعرِّف أهل السنة والجماعة الإيمان بأنه: (قول باللسان ، واعتقاد بالجَنان ، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (حكى غير واحد الإجماع على ذلك ، وقد ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله في «الأم»: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممّن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ الواحد من الثلاثة إلا بالآخر)[٣].

وهذا يعني أن الإيمان ليس مجرد الإقرار أو التصديق والنطق باللسان ، بل هو بجانب ذلك عمل بشرائع الإسلام وأداء لعبادته، ويعني هذا أن الإسلام والشرائع والعبادات الظاهرة داخله في مفهوم الإيمان وجزء منه[٤].

---

(١) انظر: الإيمان ـ شيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٢٨٣.

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد ـ السجستاني: ١٧١ ـ ١٧٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي: ص ٣٠٨ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني ـ ١/ ٦٠ ، شرح صحيح الإمام مسلم «على هامش إرشاد الساري» ـ ج١ ص ١٨٥ ـ ١٩٣.

(٣) الإيمان: ابن تيمية ـ ص ٢٤٦ ـ ٢٦٠.

(٤) لفظ الإيمان ولفظ الإسلام أو المؤمن أو المسلم يأتيان بمعنيين مختلفين إذا اجتمعا كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] ، أما إذا افترقا فكلاهما بمعنى الآخر ، كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦].
والإسلام المذكور في الآية الأولى ؛ ليس هو الدين الحق الذي عَنَتْهُ الآية الأخرى ، لأن الإسلام الذي يكون عن خضوع ونفاق غير مقبول ، ولا قيمة له إلا إذا سكن الإيمانُ القلبَ ، واستقر فيه. والإيمان المعتبر ما اقترن بالسمع والطاعة ، وتطهر من الجحود والاستكبار عن أمر الله عز وجل. =

وقد شذ عن هذا الفهم فرق الضلال من أهل البدع:

فكفَّرت الخوارجُ مرتكبَ الكبيرة[1].

وذهبت المرجئة إلى أن الإيمان هو مجرد القول وتصديق القلب، وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب[2].

وذهبت الكرَّامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان[3].

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، ولازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين،

= وانظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي ـ ص ٣٢٧، الإيمان: ابن تيمية: ص ٢٤٦ ـ ٢٦٠.

(١) الخوارج: جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألَّب عليه بعد أن يكون له تأويل، وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكفروه وكفروا عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ويسمون بالحرورية نسبة إلى حروراء، قرية بظاهر الكوفة، كما يسمون النواصب وهو جمع ناصب وهو الغالي في بغض علي رضي الله عنه. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ الإمام ابن حزم ـ ج٤ ص١٨٨.

(٢) المرجئة: فرقة من الفرق الضالة التي خرجت في صدر الإسلام، سموا مرجئة لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان، والإرجاء بمعنى التأخير، يقال: أرجيته، وأرجأته، إذا أخَّرته، وهم أصناف وفرق لها أقوال في الإيمان والعمل الصالح، وهل الإيمان هو القول، أو القول والاعتقاد، أو القول والاعتقاد والعمل، وتتداخل أقوال المرجئة مع عدد من الفرق الأخرى مثل الكرامية والقدرية النفاة والجهمية أتباع الجهم بن صفوان، على تشابه من وجوه، واختلاف من وجوه أخرى.
انظر: الفصل: ابن حزم: ج٤ ص ٢٠٤.

(٣) الكرامية: أتباع محمد بن كرمان السجستاني، ولهم أقوال ضالة في صفات الله عز وجل وفي النبوة وفي القرآن وفي باب الإيمان. انظر: كتاب الإيمان: القاسم بن سلام: ص ٢٧ ـ ٣٠.

لأنهم كانوا يعرفون صدق موسى عليه السلام[1].

وأما المعتزلة فقالوا: إن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً، فهو في منزلة بين الإيمان والكفر، لكنه مخلد في النار يوم القيامة[2].

وقد تفرع عن كل فرقة من هذه الفرق طوائف وفرق أخرى، اختطت كل منها لنفسها خطاً مختلفاً عن غيرها، شأنها شأن الباطل المتشعب السبل، المختلف الجَوَادِّ.

ثانياً: حكم الإيمان:

الإيمان بالله هو أوجب الواجبات، وأعظم ما افترضه الله على خلقه، وما أرسل الله الرسل، ولا أنزل الكتب، ولا خلق الخلق والجنة والنار إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، وقال: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[4].

والإيمان بالله يتضمن الإيمان برسوله ﷺ، وببقية أركان الإيمان الستة وما جاء به رسوله ﷺ، وفق ما حدده علماء السنة من اشتراط أركانه الثلاثة: القول والاعتقاد والعمل.

قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»[5].

قال النووي في «شرحه» على مسلم: (قال الخطابي: المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون: لا إله إلا الله، ثم يقاتلون ولا

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز: ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩. الفصل: ابن حزم: ج ٣ ص ١٨٨.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق: الإسفرائيني: ص ١١٤ وما بعدها.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) البقرة: ١٧٧.

(٥) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٠).

يرفع عنهم السيف ، وقال القاضي: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال: لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ، لا من يوحد ، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول: لا إله إلا الله إذا كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده ، ولذلك جاء في الحديث الآخر: وأني رسول الله ، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ـ هذا كلام القاضي ـ وقلت: ولابد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به ، والله أعلم»[1].

ثالثاً: أثر الإيمان في ملكية وسائل الإعلام:

جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأرض كلها ميراثاً لعباده المؤمنين ، ومن ثم فَهُمْ أولى الناس بالحقوق فيها ، فالمؤمنون أكمل الناس حقوقاً وأرفعهم منزلة عند الله ؛ بخلاف غيرهم من الكفار والمشركين كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2] فإذا كان الإيمان سبباً في وراثة الأرض ، فهذا يعني أن له شأناً عظيماً في ملكية وسائل الإنتاج والانتفاع بها.

وفي ضوء ما سبق من تعريف وبيان لحكم الإيمان ، يمكن التعرف على أثره في ملكية وسائل الإعلام من جانبين:

أحدهما: الواجبات الشرعية التي يستلزمها معنى الإيمان على المسلم: فمن خلال الواجبات الشرعية ذات الصلة بوظائف وسائل الإعلام في المجتمع المسلم ، يمكن التوصل لمعرفة أثر الإيمان في تقرير حق ملكية هذه الوسائل ، ومن يشمله هذا الحق من فئات المجتمع.

---

(١) شرح صحيح الإمام مسلم «على هامش إرشاد الساري»: الإمام النووي: ١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) الأنبياء: ١٠٥. «الزبور»: الكتب المنزلة. «الذكر»: اللوح المحفوظ.

الآخر: درجات الناس في ميزان الإيمان: ومن خلال ذلك يمكن التعرف إلى أثر الإيمان في تحديد معايير وضوابط من يحق له تملك وسائل الإعلام من الأفراد في المجتمع المسلم.

المطلب الأول: أثر الواجبات الإيمانية في تقرير حق ملكية وسائل الإعلام.

تنطوي مهمة الإعلام في الإسلام على واجب شرعي، يقوم به المسلمون تجاه دينهم ويأثمون إذا تركوه أو قصروا فيه، وهو واجب محكوم في مضمونه بالقاعدة النبوية الشريفة: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» متفق عليه[1]، فليس العمل الإعلامي في الإسلام قائماً على رغبة شخصية مجردة، أو لهوى أو غرض دنيوي، أو رغبة في التسلط وتحقيق المصالح الشخصية والمادية، أو الأهواء الضالة، كما هو الحال في واقع حياة الناس اليوم ونظمها الإعلامية المختلفة.

ومن الواجبات الشرعية التي يستلزمها إيمان العبد بربه، ما له صلة بالإعلام ووسائله، كواجبات القول المتعددة التي تعد مسوغات شرعية لتملك وسائل الإعلام من أجل القيام بها، فضلاً عن توقف القيام بها على الوجه المطلوب في بعض الحالات على تملك تلك الوسائل؛ مما يحيلُ ملكية الوسائل من المقام المباح إلى مقام الواجب.

ومن تلك الواجبات، الواجبات القولية التالية:

أولاً: واجب نشر الدين والدعوة إليه والدفاع عنه:

فهذا الواجب من الواجبات الشرعية التي تجب على أفراد المسلمين وجماعاتهم قاطبةً، فضلاً عن ولاة أمرهم، كل بحسبه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]،

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

(٢) آل عمران: ١٨٧.

وقال ﷺ: «نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره»[1]، وفي رواية: «سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه لا فقه له، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه... الحديث»[2].

والبيان والتبليغ لدين الله يتطلب جهداً ووسيلة، ومن أبرز مظاهر هذا الجهد البيان بالقول، وأما الوسيلة فلكل زمان وسيلته، يقول ابن تيمية في شرط تبليغ الرسالة: (الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم، مع قيام فاعله بما يجب عليه، كان التفريط منهم لا منه)[3].

فإبلاغ الدين بما يمكِّن الناس من وصوله إليهم ومعرفتهم له شرط في تحقيق البلاغ، وخلو الذمة من المسؤولية والحرج، وقد يسر الله سبحانه وتعالى وسائل الإعلام المعاصرة لتحقيق أكبر قدر ممكن من البلاغ، والتكليف الشرعي مرتبط بالوسع ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، والوسع هو الطاقة[5]، أي: على المكلف أن يبذل وسعه وطاقته لأداء التكاليف الواجبة عليه، فيكون تملك وسائل الإعلام للقيام بهذا الواجب الشرعي بالنسبة للقادر عليه، من الواجبات الشرعية (وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، إذ إن من المتعذر على كثير من الناس والأمم اليوم الوصول إلى الحق ومعرفته، لاسيما مع قيام الحدود والأنظمة السياسية التي تتحكم في الناس، فيبقى واجب المسلمين في تيسير ذلك صور؛ يتمكن الناس بها من الوصول إلى الحق.

وقد بلَّغ رسول الله ﷺ بما أتيح له من وسائل في عصره.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٨) وابن ماجه (٢٣٠) وأحمد (٥/ ١٨٣).
(٢) رواه ابن ماجه (٢٣٠) وأحمد (٤/ ٨٠) ومجمع الزوائد (١/ ١٣٩).
(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شيخ الإسلام ابن تيمية: ص ١٤ ـ ١٥.
(٤) البقرة: ٢٨٦.
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: ٣/ ٤٢٩.

فما أوحاه الله إليه من القرآن والسنة بلَّغه لمن حوله مشافهة كلاماً غير منقوص. وبلَّغه بفعله، فحج مع المسلمين وقال ﷺ: «لتأخذوا منّي مناسككم»[1] وصلى أمامهم وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[2].

كما بلغه بوسائل التبليغ المتاحة لمن لم يبلِّغهم بصوته، فكاتب الملوك، وأرسل الرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام، ويبين لهم دين الله[3].

والقول والفعل والكتابة أُسُّ العمل الإسلامي، ووسائل البلاغ الإعلامي لا تخرج عن هذه الأساليب الثلاثة، فالوسائل المسموعة في مجملها تعتمد على القول، وتعتمد الوسائل المرئية على الفعل والقول، كما تعتمد الوسائل المطبوعة بدرجة أولى على الكتابة.

وعليه فوسائل الإعلام الحديثة من أهم وسائل البلاغ لدين الله ونشره بين العالمين، وإقامة الحجة عليهم بذلك، ولما تتميز به من قدرة على تخطي الحواجز المادية والمعنوية، وأداء للبلاغ المبين في أروع صورة وأقواها؛ بما يتاح فيها من إمكانات فنية متنوعة، تعين على تزيين الحق وتجميله، وعرضه في صور زاهية جميلة، تكفل وصوله للناس.

وإذا كان بيان دين الله وتبليغه لا يتم في عالم مثل عالمنا، متشابك المصالح، متباعد الأطراف والنواحي، معقد العلاقات، إلا بمثل هذه الوسائل التي تستطيع تجاوز كل تلك العقبات، وتحقق الكثير من المصالح، فإن تملك أفراد المسلمين وجماعاتهم لها من أجل هذه الغاية من أعظم المهمات وأوجب الواجبات، انطلاقاً من القاعدة الفقهية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٧) وأبو داود (١٩٤٤). والترمذي (٨٨٦) والنسائي (٥/ ٢٥٨) وابن ماجه (٣٠٢٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٨) وأحمد (٥/ ٥٣).

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام ابن القيم: ١/ ١١٧ وبعدها.

ومن المؤسسات الإعلامية المسموعة: إذاعات القرآن الكريم، والتي يُبث من خلالها كتابُ الله متلوّاً؛ إضافة إلى البرامج اليومية مثل: (نور على الدرب) والأسبوعية مثل: (مجالس العلماء) و(ركن الدعوة والإفتاء)، إضافة إلى البرامج الإسلامية في الإذاعات العامة، وكذا البرامج الموسمية مثل مناسبة رمضان، والحج.

وتأتي الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية والفصلية والحولية، لتصبّ في حقل الكلمة والقول.

ثانياً: واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو واجب شرعي على الأمة أفراداً وجماعات، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2][3].

وفي الحديث الآخر عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[4].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جماعية، وواجب فردي، وهو في أصله قول، لكن تغيير المنكر يكون بالفعل، ويكون

---

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) رواه مسلم (٤٩) والترمذي (٢١٧٢) وابن ماجه (١٢٧٥) والنسائي (٨/ ١١١و١١٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ١/ ٣٩٠.
(٤) رواه أبو داود (٢٥٠٤) والنسائي (٦/ ٧) وأحمد (١٢٢٧١).

بالقول ، ويكون كذلك بالقلب ، كل ذلك حسب الاستطاعة ـ كما في الحديث السابق ـ.

ووسائل الإعلام وسائل قول وبيان ، تتيح ـ بما لها من إمكانيات فنية واتصالية ـ أفضل السبل لأداء الأمر والنهي ، كما تتيح أفضل سبل التوصيل والإبلاغ لمضمون الأمر والنهي.

فهي وسائل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يبلغ عن طريقها الحق ويؤمر به ، ويصحح الخطأ وينهى عنه ، ويعدل المعوج ويقوم ، ويؤكد على الخير وينشر بين الناس ، فهي تملك المقدرة على إقامة الحجة بالبلاغ ، وتيسير الحق لمن يريده ، ومواجهة المنكرات القولية والعملية ، بالنهي عنها وإنكارها ، وبيان فسادها ، وحماية الناس من شرها.

وهذا كله مسوغ لتملُّك المؤمنين ـ أفراداً وجماعات ـ الوسائل الإعلامية ، من أجل القيام بهذه الشعيرة العظيمة ، لاسيما وأن أكثر وسائل الإعلام في العالم قد أصبحت منابر للباطل ، ومصدراً للمنكرات القولية والعملية ، ولا يكفي في مواجهة مثل هذه المنكرات وسيلة الخطبة أو المحاضرة التي لا يتعرض لها إلا عدد محدود من الناس ، بينما تنشر وسائل الإعلام منكراتها على جماهير الناس ، مما يتطلب أن يواجه الباطل بمثل وسائله ، وإذا استعلن المنكر وظهر لزم إنكاره وتغييره في العلن ، حتى يرتدع أصحابه ، ويتبين للناس الحق ، ولا ينخدعوا بالباطل.

بل تملُّك أفراد الأمة وهيئاتها لهذه الوسائل قد يدخل في باب الواجبات العينية، إذا توافرت القدرة ، وتعين الأمر والنهي ولم يتم القيام به على الوجه المطلوب ، كما تقرره القاعدة الشرعية: (الوسائل لها أحكام المقاصد)[1].

إن إنكار المنكر ، وقمعه هو مهمة الأفراد العاديين ، والعلماء ، وولاة الأمر ، كلٌّ في موقعه. فمهمة العالم الكلمة والإرشاد ، ومهمة راعي الأمة

---

(١) رسالة في القواعد الفقهية: الشيخ ابن سعدي: ٣٠ ـ ٣١.

الضرب بقوة على منابع الشر والفساد ، ودحر الضلال أينما كان. ومَنْ قصَّر في هذا الباب ، يُـنْـظَر إليه بارتياب.

ثالثـاً: النصيحـة:

وهي من الحقوق الشرعية الواجبة بين المسلمين ، كما قال رسول الله ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس» وفي رواية «ست» ، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له. . . . الحديث»[1].

والنصيحة من الواجبات القولية ، ومعناها شامل لجميع أمور الدين ، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة «ثلاثاً» قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم[2] ، ويبين ذلك الإمام النووي في شرحه الحديث حيث قال: «أما النصيحة لله فمعناها مصروف إلى الإيمان به ، ونفي الشرك عنه ، واجتناب معصيته ، وجهاد من كفر به ، فأما النصيحة لكتابه سبحانه فالإيمان بأنه كتاب الله تعالى ، والذبُّ عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، ونشر علومه والدعاء إليه ، وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وبث دعوته ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه. . . . . »[3].

وكل ما ذكر داخل في باب الواجبات القولية ؛ التي يمكن أن تؤدى عن طريق وسائل الإعلام الصحفية والإذاعية بكل كفاءة وقوة.

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٠) ومسلم (٢١٦٢).

(٢) رواه مسلم (٥٥) وأبو داود (٤٩٤٤).

(٣) شرح صحيح مسلم «على حاشية إرشاد الساري» الإمام النووي: ١/٣٥٦ ـ ٣٥٩ بتصرف.

رابعاً: واجب التكافل بين المسلمين:

وهو واجب ينطوي على كثير من الواجبات القولية التي يمكن أن تؤدى من خلال وسائل الإعلام، فالرسول ﷺ يقول: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» متفق عليه[1]، ومفهوم التكافل واسع بقدر سعة حاجات المسلمين، وهي حاجات متعددة، يدخل فيها حاجة المسلمين للتعليم والأخبار، وتفسير الأحداث تفسيراً صحيحاً، والتوجيه، والدعوة والنصيحة، وكذلك حاجات المسلمين المستضعفين في كل مكان، ينشر أخبارهم، ويقوم بالدفاع عن قضاياهم، وكل هذه حاجات ضرورية لا تقل عن حاجتهم للمأكل والملبس، إن لم تَفُقْها في بعض الأحيان، ولاشك أن تملك وسائل الإعلام من أجل القيام بهذه الواجبات يأخذ حكمها في المشروعية والوجوب إذا تعين.

وفي هذه السنوات العجاف، التي تمالأ فيها أعداء المسلمين عليهم، وحاربوهم في كل مكان، وأظهروا الحقد، وقاموا بالقتل والتعذيب... في مثل هذه الحال يزداد واجب وسائل الإعلام في الكشف عن مخططات الأعداء، والدفاع عن قضايا المسلمين، وردّ الحوار بالحوار، والندوة بالندوة، والبرنامج بالبرنامج، حتى يسمع العالم كله أن هناك مظلومين لا بد من إنصافهم، وأن هناك مضطهدين يجب رفع الظلامة عنهم.

هذه بعض الواجبات الشرعية التي يفرضها الإيمان على المؤمنين، وهي ـ كما ظهر ـ واجبات قولية يمكن أن تؤدى من خلال وسائل الإعلام، فهي في أقل أحوالها مسوغات شرعية تجعل تملك المسلمين ـ أفراداً وجماعات ـ لهذه الوسائل الإعلامية حقاً من حقوقهم الشرعية في المجتمع المسلم، فضلاً على أنها قد تكون سبباً للوجوب والإلزام، وذلك إذا تعين الواجب، وتوافرت الاستطاعة المادية والمعنوية.

وكما أنها واجبات فردية وجماعية، فإن واجب الدولة المسلمة في مثل

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

هذه الأمور أكثر تعيناً وإلزاماً ، فلا يعني القول بواجب أفراد المجتمع وهيئاته في ذلك أن الدولة خارجة عن ذلك الواجب ، بل الواجبات في حقها عينية ، بسبب طبيعة مهماتها التي نصبت من أجلها .

المطلب الثاني: منازل الناس في الإيمان وأثرها على تملكهم وسائل الإعلام:

قبل أن أتناول منازل أو درجات الناس في الإيمان وأثره في ملكية وسائل الإعلام ، لابد من التعرف على شيء مهم قبل ذلك ، وهو: ما معيار تحديد درجات الناس في الإيمان؟ ثم: هل لذلك أثر على حقوق الناس المدنية في المجتمع المسلم؟

والإجابة على السؤال الأول تساعد على رسم منهج التناول في هذا الجزء من المبحث بصورة دقيقة ، كما تدل إجابة السؤال الثاني على أثر الإيمان في تملك وسائل الإعلام من جهة درجات الناس فيه ، وذلك أن ملكية الوسائل الإعلامية نوع من الحقوق المدنية للأشخاص ، ولهذا سيكون عرض هذا المطلب من خلال العناصر الأربعة التالية:

- معيار تحديد درجات الناس في الإيمان.
- منازل الناس في الإيمان.
- أثر منازل الناس في الإيمان على حقوقهم المدنية.
- أثر منازل الناس في الإيمان على تملكهم وسائل الإعلام.

أولاً: معيار تحديد درجات الناس في الإيمان:

لمنهج أهل السنة والجماعة معياره الواضح في تحديد درجات الناس في الإيمان ، كما أن للإيمان عندهم أثره الثابت في الحقوق الشخصية والمدنية في المجتمع المسلم ، ويمثل هذا المنهج: المنهج الوسط بين الفرق ، حيث انحرفت الفرق البدعية عن هذا الفهم بين الإفراط والتفريط.

فالخوارج ـ كما سبق ذكرهم ـ ألغوا جميع حقوق مرتكب الكبيرة المدنية

والشخصية ، لأنهم يرون تكفيره بها ، وبهذا فهو عندهم مستباح الدم والمال ، ساقط الحقوق ، لا يقبل منه صرف ولا عدل.

والمرجئة حصروا الإيمان في جانبي القول باللسان والإقرار القلبي ، وألغوا أي أثر للأعمال على حقوق الفرد المدنية ، فمرتكب الكبائر ، التارك للطاعات ، هو والسابق بالخيرات في الحقوق المدنية على حد سواء.

وأسوأ حالاً منهم الكرَّامية ، الذين اكتفوا بنطق اللسان ؛ لكي يصبح الفرد على حد سواء مع بقية المسلمين في الحقوق المدنية.

أما الجهمية فلا معنى للإيمان عندهم ، وليس له أيّ قيمة أو أي أثر في الحقوق المدنية للأشخاص ، فالناس عندهم سواء ما داموا يعرفون أن الله موجود ، وأن محمداً ﷺ نبي ، أو بمعنى آخر: بشرط أن لا يكونوا ملحدين.

والمعتزلة تشبه الخوارج في جانب ، والمرجئة في جانب آخر ، فهم يعتبرون الكبيرة موجبة للنار فأشبهوا الخوارج ، لكنهم لا يرتِّبون عليها أثراً في الدنيا فأشبهوا المرجئة.

أما أهل السنة ـ أصحاب المنهج الوسط ـ وهو دين الله ودين رسوله ﷺ الذي تلقاه عنه الصحابة رضي الله عنهم ، فيشترطون للإيمان أركاناً ثلاثة ـ كما سبق بيانه ـ هي: القول باللسان ، والاعتقاد بالقلب ، وعمل الجوارح ، ويقولون بأن الإيمان يزيد وينقص ، أي: يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية.

ولا يكفِّرون مرتكب الكبيرة التي دون الشرك ـ على خلاف في كفر تارك الصلاة ـ ولا يقولون هو في منزلة بين المنزلتين ، كما أنهم لا ينفون أثر تلك المعصية على حقوقه المدنية ، ولذا فهم يقولون بأنه: مؤمن فاسق ، أو ناقص الإيمان[1].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز: ص ٣٢٠.

ثانياً: منازل الناس في الإيمان:

في ضوء المعيار السابق ذكره لتحديد درجات الناس في الإيمان في منهج أهل السنة والجماعة، وبناء على الاستقراء ومراجعة عدد من كتب أهل العلم، فإن منازل الناس في الإيمان هي ما يلي[1]:

أولاً: المؤمنون ومن في حكمهم:

وهم قسمان رئيسان:

١ـ أصحاب العدالة.

٢ ـ من فعل شيئاً من خوارم العدالة، وتنخرم العدالة بارتكاب أحد الأمور التالية:

ـ فعل كبيرة من كبائر الذنوب التي لا تستوجب حداً في الدنيا كالكذب أو النميمة أو إصرار على صغيرة، ويدخل ضمن هذا القسم المنافقون، حيث وصفهم الرسول ﷺ بقوله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر» متفق عليه[2].

ـ من أقيم عليه حد (كمرتكب كبيرة الزنى أو شرب الخمر).

ـ أصحاب الفرق المبتدعة.

ثانياً: الكافرون:

وهم مَنْ سوى المؤمنين.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير: ٣/ ٥٤٤، فتح الباري: الإمام ابن حجر العسقلاني: ١٣ /٢٥٣، الاعتصام: الشاطبي: ١/ ٢١٦ ـ ٢٢٤، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ٨/ ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨).

ثانياً: أثر منازل الناس في الإيمان على حقوقهم المدنية:

يترتب على ما سبق أن للإيمان أثراً في حقوق الناس المدنية، كما أن لكمال الإيمان أثراً على حقوقهم تلك، وهو ما تبينه نصوص الكتاب والسنة.

فهناك تفاوت واضح بين منزلة المؤمن والكافر، كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[1] والمقصود بالفاسق هنا: الكافر، كما في الآيات بعدها[2].

كما أن هناك تفاضلاً بين المؤمنين بحسب أعمالهم الصالحة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[3].

أي: لا يكون القاعدون عن الجهاد بأموالهم بخلاً بها، وحرصاً عليها، وبأنفسهم إيثاراً للراحة والنعيم على التعب وركوب الأخطار؛ مساوين للمجاهدين الذين يبذلون أموالهم في الاستعداد للجهاد بالسلاح والخيل والمؤونة، ويبذلون أنفسهم بتعريضها للقتل في سبيل الحق، ومنع تعدي حزب الطاغوت؛ لأن المجاهدين هم الذين يحمون الأمة والبلاد، والقاعدين لا يأخذون حِذْرهم، ولا يُعِدُّون عُدَّتهم للدفاع، ويكونون عرضةً لتعدِّي غيرهم عليهم.

وقال ﷺ: «المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدوداً في قذف»[4].

وليس هذا التفاضل خاصاً بأحكام الآخرة والجزاء والحساب فيها فحسب، بل هو متعلق بأحكام الدنيا وحقوق الناس فيها، فالكافر تؤخذ

---

(١) السجدة: ١٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٣/ ٤٦٢.

(٣) النساء: ٩٥.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في البيوع: ٤/ ٨١.

منه الجزية إذا سالم المسلمين ورضي بحكمهم ، أو يقاتل ويستباح دمه وماله إذا لم يقبل الإسلام أو حكم المسلمين.

وفيما بين المسلمين ، فهناك ما يعرف في الفقه الإسلامي بمصطلح العدالة ، وهي صفة تعني لغة: الاستقامة ، من العدل ضد الجور ، وشرعاً: استواء حاله في دينه ، واعتدال أقواله وأفعاله[1] ، ولها خوارم ونواقض ، تؤثر على بعض حقوق المسلم المدنية في المجتمع الإسلامي.

وهذا يعني أن الناس ـ في منهج أهل السنة والجماعة ـ في الإيمان درجات لهم فيه منازل ، وفي ضوء هذه الدرجات والمنازل تختلف حقوقهم المدنية والشخصية ، مما يعني أن للإيمان أثراً على حق الأشخاص في ملكية وسائل الإنتاج ، باعتبارها نوعاً من الحقوق المدنية للفرد في المجتمع ، فما هو هذا الأثر؟ وما طبيعته؟ وما حدوده؟.

والجواب يتبين من خلال الحديث عن منازل الناس في الإيمان ، وبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بكل منزلة.

ثالثاً: أثر منازل الناس في الإيمان على تملكهم وسائل الإعلام:

سبق أن بيَّنتُ بإجمال أن للإيمان أثراً في الحقوق الشخصية والمدنية للأفراد ، ومن أجل التوصل لمعرفة أثر الجانب الإيماني في ملكية وسائل الإعلام ؛ فسوف أتناول ذلك من خلال العرض التالي في ضوء التقسيم السابق لمنازل الناس في الإيمان.

المنزلة الأولى: منزلة المؤمنين:

وأتناول الحديث هنا عن أصحاب هذه المنزلة من خلال الأصناف الأربعة التالية:

---

(١) حاشية الروض: ابن قاسم: ٧/ ٥٩٣.

١ ـ أصحاب العدالة:

ـ الأصل في جميع المسلمين العدالة حتى يثبت ضدها ، لقوله ﷺ: «المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدوداً في قذف»[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة»[٢].

وطريق معرفة العدالة: الاستفاضة ، وليس الامتحان والاختبار ، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة[٣].

وعدالة المرء تعني: (أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة[٤]، متيقظاً غير مغفَّل ، حافظاً إن حدَّث مِنْ حفظه ، ضابطاً لكتابه إن حدَّث مِنْ كتابه).

(ويعتبر للعدالة شيئان:

أحدهما: الصلاح في الدين ، وهو نوعان ، أحدهما: أداء الفرائض أي الصلوات الخمس والجمعة بسننها الراتبة ، فلا تقبل ممن داوم على تركها ، لأن تهاونه بالسنن يدل على عدم محافظته على أسباب دينه ، وكذا ما وجب من صوم وزكاة وحج ، والثاني: اجتناب المحارم ، بأن لا يأتي كبيرة ، ولا يدمن على صغيرة ، والكبيرة ما فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة ، كأكل الربا ومال اليتيم وشهادة الزور وعقوق الوالدين ، والصغيرة ما دون ذلك من المحرمات ، كسبِّ الناس بما دون القذف ، واستماع كلام النساء على سبيل التلذذ به، والنظر المحرم ، فلا تقبل شهادة فاسق بفعلٍ كديوث، أو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: الإمام ابن القيم: ١/ ١١١.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز: ص ٣٦٣ ، مقدمة في علوم الحديث: ابن الصلاح: ص ٥٠.

(٤) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: ابن الصلاح: ص ٥٠.

اعتقادٍ كالرافضة والقدرية والجهمية ، ومن أخذ بالرخص فُسِّق.

الثاني مما يعتبر للعدالة: استعمال المروءة: أي الإنسانية ، وهو فعل ما يجمله ويزينه عادة كالسخاء وحسن الخلق وحسن المجاورة ، واجتناب ما يشينه عادة من الأمور الدنيئة ، فلا شهادة لمصانع ومتمسخر ورقاص ومغنٍّ وطفيلي ومتزيٍّ بزيٍّ يسخر منه . . .)[1].

فمن كان كذلك فهو العدل ، ومن خرمت عدالته بشيء من تلك الخوارم فهو ناقص العدالة ، فيكون واحداً من الثلاثة السابق ذكرهم: (مرتكب الكبيرة ـ من أقيم عليه حد ـ المبتدع).

والعدالة معيار كمال الحقوق المدنية ، فهي معيار قبول الشهادات ، وتولي الولايات في الدولة الإسلامية بدءاً بالولاية العظمى وانتهاءً بما دونها من الولايات الشرعية [2]، فالعدل هو أكمل الناس حقوقاً ، لكمال صفاته المعنوية ، وهو أولى الناس بتملك وسائل الإعلام في المجتمع المسلم ، وذلك من جهتين:

أولاهما: من جهة واجبه الشرعي في القيام بالواجبات القولية التي سبقت الإشارة إليها.

وثانيهما: من جهة كونه محققاً للصفات التي تهيئه لحمل أمانة الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وواجب النصيحة ، والقيام بواجب التكافل.

فهو من هذه الجوانب الإيمانية أهل لتملك وسائل الإعلام ، ولكن تبقى الجوانب الأخرى المتعلقة بقدرته العلمية على أداء هذه الواجبات ، وقدرته الغنية على استيعاب العمل الإعلامي وإتقانه والقدرة على التعامل معه

---

(١) حاشية الروض المربع: ابن قاسم: ٧/ ٥٩٤ ـ ٦٠٠ (متن الروض).

(٢) انظر: الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٨/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

وتوظيفه التوظيف الرشيد ، وهي جوانب لها أهميتها في خدمة مصالح الأمة وقضاياها .

٢ ـ من جرحت عدالته :

وذلك بارتكابه شيئاً مخالفاً لما يعتبر للعدالة ، كترك الفرائض أو التقصير فيها ، وارتكاب المحارم ، أو ارتكاب الأعمال الدنيئة ، وهم عدة أصناف ـ كما سبق ـ ، وتفصيل أحوالهم كما يأتي :

أ ـ أصحاب الكبائر :

سواء كانت مما فيها حد كالزنى وشرب الخمر ، أوليس فيها حد ، كالكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور .

والمنافقون يدخلون في هذه الفئة ، فهم يعاملون في الدنيا على حسب ما يظهرونه من خير وشر .

فإن أظهروا خيراً قُبل منهم ، وإن أظهروا خلافه أجريت عليهم الأحكام الشرعية بحسب ما ظهر منهم .

والنفاق له علامات ظاهرة ، منها ما ذكره الرسول ﷺ في قوله :

«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان» رواه البخاري[١] .

ويتعرض الفقهاء لأثر مثل تلك المعاصي على الحقوق المدنية للفرد في باب الشهادات والولايات ، كما يتناول أهل الحديث ذلك في موضوع الرواية عن رسول الله ﷺ ، ومن تُقبل روايته في الحديث ومن تُـرَدُّ .

وتُعَدُّ تلك المعاصي ـ سواء ما فيه حد وما ليس فيه حد ـ مسقطة لحق مرتكبها الشرعي في قبول روايته وشهادته[٢] ، كما تؤثر في ولايته على من تحت يده .

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن : الإمام القرطبي : ١٢/ ١٧٨ .
إعلام الموقعين : الإمام ابن القيم : ١٢٢ .

وتؤثر كذلك في حقه في الولاية العامة لأمور المسلمين ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل ، قال النبي ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله».

وفي رواية: «من ولى رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين» رواه الحاكم في صحيحه(١).

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٢).

وقال ﷺ: «المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدوداً في قذف» وفي رواية: «إلا محدوداً في فِرْيَة»(٣) وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أن رسول الله ﷺ رد شهادة الخائن والخائنة وذي الغمر على أخيه. . .» الحديث. قال أبو داود: والغمر: الشحناء(٤).

وتأثير تلك المعاصي في هذه الحقوق نوع من العقوبة ، يبقى ملازماً لصاحبها ما لم يتب من معصيته وتصح توبته ، على خلاف في سقوط هذه العقوبة عن القاذف بعد توبته ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾(٥).

---

(١) رواه أحمد (١/ ٦) والحاكم (٤/ ٩٣).
(٢) المائدة: ١٠٧.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) نصب الراية: الزيلعي: ٤/ ٨٣.
(٥) النور: ٤.

وهذا التأثير ـ كما أنه نوع من العقوبة الشرعية ، فهو أيضاً نوع من الضمانات اللازمة لتحقيق أكبر قدر ممكن من صحة ودقة المعلومات المتداولة في المجتمع المسلم ، لاسيما المعلومات المتعلقة بحقوق الآخرين كما في الشهادات ، أو المعلومات المتعلقة بدين المسلمين وعباداتهم ، كرواية الحديث ، وموضوعات العلم المختلفة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ ، وجعله سلماً إلى الدراية ، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات ، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات ، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة ، أهل الإسلام والسنة ، يفرقون به بين الصحيح والسقيم ، والمعوج والقويم)[1] .

وقد نشأ الإسناد مع السُّنة النبوية ، لأنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ، والشارحة المتممة للتشريع ، فكان الواجبُ يقتضي الاهتمام بها ، والدفاع عنها ، ويأتي الإسناد أحد الوسائل الناجعة للمحافظة عليها ؛ إذ إن الإسنادَ هو المعيارُ الذي تُقام الروايات وَفْقه ، وهو الميزان القويم لتصحيح هذه الرواية أو تلك .

ولم تقتصر العنايةُ بالرواية على الحديث الشريف ، بل امتدَّتْ إلى الميادين التاريخية واللغوية وغيرها .

فالمعلومة جزء من الدين ، بل هي أساس الدين ، وكلما كانت المعلومة دقيقة كانت العبادة صحيحة ، وكان التدين صحيحاً ، وإذا حصل خلل في صحة المعلومات ودقتها حصل الخلل في الدين وفي العبادة كذلك .

(ومعصية الكذب التي ترد بسببها الشهادة والفتيا والرواية ، فهو بمثابة شهادة الأعمى على رؤية الهلال)[2] ، وإذا فسدت هذه الآلة لم تثمر إلا شيئاً فاسداً وضاراً .

---

(١) الفتاوى : ابن تيمية : ١/ ٩ .

(٢) إعلام الموقعين : ابن القيم : ١/ ١٢١ .

كما أن معصية الزنى أو شرب الخمر وأمثالهما فساد في الفطرة ، وهذه السلوكيات الظاهرة ثمرة لفساد الباطن ، كما قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[1].

ومن هنا ننطلق لتحديد أثر الفسق على حق المسلم في تملك وسائل الإعلام ، فوسائل الإعلام وسائل نقل ونشر للمعلومات والآراء والأفكار ، وتفسير للأحداث ، وتقويم للواقع ، ولاشك أن الملك يعني التصرف في الشيء المملوك ، فالتصرف أخص خصائص الملكية ، فما هو الحال حينما يكون المالك معروفاً بالكذب ، أو بشهادة الزور ، أو مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب؟

النتيجة الحتمية لذلك هي أن الوسيلة الإعلامية ستتأثر بسلوك هذا المالك وتصرفاته ، وبهذا تتحول الوسيلة الإعلامية من وسيلة للبناء إلى وسيلة هدم ، ومن وسيلة للتربية على الفضائل إلى وسيلة تنمي الرذيلة وتدعو إليها ، وكل إناء بما فيه ينضح ، وسيصبح خطراً يتهدد الناس في دينهم وإيمانهم وعلاقاتهم بالواقع والناس من حولهم ، والإعلام (يؤدي وظيفة من أخطر الوظائف في العصر الحديث ، وهو لا يقل في خطورته عن الطب أو التعليم أو غيرهما من المرافق ، بل ربما يتفوق في أهميته على المرافق الأخرى ، فالخطأ الإعلامي قد يتسبب في أضرار جسيمة منها إفساد العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض ، ومنها نشوب الحروب بين دول العالم ، وناهيك عما تسببه الحروب من كوارث)[2].

والموقف السليم عن هذا الصنف من المسلمين هو منع تملكهم وسائل الإعلام ، كنوع من العقوبة قياساً على رد شهادتهم من جهة ، وحماية

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

(٢) للتوسع يراجع: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية: د. محيي الدين عبد الحليم: ص ٢١ ـ ٢٢.

للمجتمع من الضرر الذي سيترتب على تملكهم وسائل الإعلام ، وهو خطر يتهدد دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ، وعلاقاتهم داخل مجتمعهم وخارجه من جهة أخرى.

وكم من وسيلة إعلام في هذا العصر تملكها أناس جانحون ، وذوو سلوك شائن ، فما كان منهم إلا أن وظفوا وسيلتهم الإعلامية في خدمة الانحراف ، والشذوذ ، ولإرضاء جهات لا تعرف الله ، وبالتالي أساؤوا لأنفسهم ، ولمجتمعهم ، فكانوا نقطة مشوَّهة سوداء في تاريخ أمتهم.

ب ـ المُخذِّل والمُرْجِف:

صفة التخذيل والإرجاف من صفات المنافقين ، كما قال سبحانه فيهم: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ. . .﴾[1].

أفردتها بالذكر لعلاقتها الوثيقة بالأساليب الإعلامية ، وأثرها المدمر على معنويات الناس ، والجنود في المعارك أثناء الحروب ، وهي من أخطر ما يقوم به الإعلام المنحرف في الصف الإسلامي ، بل هي من أسلحة الإعلام المعادي ، ومن هنا جاء الأمر بتخليص الجيش الإسلامي منهم ، ومنعهم من التسلل إليه ، حفاظاً على تماسكه ومعنوياته من أن يصيبها الضعف الذي يولد الهزيمة.

و(لما بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، بعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم)[2].

فتثبيط الله سبحانه وتعالى للمنافقين أن يخرجوا مع رسول الله ﷺ في

---

(١) التوبة: ٤٧. «خبالاً»: شراً وفساداً ، «ولأوضعوا خلالكم»: لأسرعوا بينكم بالنمائم لإفساد ذات البين.

(٢) سيرة النبي ﷺ: ابن هشام: ٤/ ١٧١.

الغزو ، وأمر الرسول ﷺ بتحريق بيتهم عليهم ، إنما كان نتيجة للأثر السيئ للتثبيط والتخذيل والإرجاف الذي يمارسونه خلال الصف الإسلامي ، وتأكيداً على خطورة الكلمة وأثرها السيئ على الأمة حينما تخرج عن سمت الحق وتحري الصواب ، لاسيما عند الأزمات التي تتطلب رفع المعنويات وتقوية العزائم ورصَّ الصفوف.

وهنا تظهر العلاقة بين ملكية وسائل الإعلام ، وحق من لديه هذه الصفات السيئة فيها ، والدين مبني على جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأثر وسائل الإعلام في بث الإشاعات والحرب النفسية والتأثير على معنويات الجيوش أثر لا يخفى ، فهي تستطيع أن تصل لكل الناس بمن فيهم الجنود على جبهات القتال ، ثم تفعل فعلها في الإرجاف بهم وهزِّ عزائمهم ، وزعزعة نفوسهم ، وبث الرعب فيهم ، فالمُخذِّل أو المُرْجِف في حال تملكه وسائل الإعلام سيكون مادة شر وهدم لبناء المجتمع ومعنوياته ، ورجل الإعلام يجب أن يكون على قدر من المسؤولية والأمانة والبحث عن الحق والالتزام به ، والتخذيل والإرجاف صفات لا تتناسب مع طبيعة العمل الذي يجب عليه أداؤه ، ومن ثم فإن هذه الصفة تعد مانعاً قوياً لتملك وسائل الإعلام ، بل والعمل فيها ، لاسيما الأعمال الإدارية والتحريرية[1].

جـ ـ المبتدع:

البدعة هي: (شرع ما لم يأذن به الله ولم يكن عليه أمر النبي ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسر النبي ﷺ البدعة بقوله: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»)[2].

فالبدع كلها مردودة ، لكنها دَرَكَات منها المكفِّرة ومنها ما هو دون

---

(١) انظر: الحرب النفسية من منظور إسلامي: أحمد نوفل: ص ١٠٥.

(٢) معارج القبول: الشيخ حافظ الحكمي: ٢/٦١٦ ـ ٦١٧. والحديث رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

ذلك[1] ، وهي مرض قلبي سببه الشبهة ، ولهذا فهي أشد من المعاصي ، وهي نوع من فساد آلة التفكير وهي العقل[2].

والبدع المكفِّرة ليس أصحابها داخلين في هذا الموضوع ، إذ إنهم ليسوا داخلين في مسمى الإيمان، فيبقى الحديث هنا عن أصحاب البدع غير المكفِّرة.

والبدع من خوارم العدالة التي ترد بسببها الشهادة والرواية ، نظراً لما لها من أخطار تتصل بدين الناس وعقائدهم ، فهي لا تقل عن خطر الكذب في الرواية ، فالكذب فساد في آلة الحديث ، والبدعة فساد في القلب والعقل معاً ، فيكون خطر الإعلامي المبتدع في قلب الحقائق وتحريف دلالات النصوص والوقائع بما يتفق مع بدعته مثل خطر الكذاب الذي يختلق ما يقول، ويفتري من الأقوال والأفعال ما لم يقع ، إن لم يكن خطر المبتدع أشد.

ويميز العلماء بين المبتدع الذي يدعو إلى بدعته ، وبين من لا يدعو إليها ، فيرفضون رواية الداعية إلى بدعته ، ويرجح أكثرهم رواية غير الداعية ، وذلك بشرطين:

أحدهما: الصدق والضبط والإتقان.

الآخر: الحاجة إلى ما عنده من الرواية[3].

والموضوع هنا عن تملك وسائل الإعلام ، وهو أشمل من موضوع الرواية ، فهي جزء تابع للملكية ، لأن الذي يملك الوسيلة يستطيع أن يروي من خلالها ما يشاء ، وأن يفسر وأن يشرح وأن يعلم ، وأن يثقف ويربي الناس من خلال ما يعرضه من فكر ورأي ونقد.

وتصور التخلي عن المبادئ والقناعات الشخصية في الكتابة والتحرير والتفسير وجوانب الإعلام المختلفة أمر بعيد جداً ، فقد يكون صادقاً في نقل

---

(١) انظر في بيان أقسام البدعة أنواعها وأحكامها: الاعتصام: الإمام أبو إسحاق الشاطبي: ١/ ٢١٦ ـ ٢٢٤.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن القيم: ٢/ ١٦٥.

(٣) انظر: مقدمة في علوم الحديث: ابن الصلاح: ص ٥٤ ـ ٥٥.

الخبر وروايته ، لكن من المستبعد أن يتخلى عن قناعاته في تفسير هذا الخبر وتحليله ، وعند قيامه بوظيفة التعليم والتثقيف ، فهو سيعلم ويثقف بما يراه الصواب لا غير (وليس هذا فحسب ، بل إذا ساءت نيته لا يهمه أن يكون ما يقوله صواباً أو غير ذلك ، والغاية التي في نفسه تبرر الوسيلة مهما كانت صدقاً أم كذباً) ، كما عرف عن كثير من المبتدعة الذين اشتهروا بوضع الحديث ، وإلا لم يحرص على تملك الوسيلة الإعلامية ، لاسيما إذا ما أخذ في الاعتبار أن الغاية من تملك وسائل الإعلام هي غاية معنوية ، تتمثل في توظيفها لخدمة الأفكار والآراء والمبادئ أكثر منها مادية ، إذا كانت وظائف الأخبار تنحصر (في الإعلام والتفسير والتوجيه)[1] ، والتفسير والتوجيه مرتبطان بالخلفية الاعتقادية والمعرفية لدى القائم بها ، فإن من حق المجتمع المسلم ،بل ومن الواجب جلب المنفعة له ودفع المضرة عنه ، وهذا يقتضي عدم أحقية أصحاب البدع في تملك وسائل الإعلام ما لم يتوبوا ويرجعوا عن باطلهم إلى جادَّة السنة والحق.

ثم لو كان هذا المبتدع لا يدعو لبدعته ، وتوافر فيه الصدق والإتقان والضبط ، فإن تصور الحاجة إليه في جانب التملك غير وارد في المجتمع الإسلامي ، وإنما ذكر العلماء الحاجة للمبتدع في جانب الشهادة والرواية ؛ لأن احتمال الحاجة فيهما وارد ، وقد تكون لديه شهادة لا توجد عند سواه ، وقد تكون عنده رواية لا توجد عند غيره ، أما الحاجة إليه لتملك وسائل الإعلام في المجتمع المسلم ، فلا يُتَصور وجودها لا عقلاً ولا شرعاً ، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[2].

المنزلة الثانية: منزلة الكفار:

أصناف الكفر ـ كما بينت سابقاً ـ ثلاثة أصناف ، هي:

---

(١) الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف: د. سيد الساداتي: ص ١٨.

(٢) رواه أحمد (١٧٠٠٥).

المحاربون ـ المرتدون ـ المعاهدون ـ.

١ ـ المحاربون:

وهم الذين بينهم وبين المسلمين حالة حرب ، فهؤلاء مستباحة دماؤهم وأموالهم ، ومن ثم فليس هنا مجال للحديث عنهم ، لأن تملك وسائل الإعلام نوع من الحقوق ، وهو حق لا يشمل مثل هؤلاء بسبب حالة الحرب القائمة بينهم وبين المسلمين، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[1].

٢ ـ المرتدون:

يستتاب المرتد وإلايقتل[2] ، وهذا الصنف ليس أيضاً داخلاً ضمن مجال هذا البحث ، لأن المرتد تسقط حقوقه في المجتمع المسلم ، بل لا يرث ولا يورث ، ولا تحل مناكحته ولا ذبيحته ، فضلاً على أن يكون له حق في ملك وسائل الإعلام.

٣ ـ المعاهدون:

وهم من بيننا وبينهم معاهدة عدم اعتداء كما في صلح الحديبية ، أو معاهدة جوار كما حصل بين الرسول ﷺ في المدينة ، أو معاهدة أمان ، أو معاهدة تعاون دولي ، فهذه المعاهدات لا تعني أن هؤلاء تحت ولاية المسلمين ، أو أنهم يخضعون لحكمهم فيما عدا بنود هذا الاتفاق ، ومن ثم فلا صلة مباشرة لهذا النوع بموضع البحث.

* * *

---

(١) التوبة: ٥. «انسلخ الأشهر»: انقضت أشهر العهد الأربعة. «واحصروهم»: احبسوهم ، أو ضيِّقوا عليهم ، وامنعوهم من التصرف في البلاد.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم على هامش إرشاد الساري: ٧/ ١٦٧ ـ ١٧٢ ، نصب الراية: الزيلعي: ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٦١.

المبحث الثاني:
الجانب السياسي: طبيعته وتأثيره في تحديد نمط الملكية

تمهيد:

الإسلام كل متكامل في نظمه وتشريعاته، ومتميز في كل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وأموره الأخرى كلها، وقد جاء الله بهذا الدين ليكون نظاماً للحياة، ولمن فيها من البشر في صلتهم بربهم وصلاتهم فيما بينهم، وربط الله سبحانه وتعالى بين صلات الناس فيما بينهم وبينه، وصلات الناس فيما بينهم، فجعل هذه طريقاً لهذه، وهذه طريقاً لهذه، ومن ثم فلا فرق في الإسلام في مفهوم العبادة بين أن تصلي لله، وبين أن تؤدي عملاً عسكرياً أو سياسياً على وجه مشروع تبتغي به وجه الله سبحانه وتعالى، فكل ذلك عبادة لله عز وجل، إذ (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[1] فالنظام السياسي في الإسلام جزء من الدين في أحكامه وطبيعته وسماته.

وفي سبيل الخروج بتصور متكامل عن النظام السياسي في الإسلام، وصولاً من ذلك لرؤية واضحة متكاملة عن ملكية وسائل الإعلام من خلال صلتها بالنظام السياسي وأثره في تحديد أنماطها، سوف أستعرض هذا

(١) العبودية: شيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٣٨.

الموضوع من خلال مطلبين ، أحدهما أتناول فيه طبيعة النظام السياسي الإسلامي ، وأثر تلك الطبيعة في ملكية وسائل الإعلام ، والآخر أستعرض فيه أحكام الإمامة وأثرها في ملكية وسائل الإعلام.

وقبل الشروع في هذين المطلبين أعرج على تحديد المدلول اللغوي والاصطلاحي للنظام السياسي في الإسلام:

أولاً: المعنى اللغوي:

ـ السياسة في اللغة من «سوس»[1].

ـ و«سست» الرعية «سياسة» و«سوس» الرجل أمور الناس: إذا مُلّك أمرهم.

«والسَّوْس» الرياسة ، يقال: «ساسوهم» «سَوْساً». وإذا رَأَّسُوه قيل: «سَوَّسُوه» و«أساسوه».

ـ «وساس» الأمر «سياسة»: قام به.

و«السياسة»: القيام على الشيء بما يصلحه ، «والسياسة»: فعل السائس ، يقال: هو «يسوس» الدواب ، إذا قام عليها وراضها ، والوالي «يسوس» رعيته.

ومن هذه التصاريف اللغوية لكلمة «السياسة» يظهر أنها تأتي على معنيين ، هما:

ـ الملك والرياسة ، وتولي الشيء والقيام عليه.

ـ فعل السائس وطريقته وأسلوبه في تدبير ما تولاه.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للسياسة:

يطلق لفظ «السياسة» في الدراسات الحديثة على عدة معان ، (فهي

---

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور ـ مادة «سوس». القاموس المحيط: الفيروز آبادي ـ مادة «سوس».

تستخدم أحياناً بمعنى المواطن الفرد ، وتطلق على صفة المواطن وحقوقه ، أو حياة المواطن بصفته مواطناً ، وقد يقصد بها حياة رجل الدولة واشتراكه في الشؤون العامة ، وكثيراً ما تفهم بمعنى الإجراءات التي تتخذها السلطة العامة ، أو دستور الدولة ونظام الحكم فيها)[1].

والمعنى الأخير من هذه المعاني ، هو الأقرب إلى التعريف الواقعي لمفهوم كلمة السياسة إذا ذكرت مجردة ، وهو أحد المعنيين اللغويين السابق ذكرهما ، أما إذا أضيف إلى كلمة السياسة ، كأن يقال: «النظام السياسي ، أو النظرية السياسية» فإن لها معنى آخر غير ما ذكر ، وقد اختلف في مفهوم هذه المصطلحات (فهي عند بعضهم مجرد تسويغ عام لمطالب السلطة ، وهي عند بعضهم مجموعة أفكار تتعلق بالدولة والحكومة ، أما في رأي البعض الآخر ، فهي على الأصح : معالجة بعض المعضلات التي يخلقها السلوك السياسي بتكرار أنماطه المنسجمة عبر العصور)[2].

فالنظرية السياسية ، أو النظام السياسي في الدراسات المعاصرة يتصل كل منها بتنظيم السلطة ذاتها ، وتحديد وظيفتها وحقوقها وواجباتها.

أما مفهوم السياسة عند علماء المسلمين ، فالأمر أكثر منه وضوحاً في الدراسات الوضعية ، فإن كلمة السياسة تعني في استخدام علماء الإسلام: تنظيم شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، يتضح ذلك من خلال استعراض بعض كتبهم في هذا المجال ، ومنها:

١ ـ **كتاب**: «السياسة الشرعية في اصطلاح الراعي والرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية وقد اشتمل هذا الكتاب على مباحث في موضوعات الولايات والأموال والحدود الشرعية التي يتولى الحاكم القيام بها.

٢ ـ **وكتاب** «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» ، للإمام ابن القيم وقد ضمنه الحديث عن بعض الطرق الشرعية في الحكم والفصل بين الناس

---

(١) المفاهيم الحديثة للأنظمة والحياة السياسية: د. فوزي أبو دياب: ص ١٢.

(٢) قضايا الفكر السياسي «القوة»: د. ملحم قربان: ص ٣١.

مثل الحكم بالأمارات والفراسة والقرائن والقرعة.

ويقسم ابن خلدون أنظمة الحكم إلى ثلاثة أنواع، وهي: الملك الطبيعي والسياسي والخلافة، ويعرف كلاً منها فيقول: (الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسي وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار، والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة)[1].

فابن خلدون في تقسيمه هنا يعبر بـ «السياسي» عن العقلي الاجتهادي، في مقابل النظام الشرعي النصي، أو مقابل النظام القائم على الشهوة والتسلط كذلك، لكن هذا لا يعني أن النص أو الشرع يرفض العقل أو يناقضه، يدل على ذلك تعريف ابن عقيل للسياسة فيما نقله عنه ابن القيم قال: (السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي)[2]، فأقرب ما يدل عليه كلام ابن خلدون عن السياسي، أنه يعني به غير الشرعي الديني، فقط لأنه يبني السياسة في الشريعة الإسلامية، أو يفصل بين معنى «سياسي» و«شرعي»، وأقرب شيء لذلك هو التفريق بين معنى «اجتهاد تراعى فيه المصلحة في ضوء النصوص الشرعية» ومعنى «نصي» أي منصوصاً عليه، فمن الأول التعازير والتنظيمات التي لم ينص عليها الشرع، لكنها متفقة مع دلالات نصوصه، ومن الثاني الحدود المفصلة، مثل حد الزنى وشرب الخمر والردة، وهذا ما يتضح من بقية سياق كلام ابن عقيل، فهو يقول بعد ذلك تعليقاً على قول بعضهم: (لا سياسة إلا ما وافق الشرع، يقول: إن أردت بقولك: إلا ما وافق الشرع، أي: لم يخالف ما نطق به الشرع،

(١) المقدمة: ابن خلدون: ص ١٩١.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم: ص ١٣.

فصحيح ، وإن أردت: لا سياسة إلا ما نطق به الشرع، فغلط وتغليط للصحابة ، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يجحده عالم بالسنن ، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف لكفى ، فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة)[1].

وكل ما سبق ذكره داخل في إطار مفهوم تنظيم شؤون الدولة الداخلية والخارجية.

أما حديث علماء الإسلام عما يعبر عنه بالنظام السياسي أو النظرية السياسية ، فيأتي أثناء كلامهم تحت أبواب الإمامة والخلافة ، وقد ألف في ذلك الكثير من الكتب مثل:

١ ـ **كتاب: ثتبيت الإمامة وترتيب الخلافة**: للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.

٢ ـ **وكتاب: الإمامة**: لسيف الدين الآمدي ، وهو في الواقع جزء من كتاب له بعنوان: (أبكار الأفكار في أصول الدين).

٣ ـ **والأحكام السلطانية والولايات الدينية**: للماوردي.

٤ ـ **والأحكام السلطانية**: لأبي يعلى الفراء.

٥ ـ **وغياث الأمم في التياث الظلم**: لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.

وتعرضوا له في كتب العقيدة والسنة ، مثل:

١ ـ **(كتاب السنة**: لأبي بكر محمد بن هارون الخلال).

٢ ـ **(وكتاب السنة**: لابن مخلد الشيباني).

٣ ـ **(وكتاب السنة**: لعبد الله بن الإمام أحمد).

٤ ـ **وصحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم في كتب مستقلة.**

---

(١) الطرق الحكمية: ابن القيم: ص ١٣.

والإمامة إذا قصد منها الإمامة العظمى فهي والخلافة بمعنى واحد ، قال الإمام القرطبي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]: (هذه الآية أصل في نصب إمام خليفة يسمع له ويطاع ، وتنفذ به أحكام الخليفة)[2] فعطف الخليفة على الإمام ، وهذا العطف إما بيان أو بدل.

وقال الماوردي: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا)[3].

وفي هذا ما يدل على الترابط بين المعنيين ، فالإمام خليفة رسول الله ﷺ ، وهذا هو معنى الخلافة ، أي خلافة الرسول ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا[4].

وقال الإمام الجويني: (الإمامة رياسة تامة ، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدنيا)[5].

وقد استدرك الآمدي على هذا التعريف ، فقال: (وينتقض ذلك بالنبوة ، فالحق أن الإمامة عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص للرسول ﷺ في إقامة قوانين الشرع ، وحفظ حوزة الملة ، على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة)[6].

والإمامة والخلافة غير الملك ، لقوله ﷺ من حديث حذيفة رضي الله عنه: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون فيكم ما شاء الله أن

---

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: ١/ ٢٦٤.
(٣) الأحكام السلطانية: الإمام الماوردي: ص ٣.
(٤) انظر: الأحكام السلطانية: أبو يعلى: ص ٢٧.
(٥) غياث الأمم في التياث الظلم: الإمام الجويني: ص ١٥.
(٦) الإمامة: الآمدي: ص ٦٩.

تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عضوضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرية ، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت»[1] ، ففرق بين الخلافة والملك.

(ويجوز تسمية الخلفاء الراشدين (خلفاء) وإن كانوا ملوكاً ولم يكونوا خلفاء الأنبياء ، بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وستكون خلفاء فتكثر» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» فقوله: «فتكثر»: دليل على من سوى الراشدين ، فإنه لم يكونوا كثيراً ، وأيضاً قوله: «فوا بيعة الأول فالأول» دل على أنهم يختلفون ، والراشدون لم يختلفوا)[2].

المطلب الأول: طبيعة النظام السياسي الإسلامي وأثرها في ملكية وسائل الإعلام:

للنظام السياسي في الإسلام طبيعته الخاصة به ، وهي طبيعة تنبثق من أصول الإسلام ومبادئه القائمة على الإيمان بالله عز وجل وبرسوله ﷺ ، والالتزام بالكتاب والسنة ، وفق منهج سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدِّين ، ولهذه الطبيعة أثر كبير على ملكية وسائل الإعلام ، وحتى نصل إلى معرفة مداخل وحقائق هذه الطبيعة أعرض باختصار ملامح هذه الطبيعة ، ثم أتبعها بما يمكن استنتاجه من أثر لها على ملكية وسائل الإعلام، وألخص هذه الطبيعة من خلال الملامح التالية:

أولاً: الطاعة لله عز وجل:

فالطاعة والسيادة في النظام السياسي الإسلامي هي لشرع الله سبحانه

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ٣٥/ ٢٠.

وتعالى ، فمنه تؤخذ الأحكام ، وإليه يرجع عند التنازع والتخاصم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1] .

وقد بينت هذه الآية أصول الدين في الحكومة الإسلامية ، وهي :

١ ـ **الأصل الأول** : القرآن الكريم ، والعمل به هو طاعة الله تعالى .

٢ ـ **الأصل الثاني** : سُنَّة رسوله ﷺ ، والعمل بها هو طاعة الرسول ﷺ .

٣ ـ **الأصل الثالث** : إجماع أولي الأمر ، وهم أهل الحل والعقد ؛ الذين تثق بهم الأمة من العلماء والرؤساء في الجيش والمصالح العامة كالتجار والصُّنَّاع والزُّرَّاع ، ورؤساء العمال ، والأحزاب ، ومديري الصحف ، ورؤساء تحريرها ، وطاعتهم حينئذ هي طاعة أولي الأمر .

٤ ـ **الأصل الرابع** : عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والأحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة .

فهذه الأربعة الأصول هي مصادر الشريعة .

ولا بد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل المتنازع فيها على الكتاب والسنة ؛ ممن يختارهم أولو الأمر من علماء هذا الشأن .

ثانياً : مبدأ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر :

فهي ليست قائمة على مفاهيم المادة ، فلا تؤمن إلا بالمحسوس ، أو لا ترى إلا في إطار هذه الحياة الدنيا ، وإنما تعتبر الدنيا ممراً ومعبراً للآخرة ، قال سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ

(١) النساء : ٥٩ .

كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

ومن لوازم هذا المبدأ أن تكون خاضعة لمفهوم الثواب والعقاب الأخروي قبل الدنيوي، الحاكم فيها والمحكوم على حد سواء، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»[2].

ثالثاً: العلاقة فيما بين الحاكم والمحكوم قائمة على أساس من مبدأ الجسد والبنيان الواحد:

وهذا مقتضى رباط الإيمان الذي يربط بين الحاكم والمحكوم، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، وفي هذا يقول ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3] وقال ﷺ: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه[4].

فهي علاقة ودٍّ ورحمة وإحسان متبادل بين الطرفين، ومن هذه العلاقة يتضح الفرق الجلي بين الحكومة الإسلامية والحكومة الليبرالية، التي تقوم على مبدأ يفترض حالة من العداء بينها وبين بقية الشعب، ولهذا أكدت على ضمان سبل مواجهة الأفراد سلطان الحكومة، ووضعت لذلك النظم والقوانين التي تنظم حق الانتخاب والتجمع والمظاهرات، ومن ذلك ملكية وسائل الإعلام.

وطاعة الحاكم مرهونة بالتزامه حقوق الله تعالى وحقوق الرعية؛ عندها

---

(١) الحج: ٣٩ ـ ٤١.
(٢) رواه البخاري (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢).
(٣) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).
(٤) رواه البخاري (٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥).

يجب له على الرعية حقان: الطاعة والنصرة. وذلك مالم تتغير حاله: من جَرْح في عدالته، أو نقص في بدنه ـ بخلاف ـ، أو إسناد أعماله إلى فُسَّاق.

رابعاً: المبدأ السياسي الذي يحدد صلة الفرد بالدولة في الإسلام هو مبدأ (الطاعة لأولي الأمر الذين لهم بيعة نافذة، ما لم تكن في معصية الله) حتى عدَّه العلماء أصلاً من أصول الإسلام[1].

فليست قائمة على أساس المعارضة السياسية، أو المنافسة الحزبية ـ كما هو الشأن في النظم الليبرالية ـ وليست قائمة على الطاعة العمياء، والولاء المطلق من أي قيد ـ كما هو الشأن في النظم التسلطية والشيوعية.

خامساً: في دولة قائمة على الشورى:

وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ: (والمشاورة أحد أصول السياسة الدينية، بل هي أهم قواعدها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2] ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[3]، وهذا من أهم ما فرضه الله على المؤمنين في إصلاح وتدبير أمورهم الكلية، وله من الفوائد ما لا يحصى، وقد اتفق العقلاء على أن الطريق الوحيد للصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى)[4].

سادساً: أنها تستوعب جميع الناس على اختلاف أديانهم:

فحق الرعاية في الدولة الإسلامية للمسلمين ولغيرهم ممن هو داخل في

---

(١) انظر: أصول السنة: الإمام أحمد بن حنبل: ص ٤٢.
أصول أهل السنة والجماعة: الإمام أبو الحسن الأشعري تحقيق د. محمد السيد الجليند: ص ٩٢.
الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٥/ ٨ ـ ٩.

(٢) الشورى: ٣٨.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) السياسة الشرعية: الشيخ عبد الرحمن السعدي: ص ١٦ ـ ١٧.
وانظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: شيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٢١٣ ـ ٢١٥.

ذمتهم من الكفار ، ولكل الأجناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ، فليست دولة مغلقة على فئة معينة ، أو عنصر من البشر ، كالشيوعية واليهودية ، فالدولة الإسلامية تضمن لكل مواطنيها حقوقهم كاملة ما لم يخلوا بواجباتهم ، ويخرجوا عن المنهج والنظام العام.

سابعاً: حقوق الناس في الدولة الإسلامية مرتبطة بالدين الذي يعتنقونه:

إذا جاز أن نقسم الحقوق إلى قسمين: حقوق خاصة مثل التكسب والتملك والمتاجرة، والتدين وحفظ الحرمات الشخصية في العرض والحياة الخاصة ، وحقوق عامة ، وهي المتعلقة بالأمة والمجتمع ، مثل الولايات والاستشارة ، وما يتعلق بمصالح الناس كافة من أمور سياسية أو إدارية أو نحو ذلك ، فإن المسلم يتمتع بحقوقه الخاصة والعامة ، ما لم يجرح عدالته فتتأثر حقوقه العامة بذلك ، أما الذمي فإن له حقوقه الخاصة ، لكنه لا يتمتع بالحقوق العامة ، كالولايات الشرعية ، والاشتراك في اختيار الإمام ، وتملك وسائل الإعلام.

ثامناً: أن الإمامة بمثابة الخلافة عن الرسول ﷺ في أمته:

قال الماوردي ـ رحمه الله ـ: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[1] ، وهذا يضفي عليها منزلة وشرفاً ، ومسؤولية أمام الله عز وجل ، كما يحدد إطار ممارستها وأسلوب أدائها ، ويضبطه بهدي رسول الله ﷺ.

وقد ركَّز ابنُ خلدون في «مقدمته» على دراسة الطبائع البشرية، والعمران، وأنظمة الحكم والسلطان ، وذلك لفهم التاريخ واستخلاص العِبر ، وعقد فصولاً مطوَّلة خاصة بمعنى الخلافة وشروطها. ومما قاله في معنى الخلافة: وأحكام السياسة إنما تختصُّ بمصالح الدنيا فقط ، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم ، فوجب بمقتضى الشرائع حَمْل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم. وكان هذا الحكم لأهل الشريعة ، وهم

(١) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٣.

الأنبياء ، ومَنْ قام مقامهم ، وهم الخلفاء ، فالخليفة يخلف صاحب الشرع في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا .

تاسعاً: أن مهمة الإمام مهمة تنفيذية ، ينفذ ما شرعه الله سبحانه وتعالى؛ وشرعه رسوله ﷺ وصلاحياته في هذا الجانب صلاحيات مطلقة وكاملة :

يتضح هذا من استعراض واجبات الإمام التي ذكرها العلماء ، فهي تشمل تعيين القضاة والوزراء ، وعقد الألوية ، وتسيير الجيوش ، كما تشمل حماية الدين ونشر العدل ، وإقامة الحدود ، والانتصاف للمظلومين ، وغير ذلك من الولايات والواجبات ، فـ (النظام الإسلامي يعتبر الخليفة مسؤولاً مسؤولية كلية عن تطبيق الشريعة)[1] .

ولهذه الملامح أثرها على طبيعة ملكية وسائل الإعلام ، فلها أثرها في حق الحكومة في تملك وسائل الإعلام ، كما أن لها أثرها في حق أفراد المجتمع وهيئاته في تملك هذه الوسائل ، فقيام الدولة في الإسلام على مبدأ الطاعة لله عز وجل ، والإيمان برسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر ، يجعل العلاقة بينها وبين الناس محكومة بنظر الشرع لا بهدي السلطة ورغبتها، ولا بضغط الرأي العام وسطوته ، وبهذا يلغى مبدأ التسلط الذي قادت به النظم التسلطية سيطرتها على وسائل الإعلام ، وقادت به النظم الليبرالية حرمات الدولة من تملك وسائل الإعلام خشية تمكنها من التسلط[2] ، ويتأكد بدلاً منه مبدأ الحقوق المشتركة بين الدولة وأفراد المجتمع وفئاته ، فيكون للدولة حقها الذي لا يلغي حق الأفراد ، وللأفراد حقهم الذي لا يلغي حق الدولة .

ويضفي على هذا الحق المشترك في قوته ونقائه واستمراره ، روح المودة المشتركة والحب القائم بين الحكومة وأفراد المجتمع الذين يجمعهم رباط الإيمان ، والولاء والطاعة القائمة على أساس من طاعة الله عز وجل .

---

(١) نظام الحكم في الإسلام : د. محمد النعمان : ص ٤٦٤ .

(٢) انظر : حرية الرأي في الميدان السياسي : أحمد جلال حماد : ص ٧٣ .

كما ترسم تلك الطباع معيار الممارسة الإعلامية المحكوم بشريعة الله وهدي رسوله ﷺ. سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الأفراد والهيئات الاجتماعية ، وتؤكد حق الدولة في الرقابة على وسائل الإعلام كجزء من مهمتها في تطبيق شرع الله وحمايته ، والمحافظة على دين المجتمع وأخلاقه.

المطلب الثاني: أحكام الإمامة وأثرها في ملكية وسائل الإعلام:

تكلم العلماء عن أحكام الإمامة في كثير من كتبهم على نحو ما بينته في أول المبحث ، وتمثل أحكام الإمامة ما يعبر عنه في الدراسات المعاصرة بفلسفة النظام السياسي ، وهي على صلة وثقى بملكية وسائل الإعلام ـ كما ظهر عملياً أثناء دراسة الأنظمة الوضعية في الفصل الأول ـ وسيتبين مزيد من تلك العلاقة فيما يأتي ـ إن شاء الله ـ.

وسوف أتناول فيما يلي أهم ما ذكره العلماء عن تلك الأحكام في ضوء ما يلي:

ـ حكم الإمامة وطرق انعقادها ، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام.

ـ شروط الإمام وواجباته ، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام.

ـ حقوق الإمام ، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام.

أولاً: حكم الإمامة وطرق انعقادها ، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام.

١ ـ حكم عقد الإمامة:

قال الإمام القرطبي في حكم عقد الإمامة: (ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ، إلا ما روي عن الأصم[1] حيث كان عن الشريعة أصم).

---

(١) الأصم: من كبار المعتزلة ، واسمه أبو بكر ، وقد قال: ـ كما يذكر الإمام القرطبي ـ وإنما الإمامة غير واجبة في الدنيا بل يسوغ ذلك ، وإن الأئمة متى أقاموا حجهم وجهادهم وتناصفوا فيما بينهم ، وبذلوا الحق من أنفسهم وقسموا الغنائم والفيء ، =

ودليل وجوبها القرآن والسنة والإجماع.

فمن القرآن آيات أولي الأمر، ومنها ما سماها شيخ الإسلام بـ (آية الأمراء)[1]، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2].

ووجه الدلالة من الآية: أمر الله سبحانه لأولي الأمر بأداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس، وأمره سبحانه الناس بطاعتهم[3].

ومن السنة الأحاديث الواردة في البيعة والجماعة، وطاعة أولي الأمر من الأمراء في المَنْشَط والمَكْرَه، ونصيحتهم والجهاد معهم، وأحاديث الصبر ولزوم الجماعة، ومنها حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا بيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[4].

(وأجمعت الصحابة على تقديم الصدِّيق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين، حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك، وقالوا لهم: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، وردوا لهم

= والصدقات على أهلها، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه أجزأهم ذلك، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إماماً يتولى ذلك. قلت: وهذه مشاغبة عقلية، وإلا فهل الوصول إلى هذه الحالة ممكن عقلاً أو حساً؟

(١) السياسة الشرعية: ابن تيمية: ص ١٢.

(٢) النساء: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) انظر: الإمامة: الآمدي: ص ٧٣ ـ ٧٥.

(٤) رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢).

الخبر في ذلك ، فرجعوا وأطاعوا لقريش ، فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها ، ولقال قائل: إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرها ، فما لتنازعهم وجه ولا فائدة في أمر ليس واجب)[1].

ونخرج من هذا بأهمية الدولة في الإسلام ، وأنها من مهمات الدين وفرائضه ، وذلك راجع لمنافعها في إقامة الدين وحماية الأعراض والأنفس والأموال ، فليست شراً لابد منه ـ كما تقول الليبرالية ـ وليست واجباً مرحلياً للوصول إلى جنة الشيوعية ـ كما يقول الشيوعيون ـ ولهذا فإن منزلتها هذه في الدين تجعل لها حقوقاً وعليها واجبات ، تمليها طبيعة المنافع التي تحققها والمصالح التي ترعاها والواجبات التي تقوم بها ، وهذا يعد مدخلاً من مداخل حقها في تملك وسائل الإعلام ، والإشراف عليها.

٢ ـ طرق انعقاد الإمامة:

ذكر الإمام القرطبي أن طرق عقد الإمامة أربعة:

أحدها: النص وقيل: بنص أبي بكر الصديق رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده ، وألحق به قول من قال بعهد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الثاني: أن ينص المستخلف على جماعة ، كما فعل عمر رضي الله عنه ، ويكون التخيير إليهم في تعيين واحد منهم.

الثالث: إجماع أهل الحل والعقد على اختيار رجل من المسلمين ؛ ممن تتوافر فيه شروط الإمامة ليكون إماماً على المسلمين.

الرابع: إن تغلب من له أهلية وأخذها بالقهر والغلبة ، فقد قيل: إن ذلك يكون طريقاً رابعاً)[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: ١/ ٢٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: ١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

وقال الآمدي والماوردي وأبو يعلى بأن لعقد الإمامة طريقين: الاختيار والعهد[1].

وقال الإسفراييني: (إن طريق عقد الإمامة في الإمامة: الاختيار بالاجتهاد)[2].

وبالتأمل في جميع هذه الأقوال، فإنني لا أجد بينها اختلافاً، وإنها ترجع إلى ما قاله الإسفراييني من أن طريق عقد الإمامة ـ سوى طريق تغلب من له أهلية باعتبارها حالة خارجة عن إرادة الأمة ـ أنها طريق واحد، وهو الاختيار وذلك أن الذين قالوا بطريقي الاختيار أو العهد، أرادوا بالاختيار اختيار أبي بكر وعثمان وعلي، وأرادوا بالعهد عهد أبي بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تم العهد إلى عمر رضي الله عنه بالاختيار والاجتهاد ومشورة الصحابة، فقد استشار أبو بكر رضي الله عنه عثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة في تولية عمر من بعده[3].

واشترط بعض العلماء رضا أهل الحل والعقد بولاية العهد؛ على فرض عدم استشارتهم، وإن كان الماوردي ـ رحمه الله ـ قال بصحة انعقاد البيعة وأن الرضا بها غير معتبر[4]، إلا أنه عاد فقال بعد أن ذكر خبر ولاية عمر رضي الله عنه العهد من بعده للستة يختارون أحدهم، قال: (فكانت الشورى التي دخل أهل الإمامة فيها وانعقد الإجماع عليها أصلاً في انعقاد الإمامة بالعهد)[5].

وكلامه الأول معارض بأقوال ثابتة عن بعض الصحابة وبعض العلماء، منها ما قاله عمر رضي الله عنه تعليقاً على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية: الماوردي: ص٦. والأحكام السلطانية: أبو يعلى: ص٢٣.
(٢) الفرق بين الفرق: الإسفراييني: ص٣٤٩.
(٣) يراجع: الطبقات الكبرى (بيروت دار صادر): ابن سعد: ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٤) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص١٢.
(٥) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص١٦.

قال: (وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه خشية أن يقتلا)[1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإمامة تثبت ـ للإمام ـ بمبايعة الناس له، لا بعهد السابق له)[2].

وقال أبو يعلى: (ويجوز للإمام أن يعهد إلى إمام بعده، ولا يحتاج إلى شهادة أهل الحل والعقد، وذلك لأن أبا بكر عهد إلى عمر رضي الله عنهما، وعمر عهد إلى ستة من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعتبروا في حال العهد شهادة أهل الحل والعقد، وإن عهده إلى غيره ليس بعقد للإمامة، بدليل أنه لو كان عقداً لها لأفضى ذلك إلى اجتماع إما في عصر واحد، وهذا غير جائز، وإذا لم يكن عقداً لم يعتبر حضورهم، وكان معتبراً بعد موت الإمام العاقد[3]، فاعتبار حضور أهل العقد والحل وشهادتهم عند إمضاء العهد بعد وفاة العاهد، متضمن شرط رضاهم به، وموافقتهم على مبايعته.

أما تقسيم الإمام القرطبي، فهو متفق من حيث الجملة مع القول السابق وما ذكره من صور إنما هي أوجه للصورة السابق ذكرها، ما عدا الطريق الرابع الذي هو حالة أشبه ما تكون بحالة الضرورة وتغليب المصلحة، فمشروعيتها من هذا الباب لا غير.

فقد قسم ـ رحمه الله ـ الولاية بالعهد التي ـ وهي يسميها الولاية بالنص ـ قسمين: أحدهما: العهد إلى واحد كعهد أبي بكر إلى عمر رضي الله عنهما، والآخر: العهد إلى جماعة يختارون من بينهم أحدهم؛ كما فعل عمر مع الستة الذين جعل الخلافة فيهم فاختاروا من بينهم عثمان رضي الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الحدود: باب رجم الحبلى إذا زنت (٦٨٣٠).
(٢) منهاج السنة: ابن تيمية: ١/ ١٤٢.
(٣) الأحكام السلطانية: أبو يعلى: ص ٢٥.

عنهم ، وإذا قلنا: أن هذه الولاية تمت بمشاروة واجتهاد ، فيكون إلحاقها من هذا الباب بطريقة الاختيار التي ذكرها الإسفراييني ، فتكون الصورة واحدة ، مع عدم الإنكار بأن الرأي الأخير ـ كما يظهر من خبر طريقة ولاية العهد لعمر من قبل أبي بكر ، وجعل عمر الأمر من بعده في الستة رضي الله عنهم ـ في إسناد الولاية كان للخليفة القائم ، فمن هذا الجانب يحمل قول من قال بأن طرق انعقاد الإمامة: اثنتان: العهد والاختيار ، والله أعلم.

وعلى كلا الحالين: فالذي يتولى ذلك هم أهل الحل والعقد من الأمة ، وهم أمراؤها وعلماؤها ووجهاؤها وأهل الرأي فيها ، لا عامة الناس وسوقتهم ، كما تعمل النظم الديمقراطية ـ حيث تتحول أعظم مهمات الأمة سبيلاً للمهاترات الصبيانية ، والاستغلال العاطفي ، والتهييج الشعبي ، ورهناً لرغبات الناس ومصالحهم الخاصة ، وطريقاً للتلاعب بعقولهم وعواطفهم ، واستغلالاً لقوة الرأي العام التي تتلاعب بها وسائل الإعلام الحزبية بما يخدم توجهاتها وأهدافها ، فتجعل لها الأبيض أسود ، والأسود أبيض ، والحق باطلاً ، والباطل حقاً.

وهذا الأمر سائد في كثير من الدول والمجتمعات ، حيث تتغير الحقائق ، وتنقلب الأمور ، وكان اللهُ في عون الجماهير.

ففي النظام السياسي الإسلامي ، وفي هذه الحالة ، لا خوف من تملُّك الحكومة وسائل الإعلام ، لأنها حينئذ لا تستخدم لاستمالة الناس لحزب أو فريق ، بل الأمر في يد أهل الحل والعقد ، وهم الذي يحددون مستقبل الأمة وقيادتها ؛ لأنهم العقلاء والعلماء والحكماء.

ثانياً: شروط الإمام وواجباته وحقوقه وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام:

١ ـ شروط الإمام:

الإمامة أعلى منصب في الأمة ، ومن كان في هذا المقام فلابد أن يكون حائزاً على أكمل الصفات وأجَلّ الكمالات ، لأنه موضع الاقتداء

والمسؤولية ، وهي مسؤولية عظيمة ، لذلك تسمى ولايته بـ (الإمامة الكبرى والإمامة العظمى) ، وقد وضع العلماء له شروطاً ، اختلفوا في عددها ، غير أنهم متفقون على أهميتها ، ولأن هذا البحث ليس بحثاً في استقصاء هذه الشروط ، فأكتفي بذكر المتفق عليه منها كما ذكر الآمدي ، وهي ثمانية أذكرها مختصرة كما يلي :

(الأول : أن يكون مجتهداً في الأحكام الشرعية .

الثاني : أن يكون بصيراً بأمور الحرب وترتيب الجيوش وحفظ الثغور .

الثالث : أن يكون له من قوة البأس وعِظَم المِراس ما يجعله يسعى لإقامة الحدود الشرعية ، وإنصاف المظلومين من الظالمين من غير غضاضة .

الرابع : أن يكون عاقلاً مسلماً عادلاً ثقة ، ورعاً في الظاهر حتى يوثق بأخباره ، وبما يصدر عنه من أفعاله .

الخامس : أن يكون بالغاً لأنه يكون أكمل عقلاً وهيبة وتجربة ونظراً .

السادس : أن يكون ذكراً .

السابع : أن يكون حراً .

الثامن : أن يكون مطاع الأمر ، نافذ الحكم في محل ولايته ، مقتدراً على زجر من خرج عن طاعته)[1] .

ومن مجموع هذه الشروط يتبين سمو النظام السياسي الإسلامي ،

---

(١) الإمامة : الآمدي : ص ١٧٦ ـ ١٧٨ ، وانظر : الأحكام السلطانية : الماوردي : ص ٥ ، الفرق بين الفرق : الإسفراييني : ص ٣٤٩ .
وذكر ابن خلدون في مقدمته ص (٢٤١ ـ ٢٤٤) خمسة شروط للخليفة ، وهي العلم ، والعدالة ، والكفاية ، وأن يكون سليم الحواس والأعضاء ، والنسب . واعتبر الشرط الأخير مختلفاً فيه . كما توسَّع الماوردي في هذه الشروط فجعلها سبعة (الأحكام السلطانية ص ٦) وزاد عليها القلقشندي في (مآثر الإنافة ١/ ٣١ ـ ٣٩) خمسة شروط وهي : الذكورة ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والإسلام . وانظر تفسير القرطبي ، حيث جعل الشروط أحد عشر شرطاً (١/ ٢٧٠) .

وتحريه للكمال ؛ الذي يرجع بالمصالح العامة لمجموع الأمة في معاشها وحياتها.

كما يتضح أيضاً الفرق بين الإسلام والنظم الأخرى المادية التي تهمها المصالح المادية البحتة بالدرجة الأولى ، حيث تركز على القدرات والمهارات الشخصية.

فصاحب الولاية العظمى في الأمة هو صاحب أكبر مسؤولية ، ومن ثم فلابد أن يكون أكثر نصيباً في معالي الأمور وكريم الصفات ، وهذه الصفات بمثابة الضمانات التي تجعل نظرة الإسلام معتدلة بعيدة عن جور الأنظمة التسلطية والشيوعية ، وغلو النظرة الليبرالية في مفهومها للسخرية والموقف من الحكومة ، فالحاكم المسلم له مكانته السامية ، وله حقوقه الكبيرة على الأمة التي تفرضها طبيعة مهمته ومكانتها من الدين ، كما أن عليه واجباته تجاه الأمة وأفرادها.

ومن خلال تلك الصفات يتأكد ما سبق أن قلته عن حق الدولة في تملك وسائل الإعلام ، لأن مَنْ هذه صفاته سيكون محلاً لثقة الناس وولائهم ، وأهلاً لأن يؤتمن على توجيه الناس وقياداتهم ، فليست الصفات المطلوبة فيمن يحق له تملك وسائل الإعلام بأشمل ولا أعظم من هذه الصفات.

لكن لو لم يأت الإمام بطريق الاختيار ، بمعنى أن يأتي بطريق الغلبة والقهر ، وهو طريق يأخذ شرعية إذا خيف الهرج والفساد ، وتعطيل الأمور التي لأجلها ينصب الإمام»[1]. حيث لم يمكن تحقيق كل هذه الصفات أو أكثرها فيه ، فهل يحق له تملك وسائل الإعلام حينئذ؟

أسهل إجابة عن هذا السؤال هي: أن من فرض نفسه بالقوة إماماً على الأمة ، لا يمكن أن يقال: هل يحق له تملك وسائل الإعلام أو لا يحق ، لأنه قدر على ما هو أكبر منها ، فمن باب أولى أن يقدر على تملكها ولو قيل له (لا).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: ١/ ٢٧١.

وهذا الأمر وارد ـ ليس في النظام السياسي الإسلامي ـ بل حتى في الأنظمة الليبرالية ، فلو استطاع حاكم ليبرالي جاء بالانتخاب أن يحول نظام الحكم لصالحه ، أو حصل انقلاب في دولة ديمقراطية ، وألغي بموجب ذلك الحكم الديمقراطي، فإنه لن يقال له حينئذ: لا يحق لك تملك وسائل الإعلام ، لأنه سيطر على ما هو أكبر منها بطريقته الخاصة التي فرضها على الجميع ، وأقرب مثال على ذلك نابليون فإنه جاء بطريق الانتخاب ، ومثله هتلر ، فهو كذلك جاء بطريق الانتخاب الديمقراطي ، لكنه لما غير فلسفة النظام تغيرت معه تطبيقاته المختلفة بما فيها ملكية وسائل الإعلام ولم تستطع الملكية الفردية لوسائل الإعلام القائمة وقتئذ أن تمنع حدوث هذا التحول من الديمقراطية إلى التسلط والسيطرة ، ولهذا فغاية مافي الليبرالية أنها تعسفت في القول بمنع حكوماتها من تملك وسائل الإعلام ، لا أنها قدمت ضمانات حقيقية كالتي في النظام الإسلامي ، وهي ضمانات الصفات الإيمانية في الأفراد والمجتمع والدولة ، والرقابة الذاتية التي تفرضها حقيقة الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر.

وهناك فرق آخر مهم بين ما حدث في التاريخ الإسلامي من حكم بالغَلَبة ، وما حدث أو ما يمكن أن يحدث في النظم الديمقراطية الليبرالية ، وهو أن الذين تولوا بالغلبة في الإسلام من حكام المسلمين ، حافظوا على جوهر الإسلام ، وهو إقامة الدين والعدل ، والجهاد في سبيل الله ، ونصرة المظلومين ، والمحافظة على ضروريات الناس الخمس ، الدين والعرض والمال والنفس والعقل ، وبهذه الجوانب التي حافظوا عليها ضمن الإسلام مشروعية ولايتهم.

٢ ـ واجبات الإمام:

قلت قبل قليل: إن الإمامة في الإسلام منزلة عظيمة ، ومكانة سامية لها هدفها ومسؤولياتها الجسيمة.

ولذلك فمن يكون في هذا المنصب يجب أن يكون في مستوى هذا

السمو ـ كما توضح الشروط السابق ذكرها ـ وتلك الشروط إنما جاءت بسبب طبيعة المسؤوليات والواجبات المنوطة به كإمام للمسلمين ، فليست مهمته مهمة يصلح فيها كل أحد ، بل هي من عزائم الأمور ، وأجلِّها ، فالإمام رمز الدولة الإسلامية ، ولهذا فكل مهام الدولة منوطة به ، وواجباته هي واجباتها .

وقد ذكر العلماء جملة من الواجبات التي يقوم بها الإمام نيابة عن رسول الله ﷺ في أمته ، هي جماع ما تحتاجه الأمة في حياتها وما يقرب بها إلى ربها في معادها ، ومن خلال هذه الواجبات يمكن تلمس موقع وسائل الإعلام في الدولة الإسلامية .

وجماع ما يذكره العلماء في هذا الباب ما ذكره أبو يعلى الفراء ، قال :

(ويلزم الإمام من أمور الأمة عشرة أشياء :

أحدها : حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة ، فإن زاغ ذو شبهة بيَّن له الحجة ، وأوضح له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأمة ممنوعة من الزلل .

الثاني : تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم ، حتى تظهر النصفة ؛ فلا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم .

الثالث : حماية البيضة ، والذب عن الحوزة ، ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين .

الرابع : إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من الإتلاف والاستهلاك .

الخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً ، ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد .

السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة ، حتى يسلم أو يدخل في الذمة .

السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عسف .

الثامن: تقدير العطاء وما يستحق من بيت المال من غير سرق ولا تقصير فيه ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع: استكفاء الأمناء ، وتقليد النصحاء فيما يفرضه إليهم من الأعمال ، أو يكله إليهم من الأموال ، لتكون أعمالهم مضبوطة ، والأموال محفوظة .

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور ، وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة ، وحراسة الملة؛ ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ، ويغش الناصح ، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[1] فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة ، وقد قال النبي ﷺ: «كلكم راع فمسؤول عن رعيته»[2][3].

قال الشيخ محمد الخضري في (إتمام الوفاء ص ٣١ تحقيق يوسف بديوي وزميله): والواجب عليه أن يكون الشرع قائده ، لا ينحرف يمنة ولا يسرة عما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، وسُنَّة رسوله ﷺ العادلة الصحيحة ، وإجماع أئمة المسلمين في العصر الأول ، فإنْ فعل ذلك ، واهتدى بهدي مَنْ هو خليفة عنه ، وهدي خلفائه الراشدين ، كانت مرتبته مرتبة الصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً ، وكان من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله .

---

(١) صٓ: ٢٦ .

(٢) رواه البخاري (٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩) .

(٣) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٢٧ ـ ٢٨ .

هذه مجمل الواجبات الملقاة على عاتق الدولة في الإسلام وولي أمر المسلمين فيها ، وبالتأمل فيها يمكن الخروج بعدد من النتائج والمسائل ذات الصلة بموضوع البحث ، ومنها:

المسألة الأولى: أن هذه الواجبات تمثل جماع ما تحتاجه الأمة ، سواء في دينها أو في دنياها ، وسواء في علاقات أفرادها بعضهم ببعض ، أو في علاقتهم بغيرهم من الأمم ، فهي واجبات كلية تدخل فيها كل الواجبات الإنسانية ، فليست واجبات محدودة كما في الليبرالية ، مما يستدعي أن يكون في مقابل هذه الواجبات حقوقٌ وصلاحيات تتناسب معها.

المسألة الثانية: أن ما تقوم به وسائل الإعلام في النظم الديمقراطية من محافظة على الحريات والحقوق ، ونشر للمعرفة وتنمية للفكر ، ومن وظائف اقتصادية واجتماعية وغيرها ، هي من واجبات الدولة الإسلامية بل جزء منها.

المسألة الثالثة: لو تتبعنا هذه الواجبات واحداً واحداً ، فإننا سنجد أن واجباً واحداً منها فقط ، يكفي أن يكون مسوِّغاً لتملك الدولة وسائل الإعلام ، فكيف بها جميعاً؟

المسألة الرابعة: من الواجبات التي تعد مدخلاً لتملك الدولة وسائل الإعلام الواجب الأول المتعلق بحفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة ، فبناء التوجه الفكري للأمة والمحافظة عليه ، مهمة وواجب من واجبات الدولة ، ولاشك أن وسائل الإعلام عامل أساس في تحقيق ذلك.

كذلك الواجبان الثالث والسادس المتعلقان بحماية دولة الإسلام وإقامة الجهاد إعلاءً لكلمة الله عز وجل ، فهما من الواجبات التي تستلزم الدعم المعنوي للأمة ، والجهاد كما يكون بالمواجهة العسكرية ، يكون كذلك بالكلمة الداعية والحجة الدافعة التي تفند دعوى الخصم ، وترفع معنويات الجند وتسطر أمجاد الأمة.

المسألة الخامسة: أن هذه الواجبات السابق ذكرها واجبات مشتركة بين الدولة والأفراد في الإسلام ، وعلى سبيل المثال: فحماية الدين على أصوله واجب من واجبات الدولة ـ كما مر ـ وهو كذلك واجب فردي على علماء الأمة وأفرادها كلٌّ بحسبه[1].

والجهاد كذلك لا يقوم به الإمام وحده ، بل الأمة في ذلك كلها عون له ، وقد عد العلماء من صور الجهاد العيني (إذا استنفره الإمام)[2] ففي هذه الحالة يجب الجهاد على من يشملهم الاستنفار.

ومن ذلك أيضاً أعمال الحسبة ؛ فإنها من الواجبات المشتركة بين الحكومة والأفراد[3].

ومن هذه وتلك ، فإن معنى القول بأن الدولة أولى بتملك وسائل الإعلام من غيرها ، هو من باب تقرير هذا الحق وتأكيده ، وإلا فإن الأفراد يقومون في المجتمع الإسلامي بكثير مما هو مقرر من واجبات الدولة في المجتمع ، باعتباره في حق الدولة واجباً عينياً ، وفي حقهم كأفراد واجباً كفائياً ، وقد يتعين في بعض الحالات.

المسألة السادسة: أن الدولة في الإسلام تقوم على رعاية دين الناس وحقوقهم أكثر من قيامهم أنفسهم عليها ، وتمارس مهمتها في ذلك من باب الواجب العيني ، لا الواجب الكفائي ، وهذا فارق كبير بينها وبين الحكومة في النظم الليبرالية ، فضلاً عن النظم التسلطية.

٣ ـ حقوق الإمام:

في إطار سمو منزلة الإمامة من الدين ، وفي مقابل تلك الشروط والواجبات المنوطة بالإمام ، فإن الله سبحانه وتعالى شرع في كتابه وعلى

---

(١) انظر: ثالثاً: أثر منازل الناس في الإيمان على تملكهم وسائل الإعلام.

(٢) حاشية الروض: ابن قاسم: ٤/ ٢٥٧.

(٣) وذلك وفق ضوابط الأمر المعروف والنهي عن المنكر المعلومة ، انظر: الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٣١٥.

لسان رسوله ﷺ حقوقاً تجب للإمام على رعيته ، ويلخص الماوردي هذه الحقوق بعد ذكره لواجبات الإمام بقوله: (وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة ، فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله)[1].

ومما ما يذكره العلماء إضافة لما سبق من الحقوق: النصيحة ، والجهاد معه ، والصلاة خلفه ، وأداء الزكاة له ، والدعاء له ، وعدم الخروج عليه أو قتاله ، وفي ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

في باب الطاعة قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[3].

وقال أبو عبد الله ، إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ لابن الكلبي والمظفر رسولي الخليفة المعتصم:

(أرى طاعته في العسر واليسر ، والمَنْشَط والمَكْرَه ، والأثَرَةِ ، وإني لآسف عن تخلفي عن الصلاة جماعة ، وعن حضوري الجمعة ، ودعوة المسلمين ، وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار والتأييد وأرى ذلك واجباً عليَّ)[4].

وفي النصيحة قوله ﷺ: «الدين النصيحة ـ ثلاثاً ـ قلنا: لمن؟ قال: لله

---

(١) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٢٤.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) رواه البخاري (٧١٤٤). وأبو داود (٢٦٢٦) والترمذي (١٧٠٧) والنسائي (٧/ ١٦٠) وابن ماجه (٢٨٦٤).
(٤) السنة: ابن الخلال: ص ٨٢ ـ ٨٣.

ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

وفي تحريم الخروج عليه ونزع اليد من طاعته، حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية...» الحديث[2].

أما إذا خرج الإمامُ عن حَدِّ الشرع، بأن ظلم، أو استأثر بالحقوق، أو فسق بشرب الخمر، أو ترك الصلاة مثلاً، فالواجب على المسلمين القيام بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، لا تأخذهم في ذلك لومةُ لائم، بشرط ألا يؤثر ذلك في طاعته شيئاً. فلا يجوز الخروجُ عليه، وإشهار السلاح في وجهه أبداً مهما استأثر أو فعل، إلا إذا ظهر منه كفرٌ صريحٌ لا تأويل فيه، وهنا لا إمامة له ولا طاعة، بل يجب على كل مسلم القيام ضده حتى يبوء بالخزي والنكال.

وهذه الحقوق لازمة لكل إمام للمسلمين، براً كان أو فاجراً، ما لم يكن كفر بَوَاحٌ، لا تسقط بفسقه وجَوْره، ولا تجب للبر دون غيره، وهذا ما استقر عليه مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الموقف الصحيح بلا ريب، المبني على الكتاب والسنة[3].

* * *

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٦٣) وأبو داود الطيالسي (١١٦١) وأحمد (١٧٣٠٢).

(٣) انظر مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٥/ ٢٠.

obeikandl.com

المبحث الثالث

الجانب الاقتصادي وتأثيره في تحديد طبيعة الملكية

المطلب الأول: الملكية في الإسلام: حكمها ـ أسبابها ـ تقسيماتها ـ قواعدها.

أولاً: حكم الملكية:

التملك في أصله من الأمور المباحة، بل من الفطرة التي فطر الله الناس عليها حتى يعمر الكون وتقوم الحياة[1]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[3]، والمقصود بالخير هنا: المال[4].

---

(١) انظر: التملك في الإسلام: حمد بن عبد الرحمن الجنيدل: ص ٢٣.

(٢) آل عمران: ١٤، «حب الشهوات»: المشتهيات بالطبع. «المقنطرة»: المضاعفة، أو المحكمة المحصَّنة. «المسوّمة»: المعلَّمة، أو المطهَّمة الحِسان. «الحرث»: المزروعات.

(٣) العاديات: ٨.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٤/ ٥٤٢.

ويقول القرافي في ذلك: (الملك إباحة شرعية في عين أو منفعة تقتضي تمكن صاحبها من الانتفاع بتلك العين أو المنفعة، أو أخذ العوض عنهما)[1].

فلم تكن الملكية في أصلها محل بحث من علماء الإسلام ـ كما هو الشأن في الدراسات والنظريات الوضعية الحديثة ـ كالليبرالية والشيوعية ونحوهما، وذلك على اعتبار أنها مباحة في الأصل، وإنما انصبَّ كلام علماء الإسلام على الأحكام المتعلقة بها، أو بالشيء المملوك ذاته.

وملكية الأشياء (لا تثبت إلا بإثبات الشارع لها وتقديره وهذا أمر متفق عليه بين فقهاء الشريعة الإسلامية، لأن الحقوق كلها ـ ومنها حق الملكية ـ لا تثبت إلا بإثبات الشارع لها وتقديره أسبابها، فالحق ليس ناشئاً عن طبائع الأشياء، ولكنه ناشئ عن إذن الشارع وجعله السبب منتجاً لمسببه، وذلك لأن الأصل أن كل شيء مباح المنفعة بخلق الله، لا يختص به أحد عن أحد إلا بإذن الله حقيقة أو حكماً)[2].

والأشياء التي يمكن تملكها تجري عليها الأحكام الشرعية الخمسة (الوجوب والتحريم والندب والكراهة والإباحة).

ـ فمنها ما يجب تملكه كوجوب تملك الهدي على المتمتع والقارن لمن يجده، ووجوب تملك الرقبة على من تجب عليه كفارة العتق إذا كان واحداً[3].

ـ ومنها ما يحرم تملكه، كالخمر والخنزير وآلات اللهو والربا وأمثال ذلك[4].

---

(١) الفروق: القرافي: ٣/ ٢١٥.
(٢) التملك في الإسلام: حمد الجنيدل: ص ٢٤.
(٣) انظر: الحاشية: ابن قاسم: ٤/ ١٥٧.
(٤) النظر: المقنع في فقه الإمام أحمد: موفق الدين ابن قدامة المقدسي: ص ١٠٨ ـ ١٠٩.
الحاشية: ابن قاسم: ٤/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

ـ ومنها ما هو مندوب كتملك رقبة لإعتاقها تطوعاً.

ـ ومنها ما هو مكروه ، وقد ذكر صاحب الحاشية كراهة الإمام أحمد بيع قرد وشراءه[1] ، والبيع والشراء سببان من أسباب التملك ـ كما سيأتي.

ـ وفيها ما هو مباح ، كتملك الأشياء المباحة من اللباس والطعام والشراب.

ثانياً: أسباب التملك:

أسباب التملك متعددة ، وللعلماء فيها عدة تقسيمات ، كل منها ينطلق من اعتبار معين ، غير أن أبرز هذه الأسباب ينحصر في الآتي:

١ ـ إجراء المباحات والاستيلاء عليها ، ويشتمل على الصيد وإحياء الموات والاحتطاب واستخراج مافي باطن الأرض والغنائم.

٢ ـ العقود الناقلة للملكية ، وتشتمل على المعاوضات المالية ، والتبرعات المالية من بيع وإجارة وهبة ، كما تشتمل على قبول ما يجب دفعه على المعطي في الزكاة والنفقات والنذور والكفارات.

٣ ـ الميراث بحسب الأنصبة الشرعية المستحقة للوارثين.

٤ ـ التعويض ، ويشتمل على ضمان ما يتلفه الإنسان من أموال الغير والدِّية وغيرها.

٥ ـ التولد من المملوك ، مثل نتاج الحيوانات والزروع وغيرها.

٦ ـ التقاط المال بعد تعريفه.

٧ ـ أجرة العمل.

٨ ـ الجهاد وهو سبب في امتلاك الغنائم والأنفال والسَّلَب.

٩ ـ النفقات ، والظفر بجنس الحق ، أو بغير حقه إذا امتنع المدين من الأداء.

---

(١) الحاشية: ابن قاسم: ٤/ ٣٣٦.

١٠ ـ الزراعة والتجارة والصناعة والبيع والشراء ، وكسب ذلك وإنتاجه .

هذه أبرز الأسباب الشرعية للتملك ، وبتطبيقها على ملكية وسائل الإعلام ، فإننا نجد أن وسائل الإعلام يمكن أن تملك عن طريق البيع والشراء ، أو عن طريق الميراث ، وذلك بأن تتحول ملكيتها من المالك الأصلي إلى غيره عن طريق الإرث بأنصبته المقررة شرعاً ، فتملكها داخل ضمن هذه الأسباب باعتبار أنها من الوسائل المباحة في الأصل .

ثالثاً : تقسيمات الملكية :

يقسم العلماء الملكية إلى عدة أقسام انطلاقاً من عدد من الاعتبارات المختلفة ، فيقسم الملك باعتبار محله ، وباعتبار صاحبه ، وباعتبار صورته[١] ، وكل من هذه التقسيمات لها أحكامها الخاصة بها ، وتدل على أوضاع وحالات للملكية متعددة ، وسوف أستعرض فيما يلي بشيء من الاختصار المدلولات الخاصة بكل قسم من تلك الأقسام وفروعها .

١ ـ أقسام الملكية باعتبار محلها :

أي محل الملكية ، وهي خمسة أنواع :

الأول : ملكية العين والمنفعة :

وهي الصورة الكاملة للملكية : فمن ملك عيناً ملك منفعتها إذ المنفعة هي الغاية من التملك ، وتسمى بالملكية التامة : (لأن المالك فيها يملك رقبتها ومنفعتها معاً على وجه الاختصاص ، بغرض الانتفاع بها فيما لم تحرمه الشريعة)[٢] .

الثاني : ملكية العين دون المنفعة :

وهي أن يملك العين شخص ، ويملك حق الانتفاع بها شخص آخر ،

---

(١) انظر : د. عبد الله المصلح : قيود الملكية الخاصة : ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) الملكية في الشريعة الإسلامية : د. عبد الله مختار يونس : ص ١٤ .

وتسمى الملكية الناقصة ، وتأتي هذه الصورة في حالة الإجارة ، إذ تكون العين المؤجرة ملكاً لشخص ، أما الانتفاع بهذه العين من سكنى أو ركوب أو لبس أو غيره فمن حق شخص آخر .

كما تأتي في حالة ما إذا أوصى شخص لآخر بمنفعة عين له : دار أو دابة أو لباس أو غير ذلك ، وذلك لمدة معينة ، ويوصي لشخص آخر غير الأول برقبة هذه العين ، فيكون الثاني قبل انقضاء المدة ، مالكاً للعين دون منفعتها .

الثالث : ملكية المنفعة دون العين :

وهي مقابل الصورة الأولى ، فالمستأجر له حق الانتفاع بالعين المؤجرة لكنه لا يحق له التصرف فيها بسوى ذلك ، كالبيع والهبة ونحو ذلك .

الرابع : ملكية الانتفاع :

وقد فرق العلماء بين ملكية المنفعة وحق الانتفاع ، قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله : (تمليك المنفعة شيء ، وتمليك الانتفاع شيء آخر ، فالأول يملك به الانتفاع والمعاوضة ، والثاني يملك به الانتفاع دون المعاوضة ، وعليها إجارة ما استأجره لأنه ملك المنفعة بخلاف المعاوضة على البضع ، فإنه لم يملكه وإنما ملك أن ينتفع به ، وكذلك إجارة ما ملك أن ينتفع به من الحقوق ، كالجلوس بالرِّحاب وبيوت المدارس والرُّبُط ونحو ذلك ، لا يملكها لأنه لم يملك المنفعة ، وإنما ملك الانتفاع»[1] .

الخامس : ملكية الدين :

(ويتحقق ملك الدين فيما إذا كان لشخص في ذمة آخر مبلغ من المال وجب بسبب من الأسباب الشرعية ، فهو كثمن الشيء المشترى ، وبدل القرض المقترض ، ولا يسمى ديناً إلا إذا كان المبلغ التزاماً في الذمة)[2] .

---

(١) بدائع الفوائد : الإمام ابن القيم : ١/ ٣ .

(٢) قيود الملكية الخاصة : د. عبد الله المصلح : ص ١٠٣ .

وبتطبيق هذه الأنواع على ملكية وسائل الإعلام ؛ فإن الصور الأربع الأولى يمكن أن تأتي عليها ملكية وسائل الإعلام في الإسلام ، فتكون هناك ملكية للوسائل الإعلامية ومستلزماتها من أجهزة بث وطباعة وتسجيل وتصوير مملوكة لشخص ، وتكون منافعها مملوكة لشخص آخر أو أشخاص آخرين ، كما يجري في حالات الإجارة ، سواء كانت لمدد طويلة ، أو لفترات زمنية من وقت البث ، أو مساحات محددة في الصحف والمجلات ، ينتفع في حدودها المستأجر بكل إمكانات هذه الوسائل الفنية المادية منها والمعنوية ، وصور الإجارة هذه هي الصورة الثالثة للتملك.

أما الصورة الرابعة ، فهي ملك الانتفاع ، وهذه الصورة تجيء في حالين:

أحدهما: أن يمتلك الأفراد وسائل الإعلام ، ويتاح الانتفاع بها والنشر فيها لعامة الناس ، أو لفئة منهم ، كما هو الحال في إعطاء بعض الأفراد حق الانتفاع لغيرهم ببعض ما يملكونه من وسائل للنقل أو دور للسكن ، أو متنزهات ونحو ذلك.

الآخر: أن تكون ملكية الوسائل الإعلامية للدولة ، ويكون حق الانتفاع بها متاحاً للناس ، وهذه الحالة تشبه كثيراً من الأعيان التي تملكها الدولة ، ويتاح الانتفاع بها لجميع الناس ، مثل المرافق العامة والشوارع والحدائق والمدارس والجامعات ونحو ذلك ، وهذه الحالة من الحالات المقبولة والسائغة شرعاً وواقعاً كما سيأتي.

٢ ـ أقسام الملكية باعتبار صاحبها:

تقسم الدراسات الفقهية والاقتصادية الملكية باعتبار صاحبها إلى قسمين هما: الملكية الخاصة ، والملكية العامة. ومن هذه الدراسات من يقسمها إلى ثلاثة أقسام: الملكية الخاصة ، والملكية العامة ، وملكية بيت المال[1].

---

(١) قيود الملكية الخاصة: د. عبد الله المصلح: ص ١٠٤.

ونظراً لأهمية هذا النوع من التفسير ؛ فإنني سأتناول أقسامه باستقلال ، وبشيء من التفصيل والمناقشة ، وذلك لكونه مدار الكثير من الدراسات الاقتصادية الحديثة ، حيث تبحث في حدود الملكية الخاصة والعامة ، وقامت نظريات سياسية واقتصادية على محور هذه الأقسام ، كما في النظام الليبرالي القائم على الملكية الخاصة في جانبه الاقتصادي ، والنظام الشيوعي القائم على الملكية العامة .

٣ ـ أقسام الملكية باعتبار صورتها ، ولها قسمان فقط :

الأول : الملكية المتميزة :

وهي : (التي يكون موضوعها أو محلها معيناً محدوداً ، وأن تكون لشخص واحد وشاملة لجميع أجزائها ، كملكية الدار بأكملها)[١] .

الثاني : الملكية الشائعة :

وهي المتعلقة : (بجزء نسبي غير معين من مجموع الشيء ، مهما كان ذلك الجزء كبيراً أو صغيراً ، وذلك كأن يملك الإنسان جزءاً في أرض وذلك الجزء غير معين ، بل مشاع فيها ، وكأن يملك نصف الدار أو ربع سيارة ، أو جزءاً من مئة من أرض ، وهذا ما يسمونه الحصة الشائعة من الشيء المشترك)[٢] .

فهذه إذن أقسام الملكية الجائزة شرعاً ، ولا ريب أن هذه الصورة في سعتها تمثل مقدار السعة في الشريعة الإسلامية ، والمرونة الواقعية ، والشمول التي عجزت عن محاكاته أنظمة كل البشر التي انزوى كل واحد منها في زاوية ضيقة ضنكة ، تاركاً وراءه مساحة رحبة لانطلاقة النشاط الاقتصادي الإنساني ، فالنظام الشيوعي حشر نفسه في شرنقة الملكية العامة فأفسد البلاد والعباد ، وهذه عاقبة مكرهم أن دمرهم الله أجمعين ،

---

(١) الملكية في الشريعة الإسلامية : د. عبد الله يونس : ص ١٤٧ .

(٢) قيود الملكية الخاصة : د. عبد الله المصلح : ص ١٢ .

وأصبحت بلادهم بعد أن كانت مصدراً يمول العالم بالقمح ومختلف المزروعات ، إذا بها عالة لا تجد ما يسد جوع الناس في طعامهم وشرابهم ، والأنظمة الليبرالية بالغت كذلك في الملكية الخاصة بادئ الأمر ، وقد كانت بانتظار الكثير من الأزمات والخوانق لو أنها استسلمت لمعطيات الفكر الليبرالي إبان نشأته ، ومع ذلك فلا تزال تعيش نكبات ونكسات اقتصادية مريرة ما بين يوم وآخر. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1].

رابعاً: قواعد الملكية:

ينطلق النظام الاقتصادي في الإسلام من قواعد شرعية ، هي التي تحكم صياغته ، وتقوم عليها أحكامه ، ولها أهميتها الخاصة في هذا البحث ، نظراً لأن وسائل الإعلام تمثل جزءاً من منظومة المجتمع المختلفة ، وملكيتها خاضعة لإطار هذه القواعد باعتبارها ملكية لوسائل ذات مردود ربحي وتجاري ، شأنها في ذلك شأن الكثير من وسائل الإنتاج الأخرى ذات المردود الربحي ، وأهم هذه القواعد ما يأتي:

القاعدة الأولى: المال مال الله:

ومعنى هذه القاعدة أن الكون بما فيه إنما هو لله سبحانه وتعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[2] ومن ذلك المال الذي بين أيدي الناس ، كما قال سبحانه: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾[3].

فهو مال الله آتاه للناس وأعطاهم إياه ، وهو الذي يمدهم به ، كما قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[4].

---

(١) طه: ١٢٤. «معيشة ضنكاً»: ضيِّقة شديدة.
(٢) البقرة: ٢٨٤.
(٣) النور: ٣٣.
(٤) نوح: ١٢.

وثمرة هذه القاعدة مراعاة حق الله في هذا المال ، تحصيلاً وتخزيناً وصرفاً وإنفاقاً.

القاعدة الثانية: الإنسان مستخلف في هذا المال:

مصداق ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1].

والخلافة أمانة ومسؤولية ، وليست انطلاقاً دون مراعاة لحق المستخلف ، وهو الله سبحانه وتعالى: (ويترتب على ذلك:

١ ـ أن يد الإنسان عارضة ، كيد الوكيل على ملك الأصيل.

٢ ـ أن هذه الوكالة موقوتة ، لأنها لو اتصفت بالاستدامة لتشابه الأمر وانتفت علة وجود الأصل ما دام الوكيل مخلداً.

٣ ـ أن الوكيل هو المسؤول عن سلوكه حيال ما عهد به إليه)[2].

القاعدة الثالثة: العمل على استثمار المال وتنميته:

وتقوم هذه القاعدة على عدة ركائز ، منها:

الركيزة الأولى: الترغيب في العمل والتجارة: ففي «صحيح البخاري ومسلم» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[3].

الركيزة الثانية: وجوب الزكاة في المال: وهي داعية إلى استثمار المال وعدم اكتنازه ، من باب أن المال الذي لا ينمى فإن الزكاة تأكل منه شيئاً فشيئاً ، حتى لربما أكلته كله أو أكثره ، فتكون التجارة سبيلاً إلى تنميته

---

(١) الحديد: ١٧.

(٢) الملكية في الإسلام: د. عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل: ص ١٤٦.

(٣) رواه البخاري (٦٠١٢) ومسلم (١٥٥٣).

وتكثيره وعدم اكتنازه دون تثمير ، وفي هذا يقول ﷺ: «من وَلِيَ يتيماً له مال فليتَّجر له ، ولا يمسكه حتى تأكله الصدقة»[1].

القاعدة الرابعة: الالتزام فيه بحدود الشرع وأحكامه:

وذلك على النحو السابق ذكره من أن المال ، أو الملكية بوجه عام تجري عليها الأحكام الخمسة: الوجوب والتحريم والندب والكراهة والإباحة ، فتجب فيه الزكاة الواجبة والحقوق الشرعية الأخرى ، وتحرم المراباة به ، وكل الصور المحرمة بيعاً وشراءً واستثماراً ، كالغش والتدليس.

القاعدة الخامسة: عدم الإضرار بالغير:

وهي تنطلق من القاعدة الفقهية (لا ضرر ولا ضرار) لا عليه ولا على غيره منه[2].

هذه أبرز ما تذكره دراسات الاقتصاد الإسلامي في قواعد الملكية ، وبالنظر فيها جميعها ، فإننا نجد أنها تحدد الإطار الكلي لطبيعة التملك في الإسلام ، التي فيها بسط حكمة الخالق عز وجل وإرادته التي يجب أن تخضع لها الحياة بكل ما فيها من إنس وجن وحيوان وجماد وملكية وسائل الإعلام ، انبثاقاً من هذه النظرة الكلية ، وهي خاضعة لإطارها ، فليس تقرير الملكية الفردية في الإسلام يعني الانفلات من كل قيد ، والسير في أي اتجاه ، وإنما هو مماشاة مع هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي لا تستغني عن ضوابط التهذيب لكل ما يطرأ عليها من انحراف أو قصور ، وتضمن سيرها في المضمار الصحيح الذي يحقق الغاية منها وضعاً وتكليفاً.

---

(١) رواه الترمذي (٦٤١).

(٢) انظر د. الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده فتحي الدريني: ص ٢١٩.

المطلب الثاني: صور الملكية في الإسلام، وأثرها في ملكية وسائل الإعلام:

تطلق الدراسات الاقتصادية مسمى صور الملكية على ما سبق ذكره تحت عنوان أقسام الملكية باعتبار صاحبها، وتعبر عنها بالتسميات التالية: الملكية الخاصة أو الفردية والملكية العامة أو الجماعية، وملكية بيت المال.

وتسوي بعض هذه الدراسات بين ملكية بيت المال، وملكية الدولة[1].

وتعد بعض هذه الدراسات التي تقول بهذه الأقسام الثلاثة ملكية بيت المال ضمن صنف الملكية الخاصة، فتقول:

الصنف الأول: الملكية الخاصة، وتنقسم قسمين:

- ملكية الشخص أو الأشخاص الطبيعيين.
- وملكية بيت المال أو ملكية الدولة.

الصنف الثاني: الملكية العامة، وهي ما كانت لمجموع أفراد الأمة، أو لجماعة من الجماعات التي تتكون منها الأمة بوصف أنها جماعة، دون أن يختص أو يستأثر بها أحد[2].

ودراسات أخرى تجعل صور الملكية قسمين فقط، هما الملكية الفردية أو الخاصة، والملكية العامة، وهذه الدراسات تجعل القسمين الأخيرين: الملكية العامة، وملكية بيت المال تحت مسمى واحد، هو الملكية العامة.

وبالنظر في هذه التقسيمات، يبدو بينها شيء من الاختلاف، كما يبدو فيها بعض الضعف من حيث تحديد معايير الفصل بين كل منها، ويمكن توضيح هذه الملاحظات فيما يلي:

---

(١) انظر: الملكية في الشريعة الإسلامية: د. عبد الله مختار يونس: ص ١٤٦.

(٢) انظر: الملكية وضوابطها في الإسلام: د. عبد الحميد البعلي: ٨٦، ٩٠.

١ ـ الفصل بين ملكية بيت المال والملكية العامة باعتبار كل منهما صنفاً مستقلاً عن الآخر[١].

وهذا ـ في نظري ـ فصل غير دقيق ، إذ بيت المال موضع الملكية العامة ، فهو إذن قسم منها ، كما سأوضحه لاحقاً إن شاء الله.

٢ ـ تسمية بيت المال بملكية الدولة[٢] تسمية غير دقيقة أيضاً ، وذلك أن الدولة بمثابة الوكيل المؤتمن ، وليست مالكاً حقيقياً ، فبيت المال لمجموع المسلمين ، لكل منهم فيه جزء مقسوم.

٣ ـ جعل ملكية الدولة أو بيت المال نوعاً من أنواع الملكية الخاصة[٣] ، هو أيضاً غير دقيق كما سبق من أن الدولة لا تعد مالكاً حقيقياً ، وإنما هي بمثابة الوكيل المؤتمن ، وهي لا تختص ببيت المال في أفرادها ، بل هو ملك لجميع الدولة ، تصرفه في مصارفه الشرعية ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم ، كما يقسم المالك ملكه ، فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء ، ليسوا ملاكاً ، كما قال ﷺ: «إني ـ والله ـ لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً ، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت»[٤][٥].

وعليه فما تعبر عنه بعض الدراسات بملكية الدولة ، أو ملكية بيت المال ، أو الملكية العامة ، إنما هي تعبيرات لمعنى واحد ، هو ما تمتلك الأمة في مجموعها حقاً فيه ، سواء كان حق انتفاع أو منفعة ، أو تملك تام حسب ما تقتضي به الأحكام الشرعية من حقوق الناس في بيت المال والأموال والأعيان العامة.

---

(١) انظر: قيود الملكية الخاصة: عبد الله المصلح: ص ١٠٤.
(٢) انظر: قيود الملكية الخاصة: عبد الله المصلح: ص ٢٠٣.
(٣) انظر: الملكية وضوابطها في الإسلام: د. عبد الحميد البعلي: ص ٨٤.
(٤) رواه البخاري (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧).
(٥) السياسة الشرعية: ابن تيمية: ص ٥١.

والذي أختاره في تقسيم صور الملكية هو القول بأنها صورتان: الملكية الخاصة ، والملكية العامة ، فبالاستقراء نجد أن الملكية إما أن تكون خاصة ، يختص بها واحد أو آحاد محدودون بأعيانهم ، وإما ملكية عامة لا يملك أحد بعينه حق الاختصاص بها.

ويدخل تحت هذين التقسيمين فروع أخرى على النحو التالي:

فبالنسبة للملكية الخاصة ، ينبغي التمييز بين نوعين ، وهما:

١ ـ الملكية الفردية ، التي يستقل بها فرد بعينه.

٢ ـ الملكية المشتركة ، وهي تلك الملكية التي يشترك فيها اثنان فأكثر.

ويقوم هذا الفصل على اعتبار أن هذين النوعين من الملكية الخاصة يختلف كل منهما عن الآخر في بعض الأحكام بصورة يمكن القول معها: إن الملكية الفردية تمثل الملكية الكاملة ، بينما تمثل الملكية المشتركة صورة من صور الملكية الناقصة.

فالملك الخاص بالفرد الذي يحق له التصرف التام فيه بكل صور التصرف المختلفة ، وباستقلال لا يشاركه فيه أحد ، ليس كالملك المشترك بينه وبين غيره ، إذ يكون تصرفه ناقصاً ولا ينفذ إلا بموافقة من شريكه أو تفويض منه ، ومن ثم فهذه صورة أخرى من صور الملكية الخاصة ، مختلفة عن الملكية الفردية ، والدراسات الفقهية تتناول الملكية الفردية تناولاً خاصاً عن الملكية المشتركة ، ولكل من هذه الصور أحكامها الخاصة بها ، المختلفة عن سواها.

أما بالنسبة للملكية العامة ، فيمكن تناول ما يدخل في اختصاص بيت المال تناولاً مستقلاً عما هو من قبيل الشوارع والأنهار والأسواق ، ونحو ذلك مما يملك الانتفاع به الناس كافة بصورته التي هو عليها ، بخلاف ما هو داخل في حوزة بيت المال ، إذ لا يملك أحد الانتفاع به على حالته التي هو عليها إلا بمسوغ شرعي ، كأن يكون نصيبه الخاص به في بيت المال ، أو لكونه من أهل الزكاة أو لسبب آخر مشروع ، ثم هو لا يملك شيئاً من ذلك

إلا إذا سمح له بتملكه أو أُعْطِيَهُ ، وذلك بخلاف الشوارع والأنهار والبحار والملح والماء والكلأ التي لا تحتاج إلى إذن ابتداءً ، أو تخصيص.
فهذان إذن قسمان مستقلان عن بعضهما في بعض الجوانب ، ولكل منهما حكم خاص به ، وإن كانا مشتركين في كونهما مرتبطين بحق مجموع الأمة.

وعلى هذا فسيكون تقسيم صور الملكية في هذا المبحث على النحو التالي:

١ ـ الملكية الخاصة ، ولها قسمان:

ـ الملكية الفردية.

ـ الملكية المشتركة.

٢ ـ الملكية العامة ، وتشتمل على:

ـ بيت المال.

ـ ما يمتلك الناس حق الانتفاع به دون إذن ابتداء ، وذلك مثل الشوارع والأنهار والماء والكلأ والملح والأرض الموات.

أولاً: الملكية الخاصة ، أنواعها ، وأحكامها وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام في الإسلام:

١ ـ أنواع الملكية الخاصة:

ذكرت من قبل أن الملكية الخاصة تشتمل على نوعين أو صورتين من صور الملكية ، وهما الملكية الفردية والملكية المشتركة ، وذلك بناء على أن كلاً من هاتين الصورتين تختلف عن الأخرى في بعض الأحكام ، وتوضيح ذلك فيما يلي:

أ ـ الملكية الفردية:

الملكية الفردية هي التي يستقل بملكيتها فرد بعينه ، بحيث يمتلك رقبتها ومنفعتها ، ويتصرف بها بصور التصرف المختلفة كالبيع والهبة والإجارة والمحاباة فيها بيعاً وشراءً.

والملكية الفردية من خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي ، وقد أقرها الشرع وحماها ، بل لقد دعا إليها وحبذها ، وذلك باعتبارها سبيلاً إلى الاستغناء عن الناس ، وإكرام النفس وعدم إهانتها والحط من قدرها بالحاجة إليهم ، وفي هذا يقول ﷺ: «لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره ، فيبيعها خير له من أن يسأل رجلاً فيعطيه أو يمنعه»[1].

ب ـ الملكية المشتركة:

وهي التي يشترك فيها اثنان فأكثر ، وهي جائزة بالكتاب والسنة والإجماع في الجملة ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾[2] أي الشركاء ، وفي الحديث القدسي: «يقول الله: أنا ثالث الشريكين»[3].

والملكية المشتركة قسمان:

١ ـ شركة أملاك ، وهي: (اجتماع اثنين فأكثر في استحقاق مالي بشراء أو هبة أو إرث أو غير ذلك ، وكل واحد في نصيب شريكه كالأجنبي ، لا يجوز له التصرف إلا بإذنه ، فهذا القسم اشتراك في تملك شيء معين ، بسبب من أسباب التملك.

٢ ـ وشركة عقود وهي (اجتماع في تصرف من بيع وعمل ونحوهما)[4].

والشركة ـ كما سبق أن ذكرت من صور الملكية الناقصة ـ فهي وإن كانت تقتضي نفوذ تصرف كل من الشريكين في المال (بحكم الملك في نصيبه ، وبحكم الوكالة في نصيب شريكه)[5] ، إلا أن هذا التصرف محصور فيما تقتضيه مصلحة التجارة فقط ، ومن ثم فهو غير شامل لكل صور التصرف ، إذ (ليس لأحد الشريكين أن يحابي فيبيع بأنقص من ثمن المثل ، أو يشتري

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٠) ومسلم (١٠٤٢).
(٢) صَ: ٢٤.
(٣) رواه أبو داود (٣٣٨٣) والحاكم (٢/ ٥٢) والدارقطني (٣/ ٣٥).
(٤) الحاشية: ابن قاسم: ٥/ ٢٤١.
(٥) المرجع نفسه: ٥/ ٢٤٥.

بأكثر منه ، وليس له أن يقرض ، أو يهب ، أو يقترض على الشركة ، أو يستدين ، أو يضارب ، أو يشارك بالمال ، أو يخلطه بغيره ، ونحو ذلك ، إلا بإذن شريكه في ذلك كله ، ولأنه ليس من التجارة المأذون فيها ، وإن قيل له: اعمل برأيك ، ورأى مصلحة فيما تقدم جاز فيما يتعلق بالتجارة من المشاركة ونحوها لا العتق والقرض ونحوه)[1] ، فهو مقيد بكل حال ، وهذا هو الفارق الأساسي بينها وبين الملكية الفردية ، وإلا فإنها تشترك مع الملكية الفردية في بقية أحكام المال الخاص وخصائصه.

٢ ـ أحكام الملكية الخاصة:

أ ـ مكانة الملكية الخاصة في الإسلام:

الملكية الخاصة هي أكمل من الملكية العامة[2] ، وقد أخذت مكانتها في الإسلام من حيث الرعاية والعناية بها ، والمحافظة عليها بشتى صور الرعاية والعناية والمحافظة ، ولم تكتف الشريعة الإسلامية بإقرار الملكية الخاصة ، بل نراها شجعت عليها تشجيعاً يتصف بالاعتدال ، وإقامة التوازن بين متطلبات الإنسان الروحية والجسدية[3].

كما اعتبرت المحافظة عليها ، ورعايتها من الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بتقريرها وحمايتها[4] ، قال الإمام الشافعي: (فأما الضروريات فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهاريج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم ، والرجوع بالخسران المبين. والحفظ لها يكون بأمرين ، أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود ، والثاني ما يدرأ عنها الاختلال

---

(١) المرجع نفسه: ٥/ ٢٥٢.

(٢) انظر: قيود الملكية الخاصة: عبد الله المصلح: ص ١٢٣.

(٣) قيود الملكية الخاصة: د. عبد الله المصلح: ص ١٧٣.

(٤) انظر: الموافقات في أصول الشريعة ، الإمام الشاطبي: ٢/ ١٠.

الواقع أو المتوقع فيها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم)[1] .

ولذلك حفظ الإسلام للملكية هذين الجانبين ، فوضع لها القواعد والأحكام التي تضمن وجودها ، فأباحها وأباح ما يساعد على وجودها من أسباب الملك التي سبق ذكرها ، ووضع القواعد والأحكام التي تحافظ على استدامة هذا الوجود ، فشرعت الحدود المختلفة لمواجهة التعدي عليها مثل حد السرقة ، وحد قطع الطريق والحِرَابة ، وأحكام الجنايات المختلفة في المال ، وأحكام الخيار في البيع ، وأمثال ذلك من الأحكام الشرعية التي تؤكد حماية الملكية الخاصة ، ومواجهة ما يتعارض مع استدامتها أو مزاحمتها .

ب ـ حدود الملكية الخاصة :

وأعني بحدود الملكية الخاصة ـ هنا ـ الحد الأعلى للتملك الخاص ، سواء كان مالاً أو عقاراً أو زرعاً أو حيواناً أو عروض تجارة ، أو غير ذلك من الأعيان والأثمان .

فالملكية في الإسلام ليس لها حد أعلى تقف عنده ، وقد (اتفق العلماء على أن الأصل في الشريعة أن يمتلك الإنسان بالوسائل المشروعة ما شاء له أن يمتلك)[2] (وبما أن هذا الحق واسع جداً) فهو يمتد إلى كل ما يمكن تملكه من الأموال بمختلف أسباب الملكية ، فهو غير محدود بحدود الضروريات والحاجيات ، بل يمتد إلى ما يتعرف به الإنسان ، بل يمكن أن يقال : إن استعمال حق التملك على نحو واسع يزيد به المسلم ما يملكه أمر مرغوب فيه إلا لعارض[3] .

---

(١) الموافقات : الإمام الشاطبي : ٢/ ٨ .

(٢) المذهب الاقتصادي : محمد الفنجري : ص ١٤٢ .

(٣) القيود الواردة على الملكية الفردية للمصلحة العامة في الشريعة الإسلامية : د. عبد الكريم زيدان : ص ١٧ .

جـ ـ ضوابط الملكية الخاصة وأثرها في ملكية وسائل الإعلام:

سبق أن ذكرت في بداية هذا المبحث أن الملكية تسري عليها الأحكام الشرعية الخمسة ، كما تطرقت في بداية هذا المبحث لبعض قواعد الملكية في الإسلام ، ومن ثم فإن الحديث هنا عن ضوابط الملكية الخاصة وأثرها في ملكية وسائل الإعلام إنما هو من باب التمثيل لبعض هذه الأحكام ولتلك القواعد ، وتفصيل ذلك كما يلي:

الأول: ضوابط الملكية الخاصة:

وهي أحكام شرعية في المال المملوك مثل تحريم الربا ، والسرقة ، وتحريم الغش في البيع والشراء ، وتحريم بيع الخنزير وشرائه ، وبيع الخمر وشرائه ، والاتجار به ، وتحريم الاحتكار ، ومن ذلك الزكاة الواجبة في المال ، والنفقات الواجبة كذلك.

وكل هذه الضوابط مفصلة في كتب الفقه في أبواب الزكاة والبيوع[1].

وهي أيضاً تطبيق لتلك القواعد وتنزيل لها على الواقع العملي للملكية ، فقاعدة: (المال مال الله) تمثل روح الملكية في الإسلام ، وروح التعامل المالي كذلك ، وقاعدة: (الاستخلاف) تفسير للقاعدة الأولى ، وهو أن الإنسان مستخلف في المال الذي بين يديه ، ومن هذه وتلك تنطلق الضوابط الشرعية في ترشيد التملك والتصرف في المملوك.

وقاعدة: (استثمار المال والعمل على تنميته) تمثل أساس الحركة في المجال الاقتصادي والإسلامي ، كما تمثل القاعدة الرابعة: (الالتزام بحدود الشرع وأحكامه) والإطار العام للممارسة الاقتصادية، أما القاعدة الخامسة: (عدم الإضرار بالغير)، فتمثل إطار التصرف في الملكية في إطار المجتمع ، وفي إطار تلك الأحكام والقواعد تذكر كتب الفقه وكتب السياسة الشرعية وكتب الاقتصاد الإسلامي الحديثة عدداً من الضوابط التي ترعاها

---

(١) انظر: نيل الأوطار: الإمام الشوكاني: ٤/ ١٦٩ ، ٥/ ٢٣٥.

الدولة باعتبارها واجباً من واجباتها الشرعية ، وواحداً من اختصاصاتها التي تختص بتنفيذها والقيام بها ، وهي تلك المتعلقة بمنع الضرر الحاصل بين الناس في ملكياتهم ، ومن أمثلة ذلك التسعير ومنع الاحتكار ، والاحتساب على الناس بمنعهم من بيع المحرم ، أو الغش في البيع أو الضرر ، أو نحو ذلك من الصور التي فيها إضرار بالبائعين أو المشترين.

ويُظْهِر هذا الجانب طبيعة العلاقة بين الدولة الإسلامية والمجتمع بمختلف فئاته ، وطبيعة المهمة التي تتولاها الدولة الإسلامية في حياة الناس ، وهي طبيعة تختلف عن طبيعة أي نظام سياسي في الدنيا ، على نحو ما سبق بيانه في المبحث السابق.

فالدولة في الإسلام مسؤولة مسؤولية شرعية أمام الله سبحانه وتعالى عن رعيتها ، كما قال ﷺ: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحته إلا لم يجد رائحة الجنة»[1] ، وقال ﷺ: «كلكم راعٍ فمسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عنهم ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[2].

وأختار التسمية بالضوابط دون القيود ، لأن ذلك أليق بالحكم الشرعي من لفظ القيد ، ولأنها ليست قيداً بقدر ما هي ضابط كمال للمال وحياة الناس ، وقد سمى الله الحق الواجب في المال بالزكاة ، وهي تسمية تثمر عن سمو هذا الواجب الذي أوجبه الله في هذا المال ، وسمى علماء السياسة الشرعية مهمة الدولة في تنفيذ تلك الضوابط بالاحتساب ، وهو ما يعرِّفه الماوردي بأنه: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر

---

(١) رواه البخاري (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢).

(٢) سبق تخريجه.

فعله ، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1][2].

ومما يذكره العلماء من هذه الضوابط : منع تلقي السلع قبل أن تدخل السوق ، ومنع المحتكر من احتكار ما يحتاج إليه الناس من طعام أو غيره ، وإلزام أهل الصناعات بالقيام بعملهم إذا امتنعوا عنه ، واحتاج إليه الناس ، وإلزامهم بالتسعير إذا ما ارتبطت به مصلحة الأمة ، وبالغ التجار في أسعار بضائعهم ، وكذلك إبطال المعاملات المحرمة كالربا.

وفي هذا يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (ومن المنكرات تلقي السلع قبل أن تجيء إلى السوق ، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك لما فيه تغرير للبائع ، فإنه لا يعرف السعر فيشتري منه المشتري بدون القيمة ، وليس لأهل السوق أن يبيعوا المُمَاكِس بسعر ويبيعوا المسترسل بغيره ، وهذا مما يجب على والي الحسبة إنكاره ، وهذا بمنزلة تلقي السلع ، فإن القادم جاهل بالسعر.

ومن ذلك نهى النبي ﷺ أن يبيع الحاضر للبادي.

ومن ذلك الاحتكار لما يحتاج الناس إليه، وقد روى مسلم في «صحيحه» عن يعمر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «لا يحتكر إلا خاطئ»[3] ، ولهذا كان لولي الأمر أن يُكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه ، وإذا امتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة ، فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل ، والتسعير هاهنا إلزام بالعدل الذي ألزمهم الله به»[4].

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٣١٥.

(٣) رواه الترمذي (١٢٦٧) وابن ماجه (٢١٥٤).

(٤) الطرق الحكمية: ابن القيم: ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ بتصرف ، وانظر: قيود الملكية الخاصة: عبد الله المصلح: ص ٣٨٩.

ومن هنا نرى دور الدولة الإسلامية في المجال الاقتصادي ثابتاً مؤكداً في رعاية القِيَم والإلزام بها ، وذلك في كل المجالات بلا استثناء: الإنتاج ، والاستهلاك ، والتوزيع ، والتداول.

وأكتفي هنا بإيراد هذا القدر عن الموضوع ، إذ القصد من تناوله الإشارة إلى جنسه ، دون الدخول في تفاصيله وأحكامه والأقوال الواردة فيه ، فهذا من شأن الأبحاث الفقهية والاقتصادية المتخصصة.

الثاني: أثر هذه الضوابط في ملكية وسائل الإعلام.

هذه الضوابط وغيرها تقدم لنا مؤشراً واضحاً في هذا البحث على أمرين:

أولهما: أن الملكية الخاصة ـ التي تقرها الشريعة ـ محكومة بضوابط تراعي المصلحة العامة للمجتمع ، سواء في ذلك ملكية وسائل الإعلام ، أو ملكية غيرها من الأعيان ، بل الوسائل الإعلامية أولى بذلك من غيرها ، نظراً لارتباطها الكبير بالناس الذين هم جمهورها.

الآخر: أن الدولة هي الجهة المخوَّلة أكثر من غيرها ، في القيام على تطبيق تلك الضوابط.

وفي العموم ، فإن المتأمل في صلة الدولة بنظام الملكية في الإسلام يجدها تمتد لتشتمل على جانبي الملكية والعمل.

ففي جانب الملكية ، فإن للدولة (أن تمنع الطرق غير المشروعة للتملك كالرشوة ، ولها كذلك أن تزيل الملكية بالإجبار على بيعها إذا كان في وجودها ضرر ، كالدار التي يسبب وجودها ضيقاً في الطريق العام وحوادث اصطدام ، ولها إجبار المالك على استثمار ملكه لحاجة المجتمع إليه)[1].

وفي جانب العمل فالأعمال تندرج (في نظر الإسلام بالنسبة إلى المجتمع بين طرفين:

---

(١) الاقتصاد الإسلامي: محمد المبارك: ص ٢١٢.

أعمال تشتد الحاجة إليها إلى حد الضرورة ، وأعمال يشتد ضرر وجودها ، ومن هنا نلاحظ حكم الإسلام الذي عبر عنه فقهاؤه بضرورة مكافحة النوع الثاني ، ومنعه من قبل الدولة «ولي الأمر» باعتباره منكراً إذا لم يمتنع الأفراد بدافع التقوى وحافز التدين الشخصي من القيام به ، وبوجوب القيام بالنوع الأول وجوباً يتحمل أفراد المجتمع مسؤوليته بالتضامن والتكافل)[1].

فالدولة الإسلامية راعية لرعيتها الذين هم تحت ولايتها ، ومسؤولة عنهم بجلب ما ينفعهم إليهم ، ودفع ما يضرهم عنهم.

ومن هذا تظهر مشروعية سلطة الدولة الإسلامية في الاحتساب على وسائل الإعلام وتقويمها ، واتخاذ ما من شأنه المحافظة على سمتها وسيرتها فيما يخدم مصلحة الأمة ، فضلاً عن تجنبها ما يضر الأفراد والمجتمع ، ويتعارض مع شرع الله وأحكامه.

ويتصور الاحتساب على وسائل الإعلام في صورتين:

١ ـ الاحتساب بمنع نشر ما يخالف الأحكام الشرعية والمصلحة الراجحة ، وهذا ما يطلق عليه في الدراسات الإعلامية «الرقابة قبل النشر ، أو الرقابة القبلية».

٢ ـ الاحتساب عليها بعد النشر ، أو ما يسمى «الرقابة البعدية» ، وذلك بإجراء العقوبات الرادعة لما يصدر عن هذه الوسائل من مفاسد ومخالفات وأخطاء ، وتقدر العقوبات المناسبة لهذه المخالفات بحسب حجمها في مفهوم الشرع للمعصية ، فمن المخالفات ما هو كفر كسبِّ الله عز وجل وسبِّ رسوله ﷺ ـ والعياذ بالله ـ ومنها ما هو من الكبائر كالقذف ، أو نشر البدع والضلالات والدفاع عنها وعن أهلها ، ومنها ما هو من الصغائر ، مثل الانتقاص من الأشخاص أو الهيئات ، أو تجريحهم بغير حق ونحو ذلك ،

---

(١) الاقتصاد الإسلامي: محمد المبارك: ص ٢١٣.

ولكل من هذه المنكرات عقوباته البدنية أو المالية الخاصة به.

وما يحتاج إلى شيء من النقاش هنا، هو الرقابة القبلية، أو الاحتساب قبل النشر، وهذا اللون من الرقابة فيه مصالح ومفاسد.

أما المصالح فتتمثل في أنها حسم لمادة الشر قبل أن يقع ووقوعه ـ يعني انتشاره بين الناس ـ فهو ليس مثل غيره من المنكرات التي تنحصر غالباً في نطاق محدود، والشر إذا نشر في وسائل الإعلام، وتناقلته الأيدي والألسن؛ يكون قد حقق الغرض الذي أراده منه صاحبه، ومن ثم تكون العقوبة حينئذ غير مانعة من حدوث هذا الشيء، وإنما تمنع من حدوث مثله، وهذه العقوبة تنفع في الضرر الفردي، أما ما يحصل من الضرر في وسائل الإعلام فهو من قبيل الضرر العام، فتكون الرقابة القبلية في هذه الحال نوعاً من الرقابة الوقائية.

أما مفاسد الرقابة القبلية فهي أنها مفضية إلى التجسس المنهي عنها، وفي هذا يقول الماوردي في باب الحسبة: (وأما ما لم يظهر من المحظورات فليس للمحتسب أن يتجسس عليها، ولا أن يهتك الأستار حذراً من الاستتار بها، قال النبي ﷺ: «من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله، فإنه من يُبْدِ لنا صفحته نُقِمْ حدَّ الله تعالى عليه»)[1].

فاشترط في الاحتساب ظهور المنكر.

لكن كيف يعالج تعارض تلك المصالح في الرقابة القبلية بالمفاسد المترتبة عليها؟

يمكن ـ فيما أرى ـ معالجة هذا التعارض من جهتين:

أحدهما: إذا كان الغالب على الظن وقوع التجاوز في نشر قضية ما:

سواء كانت اعتقادية أو سياسية أو شخصية، أو نحو ذلك مما يتوقع منه

---

(١) انظره في تلخيص الحبير (٤/٥٧) وانظر: الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

فساد وتجاوز لحدود الله ، فإنه يجوز في هذه الحالة اتخاذ التدابير المناسبة لمعالجة ذلك ، والحيلولة دون وقوعه ، أما إذا لم يغلب على الظن الوقوع في المحذور ، ولم تكن هناك ثمة دلائل تشير إلى إمكان وقوعه فإن الأصل عدم الرقابة ، يؤخذ هذا مما قاله الماوردي نفسه بعد كلامه السابق: (فإن غلب على الظن استسرار قوم بها ـ أي بالمعصية ـ لأمارات دلت وآثار ظهرت ، فذلك ضربان:

أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها ، مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا بامرأة ليزني بها ، أو برجل ليقتله ، فيجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات.

الضرب الثاني: ما خرج عن هذا الحد ، وقصر عن حد هذه الرتبة ، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه)[1].

الآخر: إذا ما عرف من مالك الوسيلة الإعلامية عدم أمانته الشرعية:

وعدم تحريه للقول الصائب ، وجنوحه للإثارة والإرجاف ، وبث الإشاعات وزعزعة الأمن ، فإن ذلك من مبررات رفع يده عن ملكية هذه الوسيلة ، إما بمنعه من الانتفاع والعمل بها ، أو بإلزامه بنقل ملكيتها إلى غيره من أهل الأمانة والصلاح ، وفي مثل هذه الصورة يقول الماوردي في موضوع الاحتساب على أهل الصنائع: (فأما من يراعي عمله في الوفور والتقصير فكالطَّبيب والمعلمين ، لأن للطبيب إقداماً على النفوس بما يفضي التقصير فيه إلى تلف أو سقم ، وللمعلمين من الطرائق التي ينشأ الصغار عليها ما يكون نقلهم عنها بعد الكبر عسيراً ، فيُقَرُّ منهم من توافر علمه ، وحسنت طريقته ، ويُمنع من قصر وأساء ؛ من التصدي لما يفسد به النفوس وتخبث به الآداب»[2].

---

(١) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) الأحكام السلطانية: الماوردي: ص ٣٣٥.

والضرر الذي يحصل من وسائل الإعلام حينما تتنكب الحق أشد ضرراً مما يحصل من الطبيب والمعلم ، فضرر الطبيب ضرر بدني ، وضرر المعلم على فئة مهما كثرت لن تكون ربع الأمة ولا خمسها ، ولا حتى عشرها ، أما وسائل الإعلام فإن ضررها معنوي يتصل بأغلى ما لدى الأمة ، وهو دينها وعقيدتها ومناهج تفكيرها ، ثم هو ضرر يصل إلى قطاع كبير من الأمة ، إن لم تكن الأمة كلها معرضة له ، وواقعة تحت تأثيره ، وعليه فإن منع القائم على هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك من الاستمرار في هدمه لمعنويات الأمة وبنائها الإيماني والفكري أهم وأوجب من منع الطبيب أو المعلم مع أهمية ذلك بالنسبة للجميع ، إلا أن هذا الاحتساب تبقى له آدابه وضوابطه ، فهو ليس احتساباً ينطلق من الشهوة في السيطرة أو التحكم من قبل الدولة ، كما في النظم التسلطية ، وإنما هو خاضع للمسوغات الشرعية التي تحدد ما يمكن الاحتساب عليه ، كما أنه قائم على مبدأ الرعاية التي تتحملها الدولة تجاه رعيتها .

فكما أن الاحتساب على الناس فيما يملكونه له أحكامه الخاصة به ، وضوابطه التي يسير وفقها ، وليس أمراً مطلقاً لا تحده حدود ، ولا تضبطه ضوابط ، فكذلك لا يمكن أن يكون الاحتساب على وسائل الإعلام إلا خاضعاً لمثل تلك الضوابط .

ومن هنا ينتفي الشبه بين ما تمارسه النظم التسلطية من أساليب الرقابة على وسائل الإعلام ، وهي أساليب خاضعة لشهوة السيطرة والتسلط ، وحب إخضاع الناس لإرادة هذه السلطة لا غير ، وبين ما يجب على الدولة الإسلامية أن تمارسه في هذا المجال على وسائل الإعلام ، والذي هو من قبيل تطبيق أحكام الشرع وتنفيذها في الناس ، تحقيقاً لخلافة رسول الله ﷺ في أمته .

كما تنتفي المشابهة بين الحكومة الإسلامية وبين الحكومة الليبرالية التي ترى أن تدخُّلها بالرقابة على وسائل الإعلام خروج عن مبادئ الحرية التي

يجب أن تعمل الدولة الليبرالية من أجل حمايتها والحفاظ عليها ، واعتبار التدخل ـ مهما كانت صورته التي يظهر بها ـ خروجاً عن مهمة الدولة ، واعتداءً على أهم حق يجب أن تحافظ عليه ، وهو حرية التعبير .

فالدولة الإسلامية دولة مسؤولة ، وهي لا تخضع للمعايير البشرية ، وإنما هي مثلها مثل المجتمع ـ بجميع مؤسساته ونشاطات أفراده ـ خاضعة لأحكام الله وشرعه ، محكومة بها في كل صغيرة وكبيرة .

ومن هذا المنطلق ، فالدولة مكلفة شرعاً بالاحتساب على وسائل الإعلام وما ينشر فيها ، إذ ليس الاحتساب على السوق حتى لا يزيد أحد في سعر سلعة ، أو يغش في طعام بأكثر أهمية من الاحتساب على من يتزيدون في قضايا الأمة ، ويغشونها في أغلى ما تملك ، وهو دينها الذي تدين الله به ، وعليه يتوقف صلاح دنياها وآخرتها .

قال الدكتو يوسف القرضاوي : مهمة الدولة الإسلامية : أن تُحوِّل الفكرة إلى عمل ، وتحوِّل القيمة إلى قانون ، وأن تنقل المثاليات الأخلاقية إلى ممارسات واقعية ، وأن تنشئ من المؤسسات والأجهزة ما يقوم بمهمة الحراسة والتنمية والتطوير لهذا كله ، وأن تقوم بمراقبة التنفيذ بعد ذلك ، ومدى قيامه بالواجب المطلوب ، أو تخلفه عنه ، وأن تعاقب مَنْ تعدَّى وخالف ، أو أهمل إهمالاً مُخلاً .

٢ ـ أثر الملكية الخاصة في الإسلام على ملكية وسائل الإعلام :

مما سبق في هذا المبحث والمبحثين قبله ، يظهر أن الملكية الخاصة لوسائل الإعلام بشقيها «الفردية والمشتركة» ممكنة ومشروعة ، وأن الأصل فيها الإباحة ، إلا أن النظر إلى واقع وسائل الإعلام ، وما آلت إليه صناعتها من تعقيد وتشابك في المهام والتخصصات والوظائف التي تقوم بها في المجتمع المحلي والعالمي يُبرز بعض التساؤلات حول إمكانية تحقيق هذه الوسائل ـ في وضعها الفردي ـ لواجباتها تجاه المجتمع والأمة بأكملها .

فوسائل الإعلام لم تعد مؤسسات صغيرة تمكن إدارتها من قبل شخص

أو أشخاص معدودين ، وإنما تحولت إلى مؤسسات ضخمة يتبعها الآلاف من الموظفين والمراسلين والفنيين وغيرهم.

كما لم تعد موجهة إلى جمهور محدد بإطار جغرافي أو إقليمي ، وإنما أصبحت جماهيرية بالمعنى الواسع لكلمة «جماهير» وذلك بما تيسر من وسائط النقل ، كالطائرات والسيارات والقطارات، أو الوسائل الإلكترونية كالأقمار الصناعية والكابلات المحورية ، وموجات البث المختلفة ، التي أتاحت مزيداً من إمكانية الاتصال بأكبر عدد ممكن من الجمهور في مختلف بقاع الدنيا ، حيث مكنت الأقمار الصناعية من طباعة الصحف في كل مكان ، ومكنت الكابلات من الاتصال عبر المحيطات بكل سهولة ووضوح ، زيادة على ما تمتلكه الإذاعة من قدرة على تخطي الحواجز الجغرافية والإقليمية والسياسية عن طريق موجاتها القصيرة والمتوسطة.

وقد طبع هذا الواقع وسائل الإعلام بطابع مختلف عما كانت عليه قبل ذلك ، فاتسعت اهتماماتها بعد أن كانت في إطار حدودها الإقليمية أو الوطنية ، ليصبح العالم كله ميداناً لاهتماماتها ، ومن ثم احتاجت إلى أن تكون على صلة بالعالم كله ، باعتباره مصدراً للمعلومات ، وسوقاً جماهيرية لمادتها الإعلامية ، وقد نتج عن ذلك ارتفاع تكاليف إنشاء الوسائل الإعلامية ، وازدياد مسؤولياتها ومهامها المنوطة بها ، وتحولت وسائل الإعلام بذلك إلى مؤسسات ضخمة في الإمكانات والتأثير وعدد العاملين.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، هو: ما أثر ذلك الوضع على حق الأفراد في تملك وسائل الإعلام؟ إذ سيكون من نتيجة ذلك الوضع المتضخم لوسائل الإعلام ، أن تكون في أيدي القادرين مادياً فقط ، حتى ولو لم يكونوا مؤهلين للقيام على هذه الوسائل ، ثم إن ذلك سينافس الملكيات الصغيرة لهذه الوسائل ، مما يؤدي إلى احتكار وسائل الإعلام لدى فئة القادرين مادياً دون سواهم.

وللإجابة عن هذا التساؤل أقول:

١ ـ اتضح من قبل أن التملك الفردي في الإسلام ليس له حد يقف عنده من حيث الكم ، ومن ثم فليس هناك ما يمنع أن تصبح الملكيات الخاصة بشقيها الفردي والمشترك لوسائل الإعلام ملكيات ضخمة وكبيرة ، ما دامت هذه الوسائل منضبطة بالضوابط الشرعية، وتقوم تحت رعاية الدولة ونظرها، والإشكال الذي وقعت فيه النظرية الإعلامية الليبرالية بعد تحول وسائل الإعلام إلى هذا الوضع المتضخم ؛ بحيث طغى على وسائل الإعلام الصغيرة ، هو أنهم اعتبروا الملكية الفردية لوسائل الإعلام خياراً واحداً ، فلما تحولت هذه الملكيات إلى مؤسسات ضخمة ، وكادت تنتفي عنها الصورة الفردية ، فقدت النظرية الليبرالية أملها في أن تقوم هذه الوسائل بما أمَّلت منها القيام به فيما يتعلق بمواجهة سلطة الدولة ، ونشر الحقيقة وإتاحتها لجميع الناس، وتمكن الأفراد من تملك وسائل التعبير الخاصة بهم .

أما في الإسلام فليس الأمر كذلك ، إذ الملكية الفردية لوسائل الإعلام ما هي إلا صورة واحدة من بين صور أخرى ، كل منها يقوم بواجب معين ، ولا تلغي إحداها الأخرى ، ثم هذه الملكيات خاضعة لضوابط الشرع التي ترعاها الدولة المسلمة القائمة على رعاية هذا الشرع ، وتطبيق أحكامه.

٢ ـ إن هذا الوضع المتضخم لوسائل الإعلام لم يُلْغِ وجود ملكيات صغيرة لوسائل الإعلام ، ففي كثير من دول العالم هناكَ وسائل إعلامية مملوكة لأفراد محدودة إمكاناتهم المادية ، وتقوم بدور معين في مجتمعاتها ، ولهذه الوسائل أهميتها وتأثيرها في تلك المجتمعات ، وعلى سبيل المثال ، ففي المملكة العربية السعودية مجالات إعلامية يملكها أفراد ، ولا زالت مستمرة في صدورها ، وتحظى بانتشار طيب على المستوى المحلي والخارجي ، مثل مجلة المنهل ، ومجلة الدراسات الفقهية المعاصرة ، والمجلة العربية ، وفي دولة أخرى كذلك يوجد مثل هذا النوع من الوسائل ذات الملكية الفردية.

٣ ـ ثم إن القول بأن الملكية الفردية لوسائل الإعلام ستتحول إلى ملكيات ضخمة تكتسح الملكيات الصغيرة، مما يدعو إلى القول بمنع هذا النوع من الملكية بحيث لا تكون لدينا إلا ملكية عامة فقط ، أو ملكية مشتركة فقط دون الملكية الفردية.

والخيار الأول «الملكية العامة فقط» خيار لا مبرر له ، وخروج عن السعة التي جلعها الله سبحانه بإباحة التملك من قبل الأفراد.

أما الخيار الثاني فإنه تقييد لا دليل عليه ، وليس هناك ما يبرره تبريراً شرعياً ، فإن الله سبحانه أباح التملك للفرد ؛ دون تحديد للحد الأعلى للتملك ـ كما سبق ذكره ـ.

وبهذا تنتفي الحساسية والخوف من تضخم وسائل الإعلام ، وتحول صناعة الإعلام إلى ما سمي بـ «إمبراطوريات الإعلام» فالفيصل في كل ذلك هو الالتزام بشرع الله وأحكامه ، وعدم خروج هذه الوسائل الإعلامية عن إطار هديه ، وقيامها بواجباتها المنوطة بها على المستوى الداخلي للأمة ، وعلى المستوى الخارجي كذلك ، كائنة ما كانت ملكيتها ، فهذا هو الهدف الأساس من هذه الوسائل ، أما الجانب الربحي والتجاري فهو جانب ثانوي في وسائل الإعلام ، أو يجب أن يكون كذلك.

ثانياً: الملكية العامة ، أنواعها وأحكامها ، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام:

١ ـ أنواع الملكية العامة في الإسلام:

يعني مصطلح «الملكية العامة» تخصيص المال للمنفعة العامة ، وذلك في مقابل «الملكية الخاصة» التي ينفرد بالانتفاع بها فرد معين على وجه التخصيص والتعيين ، ويعبر عنها أيضاً باصطلاح الملكية الجماعية ، في مقابل اصطلاح الملكية الفردية[١].

---

(١) المذهب الاقتصادي في الإسلام: د. محمد الفنجري: ص ١٤٧.

فهي إذن ما يمتلك الانتفاع بها عامة الناس دون أن يختص بها أحد بعينه ، ويدخل في مسمى الملكية العامة الطرق العامة ، والأنهار والبحار ، ومثل ذلك المدارس والجامعات التي تمول من بيت المال ، وما تربط به مصلحة عامة الناس[١] .

كما يدخل فيها ما نصت السنة الكريمة على اشتراك الناس فيه مثل الماء والكلأ والنار ؛ الذي ورد به النص الكريم عن رسول الله ﷺ : «الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار» .

ومن ذلك أيضاً بيت المال ، و(كل مال استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال ، فإذا قبض صار بالقبض مضافاً إلى حقوق بيت المال ، سواء دخل إلى حرزه أو لم يدخل ، لأن بيت المال عبارة عن الجهة لا عن المكان .

وكل حق وجب صرفه في مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال ، فإذا صرف في وجه صار مضافاً إلى الخراج من بيت المال ، سواء أخرج من حرزه أم لم يخرج ، أو ما صار إلى أعمال المسلمين ، أو خرج من أيديهم ، فحكم بيت المال جارٍ عليه في دخله إليه وخرجه عنه)[٢] .

وما لم يُحْيه أحد من الأرض الموات ، ومعادن الأرض ، كالذهب والفضة والبترول ، ونحوها داخل كذلك في مسمى الملكية العامة[٣] .

وقد تناول الفقهاء أحكام كل هذه الأصناف في كتبهم تحت مباحث عدة ، مثل مباحث الجزية والخراج ، والموات من الأرض ، والمعادن ، والحمى ، والإرفاق ، وأحكام الإقطاع ، وبيت المال ، وغير ذلك من المباحث والأبواب المفصلة في كتب الفقه والسياسة الشرعية .

---

(١) انظر : أثر تطبيق النظام الاقتصادي في المجتمع : زكي محمود شبانة : ص ٣٣٤ .
(٢) الأحكام السلطانية : أبو يعلى الفراء : ص ٢٥١ .
(٣) انظر : الملكية في الشريعة الإسلامية : د. عبد الله يونس : ص ٢٥٣ .

وعلى هذا فمصطلح الملكية العامة يشتمل على نوعين من الملكية.

أ ـ ما يملك جميع الناس حق الانتفاع به ، لا الاختصاص به دون إذن ابتداء:

ومثلت على هذا فيما سبق بالأسواق والطرق العامة ، والماء والكلأ والنار ، فهذه الأشياء يملك جميع الناس حق الانتفاع بها ، لا أن يختص بها أحد دون غيره ، وهذا الانتفاع يكون انتفاعاً بالشيء دون حاجة إلى إذن أحد من حيث المبدأ ، فالانتفاع بالمشي في الطريق ، أو الركوب في البحر ، أو السقي في النهر ، أو الصلاة في المسجد ، أو الرعي في العشب ، يحق لكل أحد من الناس ، دون حاجة إلى إذن بذلك من أحد ، غير أنهم لا يملكون الاختصاص بهذه الأشياء ، فلا يحق لأي منهم أن يختص بالمشي في طريق عام ، أو بمكان في المسجد ، أو الانتفاع بالبحر دون غيره ، كما لا يحق لأي منهم أن يختص برعي أو بماء في فلاة أو نحو ذلك مما هو من قبيل المنافع العامة[1] ، يقول أبو يوسف: (والمسلمون جميعاً شركاء في دجلة والفرات ، وكل نهر عظيم نحوهما ، أو ماء يستقون منه ، وليس لأحد أن يمنع ، ولكل قوم شِرْبُ أرضهم ونخلهم وشجرهم ، لا يحبس الماء عن أحد دون أحد)[2].

ب ـ بيت المال:

وهو ما يقبل التمليك (عند وجود المسوغ الشرعي لذلك كالأعيان الموقوفة ، والعقار المملوك لبيت المال ، فلا يجوز تمليك شيء من ذلك لشخص من الأشخاص إلا لمسوغ من المسوغات الشرعية)[3].

فهذا القسم هو القسم الثاني من الأشياء العامة التي لكل فرد من أفراد

---

(١) انظر: المرجع السابق: ص ١٩٠.

(٢) الخراج: أبو يوسف: ص ١٠٥.

(٣) الملكية في الشريعة الإسلامية: د. عبد الله يونس: ص ١٩١.

الأمة حق فيه، ويجوز تملكه والاختصاص به وفق المسوغات الشرعية ، كأن يكون من أهل الصدقة ، أو من له حق في بيت المال من عمال وجند ، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والله الذي لا إله إلا هو ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد ، وما أنا فيكم إلا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله عز وجل ، وقَسْمِنا من رسول الله ﷺ ، فالرجل وتلاده في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته في الإسلام ، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه ـ يعني في طلبه ـ.

ولما قدم على عمر رضي الله تعالى عنه بأخماس فارس قال: والله لا يحميها سقف دون السماء حتى أقسمها بين الناس)[1].

فهذه الأموال يمكن تملكها والاختصاص بها وفق ضوابطها الشرعية ، لكنها مما يدخل في المال العام الذي ترجع ملكيته للأمة بأكملها.

٢ ـ حرمة الملكيات العامة:

عظم رسول الله ﷺ من شأن الأموال العامة ، وبين حرمتها وحرمة التصرف فيها دون حق أو التلاعب بها في أحاديث كثيرة ، منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلو ، فعظمه وعظم أمره ، قال: «لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، يقول: يا رسول الله! أغثني ، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً ، قد أبلغتُك ، وعلى رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني ، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء ، يقول: يا رسول الله أغثني ، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت ، فيقول: يا رسول الله أغثني ، فأقول: لا أملك لك من الله

---

(١) الخراج: أبو يوسف: ص ٥٠.

شيئاً قد أبلغتك ، أو على رقبته رقاع تخفق ، فيقول: يا رسول الله أغثني ، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك»)[1].

وحديث أبي حميد الساعدي: (أن رسول الله ﷺ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله ، فقال: يا رسول الله! هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، فقال له: «أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا؟».

ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة ، فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال: «أما بعد ، فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا من عملكم ، وهذا أهدي لي؟! أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له أم لا؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لا يغل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، إن كان بعيراً جاء به له رغاء ، وإن كان بقرة جاء بها لها خوار ، وإن كانت شاة جاء بها تَيْعَرُ ، فقد بلَّغت» فقال أبو حميد: ثم رفع رسول الله ﷺ يده حتى إننا لننظر إلى عفرة إبطيه)[2].

وهذا النهي عام في عامة الناس والولاة ، فليس أحد بأحق من أحد فيه إلا بما فرض الله له ؛ كما قال عمر رضي الله عنه. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم ، كما يقسم المالك ملكه ، فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء ، ليسوا ملاكاً ، كما قال رسول الله ﷺ: «إني ـ والله ـ لا أعطي أحداً ، وإنما أنا قاسم أضع حيث أُمرت» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه ، فهذا رسول رب العالمين ، قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره ، كما يفعل المالك الذي أبيح له التصرف في ماله)[3].

ومن هذه النصوص تتضح صلة الدولة بالملكية العامة ، فالدولة بمثابة الوكيل والمؤتمن ، وليست مالكاً حقيقياً مطلق التصرف فيما تحت يده ،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٦).

(٣) السياسة الشرعية: ابن تيمية: ص ٥١ ـ ٥٢. والحديث النبوي سبق تخريجه.

وهي مطالبة حينئذ برعاية هذه الملكيات وحمايتها ، والعمل فيها بما يصلحها ، وفي هذا يقول القاضي أبو يوسف ـ رحمه الله: (وعلى الإمام كري هذا النهر الأعظم الذي لعامة المسلمين إن احتاج إلى كري ، وعليه أن يصلح مسناته إن خيف منه)[1].

كما أن الدولة مطالبة أيضاً بعدم التصرف في هذه الملكية تصرفاً غير شرعي ، أو أن تستأثر منها بما لا يجوز لها الاستئثار بها ، بل عليها أن تعطي الناس مالهم فيها من الحقوق ، وأن تضمن لهم الانتفاع بها بحيث لا يتعدى أحد على حق أحد فيها ، أو يظلم أحد فيعطى دون حقه الواجب له.

٣ ـ أثر الملكية العامة في الإسلام على تملك الدولة وسائل الإعلام:

تَمَلُّكُ الدولة وسائل الإعلام أحد المباحث الرئيسة في الدراسات الإعلامية ـ كما سبق بيانه ـ وذلك ناشئ من العلاقة التاريخية الوثقى بين الدولة ووسائل الإعلام ، كما أن طبيعة وسائل الإعلام ومالها من تأثير في حياة الناس الخاصة والعامة ، جعل الدول على اختلاف نظمها وفلسفاتها تحرص على حيازة هذه الوسائل ، أو السيطرة عليها واستثمارها.

والحديث عن تملك الدولة وسائل الإعلام في الإسلام ، داخل في موضوع الملكية بوجه عام ، وداخل كذلك من جانب آخر في طبيعة النظام السياسي وأسسه التي يقوم عليها.

ومما سبق ، اتضح أن الدولة في الإسلام لها الحق في الرقابة ، والإشراف على وسائل الإعلام ، كما اتضح أن الملكيات العامة ـ بما فيها بيت المال ـ إنما هي حقوق المسلمين جميعاً ، أُؤْتُمِنَ عليها أولو الأمر في الدولة الإسلامية ، وأن الدولة لا تعد مالكاً حقيقياً لها ، وإنما هي بمثابة الوكيل والمؤتمن عليها ، وهذا فارق كبير في موضوع ملكية الدولة لوسائل الإعلام بين النظام الإسلامي وغيره من النظم ، وعليه فلو أصبحت وسائل الإعلام وسائل رسمية ـ كما يعبر عنها في الوقت الحاضر ـ فهي في هذه

---

(١) الخراج: أبو يوسف: ص ١٠٦.

الحالة ذات صفة عامة ، جعلت لمصلحة الأمة ، وللأمة حق الانتفاع بها ، وصلة الدولة بها صلة الوكيل والأمين ، وملكية الدولة هنا ملكية اعتبارية ، أي باعتبارها المشرف الأول عليها ، والذي يظهر لي أن تملك الدولة وسائل الإعلام بهذا الاعتبار أمر ليس هناك ما يعارضه ، لاسيما مع النظر في بعض الأمور التي لها صلة باختصاصات الدولة ، من مثل :

أ ـ حق الدول في تملك ما هو من لوازم السلطة :

مثل تملك السلاح لإقامة الجهاد وردع الباغي ، وتملك الدور لمؤسسات الدولة وإداراتها ، واستعمال العمال والأمراء والجند للقيام بالمهام الإدارية ، ومهام حفظ الأمن والدفاع عن الإسلام وأهله ، وغير ذلك من لوازم الدولة التي لا تستطيع القيام بواجبها تجاه الرعية والدين إلا بوجودها ، ومما هو ظاهر معروف أن وسائل الإعلام لها مكانة مهمة في الدولة ، فهي رديفة للسلاح المادي وقت الحرب ، ووسيلة لنشر الحق والدين بين الناس ، وهي تؤدي وظائف وواجبات في المجتمع متعددة ، فمن باب أولى إذن أن تمتلكها الدولة لما ذكر .

ب ـ الدفاع عن سياسات الدولة الإسلامية وبيان مواقفها على المستوى الداخلي والخارجي :

وهذا الأمر من حقوق الدولة الرئيسة ، ومن لوازمه تملك الدولة وسائل الإعلام ، وذلك من منطلق كون القائمين على الحكم هم أقرب الناس وأقدرهم على فهم طبيعة العلاقات السياسية ، وتقدير أوضاعها المختلفة ، وهذا هو الواضح من هدي رسول الله ﷺ حيث كان في المدينة يرسم السياسات الخارجية للدولة الإسلامية بالمدينة ، ويحدد أطر العلاقات مع الآخرين ، ويتولى تفسير المواقف المختلفة وشرحها للصحابة رضي الله عنهم[1] .

---

(١) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد : الإمام ابن القيم : ٣/ ٥٩٥ .

وقد وجه القرآن الكريم للرجوع إلى أولي الأمر فيما يشكل على المسلمين من أمورهم العامة ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1] ، قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (المعنى أنهم إذا سمعوا شيئاً من الأمور فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم ، ﴿ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾ وهو ضد هذا ﴿ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي لم يحدثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به ويفشيه ، ﴿ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ ﴾ ، وهم أهل العلم والفقه، روي عن الحسن وقتادة وغيرهما. وقال السدي وابن زيد: هم الولاة. وقيل: أمراء السرايا. ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي يستخرجونه ، أي لعلموا ما ينبغي أن يفشى منه وما ينبغي أن يكتم)[2].

وقال الإمام الشوكاني: (المعنى: أنهم لو تركوا الإذاعة للأخبار حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يذيعها ، أو يكون أولو الأمر منهم هم الذين يتولون ذلك ، لأنهم يعلمون ما ينبغي أن يُفْشَى وما ينبغي أن يكتم)[3].

فالمخول بالبتِّ في مثل هذه القضايا المتعلقة بمصير الأمة السياسي أو العسكري هم أولو العلم، وهذا مبرر قوي في مشروعية تملك الدولة لوسائل الإعلام ، لكي تقوم بهذه المهمة من خلالها ، فوسائل الإعلام اليوم هي المنابر التي يمكن أن تؤدى من خلالها هذه المهام بكل كفاءة وقوة.

جـ ـ إباحة الإسلام قيام الدولة ببعض الأعمال الاقتصادية:

فلو نظرنا لوسائل الإعلام من ناحية اقتصادية بحتة ، فإننا نجد أن

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: ٥/ ٢٩١.

(٣) فتح القدير: الإمام الشوكاني: ١/ ٤٩١.

الإسلام (لم يحرم على الحكومة إدارة صناعة أو تجارة ما)[1] ، ومن أمثال ذلك ملكية الدولة للمعادن كالذهب والفضة والقار والنفط (وقد اتفق الفقهاء على أن هذه المعادن تكون ملكاً لبيت المال ، أي للدولة الإسلامية)[2].

وتَمَلُّكُ الدولة لوسائل الإعلام لا يلغي تملك الأفراد أو الهيئات لها ، وذلك انطلاقاً من إباحة هذه الصور من الملكية بوجه عام ، ومن كون الهدف الذي يحق للدولة من أجله تملك وسائل الإعلام ـ في أكثره ـ هدف مشترك بين الدولة والأفراد ، فالدفاع عن المسلمين وقضاياهم وسياساتهم وتبنيها ، والقيام بواجبات النصيحة والإصلاح والتوجيه والدعوة في المجتمع وخارجه من الواجبات المشتركة بين المسلمين كافةً ، حاكمهم ومحكومهم كما سبق ذكر شيء منه.

وتَمَلُّكُ الدولة لوسائل الإعلام ينبثق من مبدأ القيام بالواجب ، لا من باب منافسة الأفراد أو الهيئات الموجودة في المجتمع ، فهي ملكية لأغراض محددة ، تكاد تنحصر في القيام بما لا يستطيع الأفراد القيام به ، وبما هو من قبيل الواجب العيني ، شأنه في ذلك شأن الاحتساب الذي يقوم به المحتسب باعتباره واجباً عينياً ، أما الأفراد فيقومون من باب التطوع.

ومن حق الدولة الإسلامية تنظيم الحياة الاقتصادية ، واتخاذ ما تتحقق به مصالح الناس في أمور معاشهم مما تركته الشريعة الإسلامية حراً مطلقاً ، ولم تنصّ على حكمٍ فيه ؛ مراعاةً لاختلاف أحوال الناس.

وبالجملة فإن جميع التنظيمات المتعلقة بالشؤون الاقتصادية ؛ التي فيها مصلحة محققة للمجتمع ؛ تدخل في نطاق هذا الأصل.

ويحق للدولة الإسلامية تأمين الخدمات العامة ، وتحقيق المصالح العامة المتعلقة بشؤون حياة الناس الدنيوية ، وتنشيط الحياة الاقتصادية.

---

(١) الحكومة الإسلامية: أبو الأعلى المودودي: ص ٣٧٢.

(٢) الملكية في الشريعة الإسلامية: د. عبد الله مختار يونس: ص ٢٥٣.

وقد كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الأشتر النخعي ـ واليه على مصر ـ: (ليكن همك بعمارة الأرض أكثر من همك باستجلاب خراجها).

وذكر الماوردي وأبو يعلى في كتابيهما (الأحكام السلطانية) أن من واجبات رئيس الدولة الإسلامية: بناء الجسور، والطرق، وفتح الثُّرَع، وما شابه ذلك.

ومن واجبات الدولة الإسلامية كذلك: إدارة الأموال العامة؛ التي هي ملك المجتمع كله، والإشراف عليها، وهذه الأموال تشتمل على المال النقدي المتجمع في بيت المال، والأموال العينية كالمواشي والمنتجات الزراعية التي أُخِذت من الزكاة، والأراضي التي هي ملك للمسلمين عامة كالأراضي الموات، والأراضي التي نزح عنها أهلها.

* * *

المبحث الرابع
الجانب الاجتماعي وتأثيره في تحديد الملكية

المطلب الأول: أثر الجانب الاجتماعي في تملك وسائل الإعلام:

تأثرت ملكية وسائل الإعلام في النظم الوضعية بطبيعة الجانب الاجتماعي ، ومن تقع عليه مسؤولية الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام ، ومن يتولى القيام بها ، فرأت النظرية الليبرالية أن هذه الوظيفة من مهمة الأفراد ، وأن الدولة يجب أن تكون بمنأى عنها ، وبررت ذلك بأن الوسائل الإعلامية المملوكة ملكية فردية هي وحدها القادرة على (أن تقوم بتنوير الجماهير ، وخدمة النظام السياسي ، والمحافظة على الحقوق المدنية ، فالصحافة الحرة وحدها ، والتي لا تدين بفضل الحكومة أو أي جماعة في المجتمع ـ كما يقول الليبراليون ـ هي التي تستطيع أن تخدم قضية الحقيقة ، وفي نهاية الأمر حقوق الأفراد والصالح العام)[1] .

أما في النظرية الشيوعية ، فإنها تعمل من منطلق نظريتها إلى أن الحزب هو الممثل الحقيقي للمجتمع ، وأنه يجب على وسائل الإعلام الشيوعية أن (تعمل في حدود الخط العام لسياسة الحزب واستراتيجيته وتكتيكه)[2] ، وذلك بناءً على النظرة الإعلامية القائمة على اعتبار الإعلام (قوة اجتماعية أساسية يجب تكييفها لتسهيل تحقيق الأهداف التي وضعها المجتمع ،

---

(١) وسائل الإعلام والمجتمع الحديث: وليام ريفرز وزملاؤه: ص ١٠٧ .

(٢) النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية: د. جيهان رشتي: ص ٢٩ .

وحيث إن الحزب الشيوعي هو الذي يحدد أهداف المجتمع السوفيتي ، فإنه يقوم بالسيطرة على الإعلام ، وينتظر أن يلتزم الإعلام بالولاء الشديد للحزب)[1] ، ومن ثم فهو الذي يحدد طبيعة الوظائف الاجتماعية ، وكيفية عرضها ومعالجتها ، وجعلت على هذا الأساس ملكية الوسائل الإعلامية خاصة بالدولة فقط ، وبنت ذلك أيضاً على مفهوم ، أن العمل الذي يجعل الدولة ممثلاً حقيقياً للمجتمع هو (وضع يدها على أساليب الإنتاج باسم المجتمع)[2] بحجة إلغاء الطبقية ورأس المال.

فعملت الدولة الشيوعية على السيطرة على وسائل الإعلام والاستقلال بملكيتها ، ورفضت النظرية أن تتحول هذه الوسائل إلى أيدي الجمهور دون توجيه مباشر من الحزب ، ورأت أن الإخلال بهذه السيطرة (قد يجعلها مجرد مرآة لتصوير الآلام والأفكار فقط ، واعتبر الحزب عدم الإشراف على وسائل الإعلام دعوة للسير خلف الرأي العام)[3].

فتصور مبدأ ما ، أو نظرية ما لطبيعة الوظيفة الاجتماعية ، ومن هو المخوَّل بالقيام بهذه الوظيفة ورعايتها وتوليها عامل مؤثر في تحديد طبيعة الملكية لوسائل الإعلام على النحو الذي وضحته.

ويتضح أثر الجانب الاجتماعي في الإسلام على ملكية وسائل الإعلام من خلال ما يلي:

أولاً: طبيعة الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام في الإسلام:

يمكننا الخروج بتصور عن الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام من خلال معرفتنا لأهمية المجتمع في الإسلام ، ومن تقع عليه مهمة إصلاحه.

ويبدو أن هذا الأمر من اليسر والسهولة بمكان كبير ، فإن من المبادئ

---

(١) النظرية العامة في الصحافة: خضور: ص ٤٧.

(٢) قضايا الفكر السياسي والقوة: د. ملحم قربان: ص ٢٥١.

(٣) النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية: د. جيهان رشتي: ص ٨٤.

المستقرة في شعور كل مسلم ، أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إصلاح الناس وهدايتهم ، وأن آخرهم وخيرهم محمد ﷺ هو أكمل الأنبياء شريعة وأشملهم رسالة ، فقد بعث للناس كافة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقد بين الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الهدى ما لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تنعم المجتمعات بالأمن ورغد العيش دونه ، فبيَّن السُّبل لرقي المجتمعات ، واستقرارها ، وصلاح أمورها كلها ، كما بيَّن سبب انهيار المجتمعات واضطرابها ، الأمر الذي يجعلنا نقول بكل وضوح: إن الإسلام بعقائده وشرائعه وأحكامه وآدابه ونظمه إنما جاء من أجل بناء المجتمعات البناء الصحيح الذي تستقيم به حياتها ؛ على الأصعدة كافة.

وتوضح هذا الجانب الآيات التي تربط بين الاستجابة للرسول واستقامة حال المجتمع ، فمن ذلك قوله سبحانه على لسان نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[3].

فالربط بين الاستجابة للنبي وبين صلاح حال المجتمع منهج مُطَّرد في سنة الله الكونية والقدرية ، ومن ثم مهمة الأنبياء إنما هي مهمة الوصول

---

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) نوح: ١٠ ـ ١٢ «يرسل السماء»: المطر الذي في السحاب. «مدراراً»: غزيراً متتابعاً.

(٣) هود: ١ ـ ٣ «أحكمت آياته»: نُظمت نظماً محكماً رصيناً. «فصلت»: فُرِّقت في التنزيل نجوماً بالحكمة.

بالمجتمعات إلى أفضل وضع في الجانب الأمني والمعيشي والعلاقات بين أفرادها ، وذلك من خلال الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾(١) .

وهذه المهمة هي أيضاً مهمة أتباع الرسل ، كما قال سبحانه عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(٢) ، وكما قال عز وجل عن هذه الأمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٣) ، وقال سبحانه عن رسوله ﷺ: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(٤) ، فهي مهمة متطابقة بين الرسول ﷺ وأمته ، وبتحقق فعل المعروف وترك المنكر يتحقق الصلاح والخير للمجتمع .

وأياً ما كان التقسيم الذي تسير فيه الوظيفة الاجتماعية ، والتوزيع لجوانب هذه الوظيفة ، فإن المستقر في الشرع الإسلامي أن صلاح المجتمع هدف عظيم ، وغاية نبيلة يتوقف عليها حصول الخير في الدنيا والآخرة: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٥) .

أي: وَعَد اللهُ المؤمنين منكم ، المصلحين لأعمالهم ؛ ليورثنهم أرض المشركين من العرب والعجم ، وليجعلنهم ملوكها وساستها .

وقد وفَّى سبحانه بوعده ، فإنه لم يمت ﷺ حتى فتح اللهُ عليه مكة وخيبر

---

(١) قريش: ٣ ـ ٤ .
(٢) الأعراف: ١٦٤ .
(٣) آل عمران: ١١٠ .
(٤) الأعراف: ١٥٧ .
(٥) النور: ٥٥ .

والبحرين وسائر جزيرة العرب ، وأخذ الجزية من مجوس هَجَر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هِرَقْل ملك الروم ، والمقوقس في مصر ، والنجاشي ملك الحبشة .

فكان الإسلامُ راسخاً قوياً ثابت القدم ، وتغير الحال من الخوف إلى الأمن ، وعبد المسلمون ربهم غير خائفين من أحد غير الله ، وهذه نعمة كبيرة ، وفَضْل لا يُحَدُّ .

ومفهوم الصلاح يشمل الصلاح في كل جوانب الحياة بما يتوافق مع الشرع الحكيم ، فليس الصلاح في جانب دون آخر ، فالجانب الاعتقادي والتشريعي والقضائي ، والجانب الاقتصادي ، والجانب التعليمي والسياسي وغير ذلك من الجوانب الأخرى في المجتمع داخلة في هذا المفهوم ، ومن فهم غير ذلك ، أو اتبع طريقة أنصاف الحلول ، والترقيع من هنا وهناك ، وآمن ببعض الجوانب وترك أخرى ، فإنه يصدق فيه قول الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[1] .

فإذن ، وظيفة الإعلام في المجتمع وظيفة كبرى ، وهي تعني القيام بالإصلاح ؛ الذي يرقى بالمجتمع إلى تمثل ما يريده الله سبحانه وتعالى منه من الخير ، والصلاح ، والاستقامة على دينه .

وهذه الوظيفة ـ كما مر ـ ليست وظيفة خاصة بفئة دون أخرى ، بل جميع أفراد المجتمع مسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى ، مسؤولية فردية كلٌّ عن نفسه وفق ما قاله الرسول ﷺ : «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيمَ أفناه ، وعن علمه فيمَ عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ، وعن جسمه فيمَ أبلاه»[2] .

كما أنه مسؤول مسؤولية تكبر أو تصغر بحسب ما لديه من المسؤولية ،

---

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٧) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٦٩).

كما قال ﷺ: «كلكم راعٍ فمسؤول عن رعيته»[1].

وكذلك جوانب الوظيفة الاجتماعية المختلفة، سواء المتعلق منها بالجانب التعليمي، أو التربوي، أو الإخباري ومهمة البلاغ، أو الإرشادي، أو ما هو متعلق بالجانب الاقتصادي أو السياسي أو غير ذلك، كلها تسري عليها القاعدة السابقة بجانبيها الفردي والجماعي.

ففي جانب بذل العلم وتعليمه للناس وخطورة كتمانه، توضح الأدلة من الكتاب الكريم وسنة رسول الله ﷺ ذلك، وأنه واجب فردي، كما أنه واجب جماعي أيضاً، فيقول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]، قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نفير الأحياء مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك، فإنه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ . . . ﴾ [التوبة: ١٢٠] الآية، قال: فنسخ ذلك بهذه الآية، وقد يقال: إن هذا بيان لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم؛ ليتفقه الخارجون مع الرسول ﷺ بما ينزل من الوحي عليه، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو، فيجتمع لهم الأمران في هذا النفير المعين، وبعده تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه وإما للجهاد، فإنه فرض كفاية على الأحياء، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله ﷺ وحده ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ يعني: عصبة، يعني: السرايا، ولا يسيروا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التوبة: ١٢٢.

وقد أُنزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون مع النبي ﷺ ، وقالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه ، فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ويبعث سرايا أخرى فذلك قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[1].

فأمر التفقه في الدين ـ على أي القولين ـ من الأمور المتعينة على المسلمين ، حتى ولو كان الأمر المأمور تركه من أجل تحقيق هذا التفقه هو الجهاد ، ثم إن هذا التفقه ليس تفقهاً سلبياً ، ولكنه تفقه إيجابي ، الهدف منه إيصال هذا الفقه إلى غيرهم ممن خرجوا أو لم يخرجوا للجهاد وفاتهم تعلمه.

وتأخذ هذه المهمة التعليمية الطابع الفردي ، كما أن لها صلة بوظيفة «ولي الأمر» أو واجب الدولة التعليمي ، حيث إن تحديد من يخرج ومن لا يخرج ، ومراقبة تنفيذ هذا التوجه القرآني من مهمات ولي الأمر ، وقد كان رسول الله ﷺ يتولى بنفسه مهمة تجييش الجيوش وبعث السرايا.

ويقول الرسول ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هَلَكَته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس»[2].

والحسد هنا ليس في مجرد الحصول على الحكمة ، وهي العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط ، وإنما مع ذلك العمل بها ، وتعليمها للناس.

ويشدد الرسول ﷺ في النهي عن التقصير في نشر العلم وكتمه ، ويعتبره جريمة شنيعة يستحق فاعلها التعذيب بالنار، فيقول ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم بلِجام من نار يوم القيامةُ»[3].

وفي جانب آخر من جوانب الوظيفة الاجتماعية وهو المتعلق بإصلاح

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢/ ٤٠٠.
(٢) رواه البخاري (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥).
(٣) رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦١) وأحمد (٧٥٦١).

ذات البين بين المسلمين، سواء على مستوى كونهم أفراداً أو جماعات، يأتي التوجيه القرآني الكريم موضحاً طبيعة هذه المسؤولية ، وأنها مسؤولية فردية وجماعية على حد سواء ، يقوم فيها الفرد بواجبه ، كما تؤدي الجماعة ممثلة في قيادتها السياسية واجبها في ذلك، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

هذا التوجيه القرآني ينيط المسؤولية بالأفراد وبالدولة كذلك ، وذلك أن مهمة الإصلاح بين الفئات المسلمة ـ لاسيما إذا كانت قوية في عدتها كثيرة في عددها ـ تحتاج إلى قدرة القائم بالصلح على تسكين الفتنة حتى ولو استدعى الأمر إلى قتال الباغي حتى يفيء إلى أمر الله عز وجل ، وهذه القدرة لا تتيسر إلا عند صاحب السلطان والدولة[2].

ولكن ذلك لا يلغي دور الفرد ، وأثره في الإصلاح بين المسلمين أفراداً وجماعات ، كما هو الحاصل من الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فقد (ثبت في «صحيح البخاري» من حديث الحسن عن أبي بَكْرَة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خطب يوماً ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة)[3].

---

(١) الحجرات: ٩ ـ ١٠ «بغت»: اعتدت ، واستطالت ، وأبت الصلح. «تفيء»: ترجع. «وأقسطوا»: اعدلوا في كل أموركم. «المقسطين»: العادلين فيحسن جزاءهم.

(٢) انظر: إعلام الموقعين: ابن القيم: ١/ ١٠٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤/ ١١٢، والحديث رواه البخاري (٧١٠٩) وأبو داود (٤٦٦٢) والترمذي (٣٧٧٣) والنسائي (٣/ ١٠٧) وأحمد (٢٠٦٦٣).

وقد وضح الرسول ﷺ مسؤولية الفرد في الإصلاح حين قال ﷺ في حديث آخر: «ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فليَنْهَه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره»[1].

ولنا كذلك أن نقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو سمة عظيمة من سمات المسلمين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3] لنا أن نقول بأن مسؤوليته أيضاً تقع على الفريقين، الفرد والجماعة؛ التي تتمثل صورتها الكبرى في القيادة السياسية للدولة الإسلامية.

وقد رسم الرسول ﷺ مسؤولية الفرد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[4].

وكلام علماء الإسلام ـ في أبواب السياسة الشرعية ـ عن واجب الدولة في الحسبة، يجلِّي دورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الدور الضابط للسلوك الاجتماعي بقوة السلطة لئلا ينحرف عن مساره، أو يضل عن هدفه الذي رسمه له الشارع الحكيم.

وهذا يوصل إلى القول بأن الوظيفة الاجتماعية ليست مسؤولية الدولة دون الأفراد، وليست كذلك مسؤولية الأفراد دون الدولة، بل كلٌّ عليه نصيبه من هذه المسؤولية بحسب ما له من الصلاحية، وما لديه من الإمكانات والقدرات المتاحة له بحكم موقعه أو مكانته، فالوظيفة

---

(١) رواه البخاري (٦٩٥٢) وأحمد (١١٩٧١).
(٢) آل عمران: ١١٠.
(٣) التوبة: ٧١.
(٤) سبق تخريجه.

الاجتماعية في الإسلام وظيفة الأفراد ، كما أنها وظيفة الدولة والمجتمع الإسلامي بجميع مؤسساته وأفراده ، وهذا يمثل وحدة متكاملة يكمل بعضها نقص بعض ، ويسدد بعضها قصور بعضها الآخر ، بخلاف ما عليه النظم البشرية الأخرى ، فالليبرالية ألغت ـ أو كادت ـ دور الدولة في المجتمع .

ثم جاءت الشيوعية علىٰ النقيض من ذلك ملغيةً دور الفرد ، وجاعلةً الدور للحزب المفوّض الوحيد ؛ الذي يملك حق تسيير المجتمع وتوجيهه .

ثانياً ـ التغير الاجتماعي في الإسلام :

التغيّر من حيث كونه حركة يخضع لها المجتمع (أمر واقع ، وظاهرة إنسانية وكونية عامة ، يشاهدها الإنسان المتأمّل منذ نعومة أظفاره ، فيما يجري حوله من الأحداث ، وهو من المسلّمات التي لا تحتاج إلىٰ إقامة البرهان عليها)[1] .

قال تعالىٰ في ذلك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[3] .

ومراد القرآن من هذا التغير والتغيير ـ كما يقوله المفسّرون ـ : أن الله سبحانه وتعالى لا يغيّر ما بقوم (من النعمة والإحسان ، ورغد العيش ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلىٰ الكفر ، ومن الطاعة إلىٰ المعصية ، أو من شكر نعم الله إلىٰ البطر بها ، فيسلبهم الله إياها عند ذلك ، وكذلك إذا غيّر العباد ما بأنفسهم من المعصية ، فانتقلوا إلىٰ طاعة الله ، غيَّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلىٰ الخير والسرور والغبطة والرحمة)[4] .

وهذا هو الفارق الكبير بين مفهوم التغير في الإسلام ، وبين ما عداه من

---

(١) يراجع : منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام ، محسن عبد الحميد : ص ٧ ـ ٨ .
(٢) الرعد : ١١ .
(٣) الأنفال : ٥٣ .
(٤) تيسير الكريم الرحمن ، ابن سعدي : ٤/ ٩٤ .

النّظم الوضعية ، فمثلاً يوضح (ولبور شرام) معياره للتحول العصري بقوله: تبدأ عملية التحوّل العصري عندما يكون هناك دافع للفلاح لأن يريد أن يصبح مالكاً للأرض ، ويدفع ابن الفلاح لأن يريد أن يتعلّم القراءة حتىٰ يحصل علىٰ عمل في المدينة ، ويدفع زوجة الفلاح لأن توقف الولادة ، ويدفع ابنة الفلاح لأن ترتدي فستاناً وتزيّن شعرها!![1].

وواضح تماماً ماذا يقصد (شرام) من ذلك ، إنه يوظّف تلك المفاهيم لخدمة النموذج الليبرالي الغربي بكل تفاصيله.

ومما يؤسف له أن غالبية المفكّرين العرب ساروا وراء ما قاله الوضعيون ونسوا ـ أو تناسوا ـ ما هو أفضل منه بكثير ، وهو ما جاء به الإسلام ، ذلك أن القرآن الكريم يركّز علىٰ الجوهر ، ويؤكّد علىٰ أن التغيير في مقدار الإيمان يؤدي إلىٰ النصر والأمن والتمكين ورغد العيش ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

ثالثاً ـ مسؤولية التغيير الاجتماعي في الإسلام:

حيث اعتبرت الشريعة الإسلامية التغيير سنّة من سنن الله سبحانه ، فمن خلال حركة الوجود والمجتمع يشتد الصراع ، وتتصادم المفاهيم والقيم ، ويكون البقاء ووراثة الأرض للأصلح ، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ

---

(١) أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية ، ولبورشرام: ص ١١ ـ ١٢.

(٢) الحج: ٣٩ ـ ٤١.

(٣) الرعد: ١٧. «الزبد»: هو الخَبَثُ الطافي عند إذابة المعادن. «جفاء»: مرمياً به مطروحاً ، أو متفرقاً.

يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وهكذا فمسؤولية التغيير في الإسلام هي مسؤولية الأنبياء والعلماء والولاة الصالحين من بعدهم ، وقد حمّلها الرسول ﷺ كل مسلم لديه شيء من العلم مهما كان قليلاً ، وذلك في قوله : «بلغوا عني ولو آية»[2] .

فالبلاغ منوط بالعلم ، فمن عَلِم من دين الله شيئاً فعليه واجب البلاغ والتعليم ، والبلاغ والتعليم أهم مقوّمات التغيير وعوامله ، وهذا يُظْهِر لنا أن مهمة التغيير تتسع لتشمل المسلمين كافة ممن لديهم القدرة علىٰ العلم والتعليم .

وهذه السعة يقابلها توجيه الدراسات الاجتماعية والإعلامية المعاصرة إلى مهمة التغيير ، وهذا هو الاتجاه السائد في هذه الدراسات ، ومن ثم أوجدت المبرر الكافي لسيطرة حكومات الدول النامية علىٰ وسائل الإعلام ، باعتبارها الجهة الوحيدة القادرة علىٰ إحداث التغيير المطلوب .

إذن :

يجب أن تكون وسائل الإعلام متاحةً لجميع أفراد المجتمع دون استثناء ، وهذه طبيعة الوظيفة الاجتماعية لملكية وسائل الإعلام .

لكن ما دام الناس متفاوتين في الصلاح والشعور بالمسؤولية ، لذلك ذكر الله سبحانه وتعالىٰ أن ورثة الكتاب ثلاثة أصناف : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[3] .

* * *

---

(١) الأعراف : ١٢٨ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) فاطر : ٣٢ . «ظالم لنفسه» : رجحت سيئاته على حسناته . «مقتصد» : استوت حسناته وسيئاته . «سابق بالخيرات» : رجحت حسناته على سيئاته .

المبحث الخامس
ملكية هيئات وسائل الإعلام في الإسلام

لطالما أكّدت الشريعة الإسلامية علىٰ التعاون والاجتماع علىٰ الخير، لذلك فإن وجود هذه الهيئات في المجتمع المسلم عمل مشروع ومبرور، ومصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾[1].

ويلفت شيخ الإسلام ابن تيمية الأذهان إلىٰ أن التجمّع يجب أن ينضبط بضابطين هما:

١ ـ أن يكون اجتماعهم علىٰ ما أمر الله به ورسوله ﷺ، من غير زيادةٍ ولا نقصان.

٢ ـ أن لا ينبني علىٰ هذا الاجتماع تعصّب لمن دخل حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل حزبهم، سواء كان علىٰ الحق والباطل، لأن ذلك من التفرّق الذي ذمّه الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون علىٰ البرّ والتقوىٰ، ونهيا عن الإثم والعدوان.

لذلك فتملُّك وسائل الإعلام في المجتمع المسلم يحقق غايات وأهدافاً معينة، مثل:

---

(١) التوبة: ٧١.

أ ـ أنه صورة من صور التعاون علىٰ الخير والبر والتقوىٰ بين المسلمين كافة.

ب ـ أنه يحقق ما لا يستطيع الأفراد منفردين القيام به من الواجبات الشرعية المشتركة.

ج ـ يكمّل جهود الدولة في الإسلام.

د ـ أنه أقدر علىٰ الاستمرار من العمل الفردي، وأقدر كذلك علىٰ التوسّع من العمل الحكومي.

وبالتالي فهناك أسس وضوابط تتعلّق بملكية الهيئات لوسائل الإعلام، منها:

ـ أن تكون قائمةً علىٰ ما أمر الله به، وحثَّ عليه رسوله ﷺ.

ـ وأن تهدف إلىٰ فتح باب الدعوة إلىٰ الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة.

ـ قيام هيئات من أجل العمل الإعلامي ذاته، وهذا يشتمل على الأسلوب والوسائل والمناهج والغايات، مما يجعلها تصنّف ضمن الواجبات والفرائض الكفائية، والتي يقول عنها الفقهاء: إذا ما قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين.

وكما هو معروف، فإن القاعدة الفقهية تنصّ علىٰ (أن الوسائل لها أحكام المقاصد)، فوسائل الإعلام التي تمتلكها تلك الهيئات من أجل خدمة هذه الغايات والمصالح التي تعمل من أجلها، تأخذ حكم هذه المصالح.

ومن أهم الضوابط التي تلحق بهذا النوع من الملكية ما يلي:

ـ المال والأعيان التي تمتلكها الهيئات ليست أموالاً ولا أعياناً خاصةً، بل هي شبيهة بالأموال العامة، وهم في مقام الوكيل أو المؤتمن علىٰ هذه الأموال.

ـ للوسائل الإعلامية المملوكة لهذه الهيئات حدود خاصة ، سواء في مضمونها ، أو في مداها الجغرافي ، لكن ذلك يرتبط بالوظائف التي أُنشئت من أجلها الهيئة ، وطبيعة عملها الذي تزاوله .

وأما ما يتعلّق بأهم الأسس التي تقوم عليها ملكية الدولة لوسائل الإعلام في نطاق الإعلام الإسلامي ، فنجملها فيما يلي :

أ ـ الأسس التي ترجع إلىٰ طبيعة النظام السياسي في الإسلام ، وأهمها :

١ ـ كون منصب الإمامة العظمىٰ في الدولة الإسلامية (الخلافة) نيابةً عن النبي ﷺ .

٢ ـ كون الطاعة المطلقة والسّيادة فيها لله عز وجل ولرسوله ﷺ .

٣ ـ كون نظام الخلافة يقضي بأن يستمرّ الخليفة في منصبه مدّة حياته ، ما لم يطرأ على ذلك مانع شرعي ، وأن الذي يتولّىٰ ترشيحه وانتخابه هم قادة الأمة ، وأهل الحلِّ والعقد فيها .

ب ـ الأسس التي ترجع إلىٰ طبيعة واجبات الدولة والحاكم ، وأهمها :

١ ـ شمول واجبات الإمام لوظائف وسائل الإعلام : كالجهاد ضد الأعداء ، وحفظ الدين علىٰ الأصول التي أجمع عليها السلف الصالح من هذه الأمة .

٢ ـ انتفاء مبرّر حصر ملكية وسائل الإعلام في الملكية الخاصة ، كما في الليبرالية مثلاً .

٣ ـ واجب الدولة في الاحتساب علىٰ المنكرات واجبٌ عيني .

٤ ـ واجب الدولة في التغيير والإصلاح الاجتماعي .

ج ـ الأسس التي ترجع إلىٰ طبيعة حقوق الدولة والحاكم ، وأهمها :

١ ـ حق الردّ إلىٰ ولاة الأمر ، وهم هنا الولاة والحكام .

٢ ـ امتلاك الدولة لما هو من لوازم السلطة ، كالسلاح ونحوه .

٣ ـ الإباحة الأصلية لمبدأ تملك الدولة.

أما ما يتعلّق بطبيعة ملكية الدولة لوسائل الإعلام في الإسلام، فتتحدّد من خلال عنصرين اثنين، هما:

ـ طبيعة ملكية الدولة لأعيان الوسائل الإعلامية، فملكيتها اعتبارية، أي ليست ملكية اختصاص، وإنما هي ملكية أمانة ومسؤولية، كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما هم أمناء ونوّاب ووكلاء، وليسوا ملاّكاً[1].

ـ طبيعة ملكية الدولة لمنفعة الوسائل الإعلامية: تأتي من جنس ملكيتها لبقية الأعيان والأموال، ولذلك فهي وسائل للوصل والاتصال بين الدولة والأمة، ووسائل تحديد لشخصية الأمة، ورسم لها ولمكانتها، وبسط لرؤيتها في مختلف قضايا الناس، وهذا ما يحقق مصالح المسلمين.

وبالتالي، لا توجد صورة واحدة تحصر ملكية الدولة الإسلامية لوسائل الإعلام، فقد تمتلك الدولة جزءاً من أسهم المؤسسة الإعلامية، وقد تدعمها من بيت مال المسلمين، وقد تختصّ الدولة بملكية نوع من أنواع الإنتاج الإعلامي... إلخ[2].

* * *

(١) السياسة الشرعية: ص ١٥ ـ ١٦.

(٢) للتوسع يراجع: ملكية وسائل الإعلام وعلاقتها بالوظائف الإعلامية، محمد الخرعان: ص ٢١٧ ـ ٢٦٩.

الفصل الخامس

أهم ميّزات الإعلام الإسلامي

هناك عدد كبير من الخصائص والميزات التي تختص بالإعلام الإسلامي ، ولكن يمكن ضبطها بعدد محدد من الميزات ، أهمها ما يلي :

المبحث الأول : عمومية الإعلام الإسلامي :

كلنا يعلم مدىٰ شمولية الشريعة الإسلامية لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان ، وبناءً عليه لا يجوز لأي مسلم كان ، وفي أي ظرفٍ من الظروف ، وفي أي مكانٍ من الأمكنة أن يوجّه شطره نحو إيديولوجيات وضعية ، فيأخذ عنها ويترك ما ورد في الشريعة الخالدة ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] . وتتضح عمومية الإسلام في كثير من المواطن ، منها :

أ ـ كونه ديناً للناس أجمعين ، فلا يخصّ قوماً دون قوم ، ولا زماناً دون زمان ، بل هو للناس كافة ، قال الله تعالىٰ عن رسوله الخاتم ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]

---

(١) البقرة : ٨٥ . «خزي» : هوان ، وفضيحة ، وعقوبة .

(٢) سبأ : ٢٨ .

وقال سبحانه عن القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

ب ـ عمومية الأحكام الإسلامية: أي تشتمل على كل سلوك الإنسان وشؤونه.

ج ـ عمومية الجزاء: فالكل سيحاسب علىٰ الخير والشر، في الصغيرة والكبيرة.

د ـ عمومية التبليغ: فكل مسلم ومسلمة مسؤول عن تبليغ دينه بالقدر الذي يستطيع، وهذا عملٌ إعلامي بحت.

وما دام القرآن قد بيّن لنا أن الأسوة والقدوة لنا هو رسول الله ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[2] فهو قد عاش حياة إعلامية حافلة، وذلك ابتداء منذ نزل عليه الوحي بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[4].

واستمر ذلك العمل الدؤوب إلىٰ أن انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، بحيث لم يدع فرصةً إلا انتهزها لصالح الدعوة والإبلاغ والإعلام، خاصة مواسم الحج، إضافة إلىٰ إرساله للوفود، وللدعاة، وللسفراء.

والقرآن قد ضبط المسألة بأن النبي ﷺ ليس عليه هداية الناس، إنما عليه فقط تبليغهم الرسالة السماوية، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[6].

---

(١) التكوير: ٢٧.
(٢) الأحزاب: ٢١.
(٣) الحجر: ٩٤.
(٤) المدثر: ١ ـ ٢. «المدثر»: المتغشّي بثيابه (النبي ﷺ).
(٥) الشورىٰ: ٤٨.
(٦) الرعد: ٤٠.

وبالتالي ، فمهمة تبليغ الدعوة ـ أي الإعلام ـ هي مهمة يتحمّلها بعض فئات المجتمع الإسلامي لا كله ، ولذلك ذكر العلماء أن ذلك يُعَدُّ من فروض الكفاية ، بحيث إذا قام به بعضهم سقط عن الكل ، لكن إذا لم يقم به أحد أثم المجموع ، ولذلك وردت الآيات والأحاديث التي تشجّع وتحضُّ علىٰ الدعوة إلىٰ الله ، وإبلاغ الناس أمور دينهم ، لكن دون قسوة ولا شدة ولا غلظة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

أما عمومية الإعلام الإسلامي فيمكن تصنيفها إلىٰ عدة أمور ، هي :

أولاً ـ علىٰ النطاق العام :

١ ـ المقرئون : حيث يقوم حَمَلة القرآن بنشر الدين الحنيف ، كما فعل (مصعب بن عمير) رضي الله عنه في بدايات الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ، وهذا معنىٰ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[2] .

٢ ـ الجهاد في سبيل الله تعالىٰ : ذلك أن الحرب في الميزان الشرعي ليست من أجل سفك الدماء ، والاعتداء علىٰ الآخرين ، بل هي عبارة عن فتح الطريق أمام الدعوة إلىٰ الحق والتوحيد ، قال الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[3] وقال عز وجل : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] .

٣ ـ المساجد : بحيث اعتبرت الشريعة الإسلامية كل مسجد مركزاً إعلامياً ، ذلك لأن المسجد لم يوجد لإقامة الشعائر الدينية فقط ، بل هو

---

(١) فصلت : ٣٣ .
(٢) النمل : ٩١ ـ ٩٢ .
(٣) البقرة : ٢٥٦ .
(٤) البقرة : ١٩٣ .

مكان لتبليغ الدعوة ، ورفع راية العدل في المجتمعات.

٤ ـ خطبة الجمعة: حيث يجتمع غالبية المسلمين في بيوتات الله ، ليستمعوا إلىٰ الخطباء دون كلام ولا لغو ولا رفث ، وهذا نوع من أنواع الإعلام الناجح. وهذا يتطلب من الخطباء أن يكونوا على قدر متميز من التأثير ، والقدرة على التبليغ ؛ ليستطيعوا التأثير على الحاضرين ، وبالتالي يتغير سلوكهم نحو الأفضل. وما خرج من القلب وقع في القلب ، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان ؛ لذا فإن الإخلاص عند الخطيب أمر مهمّ للغاية.

٥ ـ الأذان: وهو نوع آخر من أنواع الإعلام الإسلامي ، ففي اليوم الواحد يسمع المسلم خمس مرات نداءً يذكره بالتوجّه إلىٰ المسجد ، وذلك من أجل إقامة ركن من أركان الإسلام ، وهو الصلاة . ومن جهة أخرىٰ فإن الأذان ، ونتيجة تكراره ؛ يرسخ في الأذهان جملة من المرتكزات الرئيسية. فمثلاً يُفهم من مفردات الأذان أشياء من صميم العقيدة ، فعندما يقول المؤذن: (الله أكبر) يُفهم من خلالها: أنّ كل ما عدا الله أصغر.

٦ ـ الحج: وهو مؤتمر عالمي دعوي ، يلتقي فيه المسلم مع إخوانه المسلمين من أنحاء المعمورة ، وشعارهم هناك «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك ، وإن الخير كله في يديك ، لبّيك».

وعلىٰ عاتق القائمين علىٰ أمور الحج تقع مسؤولية إعلام الناس بكل ما يحدث للمسلمين من ويلاتٍ ونكبات ، وعليهم أن يتنازل كلٌّ منهم عن عنجهيته.. وأهوائه وما إلى هنالك ، وتتشابك في ذلك الأيدي ، ويتفق الجميع من أجل تحقيق هدف واحد هو النهوض بالأمة إلىٰ حالٍ أحسن.

٧ ـ الجامعات والمنظمات والمراكز والجمعيات والمعاهد ونحو ذلك: ولها دور كبير في الإعلام الإسلامي ، وخاصة فيما يتعلق بتخريج الدعاة والمتخصصين ، ونحو ذلك.

٨ ـ المؤتمرات والندوات: وعليها أن تركز علىٰ فقه الواقع وحركة الإنسان في نواحي الحياة، لا أن تكون المؤتمرات والندوات لتقديس الأشخاص والمذاهب والأقوال. . . !!.

٩ ـ وسائل الإعلام: من حيث إنها أسلحة ذات حدّين، فإذا استُخدمت لصالح الدعوة بالحسنى، كانت الحياة رغيدة وهنية، وإلا عاش المجتمع في شقاءٍ ما بعده شقاء.

ثانياً ـ الإعلام علىٰ النطاق الجماعي:

١ ـ الدعوة الجماعية: حيث تقوم غالبية الجمعيات الدينية، والأحزاب الإسلامية بنشر الدعوة بين أفرادها أولاً، ثم بين الآخرين ثانياً، ولذلك العمل أثر كبير في مجالات الإعلام الإسلامي، والنهوض به إلى أرقى المستويات.

٢ ـ الدروس والمحاضرات: مثل التي تُعقد في المساجد، كما يحدث في شهر رمضان وغيره، ولذلك يجب ضبط تلك النشاطات بالضوابط العلمية والشرعية، كي لا يدخل علىٰ خط التبليغ جماعة نشر المنامات والحكايات غير الموثّقة، إنما لابدّ أن نقدّم المعلومة الصحيحة الصريحة الميسّرة.

٣ ـ الاحتفالات: وما أكثرها في حركة حياة المسلمين، مثل حفلات الأعراس والحفلات الموسمية الدينية، وهذه الاحتفالات في الواقع هي سلاح ذو حدّين، فيمكن استخدامه للتسلية وتقطيع الأوقات وتسطيح الفكرة، ويمكن استخدامه بشكل هادف ومركّز، بحيث يكون من خلاله دور كبير للتربية والدعوة إلىٰ الله.

ثالثاً: علىٰ النطاق الفردي:

١ ـ الدعوة الفردية: وهذا أمرٌ يستطيعُ فعله أي مسلم، بحيث يرىٰ الناس سلوكه ويتعاملون معه بالدرهم والدينار، ويرصدون تحرّكاته أثناء

مزاحه وأثناء غضبه ، ويعرفون أقواله وأفعاله من خلال التعامل .

فإذا رأوا فيه الأخلاق الفاضلة . . . والتعامل الحسن . . والاندفاع إلىٰ عمل الخيرات . . . والحبّ لكل عباد الله . . . أيقنوا أن الفكر الذي يحمله ، والعقيدة التي يدين بها هي الحق . . . ، وإلا كان عكس ذلك تماماً .

يقول عبد الرزاق نوفل : (وقد انتشر الإسلام في جزر الفلبين بوساطة عالم مسلم هو (كريم المخزومي) ، إذ وجد فيه القوم رجلاً صادقاً أميناً سمحاً ، لا يسرق ولا يزني ولا يشرب الخمر ، ويؤدي فرائض ربه في أوقاتها ، وجمع كل مكارم الأخلاق ، فاعتنقوا الإسلام إيماناً منهم بأن هذا الدين هو سبيل الخلق الحسن الكريم)[1] .

٢ ـ مسؤولية الأب تجاه الأسرة : حيث يقوم بالإشراف عليها ، تربيةً وأخلاقاً وتعاملاً ، لذلك يتصل بأفراد الأسرة يومياً . . ويراقب تحركاتهم ساعة تلو ساعة ، فيذكّر بالأخطاء وينبه إليها لتجنُّبها ، ويشجّع علىٰ الأمور الصحيحة ويكافئ عليها .

والواقع يؤكّد ـ بلا ريب ـ ، أن التعاون بين الأب والأم ، وبين الأولاد يؤدي إلىٰ إقامة أسرة رائعة ، وهذا ما ألمح إليه المصطفى ﷺ بقوله : «كلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، الإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل في أهلِه راعٍ وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيّده راعٍ ، وهو مسؤول عن رعيته»[2] !

إن الإسلام يملك قوة هائلة في الإعلام ، وعلىٰ جميع المستويات ، وهذا يؤكّد علىٰ عمومية الإعلام الإسلامي وعالميته .

لذلك علىٰ كل مسلمٍ في هذا الزمن العصيب أن يتحمّل قسطاً من تبليغ

---

(١) الدعوة إلىٰ الإسلام : ص ٧٤ .

(٢) المسند ، للإمام أحمد بن حنبل : (٦٠٢٦) .

الدعوة للآخرين ، وليوقن المسلم أن قرآنه عالمي ، ونبيه ﷺ عالمي ، وكل ما في الشريعة الإسلامية عالمي .

صحيح أن الأمة تواجه طائفةً من الحملات المنظمة والمدعومة ، كالتبشير والتنصير ، لكن بالمقابل فأمتنا تختزن مخزونات كبيرة ، روحية . . واقتصادية . . . وبشرية ونحو ذلك ، وفوق هذا وذاك فقوة الله معنا إذا كنا مع الله سبحانه .

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثاني
استقلالية الإعلام الإسلامي

ذلك لأن الإسلام ـ عقيدةً وشريعةً ـ نظام مستقل متكامل متميّز ، وهو ينادي الناس كافة للدخول في الدين ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾(١) .

(من أول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكليتهم لله ، في ذواتهم وأنفسهم ، وفي الصغير والكبير من أمرهم ، أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقىٰ بعده بقية ناشزة من تصوّر أو شعور ، ومن نيّة أو عمل ، ومن رغبة أو رهبة لا تخضع لله ، ولا ترضىٰ بحكمه وقضائه ، استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية ، الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد ، وهم مطمئنون إلىٰ الطريق والمصير ، في الدنيا والآخرة سواء)(٢) .

وهذا يعني وحدة اتجاه المسلمين نحو دينهم ، ونبذ كل نظام جاهلي ، وعدم اتباع أي نهج غير الإسلام ، وهذا جوهر استقلالية الإسلام كله .

ولذلك لا يؤمن الإسلام بأنصاف الحلول ، ولا يوقن بمنهج بين بين ،

---

(١) البقرة: ٢٠٨ .

(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٢٠٦ .

إنما يقول: إما أن تكون مع الحق ، وإما أن تكون مع الضلال ، إما أن تكون مع الله ، وإما أن تتبع خطوات الشيطان.

ومن الأمثلة العديدة التي توضح استقلالية منهج الإعلام الإسلامي:

١ ـ المصدر الرئيس للتشريع:

هناك آيات كثيرة وأحاديث نبوية كثيرة أيضاً تطالب المسلمين بالتمسّك بالمصدرين الأصليين وهما القرآن والسنة ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١).

وعلىٰ جميع أفراد المجتمع المسلم أن يتبعوا الطريق الذي رسمه الله تعالىٰ لهم ، ولا يتبعوا السبل والأفكار التي تخالف المنهج القويم ، قال تعالىٰ في ذلك: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢).

ولذلك يجب أن يصطبغ الإعلام الإسلامي بالصبغة الإسلامية البحتة ، دون تأثر بمذهبٍ مادي ، أو اتجاه حزبي ، أو نظرية غربية أو شرقية ، وفي الإسلام أصل كل خيرٍ ورشاد لأصول الإعلام وأركانه ، وبالإمكان معرفة ما يلزم الإعلامي منه دون أن يكون عالة علىٰ كتابات الغربيين ، يتطفّل علىٰ موائدهم وإن كان علماً جديداً . . !

ومن الأمثلة الكثيرة التي توضح لنا بجلاء استقلالية الإعلام الإسلامي ، من خلال استقلالية مصادر التشريع الإسلامي ، ما يلي:

١ ـ روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» وغيره، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نسخ عمر رضي الله عنه كتاباً من التوراة بالعربية ، فجاء به إلىٰ

---

(١) النساء: ٦٥. «شجر بينهم»: أشكل والتبس عليهم من الأمور. «حرجاً»: ضيقاً أو شكّاً.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

النبي ﷺ ، فجعل يقرأ ، ووجه رسول الله يتغير .

فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب! ألا ترىٰ وجه رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا ، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، ووالله لو كان موسىٰ بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني» .

٢ ـ **الإسرائيليات**: وهي العقائد والأساطير التي دسَّها اليهود والنصارىٰ في الدين الإسلامي ، منذ القرن الأول الهجري .

وللعلماء في تقسيمها كلام كثير ، لكن يمكن ضبطها بثلاثة أقسام ، هي:

ـ موافقة لما في شريعتنا: وهي مقبولة .

ـ مخالفة لما في شريعتنا: وهي مردودة .

ـ مسكوت عنها: وليس في شريعتنا ما يؤيّدها ، ولا ما ينقضها .

أما في هذا العصر ، وقد انتشرت العلوم ، وصُنّفت ، وهُذّبت ، فيجب التشدّد كثيراً في قبول الخبر ، والبحث بشكل دقيق عن شروط صحته .

أما الظن . . . والخيالات . . . والمنامات . . فذاك الذي أدّىٰ بأهل الكتاب إلىٰ الضلال والانحراف ، قال تعالىٰ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[1] ولذلك أمر الإسلام أتباعه باجتناب الظن ، والبحث عن الحق ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2] ومن هنا ، فيجب اتخاذ مصدر مستقل للمعلومات بالمسلمين ، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

أ ـ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا

---

(١) الأنعام: ١١٦ .

(٢) الحجرات: ١٢ .

بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1].

أي: لا يكون الخبر صحيحاً إذا كان المصدر المستقى منه كاذباً، وهنا مصدر الأنباء رجل فاسق، أي غير ملتزم بشروط نقل الخبر، وهي الثقة والأمانة والصدق، وقد قطع الإسلام التأويلات علىٰ مُستقبلي هذه الأخبار.

ب ـ قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

ج ـ قول المعصوم صلوات الله عليه: «من أتىٰ عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد»[3].

وقوله ﷺ: «من أتىٰ عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[4].

وهذه دعوة واضحة إلىٰ الإعلام الإسلامي أن يكون ملتزماً بالصدق، حذراً من المنافقين والكفرة والكذابين.

أما ما نراه من غالبية وسائل الإعلام الوضعية، فمما يؤسف له أنها لا تلتزم الصدق، مبررة ذلك بقول: (الوسيلة تبرر الغاية) والمهم هو السَّبق الصحفي.... والأرباح الفاحشة أولاً وأخيراً.

وهذا ما يستدعي من شباب الأمة أن ينطلقوا نحو اللغات الأخرىٰ، فيتعلَّموها ويتقنوها، وذلك من أجل فهم ما يدور عندهم ضدنا، وأن لا يكون الاعتماد في نقل الأخبار إلا علىٰ ملة الإسلام، وإلا كيف يأمن المسلم عدوَّه...؟!

---

(١) الحجرات: ٦.
(٢) المنافقون: ١ ـ ٢. «جُنة»: وقاية لأنفسهم وأموالهم.
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين، للحاكم: ص ١ ـ ٨.
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٢٣٠).

٢ ـ بين الإعلام الإسلامي والإعلام المضلِّ:

بيَّنت الشريعة الإسلامية منهج التفكير والسياسة الإعلامية التي يتبعها أهل الباطل من أجل طمس الحق وتضليل الآخرين ، وهذا هو الفارق الكبير بين الإعلام الإسلامي وإعلام ملة الكفر.

أ ـ فوجهة الإعلام المضلَ تبينها كثير من الآيات القرآنية ، منها قول الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾(٢).

وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٣).

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

وقوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٥).

ب ـ ومن الآيات التي بيَّنت ضلالهم ما يلي:

---

(١) النساء: ٤٤.
(٢) الكهف: ٥٦. «ليدحضوا»: ليبطلوا ويزيلوا. «هزواً»: استهزاء وسخرية.
(٣) الأنعام: ١١٢. «زخرف القول»: باطله المموَّه المزوَّق. «غروراً»: خداعاً وأَخْذاً على غِرَّة.
(٤) آل عمران: ٧٨. «يلوون ألسنتهم»: يميلونها عن الصحيح إلى المحرَّف.
(٥) الحج: ٣ ـ ٤. «مريد»: متمرد عاتٍ متجرد للفساد. «تولاه»: اتخذه ولياً ، وتَبِعَه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾(٢).

وقوله عز وجل: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣).

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٤).

ج ـ لذلك جاء التنبيه والتحذير، لئلا يقع البسطاء في الفخ، خاصة وقد فضح الإسلام أساليبهم الإعلامية، ومناهج تفكيرهم.

من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٥).

ومن الإيجابية الواضحة للإعلام الإسلامي أن دعاهم إلىٰ الدين الحق، مثال قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٦).

د ـ وما أكثر الآيات التي تدلُّ بكل وضوح علىٰ استقلالية الإعلام الإسلامي، وعلىٰ نهج الوسطية وسمو المقصد، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ

---

(١) الزخرف: ٢٢. «على أمة»: على دِيْن وطريقة تُؤَمّ وتُقْصَد.
(٢) الشورىٰ: ١٤. «بغياً بينهم»: عداوة، أو طلباً للدنيا.
(٣) الصافات: ١٥٤ ـ ١٥٧.
(٤) المائدة: ٧٧. «لا تغلوا»: لا تجاوزوا الحدَّ، ولا تفرطوا.
(٥) الشورى: ١٥.
(٦) يونس: ٣٥.

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

ومنها قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[2].

وهكذا، يشتري الكفرة بإعلامهم الضلالة، ويجادلون بالباطل، بينما يسطع نجم الإعلام الإسلامي رافعاً لواء الحقيقة المجرَّدة، مسخراً كل وسائله الإعلامية لبيان القول الطيب والعمل الصالح، كل ذلك ضمن شخصية مستقلة، وخصائص مميزة، وهذا هو عين وحقيقة وجوهر الإسلام الحق.

* * *

(١) الحديد: ٢٥. «الميزان»: العدل.

(٢) إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثالث
ثبات الإعلام الإسلامي

يضمن الثبات في مقوِّمات التصوُّر الإسلامي وقيمه للحياة الإسلامية خاصية (الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت ، فيضمن للفكر الإسلامي ، وللحياة الإسلامية مزيَّة التناسق مع النظام الكوني العام ، ويقيه شرَّ الفساد الذي يصيب الكون كله لو اتبع أهواء البشر بلا ضابط من قاعدة ثابتة لا تتأرجح مع الأهواء.

ثم هو ـ في النهاية ـ الذي يضمن للمسلم في المجتمع الإسلامي مبادئ ثابتة يتحاكم إليها هو وحكَّامه علىٰ السواء ، فلا يطلق هؤلاء أيديهم في مقوماته وحرياته وحقوقه في مقابل أن يطلقوا هم حرية الشهوات والنزوات الحيوانية للجماهير المكبوتة في قماقم الاستبداد)[1].

لذلك لابدَّ من تصوُّر ثابت للمقومات والقيم ، يجيء من مصدر ثابت من العلم والإرادة ، مصدر يرىٰ المجال كله ، والخط كله ، فلا تخفىٰ عليه منحنيات الدرب ، ولا يقدِّر اليوم تقديراً يظهر في غدٍ خطؤه ونقصه ، ولا تتلبَّس به شهوة أو هوىٰ يؤثر في موازينه وتقديراته.

ولا ضير بعد ذلك من الحركة ، والتغيير ، والتطور ، والنمو ، والترقِّي ، بل تصبح كلها مطلوبة ، وتصبح كلها مأمونة ، وتصبح كلها تلبية

(١) خصائص التصوُّر الإسلامي ، سيد قطب: ص ٨٤.

للفطرة القائمة علىٰ الحركة داخل إطار ثابت . . . حول محور ثابت ، ولكنها حركة راشدة واعية ، مدركة للغاية الثابتة التي تتجه إليها ، في خط متزن ، مستقيم راسخ ، وهذا هو ضمان الحياة الطويلة المدىٰ ، المتناسقة التصميم .

وهكذا تسبح العلوم في فلك الإسلام ، وتتفرَّع الأحكام في نظامه ، ويقيس العلماء الأمور بعضها على بعض ، ما دام الأصل ثابتاً ، وما دامت المبادئ موجودة .

وبالتالي ، فيعتبر الإعلام الحارس الأمين لهذه المبادئ والأحكام ، فهو مسخَّر لأن يحمل هذه الدعوة ويقدِّمها نقيَّة ـ دون تغيير أو تشويه ـ عبر الوسائل الإعلامية ، وبأسلوب علمي توثيقي ، لتلقىٰ القبول والمكانة اللائقة بها . لكن هناك مسائل تشريعية ثابتة ، وهناك ما هو قابلٌ للتجديد ومنها ما هو قابل للتبديل ، لذلك يمكن تقسيم الأحكام الشرعية إلىٰ ما يلي :

١ ـ المسائل التشريعية القابلة للتجديد :

وتدور في فلك القواعد والمبادئ التي لها الارتباط الوثيق بالمعاملات المالية والشؤون الاقتصادية والنظم القضائية والقضايا الإدارية والدستورية ، ومن الواضح أن الشريعة الإسلامية اكتفت بتثبيت القاعدة وتحديد الإطار العام ، وتركت وسائل التطبيق والتفصيلات لأهل الحل والعقد ، بحيث تكون صالحة لكل زمان ومكان ، شريطة أن لا تتعارض الوسائل مع نصٍّ صريحٍ ، مثال ذلك : قاعدة الشورىٰ ، وقاعدة العدل ، وقاعدة كتابة العقود .

٢ ـ المسائل التشريعية القابلة للتبديل :

وهي المسائل التي لم يرد فيها نصٌّ أصلاً لا في كتاب ولا في سنَّة ، ولا في إجماع ، ولا قياس .

وبالتالي فهذه المسائل خاضعة للاجتهاد الزمني ، والتطوُّر المصلحي ، بحيث يقوم علماء راسخون فيجتهدون في المسائل المستحدثة المستجدة ، لكن شريطة أن يكونوا علماء راسخين مُتخصِّصين ورعين وقَّافين عند حدود الله سبحانه .

يملكون أدوات الاستنباط والاجتهاد من أجل الوصول إلىٰ إصدار الأحكام ، بما يتلاءم مع التطور الحضاري ، وبما يحقق المصلحة العامة.

وبالتالي ، فتلك مسائل لم يرد فيها نصٌّ ، فيصدق عليها قول علماء الأصول: (لا ينكر تغيُّر الأحكام بتغيُّر الأزمان).

مثال ذلك: الضمانات التقاعدية للموظف والعامل ، وتعويض التسريح ، والتعويض العائلي ، والتأمين الصحي ، ونحو ذلك.

٣ ـ المسائل التشريعية الثابتة غير القابلة لتجديد ولا تبديل:

وهي المسائل التي وردت فيها نصوص قطعية ثابتة ، لا مجال لتجديدها وتبديلها والاجتهاد فيها ، مثال ذلك: حرمة الزنىٰ ، والربا ، والخمر والميسر ، وقتل النفس ، وتحديد أنصبة المواريث ، وتحديد عدَّة الطلاق والوفاة ، والنهي عن السُّفور ، والاختلاط بين الجنسين.

وبالتالي ، فتلك نصوص قطعية ، وأحكامٌ ثابتة ، لا اجتهاد فيها ، وهي غير قابلة للتبديل ، ولا للتعديل ، ويصدق عليها ما قاله علماء الأصول: (لا مجال للاجتهاد في مورد النصِّ).

كل هذا يؤكد مقولة صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمانٍ ومكان ، وفيه ردٌّ صريح صحيح علىٰ كل من يشكك في ذلك ، ويفتري علىٰ الإسلام بأنه أصبح قديماً وجامداً وهرماً!!

لذلك ، فالمشكلة ليست في الإسلام ، بل في أتباعه ، والذين عليهم أن يعالجوا كل المستجدات حسب تلك القواعد والمبادئ.

وهكذا ، حال الإعلام الإسلامي ، ثابت مع ثبات القرآن الكريم ، وخالدٌ بخلوده ، يتلو ذلك الاعتماد علىٰ المصدر الثاني للتشريع ، وهي سنَّة الرسول ﷺ ، وإذا أراد الإعلاميون المسلمون أن ينجحوا في السَّير إلىٰ ما يسعد الفرد ، في الدنيا والآخرة ، فعليهم التقيُّد بما ورد في القرآن والسنَّة ، واستنباط كل ما هو مفيد ، وقابل للتطبيق في كل زمان ومكان ،

وقد صدق الله بقوله وهو يبيِّن أن لا مجال لحاكم ولا قاض ولا مجتهد... أن يزيد علىٰ الإسلام مبدأ واحداً، ولا أن يُنقص منه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

أما الترقيع، ومحاولة التزاوج بين ما ورد في القرآن وبين ما ورد علىٰ لسان واضعي الإيديولوجيات الأرضية، فذاك ناتج عن ضعف شخصية المسلم، ونظره إلىٰ الحضارة الغربية علىٰ أنها الأقوىٰ والأصلح والأحسن! إنما الحقيقة التي لا مراء فيها أن الإسلام كله ـ وبما فيه الإعلام الإسلامي ـ جامع لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة، وبذلك يتماشىٰ مع الفطرة الإنسانية السليمة.

وهناك بعض العوامل التي تؤدي إلىٰ تثبيت دعائم الإعلام الإسلامي، وأهمها:

أ ـ أن الله سبحانه وتعالىٰ أمر عباده أن يخلصوا نياتهم ويتوجَّهوا بها إليه وحده، حتىٰ تكون مقبولةً ومرضية، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِرْكَه»[3].

لذلك تكون غاية الإعلام الإسلامي هي إرضاء الله تعالىٰ، لا إرضاء حزب ما، أو حاكمٍ ما.

وإذا عُرفت الغاية ووضح الهدف، كانت المودَّة بين الداعية والمدعو، بعيدة عن المجاملات الكاذبة، وعن التنطُّع والتكلف.

ب ـ الغرض من الدعوة والإعلام هو التعارف والتآلف بين بني آدم،

---

(١) المائدة: ٣.
(٢) الكهف: ١١٠.
(٣) صحيح مسلم: (٢٩٨٥).

ولبيان أن الإسلام لم يأت ليهدم ما جاءت به الشرائع السابقة ، إنما جاء ليكمل ذلك ، مصداق ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] .

ج ـ تعتبر الشريعة الإسلامية الجهاد أحد أساليب نشر الإسلام ، مصداق ذلك قول المعصوم ﷺ: « . . والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلىٰ أن يُقاتل آخر أمتي الدَّجالَ ، لا يبطله جور جائرٍ ، ولا عدل عادل»[2] .

وهذا أحد الوجوه الدائمة للإعلام الإسلامي بثبات هذا العنصر وبقائه إلىٰ يوم القيامة .

وبالتالي ، فجميع الوجوه المساعدة علىٰ نشر الإسلام ، والباقية حتىٰ الآن ، أي التي تُعتبر من شعائر الدِّين ، كالأذان والحج وغيرهما ، تعتبر عوامل مستمرَّة للإعلام عن الدين ، وهذا يعني وجود مناهج ثابتة للإعلام ، لا تتغيَّر ولا تتبدل ، قد أرساها الإسلام منذ عصر الرسول ﷺ ، وسيبقىٰ معمولاً بها إلىٰ يوم الدِّين .

إضافةً إلىٰ ذلك كله ، فالدين كلُّه يسر ، لا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا مشقة ولا إعنات ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[4] .

وهكذا ، فالدين بمبادئه السَّمحة لا يكلِّف الإنسان فوق طاقته ، ولا يحمّله من المسؤوليات فوق استعداده ، بل نجد كل هذه التكاليف والمسؤوليات تدخل في حيِّز الإمكان البشري والطاقة الإنسانية ، لكي لا يكون لأي إنسان عذر أو حجَّة في التخلِّي عن أمر شرعي .

لذلك ، فيُسر الأحكام مع كونها عادلة وصالحة للمجتمع الإنساني دليلٌ

---

(١) البقرة: ١٤٣ .
(٢) سنن أبي داود: ٣/ ٢٦ .
(٣) الحج: ٧٨ .
(٤) البقرة: ١٨٥ .

علىٰ حيوية هذا النظام وقابليته للتطبيق في أي ظرف كان.

دليل ذلك: المؤتمرات والندوات التي عُقدت، حيث خرجت بتوصيات وقرارات تدور في فلك صلاح الشريعة وخلودها.

مثال ذلك: مؤتمر المحامين الدولي، الذي اشتركت فيه (٥٣) دولة، وعقد في مدينة (لاهاي) ١٩٤٨ م، واتخذ القرار التالي:

(نظراً لما في التشريع الإسلامي من مرونة، وما له من شأن هام، يجب علىٰ جمعية المحامين الدولية أن تتبنَّىٰ الدراسة المقارنة لهذا التشريع، وتشجِّع عليها).

ثم في عام ١٩٥٠ م عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق من جامعة (باريس).

وخلال بعض المناقشات وقف أحد الأعضاء ـ وهو نقيب سابق للمحامين في باريس ـ وقال: (أنا لا أعرف كيف أوفِّق بين ما كان يُحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي، وعدم صلاحه أساساً تشريعياً يفي بحاجات المجتمع العصري المتطوِّر، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها، مما يثبت خلاف ذلك تماماً ببراهين النصوص والمبادئ).

وفي الختام وضع المؤتمرون بالإجماع التقرير التالي: (بناءً علىٰ الفائدة المتحققة من المباحثات التي عُرضت أثناء أسبوع الفقه الإسلامي، وما جرىٰ حولها من المناقشات التي نستنتج منها بوضوح ما يلي:

ـ أن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية، لا يمُارىٰ فيها.

ـ أن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة العظمىٰ ينطوي علىٰ ثروة من المفاهيم والمعلومات، ومن الأصول الحقوقية ـ وهي مناط الإعجاب ـ وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة

الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها . .)[1] .

إضافةً إلىٰ ذلك ـ وكفرع عنه ـ لا غلوَّ في الإسلام ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[2] .

ذلك لأن الشريعة قد أباحت الطيبات دون إسراف ، وأباحت الزينة دون كبرياء ، أي لا إفراط ولا تفريط ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[3] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[4] .

ومن هنا فيجب علىٰ الإعلاميين الإسلاميين أن يسيروا علىٰ هذا الخط الوسط ؛ ليثبتوا للعالم أن الإسلام ثابت ودعوته ثابتة ، وأن كل المحاولات الأثيمة التي يسير عليها الملاحدة والمرتزقة في إثارة الشبهات ومحاربة الإسلام ؛ إنما تأتي لزعزعة الإيمان عند المسلمين ، وللنيل من عقيدتهم الصحيحة السليمة .

والأمثلة على تشويش الأعداء لدعوة المسلمين ليخدعوا بها العامة ـ وهذا يدخل ضمن الغزو الفكري الوافد دعوى ـ عدم صلاحية الإسلام للتطبيق في هذا الزمان ، حيث العلم والمعرفة والتنوير .

لكن الوقائع أكَّدت للجميع أن ذلك النَّقد كان للكنيسة الأوروبية ، زمن وقوفها في مواجهة العلم والعلماء ، بحيث أصبح هناك بونٌ شاسع بين العلم والدين عندهم ، وأصبح الناس ينظرون إلىٰ رجل الدين علىٰ أساس أنه متخلِّف وجامد .

---

(١) يراجع : هذه الدعوة ما طبيعتها ، عبد الله علوان : ص ٦٧ ـ ٧٠ .
(٢) المائدة : ٦٧ ـ ٧٠ .
(٣) الأعراف : ٣١ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .

إن أوَّل كلمة نزلت من القرآن الكريم هي: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وتُعدُّ دليلاً ساطعاً على الدعوة الإسلامية المرتبطة بالعلم وحب المعرفة.

والأحاديث النبوية دليل أكيد على الدعوة إلى العلم، وبيان فضله، وتميز العلماء.

فكيف يُقال ذلك عن ديننا الذي قام أولاً وآخراً علىٰ العلم والمعرفة؟! إضافةً إلىٰ ذلك: قلَّة التكاليف في الشريعة الإسلامية وبساطتها وسهولة فهمها وتنفيذها، بحيث كان الأعرابي يجيء إلىٰ المدينة ويتعلَّم الإسلام في مجلس واحد، وعبر كلمات محدودة!

إنَّ البساطة والسهولة في الإسلام، وقلة التكاليف تجعل الداعية والإعلامي لا يعاني الكثير في سبيل إيصال الفكرة للجمهور.

مع التأكيد علىٰ معاملة الناس بظواهرهم، وترك البواطن موكولة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ودليل ذلك قصة حادثة الإفك الرهيبة، والتي ختمها الله تعالىٰ بقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ . . .﴾[1].

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإسلام قائم على حفظ الكليات الخمس (الدين والعقل والنفس والمال والعرض) مع فتح باب الاجتهاد.

كل ذلك يجعل الإعلامي والمتلقي، كل في موقعه، مطمئنَّين علىٰ سلامة وسائل الإعلام، من حيث المبدأ، والمنهج، والهدف.

* * *

(١) النور: ٢١.

المبحث الرابع
إيجابية الإعلام الإسلامي

لقد تقرَّر لدينا سابقاً أنه ما دام هناك إسلام ، فإن ذلك يعني أن هناك إعلاماً إسلامياً ، لأن الإسلام دين دعوة وبلاغ .

وما دام هناك مسلمون ، يعني أن هناك إعلاميين إسلاميين ، لأن المسلم داعية إلىٰ عقيدته وشريعته بمجرَّد كونه مسلماً ملتزماً .

وبالتالي ، فإيجابية الإعلام الإسلامية وحيويته تنبعان من الأحكام الشرعية القابلة للتطبيق ، والصالحة لكل زمان ومكان .

من هنا يأتي التساؤل : أين تبدو إيجابية الإعلام في الإسلام؟ وما هي مظاهره الحيوية؟

١ ـ المرونة والتكييف في الأحكام :

وردت في الشريعة قواعد ومبادئ عامة ، تتضمن أحكاماً عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل زمان ومكان ، وقد صيغت بكيفية تمكِّنها من سهولة هذا التطبيق ويسره ، كما أن معناها الحق لا يمكن أن يتخلَّى عن أي مستوًىٰ عالٍ يبلغه أي مجتمع ، ومن ثم يتسع لكل مصلحة حقيقية جديدة للناس ، كما أن هذه القواعد والمبادئ تعتبر كالأساس لما يقوم عليها من أحكام جزئية ، ولما يتفرَّع عنها من فروع ، ومن تلك القواعد الإعلامية :

أ ـ مبدأ الشورىٰ:

من المبادئ الثابتة والقواعد الكلية التي لا تتبدل ولا تتغير، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]، لكن من عظمة الشريعة الإسلامية أن تركت كيفية تطبيق هذه القاعدة للزمن والحياة، أي وسائل تطبيق القاعدة حسب ما يناسب الزمان والمكان، وحسب الأصلح من تجارب البشرية.

أي: مقصد الشريعة الإسلامية تطبيق قاعدة الشورىٰ، ومن ثمَّ فليكن التطبيق بأيِّ وسيلة كانت، وبأي صورة أو هيئة ارتآها أهل الحلِّ والعقد. وبالتالي، فالشورىٰ هي الطريق الصحيح لمعرفة أصوب الآراء للوصول إلىٰ الحقيقة وجلاء الأمور، وهي أثر طبيعي لاحترام العقل، كما أنها من مقتضىٰ تكريم الله للإنسان، وهي مظهر من مظاهر المساواة وحرية الرأي والنقد والاعتراف بشخصية الفرد.

والشورىٰ تربية للفرد علىٰ أداء وظيفته الاجتماعية، عن طريق تهيئة الفرصة له لأن يبرز في المجتمع، فيربَي ملكاته، وينمِّي قدراته حتىٰ يكون أهلاً للمشورة، وهذا بدوره يدعوه إلىٰ الاستزادة من العلم والمعرفة، وذلك أن انفراد شخص بالرأي في أمر عام يتعلَّق بالجميع ودون اعتبار للآخرين فيه ظلم وإجحاف، وهو يتضمَّن نوعاً من تعظيم النفس واحتقار الرأي العام.

والشورىٰ سبيل لمعرفة الرأي الصائب عن طريق مناقشة الآراء وظهور أفضلها، وهي سبب لقلة الخطأ، وبها يُستفاد من جهود الآخرين وخبراتهم، وهي عصمة لوليِّ الأمر من الإقدام علىٰ أمورٍ تضرُّ الأمة ولا يشعر هو بضررها، وهي تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان، وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطان.

أما وسائل الإعلام الإسلامي فمن أهم مسؤولياتها إشاعة مناخ الشورىٰ، وروح الحوار البنَّاء والمناقشة الإيجابية، إسهاماً منها في الوصول إلىٰ أحكم

---

(١) الشورى: ٣٨.

القرارات ، وخاصةً عن طريق تربية الأفراد وتدريبهم علىٰ روح المشاورة ، وهكذا تُتيح وسائل الإعلام الإسلامي الفرصة لاجتماع آراء المؤمنين وأفكارهم وتنقيحها وتصنيفها ، وبذاك يسمو الفكر وترتقىٰ العقول وتتفاعل الآراء ، ويخفُّ حجاب الغفلة ، وتشحذ الأذهان ، وتتحاور العقول ، فتنضج ويتبيَّن الصواب ، ويتضح سبيل الحق .

والإعلام بذلك يشيع روح التعاون والتناصح والمحبة ، ويؤلِّف بين القلوب ، ويشعر الجميع بأن مصلحتهم واحدة ، فتتنبَّه الأذهان للأفكار الصالحة ، والتصرُّفات الموافقة للشريعة ، مما يؤدي إلىٰ اتخاذ أصوب الأفكار المبنية علىٰ أفضل الآراء وأحكمها ، وهكذا يتكوَّن الرأي العام الإسلامي علىٰ أساس الشورىٰ ، ومن خلالها .

وفي كل ذلك يتخذ الإعلام ضوابطه من قيم الإسلام الأصيلة وأساليبه الرفيعة وأهدافه السَّامية ووسائله الشريفة ، وكلها تصدر عن الدِّين وتذكِّر بحقائقه ، وتؤكد ضرورة السَّعي لتحقيق مقاصده ، مع التصدي لأعداء الدِّين وردِّ مكائدهم ، وإيضاح الحقائق لتصل إلىٰ جميع الآذان البشرية في عرض شائق جذَّاب ، تتوافر له عناصر القوة والموضوعية والسَّداد ، مع حرصٍ علىٰ الوضوح والعمق والإقناع والبُعد عن الإملال ، وبذلك يتحقق مناخ الشورىٰ المؤدي إلىٰ سلامة الرأي وعمومه . . .[1] .

ب ـ مبدأ العدالة والمساواة :

أيضاً هذا مبدأ كليٌّ من مبادئ الإسلام ، ثابت بارز ، دليل ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[2] .

وأما وسائل تطبيق العدالة والمساواة فمتروكة لتغيُّر الأزمان والأحوال ، وبالتالي ما أكثر الصور التي تعطي مردوداً حسناً في مجالات وسائل الإعلام ، منها مثلاً :

---

(١) يراجع : أصول الإعلام الإسلامي ، إبراهيم إمام : ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢) النساء : ٥٨ .

- تقديم صور من عدالة الإسلام وسماحته في شكل قصص للأطفال، وذلك لتربيتهم وتنشئتهم على حبّ هذا المبدأ والتحلّي به.

- استخلاص هذا المبدأ من السيرة العطرة للرسول ﷺ، ومن سيرة الخلفاء الراشدين ومن تلاهم[1].

- يحفل التاريخ بأخبار أمراء وقضاة وعلماء كانت لهم مواقف بطولية نادرة في قول كلمة الحق والقضاء به، دون خوف من ظالم أو محاباة لقريب، فما أجمل أن يُجعل من ذلك مسلسلات وأفلام، تسجّل وتصوّر بأسلوب مشوق وإخراج جميل.

أما فيما يتعلّق بالأخبار، فيجب استخدام العدل في الإعلام وانتقاء الأخبار، وعلى الإعلام أن يلتزم بالعدل ويَزِنَ بالقسط، مهما كانت الظروف والأحوال، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2].

حتى إذا تناول الإعلام قضايا الخصوم والأعداء، فعليه أن يسير على منهج العدل والإنصاف، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

ج - قاعدة (لا ضرر ولا ضرار):

ومما يدلّ على عطاء هذه الشريعة وتجدّدها المستمرّ على مدى الزمان

---

(١) للتوسع يراجع: سيرة سيّد الأنام، الدكتور محمد عمر الحاجي: ٣/ ١١٥ - ١٨٧.

(٢) النساء: ١٣٥. «أن تعدلوا»: كراهة العدول عن الحق. «تلووا»: تُحرِّفوا في الشهادة. «تعرضوا»: تتركوا إقامتها أصلاً.

(٣) المائدة: ٨. «شهداء بالقسط»: شاهدين بالعدل. «لا يجرمنكم»: لا يحملنكم، أو لا يكسبنكم. «شنآن قوم»: بغضكم لهم.

والأيام ، أنها أتت بقواعد تشريعية ميسّرة مستنبطة من استقراء النصوص وأسباب النزول ووقائع الأحداث ومقاصد الشريعة ، مثل قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) ، وهي حديث نبويّ[1] .

ومعناها: أن الضرر مرفوع بحكم الشريعة ، أي لا يجوز لأحدٍ إيقاع الضرر بنفسه أو بغيره ، وبالتالي (فالضرر لا يُزال بالضرر) لأنه عبثٌ وإفساد لا معنىٰ له ، وهكذا تتوالىٰ القواعد الحكيمة في هذا الجانب:

(الضرر يُزال).

(يتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام).

(الضرورات تبيح المحظورات).

(ما أبيح للضرورة يقدّر بقدرها).

(درء المفسدة يقدّم علىٰ جلب المصلحة)[2] .

وهناك فروع وأحكام كثيرة بُنيت علىٰ هذه القاعدة ، منها: تقرير حقّ الشُّفعة ، ومنع التعسّف في استعمال الحق ، وحق السلطة في اتخاذ الإجراءات الوقائية لمنع الضرر عن الناس ، كحجر المرضىٰ والقادمين إلىٰ البلاد في محاجر خاصة ، والتسعير في ظروف معينة . . .[3] .

وما أحوج الإعلام اليوم للالتزام بهذه القواعد والمبادئ ، بحيث لا يقدّم أيّـة مادة إعلامية فيها ضرر بالأمة . . . !!

أما ما يُقدَّم الآن ففيه الكثير من الضرر للأفراد والمجتمعات على حد سواء ، وذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة.

---

(١) موطأ الإمام مالك: ٢/ ٧٤٥.

(٢) للتوسّع يراجع: شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقاء وولده مصطفى.

(٣) للتوسع يراجع: أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان: ص ٦٣ ـ ٦٥.

obeikandl.com

٢ ـ المخالطة والمعاشرة والخدمات الاجتماعية

لا شك أن الشريعة الإسلامية لا تطرح الشعارات الجوفاء، دون أن تنزل بها إلىٰ أرض الواقع ، لذلك علىٰ الداعية والإعلامي أن يكون الواحد منهم صورة مصغّرة عن الرسول ﷺ ، ليرىٰ الناس فعله وهو يطابق قوله، وهذه المخالطة والمعاشرة للآخرين توفّر في الواقع جوّاً مناسباً للدعوة.

ذلك لأن المخالطة من ضروريات الدين ، وأما اعتزال الناس ، واعتزال جماعاتهم وجمعهم فيؤدي إلى أمراض نفسية وجسدية ، وبالتالي يؤدّي إلىٰ زعزعة أواصر الجماعة المسلمة ، مصداق ذلك قوله ﷺ: «المسلم الذي يُخالط الناس ، ويصبر علىٰ أذاهم ، خيرٌ من الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر علىٰ أذاهم»[1].

وقدوتنا في ذلك سيرة الحبيب محمد ﷺ ، فقد كان يخالط الفقراء والمساكين ، والضعاف والأقوياء ، والأغنياء والسّادة ، والعبيد والبدو ، والنساء والأطفال. . ، يغشى مجالسهم ، ويدعوهم ، ويحذرهم من الوقوع في براثن الجاهلية ، ويدلّهم علىٰ الفضائل والمحبة.

ولذلك ، فعلىٰ الداعية أن يدرك واقع بيئته التي يعيش فيها ، عسىٰ أن يتوقّف عند سلبياتها وإيجابياتها ، فيأخذ ما هو مفيد ويبتعد عن كل ما فيه ضرر ، له أو لغيره.

وعليه أيضاً إدراك الدعوات الأخرىٰ المحيطة به ، ومعرفة ماهيتها وحدودها وما فيها من سقطات وتغيرات. . ، ومثلها مسألة التيارات الفكرية المعاصرة ، وواقع الحركات الإسلامية المعاصرة ، بل وإدراك أحداث الحياة اليومية ووقائعها ، وبالتالي أن تصبح بين الداعية الإعلامي وبين جمهوره إلفة ومودة وحبّ ، وأن يكون ذلك أمراً راسخاً رسوخ الجبال الرواسي.

---

(١) سنن الترمذي: (٢٥٠٩).

وهكذا، فالمسألة ـ كما يرىٰ الشيخ محمد أبو زهرة ـ أن الدعوة الآحادية كانت تبلّغ بطرق ثلاثة ، هي :

أولها : الاختلاط والائتلاف ، فالأليف يقرب أليفه ويدنيه .

ثانيها : التبيين ، وذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع تأليف القلوب والموعظة الحسنة .

ثالثها : إزالة الأوهام التي تسيطر علىٰ الناس فيما يتعلّق بالأوثان[1] .

وهكذا ، فالإعلام بالدين ليس باللسان وحده ، بل إن السيرة الحسنة ، والتعاون المثمر ، والتزاور ، والخدمات الاجتماعية ، وإقامة المنشآت الخيرية . . . كل هذا وغيره دعوة عملية للناس ، وتركيز واهتمام علىٰ النواحي الخيّرة لإصلاح المجتمع ، قال تعالى : ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[2] .

٣ ـ العناصر الحيوية في العلم والدعوة :

وتبرز إيجابية الإعلام الإسلامي في هذا المجال ، من خلال ثلاثة أمور رئيسة ، هي :

أ ـ الترغيب في العلم : إن الإسلام يركز علىٰ العلم ، ولا يقصر ذلك في عهدٍ معيّن ، ولا لأفراد معينين ، بل يفتح المجال واسعاً أمام الجميع .

ثم تندب الشريعة الأتباع إلى تعليم الناس كل ما تعلَّمه الفرد ، أي تكلّفه بالتبليغ والإعلام ، وذلك من أجل أن تعمّ الفائدة ، أما إذا تعلّم العلم ثم كتمه ولم يبلغه للناس ، فقد ارتكب وزراً عظيماً ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴿١٥٩﴾ ﴾[3] .

---

(١) للتوسع يراجع : الدعوة إلىٰ الإسلام : ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) الحج : ٧٧ .

(٣) البقرة : ١٥٩ . «يلعنهم الله» : يطردهم من رحمته .

وقوله صلوات الله عليه: «من سُئل عن علمٍ فكتمه، أُلجم بلجام من نار»[1] وهذا هو بحق بيان أمر الإيجابية في الإعلام: تعلُّم العلم، وتعليمه.

كيف لا؟! والإسلام يفاخر علىٰ الآخرين في أن أول ما نزل في دستوره الخالد ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[2] ثم بيّن القرآن الفارق الشاسع بين المتعلّم والجاهل، فقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[3].

وركّز علىٰ قيمة العلماء، فقال تعالىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[4].

ب ـ **المراكز العلمية**: وقد كانت منتشرة في مكة والمدينة ودمشق واليمن و... ، وقد تخرّج فيها الكثير الكثير.

ج ـ **الوسائل والأساليب الإعلامية في الدعوة الإسلامية**: تعتبر الشريعة الإسلامية الوسائل الإعلامية ذات أهمية كبرىٰ في نشر الدعوة، وبالتالي فمنها ما هو وسائل مباشرة، مثلاً عن طريق المسجد، ومنها غير مباشرة، كتأليف الكتب.

وهكذا، نرىٰ الفارق الكبير بين المناهج الإسلامية وبين المناهج الغربية، فالإسلامية ربانية ثابتة لا تحتاج إلىٰ نظريات وضعية جديدة، أما الغربية منها فهي اجتهادات بشرية، قد تصيب وقد تخطئ.

* * *

(١) الترمذي: (٢٦٥١).
(٢) العلق: ١.
(٣) الزمر: ٩.
(٤) المجادلة: ١١.

المبحث الخامس

دافع المسؤولية في الإعلام الإسلامي

تعتمد الشريعة الإسلامية علىٰ الوازع الديني ، وعلىٰ الخشية من الله سبحانه والخوف منه ، وبذلك يتولّد لدىٰ الإعلامي المسلم تحمّل المسؤولية في الدنيا والآخرة ، بحيث لا يقدّم من معلومة ، ولا يحلل من خبر ، إلا وهو يضع في حسبانه اتباع المنهج الإسلامي ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾[1] .

ومن أهم الأساسيات التي تحدّد منهج هذه المسؤولية الإعلامية، ما يلي :

أ ـ الإيمان بالغيب :

وقد وصف البيان الإلهي المؤمنين المتقين بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[2] .

(الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلىٰ مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيّز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس ، أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس .

---

(١) آل عمران : ٣٠ . «محضراً» : مشاهداً لها في صحف الأعمال .

(٢) البقرة : ٣ ـ ٤ .

وهي نقلة بعيدة الأثر في تصوّر الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي ، ولحقيقة القوىٰ المنطلقة في كيان هذا الوجود ، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير ، كما أنها بعيدة الأثر في حياته علىٰ الأرض ، فليس من يعيش في الحيّز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته ، ويتلقّى أصداءه وإيحاءاته في أطوائه وأعماقه ، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان من كل ما يدركه الكون ظاهره وخافيه ، حقيقة أكبر من الكون ، هي التي صدر عنها ، واستمدّ من وجودها وجوده ، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ، ولا تحيط بها العقول).

يقول سيد قطب رحمه الله تعالىٰ: (لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمية ، ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان ، كجماعة الماديين في كل زمان ، يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقرىٰ إلىٰ عالم البهيمية الذي لا وجود فيه لغير المحسوس!

ويسمّون هذا (تقدّمي) وهو النكسة التي وقىٰ الله المؤمنين إياها ، فجعل صفتهم المميزة صفة ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ والحمد لله علىٰ نعمائه ، والنكسة للمنتكسين والمرتكسين)[1].

وبالتالي ، فالغيب يتناول كل ما قاله الله تعالىٰ ، وصحّ عن رسوله ﷺ مما لا يدركه الحس ، وأركان الإيمان الأساسية هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

ب ـ الجزاء في الإسلام:

وهذه مسألة واسعة وشاملة ، لذلك وضعت الشريعة الإسلامية لكل مخالفة من مخالفات أمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات جزاءً في الآخرة ، ومنها ماله جزاء دنيوي وأخروي.

---

(١) في ظلال القرآن: ١/ ٣٩ ـ ٤٠.

ولا يوجد نظام في الكون كله يستطيع أن يوصل أفراده إلىٰ درجة أن يأتي الواحد منهم بمحض إرادته فيعترف بجريمته ، ومن ثمّ يطلب أن يُقام عليه الحدّ ، وتُنزل به العقوبة . . . لا يوجد ذلك إلا في ظل الإسلام .

و إن قصة (ماعز) وغيره لدليل كافٍ علىٰ قيمة الجزاء في الإسلام .

ج ـ الإيمان باليوم الآخر :

حيث الدنيا التي يعيشها الإنسان ليست إلا قنطرة ليعبر الإنسان عليها إلىٰ الدار السرمدية الخالدة ، وبالتالي فالدنيا ناقصة ، والأخرى كاملة ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[1] ويومئذ لا تنفع الإنسان وساطة ولا حسب ولا نسب ، إنما القضية كما قال تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[2] .

فالمهم هو العمل الصالح ، لأن الإنسان سيقف وحيداً فريداً بين يدي ربه سبحانه للحساب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[3] .

د ـ حاجة الإنسان إلىٰ عقيدة اليوم الآخر :

وهذا ما يجعل الإنسان يراجع حساباته كل فترة ، وذلك لأنه ليس كائناً حراً طليقاً ، بل هو كائن ذو تبعة ومسؤولية ، وبالتالي فإنه سيقف يوماً ما بين يدي ربه سبحانه ، وسيُسأل عن الصغيرة والكبيرة .

---

(١) الأنبياء : ٤٧ . «القسط» : العدل ، أو ذوات العدل . «مثقال حبة» : وزن أقل شيء .

(٢) البقرة : ٤٨ . «لا تجزي» : لا تقضي ولا تؤدي . «عدل» : فِدْية .

(٣) الأنعام : ٩٤ . «ما خولناكم» : ما أعطيناكم من متاع الدنيا . «تقطع بينكم» : تفرّق الاتصال بينكم .

ولولا الإيمان باليوم الآخر لانقلب حال الدنيا إلىٰ ما يشبه الغابة ، حيث الكبير يعتدي علىٰ الصغير ، والقوي يأكل الضعيف ، وهكذا.

هـ ـ آثار الإيمان باليوم الآخر ـ إعلامياً وخلقياً ـ:

يتميز الإعلام الإسلامي عن غيره بهذه الخصيصة المثيرة الرائعة ، ولذلك تتحقق الموازنة بين ما هو مادي وما هو معنوي.

والإخبار عن الغيب في المستقبل ضرب من الإعلام التحذيري والتبشيري معاً ، يتيح للناس فرصة الإعداد لمواجهة احتمالات المستقبل ، بما يكفل لهم سلامة المواقف ، ويحقق لهم الطمأنينة ، ويحفزهم علىٰ العمل المثمر ، وبذلك ترقى الأخلاق ، وتزكو الحياة ، ويحقق الإخبار غاياته في بناء الحياة الإنسانية الكريمة ، في رشد ونماء.

والإيمان باليوم الآخر علىٰ الوجه الصحيح يفضي إلى سلامة النفس ورشد التصوّر واستقامة السلوك ورقي الحياة ، وهو ضمانة ليقظة القلب وعلو الهمة واستعلاء النفس وترفعها في مراقبة تورث الإحسان وتحقق إنسانية الإنسان ، لتصبح أهداف الحياة أعلىٰ من ضروراتها ، تطلعاً إلى التمايز الحق بين الناس ، ومصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾(١).

و ـ خشية الله في السرّ والعلن:

وذلك ليبتعد الإنسان عن الباطل وأهله ، ويلتصق بالحق وحزبه ، مثال ذلك أن الله نادىٰ عباده الذين يؤمنون بالغيب ، وذكرهم بأنهم هم الذين يخشونه ، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ

---

(١) الروم: ١٤ ـ ١٦. «يحبرون»: يُسَرُّون ، أو يُكْرَمُون. «في العذاب محضرون»: لا يغيبون عنه أبداً.

مُشْفِقُونَ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[2] وبالتالي، فالخشية من الله تعالىٰ تولّد في نفس المسلم الرغبة في رضائه وطلب ثوابه، كما تبعث في نفسه الرهبة من يوم الدين، قال تعالىٰ: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[4] كما يؤدي ذلك إلىٰ أمر آخر ملخصه: أن المؤمن الذي يخاف عقوبة الدنيا والآخرة، عندما يسمع خبراً فيه وعيد يرىٰ وكأن هذا مثل جبل يُريد أن يقع عليه، فيخشىٰ الله ويرتدع، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[5].

وأما أولئكم الذين يتبعون الهوىٰ والشهوات، فهم لا يخشون الله حق خشيته، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[6].

وقوله سبحانه وهو يسرد لنا حكاية (قابيل وهابيل): ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7].

لكن المؤمن مطالبٌ أن يخشىٰ الله وحده، وأن يغذي ذلك بالهداية والعلم.

---

(١) الأنبياء: ٤٩. «مشفقون»: خائفون حَذِرُون.
(٢) الأنعام: ٥١.
(٣) الإسراء: ٥٧. «الوسيلة»: القُربة بالطاعة والعبادة.
(٤) إبراهيم: ١٤.
(٥) غافر: ٣٠ ـ ٣١. «الأحزاب»: الأمم الماضية المتحزِّبة على الأنبياء. «دأب قوم نوح»: عادتهم في الإقامة على التكذيب.
(٦) النازعات: ٣٧ ـ ٤٠.
(٧) المائدة: ٢٨.

ز ـ حب المبدأ والحماس للتبليغ:

وهكذا فالأمثلة من تاريخنا الإسلامي ، والتي تدل علىٰ الخشية من الله وقول الحق كثيرة ، منها:

حبس معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن الناس أعطياتهم ذات مرة ، فلما جاء يخطب علىٰ المنبر ، قام إليه أبو مسلم الخولاني معاتباً ومحاسباً علىٰ حبس العطاء عن الناس.

وكان مما قاله أبو مسلم: يا معاوية! إنه ليس من كدِّك ولا كدّ أبيك ، ولا كدّ أمك.

فغضب معاوية ، وغادر المنبر قائلاً للناس: مكانكم ، وغاب عنهم ساعة ، ثم رجع إليهم ، فقال: إن أبا مسلم كلّمني بكلام أغضبني ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من نار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليغتسل».

وإني ذهبت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم ، إنه ليس من كدّي ولا كدّ أبي ، فهلمّوا إلىٰ أعطياتكم!!

ح ـ الولاء القلبي: ذلك لأن الولاء في جوهره نوع من الرقابة الذاتية للفرد، وهكذا في مجالات الإعلام الإسلامي ، بحيث تُرفع لافتات تدور في فلك الولاء ، مثل تلكم اللافتة القرآنية التي كُتب عليها: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1] ومثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[2].

وبالولاء لله وللرسول ﷺ ولولاة الأمر الصالحين يتحقق هدف الإعلام الإسلامي ، وهو تحويل الكثرة المؤمنة إلىٰ كلٍّ واحدٍ ومتماسك[3].

* * *

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) الأنعام: ١٦٢. «نسكي»: عبادتي كلها.

(٣) للتوسع يراجع: من خصائص الإعلام الإسلامي ، محمد يوسف: ص ٦٥ ـ ١١١.

الفصل السادس
علاقة الإعلام بالعلوم الأخرىٰ

هناك علاقةٌ جدليّة بين علم الإعلام وبين العلوم الأخرى ، ومن باب الاختصار نأخذ علماً واحداً ونسلّط الأضواء عليه ألا وهو الأمن ، لنرىٰ كيف تكون العلاقة بين الأمن وبين الإعلام.

فقد أكّد القرآن الكريم في كثير من آياته علىٰ نعمة الأمن ، وعلىٰ أهميته في حياة الناس ، مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾(٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾(٣).

١ ـ مفهوم الأمن:

من الناحية اللغوية: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ،

---

(١) الأنعام: ٨٢. «لم يلبسوا»: لم يخلطوا. «بظلم»: بشرك وكُفر.

(٢) قريش: ١ ـ ٤. «لإيلاف قريش»: أعجبوا لإيلافهم الرحلتين ، وتركوا عبادة رب العالمين!.

(٣) النحل: ١١٢. «رغداً»: طيباً واسعاً ، أو هنيئاً لا عناء فيه.

وبالتالي لا يكون الإنسان آمناً حتىٰ يستقرّ الأمن في قلبه.

وأمن البلد: اطمئنان أهله فيه، وأمن الشر: السلامة منه، ومنه: سلم وأمن فلان علىٰ كذا: وثق فيه واطمأنّ عليه وجعله أميناً عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[1].

والأمين: الحافظ الحارس، أي من يتولىٰ رقابة شيء أو المحافظة عليه، ويُقال: أمِنَ ـ بكسر الميم ـ أمانة، فهو أمين، ثم استُعمل في الأمانة مجازاً فقيل: الوديعة أمانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنىٰ التصديق، وضده التكذيب، وآمن إيماناً: صار ذا أمن، وآمن به صدّقه[2].

وقالوا للخليل الفراهيدي: ما الإيمان؟ فقال: الطمأنينة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟...﴾[3].

وأما من ناحية الاصطلاح: فنجد لمصطلح الأمن تعريفات كثيرة، ولعل سبب ذلك يعود إلىٰ حداثة هذا العلم، بحيث إن الناس قد عرفوه ـ أو تعارفوا عليه ـ بعد الحرب العالمية الثانية، إضافةً إلىٰ تداخل العلوم الاجتماعية والمعرفية بشكل عام، واتصال قضايا الأمن المنبثق منها بحقول المعرفة الإنسانية المتعدّدة، كالاقتصاد، والسياسة، والإعلام، والتاريخ، والإدارة، والاجتماع، والعلوم العسكرية، والعدالة الجنائية، وغيرها.

ومن تعريفات الأمن ما يلي: هو الحالة التي تتوافر حين لا يقع في البلاد إخلالٌ بالنظام، إما في صورة جرائم يُعاقب عليها، وإما في صورة نشاط

---

(١) يوسف: ٦٤.

(٢) يراجع: لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٣) فصلت: ٣٠.

خطر يدعو إلىٰ اتخاذ تدابير الوقاية والأمن لمنع هذا النشاط الخطر من أن يترجم نفسه إلىٰ جريمةٍ من الجرائم.

ومنها أيضاً: إحساس الفرد والجماعة للبشرية بإشباع دوافعها العضوية والنفسية، وعلىٰ قمّتها دافع الأمن بمظهريه المادي والنفسي والمتمثلين في اطمئنان المجتمع إلىٰ زوال ما يهدّد مظاهر هذا الدافع المادي، كالسكن الدائم والرزق الجاري والتوافق مع الغير، والنفسية المتمثلة في اعتراف المجتمع بالفرد ودوره ومكانته فيه، وهو ما يمكن أن يُعبّر عنه بلفظ السكينة العامة، حيث تسير حياة المجتمع في هدوء نسبي.

٢ ـ أهم المدارس والاتجاهات التي تعنىٰ بالأمن وفلسفته:

هناك عدّة اتجاهات تُعنىٰ بالأمن وفلسفته، لكن يمكن حصرها بثلاثة اتجاهات، هي:

أ ـ الاتجاه الأول (الاتجاه الغربي):

يركّز هذا الاتجاه علىٰ الاستراتيجية العسكرية، كوسيلة فعّالة في مواجهة التهديدات الخارجية للأمن، ولذلك صنف علماء هذا الاتجاه التهديدات والمخاطر الخارجية المحتملة علىٰ أساس من التفوّق وإلحاق الخسائر الفادحة بالخصوم.

ورأوا أن الأمن ليس مجرّد توافر القدرة الكافية والقوة العسكرية المتفوّقة فحسب، بل هناك ما هو أبعد من هذا بكثير، ذلك هو العامل الاقتصادي، الذي يعتبر مصدراً مهمّاً من مصادر استتباب الأمن أو عدمه، فأزمات الطاقة مثلاً، والانفجار السكاني، وندرة الغذاء تشكّل همّاً أساسياً، ومؤثراً في وجه الأمن والاستقرار.

ومما يُؤخذ علىٰ هذا الاتجاه كونه لا يأخذ بعين الاعتبار والجدّية مفهوم الأمن الدولي، وأمن استقرار العالم الثالث، وهذا يعني محدودية النظرة الغربية للأمن، والذي هو في الحقيقة يدور حسب منطلقاتهم في فلك

المصالح والاعتبارات النفعية ، متناسين أو متجاهلين التغيّرات المذهلة في النسق الدولي وترابط الدول بعضها ببعض.

ب ـ الاتجاه الثاني (الاتجاه الوسط):

ينطلق هذا المفهوم من تطور دراسات الاعتماد المتبادل ، أو المفهوم المترابط الجماعي للأمن ، مع التركيز علىٰ المصلحة العليا للأسرة الدولية.

ولذلك فقد طرح بعض الكتّاب ، ومنهم جوزيف ني ، وروبرت كيوهان ، مقولةً مفادها بأن الأمن يتطلّب معنىٰ أوسع في دائرة السياسات والتفاعلات الدولية ، ولا شكّ أن هذا الاتجاه كان وما زال محل اهتمام وجاذبية للكثير من الدّارسين للأمن.

ج ـ الاتجاه الثالث:

وهو الذي يهتمّ بقضية الأمن والاستقرار في العالم الثالث. ويرىٰ أصحاب هذا الاتجاه ضيق النظرة الغربية في تفسير مفهوم الأمن ، وبخاصة عند مناقشة أوضاع الدول النامية ، فهم يعتقدون أن المدرسة الغربية تجاه مفهوم الأمن عاجزة عن تحقيق الأمن بمفهومه الشامل.

ولذلك قال أنصار هذا الاتجاه الثالث: إن العوامل الداخلية تمثّل المصادر الحقيقية للتهديدات الأمنية ، فضلاً عن العوامل الخارجية ، وذلك بسبب محدودية الأمن والاستقرار في بعض دول العالم الثالث.

ويذهبون إلىٰ القول بأن الصراعات التي تحدث بين الدول الكبرىٰ ستبقىٰ مصدر قلق وتهديد للأمن الدولي ، ولذلك تلجأ بعض دول العالم الثالث إلىٰ التحالف أو اللحاق والاتباع حتىٰ تعزّز أمنها ، وتضمن حماية وجودها.

وهكذا ، فمن المؤكّد أن هناك خمسة عوامل تؤثر سلبياً أو إيجابياً علىٰ الأمن والاستقرار ، وهذه العوامل متصلة ومتداخلٌ بعضها في بعض ، وهي:

١ ـ المبادئ والقيم التي تؤمن بها الأمة ، وتسعىٰ جاهدة للحفاظ عليها وحمايتها والدفاع عنها.

٢ ـ البيئة الدولية.

٣ ـ البيئة الداخلية ، وما هنالك من مصادر تؤثّر في مناخ الأمن ، وفي استتبابه.

٤ ـ طبيعة التهديدات التي تواجهها تلك الأمة ، علىٰ اعتبار أنها خير من يعرف عدوّها ، وطبيعة هذه العداوة.

٥ ـ استراتيجية التهديد المتكيّف المرن.

أما الإسلام ، فهو يستفيد من معطيات الحضارة المعاصرة ، لكن شرط أن لا يتعارض ذلك مع ثوابت الإسلام.

لذلك فإن أبعاد وخصائص الأمن في الإسلام تمثّل منهجاً متكاملاً لأمن الحياة الاجتماعية ، وصيانة الكرامة الإسلامية.

ويندرج ذلك تحت عدّة عناوين ، أهمها: الأمن الديني أو العَقَدي ، الأمن النفسي والجسدي ، الأمن العقلي والفكري ، الأمن المالي والاقتصادي ، الأمن الاجتماعي.

هذه المكوّنات مجتمعة هي لبّ المفهوم الإسلامي للأمن ، وهي بمثابة المضمون للنظرية الأمنية.

مصداق ذلك قول المعصوم ﷺ: «من أصبح آمناً في سِرْبه[1] ، مُعافىً في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حِيْزَتْ له الدنيا»[2].

وكما هي عادة الإسلام ، لا يحلّق في الهواء ، ولا يجنح نحو الخيال ، إنما هو دين واقعي ، لذلك فهو ينظر إلىٰ مسألة توطين الأمن من باب الواقعية ، ولذلك اهتمّ كثيراً بمعالجة نوازع الخوف ، وجميع العوامل التي

---

(١) أي: في نفسه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد: (٣٠٠).

تهدّد الفطرة الإنسانية ، وبمعنىٰ آخر ، إن الإسلام يتعامل مع الإنسان بكل ما يحمل هذا الإنسان من خير وشرّ ، وعلىٰ أساس تلك الاعتبارات الإنسانية رسم الإسلام خطته لتوطيد الأمن في حياة الإنسان ، مستندة إلىٰ ثلاث دعائم أساسية لا غنىٰ عن كل واحدة منها :

فالإنسان في حاجةٍ إلىٰ تربية وإصلاح ذاتي ، بحيث يصبح إنساناً سوياً ، يأمنه الغير بما يتكون لديه من وازع ديني يحول بينه وبين الإجرام والاعتداء علىٰ الأمن ، سواء رآه في ذلك الناس أو لم يروه ، فمعه حراسة دائمة وملازمة وهي اعتقاده برؤية ربه له ، وفي الإسلام من التعليمات والتوجيهات ما يكفل توفير تلك الحراسة الذاتية .

ولكن يبقىٰ الإنسان إنساناً له نزعاته واحتياجاته ، بحيث لا يستطيع توفير الاحتياجات بذاته إلا عن طريق الجماعة .

ومن هنا اعتمد الإسلام علىٰ إصلاح الحياة الإسلامية وجميع أوضاعها كإحدىٰ دعامات تحقيق الأمن في المجتمع ، وإقامتها علىٰ الصورة التي تكفل للفرد كل احتياجاته ، ومن ثم لا يجد الفرد ذريعة إلىٰ ارتكاب الجرائم والاعتداء علىٰ الأمن وانتهاك حرمته .

ومن واقعية الإسلام الرائعة ـ بعد أن دعا إلىٰ إصلاح الفرد وإصلاح ما يتعلّق بمعاش الناس وحياتهم ـ إقامته دعامة ثالثة ، تمثّل خط الدفاع الثالث والأخير ضد الاعتداء والإجرام ، وهي في الحقيقة العقوبات الشرعية التي تمثل موانع قبل الفعل وزواجر بعده .

مثال ذلك : جريمة الفرار يوم الزحف ، حيث اعتبرتها الشريعة الإسلامية من أقبح الأعمال وأرذلها (من الكبائر العظمىٰ)!

مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : «اجتنبوا السّبع الموبقات[1] ، قيل : يا رسول الله! وما هنّ؟ قال : الشرك بالله ، والسّحر ، وقتل النفس

(١) جمع موبقة ، وهي الخصلة المهلكة .

التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولّي يوم الزّحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1] .

وبالتالي، فالنظر إلىٰ هذا المبدأ يستدعي النظر بجانب الثبات والاستعداد، وبيان جريمة الفرار وعقوبتها ، إلىٰ نواحٍ متعددة أخرىٰ ، ومن ذلك كون الموت آتٍ لا محالة ، وأن الحياة هبة الإقدام لا هبة الفرار ، كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[2] .

وفي هذا الإطار ، ووصولاً إلىٰ التأصيل العلمي ، فإن التصدّي للتهديدات أياً كان مصدرها يستوجب النظر إلىٰ تاريخ الغزوات وتاريخ الفتوحات والبطولات الإسلامية ، إذ سجّل المسلمون أروع الأمثلة والتضحيات في صدّ جيوش الأعداء وجحافلهم ، ولم يعبؤوا بكثرة عددهم ولا عُدَّتهم ، ذلك أنهم كانوا يسعون لإحدىٰ الحسنيين : النصر أو الشهادة ، وشرف الشهيد قمة لا يقاس بها بحال من الأحوال قتل المدبر الفارّ ، ذلك خالد حسنُ الذكر ، طيّب العاقبة في الآخرة ، وهذا الفارّ سيِّئ الذكر في الدنيا ، ومأواه النار في الآخرة .

وجاءت أيضاً العقوبات المقررة ، علىٰ انتهاك حرمة الأمن وقدسيته ، لحفظ حقوق الناس ، وضمان أمنهم ، وحفظ كيانهم في حال سكناهم وغدوهم ورواحهم .

ففي مجال استبقاء حياة الناس ، واستقرارهم مثلاً شرع الله تعالىٰ عقوبات شرعية لجرائم الحدود والقصاص والدّيات والتعزير ، وعلى نظام عادل متوازن يرعىٰ مصالح الناس الدنيوية والأخروية ، ويعمّق أسس وقواعد الحق والعدل والألفة والمحبة بين الناس .

وبذلك تكون النظرية الأمنية الإسلامية واقعية ، وفعّالة ، وصالحةً لكل زمان ومكان ، وتحقيق أمن المجتمع وسلامته واستقراره يعدّ من ضروب

---

(١) صحيح البخاري : ٥/ ٢٩٤ ، صحيح مسلم : (٨٩) .

(٢) الأنفال : ١٥ . «زحفاً» : جيشاً زاحفاً نحوكم لقتالكم .

الجهاد والتكافل في مجال الدفاع عنه وعن قيمه ومصالحه.

وهذا ما يحتّم علىٰ الإعلام العام والأمني أن يجسّده من خلال تعميق القيم والفضائل، والنهي عن الرذائل، والاهتمام بالتربية التي تكرّس الأمن والأمان في المجتمع.

٣ ـ فماذا عن الأمن العربي؟!

بدايةً لابدّ من النظر إلىٰ الأمن القومي العربي كقضية شاملة، بحيث لا يقتصر ذلك علىٰ الأبعاد العسكرية فقط، بل له أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وبالتالي، فالتهديدات للعرب شاملة، وأمن أي قطر عربي هو أمن الأقطار العربية الأخرىٰ، وأي تصوّر واضح للأمن العربي يجب أن تترجمه الدول العربية إلىٰ سياسات وممارسات عملية، إذ هناك فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق.

أما ما يهدّد الأمن العربي، فيمكن تقسيمه إلىٰ زمرتين رئيسيتين، هما:

أ ـ مصادر التهديد الداخلية، وتنقسم بدورها إلىٰ ما يلي:

ـ عوامل سياسية، ومنها الإيديولوجيات المتعددة للنظم السياسية وتأثيراتها، ودرجة المشاركة، وضعف السلطات، وعدم وضوح الأهداف وتعارضها، والاعتماد الكامل علىٰ مصادر التسليح الخارجي، والتأثير الأجنبي.

ـ عوامل اقتصادية: ومنها التخلّف الاقتصادي والتبعية، وعدم استغلال الطاقات المتاحة في الوطن العربي، وارتفاع نسبة البطالة، وضعف الإنتاج الصناعي والزراعي والحيواني، والعمالة الأجنبية.

ـ عوامل اجتماعية: ومنها ضعف الوازع الديني، والتأخّر التكنولوجي والثقافي، والتباين بين الطبقات وظهور الخلل الاجتماعي، وانخفاض مستوىٰ التعليم والصحة، وإثارة النعرات الدينية والعشائرية والطائفية

والقبلية ، وتأثير العادات والتقاليد الوافدة مع العمالة الأجنبية ، ووجود طوائف متصارعة .

ـ عوامل أمنية وعسكرية ، وأهمها : ضعف جانب التعاون العسكري بين الجيوش العربية ، والاعتماد علىٰ الموارد العسكرية الخارجية ، والمدارس العسكرية المختلفة ، وتعثّر الوفاء بما تُمليه الاتفاقيات والاستراتيجيات .

ب ـ أمَّا مصادر التهديدات الخارجية للأمن العربي ، فتنقسم إلىٰ :

ـ التهديدات الدولية ، ومنها :

١ ـ انعكاسات الوفاق الجديد (النظام العالمي الجديد والعولمة) بين الشرق والغرب .

٢ ـ تقليص دور الدول العربية المؤثرة في التجمعات الدولية .

٣ ـ التأثير علىٰ حرية استقلال القرار العربي في النظام العالمي .

٤ ـ غياب التوازن المطلوب في العلاقات الدولية .

٥ ـ غلظة التعامل مع المنظومة الدولية خارج دائرة الدول الكبرىٰ ، وعدم توثيق العلاقة النافعة بما يخدم المصالح العربية .

٦ ـ الإعلام المعادي وتشويه الصورة .

ـ التهديدات الإقليمية ، ومنها :

١ ـ سياسة إسرائيل العدوانية ، وفلسفتها الأمنية .

٢ ـ الصراعات العربية مع الدول المجاورة .

٣ ـ الصراع علىٰ مصادر المياه .

ـ التهديدات المحلية للدول العربية ، ومنها :

١ ـ تعدّد الأيديولوجيات .

٢ ـ العنف والإرهاب وزعزعة الاستقرار .

٣ ـ فشل خطط التنمية في بعض الدول .

٤ ـ الغلو والتطرّف.

٥ ـ المبادئ الهدّامة.

٦ ـ التقاليد العرفية المخالفة للقيم.

٧ ـ العمالة الأجنبية.

وبنظرة سريعة إلىٰ واقعنا نجد أن هناك هموماً وتحديات، أهمها:

١ ـ مشكلات المياه.

٢ ـ الأمن الغذائي.

٣ ـ مشكلات المخدرات والإرهاب والجرائم المنظّمة.

٤ ـ المشكلات الحدودية، وتلوّث البيئة.

٥ ـ هجرة العقول العربية إلىٰ خارج الوطن العربي.

٦ ـ قلّة الحوافز المادية والمعنوية للأبحاث والابتكارات العلمية.

٧ ـ سلبية العولمة، والتجمّعات الدولية الأخرىٰ علىٰ مصالح العالم العربي.

مصداق ذلك ما أوردته بعض الدراسات الحديثة، والتي أشارت إلىٰ أن كلفة واردات الغذاء للعالم العربي لعام ٢٠٠٠ م وصلت إلىٰ ما يزيد على (٢٠٠٠) مليار دولار في العام!

وهذا يعني أن الوطن العربي أصبح من أكبر المستوردين في العالم، خاصةً في مجالات الزيوت والسكر والبيض واللحوم والحبوب!!

٤ ـ في رحاب الحديث عن الأمن الفكري:

من تعريفات الأمن الفكري أنه: انضباط عملية التفكير لدىٰ الأفراد والباحثين، في إطار الثوابت الأساسية في الإسلام، وبما يخدم هذا التفكير ويبنيه ولا يهدمه.

أو هو: سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوّره للكون.

والأمن الفكري في الإسلام واضح المعالم باعتباره فكر رسالة ، ينتمي إلىٰ الأمة ، ويكون من نتائجه وحدة الاعتقاد ، والفكر ، ووحدة السلوك ، ووحدة العاطفة ، ورحم الله ابن قيّم الجوزية عندما تحدّث عن أهمية الفكر وزاده ، فقال :

وقد خلق الله سبحانه النفس ، شبيهة بالرحىٰ الدائرة التي لا تسكن ، ولابدّ لها من شيء تطحنه ، فإن وضع فيها حبّ طحنته ، وإن وضع فيها ترابٌ أو حصىٰ طحنته ، فالأفكار ، والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَبِّ الذي يوضع في الرحىٰ ، ولا تبقى تلك الرحىٰ معطلة قط ، بل لابدّ لها من شيء يوضع فيها ، فمن الناس من تطحن رحاه حَبّاً ، يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره ، ومنهم من يطحن رملاً وحصىٰ ونحو ذلك ، فإذا جاء وقت العجن والخبز ، تبين له حقيقة طحينه!!

ثم قال : وإياك أن تمكن الشيطان من بنت أفكارك وإرادتك فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه ، ويلقي عليك أنواع الوساوس ، والأفكار المضرّة ، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك ، وأنت الذي أعنته علىٰ نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك ، فملكها عليك ، فمثلك معه مثل صاحب رحىٰ يطحن فيه جيّد الحبوب ، فأتاه شخص معه حمل تراب وفحم ، وغثاء ليطحنه في طاحونته ، فإن طرده ولم يمكِّنه من إلقاء ما معه في الطاحون استمرّ علىٰ طحن ما ينفعه ، وإن مكَّنه من إلقاء ذلك في الطاحون ، أفسد ما فيها من الحَبِّ ، وخرج الطحين كله فاسداً!![1] .

وهكذا ، فالفكر السليم بمثابة العمود الفقري ، وحجر الزاوية للأمن الاجتماعي ، وله علاقة بكل الميادين المختلفة ، ذلك أن الفكر المنضبط والملتزم ينبثق عنه استقامة حياة الناس وأمنهم ، ويجسّد التلازم بين المقدمات مع النتائج .

---

(١) للتوسع يراجع : الفوائد : ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

والإنسان مطالب بالتفكير علىٰ اعتبار أن الفكر نتاج عقلي ونشاط ذهني ، وعلىٰ هذا كان من عوامل بناء الأمن الفكري علىٰ مستوىٰ الأفراد الاهتمام بالتربية وبالقدوة الصالحة ، والتوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادف البنّاء ، واستغلال أوقات فراغ الشباب بما يعود عليهم بالنفع ، إلىٰ غير ذلك من الأساليب النافعة ، والحقيقة أن الناظر في الوقائع والأحداث ، يجد أن صراع الإسلام مع أعدائه خاصة في هذه الأزمان ، قد أخذ طابعاً فكرياً ، بعد أن فشلت المحاولات الأخرىٰ ، فعمدوا إلىٰ غزو الأفكار عن طريق وسائل عديدة ، وأساليب مستحدثة خطيرة.

ثم إن الفكر المنحرف لا يؤدي فقط إلىٰ طعن مبادئ وأخلاقيات المجتمع العربي الإسلامي ، وخلخلة الصف الواحد ، وإضعاف قدراته ، وتشتيت جهوده ، بل يؤدي أيضاً إلىٰ إيجاد البدع والخرافات ، والأباطيل وتسهيل مسارات الغواية ، والفتن ، وصنوف الانحراف الفكري من أجل تحقيق أهداف واستراتيجيات معادية نقحتها تجارب عديدة ، ومن أمثلة محاولاتهم للنيل من الثوابت الأساسية في حياة العرب والمسلمين ما يلي :

١ ـ محاولة النيل من الدين الإسلامي ، ونظمه وتعاليمه ، وتشويه صورة الغيورين عليه والقائمين علىٰ حدوده، والعاملين بموجبه في واقع الناس.

٢ ـ محاولة النيل من اللغة العربية.

٣ ـ محاولة النيل من الأخلاق والتقاليد العربية الأصيلة.

٤ ـ محاولة إثارة الفتن والقلاقل ، وكل ما يؤدي إلىٰ ظهور التنافر ، واللامبالاة، والاستهتار بين صفوف أبناء المجتمعات العربية والإسلامية.

ولا شك أن الاعتزاز بالهوية والانتماء إلىٰ خير أمةٍ أخرجت للناس أمرٌ في غاية الأهمية ، والهوية في أبسط عبارة تحددها معتقدات وسمات الشعوب ، وبصماتها وذاتيتها ومكنوزها الحضاري والتراثي ، وإسهاماتها ، وتفاعلها مع المستجدّات ، فالشعب الياباني أو الأمريكي أو الصيني ، حينما يصمّمون خططهم وبرامجهم واستراتيجياتهم التنموية إنما ينطلقون

من ذاتيتهم وثقافتهم ، ويجسّدون همومهم وطموحاتهم ، ومن حق العرب والمسلمين ـ أيضاً ـ أن يظهروا هويتهم التي هي في واقع الأمر شرط لنجاحهم وفلاحهم ، وهذه الهوية في واقع الحال ، هوية ودور لا خيار للعرب والمسلمين فيه ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] .

أجل!

إن الانحراف الفكري هو أخطر أنواع الانحرافات ، وذلك لما يحدثه من تخريب مادي ، وتوهين للعزائم ، وضياع للشخصية ، وذوبان للخصائص، وانسلاخ عن مصادر القوة والمنعة والترابط .

وقد انتقلت دائرة الصراع في هذا العصر إلىٰ (الصراع الفكري) حيث تصارعت الأفكار والفلسفات والتيارات .

وقد سبق القرآن الكريم ذلك ، فتحدث عن الخلل الفكري وبداياته العابثة ، ثم تعاظم خطره وتفاقم شره ، مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[2] .

ومعلوم أن التيارات الفكرية المنحرفة قد تغلغلت في نسيج ثقافة بعض العرب والمسلمين ، وهي تقف موقفاً واحداً من أهل الحق وهو العداء والرغبة الشديدة في دَفْعهم عن قناعاتهم بأفكار مضللة ، من خلال العمل علىٰ ثلاثة محاور هي:

الأول ـ إقصاء أبناء الأمة عن ثوابتها وقيمها ، وبذر بذور اليأس والانهزامية بين صفوفها .

---

(١) البقرة: ١٤٣ . «أمة وسطاً»: خياراً ، أو متوسطين معتدلين .

(٢) التوبة: ٦٥ ـ ٦٦ . «نخوض ونلعب»: نتلهَّى بالحديث .

الثاني ـ تحويل ولائهم إلىٰ تلك المزاعم الباطلة ، والأفكار الشريرة.

الثالث ـ تعرض الأمن الفكري والمادي في المجتمعات العربية والإسلامية للخطر[1].

وتؤكّد الأحداث والوقائع أن العالم الإسلامي يواجه تهديدات عديدة ، منها: اقتصادية ، وأخرىٰ تعليمية ، وثالثة سياسية ، ورابعة أخلاقية ، وخامسة فكرية.

وبدايات الحلّ تكون بالعودة إلىٰ ثوابت الأمة ، والاهتمام بالغذاء التربوي والثقافي والإعلامي ، ويتجسّد ذلك عبر عدة بوابات ، منها:

ـ الثقة بالنفس ، والاعتزاز بالدين والهوية والانتماء.

ـ الاهتمام بالتعليم علىٰ جميع المستويات.

ـ تربية الشباب علىٰ مكارم الأخلاق والفضائل ، وسكبها في نفوسهم رحيقاً مصفّىٰ ، وإبعادهم عن كل ما يولّد لديهم الشعور بالحقد والمرارة وحبّ الانتقام.

ـ الاهتمام بالمرأة لأنها نصف المجتمع.

ـ أن يوجّه طلبة الدراسات العليا والمهتمون بالبحوث العلمية إلىٰ البحث فيما يمسّ هموم ومشكلات العرب والمسلمين ، وإيجاد الحلول العلمية لها ، بعد أن ثبت فشل الحلول المستوردة أو الحلول القائمة علىٰ الانطباعات الذاتية والمؤثرات البيئية البعيدة عن صرامة المنهج العلمي وأدواته.

ـ التفاعل مع الحضارات الأخرىٰ بعقل وقلب مفتوحين وبما لا يضيع الهوية الحقيقية للأمة.

ـ احترام وجهات النظر ضمن القيم والأطر والآداب الاجتماعية.

---

(١) للتوسّع يراجع: الغزو الفكري ، علي عبد الحليم محمود: ص ١٧٥ ـ ١٧٩.

ـ ضرورة أن تنبع خطط التنمية في أي بلد من ذاتيتها ومعادلتها الاجتماعية واحتياجاتها الخاصة.

وقد قام الأعداء بنشر مبادئهم الهدامة، ودعواتهم المشبوهة، عبر عدّة طرق منها: وسائل الإعلام، واستخدام الإغراء المادي والمعنوي، والضغوطات والقيود، ودسّ الأفكار الفاسدة، والسخرية من بعض أحكام الإسلام وتشريعاته، ووصف الذين يتمسّكون بدينهم بالرجعية والتأخّر والجمود، واحتقار العلماء والمفكرين والمصلحين من أمة العروبة والإسلام، مع بثّ الأفكار والمبادئ المتناقضة مع الإسلام وتعاليمه.

وهذا ما أطلق عليه أحد العلماء (التفريغ والحشو) حيث محاولة تفريغ أفكار الناشئة وقلوبهم ونفوسهم وخواطرهم وإرادتهم من محتوياتها ذات الجذور العقلية والعاطفية والأخلاقية (غسيل الدماغ).

ثم حشو أفكار الأجيال المستهدفة والموجه إليهم هذه الهجمة، يُلقِّنوهم أفكاراً ظلامية، ووساوس، وأماني باطلة تخدم غايات الأعداء، وتخلخل كيان الأمة العربية والإسلامية، وتهزأ منها، وتُهدِّد استقرارها الفكري والمادي، ثم تسخير الفئة التي مُسخت فكرياً، واستُلبت معنوياً؛ لصالح محاربة الأمة، وعلىٰ جميع المستويات.

وهذا ما نراه علىٰ أرض الواقع، حيث النظريات والأيديولوجيات... الأرضية الوضعية، غالبيتها يهدف لسلخ أبناء الأمة عن تراثهم، وأصالتهم؛ لذلك إذا كان الاستعمار قد خرج من باب الوطن، فإنه في الحقيقة قد عاد إليه من خلال النوافذ، أي رحل وبقيت أفكاره ومخططاته وقنابله الموقوتة، ومؤامراته، ظاهرة بصماتها في أكثر من موقع من بلاد العرب والمسلمين.

من هنا نفهم السرّ الكبير وراء اعتبار الغزو الفكري أمراً سرطانياً خطيراً.

والمطلوب لمواجهة هذا الفكر المنحرف أن يهبّ كل القادرين من المفكّرين والمثقفين، والإعلاميين والتربويين العرب، لإظهار مخاطر

ومزالق الأفكار المسمومة ، والتيارات المضللة علىٰ كل صعيد ، محذّرين من خطورتها علىٰ كيان الدول ، والمثال الذي يمكن أن يُساق في هذا المضمار ، ليتضح المقصود بشكل جليّ ، أنه إذا ما أصيبت فئة معينة بمرضٍ خطير أو مُعْدٍ ؛ فإن الهيئات الطبية في العالم ، وكل الفعاليات الصحية تحشد جميع إمكاناتها للتصدي لمثل هذا المرض ، وتعد حملات توعية واسعة النطاق ، وإجراءات تحصينية من شأنها منع تسرّب هذا الوباء إلىٰ أماكن أخرىٰ .

لكن ، يبقىٰ المنهج الإسلامي في مسيرته لتحقيق الأمن الفكري هو الحل الوحيد ، حيث التربية أولاً وأخيراً .

وما أجمل القول المشهور : جنة الدنيا الأمن ، ونار الدنيا وجحيمها الخوف . مصداق ذلك قوله تعالىٰ ، وهو يتحدّث عن مجتمع الأمن الشامل الذي يحتاج إليه الفرد والمجتمع : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾(١) .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾(٣) .

والتركيز الإسلامي علىٰ التربية المبنيّة علىٰ مبادئ وأسس ثابتة ، هي قارب النجاة ، ومرتكز مسيرة النماء والأمن الفكري في حياة أي شعب .

ذلك لأن الجريمة تزداد يوماً بعد يوم ، وتهدّد الأمن كله ، مصداق ذلك أن معدلات الجريمة والانحراف قد زادت خلال الثلاثين عاماً الماضية زيادة كبيرة غير مسبوقة ، فزادت في الدول الصناعية ما بين (٣٠٠ ـ ٤٠٠٪)!

---

(١) قريش : ٣ ـ ٤ .

(٢) الأنعام : ٨٢ . «لم يلبسوا» : لم يخلطوا . «بظلم» : بشرك وكفر .

(٣) البقرة : ١٢٦ .

مثال ذلك ما كان في أمريكا حيث أصبحت الجريمة هي المشكلة الأولىٰ ، متقدّمة بذلك على المشاكل الاقتصادية التقليدية ، من بطالة وتضخم وتصاعد الضرائب ، ففي السجون الأمريكية يوجد مليون ونصف المليون سجين ، إضافة إلىٰ (٣,٦) مليون شخص من الموضوعين تحت المراقبة الفضائية ، أي إن هناك (٥) ملايين شخص من المجرمين في الولايات المتحدة الأمريكية!!

ولذلك زاد الإنفاق السنوي علىٰ الشرطة في أمريكا ، من (٥) بلايين دولار ، إلى (٢٧) بليون دولار ، خلال العقدين الماضيين.

وتكلّف الجريمة دافعي الضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية (١٠٠) بليون دولار سنوياً ، وتكلّف الجريمة المواطن العادي في أوروبة وكندا كل عام حوالي (٧٢٥) دولاراً ، منها (٢٠٠) دولار للصرف علىٰ الشرطة والمحاكم والسجون!

وفي مجال الإرهاب ، فقد أسفرت الدراسات التي قامت بها بعض الصحف والمجلات الأمريكية عن وجود (٣٧٠) منظمة إرهابية في العالم ، تتمركز في (٦٣) دولة ، وتباشر نشاطها في (١٢٠) دولة ، وتختلف هذه المنظمات ، فمنها منظمات تنطلق من منطلق عرقي ، ومنها ما تنطلق من منطلق ديني ، ومنها ما تنطلق من منطلق عَقَدي سياسي ، ومنها ما أسس من أجل الجريمة فقط.

وقد شنّت المنظمات الإرهابية في عام واحد (٧٩٤) عملية إرهابية دولية ، وقع ضحيتها (٩٤٥) شخصاً.

وقد وقع (٤٣٪) من هذه العمليات في دول أوربة الغربية ، ووقع في أمريكا اللاتينية (٢٢٪) منها ، وفي الشرق الأوسط (١٥٪) من هذه الحوادث ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية(٦٪) منها.

كل هذا يتطلب جهوداً عربية إسلامية جبّارة ، ولابدّ من أن يصل الجميع

إلىٰ تكامل وتعاون أمني. ولابدّ من وضع خطط وسياسات تعاونية في مجالات الأمن العربي الإسلامي.

٥ ـ ما العلاقة بين الإعلام وبين الأمن؟!

كما مرّ معنا في الباب الأول ، فللإعلام تعريفات كثيرة ، منها مثلاً أنه: كل قولٍ أو فعلٍ قصد به حمل حقائق أو مشاعر أو عواطف أو أفكار أو تجارب قولية أو سلوكية ، شخصية أو جماعية ، إلىٰ فرد ، أو جماعة بغية التأثير ، سواء كان الحمل مباشراً ، أو بوساطة وسيلة اصطلح علىٰ أنها وسيلة إعلام قديماً أو حديثاً.

إضافة إلىٰ ذلك ، فإن الإعلام له خصائص وصفات تشتمل على تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة ، والوضوح والصراحة والدّقة، والموضوعية ، والدقة ، والتوثيق بالمصادر.

لكن المشكلة هنا أنه عادة ما يكون للإعلام دور سلبي علىٰ الأمن ، مثال ذلك: كثيراً ما نجد الروايات البوليسية التي تفتح الأذهان وتثير اهتمام الناس ، خاصة الشباب منهم والمراهقين ـ المراقَبين بنوع من أنواع المراقبة الأبوية الشديدة ـ نحو الجريمة ، وذلك بما تقدّمه من براعة في ارتكابها ، ومقدرة في التخفي عن عيون رجال الأمن ، مما يحرّك لدىٰ بعضهم غريزة المحاكاة ، وحبّ الظهور.

كما أنها تفتح لدىٰ من لديه استعداد للانحراف أبواب ارتكاب الجريمة.

وهذا ما نراه علىٰ أرض الواقع ، حيث تأتينا المعلومات في أغلب الأحيان من أوروبة وأمريكا ، وهي تمثّل أخلاقاً غير أخلاقنا ، ودِيناً غير ديننا ، وقيماً غير قيمنا ، فتعكّر ما عندنا من تربية ومُثل وأخلاق!!

ولذلك نستطيع القول: هناك علاقة خاصة ، بل وأكثر خصوصية بين الأمن والإعلام ، فقد أصبح الإعلام محرّكاً لقضايا الأمن ، وموجهاً لها بوسائله الخطيرة ، ومحدثاً للتحولات التي تصيب البنية الأمنية ، مسيراً ومحولاً لاتجاهات الرأي العام ؛ إلىٰ اتجاهات الجمهور ، إزاء مشكلة ما في

حالة انتمائهم إلىٰ مجموعة اجتماعية واحدة. خاصةً وأننا نعيش في ظلال العولمة، والقرية الواحدة المعولمة، حيث لا قيمة للسدود والحدود، ولا للزمان والمسافات.

بل واختُصر التاريخ، وكادت أن تُلغىٰ الجغرافية، حتىٰ بات الإنسان يرىٰ العالم ويسمعه من مقعده، ولم يقتصر ذلك علىٰ اختراق الحدود السياسية، والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوز أشياء كثيرة، حتى وصل الأمر إلىٰ إلغاء الحدود الثقافية، ويتدخّل في الخصائص النفسية، وتشكيل القناعات العقدية، فيُغير بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً، والبيان الأكثر سحراً، والتحكم الأكثر تقنية.

ولبيان دور الإعلام في حفظ الأمن والاستقرار، ومدىٰ الترابط القوي بين الإعلام والأمن؛ نسوق هذين المثالين:

مثال أول: عندما نشير عبر وسائل الإعلام العربية إلى تحريم الإرهاب والسرقة وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق وتحريم الزنىٰ، وأكل أموال الناس بالظلم والعدوان.

ونوضح أن هذه الأفعال محرمة، ويعاقب الله عليها عقاباً شديداً في الآخرة، بالإضافة إلىٰ العقوبة الدنيوية، حينما يتمّ القبض علىٰ المجرم وتثبت الجريمة في حقه، تُرىٰ ما النتائج الأمنية لهذه المواد الإعلامية؟!

إنها وكما يبدو ستكون إيجابية.

مثال آخر يتعلّق بنشر الجريمة في ظلال الإسلام: إذا كانت الجريمة لم تثبت شرعاً، فلا يجوز نشرها أو إشاعتها بطريقة مثيرة، لما في ذلك من تجريح لأعراض الناس، ولما في نشر السوء من زعزعة الثقة في المجتمع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) النور: ١٩.

وقد ساق ـ سبحانه ـ قبل ذلك وهو يتحدث تفصيلاً عن حادثة الإفك ـ قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] لكن وبعد ثبوت الجريمة وصدور الحكم الشرعي، يمكن إعلان الحكم مع التنفيذ، ولكن ليس بوصف الجريمة وصفاً تفصيلياً، وبشكل يلحق الضرر ويمسّ الأخلاق ويخدش الحياء، وإنما يعلن الحكم لكي يرتدع الآخرون.

ولا مانع من التعليق علىٰ الجريمة وبشاعتها، وتحذير الناس من الوقوع في مثلها، وتوضيح ما حلّ بالجاني من العقوبة جزاء ما اقترفه، لكي يرتدع المجرمون أو من يفكر في الإجرام، وهذا هو الغرض الأساس من نشر الجريمة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] من هنا يتبيّن لنا أن الإعلام الإيجابي ضرورة اجتماعية وأمنية وثقافية، ومطلب لا يمكن الاستغناء عنه، وبشكل آخر: فكلما زادت معرفة الجمهور بسياسات النظام السياسي وأهدافه، كلما كانوا أكثر انقياداً وطاعة له، لهذا نجد وسائل الإعلام تقوم بنشر وإذاعة بعض الحوادث، حيث إنها تعتبر أن من حق الجمهور أن يتعرّف ويطّلع علىٰ مثل هذه الحوادث، ويُدرك مدىٰ كفاءة أجهزة الأمن بكشف تلك الجرائم والقبض علىٰ مرتكبيها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ تقوم بتقوية الرادع لديه، ومنعه من ارتكاب مثل تلك الجرائم، أو حتى مجرّد التفكير بارتكابها.

إذن:

إن التأثير بين الإعلام والأمن تأثير متبادل، فكما أن للإعلام الأثر

---

(١) النور: ١٥ ـ ١٧. «وتحسبونه هيناً»: تظنونه سهلاً لا تبعةَ له. «سبحانك»: تعجُّب من شناعة هذا الإفك. «بهتان»: كذب يُحيِّر سامعه لفظاعته.

(٢) البقرة: ١٧٩.

الإيجابي والسلبي ؛ فإن توافر الأمن كذلك لرجل الإعلام ، أو عدمه له آثار إيجابية وسلبية علىٰ المواقف .

وبالتالي ، فإن حَذَرَ رجل الأمن من الإعلامي ، وتخوّف الإعلامي من رجل الأمن يضرّ بمصلحة التعاون بين الطرفين ، ولذلك كان التنسيق والتعاون مطلباً ملحّاً بين الجهتين .

٦ ـ أهم الضوابط الإعلامية الأمنية :

تختلف الضوابط الإعلامية والأمنية من دولة إلىٰ أخرىٰ ، وذلك تبعاً للمفاهيم السياسية والاجتماعية ، والثقافية والاقتصادية المطبّقة في كل دولة من هذه الدول ، لكن بما يتعلّق بغالبية الدول العربية والإسلامية ، فيمكن تصوّر أهم الضوابط ضمن تفريعات معينة ، أهمها ما يلي :

أ ـ الضوابط الرقابية الدينية :

١ ـ لا يجوز عرض أي مادة ، أو تقديم أي برنامج يتنافىٰ فكرياً أو عقائدياً مع الشريعة الإسلامية ، أو يؤدي إلىٰ إبراز ما يُثير الشك أو البلبلة حولها .

٢ ـ لا يجوز عرض ما يسخر بالدين الإسلامي ، أو يهزأ برجاله ، أو يعرِّض بتعاليمه ، أو يشيع عادات وتقاليد اجتماعية منافية له .

٣ ـ لا يجوز عرض ما يبرز أفكاراً وثنيّة ، أو إلحادية ، بشكل يدعو إلىٰ إقرارها ، أو التعاطف معها .

٤ ـ لا يجوز إظهار الممثل أو الممثلة بلباس شفّاف ، أو غير محتشم ، مما هو خارج عن العادات والتقاليد الإسلامية المتبعة .

٥ ـ لا يجوز إظهار صورة للأنبياء أو الصحابة .

٦ ـ لا يجوز عرض ما يتضمن المساس بالأديان ، أو العقائد السماوية الأخرىٰ .

٧ ـ لا يجوز عرض ما يثير الجدل الديني بين الطوائف .

ب ـ الضوابط السياسية :

١ ـ لا يجوز عرض ما يمس بالسياسة العليا للدولة ، أو التعريض بالأهداف التي تقوم عليها هذه السياسة .

٢ ـ لا تجوز الإساءة إلىٰ أمن الدولة ، أو ما يمثّل سلطة الدولة وهيبتها .

٣ ـ لا يجوز عرض ما يتضمّن تحريضاً أو إساءةً إلىٰ نظام الحكم في البلاد ، أو الإضرار بالمصالح العليا للدولة ، أو بالنظم الأساسية التي يقوم عليها المجتمع .

٤ ـ لا يجوز عرض ما يتضمن إساءة إلىٰ أي دولة من الدول العربية أو الإسلامية أو الصديقة ، كما لا يجوز عرض ما يتضمن تجنياً علىٰ العرب أو المسلمين أو تشويهاً لحضارتهم أو تراثهم .

٥ ـ لا يجوز عرض الموضوعات التي يخشى منها إحداث شغب أو إثارة الخواطر بين أفراد المجتمع .

٦ ـ لا تجوز الدعوة إلىٰ الفوارق والامتيازات الطبقية أو العنصرية ، كما لا يجوز تشويه الحقائق التاريخية .

٧ ـ لا يجوز عرض ما من شأنه التحريض علىٰ أعمال العنف ، أو تشجيع النشاط الهدّام لأوضاع المجتمع ومؤسساته الشرعية القائمة .

٨ ـ لا يجوز عرض ما يرفع من شأن العدو الإسرائيلي والصهيونية العالمية ، أو ما يدعو إلىٰ التعاطف معها ؛ حفاظاً على أسس وأخلاقيات المجتمع العربي المسلم وتقاليده .

٩ ـ لا يجوز عرض ما من شأنه تحبيذ الفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة أو الطبقة .

١٠ ـ لا يجوز عرض ما من شأنه تحبيذ الأخذ بالثّأر ، أو إثارة النعرات العصبية بين أفراد المجتمع .

١١ ـ لا يجوز عرض ما من شأنه إبراز صورة القسوة علىٰ الإنسان أو

الحيوان ، كما لا يجوز عرض صور الرعب المفزعة ، أو العنف المفرط .

١٢ ـ لا يجوز عرض مشاهد الخطف أو الاغتصاب ، وهتك العرض والفعل الفاضح أو المراودة الجنسية أو الإغراء .

١٣ ـ لا يجوز عرض المشاهد الغرامية أو المثيرة للغرائز ، وكذلك الحركات العادية أو الإيمائية ذات المدلول الجنسي الفاضح .

١٤ ـ لا يجوز عرض مشاهد شرب الخمر أو تعاطي المخدرات ، ما لم تكن عنصراً أساسياً لمعالجة الموضوع .

١٥ ـ لا يجوز عرض المشاهد التي تؤذي المشاعر الإنسانية ، وتهدم الكرامة الأدبية ، وتسيء إلىٰ قيمة الإنسان بشكل عام .

١٦ ـ لا يجوز عرض المناظر التي تشير الاشمئزاز ، مثل الجروح والجذام ، وتفاصيل العمليات الجراحية والبتر والتشوهات والعاهات الجسمانية .

جـ ـ الضوابط الأمنية :

١ ـ لا يجوز عرض المشاهد أو الصور التي من شأنها أن تقدّم معلومات يستفيد منها العدو ، أو تؤدّي إلىٰ الإضرار بسمعة البلاد .

٢ ـ لا يجوز عرض الجريمة بطريقة تثير العواطف ، أو تغري بالتقليد ، أو توحي بالفائدة .

٣ ـ لا يجوز تهوين ارتكاب الجريمة ، أو العمل الإجرامي ، أو التقليل من خطورته علىٰ الفرد والمجتمع .

٤ ـ لا يجوز تصوير وعرض تفاصيل ارتكاب الجريمة بشكلٍ يحرّض علىٰ المحاكاة والتقليد .

٥ ـ لا يجوز إضفاء هالة البطولة علىٰ الشخصيات الإجرامية .

٦ ـ لا ينبغي إظهار الجريمة على أنها من الأمور الطبيعية ، أو المسلّم بها في الحياة ، دون استنكار لها .

٧ ـ لا يجوز تبرير جرائم الثأر والانتقام علىٰ أي صورة من الصور.

٨ ـ لا يجوز عرض الموضوعات التي تتناول الإجرام والجرائم، بصورة ترسخ في ذهن الطفل، أو الحدث، وتبعث فيه العطف علىٰ مرتكبيها وتقليدهم.

٩ ـ لا يجوز عرض المشاهد الي تثير في الأطفال غريزة الجنس، ولا تلك التي تولّد اليأس والخوف والتشاؤم والتخاذل في نفس الحدث أو الطفل.

١٠ ـ لا يجوز عرض النشاط الإجرامي الذي يشترك فيه الأحداث أو الأطفال بصفة أساسية، مما يؤدي إلىٰ انحراف النشء وتقليد الرذيلة، أو الخروج عن العادات والتقاليد الاجتماعية المرعية.

١١ ـ لا يجوز تصوير الدجل وأعمال الشعوذة وغيرها علىٰ أنها من العادات المستحبّة.

١٢ ـ لا يجوز عرض المشاهد التي تبلّد إحساس الطفل، وتحضّه علىٰ القسوة، وتعذيب الحيوان أو الإنسان.

د ـ الضوابط المتعلقة بالإعلانات التجارية:

١ ـ لا يجوز الإعلان عن الخمور، أو أي من أنواع ما يسمّىٰ بالمشروبات الروحية.

٢ ـ لا يجوز الإعلان عن التدخين أو السجائر بأنواعها.

٣ ـ لا يجوز الإعلان عن الأدوية، أو المواد الكيماوية، إلا ما حصل منها علىٰ ترخيص مُسبق، أو موافقة خطية من الجهة الحكومية المختصّة.

٤ ـ لا يجوز الإعلان عن مجلات وكتب الأبراج والطّوالع والبخت، والتنبؤات.

٥ ـ لا يجوز الإعلان عن أدوية لعلاج أمراض بعينها ، أو أنها شافية وأكيدة المفعول.

٦ ـ لا يجوز الإعلان عن المسابقات التي تنطوي علىٰ القمار ، أو أسئلة اليانصيب.

٧ ـ لا يجوز الإعلان عن سلع وألعاب تخصّ الأطفال بطريقة تؤدّي إلىٰ الإضرار بهم.

٨ ـ لا يجوز عرض الإعلانات التي تتضمن مبالغات أو تهويلاً عن السلعة المعلن عنها..

وهكذا ، فهذه الضوابط الإعلامية والأمنية إنما تخدم الأمن والاستقرار ، وتحافظ علىٰ المُثل والقيم ، بيد أن الزحف الإعلامي والفضائي والأنترنت ، ستجعل هذه الضوابط أمام تحدّيات جديدة.

ولذلك يبقىٰ الحديث في فلك فكرة: أن هذه الأسس أو الضوابط الرقابية لا يمكن أن تكون نهائية ، بمعنىٰ أنها كاملة وغير قابلة للزيادة أو النقصان ، أو التعديل في بعض الأحيان.

كما أن تطبيقات هذه القواعد أو الضوابط الرقابية تختلف من دولة لدولة ، ومن مؤسسة تلفزيونية إلىٰ مؤسسة تلفزيونية أخرىٰ.

لذا قد نجد أن دولة من الدول العربية ، أو الدول الإسلامية ، أو النامية ، تطبّق هذه الضوابط الرقابية ، بكلّ دقة وصراحة ، بينما دولة مجاورة أخرىٰ لا تطبّقها إلا جزئياً[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: الإعلام للدكتور النجعي: ص ١١٧ ـ ١٤٩ ، الإعلام الأمني ، علي الجحني: ص ٩٧ ـ ١٢٥.

obeikandl.com

الباب الثاني: المسيرة التاريخية للإعلام

الفصل الأول: الإعلام في الزمان القديم ـ قبل الإسلام ـ.

الفصل الثاني: الإعلام في العهد المكيّ.

الفصل الثالث: الإعلام في العهد المدني.

الفصل الرابع: الإعلام في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

الفصل الخامس: الإعلام في العهد الأموي.

الفصل السادس: الإعلام في العهدين: العباسي والفاطمي.

الفصل السابع: الإعلام في العصور الوسطى.

الفصل الثامن: الإعلام في العصر الحديث.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الإعلام في الزمان القديم ـ قبل الإسلام ـ

يجدر بنا عند التحدث عن الإعلام قبل الإسلام أن نتعرف إلى صور الإعلام في بعض المجتمعات القديمة بصفة عامة ، ثم إلى صورته في المجتمع العربي القديم بصفة خاصة ، وذلك تأسيساً على أن الإعلام لحقيقة اجتماعية قديم قدم الإنسان ذاته.

ولكن وسائله وأساليبه هي التي تخضع للتطور والتغير عبر العصور والأجيال.

ولذلك يفرق علماء الإعلام بين مصطلحي (اتصال) و(اتصالات) فالاتصال هو عملية الاتصال ، والاتصالات هي الوسائل التكنولوجية المستخدمة لتنفيذ عملية الاتصال.

ـ الاتصال إذن هو حقيقة أساسية للوجود الإنساني والعملية الاجتماعية. . . بل إن الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية ـ وهو الذي يجعل التفاعل بين الجنس البشري ممكناً ـ ويمكِّن الناس من أن يكونوا كائنات اجتماعية.

وقد بدأ الإعلام في المجتمعات القديمة بثلاث صور هي صورة المراقب الذي يتولى عملية المراقبة من فوق قمم الجبال ، وإنذار عشيرته أو قبيلته بالأخطار المقبلة أو الكوارث التي توشك أن تلحق بها، وإبلاغها بذلك

لتأخذ أُهبتها لمواجهة العدو والدفاع عن نفسها. وهذا يمثل في عصرنا الحديث وظيفة الإخبار التي تقوم بها وسائل الإعلام اليوم ، مما يؤكد أن وظيفة الإخبار أو الإبلاغ قديمة قدم الإنسان كما قلنا.

والصورة الثانية هي صورة الحكيم المشير ، وكان أكبر رجال القبيلة سناً وأكثرهم خبرة وأغزرهم معرفة بحوادث الأيام ومغازيها ، والأساطير السائدة في البيئة ، والمعتقدات ، والتقاليد. . . وإليه يلجأ أفراد القبيلة للاستشارة وطلب النصح ، وهذا الحكيم المشير يمثل في عصرنا هذا وظيفة الموجه المرشد الداعية التي تحتل مكانة كبيرة في التحليل الوظيفي لوسائل الإعلام.

والصورة الثالثة هي صورة المعلم المربي ، وكان يختار من بين أكثر أفراد القبيلة علماً لكي يقوم بتربية الأطفال وتنشئتهم النشأة الاجتماعية ، على النحو الذي يجعلنا نقول: إن وظيفة التنشئة الاجتماعية من بين وظائف الإعلام المعاصر كان يقوم بها المعلم المربي في العصور البدائية.

* * *

المبحث الأول
الإعلام في الزمان القديم

أ ـ الإعلام في مصر القديمة:

لم تلبث هذه الصور الإعلامية أن اتخذت أشكالاً أكثر تطوراً تبعاً لتطور الحضارات القديمة، فكانت في مصر الفرعونية أعياداً واحتفالات دينية تقدم فيها عظات ومسرحيات ورقصات وإخباريات تستقطب اهتمام الناس، كما كانت هذه الصور تسجّل على جدران المعابد وأوراق البردي، وكان البعض منها متعلقاً بالقوانين وإجراءات وشكل العلاقات داخلها...

وتناولت أيضاً توجيهات تحذر الشعب من الأمراض الاجتماعية الخطيرة.

يقول العالم الشهير (جيمس برستد James Breasted): إن المصريين القدماء عرفوا صوراً متقدمة من الإعلام الحربي، فهم لم يشيدوا الأهرامات والمعابد الضخمة من أجل الاحتفاظ بجثثهم وممارسة الطقوس الدينية فحسب، ولكنهم أقاموها ليسطروا على جدرانها أمجادهم الحربية وانتصاراتهم في المعارك المختلفة.

ويقول جيمس برستد أيضاً: إن المجلات المصرية كانت تمثل إحدى الوسائل الإعلامية، بما كان يسجل عليها من مفاخر حضارية إلى جوار ما تؤديه من وظيفة دينية.

ويعتبر فك رموز الهيروغليفية المصرية بعد الحملة الفرنسية على مصر، وحل رموز المسمارية الآشورية البابلية فتحاً جديداً في تاريخ العالم ذلك لأنها كشفت عن تقدم في فنون الإعلام في الحضارت القديمة التي عرفت الكتابة ، واعتمدت عليها في الإعلام.

ويقول علماء المصريات كذلك: إن الفراعنة عرفوا الصحافة من ٣٧ قرناً خلت ، وكانوا يسجلونها على أوراق البردي التي تعتبر بمثابة الصحف في عصرنا. . . فظهرت عندهم صحيفة (القصر) وكانت صحيفة هزلية تسخر من بعض أوضاع المجتمع وتتعرض لها بالنقد ، بل إنها كانت تتناول أعمال الملوك والفراعنة الكبار ، وتناقشها في أسلوب فكاهي ساخر.

وقد ذكر المؤرخ الإغريقي المعروف هيرودوت هذه الصحيفة ضمن ما ذكره عن الحضارات المصرية الفرعونية.

وإذا كانت الوظيفة الاجتماعية هي التي تسوِّغ ظهور الصحافة وقيامها على أداء تلك الوظيفة ، فإن أوراق البردي التي اكتشفها (فلندر زتبري) والتي يرجع تاريخها إلىٰ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، توضح مدى اهتمام المصريين القدماء بإثارة ميول القراء ، وجذب انتباههم ، وإذا اختلف المؤرخون حول المكان الأصيل الذي نبتت فيه الصحافة أول مرة ، وسايرت تطور الإنسان وتقدمه من البدائية إلى الاستقرار إلى التحضر ، فإن ذلك لا يحول دون اتفاقهم على أن مصر قد عرفت الصحافة بهذا المفهوم منذ سبعة وثلاثين قرناً. فهناك وثيقة يرجع عهدها إلى سنة (١٧٥٠ قبل الميلاد) تدل على وجود جريدة رسمية تنطق بلسان الحكومة ، ويكتب فيها الوزير ، وهي (رفمارا) وفيها مقالات تبين اتجاهات الحكومة. ومن العجيب أن ورق البردي انقرض من العالم ، وحلت محله هذه الأوراق التي تجمعها الكتب بين دفتيها. وذهب النسخ وجاءت المطبعة ، ولا يزال الاسم الذي أطلق على ورق البردي Papy Rus هو الأصل الذي اشتقت منه الأسماء التي تطلق على الورق والصحف في اللغات الغربية ، فورقة البردي التي

سميت (بريس) بدار الكتب الأهلية بباريس ، تعدّ ـ كما يقول (جوستاف لوبون) ـ أقدم من أشعار هوميروس وأقدم من كتب التوراة ، حيث يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية عشرة ، ففيها ما خطته الأقلام منذ خمسة آلاف من السنين.

ومن ذلك تبين لنا قيمة هذه الوثيقة العريقة ، والتي حملت اسماً ذا دلالة في لغة الحضارة Presse إلى جانب ما توحي إليه من جذور مقالية في التراث القديم إذ تضمنت مقالاً أخلاقياً ألفه (كاكمنا) في حكم الملك سنيفروا من الأسرة الثالثة، ومعلومات فتاحوتب التي يرجع إلى الأسرة الخامسة. وإلى جانب هذه الوثيقة عرفت مصر لوناً من صحافة الرأي في النقد والتوجيه والمعارضة.

ب ـ الإعلام عند الإغريق:

كانت الصور الإعلامية عند الإغريق تتخذ شكل الخطابة السياسية والملاحم والأعمال الدرامية ، وقد سجلت الإلياذة والأوديسا ملاحم البطولات الحربية في أشعار حماسية تلهب مشاعر الجماهير.. وكانت مسرحيات سوفكليس ويوربيدس وإيسكيلوس تمثل شكلاً من أشكال الاتصال الجماهيري بما تقدمه من عروض تراجيدية وكوميدية يستعرض فيها الكاتب أمجاد الماضي والواقع المعاش وتقاليد المجتمع ، ويقوم بعرض المشكلات التي يعاني منها الناس ، ويطرح حلولاً مقترحة لها ، كما يسخر من الأوضاع الاجتماعية المناقضة للعادات والتقاليد ، كذلك فإن الكتّاب المسرحيين كانوا يبشرون بمستقبل أفضل ينبع من تصوراتهم ورؤاهم الخاصة.

أما أبوقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة الإغريق ، فإنهم كانوا من المنظِّرين الرواد في الإعلام كنتيجة لازدهار الكلمة وتأثير المسرح والخطابة في الجماهير... وعلى الرغم من أن سقراط كان يتوسل بالجدل في الاتصال بالناس ، إلا أن أفلاطون وأرسطو كانا أكثر اهتماماً بحقيقة

الاتصال وجدِّيته. . فقد كان أفلاطون يرى أن المجتمع وحدة متكاملة تشبه الجسد الحي الذي لا ينقص منه ولا يزاد عليه ، ويرى أن العلاقات بين الأفراد هي التي تربط بين أجزاء المجتمع ويقول: (إذا كانت القوى الحاكمة تشبه العقل في الإنسان ، فإن القوى الحارسة التي تتمثل في الجند تشبه الانفعالات ـ أوالقوى الغضبية ـ أما القوى العاملة في المجتمع فهي تمثل النزوات والشهوات).

ومن أهم عناصر الاتصال في نظر أفلاطون ـ القيادة والزعامة والفن ـ وخاصة الشعر والموسيقا. ويشترط أفلاطون أن يكون القائم بالقيادة أو الزعامة والمنتج للفن سواء كان شعراً أو موسيقا أن يكون من الجادين الدارسين لأحوال المجتمع ، الراغبين في إصلاحه ، البعيدين كل البعد عن التضليل وإثارة الأهواء.

وكان للمنادي عند أفلاطون أهمية كبرى ، فهو في مكانة رجل الإعلام المعاصر.

وهو المسؤول عن تبليغ الناس بما يجدُّ من أنباء أو أحداث داخل المجتمع ، الذي تصوره أفلاطون وصوره محدودة العدد ؛ لكي يستطيع منادٍ واحد أن يقوم بالإعلام فيه على الوجه الأكمل.

ولم ينسَ أفلاطون اللغة كعنصر اتصالي مهم ، فخصها بمحاورة (أقرطليس) التي فنَّد فيها آراء السابقين حول الألفاظ ومدلولاتها.

وكان أرسطو يقول: (إن الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل). ذلك لأن أرسطو كان معنياً بالخطابة والبلاغة على النحو الذي تعنى به دراسات الاتصال الحديثة. . . فحدد عناصرها ، واهتم بدراسة الخطيب والجمهور ـ أي المرسل والمستقبل ـ كما اهتم بالرسالة الاتصالية (الخطية) وعناصرها وما فيها من حجج وبراهين للتأثير على نفوس وعقول الجماهير المستمعة.

وركز أرسطو بشكل خاص على مصدر المعلومات الذي تعنى به نماذج

الاتصال الحديثة ، فقال: (ومن ننصت لهم هم المقربون منا ومن لنا بهم كبير صلة وعظيم ثقة ، وهم الذين يشاركوننا في الوطن. . . ومن بقي على قيد الحياة من العلماء لا الجهلاء. . . والعدد الأكبر في ذلك خير من العدد الأصغر. فشهادة هذه الجماعات مظنة الصدق أكثر من غيرهم من الجماعات التي لا تتصف بهذه الصفات ؛ لأن من نهتم لا بهم ولا بأحكامهم كالأطفال والحيوانات لا يهمنا تقديرهم ولا أفكارهم من هذه الناحية على الأقل ، فإذا اهتممنا بشأنهم فمن نواحٍ أخرى).

جـ ـ الإعلام عند الرومان:

أما الصور الإعلامية عند الرومان فقد استخدمت بعض الأشكال الإغريقية والأشكال التي استوردتها من بعض البلاد التي احتلوها ، وفي مقدمتها مصر ، ثم ركزت على الإعلام الرياضي. وكان هذا التركيز ضرورياً كوسيلة لصرف أنظار الشعب عن المشكلات الحكومية ، وتوجيه اهتمامه إلى الأخبار الرياضية على اختلاف أشكالها. فإن الجمهور الروماني يحتشد في الساحات العامة لمشاهدة الأبطال الرياضيين والمصارعين ، كما يحضر الحفلات التي كانت تقام لمصارعة الحيوانات المفترسة. وفي أيام يوليوس قيصر صورت صحيفة (الحوادث اليومية) التضليل وإثارة الأهواء.

د ـ الإعلام في حضارة الفرس:

دلت البحوث الأثرية الأخيرة عند أكياتانا عاصمة المعديين على أن المعديين ابتدعوا حروفاً هجائية جديدة تبلغ تسعاً وثلاثين علامة مسمارية ، وكانوا يستخدمون هذه الحروف في كتابة اللغة الفارسية على القطع الفخارية ، كما استخدموها أيضاً كلما أرادوا أن يسجلوا وقائع إعلامية على المباني الحجرية ، وهكذا بدأ الفرس ـ وكما يقول برسد ـ، والذين ظلوا فترة طويلة دون علم بالكتابة ـ فكانوا يسجلون وقائع إعلامية ووثائق تاريخية لتخلد بعدهم على مر الدهور. وتعتبر هذه الآثار أقدم ما وصل إلينا من وثائق معدية أو فارسية.

وترجع أهمية المدونات المسمارية الفارسية إلى أنها هي التي مكَّنتنا من حل الرموز وقراءة النقوش المسمارية في غرب آسيا.

وكانت هذه المدونات وسيلة من وسائل الإعلام القديم وشأناً من شؤون فن العمارة؛ الذي أخذ البناؤون الفرس يتعلمونه من الشعوب الشرقية القديمة التي خضعت لإمبراطوريتهم، فاقتبسوا المدرجات الهائلة التي كانت تقوم عليها القصور الفارسية عن البابليين، كما اقتبسوا الثيران المجنحة التي تقوم أمام أبواب القصر والسلالم المؤدية إليها عن آشور، أما باقي الأعمدة التي تمتد أمام القصور وتملأ أبهاءها، والتي كانت تميز الردهات، والتي بنيت في آسيا، فإنهم اقتبسوها من مصر، إذ كانت أقدم ردهات النيل موجودة منذ أكثر من ألفين من السنين قبل ذلك التاريخ، كذلك جدران القصور الزاهية الألوان والتي بنيت على طراز خاص، فإنها جاءت إلى بلاد الفرس من الغرب.

وهكذا اندمجت الحضارات العظيمة التي حكمها الأباطرة الفرس في حياة إمبراطوريتهم، وأدى اندماج تلك الحضارات القديمة التي نشأت في الشرق الأدنى تحت نظام شامل إلى إيجاد حالة جديدة لها خطرها الكبير في تاريخ أوربة.

فقد رأينا قورش وكيف وصلت انتصاراته إلى شواطئ البحر الإيجي، ورأينا المدن الإغريقية ـ التي تقع في غربي آسيا الصغرى ـ وقد أصبحت تحت الحكم الفارسي.

وقد عرف الفرس الأعياد كوسيلة إعلامية، ومنها عيد النيروز الذي يعني في لغة الفرس: اليوم الجديد وموعده الأيام الستة الأوائل من أول شهر في سنتهم الشمسية، وهو يوافق ٢٤ آذار أي إنه يوافق أول الربيع، واليوم السادس يسمى النيروز الكبير، لأن الأكاسرة كانوا ينصرفون فيه إلى مجالس أنسهم مع خاصتهم.

والنيروز أعظم أعياد الفرس ، به تستقبل السنة جباية الخراج ، وهو زمن تولية العمال واستبدالهم ، وضرب الدراهم والدنانير ، وتذكية بيوت النيران وإشادة البنيان ، وما أشبه ذلك.

وقد كان لملوك الفرس نظام معين في النيروز.. يجلس الملك في اليوم الأول فيقابل الناس ويحسن إليهم ، ويجلس في اليوم الثاني لمن هم أرفع رتبة وهم الدهاقين وأهل البيوتات ، ويجلس في اليوم الثالث لأساورته... ثم يختص ولده وصنائعه باليوم الخامس ، فيصل إلى كل واحد منهم ما يستحقه من رتبة وتكريم ، فإذا كان اليوم السادس نوّر لنفسه ولم يصل إليه إلا أهل أنسه ومن يصلح لخلوته[1].

أما (المهرجان) فهو الأيام الستة الأوائل من أول شهر ، وهو يوافق أول الخريف ، ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الكبير حيث كان ملوك الفرس يأمرون بإخراج ما في خزائنهم من الملابس فتفرق على خاصة الملك وحراسه ، ثم على سائر الناس حسب مراتبهم.

ويقول الجاحظ: (إنهم كانوا يتقبلون الهدايا في العيدين من طبقات شتى ، والنظام في ذلك أن يهدي الرجل ما يحب من ملكه إذا كان في الطبقة العالية.. فإن كان يحب مسكاً أهدى مسكاً لا غيره ، وإن كان يحب عنبراً أهدى عنبراً ، وإن كان صاحب بزَّة ولبسة أهدى كسوة وثياباً ، وإن كان من الشجعان أو الفرسان فكان يهدي نشاباً ، وإن كان من أصحاب الأموال فإنه يهدي ذهباً أو فضة ، وكان الشاعر يهدي الشعر ، والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة أو الطرفة... إلخ)[2].

هـ ـ الإعلام في الهند:

يعتبر كثير من الباحثين الهند هي البلد الذي نشأ فيه المسرح كوسيلة

---

(١) الآثار الباقية للبيروني: ص ٢١٨.

(٢) التاج في أخلاق الملوك ـ للجاحظ ، تحقيق أحمد زكي باشا: ص ١٤٦.

للاتصال ، وأنها كانت منبعاً لمعظم المسارح في آسيا التي تتميز عن المسارح الأوربية والإفريقية وغيرها ، وكان للهند القديمة تأثير كبير سجله التاريخ على بلاد آسيا في المجالات الثقافية والدينية ، فقد ظهر فيها قبل المسيح بعدة قرون أمير هندي عرف فيما بعد باسم [جاوتامابوذا]. وكانت الديانة التي نبعت من حياته وتعاليمه حية قوية حتى لقد انتشرت وذاعت فامتدت إلى الصين واليابان شمالاً ، وإلى أقصى الجزر الإندونيسية شرقاً.

وقد عرفت هذه الديانة أساليب اتصالية استخدمتها في التبشير بها عن طريق المبشرين البوذيين ، الذين نقلوا معهم في حلِّهم وترحالهم الأخلاق والتقاليد الهندية.

وكانت اللغة التي يتحدثون بها هي لغة (راكيت Rakit) أو (بالي) وهي لهجة بوذا المحلية ، وكانت الكتابات التي نقلوها معهم هندية ، في الوقت الذي كان فيه غالبية سكان آسيا حتى ظهور (بوذا) أميين، واستعملوا حركات الرقص والأشكال الدرامية والاستعراضات الفخمة والآلات الموسيقية كوسائل للاتصال بالجماهير.

وقبل ميلاد المسيح بقرن من الزمان وإلى عشرة قرون تالية ، كان جنوب الهند يتسع ويمتد إلى ما وراء البحار بوسيلة اتصال أخرى ، فتارة كان هذا الاتساع يتم بالغزو المسلح كما في حالة سيلان ، حيث كان ملوك جنوب الهند الأقوياء الذين يحملون لقب (تاميل) يبعثون جيوشهم مرة بعد أخرى... بيد أن هذا التوسع كان يتم في أغلب الأحيان بدافع الرغبة في ممارسة التجارة.

وقد عرفت الهند فن الملاحم في الإعلام القديم ، فهناك الملحمتان الكبيرتان: الرامايانا والماهبهاراتا ، في مقابل الإلياذة والأوديسة في الغرب عند الإغريق. وهي أيضاً قصص مغامرات طويلة تتناول الآلهة والبشر والأبطال العظام والحيوانات العجيبة صانعة المعجزات ، وتزخر بالحكم والأقوال المأثورة.

وقد غذت الرامايانا والماهبهاراتا المطالب الدينية في نفوس الهند ، وأشبعت ميولهم الفطرية نحو الفنون الشعبية والمسرح ، كما زودت هيئاتهم الثقافية فيما وراء البحار بالإلهام والقوالب الفنية .

ونمت في الهند نفسها مجموعة مستقلة نسبياً من القصص الدرامية ، ففي غضون حقبة معينة تمتد على وجه التقريب من القرن الثالث الميلادي حتى القرن الثامن ، ازدهرت في الهند أول القصص الدرامية بالمعنى الذي نفهمه اليوم من لفظة دراما ، وتعرف هذه الحقبة على وجه العموم بالعصر الذهبي للدراما السنسكريتية[1] .

وفي المسرحيات الآسيوية كان الراوي يقوم بدور رجل الإعلام الحديث ، ولذلك يطلق على الراوي أو المنشد في الدراما السنسكريتية اسم (سوتراداهار) أي (ماسك الخيط) وهو الذي يمسك في الواقع خيوط القصة كلها ، ويعد المشهد ويقدم المعلومات التي تشكل خلفية الدراما ، والتي لا تيسر للشخصيات التي تتضمنها الحبكة المسرحية أن تنقلها إلى النظَّارة من خلال الحركة المسرحية ، ويجهر بالأفكار التي تراود عقول هذه الشخصيات ، ويفسر بالأجواء والأحوال ، ويحتفظ لنفسه في أدائه بالأقسام الدسمة من الأشعار الإيضاحية ، ويترك ما خلا ذلك من الأحاديث للمؤدين الأصليين .

و ـ الإعلام في الصين :

تعتبر الحضارة الصينية من أكبر الحضارات المتجانسة في العالم ، حيث تربط بين جميع بقاع هذه الكتلة الأرضية الشاسعة وسيلة اتصال مشتركة في الكتاب والأدب والإعلام .

وتنقسم بلاد آسيا من الوجهة الثقافية ، وبصفة عامة بين الصين والهند ، حيث تنتمي بعض البلاد من الناحية الجمالية إلى الهندوسية في الهند ،

---

(١) المسرح في الشرق (فوبون باورز) ترجمة أحمد رضا : ص ١٤ .

بقصائدها القديمة ذات المغزى الديني ، والسمات الفنية الخاصة ، والرقص الذي اتخذته وسيلتها التعبيرية الرئيسية . . . وبإشراقة الحضارة الصينية القوية القادرة بالفعل على تمدين الشعوب ؛ أخذ نفوذ الهند الذي كان ينبسط ويغزو البلاد البعيدة يتضاءل ويضعف ، وبدأت حضارة الصين تغشى فيتنام وهونج كونج وكوريا وأوكيناوا واليابان .

وجرىٰ تبادل منظم إلى حد ما ولفترة طويلة بين مجالي النفوذ الهندي والصيني عن طريق المناوشات على الحدود ، والحجاج والطوافين والعلاقات الدبلوماسية ، وقد تغلغلت العقلية البوذية الهندية في الصين والبلاد المتاخمة لها منذ ألفي عام بالحماسة نفسها التي انتشرت بها في بلاد جنوب شرق آسيا . وقد كان الوعي المسرحي في المنطقة الصينية يمثل مظهراً اتصالياً مهمّاً .

ويؤكد فولتير ـ ولو أنه ليس هناك ما يثبت تأكيده ـ أنه كانت في الصين منذ زمن سحيق صحف ومجلات .

وقال ماركو بولو في كتاب رحلاته : (لن أتجاوز الحقيقة إذا قلت : إن إمبراطور الصين كان عليماً بأسرار الكيمياء السحرية ، فقد كان يصدر أوراقاً تتحول إلى كثير من المال) ويقصد بها الأوراق القديمة كوسيلة للتداول .

ـ اتصال العرب بالحضارات القديمة :

وكان للعرب قبل الإسلام اتصال بهذه الحضارات القديمة ونظمها الاتصالية ، وهناك إشارة إلى العرب في الكتابات الآشورية ، وهي الإشارة التي وردت في كتابات الملك شلمنصر الثالث ملك آشور[1] ، فقد كان هذا الملك أول من أشار إلى العرب في نص من النصوص التاريخية التي وصلت إلينا ، وهو تسجيل لانتصار عسكري تم له في السنة السادسة من حكمه ، ثم توالت الإشارات إلى العرب في أخبار الحملات الآشورية ، وفيها أسماء

(١) تاج كلدو وآشور ، آدي شير : ص ٣٩ ـ ٤١ .

لمواضع عربية معروفة قديماً. . . وأسماء لشخصيات عربية أيضاً هي أقدم أسماء معروفة لنا ، وقد وردت في نصوص عربية مثل زبيبة وشمس والباسق.

ولما كان العرب يجاورون البابليين ، وكانوا قد ساعدوهم في نزاعهم مع آشور ، فليس من المستبعد أن يكون هنالك بين العرب والكلدانيين صلات خاصة وقد تحدث الإخباريون عن غزو بختنصر سنة ٦٠٤ إلى سنة ٥٦١ ق. م للعرب في أيام معد بن عدنان ، ووصوله إلى موضع (ذات عرق).

وقد حدثتنا الكتابات البابلية أن بختنصر أرسل في السنة السادسة من ملكه الموافقة لسنة ٩٩ ق. م حملة على القبائل العربية التي تسكن البادية ، نهبت فيها أملاكهم ومواشيهم كما نهبت آلهتهم، والهدف من سرقة الآلهة كان إكراه تلك القبائل على الاستسلام والخضوع ، وهذا أسلوب من أساليب الحرب النفسية من وجهة نظر الإعلام في عصرهم ، فالاعتداء على المعبود يمثل اغتصاباً للعقيدة، وهو يقابل في عصرنا عمليات غسيل المخ وأساليب التلقين المذهبي التي لا تخرج عن كونها تطورات حديثة للسيطرة على معتقدات الإنسان والتحكم في سلوكه. . . ومن ذلك ما يخضع له الأسرى في عصرنا من ضغطٍ بهدف التلقين والتأثير على عقولهم لتغيير أفكارهم ، وتحويلهم من عقيدة إلى أخرى.

وكذلك ما يفعله الشيوعيون حينما يقومون بعمليات غسيل المخ ، وإحلال معتقداتهم محل العقائد الدينية الراسخة في العقول ، وما تفعله الصهيونية من تخريب للمجتمعات وتقويض لقيمها وللمثل العليا فيها لإضعاف تلك المجتمعات والسيطرة عليهم ، على نحو ما نجد في كتاب: «بروتوكلات حكماء صهيون» حيث جاء فيه: (إن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من الخدم والمربيات اللائي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين ، والنساء اللواتي يعملن في أماكن

اللهو، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدونهن في الفسق والترف).

وقد تنبه أدولف هتلر إلى ذلك الخطر من البلاشفة والصهاينة ، وقد نبه إليه في كتابه «كفاحي» عندما قال: (فمنذ أن وضع اليهود والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الألمانية ، رأينا الرذيلة تنصب شراكها في طريق الشبيبة الألمانية كيفما اتجهت وأنى وجدت ، ورأينا عرش الإباحية والخلاعة ينصب في دور العرض السينمائي والمرابع والمراقص والحانات وحتى في الساحات العامة ، وكيف يرجى من شبيبة هذا شأنها أن تهب للذود عن الوطن ، وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده؟).

والثابت تاريخياً أن الصلة بين العرب والفرس كانت موجودة قبل تأسيس إمارة الحيرة بقرون ، فالعرب أدوا الجزية للملك قورش بخورا ولبانا في سنة ٥٥٠ ق.م فقد استولى الفرس على أكثر الهلال الخصيب واتصلوا بالعرب اتصالاً مباشراً. ويقال: إن قمبيز استعان بالعرب عندما غزا مصر سنة ٥٢٥ ق.م ، حيث زودوه بالإبل والماء والأدلاء ومرشدي الصحراء ، كما يقال: إن العرب ساعدوا الفرس في حملتهم على اليونان سنة ٤٩٢ ق.م[١].

وفي أوائل القرن الثالث بعد الميلاد نازعت إيادٌ مضرَ بعد انتصارها على جرهم وإجلائها عن مكة ، فهزمت إياد وهاجرت إلى العراق ، وكان أكبر موطن لها عين (أبانج) على أنها استوطنت أنحاء متفرقة من جنوبي الحيرة[٢] منها (سنداد) وهو نهر بين (الحيرة) إلى (الأيلة) وكانت إياد ذات منعة لا تعطي الإتاوة أحداً من الملوك ، وقد أغارت على بلاد الفرس مرتين[٣].

وقد سجل الشاعر عدي بن زيد على حصن عظيم كان على شاطئ الفرات قصيدة يقول فيها:

---

(١) العرب قبل الإسلام ، جورجي زيدان: ص ١٠١ ، نقلاً عن هيرودوت.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٣: ١٦٧.
(٣) شرح القصائد العشر للتبريزي: ص ٢٧٣.

أيُّهـا الشَّـامـتُ المُعَيـرُ بـالـدهـ ـــر أأنـتَ المُبَـرَّأُ المـوفـورُ؟
مَـنْ رأيـتَ المنـونَ خَلَّـدْنَ أم مَـنْ ذا عليـه مِـنْ أن يُضـامَ خَفِيـرُ؟
أين كسرى.. كسرى الملوك أبو سـانَ أم أيـن قبلـه سـابـورُ
وبنـو الأصفـر الكـرامُ ملـوكَ الـ ـــروم لـم يبـقَ منهـمُ مَـذْكُـورُ؟
وأخـو الحَضْـرِ إذ بنـاه وإذ دِجْـ ـلـةُ تُجْبَـى إليـه والخـابـورُ؟
شـاده مَـرْمَـراً وجلَّلـه كِلْـ ـسـاًفللطيـر فـي ذراه وُكُـورُ
لـم يَهَبْـهُ رَيْـبُ المنُـونِ فَبَـادَ الـ ـمُلْـكُ منـهُ فبـابُـهُ مَهْجُـورُ
سَـرَّهُ حـالُـه وكثـرةُ مـا يمـ ـلـك والبحـرُ مُعْـرِضـاً والسَّـدِيْـرُ
فـارْعَـوَىٰ قَلْبُـه فقـال: ومـا غـ ـبطـةُ حَـيٍّ إلـى الممـاتِ يَصِيـرُ؟

ويروي التاريخ أن غارات العرب تكررت على الفرس مما جعلهم يفكرون بتأسيس إمارة تكون بينهم وبين العرب من ناحية ، وبينهم وبين الروم من ناحية أخرى ، فكانت إمارة الحيرة التي كانت تبعد ثلاثة أميال من الكوفة على بحيرة النجف ، وتقع على حافة البادية.

وقد سكن الحيرة ثلاث من القبائل (تنوخ) وهم البدو النازلون من غرب الفرات و(العباد) وهم الساكنون الأصليون للمنطقة ، و(الأخلاف) وهم الوافدون إلى الحيرة من مختلف البقاع... ولكنهم جميعاً من العرب... ويعتبر النعمان بن امرئ القيس بن عمرو المعروف بالنعمان الأعور من أعظم ملوكهم ، وقد حكم الحيرة من سنة ٤٠٣ إلى ٤٣١ م ، وكان آخر ملوكهم الأقوياء النعمان بن المنذر أوالنعمان الثالث من سنة ٥٨٥ ـ ٦١٣ م.

وكانت الحيرة إلى جوار أنها محلُّ اتصال بين العرب والفرس ، مجمعاً لأديان عديدة ومِلل ونِحَل مختلفة في الجاهلية... فقد عاش فيها من يعتنق الزرادشتية والمسيحية والمانوية وأصحاب الديانات الوثنية ؛ الذين بقيت منهم الصابئة في حرَّان حتى القرون الوسطىٰ.

والثابت تاريخياً أن سيف بن ذي يزن أمير اليمن استنجد بالفرس على الأحباش الذين استولوا على اليمن سنة ٥٢٢ م ، فاتجه إلى كسرى

أنوشروان سنة ٥٣١ ـ ٥٧٨ م فمده بجيش خلَّص اليمن من حكم الأحباش وأخضعها لحماية الفرس[١].

وقد سجل الشاعر أبو الصلت فرحة العرب بهذا الانتصار في قصيدة منها:

ليطلبِ الوِتْر أمثالُ ابن ذي يزن ... رَيَّم في البحر للأعداء أحوالا
يَمَّمَ قيصرَ لمَّا حانَ رِحْلتُه ... فلم يجدْ عنده بعضَ الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرةٍ ... من السنين يُهينُ النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
من مثل كسرى شاهنشاه الملوك له ... أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
لله دَرُّهمو من فتية صبروا ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا
بيضاً مَرَازبةً غلباً أساورةً ... أُسْداً تربِّب في الغَيضات أشبالا
أرْسِلْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منك مِحْلالا
واشْرَبْ هنيئاً فقد شالت نعامتهم ... وأسبِلِ اليومَ في بُرْدَيْك إسبالا

ورغم أن اليمن لم تنعم باستقلال تام ولا حكم عادل من الفرس، إلا أنها ابتهجت لخلاصها من الأحباش الذين حاولوا الاعتداء على البيت الحرام، ثم أساؤوا استعمال سلطتهم ولم يتورعوا عن ارتكاب أبشع الجرائم الخلقية وانتهاك أعراض النساء، مما جعل العرب يسخطون عليهم ويقررون التخلص منهم بمساعدة كسرى.. ويذكر التاريخ أن سيفاً قال لكسرىٰ عندما ذهب إليه مستنجداً: (أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة فجئتك لتنصرنا عليهم وتخرجهم عنا ويكون ملك بلادي لك، فأنت أحب إلينا منهم).

وإلى جوار هذه الرابطة التي عقدتها الحرب بين عرب اليمن والفرس، كانت هناك روابط أخرىٰ تجارية كثيرة امتدت إلى مكة. فكانت العروض اليمنية الفارسية والفارسية الخالصة تَفِدُ إلى مكة، كما كانت رحلة الشتاء

---

(١) سيرة ابن هشام، ج ١: ٦٥ ـ ٧٣.

التي يقوم بها القرشيون كل عام تَفِدُ إلى اليمن بعروض مكة. . . وفي مقابل ذلك كانت عير قريش تخرج من مكة كل عام إلى الشام في رحلة الصيف. وقد بلغ من أهمية رحلتي الشتاء والصيف أن ذكرهما القرآن الكريم حيث قال تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[1].

وكانت الشام في تلك الفترة تحت حكم الرومان، وعن طريق هذه الرحلة كان للرومان بالعرب اتصال مباشر أساسه التجارة. ثم إن العرب كانت لهم إقامة في تلك الربوع قبل الميلاد بأحقاب طويلة.

وقد عُثِر على نقد ضرب في عهد الحاكم الروماني أسكورس كان عليه صورة رمزية تشير إلى الاتفاق الذي تم بينه وبين ملك العرب الغساسنة ـ الحارث ـ لمنع تحرشات العرب بحدود الإمبراطورية.

والمعروف أن سياسة الرومان كانت الاستعانة بالعرب لحماية الحدود المتاخمة للصحارى والمناطق التي يصعب عليهم حمايتها. وقد ذكر المؤرخ الشهير سترابون أن أحد سادات القبائل العربية كان متحكماً في البادية المتاخمة لبلاد الشام، وكان من حلفاء الرومان، ثم انقضَّ عليهم وعبر إلى العراق لإهانة لحقته من الحاكم الروماني، ويقول سترابون: إن هذا وقع في سنة ٤٦ ق.م.

وقد ذكرت الأخبار أن عثمان بن الحويرث بعد أن سمع باستقبال قيصر القسطنطينية (يوسطنيوس) للحارث بن جبلة ملك الغساسنة، وسمع أيضاً عن ذهاب امرئ القيس إلى القيصر نفسه ليستعين به على استعادة عرشه، وكذلك سمع عن سيف بن ذي يزن وما حققه من طرد الأحباش بعد مساعدة كسرى. . . فقرر أن يشد الرحال إلى القسطنطينية ليطلب من قيصرها أن يجعله ملكاً على مكة، وأن تكون مكة مركزاً من مراكز ملكه.

وراح عثمان يحدث الإمبراطور عن مكانة مكة بين العرب، وكيف أن

---

(١) قريش: ١ ـ ٢.

الكعبة هي قبلة العرب جميعاً في الحيرة والشام وفي الحجاز واليمن ، وكيف أن من يملك مكة تدين له بالولاء كل قبائل العرب.

وقد صادف هذا القول هوىً في نفس القيصر ، فوافق على ما عرضه عثمان ، ثم ألبسه التاج والعباءة الملكية وأرسله إلى مكة ليحكمها بأمره. ولكن قريشاً عندما رأته صاحت به (مكة لقاح لا تُملك) ، ثم طردته شر طردة ، فعاد إلى القسطنطينية حيث عاش هناك إلى أن مات.

أما عن صلة العرب باليونان فإننا نجد أن أقدم اسم يوناني سجله تاريخ العلاقات العربية اليونانية هوالإسكندر المقدوني سنة ٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م ، الذي فتح الممالك التي تحيط به ، والتي كانت تطل على البحر الأحمر والخليج العربي ، ثم أراد أن يسيطر على جزيرة العرب ليجعلها جزءاً من إمبراطوريته العظيمة ، وليستفيد مما فيها من خيرات ، فأرسل بعثات تستطلع له أمورها وأحوالها حتى يتسنى له إرسال أسطول يستولي على سواحل الجزيرة... وقد عادت إليه الرسل بما شجعه على البدء في الاستعداد لغزو الجزيرة ، ولكن الغزو لم يتم حيث فاجأه الموت قبل أن يحقق هذا الأمل. والمتأمل لفتوحات الإسكندر وتوسطاته في آسيا بالذات يرى أنها لم تكن فتوحات وتوسعات سياسية فحسب ، ولكنها كانت ربطاً للعالمين الشرقي والغربي ، ودمجاً للثقافات والحضارات فيهما ، والتعرف على أمم كانوا يسمعون عنها ، وشعوب كانوا يتشوقون إلى لقائها ؛ للتأكد مما روي إليهم عن عاداتها وتقاليدها وأمجادها وأساطيرها.

وقد جاء إلى مصر علماء من اليونان مع الإسكندر أفادوا واستفادوا ، حتى لقد تحولت القرية الصغيرة التي سميت باسم الإسكندرية إلى مدينة عظيمة تموج فيها الثقافات الشرقية والغربية ، وتمتزج فيها الحضارات ويتلاقى تحت سمائها العلماء ، وأصبحت فيها أكبر مكتبة عرفت في ذلك الوقت ، وقد ظلت للإسكندرية مكانتها العلمية والحضارية حتى أشرق على العالم نور الإسلام.

هذا وقد كان من نتائج دخول اليونان إلى البحر الأحمر والخليج العربي أن دخلت النقود اليونانية إلى تلك الأماكن ، وقد عثر في بعض بلاد الجزيرة العربية على نقد ضرب على النحو الذي كان عليه نقد الإسكندر .

وهذا كله يؤكد أن العرب لم يكونوا منعزلين عن غيرهم من الأمم ، وإنما كانوا على اتصال وثيق بهم ، وكانت فيما بينهم علاقة تأثير وتأثر متبادلة[1] .

* * *

(١) للتوسع يراجع : نظرية الإعلام ، أمينة الصادي : ص ٢٢ ـ ٣٣ .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثاني
مجالات الإعلام في الجزيرة العربية

نظراً للأهمية البالغة للجزيرة العربية نريد أن نتناول الإعلام فيها بشيء من التفصيل ، فلقد شاع بين الناس أن العرب في جاهليتها كانت أمة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أي اتصال ، وأن الصحراء من جانب والبحر من جانب حصراها وجعلاها منقطعة عمن حولها لاتتصل بهم في مادة ، ولا تقتبس منهم أدباً ولا تهذيباً ، والحق أن هذه فكرة خاطئة ، فقد كان العرب على اتصال بمن حولهم مادياً وأدبياً ، وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة في ذلك العهد ، نظراً لموقعها الجغرافي ولحالتها الاجتماعية .

وهذا الاتصال كان على نوعين :

الأول : كان بين العرب أنفسهم .

والثاني : كان بين العرب وغيرهم .

أما النوع الأول فكان يتمثل فيما يلي :

١ ـ القصيدة الشعرية .

٢ ـ الخطبة والخطباء .

٣ ـ المناداة .

٤ ـ الأعياد .

٥ ـ الأسواق.

٦ ـ الندوة.

٧ ـ إشعال النار على رؤوس الجبال.

٨ ـ الكتب الدينية.

٩ ـ العهود والمواثيق والأحلاف.

١٠ ـ الرسائل الخاصة.

١١ ـ بيوت العبادة.

١٢ ـ القصص.

١٣ ـ الأمثال.

وغير ذلك من الطرق.

وأما النوع الثاني فكان يتمثل في عدة طرق، أهمها:

١ ـ التجارة.

٢ ـ إنشاء المدن العربية المتاخمة لفارس والروم.

٣ ـ البعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في الجزيرة.

٤ ـ الغزوات الاستعمارية.

ولا بد من توضيح ما سبق بشيء من الإيجاز؛ لارتباط الموضوع الوثيق بالإعلام الإسلامي؛ لأنه يعتبر امتداداً للإعلام في صدر الإسلام.

ـ المسألة الأولى: الإعلام عندالعرب أنفسهم:

١ ـ القصيدة الشعرية:

إذا نظرنا إلى اشتقاق كلمة الشعر نجد أن (شعر) في الأصل معناه: علم، تقول: شعرت به: علمت، وليت شعري ما صنع فلان؛ أي: ليت علمي محيط بما صنع. ويعتبر الشعر المظهر الحقيقي البارز عند العرب، ولذا كان يحتل مكانة خاصة في حياتهم، فقالوا: إنه ديوان العرب والمصوِّر

لآمالهم وآلامهم وحياتهم[١] ومشاهد الوجود بينهم ، أو دعوة وقائعهم وأحسابهم وأنسابهم وأيامهم وآثارهم وذكرياتهم وأوصاف بنيتِهم[٢]، وكان له سحره وروعة تأثيره في نفوسهم. ولقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الشعراء من أعلم زمانهم ، ومن أرقى الطبقات عقلاً ؛ لأن موقف الشاعر في قبيلته كان التغني بمناقبها ورثاء موتاها وهجاء أعدائها[٣].

ومن هنا يتبين أن الشعر في العصر الجاهلي كاد أن يكون الوسيلة الوحيدة من وسائل الإعلام والدعاية ، فله المنزلة الأولى دائماً ؛ إذ كان يقوم بوظيفة الإعلام للقبيلة ، ولعل أكبر دليل على أهمية القصيدة أنهم كانوا يختارون أجود القصائد ويكتبونها بماء الذهب ، وكانوا يعلقونها على أستار الكعبة أو في بيوت الملوك ، ومن أشهرها المعلقات السبع[٤] وكان الفخر كل الفخر للقبيلة التي يفوز شعراؤها وخطباؤها بالقدح المُعَلَّى ، لا سيما إذا نالت قصيدة أحدهم شرف التعليق على الكعبة في عداد المعلقات المشهورة المأثورة[٥].

ولقد شهد التاريخ أن القصيدة الشعرية قامت بوظيفتها في العصر الجاهلي خير قيام ، وأن الشعر إذا ظهر في قبيلة من القبائل هَنَّأ أفرادها بعضهم بعضاً ، وهنَّأتهم القبائل الأخرى بذلك الحدث السعيد ، والسبب في ذلك أن الشاعر في القبيلة كان يقوم مقام الصحيفة بالنسبة للأحزاب في الوقت الحاضر ، فهو الناطق بلسانها ، وهو المناضل عنها بشعره ، وهو الحافز لهما في أوقات الحروب ، وهو المصوِّر لأخلاقها وعاداتها ومكانتها بين القبائل الأخرى[٦].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٠٤.
(٢) محمد خفاجي ، الحياة الأدبية: ص ١٦٥.
(٣) فجر الإسلام ، أحمد أمين: ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٤) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة: ٢٥.
(٥) الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية ، د. محمد عبد القادر حاتم: ص ٢٢.
(٦) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٢٦.

٢ ـ الخطبة والخطباء :

الخطبة كان يقصد بها صاحبها التأثير في نفوس السامعين ؛ ولذا كان يهتم بصياغتها وجمال أدائها ، والخطبة أقدر من الشعر على إظهار الأفكار وعلى التعبير عن الرأي وعلى الإفصاح عن علم ومعرفة ؛ لكونها كلاماً مرسلاً حراً لا يتقيد بقيود ، خالية من الوزن والقافية ومن المحافظة على القوالب ؛ إلا أن الخطبة دون الشعر في التأثير في النفوس وفي اللعب بالعواطف[١] . وقد كان الخطباء يقومون بما قام به الشعراء من الوظائف الاجتماعية والسياسية ، وخاصة في أوقات الفتن والحروب والقلاقل[٢] .

٣ ـ المناداة :

كان الناس يمارسون هذه الطريقة الإعلامية بأشكال مختلفة ، ومن أهمها الأصوات التي ترتفع بها حناجر المنادين في القرى والمدن ، وهي من أقدم الطرق الفطرية ، ووجدت في جميع البيئات القديمة دون استثناء ، وكان النداء الوسيلة المثلى لنشر الأخبار والقيام بكثير من الأغراض الإعلامية .

وما زال كثير من هذه الأشكال سائداً في البيئات العربية إلى يومنا هذا ، وأضيف إليها أشكال أخرى منها إطلاق الأعيرة النارية في الأفراح أو البشائر ؛ كالإعلان عن نجاح مرشح في الانتخابات ، أو الإعلان عن نجاح شاب في بعض الأسر وحصوله على شهادة علمية ، أو كالإعلان عن حفل زفاف .

وهذا ، وإن تسببت هذه الوسيلة بنتائجها السلبية ، وحوادثها المؤسفة في مختلف الأماكن والأزمان .

ومن هذه الأشكال ما يرى في بعض البلاد الإسلامية حين يختم واحد

---

(١) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ، د. سعيد إسماعيل علي : ص ١٢٨ .

(٢) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة : ص ٢٧ .

منهم القرآن الكريم حفظاً وتلاوة ؛ فإنهم يركبونه على حصان ، ويطوفون به إعلاماً بذلك[1] .

٤ ـ الأعياد :

عرفت البشرية الأعياد في جميع عصورها ، وعرف العرب في الجاهلية كثيراً من الأعياد ، ومنها على سبيل المثال :

عيد الشباب :

فقد كان شباب كل قبيلة يجتمعون تحت شجرة كبيرة ، ويأتي شاب منهم فيعلق سيفه على غصن من أغصان الشجرة ، ويحتفل الجميع بهذا اليوم ويطلقون على تلك الشجرة اسم : (ذات أنواط) وكانوا يفعلون ذلك من قبيل الفخر بالقوة ، وكان هذا الفخر في ذاته يتفق وطبائع الجاهلية[2] .

فلما جاء الإسلام ومر الرسول ﷺ ذات يوم مع صحابته على هذه الشجرة قال الشباب : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فلم يوافق عليه الصلاة والسلام على ذلك ، واستنكر هذا الطلب .

وقدم الرسول ﷺ المدينة المنورة فوجد لأهلها يومين يلعبون فيهما فقال : «ما هذان اليومان» ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : «قد أبدلكم الله خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى» .

ومهما يكن من شيء فقد كان (عيد الشباب) في الجاهلية وسيلة من الوسائل الإعلامية ، وطريقاً من طرق الدعاية ، وبهذا الطريق كانت القبيلة تعلن عن قوتها حتى تخشاها القبائل الأخرى .

٥ ـ الأسواق :

لم تكن الأسواق في الجاهلية مراكز للمبادلات التجارية فقط ، ولكنها كانت معرضاً للبضائع الفكرية والأدبية أيضاً ، ففي الأسواق كانت تُفَضُّ

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبداللطيف حمزة : ص ٢٧ .

(٢) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة : ص ٢٨ .

المنازعات القبلية ، وفيها كانت تعلن القبيلة الحرب على قبيلة أخرى ، وفيها كان يحدث التعارف بين الناس ، وقد يؤدي هذا التعارف إلى عقد الزواج بين بعض الرجال والنساء ، وفيها كان يأتي من كل قبيلة شاعر ليعرض شعره على الناس ، ويحتكم فيه إلى المحكَّمين في نقد الشعر (كالنابغة) وغيره.

وفيها كان يأتي الخطباء ليخطبوا الناس في مختلف الشؤون الحياتية ، ومن هذه الأسواق على سبيل المثال لا الحصر :

ـ أ ـ سوق دومة الجندل :

وهي سوق تجارية بحتة ، يحل موعدها كل عام في أول ربيع الأول ، وتقطنه قبيلتا كلب وحويلة طيئ ، ويشرف على موسمه أمراء من العرب ، وكان (أكيدر) صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم في أول يوم.

ـ ب ـ سوق المِشقَّر : [بكسر الميم وتشديد القاف].

وهي حصن قرب هجر ، وتنزل هذه السوق أخلاط من جميع العرب ، وكان امرؤ القيس ينزلها ، وفيها حصن كسرى بن تميم ، وقد أغلق عليهم باب الحصن ثم قتل الجند وسبى الذراري.

ـ ج ـ سوق هجر :

هي سوق تجارية تشتهر باللؤلؤ والنخيل ، وفيها تروج تجارات الهند وفارس ، ويدير أمورها (المنذر بن ساوى) ملك البحرين.

ـ د ـ سوق عكاظ :

وعكاظ هي المعرض العربي العام أيام الجاهلية ، وهي من أشهر أسواق العرب ، وتعتبر مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً ، وفيها محكَّمون تضرب عليهم القِباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم ، وحول هذه القباب الرواة والشعراء من عامة الأقطار ليتناقلوا ما يحكم بفوزه الحكام في جميع أنحاء الجزيرة ، ولذا كان للشاعر في هذه السوق مكانة تزيد كثيراً عن مكانة

التاجر فيها ؛ لما في الشعر من أثر في الحياة الاجتماعية العامة. وهي أيضاً ندوة سياسية عامة تقضى فيها أمور كثيرة بين القبائل ، فمن أراد تخليد نصر لحيِّه فَعَلَ فِعْلَ عمرو بن كلثوم ، حيث رحل إلى عكاظ وخلده فيها شعراً ، ومن أراد إجارة أحد هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامة الناس ، ومن أراد إعلان حرب على قوم أعلنه في سوق عكاظ[1]. وكان عكاظ مجمعاً لأهل اللسان من شعراء وخطباء مرموقين معروفين أو مغمورين أو طلاب شهرة ، وتؤكد الروايات: أن حظ المفاخرة والمباهاة والتمدح والذم لم يكن بأقل حظاً من البيع والشراء في سوق عكاظ.

ويقال: إن الشاعر الشهير النابغة الذبياني كان يحضر سوق عكاظ ، فتضرب له قبة من أدم يجلس تحتها ، فيفد إليه من الشعراء من يريد أن يفتخر بشعره على غيره ؛ لينشد أمامه شعره ، فيحكم على شعره برأيه ؛ لما لرأيه من أثر في الناس ، (وأول من أنشده الشعر الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم أنشدته الخنساء. . .)[2].

ووقف رسول الله ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين في عكاظ يدعو الناس إلى الخير والهدى والسعادة والإيمان ويقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله ؛ تفلحوا وتنجحوا». ويتبعه رجل له غديرتان وهو يقول: يا أيها الناس إن هذا ابن أخي كذاب فاحذروه ، فعرف الناس أن هذا الصَّاد عن سبيل الله هو عمه (أبو لهب) يكذبه كلما قال كلمة الحق ، وعاود الرسول ﷺ الدعوة مراراً فلم يستجب له ولم ييأس ، فكان يقول للحي في موسم عكاظ:

«لا أُكرِه منكم أحداً على شيء ، من رضي الذي أدعوه إليه قبله ومن كره لم أُكرِهه ، إنما أريد أن تجوزوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغِّ رسالات ربي ، ويغفر الله لي ولمن صحبني بما شاء»[3].

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية ، سعيدالأفغاني: ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢.
(٢) الأغاني: ٦/١١.
(٣) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٣٣.

ـ هـ ـ أسواق متفرقة:

ولقد ذكر الآلوسي[1] كثيراً من هذه الأسواق ومواقيتها، ونذكر منها ما يلي:

١ ـ **سوق عمان:** كانوا يرتحلون من سوق هجر إليها، فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى.

٢ ـ **سوق ضمار:** تقوم لعشرين يمضين من رجب لمدة خمسة أيام.

٣ ـ **سوق الشجر:** تقوم في النصف من شعبان.

٤ ـ **سوق صنعاء:** تقوم في النصف الثاني من رمضان.

٥ ـ **سوق مجنّة:** (بتشديد النون) وهو موضع بقرب مكة، تقوم سوقها أيام الحج، ويحضرها كثير من قبائل العرب.

٦ ـ **سوق ذي المجاز:** ورد ذكرها كثيراً في شعر العرب وخاصة شعراء هذيل؛ لأنها من أسواقهم الكبرى.

٦ ـ الندوة:

ولعل من أقوى طرق الاتصال بين العرب في الجاهلية ـ عدا الأسواق ـ الندوة، وهي مكان يجتمع فيه أهل الرأي في الأوقات التي تحتاج إلى تبادل الرأي.

ومن الأمثلة عليها (دار الندوة) قرب الكعبة، وهي الدار التي اجتمع فيها رؤساء القبائل العربية ومنهم بنو هاشم وأخذوا يتشاورون، جاء في «سيرة النبي ﷺ» لابن هشام[2]، قال ابن اسحاق: ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا

---

(١) بلوغ الأرب، الآلوسي: ١/ ٦٥.

(٢) سيرة النبي ﷺ: ٢/ ٩٣ لابن هشام. عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام: ص ١١٩.

خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ؛ عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة ، فحذِروا خروج رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة (وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها) ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

وكان العرب ينتهزون فرصة اجتماعهم بالأسواق ، ويعقدون فيما بينهم ندوة ، يتباحثون فيها في شتى المشكلات التي تعرض لهم ، ويخرجون بحل لكل مشكلة[1].

٧ ـ إشعال النار على رؤوس الجبال:

كان من وسائل الإعلام في الجاهلية وسيلة فطرية لا تكلفهم شيئاً من الجهد أو المشقة ، وهي إشعال النيران فوق رؤوس الجبال يخبرون بها عن عدو يريد الإغارة على القبيلة ، أو يعلنون بها عن وليمة كبيرة وهكذا ، وحول هذه النار تَحَلَّق العرب ومعهم ضيفانهم وهم الذين من أجلهم أوقدوها. وكثيراً ما يكون بين القوم شاعر ينفعل بهذا المجلس ويمدح صاحب النار ويصفه بالكرم والجود ، فإذا رُوي هذا الشعر أصبحت لصاحب النار شهرة كبيرة.

وتحدثنا كتب الأدب عن رجل اسمه المحلق كانت له بنات لم يتزوجن وعَلَتْ به السن ، وفي ذات ليلة من الليالي جاءه شاعر من الشعراء فأوقد له النار وبالغ في إكرامه وطعامه وشرابه ، ونظم الشاعر قصيدة في مدح هذا الرجل الذي أشعل النار ، وسارت هذه القصيدة وعلم الناس بأخبار الرجل وبناته ، فتقدم للزواج منهن خير شباب العرب[2].

---

(١) الإعلام في صدرالإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٣٥.

(٢) الإعلام في صدر الإسلام: ص ٣٥.

٨ ـ الكتب الدينية:

يروى أن رسول الله ﷺ تصدى لسويد بن صامت عندما قدم مكة حاجاً أو معتمراً فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: (فلعل الذي معك مثل الذي معي)، فقال له رسول الله ﷺ: (وما الذي معك؟) قال: (مجلة لقمان) يعني: حكمة لقمان، فقال له رسول الله ﷺ: (اعرضها علي)، فعرضها عليه، فقال له: (إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالىٰ عليّ هو هدى ونور) فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد عنه وقال: إن هذا القول أحسن[١].

من هذه الرواية يتبين لنا أن العرب في الجاهلية كانت لهم كتب دينية، ولا يخفى علينا كذلك أن بعض العرب كان يهودياً والبعض الآخر كان نصرانياً، ومن المنطق أن يكون لهؤلاء كتب دينية تشرح لهم تعاليم الدين وتبين لهم أحكامه وتحكي لهم القصص والحكم والأمثال[٢]، فالكتب وسيلة من وسائل الإعلام.

٩ ـ العهود والمواثيق والأحلاف:

كان العرب يعتمدون كثيراً على المشافهة في عهودهم ومواثيقهم وأحلافهم، ولكن كانت هناك عهود ومواثيق وأحلاف مكتوبة تعظيماً للأمر ودرءاً لما قد يسببه النسيان لها من اختلاف وتنازع[٣]، وهذه كانت تحتاج إلى إعلان وإبلاغ حتى يعلم بها الناس، وهي وسيلة من وسائل الإعلام في العصر الحديث.

١٠ ـ الرسائل الخاصة:

وهي التي يتبادلها الأفراد لتناقل الأخبار، ومما يشير إلى ذلك أنه قدم

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ٢/ ٣٦.
(٢) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية، د. سعيد علي: ص ٩٧.
(٣) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية: ص ٩٨.

على الحارث بن مارية الغساني الجفني رجلان من بني فهر يقال لهما: حزن وسهل ابنا رزاح.

وكان عندهما حديث من أحاديث العرب فاجتباهما الملك، ونزلا بالمكان الأثير عنده، فحسدهما زهير بن جناب، فقال: أيها الملك، هما والله عين لذي القرنين عليك (يعني المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر) وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان فيك[1].

وهذا يدل على وجود الرسائل الخاصة بين الأفراد لنقل الأخبار، وهي وسيلة من وسائل الإعلام في ذلك الوقت.

١١ ـ بيوت العبادة:

كانت بيوت العبادة عند الجاهليين ثلاثة أنواع:

١ ـ بيوت عبادة خاصة بالمشركين عبدة الأصنام، وهم الكثرة الغالبة.

٢ ـ بيوت عبادة خاصة باليهود.

٣ ـ بيوت عبادة خاصة بالنصارى.

وغني عن البيان أن بيت الله الحرام بمكة المكرمة، هو أشهر وأعظم بيوت العبادة في العصر الجاهلي، يحج إليه العرب من مختلف البقاع، وكان لهذا أثره الإعلامي الكبير، فهم يأتون من كل جهة، وقد امتلأت جُعَبُهم بالأخبار، وذاكرتهم بالأشعار والخطب والكلمات الممتازة، واكتظَّت أذهانهم بمختلف الصور والمشاهد، الأمر الذي ساعد على تقريب أساليب التربية العربية، وتوحيد اللغة وتصفيتها.

ولما كانت مكة بلداً في واد غير ذي زرع، تعتمد في حياتها على ما يجلب إليها من الخارج، وما يستطيع أهلها أن يحققوه لأنفسهم من منافع عن طريق البيع والشراء والتبادل من الواردين عليها والمارين بها في رحلات

---

(١) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية، د. سعيد علي: ص٩٩ ـ ١٠٠ نقلاً عن كتاب الأغاني: ٥/١١٨.

القوافل التجارية، أو القادمين إلى الأسواق التي تقام فيها وحولها، وما يقدمه الحجاج إلى بيتها من هدايا ونذور، فقد كان لا بد أن يصنع أولئك لأنفسهم وللقادمين إليه أنظمة وقوانين يعلِّمونها ويعلنونها للجميع لتنظيم الحياة وتوفير الأمن وحفظ الحقوق وحماية من يفد إليه من الأذى[1].

ولم تكن المعابد مواضع عبادة وتقرب إلى الأصنام فحسب، بل كانت مصادر معلومات يقصدها أهل الحاجات لسؤال الآلهة عما عندهم من مشكلات، أو عما سيخبئه لهم المستقبل من أمور، أو عن أعمال يريدون القيام بها أو ما شابه ذلك من طلبات[2].

١٢ ـ القصص:

جاء في «سيرة ابن هشام»[3] أن النضر بن الحارث كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً ودعا إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن الكريم، وحذر قريشاً مما أصاب الأمم الخالية؛ خلفه في مجلسه إذا قام، فحدَّثهم عن رستم السنديذ[4] وعن أسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتَتَبْتُها كما اكتَتَبَها، فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5] الآيات.

ومن هذه الرواية يتبين لنا بأنه كان للعرب قصص، وأنه باب كبير من أبواب أدبهم، وفيه دلالة كبيرة على مدى التأثير في الناس.

---

(١) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية: ص ١٢١، نقلاً عن كتاب مكة والمدينة، أحمد شريف: ١٨٧.

(٢) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية: ص ١٢١، نقلاً عن كتاب المفصل: ٦/ ٤٠٩.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٨١.

(٤) السنديذ: قال أبو ذر: (السنديذ بلغة فارس طلوع الشمس، وهم ينسبون إليه كل جميل).

(٥) الفرقان: ٥. «أساطير الأولين»: أكاذيبهم المسطورة في كتبهم. «بكرة وأصيلاً»: أول النهار وآخره، أي: دائماً.

وهذه القصص في الجاهلية أنواع ، منها[1]:

١ ـ أيام العرب: وهي تدور حول الوقائع الحربية التي وقعت في الجاهلية بين القبائل كيوم داحس والغبراء ، ويوم الفجار ، ويوم كلاب ، أو بين العرب وأمم أخرى كيوم ذي قار ، وكان بين بني شيبان والفرس ، وانتصر فيه العرب.

وكانت هذه القصص موضوع العرب في سمرهم ، في جاهليتهم ، وفي إسلامهم.

٢ ـ أحاديث الهوى: وهذا كثير في كتب الأدب ، كالذي رووا من قصة المنخل اليشكري والمتجردة زوج النعمان ، وما كان بينهما من علاقة ، وما قيل في ذلك من قصص ، وما روي من أشعار.

٣ ـ هناك نوع من قصص العرب أخذوه من أمم أخرى ، وصاغوه في قالب يتفق وذوقهم ، كقصة شريك مع المنذر ، وقد عرف العرب في الجاهلية قصصاً كثيرة عن الفرس ، وكانوا يروونها ويتسامرون بها.

ونحن نعلم ما للقصة من أهمية إعلامية وتربوية حيث يتشرب الإنسان من خلالها العديد من القيم والاتجاهات والتقاليد ، وقد ساعد العرب على الاهتمام بالقصص: أوقات فراغهم الواسعة ، وخصوصاً في الليل حيث السمر. ولقد كان القاصُّ يفيض من خياله وفنه على القصص حتى يسهِّر سامعيه ، ويملك عليهم قلوبهم.

١٣ ـ الأمثـــال:

نجد في كتب الأدب وكتب الأمثال أمثالاً وضعت لأغراض يغلب عليها الطابع الإعلامي ، أي إعلام من يقرأها على أنها حكمة الحياة وتجارب الماضي حتى يستفيد ويتَّعظ ، وهذه الأمثال بعضها نابع من محيط البداوة ،

---

(١) فجر الإسلام ، أحمد أمين: ص ٦٦ ـ ٦٧.

ومن الطبيعة الأعرابية ، وبعضها تجارب عملية عامة تنطبق على كل الناس ، وتصلح لكل الأوقات .

وقد وردت كلمة (مثل) ، و(الأمثال) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وفي ورود الكلمتين بهذه الكثرة دلالة بالطبع على ما كان للمثل من أهمية كبرى عند الجاهليين .

وللأمثال ميزة على الشعر ، ذلك أن الشعر تعبير طبقة من الناس يعبرون في مستوى أرقى من مستوى العامة ، فالشعراء يعبرون عن شؤون القبيلة التي ارتسمت في أذهانهم الراقية ـ نوعاً من الرقي ـ وهم يعبرون بألفاظ مصقولة صقلاً يستوجبه الشعر ، أما الأمثال فكثيراً ما تنبع من أفراد الشعب نفسه ، وتعبر عن عقلية العامة ، ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول[1] .

المسألة الثانية : الإعلام بين العرب وغيرهم :

أو ما يمكن تسميته بالإعلام الخارجي .

وهذا النوع كان يتمثل فيما يلي :

١ ـ التجارة .

٢ ـ المدن المجاورة للفرس والروم .

٣ ـ البعثات اليهودية والنصرانية .

٤ ـ الغزوات .

١ ـ التجارة :

منذ القدم كانت جزيرة العرب طريقاً عظيماً للتجارة ، وكان فيها طريقان عظيمان للتجارة بين الشام والمحيط الهندي ، أحدهما يسير شمالاً من حضرموت إلى البحرين على الخليج ومن ثم إلى صور ، والثاني يبدأ من حضرموت ويسير محاذياً للبحر الأحمر مروراً بمكة المكرمة[2] .

---

(١) فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ٦٠ .

(٢) ـ فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ١٥ .

وهذه الطرق التجارية أفادت العرب فائدة كبيرة ، فقد كان في الجزيرة منتجات فائضة عن حاجة الناس لا بد من تصريفها ، كما كان العرب محتاجين إلى كثير من منتجات البلاد الخارجية ، لذا نشطت التجارة منذ القدم في الجزيرة ، ووجدت مراكز تجارية مهمَّة في الشمال والجنوب والوسط ، وعبرتها القوافل التجارية طولاً وعرضاً وصيفاً وشتاءً[١] .

ويصعب علينا أن نظن أن هذه التجارة اقتصرت على تبادل العروض والنقود ، ولم تتعداها إلى الأمور الإعلامية والمعنوية والأدبية ، فإننا نرى أن العرب استفادوا فوق تجارتها المادية شيئاً من مدنية الفرس والروم وأدبهم ، وهذا طبيعي ، فالرحلات إلى الأمم المتمدنة تجعل دائماً تحت أعين الراحلين مدنية جديدة ، يقتبسون منها على قدر استعدادهم[٢] .

فالتجار في الجزيرة العربية ـ كما في البلاد الأوربية ـ كانوا ينقلون الأخبار ، ويقبسون بعض مظاهر المدنية وينقلونها من مكان إلى مكان[٣] .

ويؤكد هذا الرأي ما جاء في كتاب أحمد أمين «فجر الإسلام[٤]» حيث قال :

(ولكن يجب أن لا ننسى أن من بين الذين كانوا ينتقلون بالتجارة أعظم قريش ثروة وعقلاً ، ومنهم من كان له يد في إدارة شؤون الأمة في الإسلام من بعد ، وهم أكثر استعداداً لنقل المدنية بما يرون من نظام في المعيشة ومبانٍ ضخمة ومعابد وبما يرون من حكومة تشرف على الأسواق ، وتجبي الضرائب ، ونحو ذلك ، وبما يسمعون من قصص وأدب إذا فرغوا من تجارتهم وتنادموا) .

وساق أحمد أمين دليلاً آخر ، وهو ما أخذه العرب في جاهليتهم من كلمات كثيرة فارسية ورومانية ومصرية وحبشية نقلها هؤلاء التجار

---

(١) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ، د. سعيد إسماعيل علي : ص ٥٨ .
(٢) فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ١٥ .
(٣) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة : ص ٢٢ .
(٤) فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ١٥ .

وأمثالهم ، وأدخلوها في لغتهم ، وجعلوها جزءاً منها ، وأخضعوها لقوانينها ، ونطق بها القرآن[١] .

٢ ـ إنشاء المدن والإمارات المجاورة للفرس والروم :

إذا نظرنا إلى جزيرة العرب وجدناها تقع بين أعظم جارتين فارس شرقاً والروم غرباً ، ولقد حاول الفرس والروم أن يخضعوا العرب لحكمهم اتقاء لغزوهم وسلبهم ، ولكنهم كانوا يعدلون عن ذلك لما يستلزمه فتح جزيرة صحراوية من ضحايا في الأنفس والأموال ، ولأن طبيعة المعيشة العربية جعلتهم لا يخضعون لقوة واحدة إذا تغلب عليها المحارب خضعت له الأمة ، بل هناك عصابات وقوات متعددة لا بد لإخضاع البلاد من الاستيلاء عليها جميعاً ، وليس ذلك باليسير ، من أجل هذا رأى الفرس والروم ، أن خير وسيلة لدفع شر العرب أن يساعدوا بعض القبائل المجاورة على أن يُقَرُّوا على التخوم ، ويزرعوا ويتحضروا ، ثم يكونوا رِدْءاً لهم يصدون غارة البدو الذين يغزون وينهبون ، فتكونت إمارة الحيرة على تخوم فارس وإمارة الغساسنة على تخوم الروم[٢] ، وكانت هذه الإمارات أو المدن الجديدة هي همزة الوصل بين العرب من جهة والأمم المجاورة لهم من جهة ثانية[٣] .

٣ ـ اليهودية والنصرانية :

من الوسائل الإعلامية الخارجية انتشار اليهودية والنصرانية :

أ ـ اليهودية : انتشرت في جزيرة العرب قبل الإسلام بقرون ، وتكونت فيها مستعمرات يهودية وأشهرها يثرب ، وكان يهود يثرب ثلاث قبائل : بني النضير ، وبني قينقاع ، بني قريظة .

وقد اشتهر اليهود في جزيرة العرب حيث عُرفوا بمهارتهم في الزراعة ،

---

(١) فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ١٦ .
(٢) فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ١٦ .
(٣) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة : ص ٢٤ .

كما اشتهروا أيضاً بالصناعة وخاصة الحدادة والصياغة وصنع الأسلحة[١].

وكان اليهود حَمَلَة الثقافة اليونانية إلى الجزيرة العربية ؛ لأنهم نزحوا إليها من مراكز هذه الثقافة بالشام والإسكندرية[٢] بعد إخماد الثورات التي قامت في وجه الإمبراطور [هارديان] ملتجئين إلى جزيرة العرب ، فاختلط كثير من القبائل بهم[٣].

كذلك عمل اليهود على نشر ديانتهم جنوبي الجزيرة ؛ حتى تهوَّد كثير من قبائل اليمن ، ومن أشهر هؤلاء المتهودين ذو نواس ، وقد اشتهر بتحمسه لليهود ، واضطهاده لنصارى نجران[٤].

ب ـ النصرانية: تسرب إلى الجزيرة فرقتان كبيرتان من النصرانية ، هما: النساطرة ، واليعاقبة ، فكانت النسطورية منتشرة في الحيرة ، واليعقوبية في غسان وسائر قبائل الشام ، كذلك كانت هناك صوامع أخرى في وادي القرى.

وأهم المواطن للنصرانية في جزيرة العرب كانت نجران ، وهي مدينة خصبة عامرة بالسكان ، تصنع الأنسجة الحريرية ، وتتاجر بالجلود ، والأسلحة ، وكانت إحدى المدن التي تصنع الحلل اليمانية التي تغنّى بها الشعراء ، وكانت قريبة من الطريق التجاري الذي يمتد إلى الحيرة.

وكانت يتولى أمورها رؤساء ثلاثة: السيد ، والعاقب ، والأسقف.

فالسيد كان اختصاصه رؤساء القبائل فهو رئيسهم في الحرب ، وهو الذي يدير أمورهم الخارجية ، ويتولى أمور العلاقات بينهم وبين القبائل الأخرى.

والعاقب يتولى الأمور الداخلية الدنيوية.

---

(١) فجر الإسلام ، أحمد أمين: ص ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٢٢.
(٣) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ، د. سعيد إسماعيل علي: ص ٦٠.
(٤) فجر الإسلام ، أحمد أمين: ص ٢٤.

والأسقف يتولى الأمور الدينية.

وهؤلاء الثلاثة يتشاورون في المسائل المهمَّة[1].

وكانت بنجران كعبة تضاهي الكعبة بمكة، ثم تحولت إلى كنيسة، وكان لنجران اتصال كبير بالحبشة لأنها يعقوبية المذهب[2].

وكان قُسس نجران يَرِدُون أسواق العرب، ويعظون، ويبشرون، ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار.

وكان من هؤلاء النصارى شعراء لهم مسحة خاصة بشعرهم عليها طابع الدين وتتأثر بتعاليمه، وتزهد في الدنيا وشؤونها، وتدعو إلى النظر في الكون والاعتبار بحوادثه.

وكانت النصرانية قبل دخولها جزيرة العرب تحمل في ثناياها شيئين: الثقافة اليونانية كما هو الشأن في اليهودية، وكان كثير من آباء الكنيسة فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين؛ لأنهم رأوا من الضروري أن يؤيدوا أنفسهم وعقائدهم أمام الوثنيين فلجؤوا إلى الفلسفة، يستمدون منها التعليل والبرهان[3].

٤ ـ الغزوات:

تعرض العرب في الجاهلية لغزوات خارجية كبيرة، حملت معها كثيراً من ثقافاتها وإعلامها، ومن ذلك الغزو الحبشي لليمن في عام ٥٢٥ م، وكان بتشجيع من الدولة البيزنطية، ولما أراد سيف بن ذي يزن إخراج الأحباش استعان بالفرس الذين تم لهم بالفعل فتح اليمن وطرد الأحباش،

---

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين: ص ٢٦.
(٢) الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٢٣.
(٣) فجر الإسلام، أحمد أمين: ص ٢٨.

وكان من شروط الفرس أن يتزوج الفرس من نساء اليمن ، ولا يتزوج اليمنيون من نساء فارس[١] .

وفي الفترة من القرن الأول قبل الميلاد إلى أوائل القرن الأول بعد الميلاد حاول الرومان الاستيلاء على المملكة التي كونها الأنباط جنوب الشام عدة مرات ، إلى أن استطاعوا ذلك في عهد (تراجان)[٢]، إلى غير ذلك من الغزوات التي أفادت العرب إعلامياً وثقافياً[٣] .

* * *

(١) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ، د. سعيد إسماعيل علي: ص ٦١ نقلاً عن عبد العزيز سالم: ص ٨٢.

(٢) تمهيد لتاريخ التربية الإسلامية ، نقلاً عن كتاب فيليب حتي: ص ٤٠.

(٣) للتوسع يراجع: مقومات رجل الإعلام ، تيسير الفينتاني: ص ٤٨ ـ ٦٠.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني
الإعلام في العهد المكيّ

المبحث الأول
إعداد الرسول ﷺ ليكون الداعية الأول

أولاً: الإعداد قبل البعثة:

أعد الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ إعداداً يتناسب مع شرف وعظمة الرسالة التي كلفه بها، وحَمَّله إياها. قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[1]. ولأن المهمة عظيمة، والرسالة قدرها جليل عالٍ، وإبلاغها يتطلب جهداً غير عادي، فقد أعد الله عز وجل لها من يتحملها ومن هو أهل لإبلاغها، وأهل لأن يكون أسوة حسنة، وقدوة صالحة، ليس فقط لأهل مكة، وليس فقط لأصحابه وفي حياته، وإنما للبشرية كلها في كل زمان وفي كل مكان، لأنها الرسالة الخاتمة ولأنه ﷺ آخر الرسل.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وبذلك فقد أعد سبحانه نبيه محمداً ﷺ إعداداً يتناسب مع هذه الرسالة

---

(١) المزمل: ٥. «قولاً ثقيلاً»: شاقاً على المكلفين (القرآن).

العظيمة ، فزوَّده بصفات اتصف بها في طفولته وفي صباه ، وفي شبابه قبل بعثته ، وكانت بمثابة عوامل جذب الانتباه ولفت الأنظار إليه ، لتكون شاهدة له إذا ما جهر بدعوته ، وبلَّغ رسالته ، وقد شهد له بذلك الرهبان والكهان وأهل الكتب والباحثون في الأديان السابقة.

ولم تكن هذه الصفات فقط عوامل لِلَفْت الأنظار إلى ما وراء شخصية محمد ﷺ منذ صباه إلى شبابه ، وإنما كانت هناك عوامل أخرى أعده الله عز وجل بها ، منها ما كان قبل ، ومنها ما كان في بداية البعثة ، وسوف نتحدث عن كل واحد من هذين الأمرين بالتفصيل.

فالإعداد الذي كان قبل البعثة كان إعداداً يميزه عن أقرانه من أطفال مكة وشبابها ، ويجعل الأصابع تشير إليه شاهدة له بأن له شأناً عظيماً ، خاصة وأن اليهود والنصارى كانوا يخبرون الناس في ذلك الوقت بأن نبياً سيبعث ، هو نبي آخر الزمان ، وقد أظل زمانه ، وأنه مبعوث من هذا المكان (مكة).

وأما عوامل الإعداد في بداية البعثة فكانت ضرورية ليتحمل محمدٌ ﷺ هذا الأمر المستغرب لأنه بشر من الناس ، ولأنه كسائر البشر يغضب ويرضى ؛ فلا بد من إعداده إعداداً يؤهله لتحمل نقطة التحول هذه في تاريخ البشرية كلها.

وقد كان العرب في الجاهلية ـ قبل الإسلام ـ يعيشون مجتمعاً قبلياً ، له عاداته وله تقاليده ، وله جوانب حسنة وأخرى سيئة. وقد كانت الجوانب السيئة تغلب على الجوانب الحسنة.

فالشجاعة على سبيل المثال من الصفات الحسنة إلا أنها كانت من الجوانب السيئة ، إذ تمَّ استخدام هذه الشجاعة في عمليات الإغارة والقتل والسلب والنهب والسبي.

و(كانت الحياة الاجتماعية عند ظهور الإسلام شيئاً مؤسفاً حقاً ، فقد كان العامة لا ينعمون بحقوق سياسية ولا اجتماعية ، ولأن هذا كان من حق الأغنياء والأقوياء والأشراف ، وإذا كان هناك قانون فقد كان لمصلحة

جماعة دون أخرى ، وكان دائماً في مصلحة الأقوياء ، والأغنياء ، والأشراف)[1] .

أما عن الناحية الدينية فالمعلوم أن العرب كانوا يعبدون الأصنام ويقدسونها ويلتمسون منها البركة ، ويذبحون لها ويقيمون الأعياد والزينات حولها ، ويظنون أنها وسيلتهم إلى الله ، وأنها تقربهم إلى الله زلفى. وقد كان لكل قبيلة صنم يعبدونه ويضعون مثيله حول الكعبة، ليكون قرباناً لهم.

وهكذا كانت حياتهم حروباً وقتلاً ونهباً ورقصاً وخمراً ونساء وتجارة إلى الشام وإلى اليمن ، وقانوناً يحمي الأغنياء دون الفقراء ، والسادة دون العبيد ، ثم لا خوف من آلهة ، فهي أحجار لا تضر ولا تنفع ، ويزعمون أنهم يستطيعون إرضاءها بما يقدمون لها من الذبائح والقرابين ، ومن الإقامة والتضرع لها.

فأين كانت نشأة محمد ﷺ من ذلك؟ وما موقفه مما كان يرى قومه وأهل عشيرته عاكفين عليه؟ إنهم من أهل الحرم ولكنهم عَبَدة الأصنام ، التي لا تزيد عن كونها أحجاراً ، لا تنفع ولا تضرّ.

إنهم مثل غيرهم يقدمون لها القرابين ويذبحون لها ، ولقد نشأ ﷺ في هذه البيئة ، وتربى في المجتمع الذي احتوى على الكفار ، ومع ذلك تفرّد عنه ، لأن الله عز وجل أعده بصفات أخرى منذ نشأته ، من طفولته إلى شبابه إلى رجولته.

فلم يؤذ أحداً ، ولم يسجد لصنم ، ولم يشرب الخمر ، ولم يتمتع بامرأة لا تحل له.

لقد أعده الله عز وجل قبل البعثة بصفات أهمها: رجاحة العقل ، وحسن الخلق ، والصدق والأمانة ، والشجاعة والإقدام ، واختاره من أعرق البيوت في مكة.

---

(١) قصة العرب قبل الإسلام ، عمر أبو النصر: ص ١٢٨.

وسنتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل:

١ ـ رجاحة العقل:

أعد الله سبحانه وتعالىٰ نبيه محمداً ﷺ بأهم صفة يجب أن يتزود بها رجل الإعلام القدير، وهي رجاحة العقل. فمع ما نعلم من تأثير البيئة على نشأة الإنسان، وعلى إكسابه طريقة معينة في التفكير تتناسب مع هذه البيئة، إلا أن النبي ﷺ لم يتأثر بالمجتمع الذي نشأ فيه، ولم يكن منقاداً لغيره من العظماء أو الأشراف أو السادة، الذين نشأ وتربى بينهم وفي كنفهم ورعايتهم وتحت أعينهم، فقد تربى أولاً في كنف عبد المطلب جدِّه، ثم في كنف عمه أبي طالب. وكان لهؤلاء جلساؤهم من أشراف مكة وسادتها.

وكان محمد ﷺ يراهم يسجدون للأصنام ويشربون الخمر، ويقسون على العبيد، ويشقّون على الضعفاء، ويستحلون النساء واللهو.

ومع ذلك عصمه الله عز وجل، وزوده برجاحة العقل وحسن التفكير، فلم يتأثر بشيء من ذلك، بل رأى أن كل ما يندى في ساحة الباطل ضلال وغيّ، لا يتفق مع الفضائل والصفات الحميدة.

ويرى علماء الاجتماع في العصر الحديث أن المُجالِس مُجانِس، وأن الفتىٰ يشيب على ما شبّ عليه. وكما قال الشاعر العربي:

مشى الطاووس يوماً باعو ... جاج فقلد مشيته بنوه
فقال: علام تنحرفون قالوا ... سبقت به ونحن مقلدوه
أما تدري أبانا كل فرد ... يحاكي في الخطا من أدَّبوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه

وهذا يدل على أثر البيئة والنشأة على الفرد وطريقة تفكيره، وأنها تنعكس عليه بصورة مباشرة، ونحن نرى هذا جلياً، فالطفل الذي يولد في الاتحاد السوفيتي يصير شيوعياً، والطفل الذي يولد من أبوين مسيحيين يصبح مسيحياً وهكذا إلا في القليل النادر، وهذا من حيث النزعة المذهبية.

أما من حيث العادات والتقاليد والاجتماعيات فيتعلمها الفرد ، وتصبح شيئاً أساسياً في تكوينه ، ويسلكها بصورة آلية .

فإذا ما رأىٰ محمد ﷺ منذ صباه أن الأصنام التي يعبدها قومه هي أحجار لا تضر ولا تنفع ، فلم يقم لها وزناً ولم يقدسها ولم يسجد لها قط ، فهذا يدل على عقلية راجحة ، وبصيرة نافذة ، زوَّده الله عز وجل بها إعداداً له لتحمل الرسالة العظيمة ، وللقدرة على إبلاغها للناس كافة عامة ، في كل زمان ومكان .

(عن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: كان صنم من نحاس يتمسح به المشركون إذا طافوا يقال له: إساف ونائلة، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه فلما مررت مسحت به ، فقال رسول الله ﷺ: «لا تمسه» قال زيد: فطفنا ، فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ: «ألم تُنْهَ؟» .

قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنماً قط ، حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه ، وأنزل عليه)[1] .

وقد ورد في قصة بحيرى: أنه لما أطعم ركب التجار الذين كان النبي ﷺ معهم في صباه ، وهم في طريقهم إلى الشام ؛ قال له بحيرى:

(يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلاما أخبرتني عما أسألك عنه! وإنما قال له ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما .

فقال له رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما .

قال بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال له: سلني عما بدا لك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته وأموره ، فجعل

---

(١) تاريخ ابن كثير ، الجزء الثاني ، مرجع سابق: ص ٢٨٨ .

رسول الله ﷺ يخبره ، فوافق ذلك ما عند بحيرىٰ من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه)[1].

وهذا يدل دلالة قاطعة على كراهية محمد ﷺ للأصنام منذ صباه ، فلم يسجد لها ، ولم يلتمس منها البركة لعدم اعتقاده بنفعها ؛ فقد رأى برجاحة فكره وحصافة عقله أنها لا تضر ولا تنفع.

(ومن الواجب أن ننبه إلى ثناء القرآن الكريم على أخلاق النبي ﷺ في آيات مبكرة جداً في النزول ، وهي آيات سورة القلم: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[2].

ويدل دلالة حاسمة على أنه ﷺ لم يكن يتورط في عادة أو سلوك جاهلي ينبو عنه الذوق السليم ، والخلق الكريم ، ولا يتسق مع انصرافه إلى الله وحده في اعتكافه ورياضته الروحية ، من مثل أكل الميتة وشرب الخمر ، ومقارفة الزنى والقمار ، وتقريب القرابين للأوثان ، والاشتراك في الحفلات والطقوس وعبادتها وتكريمها. . . إلخ)[3].

ومن الأشياء الدالة أيضاً على رجاحة عقل النبي ﷺ قبل البعثة:

ما زوَّده الله عز و جل به ، وأعده من تمسكه بالنسك ، ومخالفته لقومه في ذلك.

حيث كان أهل مكة يرون أنهم أهل الحرم ، وأنه ليس من الضرورة بمكان أن يقفوا على عرفة طلباً للمغفرة في الحج ، فكانوا يقفون بالمزدلفة ليلة عرفة. . . أما النبي ﷺ فقد كان يقف مع الناس بعرفات مخالفاً بذلك عادات مجتمع الجاهلية ، ومنكراً عليهم.

---

(١) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق: ص ١٩٦.
(٢) القلم: ١ ـ ٤.
(٣) سيرة الرسول ، محمد عزة دروزة ، الجزء الأول: ص ٣٩.

(عن عبد الله بن أبي بكر، عن عثمان بن أبي سليمان، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبي جبير قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل.

قال البيهقي: معنى قوله (على دين قومه) ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ولم يشرك بالله قط. صلوات الله وسلامه عليه دائماً.

ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه ، وهذا توفيق من الله له. ورواه الإمام أحمد عن يعقوب، عن محمد بن إسحاق به، ولفظه:

رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه ، وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله ، وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمرو، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أُبيٍّ قال: أضللت بعيراً لي بعرفة ، فذهبت أطلبه فإذا النبيُّ ﷺ واقف... فقلت: إن هذا من الحمس ما شأنه هاهنا؟.

والحمس هم قريش ومن ولدت وكنانة وجديلة ، سموا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم ؛ أي: تشددوا ، والحماسة الشجاعة ، كانوا يقفون في المزدلفة. ويقولون: نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم)[1].

وكان من رجاحة عقل النبي ﷺ قبل بعثته ما حكم به من وضع الحجر الأسود في مكانه عند إعادة بناء الكعبة ، وقد فرحت قريش كلها بحكمه الذي حقن الدماء. (قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن ، فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى.

---

(١) ابن كثير ، الجزء الثاني ، مرجع سابق: ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

حتى تحاوروا أو تحالفوا ، واستعدوا للقتال ، فقرب بنو عبد الدار جفنةً مملوءة دماً . . . ثم تحالفوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسمّوا لفقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها قال: يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول داخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا ،هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال رسول الله ﷺ: (هلموا إلي ثوباً) فأتي به، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوا جميعاً) ، ففعلوا ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ﷺ ، ثم بني عليه ، وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ الأمين.

وفي رواية أخرى زيادة على ذلك أن أهل مكة كانوا بعد ذلك لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه ﷺ فيدعو لهم فيها)[1].

وهذه أمثلة قليلة لرجاحة عقله ﷺ قبل البعثة ، نتبين منها أن الله عز وجل قد أعدَّه وزوَّده بهذه الصفة ليكون إعلامياً قديراً بخير رسالة حملها بشر إلى البشرية جميعها في كل زمان ومكان.

٢ ـ حسن الخلق:

من الأشياء المسلّم بها أن النبي ﷺ كان حسن الخلق ، ليّن الجانب ، حلو الحديث ، حيث شهد له بذلك أعداؤه وأصحابه وكل من عرفه ورآه أو خالطه من البشر ، وحيث وصفه ربه عز وجل بذلك في كثير من مواضع القرآن الكريم.

---

(١) المرجع السابق: ص ٣٠٣.

قال تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وقد كانت هذه الصفات بعد بعثة النبي ﷺ تكليفاً من الله عز وجل له بإبلاغ الرسالة ، فكيف كانت أخلاقه ﷺ قبل البعثة؟

إن الروايات التاريخية تثبت أنه ﷺ كان حسن الخلق منذ نشأته.

والواقع يخبرنا دائماً أن الطبع يغلب التطبع ، فلو أنه ـ حاشاه ـ كان خلقه غير حسن قبل الرسالة لتغلب ذلك على طبعه بعد الرسالة ، ولظهر ذلك عليه في المواقف العصيبة التي تعرض لها في مكة ، وفي الهجرة ، وفي مواقفه مع اليهود.

ولكن صبر النبي ﷺ على الأذى طوال ثلاثة عشر عاماً في مكة مع أنه من أشرافها وسادتها ، ومع ما كان يلقى من حماية عمه أبي طالب والحمزة وبني هاشم جميعاً له ، ومع رؤيته لما يلقى أصحابه من ألوان العذاب ، ومع ثقته على أنه على الحق وأعداؤه على الباطل.

كل ذلك يدل على حسن خلق أصيل نشأ وتربى عليه ، وأعده الله عز وجل به منذ صباه إلى شبابه إلى رجولته إلى أن لقي وجه ربِّه ؛ ليكون سلاحاً له كرجل إعلام قدير ، يبلِّغ الناس برسالة ربهم سبحانه وتعالىٰ. فهي رسالة عظيمة القدر ، وهو مأمور بإبلاغها إلى امتداد زماني ومكاني لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالىٰ ، حيث هي آخر الرسالات السماوية ، وهو ﷺ آخر الرسل.

---

(١) آل عمران: ١٥٩ «فبما رحمة»: فبرحمةٍ عظيمة. «لنت لهم»: سهَّلْتَ لهم أخلاقك ، ولم تُعنِّفْهم. «فظاً»: جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً. «لانفضوا»: لتفرَّقوا ، ونَفَرُوا.

(٢) التوبة: ١٢٨. «عزيز عليه»: صَعْب، وشاقّ عليه. «ما عنتم»: عَنَتُكم ومشقتكم.

وفي حسن خلقه ﷺ قبل البعثة يقول ابن هشام في سيرته:

(فشب رسول الله ﷺ؛ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية؛ لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً؛ حتى ما اسمه في قومه إلا (الأمين) لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة)[1].

وبذلك يتضح لنا أن ما كان من حسن أخلاق رسول الله ﷺ قد أعده الله عز وجل به منذ طفولته ونشأته، فقد نشأ حسن الخلق، ودللت المواقف المتعددة على ذلك حيث إن الآيات القرآنية الواردة في صدر أخلاق النبي ﷺ وفضائله متنوعة الأساليب والمناسبات، فمنها ما هو في معرض التنويه والتخصيص في الخطاب، ومنها ما هو في معرض أحداث السيرة النبوية في عهديها المكي والمدني، والآيات لا تفرق بين ما قبل البعثة وما بعدها، كما لا تفرق بين عهدي مكة والمدينة، وكثير مما هو في معرض أحداث السيرة إنما هو في صدد ما ظهر منه بعد البعثة من أخلاق وفضائل ومواقف.

غير أن هناك أولاً تنويهاً وثناءً مبكراً جداً في أوائل ما نزل من القرآن الكريم، وهو آية سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

كما أن هناك آية نزلت في أواسط العهد المكي تضمنت حكمة الله في اصطفاء رسله، في معرض الرد على زعماء قريش، وتخص النبي ﷺ في الدرجة الأولى، وهي آية سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3].

---

(١) ابن هشام، الجزء الأول، مرجع سابق: ص ١٩٧.
(٢) القلم: ٤.
(٣) الأنعام: ١٢٤.

فهاتان الآيتان يمكن أن تكونا تعبيرين قويين لأخلاق النبي ﷺ ومواهبه واستعداداته الروحية والذهنية بوجه عام ، وبالنسبة إلى ما قبل البعثة في الدرجة الأولى ، كما أنهما يصح أن تكونا مسوغين قويين للقول بأن الأخلاق والفضائل النبوية ؛ التي أشارت إليها الآيات القرآنية في مناسبات أحداث السيرة راجعة في الأصل إلى هذه الأخلاق ، والمواهب ، والاستعدادات التي نضجت عند النبي ﷺ قبل اتصاله بوحي الله ، وقبل أن يتلقى رسالته وآياته.

والإطلاق في الآيتين يعني سعة الشمول من دون ريب ، وليس من وصف يمكن أن يكون أقوى وأصدق وأوسع مدى مما فيهما... فتعبير (الخلق العظيم) يشتمل على كل عمل وميزة وعادة ومظهر يتعلق بخلق شخصي أو اجتماعي أو إنساني أو عائلي ، ويطبعه بطابع العظمة والسموّ والتّميز كما لا يخفى[1].

ويؤيد ذلك أيضاً ما جاء في وصف السيدة خديجة رضي الله عنها له ولأخلاقه ﷺ ، حينما جاءها خائفاً ؛ لما نزل عليه الوحي أول مرة ، وقصّ عليها ما رآه وما سمعه ، وقال لها: «إني خشيت على نفسي أن أكون شاعراً أو مجنوناً ، فقالت: أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم! ما كان الله ليصنع بك ذلك مع ما علم منك من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وصلة رحمك» وفي رواية أخرى أنها قالت له: «والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق»[2].

ولو تأملنا بعض المواقف من حياة النبي ﷺ وسيرته منذ صباه ، لوجدنا أنها كلها تدل على حسن خلقه ، وعظيم أدبه ، وبعده عن اللهو ، وتواضعه ، وهذا كله في النهاية يدل دلالة قاطعة على أن الله عز وجل اختاره

---

(١) محمد عزة دروزة ، الجزء الأول ، مرجع سابق: ص ٥٦ ، ٥٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ص ٤٧ ، ٤٨.

وأعده إعداداً يتناسب مع الرسالة التي سيتحملها منذ صباه، بل نشأته الأولى.

ومن ذلك ما حدث معه في طفولته من حفظ الله عز وجل له في صغره وأمر جاهليته فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرّى، وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأُقبل معهم كذلك وأدبر؛ إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال: شد عليك إزارك. قال: فأخذته وشددته عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي، وإزاري عليَّ من بين أصحابي»[1].

وقد ورد أيضاً مثل هذا الحديث في قصة بناء الكعبة «عن ابن عباس عن أبيه رضي الله عنهما أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت.

قال: وأفردت قريش رجلين رجلين، الرجال ينقلون الحجارة، وكانت النساء تنقل الشيد.

قال: فكنت أنا وابن أخي محمد، وكنا نحمل على رقابنا وأُزُرنا تحت الحجارة، فإذا غشينا الناس ائتزرنا، فبينا أنا أمشي ومحمد أمامي، قال: فخَرَّ وانبطح على وجهه، فجئت أسعى وألقيت حجري وهو ينظر إلى السماء، فقلت: ما شأنك؟ فقام وأخذ إزاره، قال: «إني نُهيت أن أمشي عرياناً».

قال: وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا: مجنون»[2].

ونرى أن القصتين السابقتين لهما دلالة واحدة، هي أن الله عز وجل قد حفظ نبيه من صغائر الأمور مع كونه كان في حداثة سنّه من ناحية... ومع كون هذا الفعل ـ وهو انكشاف العورة ـ كان شيئاً مألوفاً في ذلك المجتمع، حتى من كبار السن، فقد كان غير أهل مكة يطوفون بالبيت في ثياب

---

(١) ابن هشام، الجزء الأول، مرجع سابق: ص ١٩٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، الجزء الثاني، مرجع سابق: ص ٢٨٧.

[الحمس] وهم أهل قريش لعقيدتهم أنهم مطهرون.

(فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحمس، وهم قريش وما ولدوا، ومن تدخل معهم من كنانة وخزاعة، طاف عرياناً، ولو كانت امرأة، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك تضع يدها على فرجها وتقول:

اليـــوم يبـــدو بعضـــه أو كلـــه وبعـد هـذا اليـوم لا أحلّـه)[1].

إلى هذا الحد كانت مثل هذه العادة معهودة وغير مستغربة ولا مستقبحة في ذلك المجتمع المكي الجاهلي، ومع ذلك حفظ الله نبيه ﷺ من أن تنكشف عورته ليكون محمود السيرة دائماً، ليشب على حسن الخلق، وليتعلم منذ صباه أن مثل هذا المسلك ليس من مكارم الأخلاق ولا من محاسنها، حتى وإن كان سائداً أو مألوفاً في المجتمع الذي نشأ فيه، إلا أنه لا يليق به ﷺ.

وقد ربى الله عز وجل أنبياءه على عادة الحياء والستر هذه، وعدم انكشاف عوراتهم أمام الناس إلا لضرورة تتناسب مع تدعيم مركزهم وبيان إكرام الله عز وجل لهم، وقد حدث مع موسى بن عمران عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ما يؤيد ذلك. «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن موسى كان رجلاً حيياً وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال رسول الله ﷺ: «إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً سِتِّيراً لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده، إما برص، وإما أُدْرَة، وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر. حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن

(١) المرجع السابق: ص ٣٠٥.

ما خلق الله عز وجل ،و أبرأه الله مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً ، أو أربعاً ، أو خمساً.

قال: فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾»(١)(٢).

وهذا يدل على أن الله عز وجل يُعِدُّ أنبياءه بحسن الخلق ، ومن حسن الخلق الحياء.

ومن القصة السابقة يتبين أن الله تعالى قد أثبت بها لبني إسرائيل مدى حياء موسى وحسن خلقه ، وأنه لم يكن يخالف ما كانوا عليه من عدم الحياء وكشف العورة لعيب فيه ، وإنما هكذا أدبه ربه عز وجل.

ومن القصة السابقة أيضاً يتبين أنه إذا كان موسى هكذا وهو نبي ؛ فإن الله عز وجل قد أعد محمداً ﷺ بمثل هذا الإعداد منذ طفولته.

ومن حسن خلق النبي ﷺ الذي أعده الله عز وجل به منذ صباه وطفولته أن لم يَلْهُ قط ، ولم يستمع إلى لهو ولم يشرب الخمر قط حتى وهو شاب أو طفل ، مع أن ذلك لم يكن عيباً في المجتمع الذي كان يعيش فيه ، وإنما حفظه الله تعالى استعداداً للرسالة العظيمة التي سيتحملها ويكلف بها بعد ذلك ، وحتى لا يؤثر عليه مثل هذا ، مما لا يتناسب مع الكمال الذي يقتضيه مقام الرسالة العظيمة.

«عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمّون به إلا ليلتين، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما. كنتُ ليلة مع بعض فتيان مكة ـ ونحن في رعاء غنم أهلها ـ فقلت لصاحبي: ألا تبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير: ٢/ ٥٢٠.

(٢) الأحزاب: ٦٩. «وجيهاً»: ذا جاه وقَدْر مُسْتجاب الدعوة.

كما يسمر الفتيان؟ قال: بلى ، قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت فيها عزفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مَسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً. ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرىٰ: أبصر لي غنمي حتى أسمر ، ففعل.

فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل: نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مَسُّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته»[1].

وهذا يدلنا أيضاً على أن حسن خلق النبي ﷺ كان إعداداً من الله تبارك وتعالى له ، وليس من تلقاء نفسه ، فهو ﷺ بشر كسائر البشر فقد حدثته نفسه أن يلهو وأن يستمتع باللهو كعادة أبناء عصره ، غير أن الله قد عصمه ومنعه من ذلك كما ذكر ﷺ في الحديث ، إعداداً له ، لتكون شخصيته متميزة عن شخصية غيره من سائر أبناء مجتمعه ؛ الذين تربى بينهم ونشأ وسطهم ، فهو قد تربى على الكمال ، ونشأ على العصمة ذلك أن: (مقام الرسالة من الرفعة والعظمة لا يُسامى ، ويقتضي من المؤهلات الشخصية والخلقية والعقلية والروحية ما لا يمكن أن يوجد إلا فيمن وصلت فيه هذه المؤهلات إلى الكمال ، والتعبير الوارد في الآية: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، تقرير رباني بأن النبي ﷺ قد وصل إلى الذروة من عظمة الخلق ورقة الروح ، وصفاء النفس وكبر القلب ، ورجاحة العقل ، فاستأهل بذلك أن يكون موضع اصطفاء الله ورسالته لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ولأن نقول: إن الرسول ﷺ هو الإنسان

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، الجزء الثاني ، مرجع سابق: ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

الذي وصلت به أخلاقه وروحه وعقله وفضائله ومواهبه إلى ذروة الكمال الإنساني أقوى وأعظم بكثير من أن نقول: إنه خلق قبل الأكوان ، وإن الأكوان قد خلقت لأجله ، وإنه أبوها الأكبر . . . إلخ

لأن هذه الأقوال إلى ما فيها من تعارض مع طبيعة الأشياء ونصوص القرآن فيها إيهام أن له صفة جزئية إلهية جعلته منذ الأزل في هذه الصفات والأخلاق ، ولم يكتسبها اكتساباً كما يكتسب الناس أخلاقهم وفضائلهم)[1].

وقد انعكست كل هذه الصفات الخلقية التي أعد الله عز وجل بها نبيه ﷺ على معاملاته مع سائر أفراد مجتمعه ، فكان محبوباً عند الناس جميعهم من كبيرهم إلى صغيرهم ، ومن عظيمهم إلى حقيرهم ، ومن غنيهم إلى فقيرهم ، فقد كان يحنو على الفقراء ، ويحب العبيد ، ويشفق عليهم ، وكانوا يبادلونه حباً بحب ، ولا أدل على ذلك من قصته مع خادمه ومولاه: (زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبي ، والذي كان مملوكاً للسيدة خديجة رضي الله عنها فاستوهبه النبي ﷺ منها وأعتقه . . . وجاء أبوه فخيّره النبي ﷺ بين البقاء عنده أو الذهاب مع أبيه . . . فاختار البقاء ، فأعلن محمد ﷺ على ملأ من الناس تبنِّيه له حسب العادة المعروفة ، فصار يدعى زيد بن محمد ، وكان ذلك قبل البعثة ، وظل يسمى بهذا الاسم إلى أن أبطل القرآن تقليد التبني وتبعاته . . . فصار يدعى زيد بن حارثة)[2].

وليس أدل على حسن خلق النبي ﷺ من أن يختار خادمه البقاء معه على أن يعود إلى أبيه ، ويعيش بين أهله وعشيرته ، وقبيلته لها شأنها بين العرب ، ومع ذلك اختار أن يبقى خادماً للنبي محمد ﷺ ، وما ذلك إلا لحسن خلقه وحسن معاملته التي أعده الله عز وجل بها.

٣ ـ الصـــدق والأمـانـــة:

كان النبي ﷺ يعرف في قومه قبل البعثة بالصدق والأمانة ، وكان

---

(١) محمد عزة دروزة ، مرجع سابق: ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٧.

مشهوراً بهاتين الصفتين منذ حداثة سنه إلى شبابه فرجولته.

حتى إنه يوم أن جهر بدعوته التي كلفه الله عز وجل بإبلاغها أشهد الناس على نفسه أولاً ثم على أنفسهم ثانياً، وحدث ذلك أمام جمع غفير من بطون مكة كلها ليكونوا شهوداً عليه وعلى أنفسهم، وسألهم عن مدى صدقه ـ أو بالأحرى عن مدىٰ ثقتهم في صدق حديثه ومقولته ـ وضرب مثلاً مستغرباً، وشهدوا له بالصدق في كل ما قال، وقد حدث ذلك حين أمر الله نبيه ﷺ بأن يجهر بدعوته، وسنذكر هذه القصة مختصرة للدلالة على شهادة أهل مكة ومجتمعها بصدق النبي ﷺ قبل البعثة، ثم نعود إلى ما فيها من مظاهر التبليغ الإعلامي، وذلك في موضعه فيما سيأتي إن شاء الله.

(قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل تريد أن تُغير عليكم أصدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا)[2].

والقصة تدل على مدى اعتراف وإقرار أهل مكة لرسول الله ﷺ بالصدق؛ وذلك لأنهم لم يجربوا عليه الكذب قبل ذلك طول حياته بينهم قط، وقد أشهدهم على أنفسهم بسؤاله لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل تريد أن تُغير عليكم صدقتموني؟». فيجيبونه بغير تردد: نعم. وبذلك شهدوا له بالصدق والأمانة.

وقد بادرهم رسول الله ﷺ بإشهادهم عليه وعلى صدقه قبل أن يسألهم

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الجزء الثالث، مرجع سابق: ص ٣٤٩.

عن أي صفة أخرى من الصفات ، فلم يسألهم عن مدى شجاعته ولا كرمه ولا غيرها من الصفات التي عرفوها عنه ، واشتهر بينهم بها ، من حسن الخلق أو نحوها ، وإنما سألهم أولاً عن الصدق ، لأنه سيخبرهم خبراً غريباً يحمل تغييراً للحياة التي يعيشونها ، وللمعتقدات التي يعتقدونها ، وللديانة التي يدينون بها ؛ لذا أشهدهم على صدقه أولاً ، وضرب لهم المثل ، أو سألهم السؤال المناسب لواقع المجتمع والبيئة والاهتمامات التي يهتمون بها ، ويهتزون خوفاً منها ، وهو توقع وقوع الحرب أو إغارة الخيل من سفح الجبل عليهم ، وهذا يدل على مدى ما كان عليه النبي ﷺ من حصافة ورجاحة عقل واستعداد للعمل الإعلامي العظيم منذ بداية البعثة ، حيث المعرفة بما يهم الجمهور في المستقبل ، وما يهز تفكيره ووجدانه ، ويلفت نظره ، ويجذب اهتمامه.

وبعد أن شهدوا له بالصدق وبأنهم يصدقونه إن أخبرهم حتى بهذا الخبر الغريب الذي ذكره لهم ، بلّغهم دعوته ورسالته التي كلفه الله عز وجل بإبلاغها لهم ، وما يهمنا هنا هو إثبات أن المجتمع المكي قد شهد له بالصدق ، لأنه لم يجرِّب عليه الكذب قبل ذلك طوال حياته قبل البعثة ، وقد شهدوا على ذلك ، فإن كذبوه ووصفوه بالكذب فإنما يكذبون أنفسهم في وصفهم له بالصدق ، وهو هنا ﷺ يلزمهم الحجة ويقيم عليهم الدليل ، قبل إبلاغهم ، وهي صفات الإعلامي القدير التي أعده الله عز وجل بها.

وقد كان النبي ﷺ مشهوراً بالأمانة أيضاً ، وكان كما ذكرنا من قبل يلقب بالصادق الأمين ، وذلك قبل البعثة ، ولا أدل على ذلك من حفظهم لودائعهم عنده ـ أي أهل مكة ـ حتى وهم يناصبونه العداء ، وبعد البعثة كانوا يحفظون ودائعهم عنده. . . فحينما هاجر من مكة إلى المدينة ترك علي بن أبي طالب ليرد الودائع إلى أهلها.

ومعنى أن يحفظ أهل مكة ودائعهم عنده ، وهم يناصبونه العداء ؛ أنهم لم يجربوا عليه خيانة قط ، فلو رأوا منه خيانة ولو مرة واحدة في حياته قبل

أو بعد البعثة ؛ لما تركوا ودائعهم عنده ، ولو كانت الأمانة صفة طارئة عليه بعد البعثة ، لما تركوا أيضاً ودائعهم عنده ، وإنما فعلوا ذلك لثقتهم المطلقة في أمانته منذ صباه ، ومنذ أن عرفوه ، ومن بداية نشأته ﷺ ، وهذه صفات أعده الله عز وجل بها ليحمل أمانة الكلمة ، وأمانة الرسالة التي سيكلف بها .

وقد حدث ذلك، حيث كان يجتمع كفار مكة ليقولوا عنه : إنه كذاب أو ساحر أو مجنون ، ثم يرد بعضهم على بعض بأنهم ما جرَّبوا عليه كذباً قبل ذلك قط ، ولم يجرِّبوا عليه خيانة قط (وقد شهد عظماء مكة وسادتها بأن النبي ﷺ صادق وأمين ، فها هو النضر بن الحارث ، أكبر أعداء النبي ﷺ ، يقول لكفار مكة حينما اجتمعوا ليخططوا إحدى حملاتهم الدعائية ضد النبي ﷺ وضد دعوته : يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاء به قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، فقد رأينا السَّحَرَة ونَفْثَهم وعَقْدَهم ، وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكهنة وتَخالُجَهم ، فما هو بزمزمته ولا وسوسته ولا تخليطه . يا معشر قريش، فانظروا شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم)[1] .

ومن الأمثلة الدالة على أمانة محمد ﷺ قبل البعثة ما حدث من تجارته في مال خديجة رضي الله عنها ، وإعجابها بأمانته ، وقد كانت خديجة امرأة ذات مال ، قد تاجر في مالها الكثير من التجار ذوي الخبرة ، ومع أن محمداً ﷺ لم يكن مثلهم في الخبرة بالتجارة وأحوالها وأمورها ، إلا أنه بأمانته وصدقه فاق خبرة هؤلاء ، وأدهش ما حققه من كسب خديجةَ صاحبة المال والخبرة في هذه الأمور ؛ ذلك أن محمداً ﷺ قد حقق بأمانته ما لم يحققه وما لم يبلغه غيره من ذوي الخبرة .

(قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد ، امرأة تاجرة ذات شرف

---

(١) الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة، عبد الوهاب كحيل : ص ١٧١ .

ومال ، وتستأجر الرجال على مالها مضاربة ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج لها في مالها تاجراً إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له «ميسرة»، فقبله رسول الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذاك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة ، قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته ـ يعني تجارته ـ التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامتها ، فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ـ فيما يزعمون ـ يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسِطَتِك في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه، وكانت أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام.

قال ابن هشام: فأصدقها عشرين بَكْرَة ، وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت)[1].

وهكذا نرى مدى ما كان عليه النبي ﷺ ، مما أعدّه به ربه سبحانه وتعالى

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، الجزء الثاني ، مرجع سابق: ص ٢٩٣ ، ٢٩٤.

من الصفات العظيمة ـ الصدق والأمانة ـ منذ حداثة سنه وبداية نشأته ليكون معروفاً ، وحتى لا يتطرق الشك إلى أحد من الناس في مدى صدق رواياته التي ستروى لهم بعد ذلك ، فهو صادق بشهادتهم ، وهو أمين بمعاينتهم ، ومعاملتهم ، وكلهم قد رأى منه وسمع عنه ، وكلهم قد وثق في حديثه وعظَّم أمانته ، وشهد له بذلك .

ويدلنا هذا على أن رجل الإعلام يجب أن يتحلى بالصدق في حديثه كله ليكون حديثه مقنعاً ، ولتكون رسالته صادقة ، وليكون الجمهور على يقين من صدق قوله ورسالته ، كذلك يجب أن يتحلى بالأمانة لأن الرسالة الإعلامية ذاتها أمانة يجب أن تؤدى ، وما أعظم مكانة الكلمة إن حفظها ، والحرص على صدق وسلامة أدائها أعظم أمانة يجب أن يحرص عليها المسلم، لذا كان إعداد الله لرسوله ﷺ بالصدق والأمانة منذ نشأته أمراً ضرورياً للغاية .

٤ ـ الشجـاعــة :

يتطلب إعداد رجل الإعلام القدير بعض الصفات ؛ التي تدعم ما سبق أن تحدثنا عنه من صفات : رجاحة العقل ، وحسن الخلق ، والصدق ، والأمانة .

وأهم هذه الصفات : الشجاعة . ذلك أن هذه الصفات السابقة دون أن يتصف صاحبها ويتحلى بالشجاعة فإنها لا تؤدي الغرض المطلوب منها ، كما أنه لا يتأتى له أن يؤدي رسالته على الوجه الأكمل أو الأفضل .

وإذا كانت أي رسالة تحتاج إلى الشجاعة إلى جوار هذه الصفات السابق الحديث عنها ، فإن رسالة النبي ﷺ ، بما لها من وزن وثقل عقائدي وديني واجتماعي ، تُحتاج أكثر من غيرها . ذلك أنها تنكر عقائد المجتمع المكي وعاداته وتقاليده ، وتُسفّه الكثير من آرائه ، وتنهى عن المرذول والمذموم من أفعاله ، وبالتالي فإنها ستجد حرباً نكراء ، ولا بد لحامل هذه الرسالة من أن يكون شجاعاً في الجهر بها ، وفي إبلاغها ومساندتها ، وعدم التراخي في الوقوف صامداً من أجلها .

وقد أعدّ الله عز وجل نبيه ﷺ بالشجاعة منذ حداثة سنه ، فهو لم يعرف

بالشجاعة بعد البعثة ، إنما عُرف بها منذ نشأته ، وكان لهذا أهمية كبيرة حتى يفكر من يتصدى له في أمر شجاعته قبل أن يُقدم على عمله ، وقبل أن يقف في وجهه ، فهو أمام رجل شجاع يجهر بدعوته في ثبات وصلابة وعزم وإقدام ، وقناته لا تلين أبداً.

وقد كانت شجاعة النبي ﷺ التي أعدّه الله بها قبل البعثة وبعدها شجاعة الرجل الحكيم ، جميل الخلق ، حلو الحديث. فهو يستعمل الحكمة في حينها ، ويستعمل الخلق دائماً ، ويستعمل الشجاعة في كل مواقفه.

وبهذا نرى أن الشجاعة ليس المقصود بها الجهل أو الإغارة أو الاندفاع دون تفكر ولا رويّة ، وإنما هي الصلابة في الحق ، وهي إعمال العقل مع عدم التخوف من بشر ، وهي إدراك العواقب ومعرفة النتائج.

وهكذا كان النبي ﷺ، وهذا ما دفعنا إلى الحديث عن رجاحة عقله وحسن خلقه وصدقه وأمانته ﷺ قبل أن نتحدث عن شجاعته وإقدامه وعزمه وصلابته في الحق.

وبذلك يمكننا القول: إن الشجاعة التي أعد الله عز وجل بها نبيه ﷺ هي شجاعة نادرة ، ويمكن القول: إنها شجاعة معنوية ومادية في آن واحد ، حيث تجمع بين الحكمة والإقدام ، وكانت هذه صفاته منذ نشأته كما سيتضح لنا فيما بعد.

وإذا كنا فيما مضى قد رأينا مواقف الحكمة ؛ التي ظهرت من محمد ﷺ حيث فرح أشراف مكة بتحكيمه بينهم في وضع الحجر الأسود مكانه حين بناء الكعبة ، وارتضوا بحكمه ونفذوه.

كما رأينا مواقفهم المتعددة الدالة على حسن الخلق والأمانة والصدق ، فيجب أن نستعرض بعض المواقف التي ظهرت فيها شجاعته ﷺ كفتًى من فتيان مكة.

فقد كان من عوامل تكوين الشجاعة كصفة أساسية من صفات رسول الله ﷺ منذ طفولته: رضاعته في بني سعد بن بكر ، ذلك أن الرضاعة والنشأة في

البيئة البدوية تغرس الشجاعة في نفس الطفل منذ أن يشبّ وينشأ.

(فقد كانت عادة أشراف مكة أن يدفعوا بأبنائهم إلى المرضعات يربين أولادهم في الصحراء؛ حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة ابتغاء إجادة العربية والتفصح فيها، والتعود على شظف العيش وخشونته، وكان بنو سعد شهيرين بفصاحتهم)[1].

وبذلك أقام محمد ﷺ في بني سعد إلى الخامسة من عمره، ينهل من جو العرب الصحراوي الطلق روح الحرية والاستقلال النفسي، ويتعلم من هذه القبيلة لغة العرب مصفاة أحسن التصفية، وتركت هذه السنوات الخمس في نفسه أجمل الأثر وأبقاه[2].

ومن الأشياء التي كان يحرص العرب عليها: غرس الشجاعة في أطفالهم منذ حداثة أسنانهم - إلى جانب الرضاعة - حيث القيام بحراسة الغنم من الذئاب والهوام التي يمكن أن تغير عليها، وكذلك حراستها من السرقة ونحوها، وهذا تدريب على الشجاعة والصبر.

وقد تدرب النبي ﷺ على هذه المهمة منذ أن كان صبياً، حيث ذكر بعض المؤرخين أنه رعى الغنم، وهو في فترة رضاعته في بني سعد بن بكر[3]، وذكر بعض المؤرخين أيضاً أنه ﷺ قد رعى الغنم بعد ذلك.

غير أنه قد ثبت أنه ﷺ قد رعى الغنم ومن ذلك ما روي «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم»، فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[4].

(قال السهيلي بعد ذكر صحاح الأحاديث التي ثبت فيها أنه ﷺ رعى الغنم: وإنما جعل الله هذا في الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق،

---

(١) محمد رسول الله، جلال مظهر: ص ٤١.
(٢) مرجع سابق، محمد حسين هيكل: ص ١٢٩.
(٣) انظر ابن هشام، الجزء الأول، مرجع سابق: ص ١٧٧، ١٧٨.
(٤) صحيح البخاري، الجزء الثاني، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: ص ٣٣.

ولتكون أممهم رعايا لهم ، وقد رأى رسول الله ﷺ ـ يعني في منامه ـ أنه ينزع على قليب ـ بئر ـ وحولها غنم سود وغنم عفر.

قال: ثم جاء أبو بكر فنزع نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ، ثم جاء عمر ، فاستحالت غَرباً (يعني الدلو) فلم أرَ عبقرياً يفري فريه.

فأوّلها بالخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية ؛ إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم)[1].

وتركت هذه البيئة التي هيأها الله سبحانه وتعالىٰ له أثرها على شخصيته ، فكان ذا مهابة ومكانة بين قومه وأهله وعشيرته ، حتى إنهم كانوا حريصين على حضوره معهم في المواطن المهمة ، ومنها حضوره حرب الفجار ، وحضوره حلف الفضول.

وحرب الفجار التي شهدها رسول الله ﷺ كانت بسبب عدوان وقع في منطقة الحرم ـ والكلمة تعني ذلك ـ وكانت بين قريش وبعض حلفائهم من ناحية ، وبين بعض قبائل قيس وعيلان من ناحية أخرى.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه حضر هذه الحرب مع عمومته ، وشارك فيها بأسهم ، وقال: ما أحب أني لم أكن ، فقلت: كان عمره إذ ذاك نحو عشرين سنة.

وفي رواية ابن هشام عن هذا الخبر أن النبي ﷺ قال: (كنت أنبِّل على أعمامي) أي أردُّ عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها[2].

وكان حلف الفضول بعد حرب الفجار كما تخبر بذلك كتب السيرة ، وأياً كان السبب المؤدي إليه ، إلا أن المتفق عليه بين المؤرخين أن هذا الحلف كان هدفه رد الظلم عن المظلوم ؛ سواء كان من أهل مكة أو من

---

(١) ابن هشام ، الجزء الأول ، مرجع سابق: ص ١٧٨.

(٢) محمد عزة دروزة ، الجزء الأول ، مرجع سابق: ص ٣٩.

غيرهم ، وقد كان المجتمعون في هذا الحلف هم زعماء مكة (حيث دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، واجتمعت فيه هاشم وزهرة ، وتيم بن مرة في دار عبد اِلله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بلَّ بحرٌ صوفة ، وما رسا ثبير وحراء مكانهما ، وعلى التأسي في المعاش ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقد قال رسول الله ﷺ في حق هذا الحلف الذي حضره مع عمومته : «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها» ، وقد كان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة)[1].

وهكذا نجد أن رسول الله ﷺ كان على درجة من الأهمية لدى أعمامه وأبناء قومه ، وكل المجتمع المكي منذ نشأته الأولى ، فمثل هذه المواطن التي ذكرناها ، والتي كان له شأن فيها ، ولا يكون الشأن فيها إلا لمن كان على درجة من الشجاعة والإقدام فقد كان في حرب الفجار يرمي بالسهم ، ويذود عن أعمامه ويمنعهم وينبِّل عنهم ، وكان في حلف الفضول معدوداً من الحاضرين لهذا الحلف ، وكان المعروف عند العرب أن مثل هذه المجالس والمواطن لا يحضرها إلا صاحب العقل والحكمة والشجاعة في ذات الوقت .

وهذا تأهيل وإعداد أعدّ الله عز وجل به نبيه محمداً ﷺ وزوّده به منذ حداثة سنه ؛ ليكون معروفاً بين قومه بمثل هذه الشجاعة والقوة التي تحكمها رجاحة عقله وحسن خلقه ، والتي تؤهله لحمل مثل هذه الرسالة .

نسبه وأصالته :

قال ابن إسحاق : كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : «أنا أعربكم ، أنا

---

(١) البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، ابن كثير ، مرجع سابق : ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر»[1].

ونسب رسول الله ﷺ لا يخفى.

فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب ، ونسب عبد المطلب معروف في كتب السيرة وكتب التاريخ ، إنه متصل بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، فهو خيار من خيار ، وقد حفظ الله عز وجل نسبه وأصله من أن يدنس بما كانت جاهلية العرب ـ قبل البعثة ـ ترزح تحته من سوء الخلق وشرب الخمر والزنى وأنواع الزواج المتعددة ونحوها ، فقد كان بنو هاشم بين قبائل العرب عامة وبين المجتمع المكي خاصة معروفين بأنهم أهل طهر وأهل عفاف.

ولعل أقرب القصص الدالة على ذلك ـ تلك القصة المشهورة ـ عن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته امرأة من بني أسد أن يقع عليها ، حين أعجبت برجولته وهيئته ، فرفض ذلك وقد منعه الله عز وجل حماية لنسب نبيه ﷺ[2].

ويدل ذلك على أن الله عز وجل قد عصم نبيه الشريف ﷺ من أن يدخل فيه شيء يشوبه، أو يدنسه، أو يدع فرصة لمعترض أن يعترض عليه، وحاشا لله أن يختار رسولاً يحمل أمانة كلمته ورسالته إلى البشر ، ونسبه دون ذلك.

فقد اصطفاه الله تعالى خياراً من خيار.

وكانت نشأة النبي ﷺ نشأة أصيلة في بيئة عريقة هي بيت الزعامة والسيادة على مكة كلها ، مع ما كان معروفاً عن مكة وبيوتها وقبائلها من العزة والشرف ؛ إلا أن عبد المطلب وآباءه من قبله ، وأولاده من بعده هم سادة هذا المجتمع كله ، وما ارتضاهم هذا المجتمع سادة له لكثرة مالهم ، ولقوة بأسهم ، وإنما ارتضاهم لشرفهم ، ولأصالتهم ، وحكمتهم واتسامهم

(١) المرجع السابق: ص ٢٧٧.
(٢) انظر ابن هشام ، الجزء الأول: ص ١٦٨.

بالصدق والطهر والعفاف ، ولأنهم لم يؤثر عنهم ما يمس كرامتهم ، أو يقلل من مهابتهم أو يسيء سمعتهم ، فهم أهل الشرف وأهل الكرم ، وأهل الحرم وأهل الشجاعة وأهل المروءة ، وهم الذين كانوا يتشرفون بالنسب إلى البيت الحرام أكثر من النسب إلى غيره.

فهذا هو عبد المطلب في عام الفيل ، لما يئس من أبرهة ورأى تصميمه على هدم الكعبة ، يأمر قريشاً بأن تخرج من مكة إلى الجبل لتحتمي به ، ثم يقوم إلى الكعبة فيأخذ بحلقة بابها ، ويدعو الله ، ويستنصره على أبرهة وجنده وينشد في ذلك قائلاً :

لا هُـمَّ إن العبـد يمنـع رحـ ـلـه فـامنـع حـلالـكْ
لا يغلبـن صليبهـم ومحـالهـم غـدواً محـالـكْ
إن كنـت تـاركهـم وقبلتنـا فـأمـرٌ مـا بـدا لـكْ[1]

وكانت هذه هي البيئة التي نشأ فيها النبي ﷺ ، ولد فيها وتربى وترعرع في كنف جدِّه عبد المطلب ، وفي كنف عمه أبي طالب الذي حل محل جده عبد المطلب ، قوم لهم أصل ونسب بين العرب وقبائلها ، فهم سادة عصرهم ، وهم أهل الحرم ، وبه يُعرفون في كل مكان.

وقد كان لرضاعة النبي ﷺ في بني سعد بن بكر دور كبير في إعداده من حيث الفصاحة ، والحصافة ، وهي تكملة لعروبته وأصالته بين العرب.

(فقد كان من أسباب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع لينشأ الطفل في الأعراب ، فيكون أفصح للسانه ، وأجلد لجسمه ، وأجدر ألا يفارق الهيئة المعدية ، كما قال عمر رضي الله عنه: تمعدودا وتمعززوا واخشوشنوا ، وقد قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ـ حين قال: ما رأيت أفصح منك يا رسول الله ـ فقال: «وما يمنعني ، وأنا من قريش ، ورضعت في بني سعد؟».

---

(١) المرجع السابق: ص ٥١.

وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان ، كان يقول: أضرّ بنا حبُّ الوليد ، لأن الوليد كان لحّاناً وكان سليمان فصيحاً ؛ لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية ، فتعربوا ، ثم أُدِّبوا فتأدبوا).

وهكذا نجد أن الله عز وجل قد أعد نبيه ﷺ بهذا السلاح ليواجه به أهل مكة وغيرهم ، ممن يتطلب الأمر مواجهتهم حينما يجهر بدعوته ، فالذي يقف في مواجهة محمد ﷺ ، عليه أن يعلم أنه أمام رجل له أصل ونسب ، رجل من أفضل العرب فهو صاحب فصاحة ، وصاحب شجاعة ، وله ماض يدل على ذلك خير دلالة ، وهو أمام رجل له عشيرة وقوم يقفون خلفه ، يقومون دونه ، ويحرصون على حمايته وسلامته ، من كل من أراد أن يبطش به ، أو أن ينال منه ، وكان هذا سلاحاً لازماً وماضياً ؛ إلى جانب تلك الأسلحة التي أعد الله عز وجل بها نبيه ﷺ.

وقد ظهر أثر هذا الإعداد الرباني للنبي ﷺ في ممارسته للإعلام بالرسالة وتبليغه إياها ، فقد تكاملت هذه الصفات كلها ، من رجاحة العقل وحسن الخلق ، والصدق والأمانة ، والشجاعة ، وعراقة الأصل والنسب ، وكل صفة من هذه الصفات كان لها دورها و كان تأثيرها واضحاً، تكاملت كلها ، لتظهر لنا محمداً ﷺ رجل إعلام قدير بخير رسالة كلف بها بشر على وجه الأرض ، إلى أكبر جمهور يمتد طولاً وعرضاً على وجه البسيطة في عصره ، ويتجاوزه إلى كل الأزمان القادمة حتى تقوم الساعة ، وإلى كل مكان في الدنيا بأسرها ، وبكل الوسائل الممكنة للإبلاغ بهذه الرسالة. . . إلى كل زمان وكل مكان ، وفي كلِّ عصر ومصر.

وقد كان هذا الإعداد الذي تحدثنا عنه بالنسبة للنبي ﷺ ، إنما هو إعداد مبدئي له قبل البعثة ، ولم يكن هذا كل الإعداد الذي أعده الله سبحانه وتعالىٰ به ، وإنما كان هناك إعداد خاص واكب فترة نزول الوحي ، وبداية البعثة ، كان إعداداً يتناسب مع هذه الفترة.

وبهذا نرى أن هذا الإعداد الذي كان قبل البعثة ، إنما كان تمهيداً وتهيئة

للإعداد التالي له ، والذي أعده الله به مع بداية نزول الوحي حتى يتحمل ذلك ويستعين به عليه ، وحتى يكون لديه طاقة تؤهله لذلك ، وتجعل منه رجلاً له صفات معينة ، تجعله محل احترام مجتمعه كله بسائر طبقاته ، ومحل ثقته ، وأهلاً لمحبته.

كان بعد ذلك الإعداد الخاص الذي يناسب فترة نزول الوحي على النبي ﷺ وهو ما سنتحدث عنه في الصفحات القادمة إن شاء الله ، ليتسنى لنا الحديث عن ممارسة النبي ﷺ للإعلام برسالة الله عز وجل في مكة ثم المدينة ، ثم عبر الأزمنة والأماكن كلها قدوة حسنة ، وأسوة مباركة. يفلح كل من يقتدي ويتأسى به ﷺ ، وما للمسلمين من أسوة في ممارساتهم الإعلامية سواه ، ومن العيب بمكان أن نستلهم نظرياتنا من الشرق أو الغرب ونحن نمتلك الكنز الذي لا يفنى. . . والأسوة التي لا تخطئ والقدوة التي لا يضل من اقتدى بها ، وهو رسول الله ﷺ.

ثانياً: الإعداد في بداية البعثة:

كانت عملية إعداد النبي ﷺ ليتحمل أعباء الإعلام برسالة الله عز وجل في بداية البعثة تختلف قليلاً عن عملية الإعداد في العصر السابق للبعثة ، والذي سبق الحديث عنه ، وقد كان هذا الاختلاف يرجع إلى عملية التغير الزماني ذاتها ، فالإعداد في العصر السابق للبعثة إنما كان الهدف منه ـ كما رأينا ـ عملية إثارة انتباه المجتمع المكي حول شخص محمد ﷺ منذ نشأته ، وبيان أنه ليس فرداً عادياً ، وأنه متميز منذ صباه عن أقرانه وعن سائر أفراد المجتمع الذي نشأ فيه ، وترعرع وسطه.

أما عملية إعداد النبي ﷺ للإعلام بالدعوة في بداية البعثة ، فقد كانت تختلف عن مجرد إثارة الانتباه إلى شخصه ، وإنما تعدت ذلك إلى نوعين من الإعداد ، كل منهما يكمل الآخر ، أما النوع الأول فهو إعداد البيئة المناسبة والمناخ الملائم من حيث الزمان والمكان ، حتى تصبح البيئة مناسبة ومهيأة لأن يقوم النبي ﷺ بممارسة الإعلام بدين الله عز وجل

ورسالته ، وأما النوع الثاني من عملية الإعداد في بداية البعثة ؛ فهو إعداد شخص النبي ﷺ لتحمل أعباء الإعلام برسالة الله تعالى ، وهذا الإعداد في هذه المرحلة مبني في ذاته على الإعداد السابق الحديث عنه ، وهو الإعداد قبل البعثة ، وما اتصف به من صفات ميزته عن غيره من أفراد المجتمع المكي ، ولفتت إليه أنظار هذا المجتمع ، وجعلته مثار إعجاب وإكبار الكبير والصغير والحر والعبد في هذا المجتمع .

وتفيد دراسة هذه النواحي من حيث إعداد الإعلامي ، وإعداد المجتمع الذي يمارس فيه رسالته الإعلامية ، تفيد في بيان أن الإعلام ليس بالشيء الذي يمارس هباءً ، أو بطريقة عشوائية ، وإنما يجب أن يرتكز على دراسات واعية ومستنيرة للمجتمع والجمهور ، ويجب أن تتمَّ عملية إعداد وافية ومدروسة للقائم بالإعلام ، حتى يستحق الإعلام بعد ذلك أن يوصف بأنه إعلام إسلامي ، بمعنى أن الإسلام قد علّم كيفية إعداد الإعلامي وتعليمه طرق الإعلام وكيفيته ووسائله وأساليبه ، كما علّم كيفية دراسة المجتمع ، وإعداده لتلقي الجهد الإعلامي حتى يكون مؤشراً ومثيراً للاستجابة ، فالمجتمع إذا ما فوجئ برسالة إعلامية دون أن يكون قد تمت تهيئته لتلك الرسالة ، فإنها تلقى الإعراض من جانب أفراد المجتمع قاطبة ولو كانت تلك الرسالة فيها فائدته وإنقاذه من الهلاك ، وسوف نرى أن عملية إعداد المجتمع المكي لتلقي الرسالة أدت إلى إيمان بعض الأفراد برسالة محمد ﷺ لأول وهلة ، هؤلاء الأفراد وإن كانوا قلة من الرجال النساء والصبية والأحرار والعبيد ؛ إلا أنهم كانوا الإعلاميين الأوائل الذين ساندوا النبي ﷺ وقاموا معه بجهد الإعلام برسالة الله عز وجل ، كما أن هذا الإعداد أدى إلى أن المقاومين للرسالة التي كان يدعو إليها محمدٌ ﷺ كانوا يعلمون على الأقل بينهم وبين أنفسهم من ناحية وبينهم وبين بعضهم من ناحية أخرى مدى كذبهم ، ومدى صدق محمد ﷺ ومدى صحة إعلامه ورسالته .

وسنتعرض لكل من هذين النوعين من الإعداد بشيء من التفصيل لبيان

مدى إفادة ذلك ، وللوقوف على أهميته ، حتى نستفيد منه في عملية إعداد رجال الإعلام الإسلامي في العصر الحديث .

ـ ١ ـ تهيئة البيئة المناسبة والمناخ الملائم :

حدثت في المجتمع المكي قبل الإسلام ـ والمسمى بالعصر الجاهلي ـ بعض الإرهاصات التي كانت تشير إلى أن تغيراً ما على وشك الحدوث في هذا المجتمع ، فمع أن هذا المجتمع كان يضج بالفوضى ، ويمتلئ بأحداث الغزو والسلب والنهب ، والرقيق والنساء والخمر ، إلا أن أشخاصاً قد برزوا في هذا الوقت السابق قليلاً لبعثة النبي ﷺ والمصاحب له، وقد أنذروا بأن هذا عصر نبي قد أظلَّ زمانه ، وبأن هذه العقائد التي يدينون بها إنما هي باطلة ، وبأن آلهتهم هذه لا تضر ولا تنفع .

والعجيب أن هؤلاء الأشخاص الذين أنذروا بذلك لم يكونوا من المهملين في قومهم ، وإنما كانوا من أهل المجد أو من أهل الكهانة ، ومعروف أن هذا المجتمع كان يقيم للكهانة وزناً يحيطها بما له من القدسية والمهابة والعظمة ، كما كان بعض هؤلاء الأشخاص أيضاً من أهل الكتاب سواء من اليهود ، أو من النصارى ، وقد كان العرب يعلمون أن أهل هذه الكتب هؤلاء لديهم علم من علوم الأولين ليس لغيرهم ، فكانوا يقفون أمام كلامهم احتراماً ومهابة ، ولا يسفِّهون شيئاً منه .

وقد رأينا من قبل ما كان من بحيرى ـ الراهب ـ ، الذي كان على طريق الشام وما أخبر به عن محمد ﷺ ، ورأينا ما كان من غيره أيضاً من أهل الكتاب ، كما تعرفنا لبعض ما ذكره ورقة بن نوفل .

وقد كانت هذه الإرهاصات محلها إعداد المجتمع المكي لتلقي هذه الرسالة التي سيحملها إليه محمد ﷺ ، وحتى لا تكون مفاجأة غير متوقعة له ، أو بغير سابق إنذار ، فهذه النُّذر قد سبقت وتكررت منذ سنوات قبل البعثة وحتى بدايتها وبداية عصرها الزاهر .

كان أول هذه الإرهاصات التي بدأت تأخذ دورها في إعداد البيئة

الملائمة للإعلام النبوي ، ما حدث من هواتف الجن تنبئ الكُهَّان بأن تغيراً ما حدث في هذا الزمان ، وأن هذا زمان نبي يبعث ، وقد حددت هذه الهواتف صفات هذا النبي وزمانه ومكانه ، وقد أخبر هؤلاء الكُهَّان المجتمع المكي بذلك ، مما أدى إلى الترقب والانتظار لذلك النبي ورسالته.

(قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث: أنَّ أول العرب فَزِع للرمي بالنجوم حين رُمي بها هذا الحي من ثقيف ، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية ، أحد بني عِلاج ، وكان أدهى العرب ، وأنكرها رأياً ، فقالوا له: يا عمرو! ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يُرمى بها ، فهو والله طي الدنيا ، وهلاك هذا الخلق ، وإن كانت نجوماً غيرها ، وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق ؛ فما هو؟.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سَهْم ـ يقال لها: الغَيْطَلة ـ كانت كاهنة في الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلة من الليالي فأنْقَضَ تحتها ، ثم قال: أَدْرِ ما أدْرِ ، يوم عَقْر ونَحْر. فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ، ثم جاءها ليلة أخرى فأنْقَضَ تحتها ثم قال: شُعوبٌ ما شُعوبْ؟ تُصْرَع فيه كَعْبٌ لِجُنوب ، فلما بلغ ذلك قريشاً ، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشِّعب ، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبته.

قال ابن إسحاق: وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جَنْباً ـ بطن من بطون اليمن ـ كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، قالت له جَنْبٌ: انظر لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسهُ إلى السماء طويلاً، ثم جعل ينزو.. ثم قال: أيها الناس، إن

الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهّر قلبه وحشاه ، ومُكْثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء)[1] .

وقد تعددت هذه الإرهاصات التي كانت بمثابة الإعداد للمجتمع المكي في كثير من الأماكن مُهيِّئة هذه البيئة لظهور رسول الله ﷺ ، ومنها على سبيل المثال ما رواه سواد بن قارب الدوسي ، والذي كان كاهناً في الجاهلية وأسلم ، وروي ذلك في خبر مشهور ، ملخصه أنه (بينما عمر بن الخطاب جالس في مسجد رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل من العرب ـ هو سواد بن قارب الدوسي ـ يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضي الله عنه ، قال: إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد ، ولقد كان كاهناً في الجاهلية ، فسلم عليه الرجل ثم جلس. فقال له عمر: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ، قال له: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خِلت فيَّ ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وُلّيت ما وليت.

فقال عمر: اللهم غفراً ، قد كنا في جاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام.

قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهناً في الجاهلية.

قال: فأخبرني ما جاءك به صاحبك؟

قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه ـ أي دونه ـ فقال: ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عبد الله بن كعب: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه. إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قط أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعِه ،

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق محمد فهمي السرجاني، الجزء الأول: ص ١٦٧.

يقول: يا ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح بلسان فصيح ، يقول: لا إله إلا الله ، وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر:

عجبت للجن وإبلاسها وشدها العيسَ بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكُهَّان من العرب)[1].

ولم تك تلك الإرهاصات التي حدثت لإعداد البيئة المكية لتلقى دعوة محمد ﷺ والتمهيد لها قاصرة على إخبار الجن والكُهَّان ، فقد أخبر بذلك أهل الكتب السماوية من اليهود ، والذين كانوا على علم بالكتب السابقة ، والذين كان لهم اعتبارهم واحترامهم عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام ، وقد أخبر الكثيرون من هؤلاء بأن زمان نبي آخر الزمان قد أظل ، وأن شمسه قد طلعت ، وبشروا به ، وأخبروا بصفاته وزمانه ومكانه ونسبه ، وما يدعو إليه ، حتى أصبح ذلك واضحاً للعرب ، وأصبح المجتمع كله بيئة ممهدة لذلك ، ومن أمثلة ذلك ما أخبر به أحد أحبار يهود بني قريظة ، وكان سبباً في إسلام بعض الصحابة الذين سمعوه ، وعاشوا معه ، وعرفوا منه صفات النبي ﷺ.

(قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة ، قال: قال لي: هل تدري عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد نفر من بني هَدْل ، أخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام ؟ قال: قلت: لا. قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام ، يقال له: ابن الهَيَّبان ، قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط علينا المطر ، قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستَسْقِ لنا ، فيقول: لا والله ، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة ،

(١) البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، ابن كثير: ص ٣٠٧ ، ٣٠٨.

فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر ، أو مُدَّين من شعير ، قال: فَنُخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا ، فيستسقي الله لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمر السحابة ونُسْقَى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ، قال: ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت ، قال: يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير ، إلى أرض البؤس والجوع؟ .

قال: قلنا: إنك أعلم ، قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوَكَّف ـ أي أنتظر ـ خروج نبي قد أظلّ زمانه ، وهذه البلدة مُهاجَرُه ، فكنت أرجو أن يبعث ، فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه فلا تسبقنّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قريظة ، والله إنه للنبي الذي كان عَهِدَ إليكم فيه ابن الهيبان ، قالوا: ليس به ، قالوا: بلى والله ، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم. قال ابن إسحاق: فهذا مما بلغنا عن أخبار يهود)[1] .

وكانت العلاقات الدالة على ظهور النبي ﷺ والبشارة به في المجتمع المكي قد ظهرت منذ عبد المطلب ، حيث بشَّرته به كاهنة قريش لما قصّ عليها رؤيا رآها (قال عبد المطلب للكاهنة لما قالت له: ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء؟ فقال لها عبد المطلب: إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخفى وساعة تزهر ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها أخَّرهم شاب لم أرَ قط أحسن

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، الجزء الأول: ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً فمنعني الشاب ، فقلت: لمن النصيب؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها ، فانتبهت مذعوراً فزعاً ، فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، ويدين له الناس)[1].

وقد أخبر بعض أهل العلم بالكتب أيضاً عن عبد المطلب بمثل هذه البشرى ، ولكن بصورة أوضح حيث ذكر له سيف بن ذي يزن الحميري صفة النبي ﷺ واسمه ، ومكان هجرته وما سيلقاه ، وذلك حين قدم عليه عبد المطلب في وفد من قومه مهنئين له بالملك ، وكان ذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنتين ، (أدنى سيف بن ذي يزن عبد المطلب من مجلسه وأخلاه ، وقال: يا عبد المطلب، إني مُفضٍ إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به ، ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك طليعة ، فليكن عندك مطوياً ، حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره ، إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة، فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك، سرَّ وبرَّ، فما هو فداؤك أهل الوبر زمراً بعد زمر؟ قال: إذا ولد بتهامة غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة ، قال عبد المطلب: ـ أبيت اللعن ـ لقد أُبْتَ بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه ، لسألته من بشارته إياي ما ازداد سروراً ، قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد ، واسمه محمد ، يموت أبوه ويكفله جده وعمه ، ولدناه مراراً ، والله والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعزّ بهم أولياؤه ، ويذل بهم أعداؤه ، ويضرب به الناس عن عرض ، ويستبيح بـه كـرائـم الأرض ، يكسـر الأوثـان ويخمـد النيـران ، يعبـد

(١) المرجع السابق: ص ٢١٩ ، ٢٢٠.

الرحمن ويدمر الشيطان ، قوله فصل وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطلب : أيها الملك ، عز جدك وعلا كعبك ، ودام ملكك وطال عمرك ، فهل الملك سار لي بإفصاح ، فقد أوضح لي بعض الإيضاح ، فقال ابن ذي يزن : والبيت ذي الحجب والعلاقات على النقب ، إنك يا عبد المطلب تجده غير كذب . فخرَّ عبد المطلب ساجداً ، فقال : ارفع رأسك يثلج صدرك ويَعْلُ أمرك فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ، فقال : أيها الملك ، كان لي ابن ، وكنت به معجباً وعليه رفيقاً ، زوجته كريمة من كرائم قومه ، آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه ، قال ابن ذي يزن : أنا الذي قلت لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة ، فيطلبون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل فهم فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورَجْلي حتى أصير بيثرب دار مملكته ، فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن بيثرب استحكام أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قبره ، ولولا أني أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ، ولأوطأت أسنان العرب عقبه ، ولكني صارف إليك ذلك عن غير تقصير بمن معك)[1] .

وقد كانت نتيجة لكثرة تردد هذه البشارات ، أن أصبح المجتمع المكي كله معداً لاستقبال ذلك النبي ومهيئاً له ، ومن ذلك أن بعض من علموا كانوا يسمون أولادهم باسم محمد ، أملاً في أن يكون النبي المنتظر .

(سئل محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن قثعم بن سعد : كيف أسماك أبوك محمداً؟ .

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، الجزء الثاني : ص ٢١٧ .

فقال: سألت أبي عما سألتني عنه فقال: خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا منهم، وسفيان بن مجاشع بن دارم، وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد، ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان، فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات، فتحدثنا فسمع كلامنا راهب، فأشرف علينا، فقال: إن هذه لغة ما هي بلغة هذه البلاد، فقلنا: نعم! نحن قوم من مضر، قال: من أي المضريين؟ قلنا: من خندف، قال: أما إنه سيبعث وشيكاً نبي خاتم النبيين، فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا، فقلنا: ما اسمه؟ قال: اسمه محمد، فرجعنا من عند ابن جفنة، فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً، يعني أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبي المبشر به ولده)[1].

وقد كانت مثل هذه العلامات والدلالات سبباً في إسلام كثير من عظماء العرب، وتصديقهم لدعوة النبي محمد ﷺ. مثل عمرو بن مرة الجهني، الذي رأى رؤيا وهو يحج في مكة في الجاهلية، يروي ذلك فيقول: (خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في نومي ـ وأنا بمكة ـ نوراً ساطعاً من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب، وأشعر جهينة، فسمعت صوتاً من بين النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء، ثم أضاء إضاءة أخرىٰ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، وسمعت صوتاً من النور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام، فانتبهت فزعاً فقلت لقومي: والله ليحدثن لهذا الحي من قريش حدث وأخبرتهم بما رأيت، فلما انتهينا إلى بلادنا، جاءني رجل يقال له: أحمد، قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت، فقال: «يا عمرو بن مرة، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله

(١) المرجع السابق: ص ٣٢٩، ٣٣٠.

الجنة ، ومن عصىٰ فله النار فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم» .

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وإن رغم ذلك كثير من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به ، وكان لنا صنم وكان أبي سادناً له ، فقمت إليه وكسرته ، ثم لحقت بالنبي ﷺ وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وإنني ... لآلهة الأحجار أول تارك
وشمرت عن ساق الإزار مهاجراً ... إليك أجوب القفر بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائك[1]

وكان مما زاد في تهيئة المناخ ليكون المجتمع المكي مهيئاً للإعلام النبوي أن كثيرين من المتنسكين من أهل مكة ، والذين كانوا قد تأثروا بمثل هذه العلاقات بدؤوا في طلب الحقيقة ، وساورهم الشك في عبادة الأصنام ، ومن أمثلة هؤلاء قس بن ساعدة الإيادي ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، ونضرب في هذا المجال مثالاً لما حدث لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقد عرضنا من قبل لمواقف ورقة بن نوفل وتبشيره لخديجة بالنبي ﷺ.

خرج زيد بن عمرو بن نفيل يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ؛ حتىٰ بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة ـ أرض مرتفعة ـ من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية ـ فيما يزعمون ـ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال: إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، ويبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية ، فلم يرضَ شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له

---

(١) المرجع السابق: ص ٣٣١.

ذلك الراهب ما قال؛ يريد مكة ، حتىٰ إذا توسط بلاد لخم ، عدوا عليه فقتلوه)[1].

وهذه أمثلة تدل على أن المجتمع المكي قد هيأه الله عز وجل ، وجعل منه بيئة معدة ، ومناخاً مناسباً ، لأن يمارس النبي ﷺ إعلامه بدين الله عز وجل.

٢ ـ الإعداد الشخصي للرسول في بداية البعثة :

أعد الله عز وجل محمداً ﷺ في بداية بعثته بصفات جسمية وروحية، يمكن أن نطلق عليها مجتمعة : الصفات الشخصية، وهذه الصفات كانت من عوامل التحمل ، وتمكين النبي ﷺ من ممارسة الإعلام بدين الله ، وإعلان رسالته ، ذلك أن هذه الرسالة لعظمتها ، وفضلها ومالها من شأن لا يبارى ولا يجارى ، كان لا بد لها من شخصية عظيمة تتحملها ، وهذه الشخصية لا بد من إعدادها إعداداً جيداً ، يتناسب مع قيمة هذه الرسالة ، وعلى مراحل متعددة ، قد رأينا أن الله عز وجل قد نشَّأ نبيه محمداً ﷺ على صفات جميلة ، وخصال حميدة ، وخلق حسن ، يختلف عما كان عليه المجتمع المكي ، ليثير الانتباه إليه كما عرفنا من قبل ، ومع اقتراب وقت القيام بالمهمة الإعلامية ، كان الإعداد الشخصي للنبي ﷺ.

ومن هذه المراحل الخاصة بإعداد المراحل الخاصة بإعداد رسول الله ﷺ ، يجب أن يتعلم رجال الإعلام في العصر الحديث أن الإعلام لا يمارس هباءً ، أو بطريقة عشوائية ، كما أنه ليس جهداً يقوم به أي فرد دون إعداد ، وهذا الإعداد نفسه يجب أن يتناسب مع قيمة وحجم الرسالة التي سوف يقوم بها الإعلامي ، وما لها من شأن ، ذلك أن الدين الإسلامي كله إنما هو التعليم والاستفادة ، وعلى البشر أن يستفيدوا ـ كلٌّ في مجاله ـ من هذا الدين ، ومن سيرة النبي ﷺ وما حدث فيها ، فقد كان في قدرة الله عز وجل أن يجعل نبيه قادراً على ممارسة هذا الإعلام بهذا الدين دون خطوات

---

(١) المرجع السابق: ص ٣١٩ ، ٣٢٠.

الإعداد هذه التي رأيناها ، أي بالفطرة ، ولكن الله تعالىٰ يعلم عباده ويضرب لهم الأمثلة اللازمة لهم في حياتهم بالنبي ﷺ نفسه ، فكما حدث في حادث الهجرة من مكة إلى المدينة أن جعل الله نبيه ينتقل بحذر ، ويختبئ في الغار ، ويركب الناقة ، ويسلك طريقاً غير مألوفٍ ، وكان في قدرة الله تعالىٰ أن ينقله من مكة إلى المدينة في لمح البصر ودون عناء ، كما حدث ليلة الإسراء والمعراج ، ولكن الله عز وجل يربي عباده ويعلمهم الجهاد ، وكيفية الإعداد ، حتى يسيروا على نهج نبيهم ﷺ.

وقد تمثل إعداد النبي ﷺ من أجل القيام بجهد الإعلام بالإسلام ، في أنه حُبب إليه الخلاء ، والتنسك في الغار والانقطاع عن الناس ، وكان أول ما بُدئ به: الرؤيا الصالحة ، بالإضافة إلى أنه كان ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وهذه هي الصفات الشخصية أو الإعداد الشخصي للنبي ﷺ ، وقد حدثت هذه في بداية نزول الوحي أو قبله بوقت قليل ، لتكون مُهيِّئة له لتحمل أعباء الإعلام بالإسلام.

(قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر ، قال: حدثنا الفرج بن فضالة ، قال: حدثنا لقمان بن عامر ، قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام» ، ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره ، فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، يدل هذا على أن بينهما من الأنبياء من بشروا به أيضاً)[1].

وتذكر كتب السيرة أن مبعث رسول الله ﷺ كان وهو في سن الأربعين ، وهذا هو سن اكتمال العقل ونضوجه ، ويعتبر هذا السن أول ما أعد الله به نبيه في فترة بداية الوحي للقيام بجهد الإعلام بالإسلام ، وهو اكتمال العقل ونضجه ، بعد أن عرف في المجتمع المكي بأسره بما عرف به من صفات

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ١/ ٢٣٨.

طوال هذا العمر الماضي له من قِبَل وسط هذا المجتمع وأهله.

(قال ابن هشام: فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالىٰ رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً، وكان الله تعالىٰ قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله تعالىٰ لمحمد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ﴾ أي: ثقل ما حملتكم من عهدي، ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدّوا ذلك إلى من آمن بهم، وصدقهم من أهل هذين الكتابين)[1].

بدأ رسول الله ﷺ يرى علامات النبوة شيئاً فشيئاً، حينما بلغ هذا السن من عمره ـ وهو سن الأربعين ـ الذي نزل عليه الوحي فيه، كما ذكر من قبل، وكانت هذه الأشياء التي يراها واحدة بعد أخرىٰ، هي عوامل الإعداد لتحمل الإعلام بالإسلام بطريقة تدريجية، ومن ذلك على سبيل المثال: (أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته، أبعد حتى تحسر عنه البيوت، ويفضي إلى شعاب مكة، وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت رسول الله ﷺ حوله، وعن يمينه وشماله، وخلفه، فلا يرىٰ إلا الشجر والحجارة.

فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرىٰ ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبْرِيل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحِرَاء في شهر رمضان)[2].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢/ ٣٠٦.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق محمد فهمي السرجاني ١/ ٢٤٠.

وبذلك نرىٰ أن الله عز وجل بدأ في إعداد رسوله ﷺ في بداية فترة البعثة حتى لا يكون ذلك الأمر مفاجأة مذهلة له ، أو شديد الوطأة على نفسه ، ومن هذا الإعداد أيضاً ، أن الله عز وجل حبب إليه الخلاء ، وكثرة التعبد حتى تصفو روحه ونفسه ، وليكون أهلاً لتلقي رسالة الله تعالى والإعلام بها .

(كان رسول الله ﷺ يجاور في حِراء من كل سنة شهراً ، فكان في ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جواره ـ الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالىٰ به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالىٰ فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالىٰ)[1] . غير أن رواية : أنه كان معه أهله الواردة هنا مردود عليها .

وقد جمع كل ذلك من الصفات الجسمية والروحية التي أعد الله عز وجل بها نبيه في بداية فترة نزول الوحي ، حديث البخاري الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت : «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو تعبد الليالي ذوات العدد ـ قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ١/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال: زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الْكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى . . . يا ليتني فيها جَذَعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله: أوَ مُخْرِجيَّ هم؟ قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفَتَرَ الوحي»[1].

وكان مما أعد الله عز وجل به نبيه ﷺ أيضاً لتلك المهمة الإعلامية العظيمة ، أنه كان أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب ، وما كان هذا إلا من عوامل الإعجاز ، في أن الرسالة عظيمة ، وشأنها جليل إذ إن مبلِّغها وحاملها أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فمن أين جاء إذن بها ، لا مصدر لها إلا أنها من عند الله عز وجل.

وقد كانت صفة الأمية هذه للنبي ﷺ مذكورة في كتب السابقين من اليهود والنصارىٰ ، وقد سألوا عنها ضمن الصفات التي سألوا عنها من صفاته ﷺ ، فلما عرفوها عرفوا وأقروا وأعلنوا أنه نبي آخر الزمان ، وقد تكرر هذا في أكثر من موضع، فمنها ما حدث مع هرقل لما سأل أبا سفيان

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤.

عنه. ومنها ما حدث من قصة العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان أيضاً في اليمن، وسألهم أهل الكتاب عن ذلك لما بلغهم خبر ظهور رسول الله ﷺ وهم باليمن.

وقد ذكر هذه القصة ابن كثير في «سيرته» وسنذكرها كمثال على ذلك، وأشير هنا إلى أنه مع أميته إلا أنه كان فصيحاً بليغاً كما سنذكر فيما بعد، وهذا هو المهم في الإعلامي حسن البيان والفصاحة.

(عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال العباس: خرجت في تجارة إلى اليمن في رَكْبٍ منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنفر، ويصنع أبو سفيان يوماً، ويفعل مثل ذلك، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلي غداءك؟ فقلت: نعم، فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إليه الغداء، فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني، فقال: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله، فقلت: أيّ بني أخي! وأيهم على ذلك؟ قال: هو محمد بن عبد الله؟ قلت: قد فعل؟ قال: بلى قد فعل، وأخرج كتاباً باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه: أخبرك أن محمداً قام بالأبطح فقال: «أنا رسول الله أدعوكم إلى الله عز وجل» فقال العباس: قلت: أجده يا أبا حنظلة صادقاً، فقال: مهلاً يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول هذا أبداً، إني أخشى أن يكون عليّ ضير من هذا الحديث يا بني عبد المطلب، وإنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنّة وهنّة. كل واحدة منهما غاية، لناشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟.

قلت: نعم قد سمعت، قال: فهذه والله شؤمتكم، قلت: فَعَلَّها يُمْنَتنا، قال: فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن، ففشا ذلك في مجالس اليمن، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه حبر من أحبار اليهود، فقال له اليهودي: ما هذا الخبر؟

بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صدقوا وأنا عمه.

فقال اليهودي: أخو أبيه؟ قال: نعم! قال: فحدِّثني عنه، قال: لا تسألني ما أحب أن يدَّعي هذا الأمر أبداً، وما أحب أعيبه وغيره خير منه، فرأى اليهودي أنه لا يغمس عليه، ولا يحب أن يعيبه، فقال اليهودي: ليس به بأس على اليهود وتوراة موسى، قال العباس: فناداني الحبر، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر، فقلت للحبر: بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا زعم أنه رسول الله ﷺ وأخبرك أنه عمه وليس بعمه، ولكن ابن عمه، وأنا عمه أخو أبيه.

قال: أخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه، فأقبل على أبي سفيان، فقال: صدق؟ قال: نعم صدق؟ فقلت: سلني فإن كذبتُ فليردَّ عليَّ، فأقبل عليّ، فقال: نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قلت: لا، وإلهِ عبد المطلب، ولا كذب ولاخان، وإنه كان اسمه عند قريش الأمين، قال: فهل كتب بيده؟ قال العباس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده، فأردت أن أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان يكذِّبني ويردُّ عليَّ، فقلت: لا يكتب، فوثب الحبر، ونزع رداءه، وقال: ذُبحت يهود، وقُتلت يهود.

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا، قال أبو سفيان: يا أبا الفضل! إن اليهود تفزع من ابن أخيك، قلت: قد رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقاً؛ كنت قد سبقت وإن كان باطلاً؛ فمعك غيرك من أكفائك؟ قال: لا أؤمن حتى أرىٰ الخيل في كداء، قلت: ما تقول؟ قال: كلمة جاءت على فمي؛ إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء، قال العباس: فلما استفتح رسول الله ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل وقد

طلعت من كداء ، قلت: يا أبا سفيان، تذكر الكلمة؟ قال: إي والله إني لذاكرها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام)[1].

وكان من عوامل إعداد رسول الله ﷺ لأن يكون إعلامياً قديراً أنه لم يكن من طلاب الرياسة ، ولا من محبي الزعامة ولا القيادة السياسية ، فلم يشتهر بذلك في المجتمع المكي ولم يعرف به ، وإنما اشتهر بما سبق الحديث عنه من صفات اجتماعية نبيلة تؤهله لأن يكون معروفاً ، متفرداً في مثل هذه الصفات الجميلة ، مسموع الكلمة ، لين الجانب ، محبوباً لدى الجميع ، من صغير إلى كبير ، ومن غني إلى فقير ، ومن حر إلى عبد.

(فمع أن النبي ﷺ كان من بطن ذي مكانة محترمة ، وعصبية عزيزة ، إلا أنه لم يكن من الزعماء البارزين في بيئته ، ولم يكن من الزعماء السياسيين الذين تولوا أحد المناصب السياسية لدولة مكة ، وكان هذا من أسباب وقوف زعماء قريش منه موقف الاستكبار والأنفة ، ترفعاً عن اتباع شخص ليست له زعامة توجب الطاعة ، وتبرر الاتباع ، حيث كان للزعامة أثر ودور قويان في بيئة النبي ﷺ وعصره قبل البعثة ، ولذلك قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2].

ومع أن النبي ﷺ كان يُعْرَف بكرم الخلق ورجاحة العقل ، وكان مشهوراً عند أهل مكة كلهم بالصادق الأمين ، إلا أنه لم يكن بارزاً قبل البعثة في مجال الزعامة بروزاً يلفت النظر كأبي سفيان بن حرب وأبي جهل وغيرهما من زعماء مكة وحكامها ، وكان هذا مما جعل القرشيين يحنقون عليه وخاصة زعماؤهم ، ويعجبون لعدم نزول القرآن على عظيم من عظماء مكة أو الطائف ، واختصاص النبي ﷺ بهذا الشرف الرباني دونهم).

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ١/ ٦ ، ٧.

(٢) الزخرف: ٣١. «من القريتين»: من إحدى القريتين مكة والطائف.

ورجل الإعلام في حقيقة الأمر لا يحتاج إلى أن يكون زعيماً سياسياً ، أو صاحب سلطة وقوة وسطوة حتى يطاع ، وإنما يحتاج لأن يكون محبوباً لدى المستقبِل لرسالته الإعلامية .

وبقدر الحب المتبادل بين رجل الإعلام وجمهوره بقدر ما يكون قادراً على تفهم هذا الجمهور ، وبقدر ما يكون الجمهور بدوره متفهماً للرسالة الإعلامية ومحباً لها ، وهذا يؤدي إلى حسن الإرسال ، وحسن صياغة الرسالة الإعلامية ، وحسن اختيار الوسيلة المناسبة للجمهور ، وحسن استقبال الجمهور لهذه الرسالة أيضاً ، مما ينتج عنه التأثر بالرسالة من جانب الجمهور المستقبل ، وبالتالي تحدث الاستجابة ورد الفعل الذي يكمل الدائرة الاتصالية الإعلامية ، ويدفع عجلتها إلى الدوران المستمر .

فلو كان رسول الله ﷺ صاحب زعامة سياسية في مكة ، أو حتى قد عُرف بحبه للرياسة أو السلطة ، لظن الناس في ذلك المجتمع أنه ينشد المجد والزعامة والرياسة ، وأنه يزعم الرسالة من أجل الملك أو الرياسة ، أما كونه لم يكن معروفاً بذلك مع كونه ابن سادة قريش وأصحاب المجد والشرف والزعامة فيها ، فهذا كان مثار العجب ، وكان علامة تعجب واضحة اندهش لها المجتمع المكي كله ، وأدت هذه الدهشة إلى أن يتساءل بعضُهم ، ويفكر آخرون ، ويؤمن طائفة منهم برسالته ، وأيضاً يقف بعضهم الآخر موقف المحايد من الدعوة وصاحبها ، وما يبثه من رسائل إعلامية بهذا الدين ، قد تحفَّظ الكثيرون إزاءها كما سنرىٰ فيما بعد .

وقد ظن بعض أهل مكة أن محمداً ﷺ إنما ينشد بدعوته هذه الشرف ويطلب الرياسة والزعامة ، فعرضوا ذلك عليه ، لكنه ﷺ أعرض ، وبين لهم أن هذه ليست مطلبه ، فاتجهوا إلى طلب الطب له ، ثم واجهوه بالحرب علانية ، ولكنه صاحب رسالة حق لا يهمه حرب ، ولا تغريه زعامة .

ويدلنا هذا على أن رجل الإعلام لا يقف في مكانه الإعلامي عن طريق القوة أو السلطة ، وليست هذه من مؤهلاته ، وإنما مؤهلاته هي صفات أخرى كحسن الخلق ولين الجانب والفصاحة والصدق والأمانة والوقوف إلى جانب قضية الحق ، مع كونه لين الجانب حلو الحديث .

وقد رأينا أن الله عز وجل قد أعد نبيه محمداً ﷺ بهذه الصفات وأكثر منها قبل بعثته ، وزاد عليها أنه كان ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب مع كونه فصيحاً حسن البيان ، حلو الحديث ، وكان هذا من المؤهلات العظيمة له ﷺ كرجل إعلام بدين الله عز وجل ، فقد كانت أحاديثه ولا زالت كلمات مضيئة يعجز أصحاب الألسنة والبيان عن مجاراتها أو محاكاتها ، لا في عصره ، ولا في غير عصره ﷺ ، وقد عجب أصحابه من ذلك ، فسألوه فقال ﷺ: (أنا أعربكم ، أنا من قريش ، واسترْضِعْتُ في بني سعد بن بكر)[1] .

وهكذا نرى أن النبي ﷺ كان أمياً ، لكنه كان في فصاحته وعروبته وبلاغته وحسن منطقه وبيانه إعلامياً قديراً ، (فلعل حكمة الله قضت أن تحمل هذه الرسالة الإنسانية إلى الناس جميعاً شخصية لم يدخل على فطرتها الصافية إلا تعليم ربها ، كما تستطيع أن تحمل رسالة الإنسانية السمحة نقية صافية من كل شائبة من تعليم الناس وقيم الأرض ، لتلتقي مع الفطرة الإنسانية)[2] .

وإلى جانب هذا الإعداد وهذه الصفات الإلهية للرسول الكريم ﷺ ؛ التي أعده الله عز وجل بها ، وزوده إياها ، كان إعداد البيئة والمجتمع ، وتهيئة المناخ المناسب ، الذي يحتوي على جمهور المستقبلين للرسالة .

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ١/ ١٧٨ .

(٢) شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم ، محمد علي الهاشمي ، الطبعة الثالثة : ص ٢٤ .

كل هذه العوامل كانت خير إعداد لرسول الله ﷺ ليكون إعلامياً قديراً لدين الله عز وجل ،وليتعلم المسلمون كيفية إعداد رجل الإعلام الإسلامي ، وقد أدى ذلك إلى أن يقوم الرسول ﷺ بالجهد الإعلامي بالرسالة الإسلامية ، كأفضل من أي إعلامي على وجه الأرض[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: الجوانب الإعلامية في حياة الرسول ، عبد الوهاب كحيل: ص ٤٤ ـ ٨٦.

obeikandl.com

المبحث الثاني
رسول الله ﷺ ودوافع الإعلام في مكة

أولاً: الرسول يمارس الإعلام سراً في مكة:

بدأ النبي ﷺ الإعلام بدعوة الحق ؛ بعد أن اطمأن قلبه إلى أن ما يأتيه من الوحي إنما هو خبر السماء ، وبعد أن أيقن أنه مأمور بإبلاغ تلك الرسالة العظيمة ـ في ذاتها وفي غايتها ـ إلى الناس كافة إلى يوم القيامة.

ولكن كيف يكون ذلك؟ إنه مأمور بالإبلاغ ، نعم وللبشرية بأكملها على امتداد الزمان واتساع المكان ، ولكن القضية التي واجهته في بداية الأمر ، هي كيفية البدء بأمر الإبلاغ ، خاصة وأن المجتمع المكي كان كما عرفنا من قبل ، له معتقدات وعادات وتقاليد ، وكان مليئاً بالزعماء والزعامات ، فكيف يبدأ بالإعلام برسالة ربه في هذا المجتمع بما فيه ، وإلى من فيه؟

استعان النبي ﷺ بالصفات والمؤهلات التي أعده الله عز وجل بها والتي سبق الحديث عنها ، فاستعمل حسن خلقه وفصاحته وحسن بيانه ، وتسلح بالصفات النفسية والروحية والشخصية التي أعده الله تعالى بها ، وبدأ الإعلام برسالة ربه سبحانه وتعالىٰ.

اختار النبي ﷺ أن يبدأ الإعلام برسالته سراً ، حتى يكون ذلك أكثر فائدة من عدة وجوه:

أولها: أن يتعود النبي ﷺ ذاتُه طُرقَ الإعلام إلى أفراد هذا المجتمع ،

فقد كانت فترة الممارسة السرية للإعلام بالرسالة ، فترة تدريب عملي على ممارسة الإعلام إلى بعض الشخصيات المكية .

ثانيها: أن تزيد من حماس النبي ﷺ، فالمعروف أن وقوف المرسل على رد الفعل لرسالته يؤدي إلى الاستمرار في إرسال رسائله الإعلامية ، ويدفع بعجلة الاتصال إلى استمرار الدوران ، فإذا وقف الإعلامي على رد فعل عارَضَ بعض توقعاته ، أدى ذلك به إلى إعادة النظر في أسلوب رسالته أو في الوسيلة التي تم استخدامها لإبلاغ رسالته ، أو في التوقيت المناسب للإعلام بالرسالة ونحو ذلك ، وإذا وقف الإعلامي على رد فعل اتفق مع توقعاته أدى ذلك إلى زيادة حماسه ، وزيادة رسائله الإعلامية ، وتعددها ، وتنوعها .

كما أن معنى نجاح رسائله الإعلامية أنها أثرت في المستقبلين لها ، وبالتالي أدت إلى استجابتهم .

وهذا معناه كسب بعض الأنصار لدعوته ، وهؤلاء بدورهم يمكن أن يصبحوا رجال إعلام جدد إلى جانبه ، ينشرون دعوته في أماكن أكثر اتساعاً ، وإلى عدد أكثر من الأفراد ، كما أنهم يشدون من أزره ويساندونه ، ويقفون إلى جواره ، يتبادل معهم الرأي ، ويتشاور في الأمور المهمة .

وهذا ما حدث مع النبي ﷺ في بداية الإعلام لرسالته ، ومما يدل على أنه رجل إعلام قدير مارس الإعلام بصورة عملية علمية ، ورسم أسسها وقواعدها وأصولها لكل إعلامي من بعده .

ومما يدل على صحة هذا الاتجاه في ممارسة الإعلام أن موسى عليه السلام، طلب من ربه عز وجل أن يعطيه بعض الصفات التي تعينه على إبلاغ دعوته ، كما طلب أيضاً من ربه أن يعينه بأخيه ليكون معيناً له وشريكاً في الرأي ، قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾

إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[1].

وبذلك كانت بداية الإعلام الذي مارسه رسول الله ﷺ في المرحلة السرية.

(فحينما أمر الله تعالى سيد الدعاة ﷺ بالتبليغ والإنذار، اقتضت حكمته أن يلهمه التزام السرية في دعوته، وأن يبدأ بها أقرب الناس إليه، فأخذ ﷺ يُسِرُّ بأمره إلى من يطمئن إليهم من أهله، فكانت السيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمن به من النساء، وتبعها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في العاشرة من عمره، فكان أول من آمن به من الصبيان، ثم زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ، فكان أول من آمن به من الموالي، وبذلك انتهى سيد الدعاة ﷺ من تبليغ الدعوة لأهل بيته، وأكرمه الله تعالى بهدايتهم جميعاً).

ومن الصعوبة بمكان تحديد طول فترة المرحلة التي مارس فيها النبي ﷺ الإعلام سراً، فلا خلاف ولاجدال حول أنها بدأت مع بداية نزول الوحي على النبي ﷺ، والأمر إليه بإبلاغ أمته، ولكن حتى متى استمرت المرحلة السرية، ومتى بدأ النبي ﷺ يمارس الإعلام بطريقة طبيعية، بالصورة المعلنة أو الجهرية؟.

لقد أجمع معظم المتحدثين في سيرة رسول الله ﷺ على أن الدعوة قد استمرت سرية ثلاثة أعوام، وقد عرض الدكتور رؤوف شلبي بحثاً مستفيضاً وقيماً في هذا، ولخص نتيجته بقوله: وإذن فلم يبق ـ على ما وصلت إليه بعون الله ـ إلا الآيات الدالة على الأمر بالتبليغ حسب ورودها ووجودها في السور المتسلسلة باتفاق العلماء، ولعل مما يقوي هذا الضابط الذي أذهب إليه الحديث الشريف الذي أورده شارح «الشفا»:

---

(١) طه: ٢٤ ـ ٣٦.
«طغى»: جاوز الحدَّ في العتو والتجبر. «وزيراً»: معيناً. «أزري»: قوتي.
«أوتيت سؤلك»: أعطيت مطلوبك.

«بعثت إلى الناس كافة ، فإن لم يستجيبوا لي فإلى العرب ، فإن لم يستجيبوا لي فإلى بني هاشم ، وإن لم يستجيبوا لي فإليّ وحدي».

ففي الحديث خمس دعوات ، واحدة للناس كافة ، وواحدة للعرب ، وواحدة لقريش ، وواحدة لبني هاشم ، وواحدة لذاته الشريفة ، فإذا استثنينا الدعوة الأخيرة ـ لأن الله تعالى فتح به لدينه في كل صوب وحدب ـ تعين أربع دعوات: للناس كافة وللعرب ولقريش ولبني هاشم ، فإذا ما تتبعنا أحداث التاريخ وجدنا قريشاً وبني هاشم قد أدخلهما النبي ﷺ في عشيرته الأقربين يوم أن صعد على الصفا ، وجعل ينادي:

«يا معشر قريش ـ أوكلمة نحوها ـ اشتروا لأنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً».

قال ابن حجر في شرح الحديث: دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فعمّ وخصّ فقال: «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر كعب كذلك يا معشر بني هاشم كذلك ، يا معشر بني عبد المطلب كذلك» ، وقد ذكر صاحب «السيرة الحلبية»: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل.

فكان ذلك عوناً لي أن أجعل قريشاً وبني هاشم ـ المذكورين في الحديث السابق ـ مرحلة واحدة داخلة ضمن قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وعلى هذا فأطوار الدعوة في مكة زمنياً اثنان:

١ ـ الدعوة وهي في ظل العمل السري ومدتها ثلاثة أعوام.

٢ ـ الدعوة وهي في ظل العمل الجهري ومدتها عشرة أعوام.

ومراحل تبليغها أربع:

١ ـ مرحلة واحدة في دور العمل السري ، وهي مرحلة إعداد القيادة ،

وثلاث مراحل بعد قوله تعالىٰ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] وهي:

٢ ـ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2].

٣ ـ ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3].

٤ ـ ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[4].

وهذا الرأي السابق في هذا التقسيم هو رأي الدكتور رؤوف شلبي، وهو يتفق مع التسلسل المنطقي لأمر الله عز وجل لنبيه بالإعلام لرسالته، وإن كان يتحدث عن رسالة النبي ﷺ بلفظ الدعوة، إلا أنه من الأفضل أن نتحدث عنها بلفظ الإعلام لأنه أشمل وأعم، ورسالة النبي ﷺ من صفاتها الشمولية والعموم، لسعة انتشارها وطول امتدادها، لأنها آخر رسالة من الله عز وجل إلى البشر.

ويتفق ابن هشام مع هذا الرأي حيث يذكر أن النبي ﷺ أسرَّ بدعوته ثلاث سنين يقول: (وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالىٰ بإظهار دينه ثلاث سنين ـ فيما بلغني ـ من مبعثه.

ثم قال الله تعالى له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ ـ في هذه الفترة السرية ـ إذا صلوا، ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم)[5].

وقد كان النبي ﷺ يمارس الإعلام برسالة الله عز وجل سراً في مكة في بداية الأمر، تمشياً مع الظروف الزمانية والمكانية المحيطة به وبالذين آمنوا

---

(١) الحجر: ٩٤.
(٢) الشعراء: ٢١٤.
(٣) الشورى: ٧.
(٤) إبراهيم: ١.
(٥) ابن هشام: تحقيق محمد فهمي السرجاني: ١/ ٢٦٥.

معه ، وقد اتخذوا من دار الأرقم بن أبي الأرقم مقراً لهم ، وبذلك كانت دار الأرقم أول مؤسسة إعلامية إسلامية انتشرت منها رسائل الهداية للبشرية إلى كل مكان ، وتعلم فيها الجيل الأول من الإعلاميين على يد رسول الله ﷺ وتربى فيها الجيل الأول من القادة، فتعلموا فيها ما هي الرسالة، وآمنوا بها، وتعمق إيمانهم، وبدؤوا العمل الإعلامي برسالة الله ولها، وبالطريقة السرية أيضاً حتى أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ بأن يمارس الإعلام جهراً في مكة.

وكان أول من أسلم وآمن برسول الله ﷺ وبرسالته آل بيته وهم خديجة وعلي بن أبي طالب الذي تربى في بيئته ، ومولاه زيد بن حارثة ، وكان بعدهم مباشرة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي إسلامه يقول النبي ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عَكَمَ حين ذكرته ، ولا تردد فيه»[1].

وهناك فارق بين قيام النبي ﷺ بالإعلام برسالة الله عز وجل في المرحلة السرية ، وبين علم أهل مكة بما يدعو إليه محمد من عيب دينهم ، وسبّ آلهتهم.

فليس المقصود بالمرحلة السرية أن الدعوة ذاتها لم تكن معروفة لدى المجتمع المكي وأهله ، ولكن المقصود بالممارسة السرية في هذه السنوات الثلاث هي عملية شرح الرسالة وأهدافها ، وقد كان النبي ﷺ يمارس هذا الجهد الإعلامي بطريقة سرية في بداية الأمر ، وخلال هذه السنوات الثلاث من بداية بعثته مع من يتوسم فيهم الخير ، وفي قلوبهم الرحمة ، ومع من يراهم منكرين لبعض تقاليد وطقوس المجتمع المكي ، فقد مارس هذا الجهد مع أبي بكر على سبيل المثال ، وقد كان أبو بكر من المعروفين في المجتمع المكي بعدم معاقرتهم للخمور ولا للنساء وكراهيتهم للأصنام.

وقد كانت هذه المرحلة من مراحل الإعلام التي مارسها رسول الله ﷺ

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣/ ٢٧. وقوله ﷺ: «ما عَكَمَ» أي: ما تأخَّرَ، «لسان العرب»، لابن منظور: (عكم).

حتى تقوى دعوته ، ويتزايد عدد المؤمنين برسالته فيمكنهم الاستمرار ، ومع ذلك لم يخلُ الأمر من تعذيب هؤلاء ، فقد كان أهل مكة يتتبعون أخبار محمد والمؤمنين برسالته باهتمام بالغ ، وكانوا يذيقونهم ألوان العذاب طوال هذه السنوات الثلاث ، فقد تعرض أبو بكر وعمر وبلال وأبو ذر للتعذيب الجسدي والنفسي من كفار مكة ، ومع ذلك استمروا مسلمين ورجال إعلام للإسلام من الطراز الأول.

(لقد ارتفع المسلمون الأوائل بدعوة الإسلام إلى أرفع مستوى ، تهون دونه الحياة: نفيسها وجليلها.

لقد كانت غايتهم القصوى هي الله وحده وقائدهم المعصوم هو محمد ﷺ ، لا غيره ، وكان القرآن دستورهم المفدَّى ، ولقد استعذبت أرواح هؤلاء الأوائل رسالة الإسلام ، فمنحوها النفس والنفيس ، وآثروها على كل الوجود ، وسَمَوْا بأنفسهم فوق المجتمع الجاهلي بمادياته ومعنوياته).

وكان من خصائص الإعلام الإسلامي في هذه المرحلة السرية في مكة: أنه نوَّع في الجمهور الذي وُجه إليه ، حيث كان جمهوره الحر والعبد ، والمكي والغفاري والدوسي والجهيني. فأسلم أبو بكر وبلال ، وهم حر وعبد من أهل مكة، وأسلم بعدهم غيرهم، وعلى يديهم أسلم الكثيرون من أهل مكة ، وأسلم الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة الدوس ، وذهب رجلَ إعلام بالإسلام إلى قومه ، وأسلم أبو ذر الغفاري وبعد أن عُذب في مكة ذهب رجلَ إعلام بالإسلام إلى قبيلته بني غفار. وأسلم عمرو بن مرة الجهيني وذهب رجلَ إعلام بالإسلام إلى قومه ، وأسلم عمرو بن عبسة السلمي وأرسله النبي ﷺ إلى قومه.

وهكذا أراد الله عز وجل أن يتنوع الجمهور الذي مارس معه النبي ﷺ الإعلام في هذه المرحلة السرية ، حتى يكتب للإسلام الانتشار والذيوع أكثر إذا ما بدأت المرحلة الجهرية.

(هذه القيادة التي رباها سيدنا محمد ﷺ ، لتتحمل نشر الدعوة الإسلامية

ـ أو جهد الإعلام الإسلامي ـ أريد لها أن تنتشر في ربوع الجزيرة ، والإسلام ما زال في مكة يسير بين الأصفياء المختارين ، حتى إذا ما ظهرت الدعوة جهراً ، وأذن للنبي ﷺ بأن يصدع بها ، كانت القيادة في شتى أنحاء الجزيرة العربية وخارجها أعلام هداية ، تساند وتؤيد وتصدق وتنشر دعوة الله ، فتظهر رقعة العمل للدعوة على مساحة شاسعة مترامية الأطراف ، وقد وجدت في كل ناحية منها داعية يُوثَق بصدقه في رسالته ، ويجاهد بصدق لنشر دعوته ، فتشتعل الجزيرة ساعتئذ بمشاعل من النور والإيمان ، تتلاقى مع صوت الحق الذي يصدع به رسول الله ﷺ في مكة [أم القرى] ومركز الإرشاد لتجميع الإعلاميين برسالة الله عز وجل.

وهنا نجد قيادة الدعوة بعد أن أعدت القادة كمنهج للعمل مع الجماعة ؛ أمرت بعضهم بالتوجه إلى ديارهم يدعون إلى الإسلام ، حتى يسمعوا بظهور النبي ﷺ فيلحقوا به).

وسوف نتعرض لبعض النماذج من قيام المسلمين الأوائل بالجهد الإعلامي برسالة الله عز وجل ؛ في المرحلة التي مارس فيها رسول الله ﷺ الدعوة سراً في مكة ، وهي السنوات الثلاث الأولى من بعثته ﷺ.

وكان من أبرز رجال الإعلام الإسلامي في هذه المرحلة ـ وعلى الدوام ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فما إن أسلم وتفهم الإسلام ، حتى بدأ يمارس الإعلام بدين الله سبحانه وتعالى وله ، فأسلم على يديه كثير من المسلمين الأوائل.

قال الطبري في «تاريخه»: (ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيهم من خير أو شر ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق معروف ، وكان رجال قومه يأتون إليه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه ، وتجاربه ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به

من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا ، فكان هؤلاء الخمسة من الثمانية النفر الذين سبقوا إلى الإسلام ، فصلوا وصدقوا برسول الله ﷺ)[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه شديد الحب لرسول الله ﷺ ، وظل كذلك حتى آخر أيام حياته ، فقد تحمل في مكة العذاب من أجل الرسالة ، وظل ينفق ويبذل في كل موقع حتى قال عنه النبي ﷺ: «إن أمَنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر».

كان أبو بكر يتحمل مؤنة الضيوف الذين يفدون على رسول الله ﷺ ، فقد كانت له ضيافات لا يفعلها أحد ، وعندما سمع قصة أبي ذر الغفاري وأنه بات عدداً من الأيام يعيش على ماء زمزم ، استأذن رسول الله ﷺ في أن يستضيفه عنده ، وقال أبو ذر: [فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، فكان ذلك أول طعام أكلته].

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه بجهد الإعلام لرسالة الله عز وجل في مكة في المرحلة السرية حتى لجموع المشركين في المسجد الحرام ، وكان لإعلامه الأثر الكبير في إسلام بعض السابقين إلىٰ الإسلام ، ولقي في سبيل ذلك الأذى ، مما دفع بعض المشركين إلى التعاطف مع المسلمين حتى من غير أن يدخل هؤلاء المشركون في الإسلام ، وبذلك كان لجهده الإعلامي الأثر في كسب تعاطف الرأي العام ـ أو جزء منه على الأقل ـ في المجتمع المكي للإسلام والمسلمين.

(عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ ، وكان صديقاً له في الجاهلية ، فلقيه فقال: يا أبا القاسم! قدمتُ من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها ، فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله» ، فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق

---

(١) الطبري: ١/ ٣١٧.

أبو بكر فذهب لعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم.

ولما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ، ألحّ أبو بكر رضي الله عنه في الظهور فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضُرِبوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووُطِئَ أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجاء بنو تيم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد ، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا أو قالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك ، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أذهب إلى ابنك ، قالت: نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح ، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم ، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع ، قال:

فلا شيء عليك منها ، قالت: سالم صالح ، قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم ، قال: فإن لله عليّ ألا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ ، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرِّجْلُ وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، فأكبّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله ، وأكبّ عليه المسلمون ، ورقّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة ، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله! ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برّة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار ، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر)[1] .

ومن هذه القصة يتضح مدى انشغال أبي بكر بالجهد الإعلامي للدعوة ، فقد كان أول خطيب في الإسلام يبلّغ الناس هذه الرسالة ، ولاقى الأذى ، ومع ذلك كان لا يشغله إلا السؤال عن رسول الله ﷺ ، ولما لقيه طلب منه أن يدعو أمه للإسلام.

وكان من نتائج جهد أبي بكر الإعلامي للإسلام في هذا اليوم أن تعاطف بنو تيم معه ، وخافوا عليه ، وأخافوا المشركين ، ولعل من نتائج جهد أبي بكر أن أسلم حمزة بن عبد المطلب في هذا اليوم ، وهذا نصر للإسلام والمسلمين.

وكان من الذين قاموا بالجهد الإعلامي في الإسلام من هؤلاء الذين أسلموا في البداية ، ومارسوا ذلك في المرحلة السرية أيضاً بعض أهل القبائل المتباعدة والمتناثرة حول مكة ، أمثال الطفيل بن عمرو الدوسي ، وأبي ذر الغفاري ، وعمرو بن مرة الجهيني ، وعمرو بن عبسة السلمي.

أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي ، وكان من سادة دوس ، ومن المطاعين

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣/ ٣٠ ـ ٣١.

فيها ، وما إن أسلم حتى حَمَّل نفسه مسؤولية الإعلام برسالة الله عز وجل إلى قومه.

حيث طلب ذلك من رسول الله ﷺ ، ورجع إلى قومه يخبرهم ويُعْلمِهم ، ويعلّمهم الإسلام ، وما رأى من رسول الله ﷺ ، وقد حدث الطفيل عن نفسه وما حدث له في ذلك فقال: (قدمت مكة ورسول الله ﷺ بها ، فمشى إليّ رجال من قريش ، فقالوا: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرّق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد أتى علينا ، فلا تكلمه ولا تسمعنّ منه شيئاً ، فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً ـ قطناً ـ فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه ، فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي: واثُكْلَ أمي ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته.

قال الطفيل: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكُرْسُف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً ، فاعرض عليّ أمرك ، فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام ، وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

قال الطفيل: قلت: يا رسول الله! إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع

إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً فيها أدعوهم إليه. فقال: اللهم اجعل لي آية، فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت: اللهم في غير وجهي ، إني أخشى أن يُظَنَّ أنها مُثْلَةٌ وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، فتحول فوقع في رأس سوطي ، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثنية ، حتى جئتهم فأصبحت فيهم ، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً ، فقلت: إليك عني يا أبت ، فلست منك ولست مني! قال: ولمَ يا بنيّ؟! فقلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ ، قال: أي بنيّ ، فديني دينك ، فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت ، فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ، ثم حدث مثل ذلك مع زوجة الطفيل ، حيث أمرها أن تتطهر ، فسألته: أتخشى على الصبية من ذي الشرى ـ صنم دوس ـ شيئاً؟ فقال لها الطفيل: لا ، أنا ضامن لذلك ، فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرض عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعا الطفيل دوساً إلى الإسلام ، فأبطؤوا عليه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ مكة فقال: يا نبي الله! إنه قد غلبني على دوس الزنى ، وهو اللهو مع شغل القلب ، فادع الله عليهم ، فقال النبي ﷺ: «اللهم اهد دوساً! ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم» ، فلم يزل بأرض دوس يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فلحق به ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من دوس ، ورسول الله ﷺ بخيبر ، فأسْهَمَ لهم مع المسلمين)[1].

ويتضح من قصة الطفيل بن عمرو الدوسي هذه: أن كفار قريش أنفسهم قد قاموا بلفت نظر الطفيل إلى محمد ﷺ ورسالته وما يدعو إليه ، فرغم تحذيرهم إلا أن هذا التحذير كان دافعاً للطفيل إلى أن يسمع ويفكر فيما يسمع ، فهو رجل شاعرٌ ولبيب ، ويثق في عقله وفكره ، فكان هذا

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ١/ ٣٦١ ، ٣٦٤.

التحذير مفيداً في أن ينتظر الطفيل حتى ينصرف محمد ﷺ من المسجد إلى بيته فيتبعه حتى يدخل عليه بيته ، وكانت هذه فرصة لأن يسمع الطفيل من محمد ﷺ في هدوء وسكون ، ثم لا تتحرش به قبائل مكة من أعداء محمد ﷺ، وكان هذا من كمال عقل الطفيل ، أن يفعل ذلك ، ثم إن الله عز وجل أبى إلا أن يسمع الطفيل كلام محمد ﷺ ، ورأى الطفيل برجاحة عقله أن هذا من علامات صدق محمد ﷺ ودعوته .

ويطلب الطفيل العودة إلى قومه لإعلامهم بالرسالة التي آمن بها ، وانشرح لها صدره ، ويطلب آية تعينه على ذلك ، ولصدق نيته يعطيه الله الآية ، بل حين طلب تحولها عن وجهه تحوَّلتْ إلى سوطه ، ليكون ذلك من عوامل جذب الانتباه ولفت الأنظار إليه ، ثم يبدأ مهمته الإعلامية بأهل بيته ليكون أكثر إقناعاً وتأثيراً ، فيبدأ بأبيه ثم زوجته ، وهكذا حتى يعود إلى رسول الله ﷺ في مكة فيبلغه بمشقة المهمة وما يلاقيه من عراقيل ، حيث القوم مشغولون باللهو ، فيدعو النبي ﷺ لهم بالهداية ، ويأمره بالعودة وممارسة الإعلام بالدعوة ، والرفق بقومه أثناء ذلك ، ويعود فيفتح الله له ، ويدخل الكثيرون من قومه في الإسلام ، نتيجة لجهده وإخلاصه .

وكان من هؤلاء الأوائل الذين تحملوا عبء الإعلام بالإسلام في مكة وفي قومهم في هذه المرحلة السرية من حياة الدعوة أبو ذر الغفاري رضي الله عنه : (فقد ذكر البيهقي عن أبي ذر رضي لله عنه قال: كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، وروى البخاري أن أبا ذر لما بلغه مبعث رسول الله ﷺ ، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي ، فاعلم لي علم هذا الرجل يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ، ثم ائتني. فانطلق الآخر حتى قدم وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر ، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال: ما شفيتني مما أردت ، فتزود وحمل شَنَّة فيها ماء ، حتى قدم المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ، ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه ، واختلف الرواة في أن أبا ذر مكث ثلاث ليال مكة مستخفياً أو ثلاثين ليلة قبل إسلامه ؛ حتى يمكنه أن يتأكد من

الخبر ويفكر فيه ، ثم قدم على رسول الله ﷺ ، فسمع من قوله وأسلم مكانه ، فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» ، فقال أبو ذر: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه ، فأتى العباس فأكبّ عليه فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ، فأنقذه منهم ، ثم أتى الغد بمثلها فضربوه ، وثاروا إليه ، فأكب العباس إليه.

وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ قال لأبي ذر لما دخل الإسلام: «إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم» ، قال أبو ذر: فانطلقت حتى أتيت أخي أنيساً ، فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني أسلمت وصدّقت ، ثم أتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة وكان يؤمُّهم خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري ، وكان سيدهم يومئذ وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا ، وقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم ، وجاءت قبيلة أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا ـ أي قبيلة غفار ـ نسلم على الذي أسلموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله».

وتوضح قصة إسلام أبي ذر أنه أعمل فكره قبل الدخول في الإسلام ، وتحرى الحقيقة تماماً ، حيث ظل كما تذكر بعض الروايات ثلاثين ليلة بمكة مستخفياً لا طعام له إلا ماء زمزم ، حتى أطعمه أبو بكر من زبيب الطائف فكان أول طعام أكله بمكة ، وهذا لتحريه الدقة واستقصائه الحقيقة ، بعد ذلك أسلم ولم يعد إلى قومه إلا بعد أن جهر بذلك ، فتحمل الأذى بمكة من كفارها حتى أنقذه العباس منهم ، ثم يعود إلى قومه ، ويمارس جهد الإعلام برسالة الله عزوجل ، فيدخل بعضهم الإسلام ، ويؤجل بعضهم ذلك لحين قدوم رسول الله ﷺ المدينة.

ومما يدل على أن أبا ذر لم يكن يطلب سيادة ولامجداً من جراء القيام بهذا الجهد الإعلامي أنَّ الذي كان يؤم المسلمين في قبيلة غفار هو سيدهم يومئذ خفاف بن إيماء.

ومن بركة جهده وإخلاصه لدعوة الله عز وجل وتبليغها أن أسلمت قبيلة غفار كلها ، بل وقبيلة أسلم أيضاً.

وكان من هؤلاء السابقين إلى الإسلام ، والذين أرسلهم النبي ﷺ إعلاميين إلى أقوامهم أيضاً عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه: (ثبت في «صحيح مسلم» من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخفٍ ، فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا نبي». فقلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله» قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم ، قلت: بِمَ أرسلك؟ قال: «بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام ، وتصل الأرحام» قال: قلت: نِعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا؟ قال: «حر وعبد» ـ يعني أبا بكر وبلالاً ، أو هو اسم جنس يعني الأحرار والعبيد مطلقاً ـ.

فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام فأسلمت ، وقلت: فأتبعك يا رسول الله.

قال: «لا ، ولكن الْحَقْ بقومك ، فإذا أُخبرتَ أني قد خرجتُ فاتبعني»[1].

ولما كانت هذه المرحلة من الدعوة تتسم بالسرية ؛ فإن من كان يدخل الإسلام من هؤلاء الوافدين يحسب أنه لم يدخل فيه غير من رآهم ، فقد أخبر أبو ذر مثلاً أنه ربع الإسلام ، وأخبر عمرو بن عبسة أنه ربع الإسلام ، وأخبر سعد بن أبي وقاص أنه ثلث الإسلام ، وكان هذا بحسب علم كل منهم عن عدد المسلمين ، فهم صادقون بحسب علمهم ، ولكن الحقيقة

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣/ ٣١.

تختلف لأن المسلمين الأوائل هم خديحة وعلي وزيد وأبو بكر ، ثم من أسلم على يد أبي بكر في البداية ، وكان هؤلاء الوافدون من حيث العدد.

ومن أولئك الصحابة الذين سبقوا إلى الإسلام ، وحملوا جهد الإعلام برسالة الإسلام عمرو بن مرة الجهني. (روى الطبراني بإسناده عن عمرو بن مرة الجهني ، قال: خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب ، وأشعر جهينة ، فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول: انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة ، وأبيض المدائن ، وسمعت صوتاً من النور وهو يقول: ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فانتبهت فزعاً فقلت لقومي: والله ليحدثن لهذا الحي من قريش حدث. وأخبرتهم بما رأيت ، فلمَّا انتهينا إلى بلادنا جاءني رجل يقال له: أحمد ، قد بعث ، فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال: «يا عمرو بن مرة! أنا النبيُّ المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً ، فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار ، فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم» ، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وإن رَغِمَ ذلك كثير من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به ، وكان لنا صنم ، وكان أبي سادناً له ، فقمت إليه فكسّرته ، ثم لحقت بالنبي ﷺ: وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وإنني ... لآلهة الأحجار أول تارك
وشمرت عن ساق الإزار مهاجراً ... إليك أجوب القفر بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائك

فقال النبي ﷺ: «مرحباً بك يا عمرو بن مرة» ، فقلت: يا رسول الله! ابعثني إلى قومي ، لعل الله يمن عليهم بي كما منّ عليّ بك ، فبعثني إليهم

وقال: «عليك بالرفق والقول السديد، ولا تكن فظاً، ولا متكبراً ولا حسوداً» فذكر أنه أتى قومه، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسول الله ﷺ، ففرح بهم وحيّاهم وكتب لهم كتاباً)[1].

وقد اتبع عمرو بن مرة الجهني دعوة الحق، لما أبلغه بها رسول الله ﷺ، وبدأ تنفيذها بصورة فعلية، فكسّر الصنم الذي كان أبوه سادناً له، والتزم أمر النبي ﷺ بتبليغ الرسالة، وأثناء ممارسته للإعلام بها لقومه؛ قبيلة جهينة، حيث أمره النبي ﷺ بالرفق والقول السديد، وبأن يكون رحيماً متواضعاً غير حسود، فكان من بركة ذلك أن أسلم قومه كلهم إلا رجلاً واحداً.

(هكذا تبدو أهمية القيادة، ورجال الإعلام؛ في أنحاء الجزيرة العربية، وتبدو أهمية مساهمتها في العمل للدعوة الإسلامية، فقد خفف الطفيل بن عمرو الدوسي وأبو ذر الغفاري ـ وأمثالهم ـ عن مركز الإرشاد في مكة أعباء ثقل العمل في تلك الديار، وكانوا رصيداً بشرياً قوياً. وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، فكانوا بذور شجر يترعرع بسرعة، وينمو بقوة في ظلال النبوة الكريمة، عندما أُذن لرسول الله ﷺ بالهجرة ليستبدل منهجاً جديداً بعد أن وضعت لَبِنَة البناء العظيم للأمة الإسلامية في مكة المكرمة.

وهكذا يبدأ التبليغ بإعداد القيادة في مدة ثلاثة أعوام من العمل السري للدعوة، ويتم فيها مواءمة الدعوة مع الطبيعة الإنسانية، فلا يبقى لمعترض حُجَّة، فقد آمن بيت رسول الله ﷺ جميعاً، وآمن صديقه أبو بكر وغلامه زيد، ولم يبق لواحد من بعد ذلك شبهة اعتراض بأن لو كان ما يدعو إليه محمد ﷺ حقاً لكان أولى الناس به زوجه، وغلام بيته، وصديقه، وبذلك فقد اكتمل للدعوة في كل موطن قيادة تعمل وتجاهد في سبيل نشر الإسلام الحنيف، وهي تثق في لحظة الظهور التي وعدهم بها رسول الله ﷺ).

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢/ ٣١٩، ٣٢٠.

وبذلك نرى أن النبي ﷺ ضرب أروع الأمثلة في تاريخ البشرية كلها؛ لما يجب أن يكون عليه رجل الإعلام القدير خاصة في مثل هذه الظروف الصعبة ، وعلَّم رجال الإعلام في كل زمان ومكان كيف يبدؤون العمل الإعلامي ، وتحت أي ظروف ، وفي مواجهة أي مجتمع ، وتجاه أي فكر يقابلهم ، فلا مجتمع أقسى بكل المعايير من المجتمع المكي ، كما رأيناه بمعتقداته ومقدساته وعاداته وتقاليده ، وصلابة الرأي لدى قادته ، وقوة الشكيمة والعزيمة التي كانوا يتصفون بها ، ومع ذلك كله يبدأ رسول الله ﷺ الإعلام برسالته وسط كل هذه الظروف ، معلماً البشرية كلها كيف يكون التخطيط الإعلامي ، وكيف يكون التنفيذ وتحت أي ظروف ، وبأي وسائل متاحة ، وبالأساليب المحببة والمرغبة في الرسالة والرسول وأصحابه .

وقد تعلم المسلمون الأوائل من رسول الله ﷺ ، فمارسوا الإعلام بالرسالة العظيمة كل في موقعه ، وكلٌّ حسب استطاعته ، فمنهم من مارسها في مكة ، ومنهم من مارسها خارج مكة ، ومنهم من مارسها في مكة وخارجها ، وهم يعملون والرسول ﷺ يعمل ، والإعلام بالإسلام يسير في كل هذه المحاور ، ويسلك كل تلك الطرق ، ويتخذ كل الأساليب الممكنة بكل الوسائل المتاحة .

(لقد كان الصف الأول من أصحاب سيد الدعاة ﷺ أروع صورة لما يجب أن يكون عليه رجال الدعوة ، من وحدة في الكلمة ، وإيمان بالهدف ، وطاعة للقيادة ، ولذلك كانوا رغم قلتهم يملكون من القوة الكامنة ما مكَّنهم بعد قليل من الجهر بالدعوة في وجه مجتمع فاسد شديد التعصب لضلالاته ، شديد التعمق بجاهليته ، بل ما مكنهم من التأثير في ذلك المجتمع المضاد لهم ، حتى تغلبوا على عناده ، وأخرجوه عن كفره ، وطهروه من رجسه وآثامه) .

وقبل أن نعرض للحديث عن ممارسة النبي ﷺ للإعلام بالرسالة في

المرحلة الجهرية ، نؤكد مرة أخرى أن مفهوم الدعوة الإسلامية يقترب من مفهوم الإعلام الإسلامي كما رأينا.

(فالدعوة الإسلامية هي الجانب التبشيري بالعقيدة ، وهي تكاد توازي مفهوم الإعلام ، لأن الدعوة هي الإعلام بالإسلام والتعريف به ، وهذا العلم هو فرض الكفاية في الفقه الإسلامي ؛ الذي إذا لم يقم به نفر من المسلمين أثموا جميعاً ، والدعوة جزء من الإعلام الإسلامي ، أو هي الجزء الأيدلوجي (العقائدي) فيه.

علماً بأن الدعوة لا تشتمل على وسائل الإعلام فحسب بل تشتمل على القدوة الحسنة والإجراءات الاقتصادية المشابهة لدعم المؤلفة قلوبهم ، وليس في قولنا: إن الدعوة إلى الإسلام جزء من الإعلام الإسلامي تضخيماً للإعلام الإسلامي أو تصغيراً للدعوة الإسلامية ، ولكن شبيه بهذا الموقف قولنا: إن العلامات العامة تستخدم وسائل الإعلام كافة لتحقيق أهدافها ، إلى جانب الاتصال الشخصي ، والحلول الإدارية ، وتنظيم الحفلات برغم أن علم العلاقات العامة جزء من علم الإعلام ، وأن التخصص في العلاقات العامة فرع من الإعلام وهو الأصل)[1].

ثانياً: الرسول يمارس الإعلام جهراً في مكة:

حينما نبدأ الحديث عن ممارسة النبي ﷺ للإعلام برسالة الله عز وجل بصورة جهرية ، يثور تساؤل: هل بدأت هذه المرحلة بقوله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]؟ أم بقوله عز وجل: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[3]؟.

فالآية الأولى تأمر بإنذار عشيرته الأقربين ، وما سبق من حديث يدلنا على أن أسرته الصغيرة قد استجابت للدعوة وأسلمت ، وهم أهل بيته:

---

(١) المسؤولية الإعلامية في الإسلام، محمد سيد محمد، الطبعة الأولى: ص ٤٥، ٤٦.
(٢) الشعراء: ٢١٤.
(٣) الحجر: ٩٤ ـ ٩٥.

خديجة وعلي ومولاه زيد ، فالأمر إذن في الآية ينصبُّ على عائلته بالمفهوم الأوسع أو الأشمل ، وهم بنو عبد المطلب أو بنو هاشم ، والآية الثانية : تأمر النبي ﷺ بإبلاغ الدعوة إلى الناس أجمعين .

وهناك تسلسل منطقي بين هاتين الدعوتين من الله لنبيه ﷺ ، حسب نزول الآيات .

فالآية الأولى من سورة الشعراء والثانية من سورة الحجر ، والسورة الأولى أسبق من الثانية في النزول ، فكما يتضح من ترتيب السور القرآنية حسب النزول والمدوّن في المصحف الشريف أن سورة الشعراء كان ترتيبها الخامسة والأربعين ، أي نزلت قبلها أربع وأربعون سورة من سور القرآن منها سورة الشعراء بطبيعة الحال ، ولعل الفاصل الزمني بينهما قليل .

وحيث إن الأمر قد خرج من طور الخاصة إلى العامة ، ومن طور الأتباع إلى غيرهم ، فقد خرج من طور السرية إلى العلانية ، ومن طور الخاصة إلى العامة ، ومن طور الأتباع إلى غيرهم ، وعلى هذا يمكن اعتبار دعوة بني عبد المطلب ـ وهم العشيرة الأقربون ـ هي بداية المرحلة الجهرية من الإعلام بالرسالة ، حيث يتفق ذلك مع ترتيب الآيات في النزول ، وحيث هو إعلام على ملأ من القوم ، وليس لخاصة الأفراد كما كان في المرحلة السرية . . . فقد كان النبي ﷺ في المرحلة السرية يمارس الإعلام بصورة خاصة ، أي لأفراد محدودين ؛ حتى إن المسلمين من الوافدين ، أي من غير أهل مكة مثل أبي ذر وعمرو بن عبسة السلمي يظن الواحد منهم أنه رابع من دخل الإسلام ، بينما يكون قد دخل غيره قبله ، وهم كثيرون كما ذكر من قبل ، وعلى هذا فالمرحلة الجهرية من الإعلام النبوي بالرسالة تبدأ من دعوته ﷺ لعشيرته الأقربين الذين هم بنو عبد المطلب .

(عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم

ما أكره ، فصمتُّ ، فجاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار»، قال: فدعاني فقال: «يا علي، إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين ، فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عُسَّ لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب» ففعلت، فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب والحمزة والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله ﷺ منها حِذْيَة[1] فشقها بأسنانه ، ثم رمى بها في مكانها ، وقال: «كلوا باسم الله» فأكل القوم حتى نهلوا عنه، ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقهم يا علي» فجئت بذلك القَعْب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بَدَرَهُ أبو لهب ـ لعنه الله ـ فقال: لطالما سحركم صاحبكم ، فتفرّقوا ، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «عُدْ لنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بَدَرَ إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم».

ففعلت ثم جمعتهم له ، وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقهم يا علي» فجئت بذلك القَعْب فشربوا منه ، ونهلوا جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم ، بَدَرَه أبو لهب ـ لعنه الله ـ إلى الكلام فقال: لطالما سحركم صاحبكم، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يا علي، عُد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَرَني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعتهم له ، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ؛ عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القَعْب حتى نهلوا ، وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها ويشرب

---

(١) حِذْيَة: الحذية من اللحم: ما قُطع طولاً. «لسان العرب»، ابن منظور: (حذا).

مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب! إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم ، إني جئتكم بأمر الدنيا والآخرة».

هكذا رواه البيهقي ، وقد روى جعفر بن جرير هذا الحديث ، وزاد عليه قوله: «وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر ، على أن يكون كذا أو كذا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً ، قال علي بن أبي طالب: وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: (أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه) ، فأخذ برقبتي فقال: «إن هذا أخي ، كذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا» ، قال: فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)[1].

وتوضح هذه القصة أن النبي ﷺ بدأ الجهد الإعلامي برسالة الله عز وجل إلىٰ عشيرته الأقربين ، بعد أن فكر في الوسائل والأساليب المناسبة لذلك ، فلم يكن همّه تنفيذ الأمر فقط ، إنما كان يريد بالفعل أن يقوم بجهد إعلامي مؤثر ، يؤدي إلى الاستجابة والدخول في الإسلام ، لذلك أمر النبي ﷺ علياً أن يصنع طعاماً وأن يدعوهم إليه ، وقد أمر علي بن أبي طالب بذلك لأنه من أهل بيته حيث تربى في بيته ، لأن النبي ﷺ قد أخذه من عمه أبي طالب ليقوم بتربيته عنه ؛ لكثرة عيال أبي طالب وقلة ماله.

وكان ذلك قبل البعثة ، ولأن علي بن أبي طالب أيضاً كان من المؤمنين برسالة محمد ﷺ ، حيث هو من السابقين إلى الإسلام ، فقد أسلم بعد خديجة مباشرة ، وأسلم دون أن يستشير أبا طالب في ذلك ؛ لذلك أمره النبي ﷺ أن يصنع الطعام وأن يدعو له بني عبد المطلب.

وقد جمعهم النبي ﷺ على الطعام بالذات لعدة أسباب تتعلق كلها بمعرفة نفسيات هذا الجمهور المدعو إلى هذا الطعام ، فقد كان من هذه الأسباب أن العرب كانت تجتمع على الطعام في المناسبات المهمة ، كما أن

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير ، ٣/ ٣٩ ـ ٤٠.

لمثل هذه الدعوات أهمية بل وقدسية في نفوسهم ، ومن هذه الأسباب أن الإنسان فيما يُطعم إنساناً في بيته من النادر أن يرفض له طلباً ، أو يرد له كلاماً ، ومن هذه الأسباب أيضاً أن معظم بني عبد المطلب كانوا فقراء من حيث المال ، فدعوتهم إلى الطعام تعني شيئاً مهماً من حيث الطعام للفقراء منهم ، وتعني شيئاً مؤثراً من الناحية المعنوية للأغنياء منهم .

كما أن دعوة بني عبد المطلب معاً ، والتحدث إليهم له عدة مميزات من حيث الرد المتوقع ، فإن كان الرد قاسياً من بعضهم ، تعاطف بعضهم الآخر ، وربما استجاب بعضهم فأدى ذلك إلى تحمس الكثيرين منهم للاستجابة ، وبالجملة فقد ظهرت نتائج ذلك سريعاً ، فهم وإن لم يستجيبوا إلا أن النبي ﷺ قد ضمن حياد بعضهم وتعاطف بعضهم ، خاصة الأقوياء والكبراء منهم أمثال أبي طالب والعباس والحمزة ، بل ولما كان رد أبي لهب قاسياً ، وتخوف بعضهم من الرد عليه ، بادرته أخته صفية بنت عبد المطلب بالرد عليه .

فقد ذكرت بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لهم في المرة الثانية : «إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنة أبداً ، أو لنار أبداً ، والله ـ يا بني عبد المطلب ـ ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة» وتكلم القوم كلاماً ليّناً غير أبي لهب ، فإنه قال : يا بني عبد المطلب ، هذه والله السوءة ، خذوا على يده ، قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم .

فقالت أخته صفية بنت عبد المطلب ـ عمة رسول الله ﷺ ـ : أي أخي! أيحسن بك خذلان ابن أخيك ، فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من

بني عبد المطلب نبي ، فهو هو ، قال: هذا والله الباطل والأماني وكلام النساء في الحجال ، إذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب ، فما قوتنا بهم ، فوالله ما نحن عنده إلا أكلة رأس ، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا!).

وقد استخدم النبي ﷺ هنا الاتصال الشخصي بآل عبد المطلب ، وحاول محاورتهم إثر إطعامهم ، لكن أبا لهب حال بينه وبين هذا الحوار ، وأدى هذا إلى دفع صفية وأبي طالب لإعلان حمايتهم لابن أخيهم ، وإن لم يكن أبو طالب مؤمناً ، كما وقف الباقون بين التعاطف والحياء ، غير أنه لم يعلن العداء له غير أبي لهب ، كما حاول علي بن أبي طالب إحراج أعمامه ليعلن بعضهم الدخول في الإسلام ومؤازرة النبي ﷺ ومؤاخاته لما طلب منهم ذلك ، حيث سكت عليّ أولاً لحداثة سنة ، ولوجود أعمامه ، ولكن لما كرر النبي ﷺ مقولته ، أعلن علي أنه وزيره ، وأعلن النبي ﷺ أنه أخوه ، وأمرهم بالسمع والطاعة له ، وإنه يومها لأحدثهم سناً ، وأسوؤهم هيئة.

يقول علي بن أبي طالب: إن النبي ﷺ وبعد أن تكلم قال لقومه بني عبد المطلب: («أيكم يقضي عني ديني ، ويكون خليفتي في أهلي؟» فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، وقال: لعلِّي سكتُّ أنا لسن العباس ، ثم قالها مرة أخرى ، فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله ، قال: أنت؟ وإني يومئذ لأسوؤهم هيئة ، وإني لأعمش العينين ، ضخم البطن ، حمش الساقين)[1].

وبذلك نفذ النبي ﷺ أمر ربه عز وجل في أن يمارس الإعلام بالرسالة جهراً ، وبلَّغ ذلك إلى عشيرته بني عبد المطلب ، وقد نفذ ذلك بأسلوب يدلُّ على حرصه وحماسه لرسالته ، وضمن بذلك تعاطف وحماية عشيرته وأهله له ، كما علم موطن الخطر من أهله ، وهو عمه أبو لهب ، حيث تبين إصراره على عداوته ومناوأة رسالته ، وبذلك بدأ النبي ﷺ ينتقل من هذه

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير ٢/ ٣٨.

المرحلة إلى مرحلة إعلامية أكثر اتساعاً في طمأنينة وثقة ، حيث دعا أسرته وآمنت ، ثم كان له أصحاب آمنوا في المرحلة ، وبدؤوا ينشرون الإسلام في مكة وفي بعض القبائل المجاورة ، ثم بدأ جهره الإعلامي العلني في بني عبد المطلب ، فضمن تعاطفهم وحمايتهم ، أو على الأقل ضمن حياد غير المتعاطفين منهم ، وهذا الجهد الإعلامي الذي مارسه النبي ﷺ يتسم بالتسلسل المنطقي ، من الأسرة إلى الأصدقاء والأصحاب في المرحلة السرية ، ثم إلى عشيرته الأقربين في بداية المرحلة العلنية ، مما مهد للانطلاق في ثقة إلى الإعلام لمكة كلها ، ولكل بطونها وقبائلها ، وبذلك بدأ الإعلام برسالته إلى كل مكة .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ :

(هذه النذارة الخاصة لا تنافي النذارة العامة ، بل هي فرد من أجزائها ، كما قال تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ، وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة ، منها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى : «يا صباحاه» ، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : «يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي! أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟» ، قالوا : نعم ، قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

روى الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص فقال: «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن لكم رحماً سأبلُّها ببلالها»[1].

وربما حدث أن النبي ﷺ قد بدأ بدعوة بني عبد المطلب على الطعام وإبلاغهم، ثم النداء على الصفا بعد ذلك، وما يهمنا في هذا المجال هو النبي ﷺ فقد بدأ الإعلام برسالة الله عز وجل جهراً، وانتقل من مرحلة الإعلام السري إلى مرحلة الإعلام الجهري، بطريقة فيها تسلسل منطقي وسلامة تدل على كياسته وفطنته، واستفادته من الإعداد الذي سبق أن أعده عز وجل إيَّاه قبل البعثة، وفي بدايتها، حيث تجسد كل ذلك في الطريقة التي مارس بها النبي ﷺ للإعلام، سواء في المرحلة السرية أو بعدها في المرحلة الجهرية.

انطلق رسول الله ﷺ بعد ذلك يخبر الناس بدعوته ورسالته، ويشرح لهم أهدافها، ويعلّمهم طريقها ويرشدهم ويوجههم إلى فوائدها، وانطلق بكل قوته وحماسته داخل مكة وخارجها، ووسط تجمعات أهلها: في المسجد، وفي الأسواق، يقرأ القرآن، ويدير الحوار والنقاش، ويصد الأذى عن نفسه وعن أصحابه؛ ذلك أن أهل مكة من الكفار لم يكونوا تاركيه يفعل ذلك دون أن يصدوا أهله وأصحابه مدافعين عن عقائدهم وأصنامهم وعاداتهم وتقاليدهم وسكرهم ومجونهم.

يقول ابن كثير: (استمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك رادٌّ، ولا يصده عن ذلك صادٌّ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد، وضعيف وقوي،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٣٤٩، ٣٥٠.

وغني وفقير ، جميع الخلق في ذلك عنده سواء ، وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس ومن ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية ، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب وامرأته أم جميل.

أخبر رجل يقال له: ربيعة بن عباد من بني الديل ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال: رأيت رسول الله ﷺ: بذي المجاز ـ من أسواق الجاهلية ـ يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول وضيء ، له غديرتان ؛ وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم ، قلت: من هذا؟ قيل: هذا أبو لهب ، وفي رواية أخرى عن رجل من كنانة ، قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» ، وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول: (يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. كذا قال: أبو جهل ، والظاهر: أنه أبو لهب)[1].

هكذا بدأ رسول الله ﷺ يبلغ رسائله الإعلامية برسالة الله عز وجل في كل مكان فيه تجمع لقريش وغيرها ، وهو يوجز رسالته الإعلامية في كلمات واضحة عميقة المعنى ، تجمع كل ما يريد إبلاغه وقوله ، ودعوة الناس إليه ، كما أن قريشاً تفهمه جيداً ، فقد كان يعلم أنهم على درجة من الذكاء ، والقدرة على الفهم لهذه العبارة الموجزة: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» فهي رسالة إعلامية مركزة تثير الفكر ، وتدعو إلى إعمال العقل ، كما أنه ﷺ كان يدرك ـ منذ البداية ـ أن هذا الجمهور سوف يتصدى له ، ويقطع عليه كلامه ، لذا لا بد من رسالة قصيرة مركزة ، تجمع كل ما يريد قوله ، وفي ذات الوقت لا بد أن تكون واضحة ومفهومة وهي المعادلة الإعلامية الصعبة.

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ١/ ٣١٠ ، ٣١١.

كيف نعطي الجمهور أكبر قدر من المعلومات في أقل حيّز من الزمان أو المكان ، وبأوضح أسلوب؟ وعلماء الإعلام في العصر الحديث قد حاولوا حل هذه المعادلة عن طريق المؤلفات المطولة في فنون الخبر والتحرير الإعلامي بأشكاله المختلفة ، صحفية كانت أو إذاعية أو غيرها .

وهنا نرى: أن رسول الله ﷺ قد سبقهم بممارسته الإعلامية الواعية والمستنيرة ، فقدم رسالته الإعلامية بما يناسب الزمان والمكان ، وجمع بين التركيز والوضوح ، وإثارة الفكر ، فهو يعلم أنه لن يستطيع إطالة الكلام في بداية أمره ، ولذا يركز على ما يريد في جملة واحدة: «يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» ، فهو يفهم جمهوره جيداً ، ويفهم الظروف المحيطة برسالته .

ويفهم أنه لا يستطيع الإطالة والشرح ، وإن فعل ذلك قطع عليه المعاندون من الأعداء الحديث ، وَلمَا تفهَّم الناس في السوق أو المسجد أو في موسم الحج ماذا يريد الرجل أن يقوله ، لكنه كان يقولها جملة واحدة حفظها الكثيرون ، وفهموها ، وانفعلوا بها ، وفكر بعضهم فيها ، فأسلم بعد ذلك .

وبذلك نرى أن النبي ﷺ يرسي قواعد الإعلام وأسسه ، ويعلمها للناس جميعاً ، كيف يواجهون الجمهور ، وكيف يفهمون الجمهور ، وما هي الأساليب والوسائل المناسبة لكل موقف ، وكيف تصاغ الرسالة الإعلامية المناسبة للجمهور والمواقف ، وللزمان والمكان .

والآن ننتقل إلى أسلوب آخر من الأساليب الإعلامية التي استخدمها النبي ﷺ في إبلاغ رسالته ، إنه أسلوب قراءة القرآن في المسجد ، فقد كان النبي ﷺ يجلس في المسجد الحرام ، ويقرأ القرآن ، فلماذا لا يقرؤه في بيته ، أو في مكان آخر؟ إن المسجد الحرام هو مكان تجمع زعماء مكة فهو ناديهم ، ومكان جلوسهم المفضل ، وهم أعداؤه ، وهو لا يشك في تعرضه للأذى منهم ، فلماذا يقرأ جهراً في هذا المكان؟

لقد كان يعلم ﷺ أنهم يتذوقون الأسلوب الجميل ، ويفهمون ما يحمل من معانٍ، كان النبي ﷺ يعلم أنهم وإن أظهروا العداء إلا أنهم في حقيقة أمرهم يحبون سماع هذا الكلام ، فهو جميل الأسلوب ، رصين العبارة ، عميق المعنى ، يتسم بالإبداع الفني في عباراته وجمله ، والتسلسل المنطقي في معانيه ، لذا كان يجلس في المسجد ، ويتلو القرآن جهراً ، ويصلي به جهراً مضحياً بأن يتعرض لأذى المشركين من أهل مكة وجبابرتها في سبيل أن يسمعهم القرآن ، حتى يتفكروا فيه ، وقد شهد الكفار في غير موضع وأكثر من مرة بأن هذا الذي يتلوه محمد ﷺ ليس من كلام البشر.

وليس هناك أدلة على مدى أهمية هذا الأسلوب وفائدته مما حدث من خروج ألد أعداء محمد ﷺ ذات ليلة ، كل منهم يحاول أن يسمع القرآن من محمد ﷺ خلسة أو خفية من قومه ، حتى لا يلومونه أو حتى لا يكون ذلك دافعاً للبعض للدخول في دين محمد ﷺ والاستجابة لدعوته.

(قال ابن إسحاق: إن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق خرجوا ذات ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، كل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا. ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج الأخنس من عند أبي سفيان حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم! ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس وتركه)[1].

ولولا انشغال فكر أمثال هؤلاء بما سمعوه من محمد ﷺ من قرآن أثناء قراءته في المسجد نهاراً، فما الذي يدفعهم للسهر والتخفي للاستماع، ثم التفكير فيما سمعوا، وسؤال بعضهم بعضاً عما سمعوه وعن معناه، ورأيهم فيه، وهذا يدل على مدى نجاح هذا الأسلوب الإعلامي النبوي العظيم.

وكان من الأساليب الإعلامية التي مارسها النبي ﷺ في هذه الفترة ما كان يلقاه من الأذى، ورده على من يؤذونه لا بالسب والشتم، أو القتال، أو بمثل أساليبهم السلبية، وإنما كان يرد عليهم بأساليب مختلفة تماماً، حيث كان يرد عليهم بدعوته ورسالته، فهو بذلك يقابل السيئة بالحسنة، لأن الله أعده بالخُلق الحسن، وهذا يفيد في امتصاص غضبهم من ناحية، ويفيد في جذب الانتباه إلى مثل هذا الأسلوب الذي يرد به محمد ﷺ وهو الذي يستطيع الرد عليهم بأساليب السباب والقتال، لأنه من أنبياء الله وسادتهم، ولأنه يضمن حماية أهله وعشيرته له، وعدم تفريطهم فيه، كما ذكرنا من قبل، ومع ذلك يرد بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلك يضمن تعاطف بعضهم وإعجاب بعضهم الآخر به وبرسالته، فإن لم يستجيبوا على المدى القصير، تأثَّروا واستجابوا على المدى الطويل، وسنضرب أمثلة لذلك.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/ ٤٦.

(روى البيهقي عن يحيى بن عروة عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ، فيما كانت تظهر من عداوته؟

فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا وفرّق جماعتنا، وسب آلهتنا وصرنا منه على أمر عظيم، قال: فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح»، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طير واقف، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليَرْفَؤُه [1]، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك»، ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط).

وهنا نجد أنهم يستعملون أساليب الغمز، وهو الكلام المعيب مرة، ويستعملون محاولة الأذى الجدِّي مرة أخرى، وفي الأولى يرد النبي ﷺ برسالة موجزة مخيفة، يجعلهم يصمتون فجأة، ثم يحاولون تهدئته بكلام

---

(١) ليَرْفَؤُه: أي: يسكنه ويرفق به ويدعو له. «لسان العرب»، لابن منظور: (رفأ).

لين ، ويصفونه بأنه صاحب خلق حسن ، وفي المرة الثانية يقوم أبو بكر بهذا الدور حيث يقول لهم: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟

والفرق بين الأسلوبين كبير، فالنبي ﷺ يقوم بالإعلام للدعوة وعنها حتى أثناء إيذائه، يقوم بإعلامهم وتخويفهم وإنذارهم وتحذيرهم لعلهم يرجعون، ويفيقون من غفلتهم، ونرى مدى تأثير ذلك الأسلوب عليهم حيث أخذ القوم كلمته فجأة، فجعلتهم وكأنما على رؤوسهم الطير، لشدة وقع كلمته عليهم، ولو رد عليهم بالغمز أو السباب لأصبحت معركة، وتطور الأمر إلى حد القتال بين القبائل، ولكنه ﷺ يخيفهم ويعلمهم في آن واحد: «أتسمعون يا معشر قريش»، وعندما يلتفتون يقسم لهم: «أما والذي نفسي بيده» وبعد أن يشدهم القسم إلى الاستماع وهم لا يشكون في مدى صدقه: «لقد جئتكم بالذبح».

وكانت هذه الكلمات السريعة المتلاحقة أقوى من السيوف على رقابهم ، لقد أسكنتهم وأخافتهم ، حتى هدؤوه بأحسن ما يجدوا من القول ، ثم تلاوموا ، وعادوا لإيذائه ، أو محاولة إيذائه في اليوم التالي ، ولما حاولوا ذلك كان الدور الإعلامي لأبي بكر فلم يقم دونه مقاتلاً ، ولا ساباً ، ولم يرد بمثل أسلوبهم ، وإنما بمثل أسلوب النبي ﷺ حيث يقول لهم: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ولم يجدوا عندهم رداً عليه ولا على أبي بكر ، فيتركونه وشأنه ، وهم الأكثر عدداً وقوة ، وهم المليئة قلوبهم بالغيظ والحقد والكمد منه ﷺ ومن رسالته التي يدعو إليها.

والأمثلة في ذلك كثيرة ، فكثيراً ما كان ﷺ يلقى الأذى ، ولا يرد بأذى مثله ، وإنما كان يرد بآيات القرآن الكريم ، فقد حدث هذا حينما رد القرآن بآياته على أبي جهل لما تهكَّم بشجرة الزقوم ، وعلى أُبيِّ بن خلف لما فتت العظام في يديه وقال: (يامحمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أَرَمَّ؟ ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار» وينزل قول الله عز وجل راداً عليه ، ومعلناً لهم جميعاً الحقيقة التي لا مرد فيها:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[1].

وهكذا رد عليه القرآن، كما رد على غيره من الذين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه.

وكان من أساليب النبي ﷺ الإعلامية لنشر دعوته؛ أنه كان يقوم بمواساة أصحابه الذين كانوا يلقون الأذى والتعذيب في مكة، فمع كونه ﷺ يلقى الأذى ويتصدى له، إلا أنه كان يقوم ببث الطمأنينة في نفوس أصحابه، وكان لذلك الأسلوب أهمية كبرى لدى أصحابه، حيث يرون فيه الحماية والمنعة، ويلمسون منه الرحمة والرأفة عليهم، والاهتمام بأحوالهم؛ مما يجعلهم يستزيدون صلابة في الدفاع عن الإسلام ونشره، وبث رسالته إلى كل الناس، ويمسح جراحهم حيث يرفع روحهم المعنوية، فمن كان يسأل عنه رسول الله ﷺ منهم ويدعو له؛ كان يرى في ذلك خيراً عميماً وفضلاً كبيراً، ورحمة ما بعدها رحمة.

كما كان لهذا الأسلوب أهمية أخرى أيضاً أمام أعداء الإسلام، فقد كان هذا الأسلوب يعرض صورة المسلمين ـ النبي ﷺ وأصحابه ـ في صورة متماسكة، وحالة نفسية مرتفعة، فهم لا يبالون بما يلقون من الأذى والتعذيب، ويمسح بعضهم جراح بعضهم الآخر، مع المواساة والتراحم، ويقف كل منهم إلى جوار الآخر مؤازراً ومسانداً، ويؤدي هذا إلى يأس الكفار أيضاً من إبطال دعوة الإسلام ورسالته، فها هو محمد ﷺ على الرغم من الأذى صامد مدافع بل ويواسي أصحابه، وها هم أصحابه يتحملون في صبر وصمت، ويرون في مواساته لهم ما يمسح جراحهم، ويدفعهم إلى الاستمرار.

وقد كان النبي ﷺ يمارس هذا الأسلوب مع أصحابه بطرق مختلفة،

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق محمد فهمي السرجاني: ١/ ٣٤٨.

فتراه يرق لحال بعضهم ، ويمسح رأس بعضهم الآخر ، ويدعو لطائفةٍ منهم ، ويشتد في الكلام على ثُلَّة منهم ، فكل منهم له أسلوب في المواساة ، وبث الطمأنينة في نفسيته ، ورفع روحه المعنوية ، وسنضرب أمثلة لذلك أيضاً .

(قال ابن إسحاق : كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول : «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»)[1] .

وفي رواية أنه ﷺ كان يمر بآل ياسر ، وهم يعذبون في الشمس الحارقة ليرتدوا عن الإسلام ، فيقول له ياسر : يا رسول الله ، الدهر هكذا ، فيقول : «صبراً آل ياسر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت»[2] .

وذكر ابن كثير في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ؛ حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ ، فوافقهم على ذلك مكرهاً ، وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية .

وفي رواية عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : «كيف تجد قلبك؟» ، قال : مطمئناً بالإيمان ، قال النبي ﷺ : «إن عادوا فعد»[3] .

وهكذا كان النبي ﷺ في مواساته لأصحابه الذين يلاقون التعذيب والأذى ، فإنه يستعمل أسلوباً إعلامياً فريداً ، وقد ذكرنا من قبل رقته لحال أبي بكر رضي الله عنه يوم أن جهر بالدعوة في المسجد الحرام وسط جموع الكفار وآذوه أذى بالغاً ، فرقّ النبي ﷺ لحاله رقة شديدة .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني : ١/ ٣٤٨ .
(٢) حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي ، ١/ ٢١٠ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٢/ ٥٨٧ .

وكان هذا الأسلوب في حد ذاته بليغاً في إبلاغ الرسالة ، فهو إعلان للكفار أن جهد الإعلام بالدعوة مستمر من جانب محمد ﷺ ، وجانب أصحابه مهما بلغ التعذيب والأذى ، حتى ولو استشهد بعضهم كما حدث لسمية زوجة ياسر والتي كانت أول شهيدة في الإسلام ، حتى ولو استشهد ياسر بصورة بشعة؛ حيث ربط أعداء الله رجليه في حبلين ، وربطوا كل حبل في بعير ، وسيقا في اتجاهين متضادين فشق نصفين. حتى لقد خلع ذراع سلمة الطفل ، وحبست أم سلمة فلم تهاجر مع زوجها ، حتى ولو حدث ما حدث مع بلال وخباب وأبي ذر ومصعب بن عمير ، فقد لاقوا جميعاً الأذى سادة وعبيداً ، ولاقاه النبي ﷺ نفسه ، وهو قائم يرد السيئة بالحسنة ، ويواسي أصحابه ويعلمهم ، بل ويمارس الإعلام بالرسالة للكفار ذاتهم ، وينضم من يؤمن منهم إلى صفوف المسلمين ، كما حدث لعمر بن الخطاب وغيره.

وكان من أمثلة هذا الأسلوب الإعلامي الذي مارسه النبي ﷺ في تخفيف الأذى عن أصحابه ومواساتهم ، ورفع روحهم المعنوية ؛ أنه كان يعضد بعضهم بذكر أمثلة المعذبين من المؤمنين في الأمم السابقة ، وبيان أن ما يلاقونه هو أقل من غيرهم ، فهو بحكمته وأسلوبه ، يرق ويواسي أحياناً ، ويشتد أحياناً ، وفي كلتا الحالتين يرفع الروح المعنوية لأصحابه ، ويفتّ في عضد أعدائه ، ويدفعهم إلى اليأس من عداوة هذه الرسالة.

(روى البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببُرْدة في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت: ألا تدعو الله لنا؟

فقعد وهو محمر وجهه فقال: «لقد كان مَنْ قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الركب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله

عز وجل ، أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)[1].

فالنبي ﷺ وإن كان يشتد على أحد أصحابه لشكواه وطلب الدعاء ؛ فلعلمه بنفسية خبَّاب ، ثم يذكِّره بما كان يحدث للمؤمنين في الأمم السابقة وثباتهم على الرغم من ذلك على دينهم ، ثم يطمئنهم ويطمئن الأمة كلها في النهاية إلى أن هذا الأمر سيتمه الله عز وجل لا محالة ، حتى تصير جميع البلاد أمناً ، ولا تكون هناك فتن ولا يكون أذى ، ولكنكم تستعجلون.

وكان من الأساليب الإعلامية التي مارسها النبي ﷺ أيضاً أسلوب محاورة الكفار والمشركين ، والرد على أسئلتهم ، وإجابة كل منهم بما يقنعه من أسلوب ، فبعضهم يرد عليه بالقرآن ، وبعضهم يرد عليه بإجابات مختصرة ، وبعضهم يرد عليه بالحجج والمنطق ، ويضيّق عليه الخناق حتى يقتنع ، وهذا يدل على مدى فهمه لرسالته وجمهوره ، وكيفية صياغته للرسالة في الأسلوب المناسب للتحدث إليه ، ومن ثم كان إحداث التأثير ، وبعضهم تأثر ، ثم تمادى في عناده كما حدث لعتبة بن ربيعة ، وبعضهم تأثر واستجاب فآمن كما حدث مع عمران بن الحصين.

وقد مارس النبي ﷺ هذا الأسلوب مع بعض الأفراد فرادى ومع أكثر من فرد ومع جماعة من الكفار ، كل موقف حسب ما يقتضي ، وكل حالة من تلك الحالات لها عند النبي ﷺ ما يناسبها من الأسلوب ، وما يلائمها من الوسيلة ، وهو في كل الحالات: حسن الخلق ، حلو الحديث ، بديع المنطق ، جميل اللفظ ، يصغي إلى محدثه باهتمام بالغ ، ولو أن كلامه غير مفيد ، وهو يعلم ذلك ومع ذلك يستمر مصغياً إليه في اهتمام بالغ... ليشعره بأن له أهمية ما ، وأنه لا يغضّ من شأنه ، ولا من شأن كلامه ، حتى إذا فرغ تحدث إليه ، فاختار ما يناسبه من حديث ، وأجبره بأدبه وحسن خلقه على الإنصات ، لأنه أنصت أولاً ، وهو بذلك يعلمنا ﷺ فنون الأحاديث والحوار الإعلامي ، ويرسم أسسها ، ويرسي دعائمها لرجال

---

(١) عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، مرجع سابق ٢/ ٢٨١.

الإعلام في كل زمان وكل مكان ، حتى يستفيد الناس ، ويتعلموا طريقة إدارة الحوار الإعلامي ، وطرق الإقناع والتأثير ، والدفع إلى الاستجابة بالحجة والمنطق العقلاني الذي لا يندم عليه من تأثر به ، بل هو نفسه يصبح مدافعاً ، لأنه استجاب بعقله لا بعاطفته ، ولا تحت تأثير القوة ولا الإثارة ، لأن هذه المؤثرات وقتية في حَدِّ ذاتها ، وينتهي مفعولها بانتهائها ، ويعود صاحبها إلى ما كان عليه ، ولم نسمع قط عن مسلم دخل الإسلام بعد مثل هذا الحوار العقلاني المقنع ، ثم تراجع عن الإسلام ، أو ندم على الدخول فيه .

ولو كانت القضية قضية كلمة تقال ، أو تأثر وقتي ؛ لما ظل النبي ﷺ ينشر إعلامه ليقنع المجتمع المكي بكلمة واحدة هي : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) طوال الثلاثة عشر عاماً في مكة ، وإنما هي قضية إقناع ، ولم يكن مهماً عدد المستجيبين ، ولا عدد المؤمنين ، وإنما هو الثبات على الإيمان بعد الاقتناع الصادق ، فهي قضية كيفية وليست قضية كمية .

وسنضرب أمثلة لممارسة النبي ﷺ لهذا الأسلوب الإعلامي المتميز ، لنرى أن النبي ﷺ كان إعلامياً قديراً ، ولنرى ونستفيد من طريقته ﷺ في إدارة فنون الحوار الإعلامي المختلفة .

(روى ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ـ ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده ـ يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً ، لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقالوا: بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلِّمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَةِ ـ المنزلة الرفيعة ـ في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرَّقت به جماعتهم ، وسفَّهت به أحلامهم ، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من

آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها! فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمَعْ» قال: يا ابن أخي ، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ؛ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به ملكاً ؛ ملَّكْناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيّاً تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ؛ طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه من أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، حتى إذا فرغ عتبة ، قال رسول الله ﷺ: «فاسمع مني الآن» ، قال عتبة: أفعل ، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾» .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» . وفي رواية: أن عتبة لما سمع من النبي ﷺ قول الله عز وجل: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ أمسك عتبة بفمه وناشده الرَّحِم أن يكفَّ ، وقال له: حسبك! ما عندك غير هذا؟! .

ورجع عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم ، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: ورائي أني قد سمعت قوله ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة ، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تبعه العرب فقد كُفِيْتُموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد

الناس منه! قالوا: سَحَرك يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم)[1].

وفي رواية أخرى: (عن جابر بن عبد الله ، أن قريشاً اجتمعت يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا: أنت يا أبا الوليد! فأتاه عتبة)[2].

وقد اختارت قريش مبعوثها لمحاورة محمد ﷺ ولحديثه وقوة حجته وقدرته على الإقناع ، لذا لم يرسلوا إليه أيّ مبعوث ، وإنما تخيروا مبعوثهم ، ليكون قادراً على تفهُّم ردِّ محمد ﷺ، وليكون قادراً على الرد عليه ، ومجادلته وإقناعه ، وذلك لما أسلم حمزة وكثر أتباعه.

وكان النبي ﷺ أقدر على فهم محدّثه ، فهو يعلم مدى علمه بالكلام وفنونه ، من شعر إلى سحر إلى كهانة إلى غيرها ، كما كان يعلم أنه يستطيع أن يتفهم ما في القرآن العظيم ، وما فيه من عظات وعبر ، وتخويف وإنذار.

بدأ النبي ﷺ بطبيعته وخلقه الذي أعده الله عز وجل به يسمع من عتبة بن ربيعة ، ولم يصده ، ولم يعرض عنه لأنه كافر مشرك ، وهذا من حكمة النبي ﷺ حتى لا يخسر القضية من بدايتها ، ومن ذلك يجب أن يتعلم رجال الإعلام الإسلامي في المؤسسات الإعلامية ، وفي المساجد ، وكل من أخذ على عاتقه أن يتحدث باسم الإسلام أن يسمع من جميع الناس ، ومهما كان المتحدث فلن يكون أكثر كفراً من عتبة بن ربيعة ، فلا نرفض الاستماع إلى بعضهم بحجة أنهم يخالفون بعض قواعد الإسلام مثلاً ، أو لاتهامهم بكذا أو كذا ، فهذا هو النبي ﷺ يُعلّم ، ويسمع من عتبة وهو يعلم أنه كافر ، ويظل يسمعه وهو يعرض عليه الباطل ، فلا يثور ولا يحتد ، ولا يقطع

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، ١/ ٢٩٢ ، ٢٩٣.
(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣/ ٦٢.

كلامه ، ولا يرده رداً غير جميل ، ولا يكشّر في وجهه ، وإنما يسمع إلى النهاية ، ثم يقوله له في أدب رباني عالٍ: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» مكنياً إياه بالكنية التي يحبها ، فيقول عتبة: نعم ، فيقول له النبي ﷺ: فاسمع مني ، فيقول عتبة: أفعل.

هكذا يكون فن الحوار الإعلامي بكل أشكاله وفنونه ، فمن الأشياء المعيبة على الإعلاميين مثلاً في العصر الحديث: أن الإعلامي في إجرائه للحوار يتحدث أكثر من المتحدث نفسه ، أو يظهر علمه وثقافته ، ويتعالى عليه ، مما يؤذي شعور المحدث ، بل قد يصل الأمر من بعض الإعلاميين أنهم يسألون ويجيبون ، والمتحدث يكتفي بالتأمين على كلامهم ، وكأنه جاء ليأخذ منه الموافقة على مثل هذا الحديث.

ويبدأ النبي ﷺ في الرد على عتبة لا بكلامه ، ولكن بكلام الله عز وجل ، ويتخير له سورة من القرآن تهتز لها الأفئدة والعقول ، وتنخلع لها القلوب فيقرأ عليه سورة فصلت ، ويقول بعضهم: إن عتبة لم يستطع سماع السورة حتى نهايتها ، وخاف من الصاعقة ، ورجع مخلوع القلب إلى قومه محذراً ومنذراً ، وقائلاً: أطيعوني هذا اليوم واعصوني فيما بعده ، وما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته... خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم ، وملكه ملك لكم ، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك يا أبا الوليد!

كان هذا تأثير القرآن ، وبالتحديد تأثير سورة فصلت على عتبة ، وكان دور النبي ﷺ ـ الإعلامي القدير ـ هو تخير الرد ، وتخير القرآن بالذات في الرد على عتبة ، وتخيّر سورة فصلت بالتحديد.. ثم في نهاية قراءتها يقول النبي ﷺ لعتبة: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك!».

وبهذا يترك النبي ﷺ لعتبة بعد أن أسمعه القرآن ، ورأى تأثيره عليه وهو جالس ، حيث ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، يترك له حرية الرأي

والاختيار ، فهو يعلم صلابة رأي عتبة ، واعتزازه برأيه وشخصيته ، فلا يملي عليه رأياً حتى لا يتكون لديه رأي مضاد ، وحتى لا يصم أذنيه ولا يغلق عقله عن التفكير فيقول له: (أنت وذاك) لك حرية الاختيار ، ويؤثر هذا في عتبة فيرجع إلى أصحابه معلناً رأيه ، ومحاولاً إقناعهم على الأقل باعتزال محمد وانتظار نتيجة أمره ، فإن أصابته العرب فقد كُفيتموه ، وإن ظهر فعزه عزٌّ لكم وملكه ملك لكم.

وبهذا أيضاً يعلمنا النبي ﷺ مبدأً إعلامياً مهماً ، سبق به أساتذة العصر الحديث ، وهو فصل الرأي الخاص عن الرسالة الإعلامية حتى لا يتأثر المستقبل تأثراً قد يكون ضاراً ، وحتى لا يملي عليه رأي غيره ، فكل إنسان يجب أن يكون قد تأثر نتيجة تفكيره ورأيه ، ويكفي الإعلامي هنا إبلاغ الرسالة الإعلامية.

ويحاول أساتذة الإعلام المناداة بهذا ، فيذكرون أنه لا بد من الفصل بين الرأي والخبر على سبيل المثال ، وكذلك في سائر فنون التحرير الإعلامي المختلفة والمتنوعة.

(ففي تحرير الأخبار يجب الحرص على الدقة ، وعدم إعطاء الأخبار لوناً معيناً ، وكذلك عدم إبداء الرأي الشخصي في صلب الخبر ، فللرأي مكانه في الجريدة أو المجلة ، فالصحف المحترمة لا تحور الحقائق بما يتمشى مع أهدافها ، ولكنها تبرز الأخبار لتأكيد سياستها ، أما تحوير الخبر فهو خروج على مبدأ الصحافة)[1]

ومن أمثلة ما حدث مع النبي ﷺ في هذا المجال ، ما حدث حينما جاءه الحصين بن عمران ، وكان شيخاً عظيماً في العرب ، وجاء لمحاورة رسول الله ﷺ ، وهذا الحوار يعرض لنا قدرة النبي محمد ﷺ الإعلامية ، وقدرته على الإقناع ، والسيطرة على المواقف ، وإدارة الحديث بما يؤدي

(١) فن التحرير الإعلامي ، عبد العزيز شرف: ص ٢٤٢.

إلى الاستجابة عن اقتناع: (جاءت قريش إلى الحصين ـ وكانت تعظمه ـ فقالوا له: تكلم لنا هذا الرجل، فإنه يذكر آلهتنا ويسبّها، فجاؤوا حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ، فقالوا: أوسعوا للشيخ، وعمران وأصحابه متوافرون.

فقال حصين للنبي ﷺ: ما هذا الذي بلغنا عنك، أنك تشتم آلهتنا وتذكرها؟

فقال النبي ﷺ: «يا حصين: كم تعبد من إله؟».

قال الحصين: سبعاً في الأرض وواحداً في السماء.

قال النبي ﷺ: «فإذا أصابك الضر من تدعو؟».

قال الحصين: الذي في السماء.

قال النبي ﷺ: «فإذا هلك المال من تدعو؟».

قال الحصين: الذي في السماء.

قال النبي ﷺ: «فيستجيب لك وحده وتشركهم معه، أرضيته في الشكر؟ أما تخاف أن يغلب عليك؟».

قال الحصين: لا واحدة من هاتين، قال: وعلمت أني لم أكلم مثله.

قال النبي ﷺ: «يا حصين أسلم تسلم».

قال الحصين: إن لي قوماً وعشيرة فماذا أقول؟

قال النبي ﷺ: «قل: اللهم أستهديك لأرشد أمري، وزدني علماً ينفعني».

فقالها الحصين، فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه عمران ابنه ـ وكان مسلماً جالساً عند النبي ﷺ ـ فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى النبي ﷺ بكى وقال: «بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة»، فلما أراد حصين أن يخرج قال النبي ﷺ لأصحابه: «قوموا فشيعوه

إلى منزله» ، فلما خرج من سدّة الباب ، رأته قريش ، فقالوا: صبأ وتفرقوا عنه).

وتقدم هذه القصة نموذجاً آخر من حوار النبي ﷺ لبعض شيوخ العرب الموقرين لديها ، إذ كان النبي ﷺ يعلم أن الحصين رجل عقلاني ، يفكر بعقله ، لا بعاطفته وهو غير حاقد ولا معاند ، لذلك استخدم معه أسلوب الإقناع والمنطق ، ليصل إلى الهدف من أقرب الطرق المقنعة. ولما سأله الحصين: ماذا يقول لقريش؟ لم يلقنه حجة ولا كلاماً ، بل لقنه دعوات مباركة تثبت قلبه وفؤاده ، ليعلم أن الأمر من الله لا من محمد ﷺ ولا من غيره ، وثبت الحصين على إسلامه ، وصار من كبار الصحابة.

وهكذا نرى أن لكل جمهور رسالته التي تناسبه ، وطريقة تصاغ بها تلك الرسالة لتصل إلى الهدف ، دون حشو أو تطويل ، ودون غموض أو اختصار مخلٍّ بالرسالة الإعلامية ذاتها.

ولنقدم مثالاً في مجال ممارسة النبي ﷺ لهذا الأسلوب الإعلامي المتميز والفريد ، في محاورته مع مجموعة من الأعداء من مشركي قريش ، بعد أن قدمنا مثالين للحوار مع الأفراد عتبة بن ربيعة والحصين بن عمران ، وكيف تأثر الأول إلى درجة أن طلب من قومه اعتزال محمد ﷺ وما هو فيه ، ورغم ذلك لم يستجب ولم يدخل الإسلام ، لأن الله لم يكتب له الهداية ، والثاني تأثر ودخل الإسلام بعد حوار منطقي مقنع وقصير ومركز.

وبعد أن رأت قريش أن الحوار الفردي مع محمد ﷺ غير مقنع، اتفقوا على أن يلتقوا به في صورة جماعية ، من القرشيين الأفذاذ في اللغة والشعر والسحر والكهانة ، وهو وحده يرد عليهم وعلى أسئلتهم ، ويحاورهم ، إما أن يقنعهم وإما أن يقنعوه ، ولننظر أسلوب النبي ﷺ في محاورة هؤلاء المكيين المعاندين ، وكيف أنه ﷺ ضرب المثل الأعلى كرجل إعلام قدير برسالة الله عز وجل ، فهم وإن كانوا أهل الشعر واللغة ونحوها إلا أنه ﷺ قد أعده الله عز وجل منذ ولادته لحمل أعباء الإعلام بخير رسالة إلى البشرية.

(اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أميَّة ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمية بن خلف ، اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فائتهم ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً ، وهو يظن أن قد بدأ لهم فيما كلمهم فيه بَدَاءٌ ، وكان عليهم حريصاً ، يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له : يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سوَّدناك علينا ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، و إن كان هذا الذي يأتيك رِئيّاً تراه غلبك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رِئيّاً ـ فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلّغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم» .

قالوا : يا محمد ! فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك ، فإنك

قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ، ولا أقل ماءً ، ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسيِّر عنا الجبال التي قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليُجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت لنا ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال النبي ﷺ: «ما بهذا بُعِثْتُ إليكم من الله ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله تعالىٰ ، حتى يحكم الله بيني وبينكم».

وقالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك بأن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال النبي ﷺ: «ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فأسْقِط السماء علينا كِسَفاً ، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال النبي ﷺ: «ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل».

قالوا: يا محمد ! أفما علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ،

ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، إنه قد أبلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، إنا لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ! وإنا والله لانتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك قام عنهم رسول الله ﷺ حزيناً أسفاً لما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولِما رأى من مبادأتهم إياه)[1].

هكذا كان الحوار بين الرسول ﷺ وهذا العدد من المشركين ، وجاءهم وكله أمل في إسلامهم ، ولما لم يجد ذلك منهم لم يعتذر عن محاورتهم ، بل بدأ يسمع بآذان مصغية وعقلية واعية ، فنفى أعذارهم التي التمسوها له ، وبيّن دعوته ، ثم بين أنهم مخيّرون في قبولها أو عدم قبولها.

ولما رأى المشركون ذلك أرادوا أن يدخلوه في متاهات الحوار حتى لا يستطيع الرد ، فطلبوا المطالب التي تدل على عدم اتجاههم للتصديق ، بدليل طلب من مضى من الآباء لسؤالهم ، ويتخلص النبي ﷺ من هذه المتاهات ، ولا يخوض فيها من بعيد ولا قريب ، معلماً رجال الإعلام أنه من الكياسة والفطنة ألا يقحم الإعلامي نفسه في مثل هذه المتاهات التي تبعده عن هدفه الرئيس ، ولكنه يعود بهم إلى الهدف الأول مبيناً دعوته.

ويحاولون ذلك مرة أخرى أن يبعدوه عن الهدف الأساس ، لافتين نظره إلى حاجات نفسه في هذه المرة ؛ لعله ينسى هدفه أمام حاجاته الشخصية التي ذكروها له ، محاولين شراء ذمته ، ولكنه يعود إلى الهدف الرئيس ، وهي دعوتهم إلى رسالته.

وهكذا وفي كل مرة يرد النبي ﷺ مكرراً كلمات تكاد تكون موحدة في نهاية الحوار ، مستخدماً أسلوب التكرار ، فربما أهملوا إعمال الفكر مرة ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٢) عند تفسير الآيات: (٩٠ ـ ٩٣) من سورة الإسراء.

فلا يفوتهم ذلك في المرة الثانية ، وهو أسلوب الإعلامي القدير ، حيث يكرر لهم قوله بعد الرد على كل سؤال: «مابعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

هكذا قام النبي ﷺ بواجب الإعلام في مكة سراً وجهراً ، وما تحدثنا عنه إنما هو نماذج وأمثلة تبين أن النبي ﷺ رجل إعلام قدير ، سبق وتفوق على كل رجال الإعلام ، فيجب أن نستمد منه طرق وأساليب ممارسة الإعلام ، ليكون إعلامنا بالفعل إسلامياً ، مفيداً في الدنيا حال البشر ، وننال في الآخرة رضا الله عز وجل.

* * *

obeikandl.com

الفصل الثالث
الإعلام في العهد المدني

المبحث الأول
توسّع دائرة الإعلام في المدينة المنوّرة

وبقدر ما ضاقت الوسائل الإعلامية الإيجابية للإعلام في فترة الاضطهاد الديني ـ أو في العهد المكي المتأخر ـ اتسعت أمام الرسول عليه السلام مجالات الإعلام بالطرق الإيجابية الجديدة ، ومنها :

ـ طريقة الأذان لإقامة الصلاة .

ـ إقامة العلاقات الودية بين الرسول ﷺ واليهود في داخل المدينة بقصد التعايش السلمي .

ـ إقامة العلاقات الودية كذلك بين الرسول ﷺ والقبائل العربية المجاورة للمدينة ، وذلك تأميناً للمسلمين في داخل المدينة ، وتمهيداً لدخول الإسلام في هذه القبائل .

ـ اتخاذ الاحتياطات الإعلامية التي لا بد منها في ظروف الحرب ، كالأرصاد والعيون التي تأتي الرسول ﷺ بأخبار العدو .

ـ بعثات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ليدعوهم إلى اعتناق الإسلام ، وهي حركة إعلامية لا توازيها في مجال الإعلام إلا حركة الهجرة .

ـ استقبال الرسول ﷺ للوفود العربية التي وفدت عليه بالمدينة لكي تسلم على يديه، وكان النبي ﷺ يبعث مع كل وفد من هذه الوفود بالقراء والمعلمين الذين يفقهونهم في الدين ، ويفسرون لهم آيات القرآن الكريم.

ـ التهامس بين الناس في أخبار الرسول ﷺ وأخبار هذا الدين الجديد ، وأوضح ما كان ذلك في حادثة الهجرة ، وفي فترات الصلح بين المشركين ، كما كان الأمر في صلح الحديبية.

ـ غزوات النبي ﷺ باعتبارها إعلاناً كبيراً عن الإسلام، فقد أمسك النبي ﷺ بالقرآن في إحدى يديه، وأمسك بالسيف كما أمره القرآن في يده الأخرى.

ـ سرايا النبي ﷺ وبعوثه الحربية إلى تخوم الروم تأميناً لحدود المسلمين بالمدينة من جهة ، وإنذاراً لأعداء الإسلام من الغرب وغيرهم بقوة هذا الدين الجديد وهيبته ، حتى لا يفكروا في الإغارة على حدوده.

وهذا فضلاً عن الخطب النبوية، وحركة الإخاء التي بدأ بها النبي ﷺ حياته بمقره الجديد في المدينة المنورة.

ويذهب التفسير الإعلامي للسيرة النبوية الشريفة إلى أن القرآن الكريم كان أكبر الوسائل الإعلامية على الإطلاق منذ بداية الرسالة ، كما كانت للأحاديث النبوية قوة إعلامية ليس هناك أعظم منها في حياة الرسول ﷺ وحياة الخلفاء الراشدين ، وحياة العصور الإسلامية التي تلتها إلى يومنا هذا ، والسبب في ذلك أن أظهر صفة من صفات الرسول الكريم ﷺ هي قدرته الإعلامية على التأثير في الآخرين ، وقد كانت هذه الصفة تشكل أكبر خطر واجهه المشركون في مكة ، كما كان الاتصال الشخصي والجمعي من أنجح وسائل الإعلام في عهد الرسول ﷺ ، وكذلك القدوة الحسنة ، والقصص غير القرآني.

وليس معنى ذلك أن الإعلام في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حصر نفسه في هذه المجالات ، واحتفظ لنفسه في المجالات السابقة التي مارسها الرسول ﷺ قبل عهد الاستقرار، ولكن معناه أن هذه المجالات، مضافاً إليها

مجال الخطب والأحاديث والقدوة الحسنة وغيرها ، ليست إلا أمثلة من النشاط الإعلامي على يد الرسول ﷺ في عهد الاستقرار.

تلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ في المدينة ، ولم يبق بمكة أحد إلا مفتون أو محبوس ، ومن البيوت التي هاجر أهلوها جميعاً إلى المدينة: بنو مظعون ، وبنو جحش ، وبنو البكير ، فإن دور هؤلاء بمكة أغلقت لهجرة جميع أهلها إلى المدينة.

أ ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ في المدينة[1]:

مضت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ في قباء ، وهذه أول خطبة خطبها في المدينة ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال:

«أما بعد:

أيها الناس، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ـ وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ: ألم يأتك رَسولي فبلغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك؟

فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم.

فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل.

ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة إلى عشرة أمثالها ، إلى سبعمئة ضعف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ـ خطبة ثانية:

ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى ، فقال: «إن الحمد لله أحمده

---

(١) يروي الطبري (٢/ ١١٥) نص خطبة أخرى خطبها الرسول ﷺ في أول جمعة له.

وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالىٰ.

قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس.

إن أحسن الحديث أبلغه.

أحبوا ما أحب الله.

أحبوا الله من كل قلوبكم.

ولا تملوا كلامه وذكره.

ولا تَقْسُ عنه قلوبكم.

فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، وقد سماه الله خيرته من الأعمال ، ومصطفاه من العباد ، والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام.

فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينكث عهده ، والسلام عليكم».

ب ـ موادعة رسول الله ﷺ لليهود:

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً ـ أو معاهدة ـ وادع فيه اليهود ، وعاهدهم ، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم ، وشرط لهم.

ومما جاء فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش

ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاء معهم.

إنهم أمة واحدة من الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم[1] يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[3] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

---

(١) أي: على الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) هو المثقل من الدين ، والكثير العيال.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسِيْعة ـ عطية ـ ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليهم جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً في مؤمن.

وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم.

وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مُتَناصَر عليهم ، وإن سِلْمَ المؤمنين واحدة... لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدلٍ بينهم.

وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

وإن كل المؤمنين يكف بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هُدى وأقومه.

وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن.

وإنه من اعْتَبط ـ قتل ـ مؤمناً قتلاً عن بينة ، فإنه قَوَد به إلا أن يرضى ولي المقتول.

وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه.

وإنه من نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد ﷺ.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإن يهود بني عوف أُمَّةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين

دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغ ـ لا يملك ـ إلا نفسه وأهل بيته .

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسه .

وإن جفنة بطنٌ من ثعلبة كأنفسهم .

وإنَّ لبني الشُّطَيْبَة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالي بني ثعلبة كأنفسهم .

وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ .

وإنه لا ينحجز على ثأر جرح .

من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظُلِم .

وإن الله على أبرِّ هذا .

على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

وبينهم النصح والنصيحة والبِرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه .

وإن النصر للمظلوم .

واليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

وإنه لا تُجارُ حرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشْتِجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

وإنه لا تُجار قريش ولامن نصرها، وإن بينهم النصر على من دَهَمَ يثرب، وإذا دعوا إلى صُلحٍ يصالحونه ويلْبسونه؛ فإنهم يصالحونه ويَلْبِسُونه.

وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة»

جـ ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال لهم: «تآخوا في الله، أخوين أخوين، وأخذ بيد علي فقال: «هذا أخي».

وكان حمزة وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين.

وكان جعفر بن أبي طالب[1] ومعاذ بن جبل أخوين.

وكان أبو بكر وخارجة الخزرجي أخوين.

وكان عمر وعتبان بن مالك الخزرجي أخوين.

وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين.

وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الخزرجي أخوين.

---

(١) كان جعفر آنذاك بأرض الحبشة.

والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود أخوين.

وسعيد بن زيد وأُبيُّ بن كعب أخوين.

وطلحة وكعب بن مالك أخوين.

وكان أبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين.

وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان[1] أخوين.

وأبو ذر والمنذر بن عمرو الخزرجي أخوين.

وسلمان الفارسي وأبو الدرداء الخزرجي أخوين، وبلال وأبو رويحة الخثعمي أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة وعُوَيْم بن ساعدة أخوين.

وكانت هذه المؤاخاة الفريدة في تاريخ الإنسانية.

ولقد وجد الرسول ﷺ نفسه أمام ثلاث طوائف في المدينة:

أولاها: طائفة المهاجرين الفقراء، الذين ضحوا بوطنهم ومالهم وتجارتهم طلباً للحرية وفراراً من الطغيان، ينصرون الله ورسوله ﷺ فهاجروا من مكة إلى المدينة فرادى وجماعات بعد هجرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكان أغلبهم يعمل بمكة في التجارة يكسب منها الأموال الطائلة، ويصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

والطائفة الثانية: هم الذين أحبوا الرسول ﷺ ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، من الأوس والخزرج سكان المدينة، وكانت مهنة أكثرهم الزراعة وتعهد الثمار والأشجار والفاكهة، وكانوا ذوي عدد وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

(١) ويقال: ثابت بن قيس الخزرجي خطيب رسول الله ﷺ مكان حذيفة.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والطائفة الثالثة: يهود المدينة الذين طالما أشعلوا نار الخصومة والحرب بين الأوس والخزرج، وسخروا من رسالة محمد ﷺ وأصحابه.

مجتمع كهذا فيه الفقراء والأغنياء، والمفسدون والمتآمرون، لا بد فيه من بناء جديد وحركة بعث وتجديد، فماذا فعل محمد صلوات الله عليه؟ لقد بدأ الرسول ﷺ يعالج هذه المشكلات بإلهام سديد، وعقل حصيف، وسياسة حكيمة.

طمأن اليهود على حرياتهم الدينية والشخصية، وتعهد بحمايتهم والدفاع عنهم في وثيقة سياسية بارعة، وادع فيها اليهود وعاهدهم وحذرهم، ليضمن سلامة الدولة وأمنها[1].

والتفت إلى علاج مشكلة التفاوت الشديد في الثروة بين الأغنياء والفقراء بين الأنصار والمهاجرين، فآخى بينهم تآخياً فريداً في تاريخ الإنسانية... إخاء مودة وتعاون وإخلاص، فكان يأخذ بيد المهاجر والأنصاري ويقول: «تآخيا في الله أخوين»، قال ابن هشام: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجر والأنصاري فقال: «تآخوا في الله أخوين».

وهكذ تنازل الأنصار الأغنياء ـ بوازع من دينهم وضميرهم وحبهم لنبيهم ﷺ ـ لإخوانهم المهاجرين الفقراء عن نصف ما يملكون من ثروة وعقار وأرض دون تردد أو إبطاء.

ووجدت مشكلة أخرى، فقد كان الأنصار أصحاب زراعة، بينما المهاجرون أهل تجارة لا عهد لهم بسواها من الحرف، فماذا يفعلون بالأرض التي أصابتهم؟

هنا تجلت عظمة إيمان الأنصار، وجلال أخلاقهم وإيثارهم على

---

(١) يقول هيكل في [حياة محمد] ص ٢٧٧: قررت هذه المعاهدة مع اليهود في يثرب لهم حرية العقيدة والرأي والمال، وهي فتح في الحياة السياسية والمدنية في العالم يومئذ.

أنفسهم ، فقد أصروا على أن يزرعوا أرضهم وأرض المهاجرين بأنفسهم ، ويقسموا محصولها مناصفة فيما بينهم ، ويكفوهم العمل والمؤونة ؛ تعاوناً منهم في بناء الأمة والمجتمع .

ومع ذلك فقد عمل كثير من المهاجرين في الزراعة ، كأبي بكر وعليّ وسواهما، وعمل آخرون في التجارة ونجحوا فيها ، كعبد الرحمن بن عوف الذي عرض عليه أخوه الأنصاري سعد بن الربيع أن يشاطره ماله ، فأبى وطلب إليه أن يدله على السوق. . . فتاجر وربح ، ولما توفي ترك ثروة واسعة ، قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: «إنا نخاف على عبد الرحمن مما ترك» فقال كعب: «سبحان الله ، ولمَ تخافون عليه؟ كسب طيباً وأنفق طيباً وترك طيباً».

ولم يكن هذا هو العلاج الوحيد الذي عالج به الرسول الكريم ﷺ مشكلة الفقر في المدينة ، بل خص المهاجرين ببعض الغنائم كأموال بني النضير ، فلم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر محتاجين ، وقال لهم: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة» ، فقال الأنصار: بل نقسم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها. . . وهكذا كانت يد الأنصار جليلة على المهاجرين حتى قالوا فيهم: ما رأينا مثل أنصار المدينة ، لقد أحسنوا مواساتنا ، وبذلوا الكثير ، وأشركونا في المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله.

د ـ الأذان:

١ ـ اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار ، واجتمع أمر الأنصار.

وبذلك استحكم أمر الإسلام ، فشرعت الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم مكانةً عالية ، وكان الأنصار هم الذين تبوؤوا الدار والإيمان.

٢ ـ وكان الناس يجتمعون إلى رسول الله ﷺ للصلاة في مواقيتها بغير دعوة.

وهمَّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة أن يتخذ بوقاً كبوق اليهود ، ولكن كره ذلك ، ثم فكر في اتخاذ الناقوس كالنصارى ، لكنه عدل عن ذلك.

وأخذ رسول الله ﷺ يشاور صحابته في ذلك.

فجاءه عبد الله بن زيد الخزرجي يقول: إنه رأى في نومه النداء للصلاة ـ أي الأذان ـ قال: يا رسول الله، طاف بي هذه الليلة طائف ، مرَّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة ، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟

قلت: وما هو؟

قال: تقول: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله.

حي على الصلاة ، حي على الصلاة.

حي على الفلاح ، حي على الفلاح.

الله أكبر ، الله أكبر.

لا إله إلا الله.

فقال ﷺ لعبد الله بن زيد: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها ، فإنه أندى صوتاً منك».

فلما سمع عمر الأذان وهو في بيته ، خرج إلى رسول الله ﷺ يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل ما رأى.

فقال له رسول الله: «فلله الحمد».

وقيل: رأى عمر في المنام أن: لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا للصلاة، فذهب إلى النبي ﷺ ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي ﷺ الوحي بالأذان، فما راع عمر إلا بلال[1] يؤذن، فقال رسول الله ﷺ لعمر حين أخبره بذلك: «قد سبقك بذلك الوحي».

وجاء بعض أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2].

٣ ـ فلما اطمأنت برسول الله ﷺ داره، وأظهر الله دينه، سره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من المؤمنين بالإسلام، قال أبو قيس بن قيس بن صرمة بن أبي أنس الأنصاري من قصيدة له:

سبحوا الله شرق كل صباح ... طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ... ليس ما قال ربنا بضلال

وقال كذلك أيضاً يحدث عن رسول الله ﷺ وعن الأنصار:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا
فلما أتانا أظهر الله دينه ... فأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألقى صديقاً واطمأنت به النوى ... وكان لنا عوناً من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا

٤ ـ وحولت القبلة في شعبان من السنة الثانية من هجرة رسول الله ﷺ.

٥ ـ وكان عبد الله بن الزبير أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، وميلاده في العام الأول من هجرة رسول الله ﷺ.

---

(١) عاش بضعاً وستين سنة، توفي عام ٢٠ هـ (راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ١: ٢٥١ ـ ٢٥٩).

(٢) التوبة: ٣١.

هـ ـ اليهود يظهرون العداوة للإسلام:

١ ـ رأت اليهود ما أصاب الإسلام في المدينة من تمكين، فنصبوا هم وأحبارهم لرسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً.

ومال إليهم في عداوتهم للإسلام رجال من الأوس والخزرج، كانوا قد ظلوا على جاهليتهم وشركهم، وأظهروا الإسلام نفاقاً وعصمة لأنفسهم.

وأخذ أحبار اليهود يسألون لتعجيز رسول الله ﷺ ويتعنتونه، ويأتونه باللَّبْس ليلبسوا بين الحق والباطل.

فمنهم حيي بن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن الربيع، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وعبد الله بن صوريا الأعور الذي لم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه، ورفاعة بن قيس، ورافع بن أبي رافع، ورافع بن خارجة، ووهب بن يهوذا، ولبيد بن أعصم.. وسواهم من الأحبار وأهل الشر والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه، والعداوة للإسلام، والعمل لإطفاء نوره.

٢ ـ وقد كان عبد الله بن سلام[1] يقاوم ما يصنعه اليهود أهل ملته، وكان حبراً عالماً قال: لما سمعت رسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقب له، فكنت مسراً لذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة.

فلما نزل رسول الله ﷺ بقباء، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه.

قال ابن سلام: وأنا في رأس نخلة لي أعمل وعمتي «خالدة» تحتي جالسة، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرتُ.

فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت.

---

(١) راجع فضائل عبد الله بن سلام في صحيح مسلم: ٢/ ٢١٠.

فقلت لها: أيْ عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، وبُعث بما بُعِثَ به.

فقالت: أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟

فقلت لها: نعم.

فقالت: فذاك إذن.

ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ورجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامي عن يهود.

ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عن يهود، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا إسلامي، فإنهم إن علموا به عابوني.

فأدخلني رسول الله ﷺ بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه، ثم قال لهم: أي رجل ابن سلام فيكم؟

قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا.

فخرجتُ عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقه وأعرفه.

فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي.

وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي «خالدة» فحسن إسلامها.

وقالت الأحبار: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، وقد عاش ابن سلام حتى مات عام ٤٣ هـ[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٩٦ ـ ٣٠٥.

٣ ـ وأما مخيريق فكان حبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل كذلك حتى كان يوم أحد ، وكان يوم أحد يوم السبت.

فقال: يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق ، وأخذ سلاحه وقاتل معه حتى قتل.

وحدثت صفية بنت حيي بن أخطب قالت:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل بقباء ؛ غدا عليه أبي حيي وعمي أبو ياسر؛ فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، فأتيا مكدودين كسلانين يمشيان الهوينى ، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما مع ما بهما من الغم ، وسمعت عمي وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم ، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم ، قال: فما بقي في نفسك منه؟ ، قال: عداوته والله ما بقيت.

٤ ـ وكان ممن دخل في الإسلام مع المسلمين ، وأظهر الدين وهو منافق من أحبار اليهود: سعد بن حنيف ، ونعمان بن أوفى ، وأخوه عثمان ، وزيد بن اللصيت.

وزيد هذا هو الذي قاتل عمر بسوق بني قينقاع ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ ـ وجاءه الخبر بما قال ـ عدو الله في رحله ، ودل الله رسول الله ﷺ على ناقته:

«إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها في هذا الشعب[1] قد حبستها شجرة بزمامها».

فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ ، وكما وصف.

---

(١) هو الطريق في الجبل.

وكان من هؤلاء كذلك: رافع بن حريملة ، ورفاعة بن زيد ، وقد أهلكهما الله عز وجل.

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه.

وقال رافع للرسول ﷺ: يا محمد ، إن كنت رسولاً من الله فليكلمنا الله حتى نسمع كلامه عن الإسلام.

٥ ـ وكان من أحبار اليهود ممن ناصبوا رسول الله ﷺ العداء: أبو ياسر بن أخطب وأخوه حيي بن أخطب ، وكان من أشد اليهود للعرب حسداً إذ خصهم الله تعالىٰ برسول الله ﷺ ، وكانا جاهدين في رد الناس.

مر أبو ياسر هذا برسول الله وهو يتلو فاتحة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من اليهود فقال لهم: لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه ﴿الٓمٓ﴾.

فقالوا: أأنت سمعته؟

قال: نعم.

فمشى حيي في أولئك النفر من اليهود إلى الرسول ﷺ فقالوا له: يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؟

فقال رسول الله ﷺ: بلى.

فقالوا: أجاءك بها جبريل من عند الله؟

قال: نعم.

قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيَّن لنبي منهم ما مدة ملكه غيرك.

فقال حيي لمن معه: الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ،

فهذه إحدى وسبعون أفتدخلون في دين إنما مدة ملكه إحدى وسبعون سنة؟.

ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! هل مع هذا غيره؟

قال ﷺ: نعم.

قال: ماذا؟

قال: ﴿الٓمٓصٓ﴾.

قال: والله هذه أثقل وأطول، إحدى وستون ومئة سنة، هل مع هذا يا محمد غيره؟

قال: نعم، ﴿الٓرٰۚ﴾.

قال: هذه أثقل وأطول، إحدى وثلاثون ومئتان، هل مع هذا غيره يا محمد؟.

قال: نعم، ﴿الٓمٓرٰۚ﴾.

قال: هذه أثقل وأطول، إحدى وسبعون ومئتان.

ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد، حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟

ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حيي: ما يدريكم، لعله قد جمع هذا كله لمحمد.

فقالوا: لقد تشابه علينا أمره.

٦ ـ وكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

فقال لهم معاذ بن جبل: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته.

فقال أحد اليهود: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم.

٧ ـ ولما قدم نصارى نجران على رسول الله ﷺ ؛ جاء أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ.

فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى والإنجيل.

وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ﴾[1].

وقال الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً.

وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً.

فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[2].

وقال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

وكان في وفد نصارى نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، ومنهم رؤساؤهم: العاقب ، والسيد ، وأبو حارثة بن علقمة صاحب مدراسهم. . . . وكان أبو حارثة هذا مقدماً عند ملوك الروم من أهل النصرانية لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فقال رجل من الوفد وقد عثرت بغلة أبي حارثة: تعس الأبعد ـ يريد رسول الله ﷺ ـ فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست ، قال: ولِمَ يا أخي؟ قال: والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر ، فقيل له: وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال أبو حارثة: ما صنع

---

(١) البقرة: ١١٣.
(٢) آل عمران: ٧١.
(٣) البقرة: ١٣٥.

بنا هؤلاء القوم الذين شرفونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت ـ أي آمنت بمحمد ـ نزعوا منا كل ما ترى .

فدخلوا عليه المسجد حيث صلى رسول الله ﷺ العصر ، ولهم منظر وروعة ، وحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون ، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم ، فصلوا إلى المشرق ، فأخذوا يجادلون رسول الله ﷺ في أمر المسيح وأمه ، فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الملاعنة: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] ، فنكصوا وقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضا ، فقال رسول الله ﷺ: «ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين الأمين» فبعث معهم أبو عبيدة .

٨ ـ ولما حولت القبلة من الشام إلى الكعبة في شهر شعبان على رأس سبعة عشر شهراً من هجرة رسول الله إلى المدينة، أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي رافع والربيع بن الربيع وغيرهم .

فقالوا: يا محمد ، ما ولاَّك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك .

فأنزل الله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] .

٩ ـ ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام، ورغبهم فيه

---

(١) آل عمران: ٦١ .

(٢) البقرة: ١٤٢ .

وحذرهم عذاب الله ونقمته ، فقال له رافع بن خارجة: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيراً منا.

ولما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ، جمع رسول الله ﷺ اليهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً.

فقالوا له: يا محمد، لا يغرنك عن نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلقَ مثلنا.

١٠ ـ ودخل رسول الله ﷺ بيت المدراس[١] على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله.

فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن زيد: وعلى أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه.

قالا: إن إبراهيم كان يهودياً.

فقال له رسول الله ﷺ: فهلمَّ إلى التوراة فهي بيننا وبينكم... فأبيا عليه.

اجتمع الأحبار من اليهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الإسلام ، فقال أبو نافع القرظي: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟

فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله ولا أمرني ، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[٢].

---

(١) بيت عبادة اليهود.

(٢) آل عمران: ٧٩.

١١ - ومر شاش بن قيس - وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة[١] بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود كان معه ، فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث[٢] وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولون فيه من الأشعار ففعل الشاب ذلك.

فتنازع القوم وتغامزوا ، وغضب الفريقان جميعاً ورددوا: السلاح السلاح!

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين وقال: «يا معشر المسلمين اللهَ اللهَ ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألّف بين قلوبكم؟».

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم... فبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، وأنزل الله تعالى على رسوله الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾[٣].

١٢ - ودخل أبو بكر بيت المدراس على اليهود فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل من علمائهم هو فنحاص ، فقال له: ويحك يا فنحاص!! اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله قد جاءكم بالحق من

---

(١) الملأ: الجماعة من الناس ، قيلة: أم الأنصار.

(٢) كان بين الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس وكان زعيم الأوس حصين الأشهلي وزعيم الخزرج عمر بن النعمان البياضي ، فقتلا جميعاً.

(٣) آل عمران: ١٠٠.

عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فرد عليه فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني ، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا.

فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال له: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله ، فشكا فنحاص إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد ، انظر ما صنع بي صاحبك؟

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، إنه زعم أن الله فقير إليهم ، وأنهم عنه أغنياء ، فجحد ذلك اليهودي ، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[1].

١٣ ـ وكلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبارهم، ومنهم عبد الله بن صوريا الأعور وكعب بن أسد ، فقال لهم: «يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق».

قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد ، فجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر ، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[2].

وقال أحبار من اليهود لقريش حين سألوهم: أديننا خير أم دين محمد؟

بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله تعالى

---

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) النساء: ٤٧.

فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[1].

ودخل جماعة منهم على رسول الله ﷺ فقال لهم: «أما والله إنكم لتعلمون أني رسول الله إليكم من الله؟» قالوا: ما نعلمه وما نشهد عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

١٤ ـ وبلغ بهم الأمر أن حاولوا قتل الرسول ﷺ لما خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية، فقال بعضهم لبعض: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيرميه بصخرة فيريحنا منه، فقال رجل منهم: أنا، فنزل الوحي على الرَّسول، بالأمر، فانصرف عنهم فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾[2].

وكانوا يقولون كقول النصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾؟

ودعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم، فأبوا وكفروا بما جاءهم به.

فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة: ما قلنا لكم هذا قطُّ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ

---

(١) النساء: ٥١.

(٢) المائدة: ١١.

بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٌ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾[1].

١٥ ـ واجتمع أحبار لهم في بيت المدراس بعد الهجرة ، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من اليهود محصنة ، فقالوا: ابعثوا بها إلى محمد فسلوه كيف الحكم فيها؟ وولُّوه الحكم عليها، فأتوه فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما فقد ولييناك الحكم.

فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم، فقال: «يا معشر يهود، أخرجوا إليّ علماءكم» ففعلوا ، فقال لعبد الله بن صوريا:

«يا ابن صوريا، أنشدك الله وأذكِّرك بأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟» قال: اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ، ولكنهم يحسدونك ، فأمر رسول الله ﷺ بهما فرجما عند باب السلام. فقال ابنُ سلام: هذه يا نبي الله آية الرجم في التوراة ، ولكنهم يخفونها.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟!».

قالوا: قد كان فينا يعمل به حتى زنى رجل منا ـ بعد إحصانه ـ من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنى رجل بعده فأراد أن يرجمه فقالوا: لا والله ، حتى ترجم فلاناً فأماتوا ذكر الرجم والعمل به ، فقال رسول الله ﷺ: «فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به»[2].

١٦ ـ وقال بعض أحبارهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينيه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له: يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ولم يخالفونا ،

---

(١) المائدة: ١٩.

(٢) ويقال: إن أول من رجم في الزنى: ربيعة بن حذار الأسدي (الأوائل لأبي هلال ٥٥).

وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك؟ فأبى ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾(١).

وأتى رسول الله ﷺ بعض أحبارهم فقالوا: يا محمد، أما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله لا إله إلا هو، بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو» فأنزل الله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾(٢).

١٧ ـ وكان رجال منهم قد أظهروا الإسلام ونافقوا: كرفاعة بن زيد، وسويد بن الحارث، وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾(٣).

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوماً ناس منهم فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، وأنزل الله فيهم صدر سورة البقرة إلى الآية المئة منها.

وقال بعض منافقيها: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر، فرفع ذلك لرسول الله ﷺ فأنكر الذي قال ذلك، فنزل قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾(٤).

١٨ ـ وقال بعض أحبارهم لرسول الله ﷺ: أحق يا محمد بأن هذا الذي جئت به الحق من عند الله؟ فإنا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة؟

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه

---

(١) المائدة: ٤٩.
(٢) الأنعام: ١٩.
(٣) المائدة: ٥٧.
(٤) التوبة: ٧٤.

مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به».

فقالوا: يا محمد، أما يُعلِّمك هذا إنس ولا جن؟!

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وإني لرسول الله تجدون ذلك مكتوباً في التوراة».

فقالوا: يا محمد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فنزل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

١٩ ـ ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة كان سيد أهلها عبد الله بن أُبي ابن سلول لا يختلف عليه في شرفه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره، حتى جاء الإسلام ومعه في الأوس رجل هو في قومه شريف مطاع، وهو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، وكان يُقال له: الراهب، فَشَقيا، بشرفهما وضَرَّهما.

فأما ابن أُبيّ فكان قومه قد نظموا له الخرز ليُتوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام حقد ورأى أن رسول الله ﷺ قد سلبه ملكاً، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً، على نفاق وحقد.

وأما أبو عامر الأوسي فأبى إلا الكفر والفراق لقومه، فخرج من المدينة إلى مكة في خمسين رجلاً، وقيل: في بضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا: الراهب، ولكن قولوا: الفاسق» وكان أبو عامر وهو في المدينة أتى رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال له رسول الله ﷺ: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»

---

(١) الإسراء: ٨٨.

قال: فأنا عليها، قال له رسول الله ﷺ: إنك لست عليها. قال: بلى إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها، قال: ما فعلت، ولكني جئت بها بيضاء نقية.

وأقام أبو عامر في مكة ، فلما افتتحها رسول الله ﷺ خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً ، وسوف يأتي أنه كان أول المحاربين لرسول الله ﷺ في أحد.

وكان قد خرج مع علقمة بن علاثة ، وكنانة بن عبد ياليل ، فلما مات أبو عامر اختصما في ميراثه إلى قيصر صاحب الروم ، فقال قيصر: يرث أهل المدر ـ الحاضرة ـ المدر ، ويرث أهل الوبر ـ البادية ـ أهل الوبر. فورثه كنانة دون علقمة.

٢٠ ـ وركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة يعوده ، وأردف أسامة بن زيد خلفه ، فمر رسول الله ﷺ بابن أُبيّ وهو في ظل أطمه ـ حصنه ـ وحوله رجال من قومه.

فلما رآه رسول الله ﷺ نزل فسلم، فجلس قليلاً وتلا القرآن ودعا إلى الله، وذكر ربه وحذر وبشر وأنذر ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ قال ابن أبيّ:

يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا! إن كان حقاً؛ فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تأته في مجلسه بما يكره منه ، فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى فاغشنا به وائتنا به في مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله مما نحب ، ومما أكرمنا الله به وهدانا له.

وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد وفي وجهه أثر ما قاله ابن أبيّ فقال سعد: والله يا رسول الله، إني لأرى في وجهك شيئاً ، لكأنك سمعت شيئاً تكرهه ، فقال: أجل ، وأخبره بما قال ابن أبيّ فقال سعد: يا رسول الله، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لنُتوِّجه ، وإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً.

٢١ ـ وقد كان اليهود من قبل عوناً للمشركين في مكة على رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهم الذين قالوا لوفد المشركين : سلوا محمداً عن ثلاثة إن أجابكم عنها فهو نبي، وإلا فلا، وكان من هذه الثلاثة الأمور: الروح، وتقول التوراة عن الروح: في البدء كانت الكلمة ، وكان روح الله يرف على وجه الماء.

وـ دعوة رسول الله الملوك والأمراء إلى الإسلام[١]:

منذ ذي الحجة من عام ستة من الهجرة.

١ ـ بعث رسول الله ﷺ في ذي الحجة عام ستة من الهجرة رسله إلى الملوك والأمراء يحملون رسائله إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وذلك بعد الحديبية.

وقيل: كانت بعثة الرسول لرسله فيما بين الحديبية ووفاته ﷺ.

٢ ـ فبعث حاطب بن أبي بلتعة في وفد إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، وقد رد المقوقس على رسالة رسول الله ﷺ رداً جميلاً ، وبعث معه جارية اسمها مارية فتزوجها رسول الله ﷺ ، وجارية أخرى اسمها سيرين أهداها الرسول ﷺ إلى حسان فتزوجها، وولدت ابنه عبد الرحمن بن حسان[٢].

وبعث دحية الكلبي إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، فأجاز قيصر دحية بمال وكساه كسىً جميلة ، فأقبل حتى إذا كان بحسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا الطريق عليه[٣] ، فلم يتركوا معه شيئاً.

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى برسالة ،

---

(١) لم يتحدث ابن هشام عن رسائل رسول الله إلى الملوك والأمراء ـ وذكر الطبري رسل رسول الله إلى الملوك والأمراء ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٠٢٩٧ الطبري.

(٢) وقيل: بعث المقوقس بأربع جوار إلى رسول الله.

(٣) ٢ : ٢٨٦ الطبري ـ وكان دحية من أجمل الصحابة الموجودين في المدينة ، فقد كان جبريل ربما نزل في صورته (٢ : ٣٩٨ سير أعلام النبلاء) وكان كذلك جرير بن عبد الله أجمل الناس ، وتوفي عام ٥٤ هـ (٢ : ٣٨١ ـ ٣٨٤ سير أعلام النبلاء).

فمزقها كسرى ، وقال: يكتب إليَّ هذا وهو عبدي؟ فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يمزق ملكه ، وكتب كسرى إلى باذان واليه على اليمن بأن يبعث إلى الحجاز رجلين يأتيانه بمحمد ، فبعث باذان رجلين إلى المدينة ، فأخبرهما رسول الله ﷺ بأن الله سلط على كسرى ابنه شرويه فقتله[1].

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، فصدق رسالة رسول الله ﷺ وبعث ابنه في وفد من الحبشة في سفينة ، غرقت بهم في البحر[2].

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك دمشق ، وقيل: بل إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، وقيل: إنه توجَّه لهرقل مع دحية.

وبعث سليط بن عمرو العامري بن عامر بن لؤي إلى هوذة الحنفي صاحب اليمامة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي ، وهو صاحب جانب من اليمامة.

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبد القيس وصاحب البحرين.

وبعث عمرو بن العاص إلى صاحبي عمان ، وهما جيفر وعبد ابنا الجلندَى ، فأسلما.

وبعث الحارث بن عمير إلى عامل هرقل على بصرى شرحبيل بن عمرو ، فقُتِل الحارث رسولُ رسولِ الله ﷺ ، مما كان سبباً في غزوة مؤتة.

هذا وقد بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، وهو الذي أسره الروم في معارك الشام في عهد عمر ، وبالغوا في تعذيبه ، وامتحنه قيصر امتحاناً شديداً ، فلما بعث عمر إلى قيصر يهدده طالباً إطلاق سراحه ،

---

(١) كان ذلك في ١٠ جمادى الأولى سنة سبع ٦٢٩ م ـ راجع ٢/ ٢٩٧ الطبري ، جـ ٢: ٥ سير أعلام النبلاء.

(٢) ٢/ ٢٩٥ الطبري ، وراجع: ١: ٦٢ زاد المعاد.

أطلقه وأطلق معه ثلاثمئة أسير ، وأجازه بثلاثين ألف دينار وثلاثين وصيفة وثلاثين وصيفاً[١].

وبعث رسول الله ﷺ عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث ونعيم بن عبد كلال[٢].

وقيل: إنه بعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن ، وبعث مسعود بن سعد إلى الجذامي عامل قيصر على معان، فأسلم وكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، وبعث إليه بهدية وبغلة شهباء وفرس وحمار وقباء سندس مُخوَّص بالذهب وأثواب.

وقيل: إنه ﷺ بعث عمرو بن أمية الضميري إلى مسيلمة الكذاب.

٣ ـ رسالة رسول الله ﷺ إلى النجاشي[٣]:

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: «من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة: سلْم[٤] أنت فإني أحمد الله إليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه. وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته، وإن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر ، والسلام على من اتبع الهدى. . . . ».

---

(١) راجع ٢ : ٨ سير أعلام النبلاء ـ وراجع ١ : ٦٢ زاد المعاد في شأن رسول الله.

(٢) ١ : ٦٣ زاد المعاد.

(٣) ٢ : ٢٩٤ الطبري.

(٤) المعنى: سلام.

وبلاغة رسول الله ﷺ مضرب الأمثال في روعتها وعظمتها وسمو منزلتها وصدق حكمتها ، وهي تلي بلاغة القرآن الكريم في سمو المنزلة ورفعة الشأن ، وقد كان ﷺ لا ينطق عن الهوى ، ومن ثم جاءت بلاغته إلى الخير والحق ، وتقريراً لشريعة القرآن وآدابه ومُثُله .

وفي هذه الرسالة النبوية البليغة المعجزة التي بعث بها صلوات الله عليه إلى ملك الحبشة ، تتجلى الحكمة الرائعة والمعاني السامية والأسلوب المشرق والإيجاز المحكم .

بدأ رسول الله صلوات الله عليه بهذا التعبير الرائع (سلم) أي سلام ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر عيسى ووصفه بما وصفه القرآن الكريم ، وقد كانت الحبشة تدين بدين عيسى عليه السلام .

ثم دعا ملك الحبشة وقومه إلى الإسلام ، وإلى إكرام ضيوفه ، ونصحهم ، ثم ختم الرسالة بقوله ﷺ : والسلام على من اتبع الهدى .

٤ ـ وكتب ﷺ إلى هرقل ملك الروم :

«من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[1] ، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»[2] .

وقال أبو سفيان[3] بن حرب :

كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصرتنا

---

(١) الأريسيون : الفلاحون والعمال ، فهم تبع لسادتهم وكبرائهم .

(٢) الطبري : ٢/ ٢٦١ .

(٣) هو صخر بن حرب من سادات قريش في الجاهلية ، كان من رؤساء المشركين يوم الأحزاب ويوم أحد ، أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ ، وتوفي سنة ٣١ هـ .

حتى ننكث أموالنا ، فلما كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بينا وبين رسول الله ﷺ ، خرجت في نفر من قريش إلى الشام ، وكان وجه متجرنا منه غزة ، فقدمناها حيث ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس ؛ فأخرجهم منها ، وانتزع منهم صليبه الأعظم ، وكانوا قد استلبوه إياه.

فلما بلغه ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ منهم ، وكانت حمص منزله خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حيث رد عليه ما رد ، ليصلي في بيت المقدس ، تُبسط له البُسط وتلقى عليه الرياحين.

فلما انتهى إلى إيلياء فقضى فيها رحلته ، وكان معه بطارقته وأشراف الروم ، أصبح ذات غدوة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقته: والله لكأنك أصبحت الغداة مهموماً.

فقال: أجل... رأيت البارحة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا: أيها الملك، ما نعلم أمة تختتن إلا اليهود وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود ، واشرح نفسك من هذا الهم.

فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم ، إذ أتاه رسول صاحب بصرى[1] برجل من العرب يقوده ، وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم فقال: أيها الملك، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاة والإبل يحدث عن أمر فاسأله.

فلما انتهى إلى هرقل رسول صاحب بصرى ، قال هرقل لمن جاء به: سله عن هذا الحديث الذي كان ببلده ، فسأله فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي وقد اتبعه ناس فصدقوه وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة وتركتهم على ذلك.

فلما أخبره الخبر قال: جردوه ، فإذا هو مختون ، فقال: هذا والله النبي الذي رأيت لا ما تقولون ، أعطوه ثيابه وينطلق ، ثم دعا صاحب شرطته فقال له: اقلب الشام ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل.

---

(١) بلد من أعمال دمشق.

فإنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا: نعم، قال: انطلقوا إلى الملك. فانطلقوا بنا، فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا: نعم، قال: فأيكم أمسُّ به رحماً؟ قال أبو سفيان: قلت: أنا، قال: ادن، ثم أقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي وقال لهم: إني سأسأله، فإن كذب فردوا عليه.

قال: فوالله لقد علمت أن لو كذبت ما ردوا عليّ، ولكني كنت امرأ سيداً أبرم عن الكذب، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوه علي، ثم يحدثوا به عني، فلم أكذبه.

قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم ما يدعى؟ فجعلت أزهِّد له شأنه، وأصغِّر له من أموره، وأقول له: أيها الملك، ما يهمُّك لمن شأنه؟ إن أمره دون ما بلغك. فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني، ثم قال: أنبئني فيما أسألك عنه من شأنه، قال: قلت: سل عما بدا لك.

قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: محض، هو أوسطنا[1] نسباً، قال: أخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به؟ قلت: لا، قال: هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟ قلت: لا، قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد، قال: فأخبرني عمن يتبعه أيحبه ويلزمه، أم يقليه ويفارقه؟ قلت: قلما يتبعه أحد فيفارقه، قال: أَخْبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: سجال يُدال علينا ونُدال عليه.

قال: فأخبرني هل يغدر؟ فلم أجد شيئاً أغمز فيه غيرها، فقلت: لا، ونحن منه في مدة[2]، ولا نأمن منه غدرة، قال: فوالله ما التفت إليها مني.

ثم كرر علي الحديث فقال: سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه محض

---

(١) أي: خيرنا وأفضلنا نسباً.

(٢) في مدة: يعني بها مدة صلح الحديبية.

من أوسطكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً ، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به ، فزعمت أن لا ، وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه، فزعمت أن لا .

وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عمن تبعه أيحبه ويلزمه ، أم يقليه ويفارقه ، فزعمت أنه لايتبعه أحد فيفارقه ، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه ، وسألتك عن الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سجال تدالون عليه ويدال عليكم ، وكذلك حرب الأنبياء لهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر، فزعمت أن لا ، فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه ، انطلق لشأنك .

فقمت من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول: يا لعباد الله! لقد أمرَ[1] أمرُ ابن أبي كبشة[2] ، أصبحت ملوك بني الأصفر[3] يهابونه في ملكهم وسلطانهم .

٥ ـ رسالة الرسول إلى المقوقس[4]:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط .

---

(١) أمرَ: عظم .

(٢) أبو كبشة: رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور ، وسمَّى المشركون النبي ﷺ ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله تعالى ، تشبيهاً له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعرى ، وقيل: هو كنية الحارث بن عبد العزى ، أو الرسول رضاعاً كانوا ينسبونه إليه استهزاءً بالرسول .

(٣) بنو الأصفر: لقب ملوك الروم .

(٤) أورد الطبري والقلقشندي أيضاً نصاً آخر لهذا الكتاب بمخالفة يسيرة في بعض الألفاظ كقوله: [فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين] .

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم كل القبط ، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . . .﴾ محمد رسول الله» .

٦ ـ وكتب في صلح الحديبية[١] بينه وبين قريش :

«باسمك اللهم ، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عَيبةً مكفوفة[٢] ، وأنه لا إسلال ولا إغلال[٣] ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهده دخل فيه ، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، وأن معك سلاح الراكب والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا» .

٧ ـ كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى :

«من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى : سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصحهم فقد نصح لي ، وأن

---

(١) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة ، فنزل بها النبي عليه الصلاة والسلام سنة ست للهجرة قاصداً مكة لزيارة الكعبة معتمراً ، فأرادت قريش منعه من الدخول مخافة العار . . . وبعد تراسل بينهما تصالحا على مافي هذه الصحيفة .

(٢) العيبة : موضع السر أو الخريطة للملابس ، والمراد الأمن .

(٣) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة ، والإغلال : الخيانة .

رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وأني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وأنك مهما تصلح فلن نعزلك ، ومن أقام على يهوديته أو نصرانيته فعليه الجزية».

٨ ـ كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم ، فإن توليت فإنما إثم المجوس عليك».

٩ ـ كتابه ﷺ لبني ضمرة بالموادعة:

«هذا كتاب من محمد لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من ناوأهم ، وأن لا يحاربوا دين الله ما بلَّ بحرٌ صوفة ، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لنصره أصابوه ، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من برَّ منهم واتقى».

ز ـ وفد ثقيف إلى رسول الله في ٢١ رمضان من العام التاسع:

بعد حصار الطائف قدم عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ فلقي الرسول ﷺ في الطريق قبل أن يصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فأذن له الرسول ﷺ ، وخرج يدعو قومه إلى الإسلام فرموه بالنبل فقتلوه.

وأقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب محمد ﷺ وأصحابه فأسلمت وبايعت.

بعثت ثقيف إلى رسول الله ﷺ وفداً من ستة، رئيسه عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فقدموا المدينة، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي

بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد . . .

وسألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم ، وبعث بأبي سفيان والمغيرة بن شعبة ليهدماها .

وسألوا رسول الله ﷺ فيما سألوه أن يعفيهم من الصلاة ومن كَسْرِ أوثانهم بأيديهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً ، أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وبعث معهم أبا سفيان والمغيرة لهدم الطاغية .

فخرجا مع القوم ، وقادهم المغيرة يضرب بها بمعول ، وخرجت نساء ثقيف يبكين عليها ويندبنها ، وأبو سفيان يقول والمغيرة يهدمها : واهاً لك ، واهاً لكِ ! .

وأخذ المغيرة مال اللات وحليها فبعث به إلى رسول الله ﷺ .

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي أعطاه وفد ثقيف هو :

«بسم الله الرحمن الرحيم :

من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين ، إن عضاه «وجٍّ» وصيده لا يعضد ولا يقطع ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً ، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله ﷺ ، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدى أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله ﷺ» .

ويروى أن الوفد لما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا : يا محمد ، إنا أخوالك وأصهارك وجيرانك ، إن حاربناك حاربك من بعدنا ، وإن سالمناك سالمك

من بعدنا ، ثم قالوا: فاجعل لنا ألا نعشر ولا نحشر . . . إلخ[1].

حَجُّ أبي بكر بالناس سنة تسع:

أقام رسول الله ﷺ في المدينة بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة.

ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم ، والمشركون من العرب على منازلهم من حجهم.

فخرج أبو بكر ومعه من المسلمين نحو ثلثمئة ، ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم . . . أن لا يصدَّ عن البيت أحد جاءه ، ولا يُخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب مخصوصين إلى آجال مسماة ، فنزلت السورة في ذلك وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك ، وكانت براءة تُسمى في عهد النبي ﷺ وبعده: المُبعثِرة ؛ لما كشفت من سرائر الناس.

ولما نزلت براءة وقد بعث أبا بكر يقيم للناس الحج ، قيل له: يا رسول الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أن لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته.

فخرج عليّ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور ، ثم مضيا.

فأقام أبو بكر للناس والحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ؛ حتى إذا كان يوم النحر قام عليّ ،

---

(١) الأوائل لأبي هلال: ص ٨٣.

فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحداً كان له عند رسول الله عهد إلى مدة فهو إلى مدته).

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

ثم قدما على رسول الله ﷺ بعد الموسم.

الأنصار وجهادهم في سبيل الله:

كم للأنصار من مواقف صادقات في الجهاد في سبيل الله كما كان للمهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين، وجزاهم خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

ولحسان بن ثابت، وقيل: بل لابنه عبد الرحمن قصيدة يعدد فيها أيام الأنصار مع النبي ﷺ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه، منها:

ألست خير معدٍّ كلها نفراً ... ومعشراً إن هم عُمُّوا وإن حصلوا
قوم همُ شهدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألوا وما خذلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحد ... منهم، ولم يك في إيمانهم دخل

ـ ثم يقول منها:

ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا في سريته ... مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم سار رسول الله محتسباً ... إلى تبوك، وهم راياته الأول
أولئك القوم أنصار النبي وهم ... قومي أصير إليهم حيث أتصل
ماتوا كراماً ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم في سبيل الله إذ قُتِلُوا

ـ وقال حسان من قصيدة أخرى:

كنا ملوك الناس قبل محمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل
أولئك قومي خير قوم بأسرهم ... فما عدَّ من خير فقومي له أهل
وقائلهم بالحق إن قال قائل ... وحلمهم عود وحكمهم عدل

ـ وقال أيضاً من قصيدة أخرى:

قومي أولئك إن تسألي ... كرام إذا الضيف يوماً ألم
فلما أتانا الرسول الرشيـ ... ـدبالحق والنور بعد الظلم
فقلنا صدقت رسول المليك ... هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد الإلـ ... ـه به أرسلت نوراً بدين قيم
فإنا وأولادنا جنـ ... ـة نقيك، وفي مالنا فاحتكم
فنحن أولئك إن كذبوك ... فنادِ نِداءً ولا تحتشمْ

سنة الوفود وهي السنة التاسعة من الهجرة: واستمر قدوم الوفود طول السنة العاشرة.

العرب يدخلون في الدين أفواجاً:

لما فتح الرسول ﷺ مكة وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

وإنما كانت العرب تنتظر بالإسلام ماذا يكون من أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله ﷺ معهم، وماذا تؤول إليه الأمور، لأن قريشاً كانوا أئمة العرب وقادتهم، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه.

فلما فتحت مكة، ودانت قريش لكلمة الله، ودوخها الإسلام، عرف العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته.

فدخلوا في دين الله أفواجاً يضربون إليه من كل وجه، وفي ذلك نزلت سورة الفتح، وهي السورة العاشرة بعد المئة من سور القرآن الكريم، وآياتها ثلاث: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب من كل مكان.

وفد تميم:

ورئيسه عطارد بن حاجب ومعه أشراف تميم منهم الأقرع بن حابس،

والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحباب بن يزيد الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية[1].

ونعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، في وفد عظيم من تميم.

ومع الوفد عيينة بن حصن الفزاري ، وهو والأقرع قد شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنيناً والطائف ، فلما قدم وفد تميم كانا معهم.

ودخل الوفد مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، فنادوا من وراء حجراته، أن اخرج إلينا فقالوا: يا محمد ، جئناك نفاخرك فائذنْ لشاعرنا وخطيبنا.

قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل.

فقام عطارد فقال:

(الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً ، ففعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزة أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدة فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم ، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك... أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا).

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس الأنصاري الخزرجي: قم فأجب الرجل في خطبته.

فقام ثابت فقال:

(الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمه نسباً وأصدقه حديثاً وأفضله

---

(١) كان رسول الله قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين: بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين أبي ذر والمقداد بن عمرو.

حسباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه ، وذوي رحمه ، أكرم الناس حسباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله . . . فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً . . . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم)[1] .

ثم أذن رسول الله ﷺ لشاعرهم فقام الزبرقان بن بدر ، فقال قصيدته :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

ـ ويروى : منا الملوك وفينا تقسم الربع .

وكان حسان غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ فأتاه واستمع في مجلسه إلى شاعر تميم الزبرقان ، فقال ﷺ : قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال ، فقام حسان ، فأنشد قصيدته :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنةً للناس تتبع

يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع[2]

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس : وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .

---

(١) قتل ثابت عام ١٢ هـ في موقعة اليمامة (سير أعلام النبلاء : ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧) .

(٢) يروى : تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا .

وأسلم الوفد ، وأجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم.

وفد العامريين:

وقدم على رسول الله ﷺ في المدينة وفد بني عامر ، عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وجبار بن سلمى ، وهم رؤساء القوم وشياطينهم ، وأربد أخو لبيد لأمه.

وكان عامر يريد الغدر برسول الله ﷺ وكان قومه قالوا له: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عَقِبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ وقال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعْلُهُ بالسيف.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر: يا محمد، خالِني ـ اتخذني خليلاً ـ قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده ، وجعل عامر يكلمه ليتمكن أربد مما يريد، وجعل أربد لا يحير شيئاً، فلما رأى عامر ذلك قال لرسول الله ﷺ: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ: اللهم اكفني عامراً.

وخرجوا من عند رسول الله ﷺ ، فقال عامر لأربد: ويلك يا أربد! أين ما كنت أمرتك به؟

قال: والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، فمات عامر في الطريق ، وأصابت أربد صاعقة فأحرقته ، ولقد رثى لبيد أخاه أربد بقصائد كثيرة.

وفد سعد بن بكر:

وهم الذين كان رسول الله ﷺ مسترضعاً فيهم ، وقد بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، يقال له: ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ.

فقدم عليه ، وأناخ بعيره عند باب المسجد ثم عقله ، ودخل المسجد والرسول ﷺ جالس في أصحابه .

فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله : أنا ابن عبد المطلب .

قال : أمحمد؟

قال : نعم .

فسأله ضمام عن الإسلام والصلاة والزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، والرسول ﷺ يجيبه .

حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

وجاء قومه فدعاهم إلى الإسلام ، وسب لهم اللات والعزى ، فأسلموا جميعاً .

وفد عبد القيس :

١ ـ لعبد القيس[١] وفادة على رسول الله ﷺ سنة سبع في ستة عشر رجلاً منهم ، وقيل : في عشرين ، وقيل : في خمسة وعشرين ، وقالوا له : مرنا بأمر فصلٍ نأخذ به من وراءنا .

فقال : آمركم بأربع : بالإيمان بالله وحده ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأنهاكم عن الانتباذ في الدباء والحنتم والمزفت والنقير[٢] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ١/ ٥٧٧ ، تحفة المستفيد لعبد القادر : ٢/ ٦ ـ ٢٥ .

(٢) الدباء : قشر القرع ، الحنتم : الجرار المطلية بالدهان الأخضر ، والمزفت : المطلية بالزفت ، والنقير : إناء يتخذ من جذع النخل .

وقال لهم: احفظوها وادعوا اليمن من وراءكم ، ودعا لهم ، اللهم اغفر لعبد القيس.

وقال صلوات الله عليه: يا معشر الأنصار ، أكرموا إخوانكم فإنهم أشبه الناس بكم في الإسلام ، أسلموا طائعين غير مكروهين ولا موتورين.

٢ ـ وفي السنة التاسعة قدم وفد عبد القيس إلى رسول الله ﷺ وعليهم الجارود بن بشر بن المعلى ، وكان نصرانياً ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ورغبه فيه ، فقال: يا محمد ، إني قد كنت على دين وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله: نعم ، أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه.

فأسلم وأسلم أصحابه ، وكان عددهم أربعين رجلاً.

وعاد الوفد فدعا الجارود عبد القيس إلى الإسلام ، فأسلموا.

ولما تبعت عبد القيس الغرور بن المنذر بعد موت رسول الله ﷺ ، وارتدت عن الإسلام ، قام الجارود يدعوهم إلى الله.

٣ ـ وكان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر ابن ساوى العبدي، فأسلم المنذر، ومات المنذر بعد وفاة رسول الله ﷺ وقبل أن يرتد أهل البحرين والعلاء عندهم أمير لرسول الله ﷺ على البحرين.

وفد بني حنيفة:

وفد على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب ، ونزلوا في دار كبشة بنت الحارث الأنصارية.

وأسلم الوفد، فلما انصرفوا عن رسول الله ﷺ وانتهوا إلى اليمامة ، ارتد مسيلمة وتنبأ ، وتكذب لهم وقال: إني قد أشركت في الأمر معه ، وجعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن الكريم: لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى.

ورفع مسيلمة عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي.

وفد طيىء:

١ ـ وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء، فيهم زيد الخيل، وهو سيدهم، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، وقال رسول الله ﷺ:

ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما قيل ، وسماه رسول الله: زيد الخير.

وفي طريق عودة الوفد إلى بلادهم مات زيد في أرض نجد.

٢ ـ وكان عدي بن حاتم الطائي شريفاً في طيىء ، وكان نصرانياً ، وكان ملكاً في قومه ، ويسير في نفسه على دين ، وله المرباع في قومه أي ربع الغنيمة ، ولا يأخذه إلا رئيس القوم.

فهرب من الإسلام إلى بلاد الشام حيث قدمت خيل لرسول الله ﷺ في بلاده، وأخذ المسلمون ابنة لحاتم مع سبايا من طيىء، فمر بها رسول لله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليَّ منَّ الله عليك ، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم ، قال: الفار من الله ورسوله؟ ثم مضى رسول الله ﷺ وتركها ، وفي الغد مر بها رسول الله ﷺ فقالت له مثل ذلك ، وقال لها مثل ما قال بالأمس ، وبعد الغد مر بها فكلمته فقال ﷺ: «قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني».

فقدم ركب من بلي أو قضاعة ، فرأت أن تخرج معهم لأخيها بالشام ، فجاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ ، فكساها رسول الله ﷺ وحملها ، وأعطاها نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام إلى أخيها ، فقالت له: القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك ، ثم نزلت وأقامت عنده فقال لها: ماذا

ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت ، قال لها: والله إن هذا للرأي.

فخرج حاتم حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل عليه وهو في مسجده فسلم، فقال: من الرجل؟ قال: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ وانطلق به إلى بيته ، فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليه ، وقال: اجلس عليها، قال عدي: بل أنت، فقال ﷺ: بل أنت، فجلس عدي عليها وجلس رسول الله ﷺ على الأرض، ثم قال رسول الله ﷺ له: لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم[1]، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

فأسلم عدي ، وعاد إلى بلاده داعية إلى الله ورسوله ﷺ.

وفد مراد:

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة ، ومباعداً لهم ، وكان بين مراد وهمدان قبيل الإسلام حرب نالت فيها همدان - بقيادة الأجدع بن مالك - من مراد ما نالت ، في يوم يقال له: [يوم الروم] وفيه قال فروة بن مسيك من قبل:

فإن نَغْلِب فغلابون قِدْماً ... وإن نُغْلَب فغير مغلَّبينا

فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بقي الكرام إذاً بقينا

وانتهى فروة إلى رسول الله ﷺ فأكرمه رسول الله ﷺ، واستعمله على مراد

---

(١) أي: فقر المسلمين وجدب بلادهم.

ومذحج وزبيد ، وبعث معه خالد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

وفد زبيد:

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب الزبيدي في وفد من قومه، فأسلم عمرو والوفد.

وأقام عمرو في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو عن الإسلام.

وفد كندة:

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة في ثمانين راكباً منهم، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: ألم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقوه منها فألقوه ، ثم قال له الأشعث: يا رسول الله، فنحن آكلو المرار، وأنت ابن آكل المرار، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس[1] بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث ، ثم قال لهم: لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة لا ننتفي من أبينا.

وأسلم الوفد ، وعاش الأشعث مجاهداً حتى توفي عام ٤٠ هـ عن ٦٣ عاماً[2].

وفد الأزد:

وقدم على رسول الله ﷺ وفد الأزد ، وعليه صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلموا، وأمَّر رسول الله ﷺ صرد الأزدي على من أسلم من قومه، وأمره أن

---

(١) كانت كندة ملوكاً وكان العباس وربيعة إذا أبعدا في السير في أرض العرب في تجارتهم في الجاهلية فسئلا: ممن هما؟ قالا: نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك.
وفي رواية أن وفد كندة كان سبعين رجلاً ـ ٢/ ٢٥ سير أعلام النبلاء ، والأشعث بن قيس زوجه أبو بكر أخته ـ ٢/ ٢٦ المرجع السابق ، وتوفي الأشعث عام ٤٠ هـ بالكوفة ٢/ ٢٨ سير أعلام النبلاء.

(٢) ٢/ ٢٨: سير أعلام النبلاء.

يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، فسار صرد إلى جرش وهي يومئذ مدينة مغلقة بها قبائل من قبائل اليمن ، وانضوت إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حيث سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصرهم صرد والمسلمون قريباً من شهر ، ثم فك الحصار ، فخرج إليه من فيها يقاتلونه فقاتلهم وقتل منهم ، وخرج وفد من جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا.

رسول ملوك حمير في رمضان من السنة التاسعة:

وكتب ملوك حمير كتاباً إلى رسول الله ﷺ بعثوا به مع رسول منهم ، وفيه إسلامهم ، فوصل الكتاب في مقدم رسول الله ﷺ من تبوك ، وهؤلاء هم ملوك حمير: الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، ونعيم بن كلال ، والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان.

فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان.

أما بعد ذلكم:

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد:

فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة فبلَّغ ما أرسلتم به ، وخبر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين.

وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة...

أما بعد، فإن رسول الله النبي محمداً أرسل إلى زرعة ذي يزن أنْ إذا

أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً ، معاذ بن جبل[1] وعبد الله بن زيد ، وعبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وأبلغوها رسلي ، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً.

أما بعد، فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، وإنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكاً قد بلَّغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيراً.

وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم ، وآمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

رسول فروة الجذامي:

وبعث فروة الجذامي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وكان عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ، وأهدى له بغلة بيضاء ، فلما علم الروم بإسلامه أخذوه فحبسوه عندهم ثم صلبوه على ماء بالشام يقال له: عفراء.

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد:

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ـ قبل أن يقاتلهم ـ ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

---

(١) لما بعث الرسول معاذاً إلى اليمن خرج الرسول يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال: يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي ومقامي ، فبكى معاذ لفراق رسول الله فقال الرسول: لا تبك يا معاذ. (سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٣٢١).

فقدم خالد عليهم ، وبعث الركبان يقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا ، فأسلم الناس ، فأقام فيهم يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه.

وأقام بين أظهرهم يأمرهم بما أمر الله به ، وينهاهم عما نهاهم الله عنه ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك ، وكتب إليه الرسول ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأَقْبِل وليُقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فجاء خالد برؤوسهم فأعلنوا إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ ، فأمَّر عليهم رسول الله قيس بن الحصين، ثم رجعوا إلى قومهم قبل وفاة رسول الله ﷺ بأشهر، وكان رجوعهم في صدر ذي القعدة من السنة العاشرة.

وبعث رسول الله ﷺ إليهم ـ بعد أن انصرف وفدهم ـ عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره ، وفيه:

«وينهى ـ إذا كان بين الناس هيج ـ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له».

رفاعة بن زيد الجذامي:

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجذامي، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً، وأسلم وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً

إلى قومه فيه: إني بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فأجابه قومه وأسلموا.

وفد همدان:

وقدم وفد همدان إلى رسول الله ﷺ فلقوا رسول الله ﷺ في عودته من تبوك ، فخطبه مالك بن نمط بين يديه وأعلن إسلام قومه.

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً وقال في آخره: لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله:

وقال مالك بن نمط قصيدة في مدح الرسول ﷺ منها:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدَّق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتدي
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحدِّ المشرفيِّ المهنَّد

وفد مزينة:

وقدم على رسول الله ﷺ وفد مزينة.

وفد نجران:

وفي السنة العاشرة قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران ستون راكباً ، منهم أربعة وعشرون من أشرافهم فيهم العاقب أمير القوم ، والسيد صاحب رحلهم ، وأبو حارثة أسقفهم وإمامهم وصاحب مدراسهم ، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه وموَّلوه وقدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات ، لما بلغهم من علمه واجتهاده ، وهو أبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل.

وفد دوس:

وقد قدم على رسول الله ﷺ من قبل ذلك بخيبر.

ـ وقدم عليه وفود كثيرة أخرى منها:

وفد طارق بن عبد الله.

وفد نجيب سنة تسع من الهجرة وهم من السكون.

وفد بني سعد بن هذيم بن قضاعة وهم من أهل اليمن في سنة تسع.

ووفد بني فزارة.

ووفد بني أسد.

ووفد بهراء من اليمن سنة تسع.

ووفد عذرة.

ووفد بلي في ربيع الأول من سنة تسع.

ووفد ذي مرة.

ووفد خولان.

ووفد محارب من العام العاشر.

ووفد صداء في سنة ثمان.

ووفد غسان في شهر رمضان سنة عشر.

ووفد سلامان.

ووفد عبس.

ووفد عامر.

ووفد الأزد.

ووفد بني المنتفق.

ووفد النخع.

وفاة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ:

في السنة التاسعة وفي يوم الثلاثاء ٢٧ كانون الثاني من عام ٦٢١ م لعشر

obeikandl.com

خلون من ربيع الأول توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، ودفن بالبقيع ، وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس: إنها كسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» وفي هذه السنة أيضاً ماتت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ في شعبان.

عمال الصدقات لرسول الله ﷺ:

وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما وطئ الإسلام.

فبعث المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء ، فخرج عليه الأسود العنسي الكذاب وهو بها.

وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى حضرموت.

وبعث عدي بن حاتم على كل طيء وصدقاتها وعلى بني أسد.

وبعث الزبرقان على ناحية من بني سعد.

وقيس بن عاصم على ناحية من بني سعد.

والعلاء بن الحضرمي على البحرين.

وعلي بن أبي طالب إلى نجران.

وعيينة بن حصين إلى بني تميم.

ويزيد بن الحصين إلى أسلم وغفار.

ورافع بن مكيث إلى جهينة.

وعمرو بن العاص إلى خزاعة.

والضحاك بن سفيان إلى بني كعب.

وابن اللتيبة الأزدي إلى بني ذبيان.

ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة.

وممن وجههم رسول الله ﷺ إلى اليمن معاذ بن جبل.

وقد جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[1].

ومات عام ١٨ عن ٣٨ عاماً، فميلاده قبل الهجرة بعشرين عاماً، وقبل البعثة النبوية بسبعة أعوام، أي عام ٣٣ من ميلاد الرسول الكريم ﷺ.

وقد سأله الرسول ﷺ حيث وجهه إلى اليمن: «بمَ تقضي يا معاذ؟»

فأجاب قائلاً: بكتاب الله.

قال الرسول ﷺ: «فإن لم تجد في كتاب الله»؟

قال معاذ: أقضي بسنة الرسول.

قال الرسول ﷺ: «فإن لم تجد في سنة رسوله؟».

قال معاذ: اجتهد رأيي، ولا آلو.

فتهلل وجه الرسول ﷺ وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله».

ويقول عائذ بن عبد الله: «دخلت المسجد يوماً مع أصحاب الرسول ﷺ في أول خلافة عمر، فجلست يوماً مجلساً فيه بضع وثلاثون كلهم يذكرون حديثاً عن رسول الله ﷺ، وفي الحلقة شاب شديد الأدمة حلو المنطق وضيء وهو أشب القوم سناً، فإذا اشتبه عليهم من الحديث شيء ردوه إليه فأفتاهم، ولا يحدثهم إلا حين يسألونه، ولما قضى مجلسهم دنوت منه وسألته من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا معاذ بن جبل.

ويقول فيه عمر وهو أمير للمؤمنين: (لولا معاذ بن جبل لهلك عمر).

وحينما مات الرسول ﷺ كان معاذ باليمن منذ بعثه النبي ﷺ إليها، يعلم المسلمين ويفقههم في الدين، ولكنه عاد إلى المدينة، في خلافة أبي

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٢٨١.

بكر ، وكان عمر قد علم أن معاذاً أثرى فاقترح على الخليفة أن يشاطره ماله ، ولم ينتظر عمر بل أسرع إلى دار معاذ وألقى عليه مقالته.

ولكن معاذاً كان طاهر الكف ، طاهر الذمة ، لم يكتسب إثماً ولم يقترف شبهة لذلك رفض عرض عمر ، وناقشه رأيه.

وتمرُّ ليلة وإذ معاذ يطوي مسرعاً إلى دار عمر ، ولا يكاد يلقاه حتى يقول ودموعه تسحُّ على خديه: «لقد رأيت في منامي أني أخوض حومة ماء وأخشى على نفسي الغرق ، حتى جئتَ فخلَّصتني يا عمر».

وذهبا معاً إلى أبي بكر وسأله معاذ أن يشاطره ماله ، ولكن أبا بكر الذي ما كان ليترك لمعاذ درهماً لو علم أنه أخذه بغير حق يقول له: (لا آخذ منك شيئاً).

وهاجر معاذ إلى الشام حيث يعيش معلماً وفقيهاً ، فإذا مات أميرها أبو عبيدة عام ١٨ هـ استخلفه أمير المؤمنين عمر مكانه ، ولا يمضي عليه في الإمارة أشهر معدودات حتى يلقى ربه عام ١٨ هـ.

وحينما طعن عمر ، طلب إليه أصحابه أن يوصي بالخلافة ، فأجاب: (لو كان معاذ بن جبل حياً لوليته ، ثم قدمت على ربي عز وجل فسألني من وليته على أمة محمد؟ لقلت: وليت عليهم معاذ بن جبل بعد أن سمعت النبي ﷺ يقول: معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة).

ووصفه ابن مسعود فقال: إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، ولقد كنا نشبه معاذاً بإبراهيم عليه السلام.

وكما كان دائب الدعاء إلى الله بقوله: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) كان دائب الإلحاح على الناس أن يلتمسوا العلم الصحيح النافع ويقول: (احذروا زيغ الحكيم ، واعرفوا الحق بالحق ، فإن للحق نوراً).

وكان يرى العبادة قصداً وعدلاً ، قال له يوماً أحد المسلمين: عَلِّمني ،

فسأله معاذ: (وهل أنت مطيعي إذا علمتك؟) قال الرجل: إني على طاعتك لحريص، فقال له معاذ: (صُمْ وأفطر وصلِّ، ونَمْ واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا مسلماً، وإياك ودعوة المظلوم)[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: السيرة النبوية والإعلام أمينة الصدي: ص ٢٣٥ ـ ٢٨٤.

obeikandl.com

المبحث الثاني

أساليب الإعلام في صدر الإسلام ووسائله

مارس العصر الجاهلي وسائل الإعلام الفطرية المعروفة عند الأمم المختلفة ، وذكرنا سابقاً أن أهم هذه الوسائل التي مارسها الجاهليون القصيدة الشعرية والخطب والندوات والأسواق والمناداة وغيرها ، وعندما أرسل الرسول ﷺ ليكون رحمة للعالمين اهتم بوسائل الإعلام المعروفة عند العرب ولم يهملها ، ولكنه عمل على تعديل مسارها وتطوير أهدافها لخدمة الإسلام بعد أن كانت تتوجه لبثّ الخلافات وإثارة القلاقل وإشعال نار الفتن ، كما أصبح للإعلام صورة جديدة لم يعرفها العرب من قبل والتي منها القرآن الكريم والحديث الشريف والمسجد وغيرها .

وعندما نتحدث عن الإعلام الإسلامي في صدر الإسلام نجده ماثلاً بالآية الكريمة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

ونريد أن نتحدث بإيجاز عن بعض الصور أو الوسائل التي اهتم بها الرسول ﷺ سواء مارسها الجاهليون أو الصور الجديدة التي لم يعرفها الجاهليون ، والتي من أبرزها :

---

(١) الجمعة : ٢ .

١ ـ القصيدة الشعرية:

أدرك الرسول ﷺ أهمية هذه الوسيلة التي يستخدمها أعداؤه، يهاجمون بها دعوته، ويوجهون له من خلالها الاتهامات والدعاوى الباطلة، فما كان منه إلا أن جعل القصيدة الشعرية واحدة من الوسائل الفعالة لحمل رسالة الإسلام، ومن أبرز الشعراء في الإسلام حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ[1].

٢ ـ الخطبة:

عرف الإسلام قيمة الخطابة وأدرك أهميتها فاستثمرها لنشر الإسلام، ولقد كان للخطبة أهميتها في الإسلام منذ أن صعد الرسول ﷺ الصفا ليعلم قومه بما جاءه من عند ربه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر! يا بني عدي! ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا فجعل الرجل إنْ لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾، وجاء في رواية أبي هريرة: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، قال: يا معشر قريش (أو كلمة نحوها)، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبد الحليم: ص ١٤٨.
(٢) الشعراء: ٢١٤.

شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»[1].

واستمر الرسول ﷺ هكذا حتى خطبة الوداع، التي أشهد فيها ربه على أنه بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة. وقد نهج نهجه في هذا الصدد خلفاؤه الراشدون وصحابته الأولون في الاستعانة بالخطبة للإعلام عن الإسلام والدعوة إليه.

٣ ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو الوسيلة العظمى والطريقة المثلى للدعوة الإسلامية، وقد كان ولا زال له منهجه في الدعوة، وهو يتمثل في منهجه الإعلامي بالدعوة في مكة ومنهجه الإعلامي بالدعوة في المدينة، ففي مكة كانت له قضاياه الخاصة بهذه المرحلة وظروفها، حيث كانت هذه القضايا تتعلق بالعقيدة الدينية وتثبيتها في النفوس في المقام الأول، وركزت على الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وباليوم الآخر وعلى بيان الأعمال الصالحة، والتحلي بمكارم الأخلاق، وإثبات الرسالة العظمى ونبوة محمد ﷺ، والرد على المعاندين والجاحدين.

وكانت أساليب الدعوة هنا هي القرآن والسنة، بينما وسائلها كانت في اللقاءات والاتصالات الفردية والجماعية والبيعات والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، والخطابة وغير ذلك.

والنصوص في هذا كثيرة منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3] وهو للاستدلال على وحدانيته تعالى.

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٧٠ و٤٧٧١).

(٢) الغاشية: ١٧ ـ ٢٠.

(٣) سورة الإخلاص.

وإذا تأملنا القرآن المكي لوجدنا أنه لا تكاد تخلو سورة من الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ، وإقامة الأدلة على وجوده ووحدانيته ، وتقبيح الإيمان بغيره ، وذلك لبناء الروح الإيمانية التي تصنع النفوس الأبيَّة ؛ التي تهون أمامها المصاعب وتصغر الشدائد ، وهي التي تتعشق المثل العليا والقيم الرفيعة ، وتجاهد لتحقيق أهدافها النبيلة ولو كلفها ذلك أعز ما لديها[1] .

أما في المدينة المنورة فقد تركز منهج الإعلام بالدعوة فيها ـ بالإضافة إلى الكتاب والسنة ـ على الجهاد ، والذي حاز على النصيب الأوفر بين وسائل الدعوة في المدينة ، ولقد زادت الوسائل هنا عن ذي قبل فبيان التشريعات والحقوق والواجبات والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية أصبحت تتبلور أكثر مما كانت عليه في مكة ، بحيث وضعت الأسس والقواعد لذلك .

ولا ننسى هنا وسائل زادت كذلك مثل إيفاد الرسل إلى ملوك ورؤساء العالم بالكتب لدعوتهم إلى الإسلام حتى يعلم الناس بالدعوة على بُعدهم ، ولم يكد الرسول ﷺ يرجع إلى المدينة بعد صلح الحديبية حتى كتب إلى ملوك الأرض ، وأرسل إليهم رسله ، فبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع ، وكتب إلى ملوك الروم وفارس والحبشة ، فمنهم من عظَّم كتابه وأحسن القول ، ومنهم من مزقه وأساء ، عن أنس رضي الله عنه : «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ»[2] .

٤ ـ الحديث الشريف :

كان للأحاديث النبوية دور إعلامي بارز في نشر الدعوة الإسلامية ؛ وتتضح أهميتها الإعلامية في أنها جاءت في مجملها تأكيداً وتفسيراً للمعاني

---

(١) الدعوة إلى الله تعالى ، د. أبو المجد نوفل ، ص ٦٩ وما بعدها .
(٢) رواه مسلم .

التي وردت في القرآن الكريم ، وأنها كانت قوة هائلة في نشر الدين والعمل بالقرآن .

لقد كان للحديث أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي ، فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه إقبالاً عظيماً ، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه ، وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرتهم العلمية مؤسسة على التفسير والحديث .

وعن طريق الحديث انتشرت في العالم الإسلامي أنواع من الثقافة عدة : فالتاريخ الإسلامي بدأ بشكل حديث كالذي ترى في كتب الحديث من فضائل أشخاص وفضائل أمم ، ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتباً قائمة بنفسها ، وقصص الأنبياء جاءت في القرآن وتوسع فيها الحديث ثم توسع فيها القصاص فكان القصص والأحكام ، وقواعد الأخلاق كان لها الأثر الأكبر في الناس ، وفوق ذلك كان الحديث أوسع منبع للتشريع في العبادات والمسائل المدنية والجنائية وعلى الجملة فقد كان الحديث أوسع مادة للعلم وللثقافة والإعلام في ذلك العصر[1] .

٥ ـ القدوة الحسنة :

للقدوة الحسنة أهمية كبرى في تربية الفرد وتنشئته على أساس سليم ، والقدوة الحسنة طريق يجب أن يسلكه كل من يتصدر للإعلام الإسلامي في أي موقع ؛ حتى لا تأتي أفعاله متناقضة مع أقواله ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[2] .

وإذا تزود رجل الإعلام الإسلامي بصفة القدوة الحسنة فإنه سيحقق الكثير ، ويختصر الطريق ، ويوفر على نفسه جهوداً كثيرة ، لأنه يقوم بتزويد الناس بالحقائق السليمة والمعلومات الصحيحة .

---

(١) فجر الإسلام ، أحمد أمين : ص ٢٢٣ .

(٢) التوبة : ٣٤ .

ولقد دعانا الإسلام إلى الاقتداء بالرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[1].

وضرب لنا الرسول ﷺ مثل الجليس الصالح والجليس السوء، وشبههما ببائع المسك ونافخ الكير، وهذا يعني أن نتخير لأبنائنا ولأنفسنا القدوة الصالحة التي يكون في تقليدها الخير والمنفعة، ويؤكدها «ملتون حبيب»: أنه ليس من قبيل المبالغة أن قوة تأثير شخصية الرسول ﷺ على مواقف المسلمين التي تلقى كل التبجيل هي عبارة عن شعور تلقائي وطبيعي، لا يمكن تحاشيه، سواء كان ذلك في عهد الرسول ﷺ أو من بعده، لقد كان ذلك أكثر من مجرد إعجاب، ويكفي أن نذكر أن علاقة الحب والإعجاب التي غرسها الرسول ﷺ في قلوب أصحابه قد انبعث أمرها ومداها عبر القرون وتتم آثارها وغرسها في قلب كل جيل[2].

وقد نهج أصحابه المخلصون نهجه، فكانوا قدوة حسنة لغيرهم نجم عنها توسيع نطاق المعتنقين للإسلام إيماناً منهم بصدق نوايا هؤلاء الأصحاب المخلصين، وصفاء سريرتهم، ورجاحة عقولهم.

٦ ـ الاتصال الشخصي والجمعي:

إن الذي لا شك فيه أن الاتصال الشخصي في ذاته أساس لجميع العمليات الإعلامية، وأكثر ما يؤثر الاتصال في ميدانين خطيرين هما ميدان الدعوة وميدان الدعاية، والقدرة على ممارسة الاتصال الذي من هذا النوع شرط في نجاح العمليات الإعلامية، لأنه يلعب دوراً خطيراً في الإعلام على جميع المستويات، ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات البحوث الحديثة تؤكد أهمية الاتصال الشخصي، وأن له مقدرة عظيمة على التأثير في الناس أكثر بكثير من بقية وسائل الإعلام العامة[3].

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبد الحليم: ص ١٦٠.

(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير، د. عبد الحليم إمام: ص ١٠.

ولقد كان اعتماد الرسول ﷺ على الاتصال الشخصي اعتماداً كبيراً ، يدل على ذلك حسن سياسته وعظيم حكمته في معالجة جميع المواقف التي كانت تمر به ، وخصوصاً المواقف الحرجة التي كان يخطط لها المنافقون واليهود لإفساد العلاقات الطيبة بينه وبين أصحابه وأنصاره ، ولكنه استطاع بسياسته ومبادرته بالاتصال الشخصي المباشر بينه وبين مصادر الفتنة أن يهدم كل ثورة ، وأن يمحو كل سخط ، وأن يذيب كل حقد ، وأن يعيد نفوس أصحابه أصفى مما كانت عليه قبل حدوث الفتنة ، وقد كانت طريقته في ذلك الصراحة التامة والصدق الذي ليس بعده صدق والشجاعة التي لا تماثلها شجاعة ، ولقد مارس الرسول ﷺ من الاتصال الشخصي بالطريقة التي لا يرقى إليها زعيم في أمة أو قائد في حركة ، وما ذلك إلا بتوفيق من الله تعالى وحسن توجيهه[1] ، وكان في ممارسته لهذه الوسيلة لا يفرق بين غني وفقير أو أبيض وأسود أو قوي وضعيف ، ولعل أبرز الشواهد على اهتمام الرسول ﷺ بهذه الوسيلة واعتماده عليها واهتمامه بها ما يلي :

أ ـ الاتصالات السرية التي كان يجريها مع أصدقائه وخلصائه وأفراد أسرته في مراحل الدعوة الأولى .

ب ـ لقاءاته الشخصية مع أفراد القبائل التي تفد إلى مكة في مختلف المواسم ، وأشهرها لقاؤه مع طائفة من أهل الخزرج ، حيث تمت بيعة العقبة الأولى ثم بيعة العقبة الثانية .

جـ ـ رحلته الشهيرة إلى الطائف لعله يجد من يستجيب للدعوة من أهل ثقيف[2] .

أما الاتصال الجمعي فأظهر ما يكون في مجال الخطابة ، حيث كان

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة : ص ٨٠ .

(٢) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، د. محيي الدين عبد الحليم : ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

يجتمع الرسول ﷺ بالمسلمين وغيرهم فيخطب بهم ، أو لقاءاته مع الوفود التي كانت تأتي من خارج المدينة[1].

٧ ـ المسجد :

لقد كان للمسجد دور إعلامي مهم في أول الدعوة الإسلامية ، ولا يزال رغم تقلص وظيفته التي كان عليها في صدره الأول ، حيث كان مركزاً للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية ، وكان يقوم بوظائف متعددة من أهمها[2]:

١ ـ أنه كان داراً للعبادة والصلاة.

٢ ـ أنه كان مركزاً تربوياً وثقافياً مهماً تعقد به حلقات العلم لدراسة القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة كما كان مكاناً للدعوة.

٣ ـ كان يستخدم كمعهد لتعليم الناشئة أصول الدين واللغة والأدب.

٤ ـ وكان مكاناً للتقاضي يجتمع فيه القضاة للنظر في الشكاوى والخصومات.

٥ ـ وكان مركزاً لتصريف شؤون الدولة قبل إنشاء الدواوين الحكومية ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يستقبل السفراء في المسجد ، ويدير شؤون الدولة فيه.

٦ ـ وكان المسجد مكاناً إعلامياً مهماً فيه تذاع الأخبار المهمة التي تتعلق بالمصالح الهامة الضرورية ، كالتجهيز للحروب والغزوات.

وللمسجد مكانته بين وسائل الإعلام ، فهو يحقق الاتصال المباشر بين الداعي والمدعو ، ويحقق بينهما الترابط الأولي مما يساعد على إيجاد التقبل النفسي للدعوة ، وقد اتخذه الرسول ﷺ وسيلة لنشر دعوته ، سواء في مكة أو في المدينة ، وقد ورد أنه عليه السلام كان ينطلق إلى الكعبة قبل

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٨٠.

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها ، محمد منير مرسي: ص ٩١ ـ ٩٢.

الهجرة وفي مستهل أمر الدعوة فيصلي فيها ويدعو الناس إلى الإسلام.

ولقد كان من أوائل الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ عقب هجرته بناؤه المسجد الذي كان بيتاً للعبادة ووسيلة لنشر الدعوة ومقراً للمسلمين، يجتمعون فيه برسول ﷺ للتشاور فيما يعلمونه لإنجاح أمورهم، وتبليغ رسالة الله إلى الناس كافة.

والمسجد بصورته المعروفة، وما يقام فيه من شعائر وأعمال دينية يعتبر مجموعة وسائل إعلامية ناجحة، فالأذان للصلاة إعلام بدخول وقتها، وهو في الوقت ذاته إعلام عن الإسلام ونشره، والمنبر مكان للإعلام بالدعوة وعليه تشرح مبادئها وتعلن أحكامها، والصلاة وسيلة إعلامية مجتمعة لاسيما صلاة الجمعة، ومنها يجتمع المسلمون للتداول في أمورهم وأمور دينهم ومجالس العلم والذكر واللقاءات، واستقبال الوفود، وكل هذه وسائل إعلامية ناجحة في نشر الإسلام.

ولهذا حث القرآن على إقامة المساجد، واعتبر تعميرها من علامات الإيمان الحق بالله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ...﴾[1].

كما رغب الرسول ﷺ في إقامتها وتعميرها، ومن ذلك أنه ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله «... ورجل قلبه معلق في المساجد»[2].

وقال كذلك الرسول ﷺ: «من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»[3][4].

---

(١) التوبة: ١٨.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري.
(٤) الدعوة إلى الله تعالى، د. أبو المجد نوفل: ص ١٩٨.

٨ ـ الهجرات:

يتجلى أثر الهجرات في نشر الإسلام والإعلام به بما توجده من الاختلاط والاحتكاك والمصاهرات والترابط واللقاءات المتكررة بين الداعي والمدعو؛ مما يوجد الفرص لبث التعاليم والتوجيهات.

ولقد هاجر المسلمون أولاً إلى الحبشة، ثم هاجروا مع الرسول ﷺ إلى المدينة وبهذه الهجرة تمكن الإسلام من الوقوف في وجه أعدائه، ومن الزحف في كل مكان لينشر هدايته ورحمته للعالمين.

ومن هنا حث الإسلام على الهجرة والسير في الأرض طلباً للعلم والرزق وللإعلام بالدعوة فقال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1].

* * *

(١) النساء: ١٠٠.

المبحث الثالث

صلح الحديبية نموذج إعلامي رائع

المطلب الأول: خطة إعلامية هادفة

١ ـ خطة تهدف إلى أمور مهمة:

بعد الأخبار التي وصلت إلى النبي ﷺ بشطط قريش وصلفها وطغيانها وإصرارها على منع المسلمين من زيارة البيت الحرام بالقوة المسلحة ، وأن أساطين الكفر بمكة قد اتخذوا قراراً بعد اجتماع عقدوه في دار الندوة ، باستنفار جميع قواتهم الضاربة وطلب النجدة من حلفائهم قبائل ثقيف والأحابيش ، حسبما جاء في رواية ابن سعد؛ حيث قال: (وبلغ المشركين خروجه فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام ، وعسكروا ببلدهم ، وقدموا مئتي فارس إلى كراع الغميم[١] وعليهم خالد بن الوليد)[٢].

لذا فإن النبي ﷺ مع كراهيته للحرب وعدم رغبته في خوضها ، فإنه قد اتخذ جميع الاحتياطات الضرورية تمهيداً للطوارئ ، فقد أمر قائد فرسانه عباد بن بشر بأن يكون على أهبة الاستعداد ، وأن يتخذ له مكاناً في مقدمة الجيش الإسلامي ، كذلك فقد أمر بقية الصحابة الكرام بأن يكونوا في حالة

---

(١) كراع الغميم: قال ياقوت الحموي: هو موضع بين مكة والمدينة ، وقيل: قوله: (الغميم: هو موضع بين رابغ والجحفة). معجم البلدان: ٤/ ٢١٤.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢: ٩٥.

استعداد تام وهم في حالة الإحرام لمواجهة الموقف المتجدد.

غير أن النبي الكريم ﷺ مع ما كل ما صنعته قريش من التحدي، ومع ما قامت به من الاستفزاز للمسلمين والتحرش بهم، وذلك بتكليفها قائد فرسانها خالد بن الوليد بأن يرابط بمئتين من الفرسان في الطريق الرئيس، بين عسفان ومكة، لاعتراض المسلمين ومنعهم من المرور بالقوة، فقد قرر عليه الصلاة والسلام أن يتحاشى الصدام مع جيش خالد بن الوليد، الذي قطع الطريق الرئيس على المسلمين، ووضعهم أمام محنة قاسية يصعب عليهم اجتيازها، لاسيما وأنه جاءهم بصورة المهاجم المعترض، وقد بالغ في تحدي المسلمين وإثارتهم.

وقد قرر عليه الصلاة والسلام أن لا يمر بالطريق الرئيس وأن يغير اتجاه هذه الرحلة المباركة إلى طريق آخر يؤدي به وأصحابه الكرام إلى مكة المكرمة، ضمن خطة إعلامية تمويهية، تؤدي إلى تضليل المشركين وإيقاع الحيرة والارتباك في صفوفهم جميعاً، حيث كان من المفروض أن يستمر النبي ﷺ وأصحابه الكرام في المسير في الطريق العام من عسفان نحو الجنوب باتجاه مكة المكرمة، وكان هذا الطريق سينتهي بهم إلى مكة المكرمة عبر التنعيم[1]، وهو الطريق الرئيس الذي يسلكه كل من يقصد مكة قادماً من المدينة المنورة، ولكن وبناء على القرار الحكيم الذي اتخذه النبي ﷺ لتجنُّب الاشتباك مع قوات خالد بن الوليد، وبالتالي تجنب القتال مع قومه ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فقد قرر أن يغير اتجاه سيره هذا وأن يسلك بالمسلمين طريقاً وعراً غير ممهد ولا مطروق، وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه الكرام عناءً شديداً أثناء سيرهم بهذا الطريق الصعب المسالك، وقد ضلوا طريقهم عدة مرات، وما زالوا يكابدون المشاق القاسية أثناء سيرهم نحو مكة المكرمة، مصممين كل التصميم على دخول البيت الحرام

(١) التنعيم: قال في «مراصد الاطلاع»: هو موضع بمكة خارج الحرم، وهو أدنى الحل إليها على طريق المدينة، وهو على ثلاثة أميال من مكة.

مهما بلغت بهم المشاق ، ومهما كبرت عليهم التضحيات والصعاب ، فقد ذكر ابن هشام: (أن رجلاً من أسلم قال لرسول الله ﷺ: أنا سالك بكم طريقاً إلى مكة ، فسلك بالمسلمين طريقاً أجرل[1] بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه» فقالوا ذلك ، فقال: «والله إنها للحِطَّة التي عُرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها»[2].

ثم أضاف ابن هشام قائلاً: ثم أمر رسول الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين ـ في طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية[3] من أسفل مكة ـ فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش[4] ، وقد خالفوا عن طريقهم ورجعوا راكضين إلى مكة لإخبار قريش بما حصل ، وقد اتجه رسول الله ﷺ من جهة أخرى نحو مكة حتى إذا سلك في ثنية المرار بَـرَكَت ناقته ، فقال الناس: خلأت الناقة[5] ، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، ثم قال: لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس: انزلوا»[6].

وقد كانت ناقة رسول الله ﷺ والتي تُعرف (بالقصواء) من أجود النوق المطاويع ، ولكنها بركت مكانها على مشارف حدود الحرم الشريف ،

---

(١) أجرل: كثير الحجارة.

(٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ٣/ ٣٥٧.

(٣) الحديبية: يقال بتخفيف الياء وبتشديدها ، هي قرية ليست بكبيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال: إن بعضها من الحل وبعضها من الحرم ، وسميت بذلك لبئر فيها تسمى الحديبية. (السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٤) قترة الجيش: غباره.

(٥) خلأت: أي: حرنت ولا يقال ذلك إلا للناقة.

(٦) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ٣/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

وظلت على مبركها بالرغم من محاولة إنهاضها ، فظن الناس أنها تعبت فعجزت فقالوا: خلأت القصواء، أي: حرنتْ، قال الواقدي في «مغازيه»: (عندما قال الناس: خلأت القصواء ، قال رسول الله ﷺ: «ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة» ، ثم قال ـ بعد أن أدرك ما لم يدركه غيره من الناس ـ : «والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها تعظيم حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» ثم أضاف الواقدي: (إن رسول الله ﷺ بعد هذا الإعلان الهام زجر ناقته فقامت ، فعاد بها راجعاً عودة بدئه)[1].

ولاشكَّ في أن حادثة الناقة هذه كانت تتضمن أمراً إلهياً بعدم الاقتراب من مكة المكرمة في حالة حرب ، لما قد يترتب عليه من القتال الشديد ، وسفك دماء كثيرة في البيت الحرام ، ذلك البيت الأمين وحرم الله المصون ، أحب البقاع إلى الله وإلى رسوله ﷺ والمؤمنين ؛ الذي حرم الله القتال فيه إلا في حالة الدفاع عن النفس ، وهي حالات الضرورة القصوى.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[3] هذا وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد بها شجراً ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب»[4].

---

(١) مغازي الواقدي ، ٢/ ٥٨٧.
(٢) البقرة: ١٩١.
(٣) البقرة: ١٢٥.
(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الفتح ، ٥/ ٩٤ ، دار الفكر.

هذا وقد أراد الله سبحانه وتعالى بحادث بروك الناقة ، ذلك الحادث العجيب وتلك الإشارة البالغة ، أن يأمر رسوله ﷺ والمؤمنين بالتوقف عند حدود الحرم وعدم الاقتراب منه وهم في الحالة العسكرية تلك ، وذلك لما للحرم الشريف من حرمة ومكانة عند الله سبحانه وتعالى ، وهذا فضل من الله ومنّة ، فقد جنّب الفريقين اللذين يرتبطان بصلة الرحم ، مأساة مجزرة رهيبة كانت وشيكة الوقوع على أرض حرم الله سبحانه في مكة المكرمة ؛ لو أن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام استمروا في سيرهم نحو الكعبة المشرفة لأداء العمرة .

ولقد كان لحادثة بروك الناقة هذه آثارها الإيجابية في توقيع معاهدة صلح الحديبية مع قريش ؛ مما سيأتي ذكره إن شاء الله .

٢ ـ الأثر الإعلامي الناتج عن تغيير خط سير الرحلة :

لا شك أن ذلك التصرف الحكيم الذي قام به رسول الله ﷺ بتغيير خط سير الرحلة المباركة ؛ تحاشياً للصدام المسلح مع قوات خالد بن الوليد ، والعمل على تجنب سفك الدماء دون مبرر ، وإحلال أسلوب التفاهم والإقناع بالحجة والبرهان على أسلوب الحرب والقتال ، لدليل كبير على حسن النية التي كان يعمل بها رسول الله ﷺ ، غير أن قريشاً المتغطرسة التي تفتخر بكبريائها الوثني لم تكن تفهم هذا الأسلوب الإنساني النبيل في التعامل في أكثر الأحوال على حقيقته الصادقة .

والجدير بالذكر أن هذا التغيير لخط سير الرحلة له أبعاده الكبيرة في المفهوم العسكري والإعلامي ، فهو يعتبر ـ في نظر قريش ـ أكثر خطورة من المواجهة المسلحة المباشرة .

وعلى هذا الأساس فإن خطة التغيير هذه تحمل في طياتها معاني ذات أبعاد ومفاهيم متعددة الجوانب والاتجاهات ، ومعلوم أن الخطط الحربية والتكتيكات العسكرية تعتمد في تنفيذها ونجاحها على التعاون المشترك بين الجهازين العسكري والإعلامي ، ومن هنا فإن خطة التغيير هذه لم تكن كما

يتصوره بعضهم: خوفاً من قريش أو من قوات خالد بن الوليد ، فالذي يخاف من عدوه يرجع إلى الوراء عودة بدئه ، ولا يتقدم باتجاه قاعدته الأصلية ومركز قوته.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (لم يكن العمل الذي قام به رسول الله ﷺ بتركه للطريق الرئيسي إلى طريق جانبي آخر خوفاً من قريش ، فالذي يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته الأصلية ، وهي مركز قواته ، بل يحاول الابتعاد عنها حتى يطيل من صعوبة مواصلات العدو ، وبالتالي يجعل فرصة النصر أمامه أقل)[1].

لذا فإن هذه الخطة تُعتبر بمثابة عملية للتمويه والتغطية الإعلامية وإثارة الحرب النفسية ، ولفت الأنظار ، وتوجيه الأفكار إلى ما يخدم أغراض وأهداف هذه الرحلة ، ولقد كان الرسول ﷺ في كثير من غزواته لا يُعلن عن وجهته الحقيقية ، بل كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد جهة معينة ، فإنه يتوجه إلى مكان آخر غير الذي يقصده[2] حتى إذا كان قد ابتعد بجيشه مسافة يكون فيها بعيداً عن الأنظار ، فإنه يتحول بجيشه إلى جهته الحقيقية التي يقصدها فعلاً ، وذلك لوجود المنافقين في المدينة المنورة ، وكذلك لاحتمال وجود عيون لقريش أو لغيرها في تلك المناطق تراقب تحركات المسلمين ، وهذه الخطط التي يتم فيها التعاون الفعلي بين الجهازين العسكري والإعلامي ، هي الخطط الممتازة.

والجدير بالذكر أن صدى تغيير اتجاه سير رحلة الرسول ﷺ هذه عن طريقها الرئيسي له عدة احتمالات ومفاهيم أخرى في نفوس القرشيين ، وقد تكون أول ثمرة من ثمرات هذه الخطة الإعلامية الناجحة هو إيجاد البلبلة والارتباك في صفوف قوات قريش المرابطة في كراع الغميم بقيادة خالد بن

---

(١) الرسول القائد ، اللواء الركن محمود شيت خطاب: ١٨٦.

(٢) من حديث كعب بن مالك قوله رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها ـ باب التوبة ـ رياض الصالحين. ذكر غزوة تبوك: ١٥.

الوليد على الخط الرئيسي بين مكة والمدينة المنورة ، والتي تقدر بأكثر من مئتي فارس من الخيالة ، مما جعل خالد بن الوليد يعود مسرعاً بقواته إلى مكة المكرمة ليخبر زعماءها بما حصل.

هذا ولقد كان لهذه الخطة التمويهية الناجحة الأثر الكبير في قلب الوضع العسكري لدى قريش وحليفاتها ، الأمر الذي جعلها في موقف المدافع بدلاً من موقف المهاجم ، وذلك لأن قريشاً في وضعها الحالي ، أصبحت لا تدري من أي الجهات سينقض عليها رسول الله ﷺ في الهجوم وعلى هذا الأساس فإنها ستقوم بتوزيع جيوشها على جميع الجبهات التي يحتمل أن يهاجمها منها رسول الله ﷺ ، الأمر الذي سيضعف من قوتها العسكرية ويفتتها في أماكن متعددة نظراً لعدم معرفة الجهة الحقيقية التي توجه إليها النبي ﷺ بالضبط ، وكذلك الخطة التي ينوي القيام بها ، ولصعوبة تحديد ذلك في هذا الظرف العصيب ، فإن الأفكار تتجه إلى استنتاج احتمالات عديدة منها: أن الرسول ﷺ في أي لحظة سيدخل مكة بقواته الضاربة التي تعرفها قريش تمام المعرفة ، من مكان سيحدده هو بنفسه ، وبما أن جميع القوات القرشية والحليفة هي الآن ترابط في نقطة متقدمة خارج مكة على طريق المدينة المنورة ، فمعنى ذلك أن الرسول ﷺ سيقوم بما لديه من قوات باحتلال مكة ، واحتجاز ما فيها من الأهالي والذراري كرهائن لديه ، ومن ثم فإنه سيباغت جيوش المشركين وحلفاءهم بضربة قاضية غير محتملة ولا محسوب لها حساب من جانب قريش ، ويقضي على كل ما عملته وما خططت له قريش في ضربة مزدوجة واحدة.

والحقيقة أن هذه الخطة الإعلامية العسكرية الناجحة قد شتتت أفكار قادة وزعماء قريش ، بالإضافة إلى تشتيت قواتهم العسكرية وجعلتهم في حيرة من أمرهم لا يعلمون ماذا يفعلون ، كذلك فإن هناك احتمالاً آخر لديهم وهو قيام الرسول ﷺ بالالتفاف حول قوات خالد بن الوليد والتي تعتبر من الناحية العسكرية في ذلك الزمن هي القوة المعوَّل عليها في الهجوم ، ويفصلها عن قوات قريش الأخرى ، وينفرد بكل قوة على حدة.

ولاشك أن الرسول ﷺ كان يعلمُ ـ بوساطة التقرير الإخباري الذي تلقاه من رجل الإعلام بسر بن سفيان الخزاعي ـ مكان تواجد القوات القرشية وحليفاتها في وادي بلدح ، وبالجملة فإن صدى هذه العملية الناجحة خاضع من قبل قريش لجميع الاحتمالات من الناحيتين النفسية والعسكرية ، وهي تعتبر في مضمونها ونتائجها غايةً في الحنكة العسكرية والإعلامية ، وقد أدت أغراضها كافة بنجاح كبير .

ومن هنا تتضح طبيعة المعركة التي يخوضُها الإسلام ؛ لتبين للناس جميعاً بأنها معركة تنطلق من رؤية فكرية شاملة ، وذات طبيعة استراتيجية ثابتة ، تلتزم بمنهج فكري معين ، ليس القتال إلا بعض صورها ووسائلها .

والجدير بالذكر أن حادثة بروك الناقة ـ تلك الحادثة الخارقة والإشارة البالغة ـ كان لها الأثر بأن منع الله سبحانه ذلك البلد الأمين من أن يكون مسرحاً للحرب وسفك الدماء والمنازلات العسكرية . قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1] .

ولاشك أن هذه الدعوة الإسلامية التي جاءت لهداية البشرية قاطبة ، وقد خرجت من وادي مكة وهو بيت الله الحرام ، تلك البقعة المباركة التي كانت وستظل مركزاً لاستقطاب قلوب الملايين ، لا من أبناء الجزيرة العربية وحسب ولا من أبناء الأقطار المجاورة لها ، بل من أبناء الشعوب الإسلامية الذين لا يرتبطون بهذا البيت العظيم بمصالح مادية أو دنيوية أخرى ، بل برابطة العقيدة الدينية المحضة ، قال تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾[2] ولهذا فإن المكانة التي يتميز بها هذا البلد الأمين وهذا البيت العظيم ترمز إلى وحدة العقيدة

(١) الفتح : ٢٤ .
(٢) قريش : ٣ ـ ٤ .

ووحدة العبادة لدى المسلمين جميعاً ، فمن الواجب صيانة هذه الأماكن المعظَّمة من العبث.

وإذا كانت العلاقات قبل الإسلام قائمة على العداوة والبغضاء التي يلتمس عندها النصر ، وبما تتقى الهزيمة ، وإليها يكون التوجه ، وعليها يكون التوكل ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى نصر المؤمنين ـ إذا هم عملوا بشريعته والتزموا بدعوته ، وأعدوا أمره ولم يخالفوا حكمه ، وتوكلوا عليه وحده دون سواه ، وأخذوا للأمر أهميته ، وأعدوا له عدته ـ فلا غالب لهم من الناس قال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾[1] .

معجزة للرسول ﷺ في الحديبية :

ومن جهة أخرى فإن المسلمين بعد أن جنحوا إلى طريق فرعي آخر ، عقب حادثة بروك الناقة ، حيث انتهى بهم ذلك الطريق إلى سهل الحديبية على حدود الحرم الشريف من أسفل مكة ، وهناك أمر النبي ﷺ أصحابه بالنزول ، فقيل له كما جاء في رواية ابن هشام : (يا رسول الله ! ما بالوادي ماء ينزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القُلُب ، فغرزه في جوفه ، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بِعَطَن)[2] وقد جاء مثل ذلك في كتب أخرى[3] .

ولقد كان ذلك الفيض الرباني الكريم علامة فرج واستبشار للرسول الكريم ﷺ وأصحابه الكرام ، وهذه هي سنة الله في خلقه ينصر عباده

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٠ .

(٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ٣/ ٢٦٦ و٢٦٧ .

(٣) راجع الكتب التالية :

أ ـ السيرة الحلبية : ٢/ ٦٩٣ .

ب ـ إمتاع الأسماع ، المقريزي : ص ٣٨٤ .

جـ ـ الخصائص الكبرى ، السيوطي : ٢/ ٢٥ .

د ـ المغازي ، الواقدي : ٢/ ٥٩٠ .

المؤمنين الذين ينصرونه ويتوكلون عليه حق التوكل ، ويخلصون النية والعمل له ، ويسلمون أمورهم بيده ، مع الأخذ بالأسباب التي أمر الله سبحانه وتعالى بها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[1] .

وقد أصبح المسلمون في منطقة الحديبية هذه يقفون وجهاً لوجه مع أعدائهم القرشيين ؛ الذين يقيمون مع حلفائهم من قبائل ثقيف والأحابيش في بلدح .

سرايا للحراسة والاستطلاع :

لم يكن يستقر المقام بالرسول ﷺ وأصحابه الكرام في الحديبية ، حتى أمر بتشكيل ثلاث سرايا للقيام بمهمة الحراسة والاستطلاع حول معسكر المسلمين بالحديبية ، ولاشك أن هذا الإجراء الحكيم يدل دلالةً واضحةً على حسن التصرف والقيادة المثلى التي كان يتمتع بها رسول الله ﷺ ، والتي لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلاً ، وذلك بالأخذ بالأسباب وتصريف الأمور تصريفاً حكيماً يتلاءم وطبيعة المرحلة التي يعيشها المسلمون .

والجدير بالذكر أن أهمية هذه السرايا تأتي من أهمية وجود المسلمين في تلك المنطقة ، حيث يقف المسلمون وجهاً لوجهه مع ألدِّ أعدائهم القرشيين الذين حشدوا من القوات المسلحة الضاربة ما يزيدُ على عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة .

وتقضي المهمة الرئيسة لهذه السرايا القيام بأعمال الاستطلاع والخفارة الليلة ؛ وذلك لمنع أي تسلل إلى داخل معسكر المسلمين ولصد أي عدوان أو هجوم مفاجئ قد تقوم به قريش وحلفاؤها على المسلمين ، كذلك فإن

---

(١) غافر : ٥١ .

الخصومة والشر ، وفقدان روح الأفضلية والأخلاق ، وتحكيم نزعة الهوى في القوة والبطش ، وانعدام أي رعاية للحق والعدل والسلام هي من صفات الكفار الضالين ، أما الإسلام فقد جاء بالمبادئ التي تتضمن أسس التشريع الأخلاقي والإنساني ، وهذه المبادئ والشرائع الإلهية هي التي تحكم العلاقات بين الأفراد والدول ، وإن كل مؤمن في هذه الدنيا يعتقد اعتقاداً جازماً بأن قوة الله وحده هي القوة الحقيقية . ومن مهمات هذه السرايا أيضاً معرفة أخبار المنطقة المحيطة بالمسلمين والاتصال المباشر بمقر القيادة العليا داخل معسكر المسلمين .

وبهذه الاستراتيجية الحكيمة يكون الرسول ﷺ قد أخذ بالأسباب في تأمين الحماية اللازمة للمسلمين وتفويت كل فرصة على المشركين من أخذ المسلمين فيها على حين غرة ، هذا وقد وقع اختيار الرسول ﷺ لإسناد هذه المهمة على ثلاثة أبطال من أصحابه الكرام لتولي قيادة هذه السرايا ، كلهم من الأنصار ، وهم على التوالي :

١ ـ عباد بن بشر .

٢ ـ محمد بن مسلمة الأنصاري .

٣ ـ أوس بن خولي .

هذا ولقد استقر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام في الحديبية بصورة مؤقتة منتظرين ما سيستجد من أمور ، مصرين على هدفهم الذي جاؤوا من أجله بدخول مكة وأداء مناسك العمرة .

* * *

obeikandl.com

المطلب الثاني
الوفد الإعلامي الأول يصل إلى الحديبية

١ ـ مجيء الوفد إلى رسول الله ﷺ:

لقد ذكر معظم المؤرخين[١] وكُتَّاب السير أن أول وفد قدم إلى الحديبية، للتوسط في النزاع القائم بين النبي ﷺ وكفار قريش، كان وفد قبيلة خزاعة، برئاسة بُديل بن ورقاء الخزاعي.

قال الواقدي في روايته: (فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالحديبية جاءه بُديل بن ورقاء في ركب من خزاعة، وهي عيبة نصح[٢] لرسول الله ﷺ بتهامة، منهم المسلم ومنهم الموادع لا يخفون عليه بتهامة شيئاً، فأناخوا عند رسول الله ﷺ، ثم جاؤوا فسلموا عليه فقال بُديل: جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي، قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذُ المطافيل، والنساء والصبيان، يقسمون بالله لا يُخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم[٣].

فقال النبي ﷺ: «إنا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه، يا ويح قريش لقد أضرت بهم الحرب ونهكتهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة يأمنون فيها، ويخلون فيما بيني وبين الناس، والناس

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ٣/ ٢٦٨، تاريخ الطبري: ٢/ ٦٢٥.

(٢) عيبة نصح: أصحاب سره كما جاء في رواية ابن هشام: ٣/ ٢٦٨.

(٣) الخضراء: الجماعة، مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٣.

أكثرهم منهم ، فإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا ؛ وقد جمعوا ، والله لأجهدن على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو ينفذن الله أمره».

وأضاف الواقدي قائلاً: فوعى بُديل مقالة النبي ﷺ ثم ركب وركب الوفد المرافق له إلى قريش حتى هبطوا على كفار قريش ، وهم مجتمعون هم وحلفاؤهم ؛ من قبائل ثقيف بقيادة عروة بن مسعود الثقفي، وقبائل بني كنانة تحت قيادة الحُليس بن زبان ، ويقال: الحليس بن علقمة في المعسكر الذي أقاموه في منطقة بلدح»[1].

وما من شك أن الرسالة الشفوية التي صرح بها رسول الله ﷺ والتي حملها بُديل بن روقاء الخزاعي إلى قريش ، كانت تحمل كل معاني الحصافة والمرونة وبعد النظر ، مع الإعلان بالثقة الكاملة بنصر الله عز وجل ، والاستعداد التام لجميع الاحتمالات التي يتطلبها الموقف المتجدد.

وسمع بديل بن ورقاء ما جاء في أقوال الرسول ﷺ ووعاه وتأثر به غاية التأثر ، وذلك بوصفه رجلاً محايداً جاء للتوسط في حل النزاع القائم بين النبي ﷺ وقريش ، هذا ولقد تأثر بذلك عمرو بن سالم الخزاعي[2] ـ الذي كان أيضاً ضمن الوفد الخزاعي ـ بما سمع من رسول الله ﷺ من دعوة صادقة إلى السلام إلى درجة أنه كان يقول ، وهو عائد مع بديل ، وكأنه يخاطب قريشاً: «والله لا تنصرن على من يعرف هذا أبداً» ، يعني ذلك العرض السلمي الذي عرضه رسول الله ﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي[3].

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤ ، هذا وقد جاء في رواية المقريزي مثل ذلك ، وانظر: إمتاع الأسماع: ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢) هو عمرو بن سالم الخزاعي من سادات خزاعة ، كان صديقاً لسعد بن عبادة وأهداه جزوراً في الحديبية ، وجاء سعد بن عبادة وعمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فقال النبي: «وعمرو قد أهدى لنا ما ترى ، فبارك الله في عمرو» الواقدي ، المغازي: ١/ ٥٩٢ ، وكذا عند المقريزي: ١/ ٢٨٥ في إمتاع الأسماع.

(٣) المغازي ، الواقدي: ٢/ ٥٩٤.

بُديل بن ورقاء في معسكر قريش:

وصل الوفد الخزاعي إلى معسكر قريش وحلفائها في بلدح حاملاً رسالة الرسول ﷺ الإعلامية إلى زعماء قريش، وقد حاول بعض المتطرفين من سادات قريش الشباب حمل قريش على مقاطعة وفد الوساطة الخزاعي، وتحريض قريش على المضي قُدماً في موقفها الحربي، وذلك لأنهم أدركوا أن وفد خزاعة هذا إنما جاء للعمل على إحلال السلام ومنع نشوب الحرب.

فقد ذكر الواقدي في «مغازيه» قال: (فعندما أقبل بُديل وأصحابه على قريش، قال أناس منهم: هذا بُديل وأصحابه إنها جاؤوكم يريدون أن يستجروكم، فلا تسألوهم عن حرف واحد، فلما رأى بديل وأصحابه أنهم لا يستخبرونهم، قال بديل: إنما جئناكم من عند محمد، أتحبون أن نخبركم؟ قال عكرمة بن أبي جهل والحكم بن العاص وبعض المتطرفين: لا والله ما لنا حاجة أن تخبرنا عنه، ولكن أخبرهُ عنا: أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً حتى لا يبقى منا رجل واحد)[1]، وكان عروة بن مسعود سيد ثقيف حاضراً يسمع ما يدور من حديث بين وفد خزاعة المحايد، الذي يدعو إلى الصلح بين الأهل والعشيرة، وبين المتطرفين من قريش، وعروة بن مسعود هذا كان قد جاء من الطائف على رأس قوات قبائل ثقيف العسكرية، ليساند قريشاً في نزاعها المسلح ضد المسلمين إذا ما نشبت الحرب بينهما، وذلك على أثر الدعاية الكاذبة التي بثتها قريش في جميع القبائل العربية من أن محمداً ﷺ وأصحابه قد جاؤوا للهجوم على قريش في عقر دارها، يريدون انتهاك الحرمات واستباحة المقدسات، مما حمل حلفاء قريش من القبائل المجاورة أن يهرعوا مستنفزين جميع قواتهم المسلحة لنجدة قريش، والدفاع عن مكة ومقدساتها، وعلى رأس هذه القوات قوات

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٤، عالم الكتب ببيروت، وكذلك: إمتاع الأسماع للمقريزي: ١/ ٢٨٦.

قبائل ثقيف بزعامة عروة بن مسعود الثقفي ، وقبائل الأحابيش بزعامة الحليس بن زَبَّان.

وكان سيدُ ثقيف هذا حاذقاً محنكاً مطاعاً في قومه ، ذا عقل راجح وتجارب عديدة.

فقد استهجن صنيع عكرمة بن أبي جهل وبعض المتطرفين من الشباب القرشي المتهور فقال: (والله ما رأيت كاليوم رأياً أعجب ، وما تكرهون أن تسمعوا من بُديل وأصحابه ، فإن أعجبكم أمراً قبلتموه ، وإن كرهتم شيئاً تركتموه ، لا يفلح قوم فعلوا هذا أبداً)[1].

وعلى أثر ما سمع زعماء قريش من قول عروة بن مسعود هذا ، وخوفاً من أن يظهر لديه ولدى الزعماء الآخرين من حلفاء قريش ، بُطلان ادعاءات قريش وتزويرها للحقائق ، فينقلب الموقف لصالح المسلمين ، فقد قرر رجالٌ من عقلائهم وزعمائهم تلافي هذا الموقف ، وحاولوا أن لا يظهروا أمام حلفائهم بمظهر المعتدي ، وقد طلبوا من بُديل أن يخبرهم بما عنده ، فأبلغهم بديل بذهابه ووفده إلى النبي ﷺ بالحديبية ، وبما دار بينه وبين النبي ﷺ من مفاوضات ، حول مجيئه إلى مكة وبما قاله النبي ﷺ له حول هذا الموضوع ، فقد ذكر ابن إسحاق من رواية الزهري أن بُديل قال لهم: (يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً له ، فاتهموهم وجبهوهم[2] ، وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً ولا تُحدِّثُ بذلك عنا العرب[3]. ثم نقل إليهم العرض السلمي الذي إذا ما وافقت عليه قريش ،

(١) إمتاع الأسماع: للمقريزي ١/ ٢٨٦.
(٢) جبهوهم: خاطبوهم بما يكرهون ، تقول جبهت الرجل: أي خاطبته بما يكره.
(٣) سيرة ابن هشام ، دار الفكر: ٣/ ٣٦٠.

فإنه يقضي بإقامة معاهدة بين الفريقين ، يأمن كل منهما الآخر ولو لمدة زمنية قصيرة . . .)[1] .

٢ ـ التحليل الإعلامي لرسالة بديل الشفوية :

نستطيع القول : إن رسالة بديل الشفوية هذه قد حققت جميع أغراضها الإعلامية بنجاح كامل ، وكان لها أحسن النتائج الإعلامية ، فقد سمع زعماء قريش وزعماء القبائل الحليفة الأقرب إلى ما قاله بديل ، وهو ينقل لهم رسالة النبي ﷺ الإعلامية الشفوية ؛ التي تتضمن رغبة المسلمين الأكيدة الصادقة بنبذ الحرب وحقن الدماء واحترام المقدسات ، وأنه وأصحابه لم يأتوا يريدون قتالاً ، وإنما جاؤوا عُمَّاراً معظمين لهذا البيت ، وإن حقهم في ذلك كسائر العرب .

هذا ولقد استعمل بُديل أسلوب المقدمة الشاملة لخلاصة الخبر الإعلامي في جملة واحدة ، وذلك عندما قال لزعماء قريش :

يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد . . .

فقد استهلَّ بُديل كلامه بهذه البداية المحركة للانتباه بانتظار لما سيأتي بعدها من عبارات مكملة لها ، ثم أضاف قائلاً : إن محمداً لم يأت لقتال أحد . . . وهذه العبارة الثانية مكملة لمعنى العبارة الأولى ، بالنسبة لتسلسل هذه الرسالة الشفوية ، ثم انتهى إلى المقصود بقوله : (إن محمداً جاء لزيارة هذا البيت وتعظيمه) .

هذه العبارات الثلاث التي ذكرها بُديل ـ حسب تسلسلها الإعلامي ـ تحمل أرقى معاني الاتصال الشفوي ، وذلك في عرضه للموضوع ، وتنسيقه للعبارات بطريقة فنية ومرتبة .

وذلك لأن الحجج المهمة التي تقدم في بداية الرسالة الإعلامية تترك

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير : ٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، وإمتاع الأسماع للمقريزي : ١/ ٢٨٦ .

تأثيراً كبيراً لدى المستقبلين لهذه الرسالة الإعلامية.

يقول الدكتور عبد العزيز شرف: (إن المقدمة في الخبر الإعلامي هي تقديم الحجج أو العناصر الرئيسية في البداية وما يليه في الأهمية بعد ذلك، فهي تتبع ترتيباً هرمياً يقوم على تقديم الحجج الرئيسية في البداية)[1].

والجدير بالذكر أن بُديلاً قد بدأ عباراته بلوم قريش على عملها مبيناً لها خطأ ما قامت به من عمل، لأن هذه الاستعدادات العسكرية ليس لها ما يبررها ما دام أن محمداً ﷺ لم يأتِ لقتالهم، وإنما جاء زائراً معظماً للبيت، شأنه في ذلك شأن بقية العرب.

وبهذا السرد المباشر فإن بُديلاً يكون قد أنجز رسالته الإعلامية الشفوية بأقصر العبارات الممكنة، وذلك عندما ابتدأ بعرض أكثر عناصر الرسالة أهمية في المقدمة، ثم انتقل إلى العناصر المكملة الأخرى ذات المدلول الإعلامي الواضح، وهذا مما يتعارف عليه الإعلاميون اليوم بأسلوب الهرم المقلوب.

يوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله: (إن الخبر الإعلامي الحديث له قوالبه الجديدة القائمة على السرد المباشر، وإعطاء كل الحقائق بأقصر العبارات الممكنة، والابتداء بالعقدة أو أهم عناصر الخبر في البداية مباشرة، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب)[2].

وإن مما لا شك فيه: أن عوامل النجاح الإعلامي لرسالة بُديل الإعلامية يكمن في أسلوب العرض المنظم، وعوامل الاختصار للخبر الإعلامي المباشر.

فلقد كان الإعلان الذي استخدمه بديل في رسالته الإعلامية الشفوية إيجازاً ذا معاني ودلالات إعلامية هادفة، فكل عبارة من تلك العبارات

---

(١) فن التحرير الإعلامي، الدكتور عبد العزيز شرف: ص ١٦٦.

(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير، الدكتور إبراهيم إمام: ص ١٢٩.

كانت تحمل في طياتها معاني سابقتها من أجزاء تلك الرسالة الشفوية المختصرة ، وبهذا التنظيم لمضمون الخبر الإعلامي، فإنه يمكننا القول: إن تأثير هذه الرسالة الإعلامية كان مباشراً على قريش وحلفائها المجتمعين معها في بلدح ، وذلك بعد أن سمع زعماء هذه القبائل المتحالفة مع قريش بأن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام قد جاؤوا زائرين للبيت الحرام معظمين له، وليس كما قالت قريش وادعت بأن محمداً ﷺ وأصحابه جاؤوا لغزو قريش في عقر دارها ، والاعتداء على المقدسات ، الأمرُ الذي أدى إلى تصديع جبهة قريش الداخلية وخلخلتها ، بعد أن اتضح الموقف الحقيقي للجميع.

ومن هنا فإن المضمون الإعلامي لرسالة بديل وأساليب تنظيم أجزاء هذه الرسالة ، وطريقة عرضها ، تكون قد أدت دورها بنجاح كامل ، يقول الدكتور عبد العزيز شرف: (إن مما لا شك فيه أن المضمون الإعلامي ، وأساليب تقديمه ، وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية ؛ من أهم عوامل النجاح الإعلامي)[1].

وأما فيما يتعلق بالهيكل الإعلامي لتركيب رسالة بديل الإعلامية ، فإن هذا الهيكل يتكون في ترتيبه من مقدمة الخبر الإعلامي ، فالبرهان ، ومن ثم الهدف المقصود ، أو الخاتمة.

هذا الهيكل يمثل من وجهة النظر الإعلامية أجزاء تلك الرسالة في عرض الحالة الراهنة ، والبرهنة عليها.

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: (إن لكل كلام جزءان جوهريان: هما عرض الحالة ثم البرهنة عليها ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر ، ولا تقديم ثانيهما على أولهما ، لأن البرهان لابد أن يلي الحالة التي يُراد أن يبرهن عليها ، وبهذا تكون أجزاء القول بالرسالة عامة ثلاثة هي:

---

(١) فن التحرير الإعلامي ، الدكتور عبد العزيز شرف: ص ١٥٩.

١ ـ المقدمة.

٢ ـ الغرض: ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها.

٣ ـ الخاتمة: وتقضي بوحدة العمل الفني وإدراك الموضوع بما يتضمنه من أفكار، ثم تنظيم المعاني أو وحدات المضمون بحيث تكون مرتبة ومنسقة لتتجلى وحدتها)[١].

وتأسيساً على هذا الفهم، فقد اشتملت رسالة بُديل الإعلامية هذه على جميع تلك الأجزاء الثلاثة المذكورة في قول الدكتور هلال.

فقد تضمن فعلاً ـ في إطارها العام ـ المقدمة الملفتة للانتباه، وذلك عندما قال لقريش: (يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد...) وهذه بداية ناجحة لشد أسماع قريش وحلفائها إلى ما سيأتي بعدها من كلام، وهو البرهان في قوله: (إن محمداً لم يأت لقتال أحد)، ومن ثم انتهى إلى الهدف المقصود عندما قال: (إن محمداً جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً له).

ولاشك أن هذا الترتيب لأجزاء الرسالة الإعلامية بهذه الطريقة قد دل على الأسلوب الفني لها، فقد تناسقت أجزاء هذه الرسالة تناسقاً فنياً، حيث أصبحت كل عبارة مكملة لسابقتها، وتدل على المعنى العام لهذه الرسالة الإعلامية الشفوية، وقد حافظت الخاتمة على وحدة المضمون الكلي لهذه الرسالة، ووضعتها في قالب إعلامي متكامل.

أما نتيجة هذه الرسالة الإعلامية الشفوية، فلقد أسفرت عن إظهار موقف قريش الحقيقي أمام حلفائها، وكشف أباطيلها، وزيف ادعاءاتها، الأمرُ الذي جعل قريشاً تشعر بالحرج أمام زعماء القبائل الحليفة مما أدى إلى إضعاف الثقة بها، ولما كان من المعروف عند العرب جميعاً أن قريشاً هي السادنة للكعبة، والقائمة على أمر المقدسات، وأنها تسهل للعرب جميعاً زيارة الأماكن المقدسة، ومساعدة الحجيج والمعتمرين، فإنها هي نفسها

---

(١) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، الدكتور محمد غنيمي هلال: ص ٢٤٢.

الآن أول من يقوم بخرق هذا النظام المتعارف عليه بداهةً عند العرب جميعاً ، وذلك بعد أن اتضح للجميع من خلال رسالة بُديل الإعلامية ، أن النبي ﷺ وصحبه الكرام إنما جاؤوا عُمّاراً ، وليسوا محاربين كما ادعت قريش .

وأمام هذا الموقف المحرج الذي فضح مكائد قريش ، فقد حاول زعماؤهم أن يظهروا أنفسهم أمام حلفائهم بمظهر المتعقل والمتفهم للأمور ، في محاولة منهم لتلافي الموقف ، وقرروا إرسال مبعوثٍ عنهم إلى رسول الله ﷺ بالحديبية ، وذلك من أجل أن يقف على الأخبار الحقيقية للمسلمين ، وقد وقع اختيارهم على أحد زعمائهم وهو : (مكرز بن حفص أخو بني عامر بن لؤي ليكون أول مبعوث لهم إلى رسول الله ﷺ ، كما جاء في رواية ابن إسحاق)[1] .

قريش تبعث بأحد زعمائها إلى الحديبية :

ذهب مكرز بن حفص مبعوث قريش الأول إلى رسول الله ﷺ في الحديبية للالتقاء بالنبي ﷺ والاستفسار منه عن سبب مجيئه إلى مكة ، وتبادل وجهات النظر ، والتعرف على آراء المسلمين الحقيقية ، وعندما وصل هذا المبعوث إلى الحديبية ، ورآه النبي ﷺ مقبلاً من بعيد قال ، كما ذكرت لنا كتب السيرة : «إن هذا الرجل هو رجل غادر»[2] إلا أن النبي ﷺ قد استقبله في مقر قيادته في الحديبية ، ولم يرفض مقابلته بالرغم من علمه بأنه من النوع الغادر الذي لا يوثق به .

وقد أجرى مكرز محادثات مع النبي ﷺ حول مجيئه هو وأصحابه الكرام إلى مكة ، ويبدو أن مكرزاً قد نقل إلى النبي ﷺ وجهة نظر قريش التي تقضي بعدم رغبتهم بالسماح لرسول الله ﷺ بدخول مكة هو وأصحابه هذه السنة ،

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام : ٣/ ٣٦٠ ، دار الفكر .

(٢) المغازي للواقدي : ٢/ ٥٩٩ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٣/ ٣٦٠ .

وأن قريشاً قد صممت على هذا الرأي ، ولو أدى ذلك إلى وقوع الحرب بين الفريقين.

غير أن مكرزاً لم يسمع جواباً من النبي ﷺ على كل ما قاله أكثر من الذي أبلغه إلى رئيس وفد خزاعة بُديل بن ورقاء الخزاعي ، وهو أنه لم يأت يريد قتالاً وإنما جاء زائراً للبيت معظماً له ، ولكنه إذا ما فرضت عليه الحرب فإنه سيقاتل من يقاتله. وقد أشار عليه الصلاة والسلام ـ أثناء حديثه مع مكرز ـ بأن قريشاً لها تجارب سابقة مع النبي ﷺ فإذا ما ركبت رأسها وقررت القتال ، فإنها سوف تجد أمامها رجالاً لا يعرفون إلاّ الشهادة أو النصر ، وأن النبي ﷺ مصرٌّ على موقفه هذا مهما كانت النتائج.

عاد مكرز بن حفص إلى قريش ثم توجه إلى مقر القيادة العامة في بلدح ليبلغ زعماء قريش وحلفاءها نص الرسالة الإعلامية الشفوية التي تلقاها من النبي ﷺ رداً على رسالتهم إليه باستفسارهم عن سبب قدومه وصحبه إلى مكة ، وقد سمع قادة قريش وقادة القوات الحليفة من مكرز بن حفص ما دار بينه وبين النبي ﷺ حول موضوع مجيء النبي ﷺ بأصحابه الكرام إلى مكة المكرمة ، وكما ذكر ابن إسحاق[1]: (بأن ما قاله إلى مكزر بن حفص لم يكن يختلف عما قاله ﷺ إلى بُديل بن ورقاء الخزاعي من قبل).

وبهذا التأكيد فقد بدا واضحاً أمام هؤلاء القادة ، وعلى رأسهم الحُليس بن زبان قائد قوات الأحابيش ، وعروة بن مسعود الثقفي قائد قوات قبائل ثقيف ، بأن قريشاً هي التي افتعلت هذه المشكلة القائمة برمتها ، وأن موقف قريش قد يجر المنطقة إلى ويلات حرب لا يعلم مداها إلا الله وحده ودون أي مبرر ، الأمر الذي جعل هؤلاء القادة يحاولون الذهاب بأنفسهم إلى النبي ﷺ والوقوف على الحقيقة قبل أن يتخذوا أي إجراء من شأنه أن يقرر مصير وجودهم بقواتهم في تلك المنطقة ، وذلك لذهاب الأسباب التي أدت إلى مجيئهم بقواتهم إلى هناك ، وكذلك لعدم وجود الأسباب الكافية

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٣٦٠.

والمقنعة التي تبرر بقاء وقوفهم إلى جانب قريش المعتدية ، ناهيك عن أن هذه الحرب هي ضد أهلها وأبنائها من الطرف الآخر ، وأنها تدور في البلد الحرام وفي الشهر الحرام ، نتيجة للحميّة والعصبية الجاهلية ، لذلك فقد قرر الحُليس بن زبان أن يذهب إلى النبي ﷺ من أجل أن يقف بنفسه على الحقيقة المجردة ، وأن يسمع من الرسول ﷺ القصة كاملة .

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الثالث

الوفد الإعلامي الثاني برئاسة الحليس بن زبان

١ ـ مجيء الوفد ورجوعه إلى قريش منكراً عليها اعتراضها على النبي ﷺ وأصحابه:

توجه الحليس[١] بن زبان إلى الحديبية حيث يرابط النبي ﷺ بأصحابه الكرام ، على حدود الحرم الشريف خارج مكة المكرمة ، بانتظار ما يستجد من أمور ، وما ستسفر عنه الرسالتان الشفويتان اللتان أبلغهما رئيس وفد خزاعة بُديل بن ورقاء ، ومبعوث قريش مكرز بن حفص.

وعندما أقبل الحُليس بن زبان على معسكر المسلمين ورآه رسول الله ﷺ قادماً ، قام عليه الصلاة والسلام بعمل دراسة تحليلية سريعة لشخصية الحُليس تمكن خلالها من تحديد السمات الخاصة والمميزة لشخصيته ، وذلك بأنه من قوم يتألهون ، وبناء على ذلك فقد عمل عليه الصلاة والسلام على الاستفادة من هذه الميزة لدى الحُليس ، وذلك بعمل خطة إعلامية محكمة الجوانب تحقق للمسلمين تحويل الموقف لصالحهم.

فقد أمر عليه الصلاة والسلام المسلمين برفع الأصوات بالتلبية ، وإظهار

---

(١) الحُليس (بضم الحاء وفتح اللام) هو سيد الأحابيش وزعيم بني كنانة ، كان سيداً مطاعاً في قومه راجح العقل ، ذا نزعة دينية ، ولم أجد له ذكراً في كتب تراجم الصحابة ، فيُعتقد بأنه مات على الشرك.

الهدي[1] أمام الحُليس حتى يراه ، وبيان كل ما من شأنه أن يظهر للحُليس بأن المسلمين إنما جاؤوا عمَّاراً لزيارة البيت الحرام ، وتعظيم حرمات الله .

فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده في ذلك المكان المجدب ، حيث لا يوجد ماء ولا توجد مراعٍ ، وقد أكل الهدي أوباره من طول الحبس عن محله[2] .

ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام ، وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم . . . استنكر تصرف قريش بشدة .

وقد انصرف سيد بني كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يفاتح النبي ﷺ بشيء ، أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل ، وكان متأثراً جداً بما رأى ، ومقتنعاً كل الاقتناع بأن قريشاً غير محقة في تصرفها إزاء المسلمين ، وأن عملها هذا هو عمل عدواني ضد زوار بيت الله الحرام ، ولا يجوز لأحد أن يناصرها على ذلك .

قال ابن هشام في رواية ابن إسحاق : (ثم بعثوا إليه الحُليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن مناة بن كنانة ، فلما رآه الرسول ﷺ قال لأصحابه : «إن هذا من قوم يتألهون[3] فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه» فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده[4] وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ؛ رجع إلى قريش ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاماً لما رأى ، وأضاف ابن هشام : وقال لهم الحُلَيْس : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا

---

(١) الهَدي (بفتح الهاء وسكون الدال) : هي الإبل والغنم والماعز التي تساق لنحرها في الحرم تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى .

(٢) محله : أي موضعه الذي ينحر فيه من الحرم .

(٣) يتألهون : يتعبدون .

(٤) القلائد : هو ما يعلق في أعناق الهدي ليعلم أنه هدي بالغ الكعبة .

عاقدناكم ، أيُبعدُ عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجلٍ واحد)[1] .

هذا وقد ذكر الواقدي بأن قريشاً قد غضبت لصراحة الحليس هذه ووقوفه إلى جانب الحق ، وحاولت تلافي هذا الموقف المتدهور الذي يهدد بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية ، ونسف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش ، وقالوا لزعيم الأحابيش: (إنما كل ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه ، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به)[2] .

وبهذه النتيجة الطيبة تكونُ أولُ ثمار هذه العملية الإعلامية قد تحققت ، وذلك في تفويت الفرصة على قريش من أن تحقق أي نجاح في كسب الحليس ووقوفه بقواته إلى جانبها ، وبإحباط مخططاتها العدوانية .

والجدير بالذكر أن هذه العملية الإعلامية التي نفذها رسول الله ﷺ قد جاءت نتيجة للضرورات الملحة التي يتطلبها الظرف الحاصل في مثل تلك المواقف ؛ إذ لم يكن إيجاد هذه الوسيلة الإعلامية خاضعاً لرد فعل معين بقدر ما هو عامل استحداث لوسيلة إعلامية، حاول بوساطتها رسول الله ﷺ أن يترجم الكلمات إلى معانٍ بصورة رموز إعلامية هادفة ، وقد نجحت هذه العملية نجاحاً كبيراً في إحداث تفاعل داخل الفرد المستقبل نفسه ، مما أدى إلى إيجاد رد فعل معين بما يتفق وتحقيق الهدف المطلوب من تلك العملية ، وهذه الحالة هي أقرب ما يتعارف عليه الإعلاميون في عصرنا الحاضر بعملية رجع الصدى .

وتشيرُ إلى ذلك الدكتورة جيهان رشتي بقولها: (حينما يبدأُ المرسلُ في تلقي المعلومات يتفهم المنبهات ، ثم يبدأ عملية وضع فكرة في [كود][3] ، تنطوي هذه العملية على اختبار المنبهات التي تتفق مع وجهات نظره ، أي

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(٢) المغازي للواقدي: ٢/ ٦٠٠ .

(٣) كود: بمعنى الرمز المعين ، وهي كلمة إنجليزية ، وقد استخدمت بلفظها ومعناها .

تناسبه ، واستبعاد تلك المنبهات التي لا تناسبه ، ويعمل الظرف الذي يحدث فيه الاتصال كمؤثر يحدد المعنى الفعلي للفكرة ، ويتضمن الظرف استيعاب المُرسل للأفكار التي تقدمها الرسالة على ضوء تجربته السابقة حيال تلك المعلومات ، ومشاعره واتجاهاته وعواطفه في وقت الإرسال ، ثم يتم نقل فكرة الرسالة في شكل منبهات من خلال قنوات معينة بأسلوب ما ، أي بوسائل تحمل الرسالة إلى المتلقي ، فيفهم المتلقي منبهات الرسالة ويستوعبها ويفك [كودها] لكي يقوم بتفسيرها.

وتتضمن عملية فك «الكود» اختيار أو انتقاء المنبهات التي تتفق مع ثقافة المتلقي.

وتعمل الثقافة في مثل ذلك الظرف ، أو المناخ العام ؛ كمؤثر يحدد المعنى الفعلي للرسالة ، وتتكون الثقافة من معرفة المتلقي لمعلومات الرسالة ، ومن ثم تجربته السابقة حيال تلك المعلومات ، ومن مشاعره واتجاهاته وعواطفه وقت التلقي.

وبعد أن يفسر المتلقي الرسالة ، سوف يستجيب عليها ، وهذه الاستجابة هي رجعُ الصدى أو التأثير المرتد ، الذي يعرف المرسل بفضله وصول الرسالة إلى هدفها.

فرجعُ الصدى يتكون من رد فعل المتلقي الداخلية والخارجية والإشارات أو الأعمال التي يقوم بها فيما بعد ؛ هي استجابة لهذه الرسالة).

التحليل الإعلامي للعملية:

لقد كانت العملية الإعلامية التي وضعها الرسول ﷺ في مواجهة زعيم الأحابيش ، تقوم على أربع نقاط متداخلة:

١ ـ دراسة تحليلية لشخصية الحُليس ونفسيته.

٢ ـ عمل خطة إعلامية تتناسب تناسباً كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها الحُليس.

٣ ـ طبيعة الوسيلة الإعلامية التي استخدمها النبي ﷺ لهذا الغرض.

٤ ـ النجاح الذي حققته هذه الخطة الإعلامية.

وفيما يتعلق بالنقطتين الأولى والثانية فإن الرسول ﷺ عندما أخبر الصحابة الكرام بقوله: (إن هذا هو من قوم يتألهون) ، وأمرهم بأن يبعثوا الهدي في وجهه ، فالواضح من خلال هذه المعلومات أن الرسول ﷺ كان على معرفة تامة بهذا الرجل ، وأنه بحكم هذه المعرفة قد درس شخصيته دراسة موضوعية ، وذلك بما كان عنده من حب شديد لتعظيم الحرمات والمقدسات ، والعمل على الاستفادة الكاملة من هذا الجانب في كسب المعركة ، وعلى هذا الأساس فقد قام عليه الصلاة والسلام بوضع خطة إعلامية مناسبة تقضي بوضع الحقائق كاملة أمام هذا الرجل ، وإظهار موقف المسلمين السلمي بصورة واضحة وجلية ، ومن ثم استمالته إلى جانب المسلمين ، أو على الأقل وقوفه على الحياد في هذا الصراع.

والجدير بالذكر أن الحليس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً ؛ وذلك لما يمتاز به من رجاحة في العقل ، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقوات الأحابيش ، وإنه كذلك يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي ﷺ وقريش على حد سواء ، لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يقوم بدور مهم في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين ، والعمل على كبح جماح قريش ، وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصدهم عن المسجد الحرام.

ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله ﷺ لشخصية الحُليس تتناسب كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها ، وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً ومرضية.

أما فيما يتعلق في هذا الجانب من الدراسات النفسية، فقد اهتمت كثيرٌ

من الجامعات العالمية في السنوات الأخيرة بهذه الدراسات ، وقد خصصت لها بحوثاً ميدانية وغير ميدانية ، وذلك من أجل قياس درجة التأثير النفسي المطلوب ، ولنستمع إلى الدكتور إبراهيم إمام وهو ينقل لنا نتائج بحوث جماعة هوفلايد بقوله: (ومن بحوث جماعة هوفلايد في جامعة بيل دراسة نفسية هامة عن قابلية الأفراد للاقتناع والتأثر ، وعلاقة ذلك بتكوين الشخصية) ثم يتساءل الدكتور إمام قائلاً: (فهل هناك سماتٌ معينة تجعل الشخصية أكثر تأثراً بالمواد الإعلامية من غيرها؟) ويجيب عن السؤال فيقول: (لقد أجريت تجارب عن مدى التأثر بموضوعات محددة ، ولكي تتضح آثارُ عوامل الشخصية نفسها ، أو العوامل الواقعة بين المثير والاستجابة ، وهي الحالة النفسية الوسيطة ، كان لا بد من اختيار مجموعة من ذوي الشخصية السوية ، ومجموعة أخرى من المصابين بالأمراض العقلية ، وقد أثبتت التجارب أن هناك علاقة وثيقة بين سمات الشخصية ودرجة القابلية للإقناع والتأثر)[1].

وتأسيساً على هذا الفهم فإن الدراسة التي قام بها رسول الله ﷺ للسمات الشخصية والنفسية للحليس بن زبان ، ومن ثم تهيئةُ هذه السمات للطرق الإعلامية الفعالة والمؤثرة ، وتوفير المناخ الملائم لبث العملية الإعلامية ، والذي أدى إلى إنجاحها ، وذلك في جعل الحليس يفسر ظواهر هذه العملية ومدلولاتها الإعلامية التفسير الذي يخدم الأغراض التي وضعت من أجلها هذه العملية الإعلامية ، فمن الحق القول إذن: إن هذه الخطة الإعلامية قد أدت دورها ، وحققت أغراضها بنجاح تام.

تقول الدكتورة جيهان رشتي: (إن بعض الدراسات تشير إلى أن هناك علاقات إيجابية بين المقدرة الذهنية والتأثير بالرسائل الإقناعية ، وإن هذا الاستعداد الذهني يتوقف على مدى الاستمالات المستخدمة)[2] ، ولا شك

---

(١) الإعلام والاتصالات بالجماهير ، الدكتور إبراهيم إمام: ص ٥٤.

(٢) الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دكتورة جيهان رشتي: ص ٥٣، دار الفكر العربي.

أن عنصر الذكاء كان عاملاً حاسماً في هذه العملية الموجهة فالرسول ﷺ فهم الحُليس بسرعة مناسبة وبدقة متناهية ، كذلك فإن الحُليس عندما استطاع تفسير مضمون هذه العملية والاستجابة لها بهذه السرعة ؛ قد دلَّ ذلك على أن هذا الرجل كان يتمتع بقدر عالٍ من الذكاء أيضاً ، فهو عندما رأى الهدي يسيل من عرض الوادي ، بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس ، ورأى المسلمين وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم ، فإنه وكما جاء في «السيرة الحلبية» : (صاح مستنكراً تصرف قريش ، وقال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء القوم أن يُصدوا عن البيت ، أبى الله أن يحج لخمُ وجذامُ ونهدُ وحميرُ ، ويُمنعَ ابن عبد المطلب؟؟!! . .

ثم قال : هلكت قريش ورب الكعبة ، إنما القوم أتوا عمَّاراً)[1] .

ومن هنا يتضح لنا مقدار تأثر الحُليس بهذه الحركة الإعلامية ، ومقدار الذكاء الذي كان يتمتع به هذا الرجل .

وتفسرُ لنا الدكتورة جيهان رشتي ظاهرة الذكاء هذه من وجهة النظر الإعلامية فتقول :

(إن الأفراد ذوي الذكاء المرتفع يتأثرون أكثر من الأفراد ذوي القدرات الذهنية المنخفضة ؛ لأنهم أقدر على الخروج باستنتاجات ؛ حينما يتعرضون لرسائل إقناعية تعتمد أساساً على حجج منطقية مؤثرة ، وإن الأفراد الأكثر ذكاءً ، أقل تأثراً من الأفراد الأقل ذكاءً ؛ حينما يتعرضون لرسائل إقناعية تعتمد أساساً على تعميمات ليس هناك ما يدعمها ، أو حجج زائغة غير منطقية أو غير متصلة أساساً لأن قدراتهم النقدية أقل)[2] .

وجدير بالقول : إن رسول الله ﷺ في حركته الإعلامية هذه ، كان يركز على الناحية الدينية التي يتميز بها الحُليس ، وذلك عندما بدأ العمل على استمالته وإقناعه بتغيير ما كان يحمله من أفكار وآراء إلى أفكار وآراء معاكسة

---

(١) السيرة الحلبية : ٢/ ١٣٧ .

(٢) الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، الدكتورة جيهان رشتي : ص ٥٤٥ .

تماماً ، وذلك عن طريق الرموز الإعلامية ذات المفاهيم الدينية .

والدين كما هو معلوم من أقوى العوامل الإيجابية والمؤثرة على الإنسان ، إذ إن حياة الإنسان في هذه الدنيا ترتبط به ارتباطاً كلياً ومصيرياً ، وهو الأساس الذي ينطلق منه عمل الإنسان سواء كان إعلامياً أو غير ذلك .

ويوضح لنا ذلك الدكتور محمد الهواري بقوله: (الدين يُعتبر من العوامل الأساسية التي تؤثر على سلوك الأفراد في المجتمعات ، والعواطف والانفعالات ترتبط بالأفكار والمعتقدات ، والحياة الروحية هي جزء أساسي من فلسفة الإنسان بالنسبة لوجوده ومصيره ، لهذا فهي تلعب دوراً هاماً في تكيفه مع مصائبه وأتراحه ومصائره في الحياة . ونحن هنا نذكر أثرَ الدين في المجتمع نظراً لأهمية ذلك في العمل الإعلامي والنفسي ، فالاختصاصي لا يمكن أن يمارس عملية ؛ إلا أن يكون قد عرف جميع الظواهر النفسية والاجتماعية والروحية التي لها تأثير على مواقف الفرد واتجاهاته)[1] .

وبهذا يمكننا القول: إن الدراسة التحليلية التي أجراها الرسول ﷺ لشخصية الحُليس من جهة ، والعملية الإعلامية التي واجههُ بها مِن جهة أخرىٰ ، قد أسفرتا عن النتائج الإيجابية المطلوبة ، الأمرُ الذي جعل الحُليس يعود بانطباع معاكس تماماً لما كان يحمله من المسلمين من قبل .

ولا بد من الإشارة هنا ـ ونحن نستفيدُ من هذه الدروس العظيمة ـ إلى أنه على الدعاة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، الاستفادة من هذه الدروس والعمل على إيجاد الدراسات العملية والنفسية للأشخاص قبل مبادأتهم بالدعوة ، وذلك من أجل أن يكون لدى الداعية المسلم الخلفية المناسبة للأشخاص الذين تعملُ الدعوةُ على كسبهم إلى صفوفها ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) الدكتور محمود الهواري ، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: ص ٧٧ ـ ٧٨ .

٢ ـ الوسيلة الإعلامية:

أما بخصوص النقطة الثالثة من هذا التحليل الإعلامي ، فهي تتعلق بالوسائل الإعلامية التي استخدمها الرسول ﷺ في رسالته الإعلامية الموجهة إلى الحُليس بطريقة الرمز الإعلامي الهادف ، وهذه الوسائل الإعلامية هي:

١ ـ زيُّ تقليد الهَدْي.

٢ ـ زي الإحرام.

٣ ـ رفعُ الأصوات بالتلبية.

ولا شك أن الطريقة المتقنة التي استخدمت هذه الوسائل الإعلامية بها ، كانت طريقة مؤثرة وهادفة ، مما أدى إلى وجود نتائج إيجابية جيدة.

تقول الدكتورة جيهان رشتي: (تهدف أغلب وسائل الإعلام والرسائل الإعلامية إلى التأثير ، فالهدف من أي رسالة أن تتعاون على بناء أو إفهام ظرف ما لشخص آخر ، والتأثير عليه ليقوم بعمل معين ، أو يشعرَ بمشاعر معينة)[1].

ومما يذكر أن الرسول ﷺ عندما قام باستخدام هذه الوسائل الإعلامية على شكل رموز إعلامية هادفة ، إنما كان مبدعاً في هذا الفن ، غير مقلدٍ فيه ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الرموز الإعلامية ، كانت رموزاً عُرفية تقليدية ، إذ إنه من المتعارف عليه في الجزيرة العربية: أن هذه الرموز الإعلامية لا تستعملُ إلا في حالة الحج أو العمرة فقط، فالإحرامُ والهدي والتلبية ، كلها رموزٌ إعلامية. ويستعرض [أولمان] مسألة تقسيم الرموز الإعلامية ومدلولاتها من وجهات النظر المتعددة ، فيقول: (إنه من الطبيعي أن يكون السمعُ والرؤية أعظمَها منزلة ، إذ إن أعضاءهما أكثر الأعضاء رقياً ، وقد وجد من وجهة نظر أخرى أن الرموز: إما طبيعية أو تقليدية عرفية.

---

(١) الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، الدكتورة جيهان رشتي: ص ٥٩٠.

فالرموز الطبيعية لها نوعٌ من الصلة الذاتية بالشيء الذي ترمز إليه ، فالهلالُ يعدُّ رمزاً طبيعياً للإسلام ، والصفارة هي أداة لضبط الوقت والإنذار.

وإن استعمال اللون الأسود علامةٌ للحزن ، وهز الرأس دليل للرفض ، ثم يخلصُ إلى القول: إن هذه الرموز كلها ما هي إلا وسائل ورموز تقليدية عرفية ، وتصبح غير مفهومة خارج البيئة التي وجدت فيها)[1].

ومن جهة أخرى فإن المعنى الدلالي للرموز الإعلامية التي استخدمها الرسول ﷺ ، يتضح من المعنى الطبيعي والتقليدي المجرد لها ، إذ إن الشخص الذي يتعرض للنظر إلى هذه الرموز يستطيع أن يكوِّن رأيه القاطع ضمن إطار الرموز الدلالي.

وتوضح لنا هذا المفهوم الدكتورة جيهان رشتي ، عندما تقول: (يعتمد أي كائن حي على العلامات الطبيعية التي تحيط به ، ولكن البشر يعتمدون بالإضافة إلى العلامات الطبيعية على المعاني المجردة ، أو الرموز الهامة التي يعطونها معاني يتفقون عليها ويتصلون بها ، وبفضل العلامات الطبيعية والرموز الهامة يكوِّن الفرد إطاره الدلالي)[2].

هذا ويتحدث الدكتور عبد العزيز شرف من وجهة نظره عن تأثير الدلالة الإعلامية ، وعن مدى قدرتها في تغيير حالة قائمة ، فيقول: (إن معيار الدلالة الإعلامية ، يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الإعلام كأساس عام للقيم الإعلامية وكل ماله قيمة إعلامية ، مما يغيِّرُ حالة قائمة أو ينذر بتغييرها ، إنما يترتب على حوادث وقعت فعلاً أو هي في سبيل أن تقع ، وهي حوادثُ تتميز بدلالة تقوم على الصراع ومراكز الاهتمام الإنساني.

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان: ص ١٩ ، الترجمة العربية للدكتور بشر.
(٢) الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، الدكتورة جيهان رشتي: ص ٦٠٣.

ففي المجتمع ألوان شتى من الصراع ، ولمعظمها أهمية إخبارية)[1] .

ولما كانت هذه الدلائل الإعلامية تعتبر ذات أثر إعلامي فعال في التأثير على الحالة النفسية لشخص ما ، أو لأشخاص كثيرين في تغيير سلوكهم ، فإن استخدام هذه الوسائل والتحكم في استعمالها ، بما يحقق الاستجابة المطلوبة ، ليس من الأمور السهلة .

ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله : (يهتم الإعلاميون بالدلالة لأنها الحالة النفسية التي تتوسط التأثر بالرمز والاستجابة له ، فالإنسان يتأثر بمنبه من المنبهات التي حوله ، ثم يستجيبُ لهذا المنبه وفقاً لدلالته بالنسبة له ، إذ إن الدلالات تختلف من حضارة إلى حضارة ، ومن بيئة إلى بيئة أخرى ، بل من شخص لآخر .

ولما كانت الدلالات هي التي تتحكم في تصرفات الناس وأساليب سلوكهم ، فإن من يستطيع تغيير هذه الدلالات يمكنه أن يغير السلوك أو يعدله ، ومن الواضح أن فنون الاتصال بالجماهير من دعاية وإعلام وتعليم وعلاقات عامة وغيرها ترمي إلى تعديل السلوك بطرق مختلفة ، وليس تعديل الدلالات والمفاهيم بالأمر الهيّن ، كما يبدو لأول وهلة)[2] .

ويحدثنا صاحب «البرهان» عن الدلالة الإعلامية من الناحية البلاغية ، أو ما يطلق عليه : بيان الأشياء بذواتها ، فيقول : (فالأشياء تبين للناظر المتوسم ، والعاقل المتبين بذواتها ، وبعجيب تركيب الله فيها ، وآثار صنعته في ظاهرها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[3] .

---

(١) فن التحرير الإعلامي ، د. عبد العزيز شرف : ص ١٢٥ .
(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير ، الدكتور إبراهيم إمام : ص ١٢٣ .
(٣) الحجر : ٧٥ .

وقال: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

ولذلك قال بعضهم: قل للأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك، فإن أجابتك حواراً، وإلا أجابتك اعتباراً، فهي وإن كانت صامتة في نفسها، فهي ناطقة بظواهرها وأحوالها. وعلى هذا النحو استنطقت العرب الرَّبْع وخاطبت الطلل، ونطقت عنه بالجواب على سبيل الاستعارة في الخطاب، قال الشاعر:

يا ربع بُسرة بالجناب تكلَّم ... وأبن لنا خبراً ولا تستعجم
مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً ... خَلقاً لحوض الباقر المتهدم)

وحول النقطة الرابعة والأخيرة والتي تتعلق بنجاح الخطة الإعلامية التي وضعها رسول الله ﷺ في مواجهة الحُليس، فإنه يمكننا القول: إن هذه الخطة الإعلامية التي تقوم في أساسها على الحركة الإعلامية والرمز الهادف، قد حققت نجاحاً رائعاً ونصراً هائلاً في الوصول إلى النتيجة المطلوبة؛ ليستخلص النتائج بنفسه فقط، ولكن في مدى تأثير هذه الخطة الإعلامية وإمكاناتها، ومدى قدرتها على تغيير الاتجاه والسلوك الإنساني وارتداد الأفكار، وبالتالي قلب الوضع ليكونَ ولاءُ زعيم الأحابيش للمسلمين، بدلاً من ولائه لقريش، وبهذا يكون الرسول ﷺ قد تمكن من تحقيق الظهور الإعلامي المطلوب في هذه الحادثة.

ويعرِّف الشيخ زين العابدين الركابي الظهور الإعلامي بقوله: هو تفوق في شعار تجاري أو سياسي على شعار آخر منافس له في عالم الأفكار والعقائد، حيث يسعى كل صاحب مذهب وفكر لظهور مذهبه أو فكره.

ولا شك أن زعيم الأحابيش كان حتى وصوله إلى معسكر المسلمين في الحديبية يحمل في قرارة نفسه بأن المسلمين هم بغاة معتدون، يريدون هتك حرمة البيت العتيق بالحرب والقتال، وهو ما زيفته له ولغيره الدعايةُ

---

(١) العنكبوت: ٣٥.

القرشية الكاذبة ، وهاهو الآن يرجعُ إلى قريش متغير الوجه والأفكار ، حاملاً معه الحقيقة المجردة بما رآه بعينيه وسمعه بأذنيه من أن المسلمين قد جاؤوا ليعظموا بيت الله الحرام ، وليبلغوا الهَديَ محِلَّه ، وليس كما زعمت قريش ، وقد وجد كل الدلائل الحقيقية على ذلك ؛ مما جعل لديه القناعة التامة التي لا يساورها أدنى شك ، من أن الغرض الحقيقي لمجيء المسلمين إلى مكة إنما هو أداء العمرة فقط .

ولا شك أن هذا الموقف قد أوجد عند الحُليس تغييراً كبيراً تجاه المسلمين وتجاه قريش أيضاً .

حيث رسخ في ذهنه بما لا يدع مجالاً للشك بأن المسلمين ليسوا كما قالت عنهم قريش ، وأنهم لم يرتكبوا أي خطأ ضد أحد من الناس عندما جاؤوا لزيارة الأماكن المقدسة في مكة ، وأن قريشاً هي التي افتعلت هذه الأزمة بغياً وعدواناً .

وبهذه النتيجة الرائعة يكون الرسول ﷺ قد تمكَّن تماماً من تحقيق التغيير المطلوب في أفكار الحُليس عن المسلمين بشكل عام عن طريق استخدام فن الإعلام بصورة متقنة وفعالة ، تقوم على أساس علمي مدروس ، ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور محمد الهواري في حديثه عن كيفية استخدام فن الإعلام في العمليات النفسية ، يقول: (إن فن الإعلام عنصر هام في العمليات النفسية ، فبواسطته يمكن ترسيخ الأفكار وتبديل المواقف لدى بعض الأشخاص أو الجماعات ، ويمكن أن يتم الإعلام بواسطة الفرد والجماعة للتأثير على عواطف وسلوك واتجاهات الآخرين ، والمادة الإعلامية بحد ذاتها تعتمدُ على تعابير واقعية وملموسة تفرضها درجة الثقافة ومستواها)[1] .

وما من شك بأن التأثير الناتج عن هذه العملية الإعلامية كان ناجحاً إلى حد ما ، وإن هذا التغيير لدى الحُليس لم يقتصر فقط على التغيير في

---

(١) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ، الدكتور محمد الهواري: ص ٧٨ .

أفكاره ، وإنما شمل أيضاً اتجاهاته وتصرفاته وسلوكه ، بحيث أصبحت المؤثرات الفعلية واضحة على سلوك الحليس.

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (إن المؤشرات الكمية ليست هي الدليل النهائي على نجاح التأثير ، ولا شك أن الأهم من ذلك هو التأكيد على مدى تأثر الناس فعلاً بما يقرؤونه ويسمعونه ويشاهدونه ، فعلينا أن نعرف كيف استجاب هؤلاء الناس للعناصر الإعلامية التي يتعرضون لها ، ويضيف الدكتور إمام: وحتى مدى التأثر نفسه لا يكفي لأن الإعلام لا يرمي إلى مجرد تغيير الاتجاهات ، وإنما يرمي إلى تغيير السلوك نفسه ، فلا يكفي أن يبدي المستهلك إعجابه بالسلعة ، بل المهم أن يُقدم على شرائها ويشتريها فعلاً ، ولا يقنع الداعية بمجرد إعجاب الجماهير بما يقول ، بل المهم أن ينضمَّ الناس إلى التنظيم الذي يدعو له)[1].

وفي هذه الأثناء كانت الفوضى والاضطرابات تنتشران في معسكر قريش على أثر التصريحات التي أدلى بها سيد الأحابيش ، وأعلن فيها عن وقوفه إلى جانب الحق والعدل في هذا الصراع ، وذلك بعد عودته من الحديبية.

وفيما كان عروة بن مسعود الثقفي ، قائد قوات ثقيف التي ترابط إلى جانب قريش في بلدح ، يرقُب الأحداث حول هذه الأزمة عن كثب ، تلك الأحداث التي بدا فيها واضحاً ـ بحكم مركزه القيادي ـ: أن قريشاً هي التي قد افتعلتها ، مما جعله يدرك الصورة الحقيقية لموقف النبي ﷺ وأصحابه الكرام ، وهي الصورة التي كانت قريش قد أعطت عكسها ، وعلى أساس من هذا الإدراك الصحيح والتقويم الحقيقي للموقف ، فقد تبين لدى عروة بن مسعود ، كما تبين لدى سيد الأحابيش: أن النبي ﷺ وأصحابه الكرام لم يكونوا مخطئين ولا معتدين حينما جاؤوا محرمين لزيارة البيت الحرام.

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير ، الدكتور إبراهيم إمام: ص ٣٤٥.

هذا ولقد أدرك سيد ثقيف كذلك أن العرض السلمي الذي دعا فيه النبي ﷺ إلى السلم والموادعة ونبذ الحرب ، هو عرضٌ عادلٌ من وجهة نظر الجميع ، وأنها خطةُ رشدٍ لا يجوز لقريش أن ترفضها ، الأمر الذي جعل قريشاً في نظر العرب في موقف الجائر المعتدي .

لهذا فقد وجه عروة بن مسعود اللوم صراحةً إلى حلفائه القرشيين ، ونصحهم بأن يغيروا من موقفهم هذا ، وأن يقبلوا العرض النبوي الذي جاء به بُديل بن ورقاء الخزاعي ، فقال لهم عروة بن مسعود كما جاء في رواية الواقدي : (يا معشر قريش تتهموني؟ قالوا : ما أنت عندنا بمتهم ، ثم قال لهم : ألستم الوالد وأنا الولد؟ قالوا : نعم ، قال : وقد استنفرت لكم عكاظ لنصرتكم ، فلما بلحوا[1] عليَّ نفرت لكم بنفسي وولدي ومن أطاعني؟ فقالوا : قد فعلت ، فقال : إني ناصحٌ لكم ، شفيقٌ عليكم ، لا أدَّخر عنكم نصحاً ، وإن بُديلاً قد جاءكم بخطة رشد لا يردها أحد إلاّ أخذ شراً منها فاقبلوها منه ، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده)[2] .

وبعد أن اقترح عليهم أن يكون وسيطَهم إلى النبي ﷺ لحل هذه الأزمة ، قال ابن إسحاق في رواية الزهري : (ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ ، عروة بن مسعود الثقفي)[3] .

* * *

(١) بلحوا : امتنعوا عن الإجابة .
(٢) المغازي للواقدي : ٢/ ٥٩٤ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ص ٣٦١ .

obeikandl.com

المطلب الرابع
الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود

١ ـ عروة بن مسعود يفاوض النبي ﷺ ويعود إلى قريش معظماً للنبي:

غادر عروة بن مسعود الثقفي، زعيم قبائل ثقيف، معسكر المشركين في بلدح متوجهاً إلى الحديبية، حيث يرابط النبي ﷺ بقواته المسلحة هناك، ولما اقترب من معسكر المسلمين استأذن قيادة حرس المعسكر لمقابلة النبي ﷺ فاستقبله النبي ﷺ في مقر قيادته أحسن استقبال، ورحب به أحسن ترحيب أملاً منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن هذا الوسيط بما لديه من مكانة مرموقة وسمعة طيبة لدى قريش سيقف إلى جانب الحق والعدل، ويعملُ بالطرق السلمية على حل هذه الأزمة، وإبعاد شبح الحرب عن منطقة الحرم الشريف، وأن يعمل كذلك على إقناع قريش بتغيير موقفها المتعنت، والسماح للمسلمين بدخول مكة وأداء مناسك العمرة.

كان سيد ثقيف هذا يعلم يقيناً في قرارة نفسه بأن الحق في جانب النبي ﷺ وأن قريشاً هي المعتدية، بإصرارها على منع المسلمين من دخول مكة وأداء مناسك العمرة، ولكنه وبصفته وسيطاً سياسياً لقوم هم أصهاره وحلفاؤه، فإنه حاول إلقاء اللوم على النبي ﷺ وتحميله المسؤولية كاملةً في تصعيد هذه الأزمة التي تبدلت من ساعة إلى ساعة وكأنها تتحول إلى حرب مدمرة، تدور رحاها بين الأهل والعشيرة على ساحة الحرم الشريف بمكة المكرمة.

فقد ذكر ابن إسحاق أن عروة بن مسعود عندما قدم إلى رسول الله ﷺ في الحديبية جلس بين يديه ، ثم قال: (يا محمد ، أجمعت أوشاب[1] الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها[2] بهم. إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة[3] وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً[4])[5].

ويعني بهؤلاء ، أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم أخذ عروة بن مسعود يعمل على إضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم محاولاً ـ بأسلوب الحرب النفسية ـ تفتيت جبهة المسلمين الداخلية ، وتوهين عزائمهم ، والْفَتَّ من عضدهم ، وإقناع النبي ﷺ بأن المعركة إذا ما نشبت بينه وبين قريش ، فإنها سوف لا تكون بصالحه وإنه ليس من مصلحته خوضها.

والجدير بالذكر أن عروة بن مسعود باتباعه هذا الأسلوب الذي حاول به التأثير على قوة المسلمين وعزيمتهم الداخلية وخلخلتها ، إنما كان يقصد بذلك إحراز النصر لحلفائه القرشيين ، وإخراجهم من ورطتهم التي أوشكت أن تنتهي بهم إلى هزيمة عسكرية وإعلامية منكرة ، وإن ذلك لن يتم إلا بعودة النبي ﷺ وأصحابه الكرام من حيث أتوا دون أن يدخلوا مكة ودون أي قيد أو شرط ، وحاول عروة بن مسعود جاهداً لتحقيقه والوصول إليه في مفاوضاته التي أجراها مع النبي ﷺ في الحديبية.

وفي حديث الواقدي في روايته عن هذه القصة ، ذكر أن عروة بن مسعود عندما جاء إلى رسول الله ﷺ في الحديبية قال له: (يا محمد، إني تركت

---

(١) الأوشاب: الأخلاط.
(٢) بيضة الرجل: أهله وقبيلته ، وفضّها: أي كسرها.
(٣) عنوة: قهراً وغلبةً.
(٤) انكشفوا عنك: انهزموا وتركوك لعدوك.
(٥) سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٦١.

قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي على أعداد مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل ، قد استنفروا لك أحابيشهم ومن أطاعهم ، وهم يُقسِمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وقال: وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين: أن تجتاح قومك ولم نسمع برجل اجتاح أهله قبلك ، أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فإني لا أرى معك إلا أوباشاً من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم)[1].

وفي التحليل الإعلامي لهاتين الروايتين ، نرى أن عروة بن مسعود الثقفي قد سلك في هذه المفاوضات سبيل التخويف وتثبيط الهمم واللعب بالأعصاب ، والتركيز على إضعاف الجبهة الداخلية للمسلمين ، ثم التلويح بقوة قريش العسكرية بأنها لا تقهر ، وتصوير نتائج المعركة بأنها في غير صالح المسلمين.

وهذه الطريقة هي التي يسميها ويتعارف عليها العسكريون والإعلاميون في عصرنا اليوم بالحرب النفسية.

وبالنظر إلى طبيعة الأجواء التي كانت تخيم على المفاوضات التي دارت في الحديبية بين الرسول ﷺ والوفود الأخرى، نجد أنها كانت تتسم بشكل عام بطابع الحرب النفسية ، وبما أن هذا الفصل بالذات يشتمل على توضيح أسلوب الحرب النفسية الذي استعمله عروة بن مسعود في مفاوضاته التي أجراها مع رسول الله ﷺ في الحديبية بشكل خاص ، فإنني سأقوم بدراسة سريعة ومختصرة لهذه الحرب ، أبيّن من خلالها حقيقة هذه الحرب وأهدافها وأساليبها وتوقيتها ، وذلك على ضوء التعاريف والمصطلحات التي أوردها المتخصصون من الإعلاميين والعسكريين للحرب النفسية.

٢ ـ الحرب النفسية:

الحرب النفسية في مفهومها العلمي والعسكري ، هي تطبيق للدعاية في

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٥.

تحقيق الأهداف العسكرية ، وهناك العديد من المصطلحات والتعاريف للحرب النفسية ، ننقل منها ما جاء في أقوال بعض رجال الإعلام عن هذا الموضوع :

يستعرض الدكتور عبد القادر حاتم الحديث عن الحرب النفسية بصورة تفصيلية وموسعة ، شارحاً فنون هذه الحرب وأساليبها وأهدافها ، ثم ينتهي إلى وضع بعض التعاريف لهذه الحرب ، والتي يراها من وجهة نظره بأنها تعاريف شاملة ودقيقة .

ننقل منها هذا التعريف الذي جاء في كتاب الدكتور حاتم عن هذه الحرب يقول :

(يعرِّف الأمريكيون الحرب النفسانية بأنها سلسلة الجهود المكملة للعمليات الحربية العادية عن طريق استخدام وسائل الاتصال ، وتعميم وتنفيذ الخطط الاستراتيجية الحربية والسياسية على أسس نفسانية مدروسة ، وإذا كانت الحرب النفسانية التي سميت كذلك بحرب الأعصاب، تشتمل على قدرة أقوى من المدافع ـ كما يقولون ـ فإن استعمالها صعب إلى حد بعيد ، ولا يمكن استعمال مفاتيح العوامل النفسية إلا بكثير من المهارة ، هذا وتحاول الحرب النفسانية كسبَ الحرب دون استعمال وسائل العنف)[1] .

هذا ويتحدث صلاح نصر عن صعوبة إيجاد تعريف محدَّد للحرب النفسية ، وذلك بعد أن ناقش العديد من التعريفات التي وضعها العسكريون لهذه الحرب ، فيقول :

(ليس من السهل بحالٍ أن نضع تعريفاً محدداً للحرب النفسية ، أو أن نحدد مجالها ، وحتى وقتنا هذا ، فإن الحرب النفسية غير واضحة في أذهان الكثيرين على الرغم من الكتابات الأجنبية العديدة التي عالجت هذا

---

(١) الإعلام والدعاية ، د. عبد القادر حاتم : ص ١٨٧ .

الموضوع ، فالحرب النفسية تبدو في أذهان الكثيرين من الناس بمفاهيم مختلفة ومتغيرة ، ولم يتمكن حتى هؤلاء الذين تخصصوا في هذا الموضوع أن يضعوا لها اصطلاحاً في إطار واضح المعالم)[١].

ثم يورد التعاريف المختلفة لهذه الحرب ، وذلك للتدليل على وجهة نظره في هذا الموضوع، نختارُ منها ما يلي: (الحرب النفسية: هي استخدامُ أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية ، وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين)[٢].

وهناك تعريفٌ آخر للحرب النفسية يقول فيه: (الحرب النفسية: هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول ، للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى جماعة عدائية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تُعينُ على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة أو الدول المستخدمة)[٣].

ثم ينتهي إلى القول بتعريفه لهذه الحرب: (والحرب النفسية: هي شكل من أشكال الصراع بين الدول ، يسعى كل جانب فيه إلى أن يفرض إرادته على خصومه بطرق غير طريقة القوات المسلحة ، ومن الناحية العملية يمكن أن نقول: إن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هي عملية مشتركة بين الديبلوماسية والدعاية)[٤].

ـ أهداف وأساليب الحرب النفسية:

لا شك أننا نستطيعُ من خلال استعراضنا للروايتين التاريخيتين لابن هشام والواقدي أن نستنتج بأن عروة بن مسعود قد عمل على تحقيق الأهداف الرئيسية للحرب النفسية ، وذلك في حصر مفاوضاته التي أجراها

---

(١) الحرب النفسية ، صلاح نصر: ص ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣.
(٢) الحرب النفسية ، صلاح نصر: ص ٩٢.
(٣) الحرب النفسية ، صلاح نصر: ص ٩٢.
(٤) الحرب النفسية ، صلاح نصر: ص ٩٦.

مع رسول الله ﷺ في الحديبية لتبدو بمظهر القوي الذي لا يُقهر ، وإضعاف ثقة القيادة الإسلامية بقوتها وقواتها .

وأخيراً لإظهار المسلمين بمظهر المعتدي على الأهل والحرمات المقدسة ، وتعنيفهم ولومهم على ذلك ، وتصوير المعركة بأنها إذا ما نشبت ، فإنها ستنتهي بغير صالحهم لا محالة .

وهذه الأهداف الأربعة هي الأهداف الرئيسية للحرب النفسية من وجهة نظر رجال الإعلام ، ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله : (وقد ثبت من تجارب الحرب النفسية ، أن هناك أربعة أهداف رئيسية ينبغي على الدولة المحاربة بلوغها ، وهي :

ـ **أولاً** : إثارة روح الانقسام في صفوف العدو ، وتحطيم معنوياته والحض على كراهيته .

ـ **ثانياً** : تقويةُ الجبهة الداخلية ورفع الروح المعنوية ، وتعميقُ الإيمان بقضية الوطن وتأييدها .

ـ **ثالثاً** : كسبُ ودِّ الدول المحايدة ، وإقناعها بعدالة القضية التي تحارب من أجلها ، وتأكيد الإيمان بالنصر .

ـ **رابعاً** : توثيق أواصر الصداقة والإيفاء مع الدول الحليفة)[1] .

والجدير بالذكر أن هناك أساليب وأهدافاً أخرى تُستخدم لتغذية أغراض الحرب النفسية لكسب المعركة ، وهذه الأساليبُ جميعها تهدف في النهاية إلى الوصول إلى تحقيق الأهداف الرئيسية لهذه الحرب في خدمة الميدان والسيطرة على نفسية العدو وأعصابه .

ومن هذه الأساليب : أسلوب الشتم والتحدي والتهديد والشعر الحماسي ، أو الشعر الذي يوهن من قوة العدو ، إلى غير ذلك من الأساليب الأخرى التي تستخدم في هذه الأغراض .

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير ، الدكتور إبراهيم إمام : ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور إمام وهو يتحدث عن هذه الأساليب بقوله: (والحقيقة أن أسلوب الشتم أسلوبٌ معروفٌ في الحرب النفسية منذ أقدم العصور.

وقد استُخدمت قصائدُ المدح وأشعار الهجاء، كأساليب للحرب النفسية في المجتمع العربي وغيره من المجتمعات الأخرى القديمة منذ آلاف السنين... ثم يستشهد الدكتور إمام بأبيات من قصيدة الشاعر اليوناني هوميروس في وصفه للقتال الذي دار بين اليونانيين والطروادين سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد)[١].

ومن الأسئلة التي يمكن ذكرها في هذا المقام عن دور الشعر والشعراء في الحرب النفسية النموذج التالي، وهي أبيات ذكرها ابن هشام[٢] للشاعر معبد قالها بعد معركة أحد، وأراد بها قائلها تحطيم معنويات أبي سفيان والمشركين عندما أرادوا الرجوع إلى المدينة المنورة مرة أخرى ليعيدوا الكرة على المسلمين، وفي هذه القصيدة يصفُ الشاعرُ قوة المسلمين، وتحرقهم، وحنقهم عند خروجهم للحاق بقريش والقضاء عليها، وقد قالها معبد لأبي سفيان بعد أن سأله الأخير عن النبي ﷺ وجيشه حين كان قادماً من المدينة المنورة قال:

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجُرد الأبابيل

تردي بأسدٍ كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميلٍ معازيلِ

فظلْتُ عدواً أظنُّ الأرض مائلةً ... لما سَمَوْا برئيس غير مخذولِ

فقلتُ: ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيلِ

إني نذير لأهل البَسْل ضاحيةً ... لكلِّ ذي إربة منهمْ ومعقول

من جيش أحمدَ لا وخشٍ تنابلة ... وليس يُوصفُ ما أنذرت بالقيل[٣]

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، الدكتور إبراهيم إمام: ص ٢٥٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٥٤ ـ ٥٥.

فعندما سمع أبو سفيان هذه الأبيات التي يصف بها الشاعر قوة المسلمين وبأسهم ؛ ولى مسرعاً بجيشه نحو مكة.

ولا شك أن أهداف وأساليب الحرب النفسية قد اتخذت أشكالاً عديدة من أجل الوصول إلى الغاية المطلوبة ، ومن هنا فإن عروة بن مسعود كان في مفاوضاته مع رسول الله ﷺ يستخدم إحدى هذه الأساليب ، مما يدل على أن العرب في الجاهلية كانوا على علم تام بفنون أساليب وأهداف الحرب النفسية ، وأنهم كانوا يستخدمونها في أغراضهم الحربية ، ولكنهم باستخدامهم لفنون وأساليب هذه الحرب لم يكونوا على علم بالنشاطات ذات الطابع التنظيمي كما هو عليه الحال في عصرنا الحاضر ، رغم أن هذا الاستخدام أيضاً لم يكن بعيداً كل البعد عما هو عليه التنظيم الحالي.

يقول الدكتور مختار التهامي: (والقول بأن أساليب الحرب النفسية جديدة تماماً على ميدان الدعاية قول مبالغ فيه ، ومع ذلك فليس هناك ثمة شك في أن هذه الأساليب لم تتخذ في أي عصر من العصور الطابع التنظيمي والتخطيطي الشامل الذي نتخذه في عصرنا الحديث)[1].

عناصر الحرب النفسية:

ثم يتحدث الدكتور مختار التهامي موضحاً العناصر الرئيسية التي تقوم عليها الحرب النفسية فيقول: (والحربُ النفسيةُ تقوم ـ بالإضافة إلى استخدام الدعاية السائدة ـ على عناصر ثلاثة رئيسية هي:

١ ـ الإشاعات.

٢ ـ افتعال الأزمات.

٣ ـ إثارة الرعب.

ثم يتناول الدكتور التهامي هذه العناصر الثلاثة بالشرح فيقول:

---

(١) الرأي العام والحرب النفسية ، د. مختار التهامي: ص ١٠٢.

أولاً: الإشاعات:

ومن دراستنا لخصائص الإشاعات يمكن أن نضع لها التعريف التالي:

فالإشاعة هي الترويجُ لخبر مختلق لا أساس له من الواقع، ويعتمد المبالغة والتهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة، أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبرٍ معظمه صحيح، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي والإقليمي، أو العالمي، أو النوعي، تحقيقاً لأهداف سياسية أو عسكرية، أو اقتصادية على نطاق دولة واحدة، أو عدة دول، أو النطاق العالمي بأجمعه)[1].

وتأسيساً على هذا الفهم فإن عروة بن مسعود، أثناء مفاوضاته مع النبي ﷺ، قد اعتمد هذه العناصر الرئيسية التي وردت في قول الدكتور التهامي في نقاطها الثلاث السالفة الذكر، وهي: الإشاعات وافتعال الأزمات وإثارة الرعب، وأما فيما يتعلق بالإشاعات فإنه ـ أي عروة بن مسعود ـ قد قام باستخدام هذا السلاح، وذلك عندما بدأ يلوح ويعظم قوة قريش العسكرية بأسلوب مغاير للحقيقة، معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش عسكرياً وإعلامياً.

ثانياً: افتعال الأزمات:

وهذه النقطة الثانية من تحليل الدكتور التهامي والتي يقول فيها: (ولعل أبرز الأمثلة في افتعال الأزمات هي عملية التأثير في الرأي العام، ثم يناقش الكاتب هذا الموضوع، ويوردُ له عدداً من الأمثلة التي يمكن الرجوع إليها في كتابه)[2].

ومن هنا فإننا نستطيع القول: إن عروة بن مسعود قد حاول أن يفتعل

---

(١) الرأي العام والحرب النفسية، د. مختار التهامي: ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) الرأي العام والحرب النفسية، د. مختار التهامي: ص ١٠٤.

أزمة عسكرية كبيرة بين النبي ﷺ وجنوده ، وأن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين ، وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده ، عندما قال للنبي ﷺ: (أو بين أن يخذُلَك من نرى معك. . . فإني لا أرى معك إلا أوباشاً من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم).

إن هذا الأسلوب الذي اتبعه عروة بن مسعود وحاول به افتعال أزمة عسكرية ونفسية كبيرة بين الرسول القائد ﷺ وبين جنوده المؤمنين من أجل التأثير على معنوياتهم وتحطيم عزائمهم ليُعتَبَرُ من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين أثناء تلك المفاوضات.

ثالثاً: إثارة الرعب:

أما فيما يتعلق بالنقطة الثالثة ، وهي إثارة الرعب والفوضى ، فإن عروة بن مسعود قد بذل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك عندما بدأ بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهر ، وتصوير المعركة بأنها في غير صالحهم.

وبهذا يكونُ عروة بن مسعود قد استخدم جميع العناصر الثلاثة للحرب النفسية التي أوردها الدكتور التهامي.

تسمية الحرب النفسية:

هناك أسماء ومصطلحاتٌ عديدة وضعها المتخصصون بهذا الفن للحرب النفسية ، ولنستمع إل اللواء الركن محمود شيت خطاب وهو يحدثنا عن الأسماء المرادفة للحرب النفسية في الاصطلاح العسكري ، يقول: (إن الحرب النفسية تعبيرٌ مرادفٌ لتعابير حرب الدعاية ، وحرب الإعلام ، والحرب الباردة ، والحرب العقيدية ، والحرب السياسية)[1].

هذا ويناقش صلاح نصر في كتابه السالف الذكر ، بصورة موسعة صعوبة إيجاد تسمية واحدة تكون شاملة ودقيقة للحرب النفسية ، ولنستمع إليه وهو

---

(١) كتاب الإسلام والنصر ، اللواء الركن محمود شيت خطاب: ص ٦١.

يتحدث عن هذا الموضوع بقوله: (ويمكن أن ندرك الصعوبة التي تواجهنا عند تسمية الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التي شاعت في الحديث عن الصراع الأيدلوجي الذي يسود العالم اليوم ، وفيما يلي قليل من هذه المصطلحات الشائعة:

الحرب النفسية ، حرب الأفكار ، الحرب الإيدلوجية أو العقائدية ، حرب الأعصاب ، الحرب السياسية ، حرب الدعاية ، حرب الكلمات)[1].

توقيتُ الحرب النفسية:

وفيما يتعلق بتوقيت الحرب النفسية ، وفي أي الأوقات يفضل خوض ميادين هذه الحرب ، وتحت أي الظروف يكون تأثيرُها أكثر إيجابية في كسب المعركة الفعلية ، يتحدث الدكتور حاتم عن هذا الموضوع فيقول: (تشن الحربُ النفسيةُ قبلَ الحرب الساخنة وأثناءها وبعدها ، وهي تبدأ قبل إعلان الحرب بوقت طويل ، وتستمر بعد أن يتوقف العداء العلني)[2].

ثم يتحدث اللواء الركن محمود شيت خطاب عن توقيت الحرب النفسية فيقول: (إن الحرب النفسية تشن قبل الحرب الفعلية للتأثير على معنويات العدو ، وفي أثناء الحرب للتأثير في ثباته ومقاومته ، وبعد الحرب الفعلية لإجبار العدو على الإذعان إلى المنتصر)[3].

وتأسيساً على هذا الفهم فإن عروة بن مسعود الثقفي قد استخدم الحرب النفسية بأساليبها الصحيحة ، من حيث توقيتها وتأثيرها وأهدافها.

فقد كان توقيت وصوله إلى معسكر المسلمين في الحديبية ، والتقائه بالرسول القائد ﷺ أثناء اشتداد الأزمة الساخنة بين المسلمين وقريش ، أي قبل المعركة الفعلية ، وذلك للتأثير على معنويات المسلمين وإجبارهم على

---

(١) الحرب النفسية ، صلاح نصر: ص ٩٨.

(٢) الإعلام والدعاية ، د. عبد القادر حاتم: ص ٢٥٣.

(٣) الإسلام والنصر ، اللواء الركن محمود شيت خطاب: ص ٦١.

الرجوع ومحاولة تحطيم معنوياتهم النفسية.

وأما تأثيرُها، فقد عمل عروة بن مسعود الثقفي، بأسلوب الحرب النفسية؛ التي تقضي بالتركيز على إضعاف جبهة المسلمين الداخلية وزعزعتِها وتوهينها، وإشاعة روح الهزيمة والفوضى والبلبلة في صفوف المسلمين، وإضعاف الروح القتالية والمعنوية لهم، ومن ثم إضعاف ثقة الرسول القائد ﷺ بجنوده، وتصوير الموقف بأنه سينتهي حتماً لغير صالح المسلمين.

وهذه هي فعلاً أهم أهداف وأساليب الحرب النفسية في القديم والحديث.

ولكن هل نجحت هذه الحرب النفسية بكل طاقاتها وفنونها، أمام العقيدة الإسلامية؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه إن شاء الله.

٣ ـ هل نجحت الحربُ النفسية أمام العقيدة الإسلامية؟

إن الجواب عن هذا السؤال يكمنُ في قول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

لقد تعرض الرسول ﷺ وأصحابه الكرام إلى ألوان شتى من ضروب الحرب النفسية القاسية التي شنتها قريشُ وحلفاؤها ضدهم طوال فترة الرسالة الخالدة، ما لم يتعرض له داعيةٌ ولا نبيٌّ من قبل، وفي فترة الحديبية بالذات، فقد حاولت قريشٌ وحليفاتُها بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة أن يوقعوا الهزيمة في نفوس المسلمين وفي صفوفهم، وأن يوهنوا من عزائمهم، وأن يفتُّوا من عضدهم، وقد استعملت قريشٌ وحليفاتها

(١) آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤.

لهذه الغاية كل أساليب الإرهاب والتخويف وتحطيم الأعصاب ، إلى غير ذلك من ضروب الحرب النفسية العنيفة التي استهدفت تحطيم الجبهة الداخلية للمسلمين وتوهينها ، وبالتالي استسلامها .

ولكن ما حدث فعلاً هو أن هذه الحرب النفسية ، وجميع المخططات الأخرى ـ التي شنت بواسطتها قريش حربها ضد المسلمين ـ قد جاءت نتيجتها على عكس ما كانت تتوقعها قريش وأعوانها من أعداء الله ورسوله ﷺ .

ولقد صمدت العقيدة الإسلامية أمام صنوف الحرب النفسية ، وأمام جميع التحديات الأخرى ، وأثبتت هذه العقيدة بأن لها قابلية للاستيعاب والصمود أمام هذه الأخطار جميعها ، وأن أفراد المجتمع المسلم ـ بوساطة هذه العقيدة ـ لديهم المناعة والتحصين الكاملين ضد جميع التحديات وجميع الأخطار ، مهما كانت كبيرة ومحدقة ، والخروج منها أكثر قوة وعزيمة .

قال تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[1] .

وتأليف الله سبحانه بين قلوب المؤمنين ؛ أساسه هذه العقيدة .

وعلى هذا الأساس فإن الحرب النفسية مهما تعدَّدت أساليبها وألوانها ؛ فإنها لا تؤثر في عزيمة المؤمن ؛ لأن المؤمن يستند بإيمانه الراسخ القوي إلى قاعدة صلبة ومتينة لا تهزها الرياح العاتية .

قال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[2] .

وإن مما لا شك فيه أن القيادة النبوية الحكيمة قد صاغت أبناء هذه

---

(١) الأنفال : ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) الأحزاب : ٢٣ .

العقيدة صياغة فريدة ، وربتهم تربية متكاملةً ، فكانوا صورة دعوتهم الحقة النيرة في فكرهم وسلوكهم وعملهم وجهادهم ، فكانوا في جهادهم يصدرون عن المدرسة النبوية في سمو الغاية ونبل الوسيلة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلِّم أصحابه إعداد العدة ، والأخذ بالأسباب ، وكيفية تحقيق متطلبات النصر الحقيقية ، والاتصال بالله القوي العزيز ، وطلب العون منه بالذكر والطاعة ، وكانوا ينهلون من المعين الذي لا ينضب في معرفة الثبات ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] ، وقد كان النبي الكريم ﷺ يعلِّم أصحابه الكرام إخلاص العبادة لله ، والاتكال على الله القوي العزيز ، وأن الأمور بيد الله يسيرها كيف يشاء ، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[2] ، وقد حذَّر الله سبحانه وتعالىٰ المؤمنين من اتخاذ أسباب الهزيمة ، وهي البطر والرياء والشقاق والنزاع .

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[3] ، وكان عليه الصلاة والسلام يعلِّم أصحابه أن متطلبات النصر الحقيقية هي في طاعة الله ونصرته ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[4] .

وهذه هي متطلبات العقيدة التي عمل بها رسول الله ﷺ في إعداد المؤمنين إعداداً فريداً ، وتربيتهم التربية الروحية ، وتقوية معنوياتهم ، الأمرُ الذي جعلهم في جميع مواقفهم ومعاركهم يؤمنون بأن النصر إنما يكونُ من عند الله ، ومع إيمانهم بهذه الحقيقة الراسخة فإنهم كانوا يؤمنون كل الإيمان بأن الموت في سبيل الله هو طريقهم وغايتهم التي ينشدونها ، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ

---

(١) الأنفال: ٤٥ .
(٢) يونس: ٢٢ .
(٣) الأنفال: ٤٦ .
(٤) محمد: ٧ .

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1].

لهذا فقد كانت معنويات المسلمين أقوى سلاح تعتمد عليه القيادة النبوية.

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: (لم ينتصر العرب والمسلمون مطلقاً طوال حياتهم بكثرة العدد والعدة ، وقد كان أعداؤهم متفوقين عليهم بالعدد والعدة في كل معركة خاضوها ، وقد انتصرت الفئة من العرب المسلمين على العرب من غير المسلمين)[2].

وهنا يقصد الكاتب من كلامه أنه ما دام كلا الفريقين من العرب ؛ فإن الفارق في الحالتين هي قوة المعنويات ؛ التي تستندُ على قوة العقيدة الراسخة في النفوس.

ثم يتحدث الكاتب في هذا الموضوع فيقول: (إن الإسلام بالنسبة للعرب هو السلاح السريُّ الذي جعلهم يقودون العالم قروناً طويلة في ميادين السياسة والحضارة والحرب. . . .) ثم يقول الكاتب في تعريفه للمعنويات: (بأنها القوى الكامنةُ في صلب الإنسان التي تكسبُهُ القابليةَ على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة)[3].

ثم ينتهي الكاتب إلى القول: (إن عوامل المعنويات هي: الدين ، والقيادة ثم يقول: إن الجيش الذي يتحلى بالمعنويات العالية ينتصر في النهاية مهما طال الأمدُ على أعدائه)[4].

---

(١) التوبة: ٥١ ـ ٥٢.
(٢) الإسلام والنصر ، اللواء الركن محمود شيت خطاب: ص ٢٦.
(٣) الإسلام والنصر ، اللواء الركن محمود شيت خطاب: ص ١٦.
(٤) الإسلام والنصر ، اللواء الركن محمود شيت خطاب: ص ٥١.

لذلك فإن المؤمن يضع دائماً في اعتباره أن أجلَهُ مكتوبٌ في هذه الدنيا ، فهو لا يزيد ساعةً ولا ينقص أبداً ، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ۖ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[1] .

ومن هنا ندرك بأن العقيدة الإسلامية هي السلاحُ الحقيقي والفعال ؛ الذي يحصن المؤمن ضد حرب الشائعات والحرب النفسية ، لأن هذه العقيدة هي العاملُ الفعال في توجيه أمور المسلم وتقرير مصيره ، وهي القاعدة الصلبة التي يستند إليها في جميع تصوراته للحياة ، وينطلق من مفاهيمها في مواجهة الناس .

وفي أثناء هذه المفاوضات أيضاً حصلت مفارقةٌ رائعة ، وهي من عجائب الأحداث التي يُستشفُّ منها الدليلُ القاطعُ على قوة الإيمان ؛ التي كان يتمتع به أصحاب النبي ﷺ ، وعلى قدرة هذا الدين على تحويل الإنسان من شيطان مريد إلى إنسان فاضل نبيل .

حيث كان أحد الذين يتولون حراسة النبي ﷺ أثناء محادثاته مع عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية هو المغيرة بن شعبة ابن أخ عروة بن مسعود نفسه ، وكان المغيرةُ هذا قبل أن يهديه الله للإسلام شاباً فاتكاً سكيراً قاطع طريق ، غير أن اعتناقه للدين الإسلامي حوله إلى إنسان آخر ، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة ، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بمهام حراسة النبي ﷺ في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب ، وكان من عادة الجاهلية في المفاوضات ، أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراه ندّاً له أثناء الحديث ، وعلى هذه القاعدة كان عروةُ بن مسعود يمسك بلحية رسول الله ﷺ أثناء المناقشة ، الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبة ؛ الذي كان قائماً على رأس رسول الله ﷺ بالسيف يحرسه ، وعلى وجهه المغفر ، فانتهر عمه

---

(١) آل عمران: ١٤٥ ـ ١٤٦ .

وقرع يده بقائم السيف قائلاً له: (اكفف يدك عن مس لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك).

قال الواقدي: (فلما أكثر عليه غضب عُروة زعيم ثقيف لهذا التهديد من حارس النبي ﷺ وقال للحارس: ويحك ما أفظك وأغلظك.

وكان النبي ﷺ يبتسم للذي يجري بين عروة المشرك وبين ابن أخيه المؤمن، ولما كان المغيرةُ يقف في لباسه الحربي متوشحاً بسيفه ودرعه وعلى وجهه المغفر، فإن عمه عروة لم يكن باستطاعته معرفته، فقال عروةُ للنبي ﷺ وهو في أشد الغضب: ليت شعري يا محمد من هذا الذي أرى من أصحابك؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا ابنُ أخيك المغيرة بن شعبة، فقال له عمه: وأنت بذلك يا غدر؟ لقد أورثتنا العداوة من ثقيف أبد الدهر، والله ما غسلت غدرتك إلا بالأمس)[1].

وكان للمغيرة قصة يمكن الرجوع إليها في كتب السيرة النبوية، أوردها باختصار شديد، وتتلخص هذه القصة في: أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه كان قد خرج مع نفر من بني مالك بن حطيط بن جشم، وأثناء مسيرهم ليلاً شربوا خمراً فكف المغيرة وأمسك نفسه عن الشراب، وشربت بنو مالك حتى سكروا، فوثب عليهم فقتلهم جميعاً، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فقام عمه عروة هذا بتحمل دياتهم جميعاً، وهذا سبب كلامه: أورثتنا العداوة إلى آخر الدهر...[2].

ومن هذه المواقف نرى الأمثلة الحية التي أخرجتها المدرسة النبوية، تلك النماذج الفريدة في التاريخ التي صاغها الإسلام وصقلها، وأعاد لها صفاءَها وآدميتها الكريمة، وهذا شأن هذا الدين العظيم في كل زمان ومكان في إيجاد وتخريج النماذج المؤمنة التي لا تؤثر على إيمانها الشائعات ولا الحروبُ النفسية، ولا يخيفها الموت، لأن الموت في سبيل الله أغلى

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٥.

(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

وأسمى أمانيها ، وإن حياتها طاعةٌ لله وحده لا شريك له ، فحياة المسلم ومماته كلاهُما لله رب العالمين .

وهكذا انتهت المفاوضات بين النبي ﷺ وعروة بن مسعود دون أن يتم التوصل إلى أي اتفاق ينهي الأزمة القائمة بين الطرفين ، إلا أنه من خلال هذه المحادثات تأكد لعروة بن مسعود صِدقُ نوايا المسلمين السليمة ، وأنهم جاؤوا في رحلة تعبدية معتمرين لا محاربين ، وأنَّ قريشاً هي التي تفتري الكذب على المسلمين حينما تروِّج بين عامة العشائر والأعراب : أن النبي ﷺ وأصحابه قد جاؤوا لينتهكوا حرمة مكة والكعبة المشرفة عنوة بقصد الحرب ، وبهذا تكون قريش قد كذبت أهلها ، ويجب أن تتحمل هي وحدها نتيجة كذبها ، وذلك بفقدها لجميع حلفائها وأنصارها .

هذا وبينما كنت أتصفح الكتب الإعلامية فإذا بي أمرُّ بموضوع للدكتور عبد العزيز شرف يتحدث فيه عن دور «حذام» ومبدأ الصدق الإعلامي ، وعن دور «خرافة» المشابه كثيراً للدور الذي لعبته قريش عندما كذَّبت أهلها .

ولما كان هناك الكثيرُ من الشبه بين الحادثتين ، فإني أوردُ ما جاء حول هذا المعنى في كتاب الدكتور عبد العزيز شرف للمقارنة بين هاتين الحادثتين ، ولبيان دور قريش الذي يشبه إلى حدٍّ كبير دور «خرافة» التي كذبت أهلها .

يقول الدكتور عبد العزيز شرف : (ونجد في أقوالنا العربية : لا يكذب الرائد أهله ، أي الذي يرسله القومُ في التماس النجعة ، وهي الذهاب لطلب الكلأ في مواضعه ثم يقول : إن وسائل الإعلام كالرائد لا تكذب أهلها ، ولكنها كذلك تقوم بدور «حذام» زرقاء اليمامة المشهورة ، حينما تتوخى الصدق الإعلامي ، وتقوم بدور «خرافة» حين تتوخى الكذب الدعائي ، و«حذام» هي التي زُعِم أنها كانت تُبصرُ على مسافة ثلاثة أيام ، وذكروا عنها أن «حسّان بن تبع الحميري» أغار على قومها بني جديس وأراد

أن يفاجِئَهم من حيثُ لا يعلمون ، فحمل أشجاراً في وجه الجيش لئلا تبصرهم الزرقاء فتنذر قومها ، فكان [الخبر] قد نُميَ إلى جديس ، فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأت الأشجار تسعى فقالت :

أقسم بالله لقد دب الشجر ، أو حمير قد أخذت شيئاً يُجَر . فلم يصدقوها حتى طرقهم «حسان» وفتك بهم . فقيل البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام)[1]

ودور «خرافة» الإعلامي ، وهو الدور الذي لعبته قريشٌ في إثارتها العرب ضد النبي ﷺ ، ثم يقول : (ونعني بدور «خرافة» وهو الذي تشير إليه أساطيرنا ، أن رجلاً من بني عذرة ، أو من بني جُهينة ، يقال له : خُرافة اختطفته الجن ، ثم رجعَ إلى قومه ، فكان يحدِّث بأحاديث مما رأى ، يعجب الناسُ منها ، فكذبوه ، ثم صاروا يسمون كل حديثٍ كاذب : حديث خرافة) .

وهكذا فإن قريشاً بوسائلها الإعلامية الكاذبة لم تقم بدور «حذام» التي تقول ، فتصدُق أهلها ، وإنما قامت بدور مناهض لهذا الدور ، ونعني به دور «خرافة» ، فكانت النتيجة أن فشلت في معركتها العسكرية والإعلامية أمام رسول الله ﷺ وخسرَتْ أيضاً جميعَ حلفائها ومؤيديها .

ثم يضيف الدكتور شرف فيقول : (وفي المستوى الأخير ، حين تغيبُ الأخبار الأكثر دلالة ، وحين يغيب دورُ «حذام» ويبرز حديث «خرافة» (تنعدم الثقة بين الناس وبين وسيلتهم الإعلامية)[2] .

وهذا ما حصل لقريش فعلاً بعدما اكتُشِفَ أمرُها ، واتضح كذبُها للناس بوساطة الوفود التي ذهبت لتقابلَ النبي ﷺ في الحديبية وتتفاوض معه ، فقد انعدمت الثقةُ بين قريش وبين حلفائها من جهة وبينها وبين الناس الآخرين من جهة أخرى ، فالوسيلة الإعلامية إذن يجب أن تكونَ صادقة الخبر ،

---

(١) فن التحرير الإعلامي ، د. عبد العزيز شرف : ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٢) فن التحرير الإعلامي ، د. عبد العزيز شرف : ص ١٣٥ ـ ١٣٦ . نقلناه ببعض تصرف .

صدوقة المقال ، تصدقُ الناسَ الحديثَ ، وتخبرهم الخبر على حقيقته ، بحيث تكون من الوسائل التي يوثق بخبرها ، ولا يقدح في صدقها ، ولا تُـتَّهم فيما تقول ، وتتجافى عن الكذب وقول الزور ، كما نتعلم من لغتنا العربية التي لا تغدو فيها هذه التأكيدات من باب المترادف ، لإحساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامي ، وهذا هو المقصود بأن وسائل الإعلام تقوم بدور «حذام» العربية حين لا تكذب أهلها. وتقوم بدور «خرافة» حينما تعمل ما عملته قريش عندما كذبت أهلها.

عروة بن مسعود يحَذِّر قريش:

عاد الوسيط الرابع إلى مقر القيادة العامة لقريش وحلفائها في بلدح ، حاملاً معه نهاية مفاوضاته الفاشلة ، وحاملاً لهم أيضاً التحذير ، ومسدياً لهم النصح بأن يخففوا من غلوائهم ، وأن لا يتورطوا في صدام مسلح مع النبي ﷺ وأصحابه الكرام ، لأن الهزيمة حسبَ تقديراته ستكونُ من نصيبهم حتماً ، إن هم تسرعوا بالعدوان ، ولم يتعقلوا الأمور ، وقد بانت لسيِّد ثقيف هذه الحقيقة التي لم يُخْفِها عن حلفائه على ضوء ما رآه ولمسه من تماسُك وَحدةِ قوة المسلمين داخل المعسكر الإسلامي في الحديبية بشكلٍ لم يسبق له أن سمع أو رأى مثله ، وعلى ضوء ما رأى من حب عجيب بين المسلمين لنبيّهم ، وتفانٍ في حمايته والدفاع عنه ﷺ.

قال الواقدي: (فلما فرغ عروة بن مسعود من كلام رسول الله ﷺ و ردَّ عليه رسول الله ﷺ ما قال لبُديل بن ورقاء وأصحابه ، وكما عرض عليهم من المدة ؛ ركبَ عروة بن مسعود حتى أتى قريشاً فقال: يا قوم! إني قد وفدتُ على الملوك ، على كسرى وهرقل والنجاشي ، وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوعَ فيمن هو بين ظهرانيه من محمد وأصحابه ، والله ما يشدون إليه النظر ، وما يرفعون عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيفعل ، وما يتنخَّم وما يبصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده ، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيُّهم يظفر منه بشيء ، وقد حذرتُ

القوم ، واعلموا أنكم إن أردتم السيفَ ، بذلوه لكم ، وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يُصنعُ بهم ، إذا منعوا صاحبهم ، والله لقد رأيتُ نُسَيَّاتٍ معه ، إن كنَّ ليسلمنه أبداً على حال ، فَرُوْا رأيكم ، وإياكم وإضجاع[1] الرأي ، وقد عرض عليكم خطةً فماذُوه! يا قوم، اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح. مع أني أخاف ألا تُنصروا عليه. رجل أتى هذا البيت معظماً له ، معه الهدي ، ينحره وينصرف! فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور[2] لو غيرك تكلم بهذا لَلُمناه ، ولكن نرُدُّهُ عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل)[3].

وبهذا التقرير الإخباري الهام الذي أدلى به عروة بن مسعود أمام زعماء قريش في بلدح ، فقد استطاع بوساطته رسول الله ﷺ والمسلمون أن ينقُلوا تأثير الحرب النفسية لتعمل داخل جبهة قريش ، وفي نفوسهم هذا التقرير الإخباري الهام الذي نقله عروة بن مسعود عن وضع المسلمين في الحديبية، من طاعتهم لنبيِّهم الكريم، وحبهم له، وتفانيهم بالدفاع عنه ﷺ، وبما يتمتعون به من معنويات عالية جداً ، واستعدادٍ عسكري ونفسيّ يفوق الوصف.

كان بمثابة التحذير الفعلي لقريش بعدم التعجل والدخول في معركة عسكرية مع النبي ﷺ وأصحابه ، مما قد تكون نتائج هذه المعركة لصالح المسلمين ، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائها ، ولم تكن قريش تتوقعه أبداً في تقييمها للأمور ، فقد كان وقعُ كل كلمة قالها سيدُ ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوس زعماء قريش ، فقريش تعرف المسلمين حق المعرفة ، وخاصة في الميادين العسكرية ، فلها معهم التجارب العديدة في بدر وأحد والأحزاب ، وتعرف حقاً من هم المسلمون.

---

(١) إضجاع الرأي: أي الوهن في الرأي. (القاموس المحيط: ٣/ ٥٥).

(٢) أبا يعفور: كنية عروة بن مسعود الثقفي [طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٦٩].

(٣) مغازي الواقدي: ٢/ ٥٩٨ ، وكذا في سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

لذلك فقد كان هذا التقرير الإخباري الذي نقله عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش عن حالة المسلمين العسكرية والنفسية بمثابة الصفعة التي أعادت لقريش عقلها ورُشدها ، ولم يكن هذا التقرير الإخباري هذه المرة موجهاً أو مقصوداً به إثارة الرعب في نفوس القرشيين ، أو إشعال حرب نفسية ضدهم ، ولكن عروة بن مسعود الذي كان بوصفه حليفاً كان ينصحُ زعماءها صراحةً ومن كل قلبه ، فقد استنتج هذا الموقف مما سمعه بأذنه ، ورآه بعينه في الحديبية .

وقد كان مبدأ نصحه منبعثاً من مبدأ الإخلاص لقريش ، وخوفاً عليها من سوء العاقبة التي تنتظرُها إذا ما حاولت الصدام المسلح مع النبي ﷺ وأصحابه ، وقد حاول عروة بن مسعود أن يضع الأمور على حقيقتها أمام قريش حتى لا تكون في حيرة من أمرها ، الأمرُ الذي جعل زعماء قريش يدركون ، ويخففون من غلوائهم ، وخاصةً بعد أن بات عروة بن مسعود يتهيأ للانسحاب بجيشه عائداً إلى بلده ، وبعد أن هدد من قبل سيد الأحابيش الحُليس بن زبان بالانسحاب أيضاً بقواته ، وإلغاء الحلف مع قريش إن هي أصرت على موقفها المتفتِّت هذا ، وقد جاء في «السيرة الحلبية» : (إن عروة بن مسعود قد انسحبَ عائداً بقواته إلى الطائف عندما أصرَّت قريشٌ على موقفها العدواني هذا)[1] .

الانشقاق يدبُّ في معسكر قريش :

على أثر انسحاب عروة بن مسعود بقواته عائداً إلى الطائف ، بدأ الانشقاق الفعلي يدبُّ في معسكر قريش الرئيسي في بلدح ، وأخذت الروح المعنوية للجنود بالتدهور والانهيار ، وقد بدأت قوات الأحابيش تتململ هي الأخرى ، بعد أن أعلن سيدها في السابق صراحةً بأنه سوف ينسحب بقواته من بلدح ، وأن يلغي الحلف العسكري مع قريش ، الأمرُ الذي نتج عنه ضعف مركز قريش العسكري ، وبهذا فإن جبهة قريش العسكرية أخذت

(١) انظر السيرة الحلبية : ٢/ ١٣٩ .

تتداعى أمام قوة الحق الصامدة ، وكذلك فقد انهارت حجة قريش في جمعها العرب ضد النبي ﷺ وأصحابه بعد أن ظهر بوضوح كذب ادعاءاتها ، وتزويرها للحقائق ، وقد نجح ﷺ بحكمته وذكائه نجاحاً عظيماً باستخدام الأساليب الإعلامية المتعددة للحصول على الغاية المنشودة ، وهي تفتيتُ جبهة قريش الداخلية ، وإيقاع الهزيمة في نفوسهم، وإبعاد حلفائهم عنهم، وإن هذه النتيجة لتعدُّ بحقٍّ نصراً ساحقاً حققه رسول الله ﷺ على الجبهتين الإعلامية والعسكرية.

يقول الأستاذ العقاد: (كان الرسول القائد ﷺ الخبير بتجنيد بعوث الحرب وبعوث الاستطلاع خبيراً كذلك بتجنيد كل قوة في يده متى وجب القتال ، إن كانت قوة رأي ، أو قوة لسان ، أو قوة نفوذ ، فما نعرف أن أحداً وجه قوة الدعوة توجيهاً أشد ولا أنفع في بلوغها الغاية من توجيهه عليه السلام.

ثم يضيف الكاتب قائلاً: والدعوة في الحرب ـ كما لا يَخْفى ـ لها غرضان أصيلان من بين أغراضها العديدة: أحدُهما إقناعُ خصمكَ والناس بحقك ، وثانيهُما: مَنْعُه عن قتالك بإضعاف عزمه وإيقاع الشتات بين صفوفه ، ثم يقول: وربما بلغ النبي ﷺ برجلٍ واحد في هذا الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة)[1].

ـ ٤ ـ بيعة الرضوان:

لم يَسَع النبي ﷺ بعد ما سمع إشاعة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في مكة على أيدي مشركي قريش ، إلا أن يستنفرَ أصحابه الكرام ، وأن يدعوهم إلى قتال المشركين ، وذلك بأن دعاهم إلى مبايعته على الموت بعد أن نزل الأمر بذلك من السماء.

وقد لبى الصحابة الكرام جميعاً ، وعددهم ألف وأربعمئة صحابي نداء

---

(١) عبقرية محمد ﷺ ، عباس محمود العقاد: ص ٤٩ ، دار الإسلام بالقاهرة.

نبيهم الكريم ؛ فبايعوه تحت الشجرة في الحديبية ، فامتدحهم الله تعالىٰ وأثنىٰ عليهم وأعلن رضاه عنهم بقوله عز وجل : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1] .

وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ بقوله : «أنتم خير أهل الأرض»[2] .

وهذه البيعة هي التي تعرف تاريخياً ببيعة الرضوان .

فقد ذكر الطبري في حديثه عن هذا الموضوع ، قال : (إن رسول الله ﷺ حينما بلغه أن عثمان بن عفان قد قتل قال : «لا نبرح حتى نناجز القوم» ودعا الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة)[3] .

وفي رواية أخرى للطبري عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : (إنهم كانوا أربع عشرة مئة . قال : فبايعنا رسول الله ﷺ ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة ، فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره)[4] .

وقد ذكر الواقدي تفصيلاً أوسع لبيعة الرضوان هذه ، فقال : (كان محمد بن مسلمة على فرس للنبي ﷺ يحرسُ معسكر المسلمين في تلك الليالي ، وعثمان بمكة ، وكان عثمان قد أقام بمكة ثلاثاً يدعو قريشاً ، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن من رسول الله ﷺ وعلى أهليهم ، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان وأصحابه قد قُتلوا ؛ فحين ذلك دعا للبيعة)[5] .

---

(١) الفتح : ١٨ .

(٢) صحيح الإمام البخاري ، كتاب المغازي : ٦٤ ، دار الفكر باب غزوة الحديبية حديث ١٦٨٥ عن جابر بن عبد الله .

(٣) تاريخ الطبري : ٢/ ٦٣٢ .

(٤) تاريخ الطبري : ٢/ ٦٣٢ .

(٥) مغازي الواقدي : ٢/ ٦٠٢ .

وعندما بدأ الصحابة الكرام يبايعون رسول الله ﷺ ، بايع رسول الله ﷺ عن عثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، وذلك حسبما جاء في رواية ابن إسحاق و«السيرة الحلبية» : (إن الرسول ﷺ قال : اللهم إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه ، فضرب بيمينه على شماله)[1] .

وما من شك أن الدخول في الإسلام ، أصلاً والانتماء إليه ، هو بيعة مع الله تعالى ، يعطيها المؤمن عهداً صادقاً ، ووجهاً خالصاً ، وبذلاً وفداء. أولئك الصفوة المؤمنة من عباد الله المخلصين الأبرار الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت تحت الشجرة ليس لهم غرضٌ من هذه البيعة إلاَّ نصرة الإسلام ، والدفاع عن الحق ، فباعوا أنفسهم لله تعالى ، وقد ارتضوا هذه البيعة الكريمة وتلك الصفقة الرابحة ، فلم يحتجزوا لأنفسهم ذرةً من الحرص على الحياة ، أو الرغبة في متاعها الزائل ؛ لأن أرواحهم وأموالهم وأنفسهم قد بيعت في سبيل الله ، ابتغاء مرضاته ، فليس عليهم إلاّ أن يفوا بالعهد ، ويمضوا العقد ، فيجاهدوا في سبيل الله ، ويمضوا حيث يأمرهم رسولهم الكريم ﷺ بكل نفس طيبة وأرواح راضية مؤمنة في سلوك السبيل القويم إلى نهايته. فإذا تم لهم النصر فذلك خير كبير ، أكرمهم الله به ، وإذا أدركته الشهادة ، فتلك هي النعمة الكبرى ، والغايةُ التي يسعى إليها المجاهدون الصادقون ، ولهم في الحالين الجنة التي أعدها الله لعباده المخلصين الأبرار.

قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام : ٣/ ٣٦٥ ، والسيرة الحلبية : ٢/ ١٤١ .

(٢) التوبة : ١١١ .

وإن هذه البيعة العظيمة لازمةٌ في أعناق المؤمنين ؛ لأنها جاءت تنفيذاً لأمر الله تعالىٰ ، وإنه جل وعلا ، جعل لهذا البيع ثمناً ، وهو الجنة ، وهو سبحانه وتعالى واهبُ الأنفس والأموال ، وهو مالكُها ، فكان من فضله عز وجل أنه قبل العوض بما يملكه ، وبما تفضل به على عباده المخلصين المطيعين له ، فكان وعدُ الله تبارك وتعالىٰ هذا وعد قاطع كريم كتبه على نفسه ، وأنزله على رسوله ﷺ تبارك وتعالى ، والله لا يخلف الميعاد ؛ لذا فليستبشر كل من أخلص نفسه لله تعالى وعمل بمقتضى هذه البيعة الكريمة ، ووفى بعهد الله بالفوز العظيم والنعيم المقيم .

ومعلوم أن تصور المشرك للحياة الدنيا ، ليس كما هو تصور المؤمن لها ؛ لأن تصور المؤمن للحياة منبثق أصلاً من تصوره الاعتقادي لمعنى الحياة والموت .

بينما ينظر المفتونون بالحياة الدنيا ، المحجوبون عن هدى الله إلى الحياة على أنها الغاية التي ليس بعدها غاية ، فيتشبثون بها ، ويتعلقون بمتعها الزائلة ، ويروعهم تصور انقضائها ، ولا يقيسون الأمور ويزينونها إلا بمقتضاها .

بينما ينظرُ هؤلاء إلى الحياة والموت تلك النظرة القاصرة الحائرة التي تشد إلى الذل ، وتحمل على المهانة ، وتنأى بصاحبها عن دروب الكرامة .

تأتي نظرة الإسلام بما يتمشى في أعماق المؤمنين في ذلك التصور الإيماني الصحيح للحياة والموت ، وهو تصورٌ يرتكز على تجاوز الأسباب الظاهرة ، ويرد الأمور كلها إلى قضاء الله وقدره ، فمن كتب الله عليه أن يُقتل فلن يؤجل موته شيءٌ ، ولن يمنعه حرص أو تدبير من أن يلاقي قدره المحتوم .

هذا هو التصور الحق الذي يستقر في يقين المؤمنين عن الحياة والموت ، وهو التصور الذي جاءَ وحي الله تبارك وتعالى ليغرسه في قلوب المؤمنين ويربيهم عليه ، لذلك فقد كان المؤمن عندما يبايع رسول الله ﷺ

على الموت ، فإنه كان يفعلُ ذلك من تصوره الاعتقادي للحياة وللموت ، بأن الحياة والموت هما طاعة لله ، حيث يعيش المؤمن في هذه الدنيا لله ويموت من أجله ، وابتغاء مرضاته.

لذلك فقد كانت البيعة التي نادى بها رسول الله ﷺ في الحديبية جهاداً في سبيل الله ، بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى ، وعلى هذا الأساس فقد لبى نداءها جميع المؤمنين في الحديبية ؛ ما عدا رجل واحد هو الجد بن قيس الذي كان معروفاً بنفاقه. فقد ذكر ابن إسحاق قال: (فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضبأ إليها ، يستتر بها عن الناس)[1].

ومعلومٌ أن القتال في الإسلام لا يأتي إلاّ عندما لا يكون هناك بديلٌ عنه فهو مركب يعبرُ عليه المسلمون ليصلوا إلى حقوقهم المشروعة ، ولا ضير عليهم في ذلك ، من أن يحملوا السلاح لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، وعلى هذا فإن الرسول ﷺ لم يشأ أن يستمر في قبول تحدي المشركين وطغيانهم وغطرستهم ، مما يحمل على استعلاء الباطل وأهله. بل أراد عليه الصلاة والسلام نتيجة لما سمع عن مقتل عثمان بن عفان ، أن يوقف هذا الطغيان ، وأن يضعَ حداً لهذا الصلف وتلك العنجهية والمهاترات الفارغة ، وذلك بأن يُري أعداء الله من نفسه وأصحابه الكرام قوة الإيمان الحقيقية وعزته ، فندب المؤمنين لهذه البيعة العظيمة والاستعداد للقاء عدوهم اللئيم ، فاستجاب له المؤمنون ملبين النداء، طائعين لله ولرسوله ﷺ، منيبين لله ، بائعين أنفسهم في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، فكانت فرحة المؤمنين بهذه البيعة لا تعدلها فرحة ، لأن المؤمن يعلم أنه في طاعته لربه ولنبيه ﷺ ، إنما يظفرُ بإحدى الحسنيين.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٦٤ «ضبأ بها»: استتر بها.

أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾(١).

والجدير بالذكر أن الإسلام قد رسم للمسلمين الطريقَ الذي يسيرون عليه أثناء تعرضهم للعدوان ، وقد بين لهم كذلك موقفهم ممن قاتلهم في الشهر الحرام أو في المسجد الحرام ، فهذا أمر يتركونه احتراماً للزمان والمكان ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقال جل شأنه مبيناً حكم الله سبحانه في القتال عند المسجد الحرام ، دفاعاً عن النفس ودرءاً للفتنة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ . . .﴾(٣).

وبهذه الآيات الكريمة ، قد بين الله سبحانه وتعالى حكمه في الحالات التي يُسمح للمسلمين فيها بالقتال عند المسجد الحرام.

وعلى أي حال فالحربُ ـ وإن كانت إحدى الظواهر الطبيعية في حياة الناس ـ فإن الإسلام ينظر إليها على أنه لا ينبغي اللجوء إليها في حل المشكلات والمنازعات إلا بوصفها العلاج الحاسم والأخير الذي تفرضه الضرورة ؛ حين تُخفق جميع الحلول الأخرى في مقاومة الطغيان ، ورد العدوان ، وإزاحة العقبات التي تحول دون استجابة الناس للهدي ودين الحق ، طواعيةً واختياراً دون قسر أو إكراه.

وإذا كانت العلاقات بين الناس قبل الإسلام قائمةً على العداوة والبغضاء والخصومة والشر وفقدان روح الفضيلة والأخلاق ، وتحكيم نزعة القوة

---

(١) التوبة: ٥٣.
(٢) البقرة: ١٩١ ـ ١٩٢.
(٣) البقرة: ٢١٧.

والبطش ، وانعدام أي رعاية للحق والعدل والسلام ، فإن الإسلام قد جاء بالمبادئ التي تضمن أسمى تشريع أخلاقي وإنساني في علاقات الناس بعضهم ببعض ، وهي مبادئ ترتكز على صيانة كرامة الإنسان وحريته ، وعلى ضمان العدالة والمساواة.

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾[1].

ولما كانت الأمة الإسلامية هي الأمة التي تحمل مبادئ الحياة العليا ، وتحمل أمانة توطيدها وإقرارها في العالم ، فقد عُني الإسلامُ بتربية العنصر الأخلاقي والإنساني لدى كل فرد مسلم ، فجاءت مبادئه هدماً لكل مظاهر الفساد والتجاوز على المثل الإنسانية العليا. . . سواء أكان ذلك فساداً في العقيدة أم كان ظلم شعب لآخر ، أو استغلال طبقة لأخرى ، أو تحكم أمة في أمة. فحيثما كان الفساد ، فإن الأمة الإسلامية ملزَمةٌ بمكافحته وإزالة قواه ، وتوفير الحرية والعدالة والكرامة لكل إنسان.

قال تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[2].

ولكن الإسلام مع هذا دينٌ يواجهُ الواقع ولا يفر منه ، وما دامت في الدنيا نفوس لها أهواء ونوازع ومطامع ، وما دام هناك هذا الناموس الذي يطبَّق على الأفراد والجماعات على السواء ، وهو ناموس تنازع البقاء ، فلا بد إذن من الاشتباك والحروب ، وحين تكون الحرب لردع المعتدي وكف الظالم ونصرة الحق ، والانتصاف للمظلوم تكون فضيلة من الفضائل ، وتنتج الخير والبركة والسمو للناس ، وحين تكون تحيزاً وفساداً في الأرض واعتداءً على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية ، وتنتج السوءَ والشر للفساد في الناس ، ومن هنا جاء الإسلامُ ليقرر هذا الواقع ، قال سبحانه وتعالى:

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) آل عمران: ١١٠.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

وبذلك كانت أولى نظرات الإسلام إلى الحرب أنها ضرورة اجتماعية، أو شرٌّ لا بد منه إلاّ لما يرجى من ورائه خير.

فإذا كان لا بد من وقوع الحرب، فإن الإسلام وهو يحيطها بهذا الإطار الفريد، يوجب إعلانها وعدم أخذ الناس بها على حين غرة، تجنباً للغدر والعدوان، كما ينهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، ويحذر المحاربين من أي سلوك يقع فيه التجاوز على المبادئ الإنسانية والروح الأخلاقية وكرامة بني الإنسان.

ويجدر بنا ونحن نستعرض أسباب وأغراض الحرب في الإسلام، أن نبين مراحل تشريع القتال في الإسلام.

مراحلُ تشريع القتال في الإسلام:

معلوم أن تشريع القتال في الإسلام قد مر بمراحل متعددة في زمن النبي ﷺ، ولا بد أن نتطرق إليها باختصار شديد:

١ ـ **المرحلة الأولى:** في المرحلة الأولى من حياة الدعوة الإسلامية عندما كان المسلمون مستضعفين في مكة المكرمة، فإنه لم يسمح لهم بقتال.

وقد استمر الحالُ على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام إلى المدينة المنورة.

فلما استقر المقام للمسلمين في المدينة المنورة، وأقام الرسول ﷺ دعائم الدولة الإسلامية وكثرَ عددُ المسلمين، واستعدَّ الأنصار لحماية

---

(١) الحج: ٤٠ ـ ٤١.

الرسول ﷺ ، والدعوة الإسلامية ، فقد نزل الإذن من الله سبحانه بالقتال ؛ وذلك لرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والوطن والمال ، وكانت أول آية نزلت فيها الإذن بالقتال هي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ . . .﴾[1].

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمِه فهو شهيد ، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد»[2].

٢ ـ **المرحلة الثانية**: وفي هذه المرحلة فُرِض القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3].

٣ ـ **المرحلة الثالثة**: وفي هذه المرحلة جاء الأمر من الله سبحانه بقتال من يليهم من الكفار أولاً بأول ، وذلك بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4].

٤ ـ **المرحلة الرابعة والأخيرة**: وهذه المرحلة قد جاء الأمر فيها من الله سبحانه بقتال المشركين كافة في كل مكان حيثما وجدهم المسلمون ، ما عدا الأشهر الحرم ، وذلك في قوله تعالىٰ في آية السيف: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ

---

(١) الحج: ٣٩ ـ ٤٠.
(٢) رواه أبو داود (٥/ ١٢٨ ـ ١٢٩) ، والترمذي (١٤٢١).
(٣) البقرة: ١٩٠.
(٤) التوبة: ١٢٣.

مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ففي هذه المرحلة الأخيرة، وعندما نزل الأمرُ بقتال المشركين، فإن المسلمين كانوا يمتلكون أسباب القوة التي تمكنهم من تنفيذ هذا الأمر الكريم بالقتال، وإلاّ فالمسلمون مطالبون أولاً بالإعداد والاستعداد والأخذ بالأسباب التي تمكنهم من تحقيق النصر على أعدائهم قبل الدخول في القتال، والملاحظُ من خلال هذا التدرج في تشريع القتال أن المسلمين عندما لم يُسمح لهم بالقتال كانوا في مراحل الدعوة الأولى، وأن قوتهم في تلك المرحلة لم تمكنهم من تحقيق النصر في أي قتال، وقد تدرج التشريع حسبما مرت به حالة المسلمين وقوتهم.

ويتلخص هذا التدرج بمشروعية القتال في الإسلام على الوجه الآتي:

ـ أ ـ كان في بداية الدعوة محرماً على المسلمين.

ـ ب ـ مأذوناً به فقط من غير وجوب للدفاع عن النفس.

ـ جـ ـ واجباً لمن قاتلهم.

ـ د ـ فرضاً على المسلمين لعموم الكفار.

وقد مرَّ المسلمون بجميع هذه المراحل، والتزموا بما أمرهم به الله ورسوله ﷺ.

* * *

(١) التوبة: ٥.

المبحث الرابع
الحرب النفسية في عهد النبوّة

لم يكن اصطلاح الحرب النفسية موجوداً في عصر النبوة، ولكن مضمون الحرب النفسية كان قائماً وكان سابقاً لكل العصور، فهو جزء من حرب الإنسان التي واكبت رحلة البشرية على ظهر الأرض، وإذا نظرنا الآن إلى مفهوم الحرب النفسية نجد سَيْلاً من المسميات الغامضة والمخيفة: غسيل الأدمغة، الحرب النفسية، حرب الأعصاب، الطابور الخامس، الحرب السياسية، النضال من أجل الحصول على عقول الرجال وإراداتهم، حرب الأفكار، الحرب الباردة، حرب الكلمات، والعدوان غير المباشر، وَسَيْلاً من الوسائل التي تستخدمها هذه المسميات منها: الإذاعات السرية، الشائعات، المنشورات المجهولة المصدر، الدعاية السافرة الكاذبة، وسَيْلاً من النتائج منها: البلبلة، وتحطيمُ الجيوش والنفوس من الداخل، وبعثرة جهود الأمم، وتسميم المناخ الاجتماعي والسياسي، وشتات الأمور، والقلق، والحجر على التفكير، وتعويق التقدم.

فما هي حقيقة هذه المسميات؟ وكيف يمكن تجنب أضرارها؟ وما هي أنسب السبل إلى إبعاد أثرها السَّيِّئ عن عقول الناس وأفكارهم ونفوسهم؟ وكيف كانت الحرب النفسية في عصر النبوة؟ وكيف واجهها رسول الله ﷺ ومعه المؤمنون؟ وما هي الدروس المستفادة لنا في كشف هذه المسميات

الغامضة؟ وفي سبيل ذلك لا بد لنا أولاً من النظر في تعريف الحرب النفسية.

ـ مفهوم الحرب النفسية:

بالرغم من كل هذه المسميات فإن تعريفاً للحرب النفسية لم يوضع بعد، أعني تعريفاً علمياً جامعاً ومانعاً في ذات الوقت. ربما يكون السبب في هذا هو أن اللفظ نفسه جديد نوعاً ما، برغم أن المحتوى قديم قدم صراع الإنسان مع الإنسان، وقدم الحرب البشرية نفسها.

إن التعريف العلمي للحرب النفسية لم يستقر بعد، لأن هذا اللفظ بدلالاته ومعناه لم يدخل مجال البحث العلمي والجامعات حتى الآن، وإنما ظل مطروحاً على خبراء الدعاية وخبراء الحرب المعنوية والنفسية... ولم يستطع هؤلاء أن يضعوا تعريفاً للحرب النفسية، لأنهم يفكرون في الوسائل والغايات، أكثر مما يفكرون في جوهر العلم نفسه.

وتحديد التعريف تلك مسؤولية تلقى على خبراء الإعلام، وأساتذة الاتصال في الجامعات والمعاهد؛ لأن هؤلاء هم أقدر الناس على تعريف هذا العلم، وعلى تنظيره، ووضع ضوابطه الصحيحة.

وبالفعل فإن جوهر الحرب النفسية بدأ يتحدد، كما بدأ التعريف نفسه يقترب من دلالاته، حين بدأت كليات الإعلام والصحافة وأساتذة الاتصال يعكفون على هذا البحث كجزء من تأثير النظرية الإعلامية في الحرب والسلم على السواء.

ولا يمكن أن نصل إلى تعريف محدد للحرب النفسية دون أن ندخل من باب علم السياسة أولاً، ثم من باب علم النفس ثانياً، وأخيراً من باب وسائل الاتصال في نهاية الأمر.

وبتمازج هذه الفروع الثلاثة، وتأثير بعضها في بعض، وتأثر بعضها ببعض يمكن أن نصل إلى تحديد علمي لمعنى الحرب النفسية.

إن الاكتشافات الفرويدية لمجاهل علم النفس، وأغوار الإنسان

الداخلية ، يمكن أن تقدم لنا المفتاح العلمي لفك طلاسم هذه الحرب الحديثة والقديمة في آن واحد.

ويمكن القول ـ برغم هذا ـ إن تعبير «غسيل العقول أو غسيل الأدمغة» هو في جوهره تشكيك فرد أو جماعة وزعزعة يقينهم بمختلف الوسائل ، حتى تذيب صلابة العقائد الراسخة والأفكار الثابتة في عقولهم. ثم الوصول بهم إلى مرحلة الحيرة والشكوك.

وبعد ذلك على الفور تبدأ عملية غرس الأفكار الجديدة والمعتقدات التي تحل محل اليقين القديم ، وباستمرار العلم تثبت الأفكار الجديدة والمعتقدات التي تمَّ غرسها ، ويتصرف الفرد أو الجماعة وفق هذا الغرس الجديد.

أما الحرب النفسية فهي تعبيرٌ جديد برز مع الحرب العالمية الثانية ، ويقصد به وضع الخصم في حالة معنوية تلحق به الهزيمة ، وقد اعتمد هذا المفهوم للحرب النفسية على أساسين:

الأول: هو أن الحرب الحديثة حرب شاملة تشمل النواحي العسكرية والاقتصادية والأيدلوجية ، وجميع الجوانب الاجتماعية.

والأساس الثاني: هو بروز علم النفس ودوره العسكري ، وظهور الدراسات الخصبة حول كسب التأييد ، والانهيار النفسي والصمود المعنوي ، وغير ذلك من المفاهيم النفسية.

وإذا كانت هذه التسمية [الحرب النفسية] جديدة في العالم المعاصر ، إلا أن المفهوم قديم قدم البشرية ذاتها ، ذلك أن الإنسان حاول منذ القدم أن يهزم خصمه بالعقل إلى جانب القوة، وحاول أن يهزم خصمه بالخوف والبلبلة وإشاعة الفتن قبل آلاف السنين، والأمثلة التاريخية في استخدام الحرب النفسية أكثر من الحصر، وعندما يتحدث صلاح نصر في الفصل الثاني من كتابه [الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد] عن مصطلح غسيل المخ يذكر تعبير [ميرلو] العالم النفسي الهولندي لهذه العملية وهو: [قتل العقل]

وذلك لأن العملية تُوجِدُ خضوعاً لا إرادياً ، وتجعل الناس تحت سلطان نظام [لا تفكيري] ، تكون في غمرة رقّ آلي لا حيلة لهم فيه ولا قدرة ، ثم يطرح المؤلف سؤالاً جوهرياًبقوله :

وربما اختلط بنا الأمر فنمزج بين عملية غسيل المخ ، وبين عمليات التوجيه الديني والتعليمي والاجتماعي .

فمثلاً قد يتساءل الكثير من أصحاب المهن التربوية والاجتماعية عما إذا كانوا يمارسون في صميم عملهم نوعاً من [غسيل المخ]؟ المدرس قد يتساءل عن جوهر عمله التربوي ، وأطباء العقول يسألون عن حقيقة تدريبهم للمرضى بوساطة العلاج النفسي ، ورجال الدين يسألون أيضاً عن طبيعة وسائلهم الإصلاحية .

وهنا يتصدى خصوم هذه الأوجه من النشاط لأصحابها ، فيزعمون بأن أعمالهم كلها ليست شيئاً آخر غير غسيل المخ .

ويضيف المؤلف معقباً : (وطبيعي أن غسيل المخ ليس هذا) ومعنى ذلك أنه إذا استخدم استخداماً مطلقاً يجعل المصطلح نقطة تجمع للخوف والامتعاض ، ولتوجيه التهم جزافاً دون تقدير لأي مسؤولية ، ولكن صلاح نصر لم يضع إجابة شافية للسؤال الذي طرحه .

فَصْلُ الخطاب يكْمُنُ في الفوارق بين ما نسميه [غسيل مخ] وما نسميه تربية عقائدية أو ما نسميه بالتثقيف العقائدي ، وما هو الميزان الذي نستطيع أن نقيس به كلا الأمرين ، فنعرف كلاً منهما بوضوح شديد لا لبس فيه ولا غموض؟ هذا الميزان ، في رأيي ، وهو يتكون من نقطتين :

أولهما : حرية الإرادة في الاختيار والاقتناع .

وثانيهما : عرض الأفكار المقابلة ، والرد عليها ، وكلا النقطتين تتطلب إعمال العقل ، فإذا تم التلقين عن طريق سلب الإرادة وإخفاء الأفكار المقابلة كان غسلاً للمخ .

أما إذا تم بالإرادة الحرة وبعرض الأفكار المقابلة ، والرد عليها فهو تثقيف عقائدي أو تربية عقائدية ، وهذا الموقف معبر عنه في الإسلام بـ ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ، وبأن القرآن هو أكبر مرجع لدراسة آراء ومقولات وحجج الكافرين والضالين والمنافقين ، والرد عليها رداً منطقياً مفصلاً .

ـ النماذج التاريخية :

وتبين لنا النماذج التاريخية كيف استخدم مفهوم الحرب النفسية عبر التاريخ ، من الجاهلية والحضارات القديمة إلى أيامنا هذه .

إن العبارة المشهورة على لسان الشاعر العربي الجاهلي عنترة بن شداد عندما سئل عن شهرة بطشه بأعدائه وقوته الخارقة فقال: (كنت أضرب الضعيف ضربة يطيح لها جنان القوي) ، فقد كانت هذه قاعدة من قواعد الحرب النفسية استخدمها معظم القواد ، وأوغلوا في استخدامها ، حتى جعل بعضهم الإبادة الكاملة وحرق المدن نذيراً وتهويلاً يسبق ملاقاتهم لأعدائهم .

ـ جنكيزخان والحرب النفسية :

جنكيزخان هو القائد المغولي الذي لم يخسر معركة واحدة طوال حياته ، والذي أخضع قبائل المغول والتتار والترك في وسط آسيا ، وأسقط الدولة الخوارزمية أكبر دول المشرق الإسلامي في عصره ، في أوائل القرن السابع الهجري .

كان ذلك القائد الأسطوري يكسب المعارك بالحرب النفسية قبل أن يكسبها بقوة السلاح ، وكانت الدولة الخوارزمية تشمل إيران وبلاد ما وراء النهر غرباً ، وكانت قائمة على عنصر القوة ، وعندما بلغت أوج قوتها في عصر خوارزم شاه هاجمها جنكيزخان ، واستطاع هذا القائد المغولي أن يستخدم الحرب النفسية على أوسع نطاق ، فقضى على ملك خوارزم شاه .

استغل جنكيزخان الخلاف على السلطة بين السلطان ووالدته ، ورسم خيوط الحرب النفسية بمهارة ودقة .

كما أدرك بوعي القائد عدم الثقة بين السلطان وقواده ، فاستغلها ـ أيضاً ـ في تنفيذ خطط الحرب النفسية أنجح استغلال .

واستطاع جنكيزخان أن يقف على نقاط الضعف الرئيسية في معسكر خصمه ، وأهمها أن السلطان لم يعد واثقاً في ولاء قواده نتيجة لتبعية غالبيتهم لوالدته ، وامتد سوء الظن إلى كل المحيطين به ، ومن هذه النقطة بدأت خطة جنكيزخان في الحرب النفسية ، فقد استغل لجوء بدر الدين بن العميد أحد قواد خوارزم شاه إليه ، في تزوير خطابات على الأمراء والقادة يراسلون بها جنكيزخان ، ويعلنون فيها رغبتهم في التسليم والطاعة ، وموافقة جنكيزخان على ظهرها ، وواصل جنكيزخان خطته في الحرب النفسية بأن عمد إلى التحايل حتى تسقط هذه الرسائل في يد السلطان ، فأصبح مؤكداً له عندئذ أن الأمراء والقادة يتأهبون لقتله ، وتحققت في رأسه مخاوفه ، ففرق جيشه إلى فرق بعدد المدن الكبيرة في مملكته ، تتراوح كل فرقة بين أربعين ألفاً وعشرة آلاف جندي، ونجحت خطة الحرب النفسية ، وتحقق النصر لجنكيزخان ؛ رغم أن بعض الروايات التاريخية تذكر أن جيشه كان يبلغ ٢٠٠ ألف مقاتل في حين أن جيش السلطان كان يبلغ ٤٠٠ ألف مقاتل! وإلى جانب ذلك كان جنكيزخان يحاول أن يبث الرعب في قلوب أعدائه قبل أن يلقاهم .

فكان يدس بين قوافل التجار سموم الحرب النفسية التي تهزم الأعداء قبل القتال ، في صورة القوة الخارقة لجيشه ، وكيف أن جنود جنكيزخان يأكلون الثعالب والضباع ويدمرون كل شيء .

ـ إعلام الاستعمار والحرب النفسية!

يلعب إعلام الدول الاستعمارية دوراً خطيراً في صياغة العقول .

إن الاستعمار بعد رحيله يسعى من جانب إلى صياغة عقول في البلدان

التي كان يحتلها توافق مصالحه ، ويسعى من جانب آخر إلى تثبيت قِيم ومفاهيم تؤكد استمرار مصالحه ، ويرتبط الهدفان بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً، ويمثلان هدفاً واحداً ومحدداً مهما تغير التكتيك.

إن صياغة العقول صناعة إعلامية قديمة عند الاستعمار ، ولعل ما قاله الإمام محمد عبده عقب الاحتلال البريطاني لمصر: (إننا لا نريد خونة وجوههم مصرية ، وقلوبهم إنجليزية) ، يكشف لنا عمق هذه المسألة ، ولعل تعبير القلوب الاستعمارية يشمل العقل والعاطفة معاً.

ولا شك أن الأمثلة أكثر من الحصر ، ولكن أبسط هذه الأمثلة الشائعة في البلدان النامية هي نسبة كل حسن إلى المستعمر ، وإقامة الدليل على تفوق المستعمر وعبقريته ، ونسبة كل سيئ وقبيح إلى ابن البلد. . . ! فكل فاكهة طيبة أو كل خضراوات طيبة وممتازة تسمى [بالإفرنجي] أو الرومي. . . بينما تسمى الأصناف الرديئة والسيئة بالبلدي ، والمضحك أن الإفرنجي والرومي والبلدي كلها من الإنتاج المحلي ومن تربة البلد النامي ، ولكن الميراث الثقيل الذي خلفه إعلام الاستعمار في صياغة العقول ، جعل عقدة [الخواجة] تمتد إلى الفاكهة والخضراوات ، وليست قاصرة على مجرد التهافت على السلع المستوردة.

ولكن الأخطر والأشد وطأة في العمل الإعلامي الاستعماري هو الوصول بأبناء البلدان النامية إلى كراهية بلدانهم ، ومن ثمَّ يمكن إيجاد المناخ الملائم للاستغلال.

إن الصعوبات التي تقابل عملية التنمية في معظم بلدان العالم الثالث ؛ تفرض مضايقات شتى لشباب هذه البلدان الذي قد يصاب بخيبة أمل شديدة أو إرهاق نفسي من سوء الإدارة ، ومن هذا الوضع يستغل الإعلام الاستعماري فرصة نادرة لتضخيم النقد ، والبعد تماماً عن ذكر الإيجابيات حتى يصل المواطن في البلدان النامية إلى كراهية وطنه ، وهذا أخطر ما يشنه إعلام الاستعمار ، وأقسى ما يمكن أن يوجه إليه حربه النفسية.

- في الحرب العالمية الأولى ثم الثانية :

وقد بلغت أساليب الحرب النفسية شأناً خطيراً في الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لم تتشكل في أبعادها الكاملة إلا من خلال الصراع الحضاري بين الحلفاء والمحور في الحرب العالمية الثانية .

لقد كانت هذه الحرب - والسنوات التي سبقتها - هي النموذج العملي لكل أساليب الحرب النفسية ، ولكل وسائلها ، والنتائج التي ترتبت عليها أيضاً ، فمع قيام النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا استطاعت أجهزة الدعاية القوية أن تقوم بعملية غسيل مخ لشعب كامل هو الشعب الألماني ، استطاع جهاز الرايخ وتأثير هتلر ، ووزير دعايته جوبلز أن يلهبوا خيال الشعب الألماني بفكرة: ألمانيا فوق الجميع ، وتم التمهيد النفسي للشعب كله لدخول الحرب ، وكان نجاح هذه العملية دافعاً إلى المضي فيها .

فتم تعيين أول وزير للحرب في ألمانيا ، ولم يكن هناك منصب كهذا من قبل ، وكان جوبلز هو الرجل الثالث في تنظيم الحزب النازي ، الأمر الذي يعني سطوة الإعلام والحرب النفسية ، والإدراك الكامل لقيمتهما ، وقد كان نجاح جوبلز ، وجهاز الدعاية الألماني ساحقاً في السنوات الأولى للحرب ؛ إلى حد أن الدول كانت تسقط ، والجيوش كانت تهزم بفعل الدعاية الرهيبة ، والاكتساح النفسي ، والمعنوي لساحة الحرب ، وقد كان أصدق مثل على قوة وتأثير الحرب النفسية سقوط بلد كبير مثل فرنسا بالبساطة التي سقطت بها في يد النازية .

حتى قيل : إن باريس قد سقطت قبل أن يدخلها جنود هتلر .

وقد وصل الأمر إلى درجة أن سكان باريس الذين كان عددهم في ذلك الوقت يصل إلى سبعة ملايين نسمة رحلوا عنها ، ولم يبق بالمدينة سوى سبعمئة شخص .

وقد كان هذا كله بفعل التأثير المدمر للحرب النفسية التي خاضها جهاز الدعاية النازي ضد كل أعدائه .

وقد استخدمت في هذه الحرب كل أساليب الخداع والتضليل ، كما استخدمت كل الألاعيب والحيل والمبتكرات ، وكان هناك جيش مكون من أربعة آلاف خبير في فنون علم النفس ، والدعاية والحرب السوداء ، وغيرها ، ومن رحم هذه التجربة القاسية خرجت الدول الكبرى بمفهوم معقد لأساليب الحرب النفسية ، خصوصاً في ظل مستخدمات العصر من وسائل الاتصالات ، وأصبحت هذه الأجهزة في شبكات المخابرات ، وأجهزة التجسس هي أخطرها وأكثرها تأثيراً ، وقراءة كتاب في هذا الموضوع عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مثلاً قد يصيب الإنسان بالدوار.

ـ جهاز كشف الكذب :

لقد اكتشف علماء النفس وعلماء الطب أن تغييرات بيولوجية تحدث للإنسان عندما يكذب ، وأن أجهزة دقيقة يمكنها قياس إفرازات الغدد التي تزيد عندما يحاول المرء إخفاء شيء أو خداع محدثه ، ومن هنا بدأ التفكير فيما أطلق عليه جهاز كشف الكذب الذي استخدم في استجوابات الأسرى ، ومن جهة ثانية وضع خبراء الحرب النفسية وخبراء غسيل الأدمغة برامج مدروسة في معاملة الأسرى للحصول منهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة على ما يفيد أثناء الحرب من الأسرار العسكرية وغير العسكرية.

والصعوبة في ذلك دائماً هي تجميع الردود الصغيرة والحذرة التي يدلي بها الأسرى ؛ لتكون مثل النقاط المتناهية في الصغر ، والتي منها تتكون الصور الفوتوغرافية أو التليفزيونية.

هذا في جانب الحصول على المعلومات ، أما في جانب غسيل الأدمغة ، فقد وضع الخبراء برامج دقيقة تهزم عقيدة الأسير من الداخل ، وتجعله يحس بعقدة الذنب لاشتراكه في الحرب ، وتبين له خداع قادته الذين قدموه وقوداً للمعركة ، وتشمل هذه البرامج في بعض الأحيان حسن

معاملته ، بل وقد يصل الأمر إلى تجنيده للتجسس ضد بلده بعد فك أسره بتبادل الأسرى.

وقد تختلط بعض أنشطة الحرب النفسية مع الدعاية ، فلذلك لا بد لنا من وقفة قصيرة جداً عند مفهوم الدعاية.

ـ المنافقون:

المنافق في اللغة العربية هو المُبْطِنُ غير ما يظهر ، وهو مجاز مأخوذ من سلوك اليربوع أو الضب الذي يشق لنفسه سرباً في الأرض ، هذا السرب أو النفق يسده اليربوع في جهة بتراب الجهة الأخرى زيادة في الاستخفاء والتمويه ، ومن هذا المعنى جاء اشتقاق كلمة المنافق في الدين.

والمنافق هو الذي يخفي كفره ويظهر إسلامه ، ولقد شبه علماء اللغة أساليب المنافقين بحجر الضب واليربوع.

فحجر الضب طريق في باطن الأرض خفي مظلم كثير الالتواء والانحناء ، وهكذا أساليب المنافقين ، بل هكذا حياتهم.

وكلمة المنافق في لغتنا المعاصرة تشمل المعنى الديني والاجتماعي والخلقي ، ولا شك في أن الموصوف في دينه بالنفاق يسهل عليه النفاق الاجتماعي أو النفاق الخلقي أو أي نفاق آخر ، وجوهر النفاق واحد هو إسدال الستار بين قلب الإنسان وبين خالقه ، أيّاً ما كان الستار شفافاً أو قائماً ، فإنه درجة من إظلام القلب وظلامه.

ولقد تحدث علماء الدين قديماً وحديثاً عن المنافقين وأساليبهم ، وأن المنافق له عدة أوجه فهو يغير وجهه مع كل ظرف ، والمنافقون في التاريخ لهم وجوه عدة للنفاق ، في كل زمان صورة للنفاق ، وفي كل عصر طرق جديدة للنفاق ، ولكن جوهر النفاق وحقيقته كما هو على مر العصور والأجيال. يصفهم محمد بن سرور[1] بأنهم عشاق زعامة ، وعبيد مصالح ،

---

(١) مساجد الضرار بين القديم والحديث ، محمد بن سرور.

لا يقصرون في امتطاء كل موكب يضمن لهم السيادة والقيادة ، ومن أجل هذا يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره ، ويخاطبون كل إنسان بالأسلوب الذي يحبه ويرضاه.

أما الشيوخ القدماء من علماء المسلمين فقد حللوا النفاق والمنافقين تحليلاً واضحاً وافياً.

فابن القيم عندما يقسم الكفر إلى خمسة أقسام ؛ يجعل النفاق هو الكفر الخامس.

فأولها: كفر التكذيب ، وثانيها: كفر الاستكبار وإباء التصديق ، وثالثها: كفر الإعراض ، ورابعها: كفر الشك ، أما الخامس: فهو كفر النفاق. ويُعرِّف ابن جريج المنافق بأنه: من يخالف قولُه فِعلَه ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه. وابن كثير في تفسير القرآن المعروف بتفسير ابن كثير يرى أن النفاق هو: إظهار الخير وإسرار الشر ، وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار ، وعملي وهو من أكبر الذنوب. ويقول ابن تيمية: النفاق كالكفر ، وهناك نفاق دون نفاق ، ولهذا كثيراً ما يقال: كفر ينقُل من الملة ، وكفر لا ينقل ، ونفاق أكبر ، ونفاق أصغر.

ويقول الكرماني: إن النفاق علامة على عدم الإيمان ، والنفاق في اللغة هو مخالفة الظاهر للباطن ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو الكفر وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل فيه الفعل والترك ، وتتفاوت مراتبه.

ويمثل عبد الله بن أبي ابن سلول العمود الفقري في حركة النفاق في عصر النبوة ، فهو رأسهم وإليه يجتمعون ، وكان حسده للنبي ﷺ وغيرته منه لا حدَّ لها.

لقد كان قومه يعدون له التاج لينصبوه ملكاً عليهم قبيل الهجرة ، وبالإسلام ذاب كل أمل له في التاج والعرش ، وتجمع حوله نفر من قبيلته الخزرج ونفر من الأوس ، وانضم إليهم نفر من أحبار اليهود، كلٌّ من هؤلاء

أظهر الإسلام وهو منافق.

وكان بعض المنافقين يحضرون إلى المسجد في المدينة، فيستمعون إلى أحاديث المسلمين، ثم يقومون بتحريف الكَلِم عن مواضعه، ويَلْوُون ألسنتهم بالكلمات، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، وقد رآهم الرسول ﷺ يتهامسون في المسجد فأمر بإخراجهم.

ـ أساليب الحرب النفسية في عصر النبوة:

١ ـ التكذيب.

٢ ـ الاتهام بالسحر والشعر والكهانة.

٣ ـ طلب المعجزات.

٤ ـ السب والشتائم.

٥ ـ الغمز واللمز.

٦ ـ السعي الدائب في العداء وإشعال الفتنة.

٧ ـ المنافسة.

٨ ـ الأسئلة التي لا إجابة لها.

٩ ـ المجادلة بالمغالطة.

١٠ ـ حملات التيئيس.

١١ ـ صرف الناس بتلفيق التفسيرات واختلاقها.

١٢ ـ التصدي لمن يتبع الإسلام ومحاولة رده.

١٣ ـ الحسد والحقد.

١٤ ـ محاولة فتنة الرسول ﷺ نفسه.

١٥ ـ استغلال الأخطاء الفردية وتعميمها وتكبيرها.

١٦ ـ التشفي والقتل.

١٧ ـ التفكير في نبش القبور.

١٨ ـ بث روح التخاذل.

obeikandl.com

١٩ ـ محاولة الغواية.

٢٠ ـ محاولة أنصاف الحلول.

٢١ ـ تشويه الصورة لدى المجتمع الخارجي.

٢٢ ـ التشكيك في صلب العقيدة ومحاولة تشويهها أو جعلها عرجاء.

٢٣ ـ حملات التشكيك المستمرة.

٢٤ ـ الحصار الاقتصادي والمقاطعة الشاملة.

ـ وقائع الحرب النفسية في عصر النبوة:

تبرز في وقائع الحرب النفسية في عصر النبوة وقائع هامة أبرزها ما يلي:

١ ـ محاولات الاغتيال.

٢ ـ زواج السيدة زينب بنت جحش.

٣ ـ غزوة الخندق.

٤ ـ وقائع غزوة بني المصطلق:

أ ـ محاولة الفتنة بين المهاجرين والأنصار. ب ـ حديث الإفك.

٥ ـ مسجد الضرار.

٦ ـ ادعاءات النبوة.

ماذا تقول لنا أساليب ووقائع الحرب النفسية في عصر النبوة؟ أو ما هي الدروس المستفادة منها؟

من طبيعة الدعوة والانتصارات والهزائم على المستوى العسكري، وعلى المستوىٰ الاقتصادي، وعلى المستوىٰ الإعلامي.

لقد كانت هزيمة أحد مقابلة لانتصار بدر... بل هزيمة حنين في أولها... ثم الانتصار بعد ذلك يؤكد أن الجيش العقائدي القليل العدد أفضل كثيراً من الجيش الكبير العدد، والذي يفتقر إلى صلابة العقيدة وقوتها، وعلى المستوى الاقتصادي أيضاً من شأن الدولة أن تكسب وتخسر

كما هو الشأن على المستوى الإعلامي ، ولقد ارتد عدد ممن أسلموا بعد حادثة الإسراء لماذا؟ لأن عقليتهم لم تستوعب الإسراء.

كل تلك الأمور ، الانتصارات والهزائم واردة في الدعوة وفي الدولة ، وفي كل دعوة وكل دولة ، ولكن الذي لا بد من التيقظ له هو الحرب النفسية.

إن ظهور مشكلة النفاق على السطح في أي مجتمع إسلامي خير من بقائها مختفية ، بعيدة عن الأعين.

صحيح أن بروزها يوجد مشكلة داخلية في المجتمع المسلم إلا أنه يعطي كذلك كل فرد الإحساس اللازم بوجود المشكلة وضرورة مواجهتها ، والحفاظ على المجتمع من آثارها ، ويفيد بروزها وظهورها كذلك في زيادة وعي كل مؤمن بضرورة تعهد إيمانه ونفيه عن الشوائب ، وذلك بإخلاص نيته وعمله لله تعالىٰ.

وفي الحروب النفسية في عصر النبوة نلاحظ اشتداد حركة النفاق وأساليبها ، مع اشتداد قوة المسلمين ، وخاصة بعد الخندق.

فالدعوة أو الدولة كلما تقدمت في طريقها كلما ازداد تربص أعدائها بها. القاعدة: أن الضربة التي لا تقتل تصبح مصدر قوة للإنسان ذي الإرادة القوية ، وهذه القاعدة شديدة الوضوح في آثار الحرب النفسية.

إن الحصار الذي فرضته قريش على الرسول ﷺ وصحابته وعشيرته ، واحتماله وهم معه لأهواله صابراً ، كانت له آثار حسنة في القلوب ، وفي تناقل أخباره بين عرب الجزيرة ، وفي حديث الإفك أيضاً يذكر القرآن الكريم فائدة ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

كذلك تبين لنا وقائع الحرب النفسية أهمية الحذر المستمر ، أو العيون الساهرة ، فعندما أجمع الرسول ﷺ على فتح مكة كان يريد أن يجعل الأمر

---

(١) النور: ١١.

مفاجأة ، باعتبار أن ذلك من أولويات الحروب ، وكانت شوكة المسلمين قد قويت. ولم يكن ما يبرر الخيانة من داخل الصفوف ، ولكن سنة الله في خلقه حتى يكون الدرس المستفاد: أن يظل الحذر مستمراً ، وأن تظل العيون ساهرة.

والوعي أهم ما نتسلح به ضد الحرب النفسية.

يقول الندوي: (إن أخوف ما يخاف على أمة ، ويعرضها لكل خطر ، ويجعلها فريسة المنافقين ولعبة العابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة ، وافتتانها بكل دعوة ، واندفاعها إلى كل موجة ، وخضوعها لكل متسلط ، وسكوتها على كل فظيعة ، وتحملها لكل ضيم ، وأن لا تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها ، ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش ، وأن تلدغ من جحرٍ مرتين ولا تنصحها الحوادث ، ولا تروعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، ولا تزال تولي قيادها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والأثرة والأنانية والجبن والعجز والخرق والطيش ، وكان سبباً للهزيمة والذلة.

فيجترئ بذلك السياسيون المحترفون والقادة الخائنون ، ويأمنون سخط الأمة ومحاسبتها ، ويتمادون في غيهم ، ويسترسلون في خياناتهم وعبثهم ؛ ثقة ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي).

كيف كان يواجه الرسول ﷺ أساليب الحرب النفسية؟

لعل الصفات السابقة أجابت عن هذا السؤال ، ولكننا نتدبر بعدها وقفة قصيرة أمام هزيمة أحد.

في اليوم التالي لأحد أذَّن مؤذن الرسول ﷺ في المسلمين بطلب العدو ومطاردته ، على ألا يخرج إلا من حضر الغزوة ، وخرج الرسول ﷺ ومعه المسلمون ، فوقع في روع أبي سفيان أن أعداءه جاؤوا من المدينة بمدد جديد فخاف لقاءهم ، وسار الرسول ﷺ حتى ثمانية أميال من أحد ثم عاد.

ماذا كان الهدف؟

بكل وضوح: كان الهدف اعتبارات الحرب النفسية، ورفع الروح المعنوية للمسلمين.

إن هزيمة جيش أو شعب ليست في خسران معركة، وإنما في ترسيخ روح الهزيمة.

ولقد قال حذيفة بن اليمان[1] بعد عصر النبوة: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون. أو ليس فيما قال حذيفة صورة مما نرى في حياتنا المعاصرة...؟

يصف جوستاف لوبون نبيّنا ﷺ في دراسته لحضارة العرب بأنه كان يبدو رابط الجأش إذا ما هُزِم، ومعتدلاً إذا ما نُصِر، وإنه كان شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، سليم الطوية، صبوراً قادراً على احتمال المشاق، ثابتاً بعيد الهمة، لين الطبع وديعاً، وكان مقاتلاً ماهراً، فكان لا يهرب أمام المخاطر، ولا يلقي بيديه إلى التهلكة، وكان يعمل ما في الطاقة لإنماء خلق الشجاعة والإقدام في قومه، وكان عظيم الفطنة بمثل هذا القدر من رباطة الجأش ومن الاعتدال والصبر والشجاعة.

إذن ينبغي أن نواجه أساليب الحرب النفسية، وتلك هي مسؤوليتنا.

والسؤال الجدير بالاهتمام هو: كيف نُطعِّم أنفسنا ضد غسيل الأدمغة وضد الحرب النفسية؟ إن أطراف هذا الموضوع ثلاثة هي:

١ ـ القارئ أو المستمع أو المشاهد العادي وواجبه ألا يصدق دعايات الأعداء، وأن يعتمد على العقل والمنطق والروية والتدبير حتى لا ينساق وراء الشائعات أو البلبلة.

٢ ـ الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون، ومهمة الإعلام أن يقوم بدور حارس الأفق أو مهمة [الديدبان] كما يطلق عليه بعض أساتذة الإعلام... وهو أن يقدم للجمهور أكبر قدر من الحقائق حول ما يحدث حوله في

---

(١) صحيح البخاري: ٩/ ٦٤.

العالم ، وبذلك لا يصبح هناك مجال للبلبلة ولا الشائعات.

٣ ـ المسؤولون الذين يصنعون الأحداث والذين لديهم تفاصيل الأخبار.. من واجبهم أن يقدموا ما عندهم لرجال الإعلام حتى يطلع الجمهور على كل جديد ومفيد[١].

* * *

(١) للتوسع يراجع: المسؤولية الإعلامية ، د. محمد محمد: ص ١٥٥ ـ ٢٠٤.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الخامس
الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ

نتوقف عند دراسة بعض الجوانب الإعلامية في بعض خطبه ﷺ:

الخطبة الأولى

ـ الموضوع: صلاة ركعتين عند دخول المسجد والإمام يخطب:

ورد في «صحيح مسلم»[1] حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد وهو ابن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: إن النبي ﷺ خطب فقال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين».

وجاء في «المغني» و«الشرح الكبير» لابن قدامة[2] في صلاة تحية المسجد وقت الخطبة:

وروى جابر قال: جاء رجل والنبي ﷺ يخطب الناس فقال: «صليت يا فلان»؟ قال: لا، قال: «قم فاركع».

وفي رواية: «فصل ركعتين» ـ متفق عليه ـ.

ولمسلم قال، ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما».

---

(١) مسلم بشرح النووي: مجلد ٣ ج ٦ ص ١٦٣.

(٢) المغني والشرح الكبير لابن قدامة: ٢/ ١٦٥.

ـ تعقيب:

قال مسلم: وهذا نص ولأنه دخل المسجد في غير وقت النهي عن الصلاة فسن له الركوع لقول النبي ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين».

ويحتمل أن يكون الموضع يضيق عن الصلاة أو يكون في آخر الخطبة، بحيث لو تشاغل الداخل بالصلاة فاتته تكبيرة الإحرام، فقد قال النبي ﷺ وهو يخطب للذي يتخطى رقاب الناس: «اجلس فقد آذيت وآنيت» ـ رواه ابن ماجه ـ[1].

وهكذا تتضح متابعة الرسول ﷺ الدائمة لتصرفات المسلمين ليصحح المسيرة التي رسمها الله لهم؛ فلم يدع شيئاً إلا نبه عنه مهما كان شأنه.

فدخول المسجد له آداب يجب على المسلم أن يعرفها، وهي أداء ركعتين تحية المسجد، فإذا كان يوم جمعة والإمام يخطب فللركعتين شرطان نستنبطهما مما سبق فيما يلي:

أ ـ الشرط الأول: أن يكون المسلم قد دخل المسجد بعد صعود الإمام على المنبر، وقبل أن ينهي خطبته ويقيم الصلاة بوقت كاف؛ حتى لا تضيع عليه صلاة الجمعة.

ب ـ الشرط الثاني: أن يتجوز فيهما، فلا يطيل حتى لا ينتهي الإمام من خطبته، وتقام الصلاة وهو لم ينتهِ بعد من أدائهما.

ـ الجانب الإعلامي:

أمر الرسول ﷺ للرجل الذي دخل المسجد وهو يخطب يوم جمعة بأن يصلي ركعتين، فيه دلالة إعلامية على مكانة المسجد في الإسلام، وتعظيم أمره في نفوس المسلمين.

* * *

---

(١) ابن ماجه (١١١٥). آذيت: أي: الناس بتخطيك. آنيت: أي أخرت المجيء.

الخطبة الثانية

ـ الموضوع: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته).

فقد ورد في «صحيح مسلم»[1] قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة واللفظ له قال: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي فأطال القيام جداً ثم ركع فأطال الركوع جداً ثم رفع رأسه فأطال القيام جداً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع جداً وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه فقام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم سجد ثم انصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

«إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا، يا أمة محمد! إن من أحد أغير من الله أن يزني عبدهُ أو تزني أمتُهُ، يا أمة محمد! والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً، ألا هل بلغت!».

ـ تعقيب:

الأحداث الكونية عادة ما تشد انتباه الناس، وتشغل تفكيرهم،

---

(١) مسلم بشرح النووي: مجلد ٣، ج ٦، ص ٢٠٠، كما ورد في فتح الباري بشرح البخاري ٣/ ٥٤، ٣/ ١٨٢، ٧/ ١٠٩، وورد في مسند الإمام أحمد: ج ٩، ص ٢٤٦، ح ٦٤٨٣.

ويتقولون عليها الأقاويل بتفسيرات مختلفة.

وقد حدث أن خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ وصادف ذلك اليوم موت إبراهيم ابن الرسول ﷺ فشاع بين الناس أن الشمس خسفت لموت إبراهيم.

ولما كان هذا الوضع يتعلق بالعقيدة، كان لا بد للرسول ﷺ أن يبين حقيقة هذا الحدث، ويصحح مفاهيم الناس عنه؛ حتى تظل عقيدتهم صافية نقية.

فبدأ الرسول ﷺ بصلاة خاصة بهذا الحدث، ولم تكن معروفة لدى الناس من قبل؛ لأن المناسبة لم تكن حدثت قبلُ.

وكانت الصلاة ليست مثل أي صلاة، وإنما هي صلاة مميزة بركوعها وسجودها وقراءة القرآن فيها.

وظل هكذا حتى تجلت الشمس؛ فعرف الناس أن لهذه الظاهرة صلاة خاصة.

ثم تبع ذلك بخطبة بيَّن فيها أن خسوف الشمس والقمر آية من آيات الله، وأنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته.

والمطلوب من المسلمين عند رؤية هذه الظاهرة هوالتكبير والصلاة، والتصدق على الفقراء والمساكين.

ـ الجانب الإعلامي:

هو ذكر حدث شد انتباه الناس، تلاه النهي عن جريمة اجتماعية وهي جريمة الزنى؛ حيث يكون الناس في هذه اللحظة متفتحي الأذهان من انبهارهم بأخبار الحدث الأول الذي يشغل تفكيرهم، وهذا أسلوب متقدم في مجال الإعلام الناجح، أتى به رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرناً.

فالإعلام الناجح هو الذي يقدم تفسيراً لحدث يشغل تفكير الناس، ثم يبث بعده ما يريد من أخبار يهدف إلى توصيلها للجمهور؛ حيث تكون الأذهان متفتحة ومستعدة لتقبل ما يلقى عليها.

الخطبة الثالثة

الموضوع: النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

ورد في «المعجم الكبير» للطبراني[1].

حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني، حدثني أبي، حدثنا زهير، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن تميم بن طرفة، عن جابر بن سمرة قال: دخل عليهم رسول الله ﷺ وهم رافعون أبصارهم فقال:

«لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا يرجع إليهم».

ـ تعقيب:

نهى الرسول ﷺ عن رفع الأبصار إلى السماء في الصلاة، ودعا على من يفعل ذلك بألا يرجع إليه بصره؛ أي بفقدان البصر.

وذلك حتى لا يظن الناس أن الله سبحانه وتعالى في السماء فقط، ورفعهم الأبصار إليها أملاً في مناجاته عز وجل.

ولكن الله سبحانه موجود في كل مكان، والأرض جميعاً قبضته، وهو جل جلاله نور السموات والأرض، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فمن أراد الدعاء فعليه بالسجود، فأقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، ورفع النظر إلى السماء ليس من الحياء، كما أنه يشغل المصلي بأجرام السماء، ويقلل من الخشوع في الصلاة.

ـ الجانب الإعلامي:

الرسول ﷺ مهمته التذكير والإرشاد وتصحيح المفاهيم في أمور الدين.

وهنا إعلان عن وظيفة الرسول ﷺ التعليمية.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج ٢، ص ٢٢١، ح ١٨١٨.

يقدم الإرشاد والتوجيه في الوقت المناسب وفي توٍّ اللحظة التي يحدث فيها الأمر الذي يحتاج إلى هذا التوجيه ؛ حتى تتحقق المنفعة ، وتكون النفوس مستعدة لتقبل النقد ومعرفة الصواب من الخطأ ، واختيار لحظة التأثير المناسبة لبث الخبر في الوقت المناسب ، هذا ما يصنعه الإعلام المعاصر اليوم ، وقد قعَّد الرسول ﷺ لهذه القاعدة ، وسبق الإعلام المعاصر منذ أربعة عشر قرناً .

ـ ما تميزت به الخطب النبوية الطارئة :

١ ـ مواجهة الحدث فور وقوعه ، وعدم ارتباصها بزمان معين .

٢ ـ وضع الحل الفوري لما يطرأ من قضايا تتعلق بالعقيدة .

٣ ـ يتوقف طولها وقصرها على نوع الحدث الذي تواجهه .

٤ ـ تتنوع بتنوع الأحداث والوقائع ، كما هو واضح من تعدد مواضيع الخطب المعروضة .

٥ ـ ليس لها قاعدة معينة ، ولا يلتزم فيها الرسول ﷺ بهيئة معينة ولا بمكان معين .

ـ الجوانب الإعلامية في الخطب الطارئة :

فيما يلي نلخص الجوانب الإعلامية في بعض الخطب الطارئة :

١ ـ الإعلان برفض الإسلام للرشوة في أي صورة كانت ، [موضوع الرشوة].

٢ ـ الإعلان بتكامل المسلمين بعضهم بعضاً [موضوع الحث على الصدقة].

٣ ـ تقديم خبر يشغل الناس يليه خبر آخر يراد تبليغه.أو بثه [موضوع خسوف الشمس والقمر].

٤ ـ الإعلان بإقامة حدود الله على من ارتكبها بعد التأكد من صحة الواقعة [موضوع إقامة حد الزنى على من تخلف من الغزاة].

٥ ـ الإعلان عن الآداب الإسلامية عند دخول منازل الغير [النهي عن الدخول على المغيبة].

٦ ـ الإعلان عن عدالة الإسلام في تنفيذ أحكامه برفض الشفاعة في حدود الله.

٧ ـ الإعلان عن طاعة المسلمين لولي الأمر ونبذ ما نبذه، والالتزام بما يأمر به شريطة ألا يكون أمره في معصية، والإعلان أيضاً بأن يكون ولي الأمر قدوة لرعيته، فإذا أمر بشيء التزم به، وإذا نهى عن شيء منع نفسه منه.

٨ ـ الإعلان بأن الدين ليس فيه حياء [فلا حياء في الدين].

٩ ـ الإعلان عن القصاص في الإسلام للقتل العمد، والدية لأهل القتيل في القتل الخطأ.

١٠ ـ عدم الإعلان عن الخبر إلا بعد التأكد من صحته كما في [الإخبار عن ليلة القدر في العشر الأواخر].

* * *

obeikandl.com

الفصل الرابع
الإعلام في عهد الصحابة رضي الله عنهم

حمل الصحابة رضوان الله عليهم أمانة الإعلام بالدعوة بعد لحوق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، وحفظها من كيد أعدائها ، وقاموا بنشرها في مختلف البقاع ، تنفيذاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ متخذين من منهجه ﷺ منهجاً لهم يسيرون عليه ، فزاد بذلك أتباع الإسلام وزادت أراضيه ، ودخلت فيه أممٌ شتى وأجناسٌ مختلفة انضوت كلها تحت راية الإسلام.

ولقد قام الصحابة الكرام بإعداد التابعين ليحملوا بدورهم الأمانة إلى من بعدهم ، وليزحفوا بدورهم بالدعوة إلى آفاق جديدة ، ويكونوا دولة عظيمة لها الكلمة المسموعة في قارات ثلاث هي آسيا وإفريقية وأوربة[1].

لقد قام الصحابة رضوان الله عليهم بجهد عظيم في نشر الإسلام ، وكانوا يرسلون الدعاة والمعلمين إلى مختلف البلاد لتعليم الناس الدين وتحفيظهم القرآن الكريم ، وتعريفهم بالسنة النبوية وحياة الرسول ﷺ ، كان هذا منهم حيطة واتقاء حتى لا تحدث بدع في الدين وعدم معرفة الأصول له ؛ وخاصة أن كثيراً من الجماعات دخلت في دين الله أفواجاً بسرعة مذهلة ، ومن هنا نرى الخليفة عمر بن الخطاب يعين في كل بلد معلمين مهنتهم أن يعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين ، وكذلك أمر العمال أن يستيقنوا من أن جميع المسلمين يواظبون على حضور صلاة الجماعة ، وخصوصاً أيام

(١) الدعوة إلى الله تعالى ، د. أبو المجد نوفل: ص ٢١١.

الجمع وفي شهر رمضان ، ولقد كانت شخصية هؤلاء المعلمين لا تقل أهمية عن شخصية من عهد إليهم بالولاية على بيت المال[1].

* * *

(١) الدعوة إلى الله تعالى ، د. أبو المجد نوفل: ص ٢٢٣.

obeikandl.com

الفصل الخامس
الإعلام في العهد الأموي

لم يتغير نهج الإعلام بالدعوة في العهد الأموي في كثير من الأمور الأساسية ، فالقرآن والسنة هما على رأس مقومات الدعوة ، ثم الأساليب والوسائل التي كانت في عهد الرسول ﷺ وصحابته الكرام لم يطرأ عليها جديد . . . إلا أنه حدثت حوادث وفتن تحول بعدها الحكم الإسلامي من البيعة والانتخاب إلى الحكم الوراثي ؛ مما أدى إلى تكوين الفرق والطوائف التي نشأت بينها الحروب المسلحة ، فأضعفت من قوة المسلمين ، وصرفتهم عن الاشتغال بالدعوة إلى الله تعالىٰ كما ينبغي ، ومن أجل هذا طرأ على المفاهيم الإعلامية للدعوة في هذا العصر مفاهيم جديدة مثل الدعوة إلى الحكم الوراثي ، وتأييد الحكم الأموي مما سبب بعض الوهن في صفوف المسلمين ، وعلى كل حال لا ينسينا هذا ما قام به الأمويون من أعمال مجيدة في ميدان الدعوة ، وهم الذين قاموا بالجهاد في سبيل الله ، ووسعوا رقعة الدولة الإسلامية ، وأدخلوا أمماً كثيرة في الإسلام ، وكان منهم الدعاة الذين أمروا بتدوين السنة النبوية ، وأحسنوا اختيار الولاة والقضاة وأصحاب الخراج الأمناء ، ومنعوا اضطهاد الشيعة وأنشؤوا دوراً لإطعام الفقراء ، وأنفقوا على أهل الذمة من بيت المال ، ومنهم عمر بن عبد العزيز ؛ وهو صاحب القولة المشهورة لعامله على الخراج في مصر : (وضَع الجزية عمن أسلم فإن الله قد بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً) ، بهذا

الأسلوب وهذه السياسة دخل الكثيرون في الإسلام ، وعاد إلى الأذهان عهد الراشدين رضوان الله عليهم[1] .

ولا بد من الذكر هنا أنه نتيجة للأحداث والحروب والفتن التي حدثت في الدولة الأموية ؛ نشأت فرق وطوائف كثيرة أثرت كثيراً في ميدان الدعوة إلى الله تعالى ، حيث كان لكل فرقة منهجها وأسلوبها في الدعوة ونشر مذهبها ورأيها ، ولكن ظهرت هذه الأمور بوضوح أكثر في الدولة العباسية .

* * *

(١) الدعوة إلى الله تعالى ، د. أبو المجد نوفل : ص ٢٢٦ .

obeikandl.com

الفصل السادس
الإعلام في العهدين: العباسي والفاطمي

تكونت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية ، وتفتح المسلمون على ثقافات كثيرة متنوعة منها الفارسية والرومانية والهندية . . . . وغيرها ، ونشط المسلمون في مختلف العلوم في المجتمعات المختلطة ، ونشطت الحركة العلمية ، وازدهر الفقه والحديث ، وظهر كبار المؤرخين وكتاب السير والفلاسفة وعلماء اللغة ، حيث بقي للمسلمين قدم السبق في تلك القرون الثلاثة الأولى من العهد العباسي والقرون التي تلتها .

ثم يأتي الضعف والوهن فيعشعش في الدولة العباسية ، ويحدث التفكك السياسي نتيجة للشعوبية وتمرد الفرس واستبداد الترك بالخلافة ؛ مما أدى إلى الحركات الانفصالية ، وتكوين دويلات داخل الدولة الكبيرة ؛ مما أضعف من شأنها وأطاح بقوتها ، واستمر الحال حتى ضرب المغول الدولة الضربة القاصمة ، ثم استولى عليها الصليبيون فساموا المسلمين سوء العذاب بدءاً من الأندلس وانتهاءً ببلاد الشام ، ونتيجة لهذا الحال لم تجد الدعوة إلى الله تعالى رعاية كافية سوى بعض المجهودات الفكرية ، والتي كان من أثرها انتشار الإسلام في كثير من البقاع ، ودخل في الإسلام شعوب كثيرة ، وأعلموا الناس بالدعوة في بلاد فارس وخراسان ، وبلاد ما وراء النهر وبلاد الديلم ، وفي أفريقية ، وأوروبة ، ولقد كانت وسيلتهم في هذا هي الاختلاط بالناس يتألفونهم ويصاحبونهم ويتعاملون معهم ، ويظهرون

لهم عملياً محاسن الإسلام ، فكانوا السبب في نشر الإسلام في أندونيسيا وبلاد الشرق الأقصى والصين ، ولقد ساعدهم في ذلك يسر الإسلام ووضوح مبادئه ، حتى إن المسلمين الجدد كانوا يسارعون في إعلام إخوانهم وذويهم وأهاليهم بالإسلام ، وكان عدد الداخلين في الإسلام عن هذا الطريق أكثر من عدد المسلمين الذين دخلوا الإسلام عن طريق الفتح الإسلامي لبلادهم[1].

ـ وأما ما يتعلق بالعهد الفاطمي:

فتعتبر الدولة الفاطمية صاحبة نظام إعلامي فريد لم تسبقها إليه دولة من الدول ، حيث يعتمد الإعلام في الدولة الفاطمية على الداعية وتكوينه والإنفاق عليه بسخاء كبير ، وإعداد المدارس المختصة مثل دار الحكمة لإعداده إعداداً علمياً خاصاً.

وكان للفاطميين أجهزة إعلامية لنشر مذهبهم في إحكام ودقة ، وكان من هذه الأجهزة:

ديوان الإنشاء: ويعتبر سجلاً لأحداث الدولة ، وهو الذي يحيط الناس بالأحداث ، ولهذا الجهاز كُتَّاب ولهم رئيس ، وهو الذي يرفع كل شيء إلى الخليفة في وثائق تاريخية مصوغة في أسلوب أدبي ، وبعد عرضها على الخليفة تحفظ في مكان أمين باعتبارها وثائق تاريخية.

ومن هذه الأجهزة [القصر الفاطمي] و[دور العلم والحكمة] وتعقد فيهما المجالس العلمية حسب المستويات المختلفة ، وفوق هذه المجالس يوجد المجلس الأعلى الذي يضم كبار رجال الدعوة.

وفيه تدار الشؤون الخاصة والسرية في الدعوة ، ولقد قام الفاطميون على تقسيم العالم الإسلامي إلى اثني عشر جزيرة ، ولكل جزيرة مسؤول أو

---

(١) الدعوة إلى الله تعالى ، د. أبو المجد نوفل: ص ٢٢٧.

حجة ، ولكل هؤلاء مسؤول واحد يدعى داعي الدعاة ومرتبته بعد الإمام مباشرة.

والدعاة عندهم درجات ، ولقد قسموهم مثل أيام السنة وشهورها وساعاتها ، فداعي الدعاة يمثل عندهم السنة ، ورؤساء الجزائر يمثلون شهور السنة ، والدعاة يمثلون نظام الشهر ، وأما الساعات فتمثل أربعاً وعشرين داعياً مأذوناً يقومون بإزالة وتحطيم عقائد الناس ، ووضع العقيدة الباطنية مكانها.

والإمام يختار داعي الدعاة ليشرف على الدعوة في الجزر ، ويرأس مجالس الحكمة ، ويرسم منهج الدعوة.

ودعاة الجزيرة عملهم هداية الناس ، وأخذ العهد عليهم أن يخلصوا للدعوة الفاطمية.

والدعاة المستشارون يقومون بوظيفة التشكيك بين صفوف العامة ، ويوهمونهم بأنهم في حاجة إلى تصحيح عقائدهم ، وما يزالون بهم حتى يطلب العامي تصحيح عقيدته وهدايته إلى الصواب ، فإذا تم ذلك بعث به إلى داعي الجزيرة الذي يلقي عليه درساً منظماً في العلوم الباطنية ، فإذا نجح الطالب هنا يرسل إلى داعي الدعاة ليتلقى دروساً أعلى في الباطنية ، ويؤخذ عليه العهد والميثاق لحفظ أسرار الدعوة ونشرها بكل قوة[1].

ولا ريب أن الخلافة الفاطمية كانت ترمي ببث هذه الدعوات لغايات سياسية أكثر منها دينية ، وهي حشد المستنيرين والخاصة تحت لواء الخلافة الفاطمية ، ولجعل إمامها زعيماً دينياً للعالم الإسلامي يحرك العامة لتأييد كلمتها وتوطيد سلطاتها وتنفيذ غاياتها[2].

* * *

(١) الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ٥٢ وما بعدها.
والدعوة إلى الله تعالى ، د. أبو المجد نوفل: ص ٢٣٦ وما بعدها.

(٢) الإعلام والدعاية ، د. محمد عبد القادر حاتم: ص ٢٨.

obeikandl.com

الفصل السابع
الإعلام في العصور الوسطى

إن تاريخ الصحافة بدأ حقيقة في الغرب عند ظهور الأنباء في القرن الثالث عشر ، وهذه الأنباء كانت صفحات مخطوطة تحمل أخباراً ، وقد انتشرت خاصة في إيطاليا (إنيزي) وألمانيا (زيتونفن) وكانت تُدبَّج لمصلحة الكبار ، وأغنياء التجار ، ورجال المصارف[١] .

ثم كان لاكتشاف المطبعة دور حاسم في تقرير الإعلام في أوربة الغربية ؛ والتي تم اكتشافها على يد جوتنبرج عام ١٤٣٦ م وتقدمت خلال القرن الخامس عشر ، إلا أن مردود المؤسسات الطباعية كان قليلاً نظراً للتكلفة الباهظة ، فلجأ أصحاب هذه المؤسسات إلى تغذية فضول الناس ، وذلك بنشر أخبار الأحداث السياسية الكبرى (كتهديدات الغزو والاكتشافات البحرية الكبيرة والحروب) ثم في نشر الأفكار والنزاعات الناشئة عن النهضة والإصلاح الديني[٢] .

وفي بداية القرن السابع عشر ولدت فكرة جمع الأخبار ، وقام أصحاب المطابع بطبع النشرات الإخبارية ، وظهرت أول صحيفة مطبوعة في أنغرس (ببلجيكا) قام بها إبراهام فيرهوتن في تلك المدينة[٣] ، وظهرت في

(١) الإعلام ، فرناندترو : ص ١٣ ، ترجمة محمود الغندور .
(٢) الإعلام ، فرناندترو : ص ١٣ ، ترجمة محمود الغندور .
(٣) الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، د. عبد اللطيف حمزة : ص ١٣ .

ستراسبورغ سنة ١٦٠٦ م إحدى أوائل الصحف في فرنسا ثم صحيفة الأغازيت سنة (١٦٣١م).

وفي القرن الثامن عشر بدأ الإعلام يتخذ شكلاً عصرياً أو شبه عصري ، فلقد اهتم مؤسسو الدولة الأمريكية بالإعلام اهتماماً خاصاً ؛ نتيجة لاهتمامهم برصد وقياس الرأي العالمي ، ولقد فاض القرن الثامن عشر بأمثلة كثيرة عن الإعلام وأثره في نطاق الحرب والدبلوماسية واستتباب الحكم الداخلي[١].

في القرن التاسع عشر تمشى الإعلام مع التطور الفني ، فظهرت وكالات الأنباء المعروفة ، فبين سنوات: ١٨٤٠ ـ ١٩٨٥ م تكونت الوكالات الرئيسية للأخبار ومن أولها وكالة فاس والتي ظهرت سنة ١٨٣٥ م ، ووكالة اسوشيتر برس والتي ظهرت سنة ١٨٤٨ م ، ومنذ ذلك الوقت تطور الفن الصحفي ذاته ، فظهرت القنوات العريضة ، وكثر عدد الأعمدة الصحفية ، وشاعت الرسوم والصور ونحو ذلك ، ثم في منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الصورة الفوتوغرافية التي أحدثت في عالم الأخبار تقدماً هائلاً ؛ كما هو معروف في تاريخ الصحافة[٢].

وفي القرن الحالي ظهرت وسائل إعلامية جديدة مثل السينما والراديو والتلفزيون ، ففي سنة ١٨٩٥ م فتحت أول دار للسينما في باريس.

وبين عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢١م سمعت الإذاعات الأولى في كل من إنجلترا والولايات المتحدة ثم في فرنسا ، وفي الثالث من نوفمبر سنة ١٩٢٥ م أصدرت أول صحيفة ناطقة في فرنسا ، وفي سنة ١٩٤٩م ظهر أول شريط تلفزيوني للأخبار ، وهكذا تقدم الإعلام تقدماً كبيراً ؛ حتى إن الخبر الذي يحدث على مسافة بعيدة جداً يصل إلينا بعد دقائق معدودات[٣].

---

(١) الإعلام والدعاية ، د. محمد عبد القادر حاتم: ص ٣٠.
(٢) الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ١٣.
(٣) الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، د. عبد اللطيف حمزة: ص ١٤.

ولقد أصبح الإعلام في العصر الحديث جزءاً مهماً في حياة الناس بالأنباء والمعلومات والحقائق التي تساعدهم على الاشتراك في شؤون الناس ، ولعلنا لا نحتاج إلى القول: إن العلاقة بين الحكام والمحكومين تزداد قوة وتوثقاً كلما اطلع المحكومون على مجريات الأمور[1] .

* * *

(١) الرأي العام ، د. محمد عبد القادر حاتم: ص ٣٤.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن
الإعلام في العصر الحديث

تطورت وسائل الإعلام تطوراً سريعاً ، ولا مجال لحصر ذلك ، ولذا سنكتفي بتسليط الأضواء على نموذج واحد هو الإعلام الصهيوني.

ـ تطور أساليب الدعاية الصهيونية في ظل النظام العالمي الجديد:

كما هو معروف فإن إسرائيل قد جاءت نتيجة مخاض الرأسمالية والإمبريالية الغربية ، وخرجت من رحمهما ، إلا أن الوليد الجديد القديم في الوقت نفسه ؛ الذي ترعرع وشب على الخداع ومعاداة الشعوب المحبة للسلام قد ساعد على إشعال الحرب الكونية الأولى ، واستفاد منها لأن هذا الوليد ـ أي الصهيونية ـ لا تستطيع أن تنمو وتعيش إلا في ظل الاضطرابات والحروب ودمار الغير ، فهي بالإضافة إلى ما حققته من مردودات تمويل فإن هذه الحرب انتزعت وعد بلفور في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين؛ الذي صاغه اليهودي الصهيوني ليوبولد أيميري الذي كان يعمل مساعداً لوزير الدفاع، والذي لم يكشف سر أصوله اليهودية إلا في الفترة الأخيرة، وقدمه جاهزاً ليوقعه السير بلفور وزير الخارجية البريطاني عام ١٩١٧ م.

وعندما شغل ليوبولد وزير شؤون المستعمرات بين عامي ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦م اهتم بشدة بالجاليات اليهودية التي شهدت أكثر الفترات أمناً في تاريخها[١].

---

(١) أخفى ليوبولد أصوله اليهودية وأصول أمه المجرية في مذكراته التي نشرت عام ١٩٩٥ م واكتشف ذلك السر المؤرخ وبنشتاين الذي أعلن اكتشافه هذا في صحيفة صن دي (sunday) أي تلغراف البريطانية في الفترة الأخيرة.

وفي الحرب العالمية الثانية اضطلعت الصهيونية بدور مهم في إشعال الحرب واستمرارها أكثر من ست سنوات ؛ لتخرج بتحقيق هدفها الأساسي في تكوين الدولة الإسرائيلية ، واشتراك الدولتين العظيمتين الجديدتين في صياغة إنشاء الدولة ثم الاعتراف بها فور إعلانها .

وجاءت المرحلة الثالثة من التطورات العالمية بمتغيرات ومفاجآت لم تكن في الحسبان ، ولم يكن أحد يتوقعها ، وكانت بداية هذه المرحلة قد جاءت مع مجيء ربيع عام ١٩٨٥ م ، عندما تولى ميخائيل جوربا تشوف رئاسة الحزب والدولة في الاتحاد السوفييتي ، وأعلن سياسة الانفتاح والمكاشفة ، وإعادة البناء الذي أدى إلى انهيار وتدمير الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية والعالم[١] .

ولأن الاتحاد السوفييتي دولة عظمى يمثل أحد القطبين المتنازعين ، فقد أدى انهياره إلى وجود خلل خطير في التوازنات الدولية ، وأحدث زلزالاً عالمياً رهيباً خلَّف وراءه توابع وحوادث عالمية أهمها : حرب الخليج الثانية التي أضافت إلى قائمة الإنجازات الإسرائيلية إنجازات أخرى فاقت طموحاتها وطموحات أعظم قادتها جنوحاً وتطرفاً ، فبعد أن حققت تكوين الكيان الصهيوني في النصف الأول من القرن ، حولت هذا الكيان في النصف الثاني إلى قوة إقليمية كبرى ، وجاءت المتغيرات الجديدة والنظام العالمي الجديد ليفسح لها المجال لتحقيق انتصارها الكامل والنهائي بكسر إرادة المقاومة لدى العرب ، وحملهم على التسليم بحقها في كل فلسطين وفي قيادة المنطقة ، مع الاحتفاظ بجزء من بعض دولها .

لقد ركزت الصهيونية على فكرتين رئيسيتين في أيديولوجيتها هي الأرض الموعودة حتى تكتمل بنية الشعب المختار ، وهي تعتقد أن المشروع لم يكتمل ؛ لأن الاعتراف الدولي ـ وخاصة العربي والفلسطيني بالذات ـ

---

(١) الزلزال السوفييتي ، محمد حسنين هيكل : ص ١٣٥ .

بالسيادة على كل فلسطين التاريخية لم يتحقق بعد ، وأن يهود الشتات لم يعودوا إلى الوطن الأم، وهذه الحقيقة وحدها تكفي لتفسير أحد أسباب الرفض الإسرائيلي الصهيوني للرؤية العربية للتسوية، رغم أنها رؤية المهزوم الذي يفرط بأرضه وكيانه، فالرؤية العربية تقوم على إمكان اقتسام فلسطين التي يعترف كل جزء منها بالآخر ، وهو اعتراف بشرعية الغريب المغتصب الذي أصبح ينكر على أصحاب الأرض وجودهم وشرعية بقائهم عليها.

وانطلاقاً من هذا المفهوم الصهيوني فإن إسرائيل ووسائل إعلامها في الداخل والخارج قد قامت بنقل بعض مواقعها المفهومة في دعايتها ، ووضعت استراتيجية إعلامية دقيقة ـ بالتنسيق مع المنظمات الصهيونية العالمية وإمبريالية النظام العالمي الجديد ـ تتناسب مع المستحدثات والتطورات التي داهمت المنطقة بعد حرب الخليج الثانية ومؤتمر مدريد واتفاق أوسلو. . . . إلخ.

وفي ظلال الاستراتيجية الإعلامية الصهيونية يتم التركيز على مواضيع مهمة ومعقدة تقوم بها وسائل الدعاية الصهيونية ، منها:

أ ـ الترويج للديمقراطية الإسرائيلية.

ب ـ التحالف الإسرائيلي الأمريكي ، وتمويل الدعاية الإسرائيلية في التسعينيات.

ـ نشاط الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة في التسعينيات:

ولنأخذ بعض الأمثلة الحديثة في هذا الصدد على ثبات الجماعات الصهيونية ، وشدة استحكامها على السياسة الأمريكية ، وتوجيهها لإيذاء أي علاقات مع العرب ،والسكوت عن أي إيذاء قد تتعرض له الولايات المتحدة من إسرائيل أو من مجموعة أو أفراد صهاينة ، وهنا نستشهد بالحملة الإعلامية التي شنتها وتشنها كبريات الصحف الأمريكية ضد مصر بأقلام كتاب وسياسيين ومفكرين صهاينة يهود ، بسبب موقف مصر من القضية الفلسطينية ، ومن موقف إسرائيل من تدمير عملية السلام بتخطيط

منهجي ، ولأن مصر اتخذت موقف المعارضة لتدمير ما عُرِف حتى الآن من بنية السلام ، فتحت تلك الصحف ملفات تسلح مصر ، وحالة الأقباط فيها[1] ، وأن مصر تقوم بتعطيل العلاقات الثنائية بينها وبين إسرائيل ، وتحرض السلطة الوطنية الفلسطينية على الصمود في وجه المفاوض الإسرائيلي وتدعو إلى التضامن العربي.

لهذا نادى بعض أعضاء الكونجرس بحجب المعونة عن مصر ، ولا تزال الحملة مستمرة من وقت لآخر للضغط على مصر بهدف إجبارها بالتخلي عن مواقفها ، لأن السياسة الأمريكية تعتبر أي موقف عربي لأي دولة عربية صديقة يصب في مصلحة الأمة العربية ، وينظر إلى ضرورة احترام الذات مهما بلغت تلك الصداقة في مصلحة الأمة العربية ، فإن هذا يغضب الولايات المتحدة ، ويولد لديها ردود أفعال قد تصيبها بأذى.

أما ما يخص علاقة التسامح الأمريكية مع إسرائيل فسنكتفي بإيراد مثالين فقط :

- **الأول**: قضية الجاسوس اليهودي الأمريكي (بولارد) الذي عمل لصالح المخابرات الإسرائيلية من موقعه كمحلل استراتيجي في البحرية الأمريكية ، واعتقل في عام ١٩٨٥ م بحجة تسريب معلومات خطيرة لإسرائيل ، وفي أواخر عام ١٩٨٨ م وأثناء انعقاد اجتماع واي ريفر الخاص بتنفيذ ما سبق وأن اتفق عليه بين الفلسطينيين والإسرائيليين طالب نتنياهو بالإفراج عن بولارد كشرط لتنفيذه وأن كلينتون صُدِم بطلب نتنياهو هذا ، ولكنه لم يفصح بكلمة واحدة تسيء إلى إسرائيل ؛ رغم ما كشفته بعض الصحف الأمريكية من باب التنبيه إلى احترام النفس الأمريكية عندما كتبت بأن جوناثان بولادر قد قام بنقل معلومات خطيرة للغاية تضرُّ بالأمن القومي الأمريكي إلى إسرائيل ، وأفاد التقرير الذي كتبته مجلة نيويورك تايم أن وليام يحسي المدير السابق للمخابرات الأمريكية ، أكد بعد شهر واحد

---

(١) جريدة الأهرام ٢١/ ٧/ ١٩٩٨ م.

من القبض على بولادر أن إسرائيل تلقت الخطة التفصيلية لهجوم أمريكي محتمل ضد الاتحاد السوفييتي ، ونقلتها إلى موسكو لضمان منح اليهود الروس تأشيرات هجرة إلى إسرائيل.

والثاني: هو بيع إسرائيل في شهر نوفمبر ١٩٩٩ م للصين طائرة مجهزة بأحدث تكنولوجيا الإنذار المبكر المصنعة إسرائيلياً بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار ، وستتبعها صفقة تبيع فيها إسرائيل ثلاث طائرات أخرى في حالة نجاح تجربة الطائرة الأولى ؛ مما أثار استياء الولايات المتحدة ، ولكنها لم تجرؤ حتى على مجرد أن تقوم بمعاتبة إسرائيل رغم الحرص الأمريكي على عدم بيع التكنولوجيا المتطورة للصين ، وقد أصبحت إسرائيل أكبر مصدر لتمويل التكنولوجيا الأمريكية إلى الصين في التسعينيات[١].

هذه مقارنة بسيطة تؤكد ما عبر عنه الباحث الفلسطيني كميل منصور أستاذ العلاقات الدولية في جامعة السوربون ، وهو أفضل تعبير عن مظاهر التميز الأمريكي لإسرائيل ، ووقائع العلاقة بين الدولتين ، وذلك في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان: (الولايات المتحدة وإسرائيل العروة الأوثق) وشرح فيه ثلاثة تفسيرات أساسية للأسباب التي تقف وراء التمييز الأمريكي لإسرائيل:

ـ **الأول**: يجعل من إسرائيل رصيداً استراتيجياً للولايات المتحدة.

ـ **الثاني**: هناك عوامل ثقافية تقف وراء ذلك التمييز من أهمها الاشتراك في الإيمان بقيمة واحدة.

ـ **الثالث**: ويرجع إلى قدرات مراكز القوى والضغط الصهيونية (اللوبي) غير المحدودة في التأثير على صانع القرار الأمريكي.

وتستمد الجماعات اليهودية قوتها من مصادر عدة يأتي في مقدمتها (الصهيونية المسيحية) التي استطاعات أن تبلغ ذروة تأثيرها ؛ حينما

---

(١) جريدة الأهرام ١٧/ ١١/ ١٩٩٩ م.

استصدرت من الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح عام ١٩٩٤ م وهي تسعى اليوم إلى استصدار وثيقة تتضمن موافقة الفاتيكان على شطب جمل معينة من إنجيلين من الأناجيل الأربعة المعترف بها ، وهي جمل تدين اليهود وتصفهم بأوصاف بشعة[١].

وما نشهده الآن في الفكر الغربي من تحولات مكنت الصهيونية من إحداث شروخ وافتراقات للمسيحية ، حيث قامت في بريطانيا وفي الولايات المتحدة حركات دينية مسيحية إنجيلية ، وأقواها الحركة التدبيرية التي تؤمن بالوصايا التي يحدد الله فيها كيفية تدبير الكون ونهايته ، ولن يتم هذا إلا بعودة اليهود إلى فلسطين وقيام إسرائيل وهجوم أعداء الله على إسرائيل ، ثم وقوع محرقة (مر مجدون) التي سيقتل فيها جميع المسلمين والبوذيين ، ثم يظهر المسيح المخلص في صورة رجل حرب ، وليس رجل سلام ، حيث يبادر من بقي من اليهود إلى الإيمان بالمسيح ، وعندئذٍ سينتشر السلام مدة ألف عام[٢].

ويقول الأستاذ محمد السماك مترجم «النبوءة والسياسة» تأليف [جريس هاسل]: (عندما تضم هذه الحركة أكثر من أربعين مليون أمريكي ، وعندما يكون من بين أعضائها الرئيس الأمريكي السابق رونالدريجان[٣] ، وعندما تسيطر الحركة على قطاع واسع من المنابع الإعلامية الأمريكية ، وبصورة خاصة التلفزة، وعندما يشارك قادتها ـ وهم من كبار المسؤولين الأمريكيين في البيت الأبيض والبنتاغون ووزارة الخارجية ـ في صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية في الصراع العربي الصهيوني ، عند ذلك تصبح دراسة تلك الحركة التي تتوسع باستمرار ، والتي تستقطب حركات دينية أخرى داخل الولايات المتحدة ـ ضرورة وواجباً).

---

(١) الإسلام والعولمة ، مجموعة باحثين: ص ١٢٣.

(٢) جريدة الأهرام ٥/ ٥/ ١٩٨٥ م.

(٣) النبوءة والسياسة ، غريس هارلسل ، ترجمة محمد السماك: ص ١٣.

فكتاب «النبوءة والسياسة» يتعرض لخطورة الأفكار التي تطرحها الحركة الصهيونية المسيحية بشكل نشيط في الفترة الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية والمنظمات الدينية ؛ التي تعمل تحت ظلال كَنَسِيَّة للترويج لأفكارها ، وتكون بالتالي ضميراً دينياً جماعياً بوجوب دعم إسرائيل تحقيقاً لنبوءات مستخرجة من التوراة ؛ بما يتوافق مع الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل في فلسطين والوطن العربي.

إن حركة صهيونية بسيطة تسير الآن في اتجاه تهويد النصرانية ، وبدلاً من أن تعترف اليهودية بالنصرانية (المسيحية) يحاول اليهود الآن أن يصير الإله في الفاتيكان (يهوه) ويذكر كتاب «الإسلام والعولمة» في الصفحة (١٢٣): أن البابا يوحنا بولس الثالث قال في أحد المؤتمرات أمام ٢٠٠ قس من الكاثوليك والبروتستانت: إن أحد المؤتمرات عقد لمناقشة تغيير الأناجيل التي كانوا يتحدثون عنها كشيء مقدس ، ربما لا يعادي اليهود ، وأصبحت الكنسية التي ظلت قروناً تبيع صكوك الغفران الآن تطلب الغفران.

إن النظام السياسي الأمريكي حقل علمي خصب لمراكز الضغط الصهيوني واليهودي ، وتتجلى قوته في مظهرين: أولهما: قدراته المالية والإعلامية والثقافية ، وثانيهما: قدراته على العمل في أعلى قمة هرم الدولة ، أي: البيت الأبيض[1].

وبالرغم من أن عدد اليهود الأمريكيين لا يزيد على ستة ملايين يهودي أي: ما يساوي ٢,٣٪ تقريباً من مجموع السكان ، فإنهم يسيطرون ويشاركون في أكثر من ٤٠٪ من وسائل الإعلام الأمريكية ، وفي استفتاء أجرته إحدى الصحف الأمريكية بشأن عدد اليهود في أمريكا تبين أن عامة الأمريكيين يعتقدون أن عدد اليهود يتراوح ما بين ٨٠,٧ مليوناً أو أكثر من ذلك لأن الملايين الستة يديرون أكبر ثلاث شبكات تلفازية:

---

(١) صناعة القرار السياسي الأمريكي ، مركز الدراسات العربي الأوربي ، باريس ١٩٩٧ م.

(NBC,ABC,CBC) وأكبر خمس شركات صحفية (نيويورك تايمز ، واشنطن بوست ، مجلة تايم ، وول ستريت جرونال ، نيوهاوس).

لقد تمكنت الحركة الصهيونية من توجيه السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط في ضوء المصالح الأمريكية والإسرائيلية المشتركة ، وبما يخدم سياسة إسرائيل وأهدافها ، ورغم ما أثرناه ويثيره الآخرون حول قوة النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة ، وهو بالفعل شديد السطوة والسيطرة ، إلا أننا نستنتج من تاريخ العلاقة الأمريكية الإسرائيلية وقاعدتها الثقافية والأخلاقية والدينية: أن تلك العلاقات لم يضعها النفوذ الصهيوني وحده ، بقدر ما صنعتها الدوائر الناقدة في الولايات المتحدة التي وجدت في إسرائيل كنزاً استراتيجياً يلبي المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ، وهي التي تشكل الرحم الذي يولد وينمو فيه النفوذ الصهيوني اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية.

*** نشاط الدعاية الصهيونية في فرنسا في التسعينيات:**

استطاع اللوبي الصهيوني في فرنسا استثمار الأهداف والتطورات المتلاحقة ، والتي جاءت كلها لتصب في محيط المصالح الصهيونية والإمبريالية الأمريكية ؛ التي فتحت الأبواب للعبث الإسرائيلي الصهيوني بقيم العالم وقوانينه ؛ والاعتداء على حريات الناس ، وخاصة أولئك الذين يكتبون بموضوعية تاريخية ، ويبحثون عن الحقيقة ، ويفندون الدعاوى الكاذبة ، ويفضحون الأعمال الإرهابية وأساليب التطهير العرقي والتمييز العنصري.

إن الصهيونية العالمية وإسرائيل ـ وبدعم غير متناهٍ من الولايات المتحدة ـ تسخِّر كل أجهزة إعلامها ووسائل دعايات لتعظيم دور إسرائيل والعبقرية اليهودية المدعاة[1] ، ودورها في بناء الحضارة الإنسانية ، وفي قدرتها على

(١) هل اليهود عباقرة ، محمد بركات ، مجلة الموقف العربي ، العدد ٩ ، ١٩٧٧ م ، ص ٧٢.

لعب الدور القيادي للعالم إلى جانب الولايات المتحدة قائدة النظام العالمي الجديد ، وبالإضافة إلى نشر الدعاية عن قدرتها الاقتصادية والعلمية ، وتعظيم أسلوب حياتها ، وشيوع الديمقراطية فيها التي تدعي أنها شمعة مضيئة في بحر من الظلمات الديكتاتورية في الشرق الأوسط ، فإن وسائل دعاياتها تقوم بتعظيم وتضخيم دور الدعاية لأجهزتها الاستخبارية وخاصة الموساد ؛ الذي صدرت عنه حتى منتصف عام ١٩٩٩ م أكثر من ١٢٥٠ كتاباً كان آخرها كتاب (جواسيس جدعون) لمؤلفه [جوردون توماس] وهو إسرائيلي من أصل لبناني ، وخطورة هذا الكتاب كغيره من الكتب التي صدرت عن الموساد تكمن في محاولته النفخ في صورة الموساد ، ومنحها قوة من خلال استعراض أمجادها القديمة لتخويف أصحاب الأقلام الشريفة والألسن الطاهرة ؛ الذين لم يكرسوا ملكاتهم الثقافية والعلمية والأدبية لصالح الدعاية الصهيونية ؛ رغم معرفتهم من أنها قادرة على الانتقام منهم ، وتشويه سمعتهم بكل الوسائل المتاحة ، وهذا ما حدث مع المفكر الفرنسي المسلم الكبير [روجيه جارودي] و[الأب ميشال لولونج] و[القس ماتيوس] الذين نشروا مقالاً انتقادياً أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ م والذي حصد أكثر من ٢٠ ألف قتيل ، ونشر هذا المقال في صحيفة [ليموند] تحت توقيع الثلاثة ، وقد ادعت يومها (جمعية ليكرا) الصهيونية على جارودي ولولنج وماتيوس ، وخسرت الدعوى ثلاث مرات ، وحكم عليها هي بدفع النفقات ، وقد جاء في نص حكم مجلة النقض الأخير : إن هذا المقال يدخل ضمن إطار النقد المشروع لسياسة دولة ، وللأيديولوجية التي تستوحيها ، وهو ما لا يشمل تحريضاً عنصرياً[١] .

وفي عام ١٩٩٦ م أرادت (ليكرا) الانتقام مستفيدة من عاملين جديدين ظهرا بعد عام ١٩٨٢ م :

ـ **العامل الأول**: قانون (فابيوس ـ جيسو) الذي كان وراء إقراره

---

(١) محاكمة الحرية ، روجيه جارودي : ص ٩ .

المنظمات الصهيونية ، وصوَّت ضده عند عرضه على البرلمان الرئيس جاك شيراك وجاك توبون ؛ الذي أصبح بعدها وزيراً للعدل والسيدة شيمون فايل و١٨٢ نائباً.

ـ **العامل الثاني**: هو الخطة الأمريكية الجديدة ، والتي جاءت في شكل نظرية لمُنَظِّر البنتاغون (منتجتون) في كتاب [صدام الحضارات] حيث حدد ما ستكون عليه الحرب العالمية الثالثة ، وأهم ما في هذه المعطيات هي مواجهة بين الحضارات اليهودية ـ المسيحية من جهة وبين التحالف الإسلامي الكونفوشيوسي من جهة أخرى، ونتيجة لهذين العاملين وغيرهما من العوامل بما فيها عامل الوضع العالمي العام بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ونتائج حرب الخليج الثانية ، فقامت بشن حملة دعائية وتشهيرية ضد الثلاثة ؛ فاختفى الأب ميشال واضطر القس ماتيوس إلى الانكفاء على نفسه والعيش في الغابة بعيداً عن أضواء وهرج ومرج الدعاية الصهيونية ، والتي لم تترك سبيلاً تشنيعياً مضراً إلا واستخدمته ضده ، وظل روجيه جارودي واقفاً صامتاً يمثل قلعة ثقافية أممية إنسانية شامخة لا تتأثر بعواصف الصهيونية ، ولا بهيجان الموج الآتي من المحيطات الإمبريالية ، وحتى في أثناء جلسات محاكمته بمقتضى قانون [جيسون فلبيوس] الجائر الصادر في ١٣ يوليو عام ١٩٩٠ م والذي يعيد إلى فرنسا (جريمة الرأي) التي سادت عصر الإمبراطورية الثانية ، والذي أشعلته المنظمات الصهيونية واللوبي اليهودي في فرنسا بعد نشر كتابه الرابع والذائع الصيت (الأساطير المؤسسية للسياسة الإسرائيلية) والذي صدرت طبعته الأولى بالفرنسية في عام ١٩٩٥ م والعربية عام ١٩٩٨ م.

وفي أثناء جلسات المحاكمة لجارودي تمكن الأخير بفطنته وسعة مداركه الثقافية ، وقوة حججه أن يحول جلسات محاكمته هو إلى جلسات محاكمة للمحكمة نفسها ولقانون (فابيوس رجيسو) وللصهيونية الإسرائيلية وللديمقراطية الفرنسية ؛ التي خضعت للابتزاز الصهيوني ، فقدمت علماً من أعلام الفلسفة والثقافة العالمية إلى محاكمة تهمته الوحيدة [جريمة الرأي].

وفي يوليو ١٩٩٦ م قامت جماعة يهودية باقتحام المكتبات الغربية من جامعة السوربون ؛ لأنها كانت تعرض كتب جارودي للبيع ، ولطخوا حوائطها بالطلاء الأحمر ، كما اعتدوا بالضرب المبرح على صاحب المكتبة الفيلسوف الفرنسي جورج دانسكو[١] .

إن ما أزعج الصهاينة هو الرأي المقارب للحقيقة عن جرائم الإبادة (الهولوكست) التي ارتكبتها النازية الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، والتي طرحها في كتابه سالف الذكر بعد جمع الأدلة والوقائع والحقائق من مصادر يصعب على أي باحث جمعها وتحليلها وتفنيدها ؛ عدا جارودي هذا الإنسان الذي يبلغ من العمر ٨٤ سنة فلم يَرُقْ للصهيونية وحليفتها الولايات المتحدة ما كتبه عن العدد الفعلي لضحايا النازية من اليهود ، ولأنه ابتعد عن مسايرة الادعاءات التي فرضت رقم ٦ مليون يهودي أبيد في معسكرات الاعتقال وأفران الغاز. والغريب والعجيب في الأمر أن الولايات المتحدة المتباكية على ضحايا النازية وداعية حقوق الإنسان تشارك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في إبادة الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ م ، واستخدمت حق النقض أو الفيتو في الفترة من ١٩٧٢ م إلى عام ١٩٩٦ م ثلاثين مرة للحيلولة دون صدور أي قرار بإدانة إسرائيل ، بينما كان قادتها يفكرون لتنفيذ مخططاتهم الإجرامية في الإبادة ضد الشعب الفلسطيني واللبناني ، وفي زعزعة استقرار بلدان الشرق الأوسط بأسرها[٢] .

إن مثل هذه المحاكمة ما كان لها أن تتم لولا حجم تأثير الدعاية الإسرائيلية الصهيونية في فرنسا الذي يفوق ما يتصوره الآخرون ، فهي تسيطر عملياً على مجمل وسائل الإعلام من تليفزيون وصحافة مكتوبة ومسموعة ودور نشر وسينما وحتى على المناهج الدراسية ، ففي فرنسا نُشِر كتاب (اليهودية الفرنسية) الذي نشرته مجموعة من الصهاينة تحت إشراف

---

(١) محاكمة الحرية ، جارودي: ص ١٠ ـ ١٤ .

(٢) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ترجمة محمد هشام: ص ١٧ .

(أورلان هايندنبرج) ثم سحبه الصهانية أنفسهم من التوزيع، والذي نورد مقتطفات منه من بعض فقرات الفصل المعنون بـ(العناوين اليهودية الموحدة).

(ص ٧٢ ـ ٧٤): صندوق المجددين اليهود، أسسه عام ١٩٧٠ م هنري هايدنج وأريد منه تأسيس نظام لوبي في فرنسا.

(ص ٨٠): إن يهود فرنسا معظمهم لهم جذور في إسرائيل، وكل حزب سياسي في إسرائيل له فرع في فرنسا.

ـ (ص ١٥٠): إن من يهاجم «إسرائيل» فإنه يهاجم وجود اليهود في فرنسا.

ـ (ص ٩١): إن منظمات يهودية عدة تأسست في أمريكا لها تمثيل في فرنسا مثل لجنة اليهود الأمريكيين [أمريكا جويش كوميتي] التي تأسست عام ١٩٠٦ م على يد الأثرياء اليهود الألمان المقيمين في الولايات المتحدة.

ـ (ص ٧٤): لقد حصلت منظمة المجددين اليهود على دعم عدد من الشخصيات الإسرائيلية وتحديداً من أفي بريمو، وهي مكونة أساساً من نشطاء الأشكيناز.

ـ (ص ٨٢): هذا يعني أن هذه المنظمات لن تستطيع الاستمرار دون الدعم المالي للوكالة اليهودية، اللبنة الشرعية للمنظمة الصهيونية العالمية، أما ما يخص سفارة «إسرائيل» فهي تتطلع باهتمام للتطور الداخلي الذي تشهده الجالية اليهودية في فرنسا.

ـ (ص ٦٢): إن المبالغ التي تجمعها [المنظمات اليهودية المتحدة في فرنسا] يتم تقاسمها بشكل غير عادل بين دولة «إسرائيل» والجالية اليهودية في فرنسا.

ـ (ص ٧٤): هل ستشهد الاستحقاقات السياسية المستقبلية وقعاً سياسياً لليهودية الفرنسية؟ هذا السؤال يبدو دائماً محل اهتمام، لكن بعض الأحزاب السياسية لم ينتظر وقتاً طويلاً لتنشئ فروعاً لها في الأوساط

اليهودية سواء مجموعة [يهودية وحزبية] داخل حزب التجمع من أجل اليهودية (الحزب الديجولي الفرنسي) أو مجموعة اشتراكية يهودية «داخل الحزب الاشتراكي».

إن هذه النصوص تتضمن الاعتراف بوجود لوبي، وبالتمويل الخارجي، وبالتغلغل داخل كل الأحزاب الفرنسية، وبتعليمات لتصويت اليهود في الانتخابات، الشيء الوحيد الذي لا تكشفه هذه النصوص هو أن هذا اللوبي الفاعل في السلطة السياسية والإعلامية لا يمثل سوى عشرة بالمئة من يهود فرنسا.

وتبدو المأساة في أن الموقع الذي تحتله هذه الطبقة الحاكمة بتصرفاتها يحمل احتمالات لمعاداة السامية[1].

ـ الدعاية الصهيونية في بريطانيا في التسعينيات:

بريطانيا هي البلد الأوروبي الأول الذي استضاف كبار أصحاب رؤوس الأموال اليهود، وفتح لهم أبواب النشاط التجاري منذ بداية القرن التاسع عشر، وتأسست فيها أول وكالة للأنباء في العالم (وكالة رويتر) التي أسسها اليهودي «يوليو رويتر» في العام ١٨٥٨ م وأصبحت من وقت تأسيسها تعرف باسمه، ورويتر من وسائل الإعلام التجارية في الدولة المتقدمة، لا يقتصر نشاطها على الاحتكار الإعلامي والربح التجاري من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام والترفيه فحسب، بل هي تسعى إلى السيطرة السياسية، ولكن ليس بالأوامر، بل بصياغة الأهداف السياسية والاقتصادية والتأثير على السلطات السياسية نفسها وعلى السياسة العامة.

فمثلاً علاقة رويتر بالحكومة البريطانية ليست جديدة بل قديمة قدم الوكالة نفسها، فتلك العلاقات ترجع إلى مراحل تأسيسها، منها على سبيل المثال تدخُّل الوكالة في أمور إيران وتوقيعها اتفاقية مع شاه إيران في عام ١٩٧٢م

---

(١) محاكمة الحرية، روجيه جارودي: ص ٥٠ ـ ٥١.

أعطاها بموجبها حق مد سكك حديدية وإنشاء مشروعات ري والسيطرة على الغابات، ونجاحها في إنشاء بنك إمبراطوري بريطاني - إيراني عام ١٨٨٨ م[١] فضلاً عن تدخلها في مصر والسودان، وخدمتها للسياسة البريطانية.

فإذا كانت قوة التأثير هذه لمؤسسة إعلامية واحدة وبعد إنشائها وفي منتصف القرن التاسع عشر، فما بالك في عصر التقدم الهائل لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الذي أصبح يسيطر على كل شيء في عالمنا هذا؛ الذي أصبح كل شيء مباحاً حتى عقول الناس أصبحت تخضع للتحكم والسيطرة التي تفرضها الشركات الاحتكارية الإعلامية متعددة الجنسيات (عابرات القارات) والتي كان لبريطانيا منها نصيب كبير حيث أصبحت ثلاث شركات إعلامية صهيونية مملوكة لـ «ماردوخ» و«ماكويل» و«مورسي سانشي» هي التي تتحكم في وسائل الإعلام البريطانية وتطبق على إنتاجها حصاراً كاملاً، حيث لا تثبت أي معلومات أو تنشر أي أخبار إلا بعد (فَبْرَكَتِها) وتوجيهها في خطوط السير التي تخدم الدعاية الصهيونية، وهذه الشركات الثلاث هي:

أ - ماكسويل: Maxwell communication corp (ucc): وهي شركة بريطانية[٢] يعمل فيها حوالي ١٥ ألف مستخدم، ومبيعاتها ٢ مليار دولار، وتعتبر واحدة من المجموعات العشر الأكثر أهمية في العالم.

وتقوم بأربع عمليات: خدمة المعلومات، النشر الإلكتروني، النشر المدرسي، النشر المرجعي اللغوي.

إضافة إلى توغلها في حقل البث الفضائي والاتصالات العالمية منذ عام ١٩٨٢ م، وللشركة أعمال طباعية في ٢٥ بلداً بما فيها الولايات المتحدة،

---

(١) وكالات الأنباء، د. إبراهيم إمام: ص ١٢٩ ـ ١٣٣.

(٢) الشركات غير الوطنية في التنمية العالمية، اتجاهات وتوقعات، مركز الأمم المتحدة لشؤون الشركات غير الوطنية، الأمم المتحدة، ١٩٩٠ م.

ولها مكاتب في المدن الرئيسية في العالم: (لندن ـ باريس ـ مونتريال ـ نيويورك ـ طوكيو. . .)

هذا إضافة إلى أن دخولها السوق الأمريكية عام ١٩٨٧ م دفعها لتحتل مكانة عالمية ، وإضافة إلى معلومات القارئ فإن ماكسويل الأب يهودي من أصل تشيكي ، هاجر إلى بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

ب ـ شركة «نيوكوربورشين» New corporation : أنشأت عام ١٩٧٩ م شركة تابعة لـ«روبر مردوك» وهو يهودي أسترالي الأصل ، ويعتبر الناشر الأكبر للصحف الإنجليزية في العالم ، ويبلغ عدد العاملين في شركته من ٢٨ ـ ٣٠ ألف مستخدم ، ومبيعاتها تصل إلى ٧ مليارات دولار ، وتشارك في العديد من المجلات ودور النشر الكبرى في العالم.

ودخلت منذ عام ١٩٨٢ م في مجال البث التلفزيوني الفضائي في الولايات المتحدة وبريطانيا ، وتملك وتشارك في (١٠٧) جرائد في العالم (١٠٠) منها في أستراليا و(٧) في بريطانيا منها (صنداي تايمز) و(تايمز) و(٢٧) مجلة (٩) منها في أستراليا و(٩) في بريطانيا ، ودار نشر كبيرة Harper cottliss في بريطانيا والولايات المتحدة ، ودار نشر Tringle التي تنشر دليل التلفزيون . وهي المجلة الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة ، كما أنها شريكة كبيرة في British skybroadcasting satellite وتعتبر مالكة النظام التلفزيوني الكابلي الأكبر في أوربة ، كما أنها المؤسسة الأم لشركة Faxing للصور المتحركة ولشركة CBC Foxvedio للفيديو المنزلي ، وتلك مؤسسات للإنتاج التلفزيوني والصحفي ، ولها محطات تلفزيونية وشبكة للبث التلفزيوني والصحفي ، وأخرى للبث الإذاعي ، وتعتبر الموزع الأكبر للفيديو كاسيت ، وتعتبر من الشركات الصحفية الأربعة عشر الأهم في أمريكا ، ومن شركات المجلات الثلاث الأهم ، ومن الشركات السينمائية الأربع الأهم في العالم.

ويعتبرها تقرير الأمم المتحدة الشركة الخامسة في مجال النشر في

العالم ، ولها شركات تابعة في العالم المتقدم ، والتي يبلغ عددها ١٦١ شركة.

جـ ـ شركة ساتشي وساتشي بلس: Saatshiesaatchiplc : وهي شركة عامة بريطانية أسسها الأخوان اليهوديان من أصل عراقي شارل وموريس ساتشي عام ١٩٧٠ م ويعمل فيها ٧٥٠٠ مستخدم ، وتقدر مبيعاتها بـ ٣ مليار دولار وإعلاناتها بـ ٨,٥ مليار دولار ، وكانت الأخرى في بريطانيا عام ١٩٧٩ م والأولى في أوربة عام ١٩٨٢ م عندما اندمجت معها الشركات الآتيـة: كـومبتـون Compton ومـاك كـول Mccaffrexe Mccall ودانسز فينلزجيرولد وباكر ، وبيتس ويليام استي ودولان وويلسكو مجموعة شركات ووكالات إعلانية احتلت منذ عام ١٩٨٦ م المركز الأول في العالم ، ويبلغ عدد الشركات التابعة لها في العالم ١٠٣ شركات منها ٣٣ في أمريكا، و٣ في كندا، وفي اليابان وغرب أوروبة ٣٢ ، وتميزت الوكالة بإعلاناتها السياسية كما حدث في إعلانات الحملة الانتخابية لرئيسة وزراء بريطانيا مرغريت تاتشر التي نشرت في العامين ١٩٧٩ و١٩٨٣م.

وفي هذا الكتاب أردنا إطلاع القارئ من خلال أمثلة ثلاثة لشركات ثلاث من بيوتات صهيونية ؛ ليصبح الأمر واضحاً وجلياً على مدى تأثير الإعلام الصهيوني والدعاية الإسرائيلية على سياسة المملكة المتحدة.

والأمثلة كثيرة على قوة السيطرة والسطوة الصهيونية على وسائل الإعلام والدعاية والنشر ، وعلى السياسة الخارجية لبريطانيا العظمى ، ولا مجال لسردها في هذا البحث ؛ الذي سأكتفي فيه بإيراد مثالين على ذلك ولا ثالث لهما:

الأول: قصة المؤرخ البريطاني ديفيد أيرفنج الذي يلقب بأحسن مؤرخي بريطانيا أخلاقاً ، فقد نشر عدة دراسات عن هتلر حاول فيها أن يتكلم بإنصاف وصدق موضحاً الحقائق التي يفضل البعض تناسيها ـ على حد قوله ـ ومنها مثلاً أنه ليس هناك أي دليل تاريخي قائم على أن هتلر أمر بالإعدام

الجماعي لليهود ، لكن هذا الأمر لا يبرر أنه كان سادياً (مريضاً) وهوايته قتل اليهود كما تروج الدعاية الصهيونية[1] ، ومثلما فعل جارودي من بعده فقد شكك إيرفنج في عدد الملايين الستة من اليهود ؛ الذين لقوا حتفهم على أيدي النازي حسب زعم المنظمات الصهيونية العالمية وإسرائيل.

ولقد رفض الناشرون في بريطانيا إصدار كتابه الأخير الذي يحمل اسم «نورمبرج: المعركة الأخيرة» فاضطر لنشره بنفسه في مارس عام ١٩٩٩ م وقوبل هذا الكتاب بهجوم كبير ، وألصق بإيرفنج أخطر اتهام يخشاه الناس في الغرب ويخافون توابعه وهو أنه «منكر للسامية» ولقد اضطر شقيق إيرفنج أن يغير اسمه رسمياً حتى يسلم من الهجوم الصهيوني عليه بحكم اسم عائلته ، وباعتباره شقيق إيرفنج الذي أصبح نقاده اليهود يقولون: إنه أخطر النازيين الجدد.

وفي كتابه المذكور يقول إيرفنج بأن ظاهرة القتل الجماعي لليهود ، والتي يطلق عليها تعبير (هولوكوسُت) ما هي إلا أسطورة ، وأنه أراد عن طريق البحث التاريخي أن يعيدها إلى حجمها الطبيعي ؛ كأي حادثة أخرى لا تحيطها هذه الهالة من التقديس التي صنعتها بعض المصالح لأسباب سياسية ، وذلك عن طريق كل الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع بما في ذلك الإحصائيات العددية ذاتها ، فعلى سبيل المثال كيف يمكن إحصاء عدد اليهود الذين ماتوا في معسكر اعتقال إسيفيتش في بولندا كنتيجة للاضطهاد بسبب يهوديتهم ، وهل تفرق الإحصائيات بين هؤلاء والآخرين ممن ماتوا في هذا المعسكر من الجوع أو الأوبئة أو الشيخوخة ، فإذا كان هؤلاء أيضاً من ضحايا (الهولوكوست) فإن الحرب العالمية الثانية ينطبق عليها كلها وصف (هولوكوست) ، ولا تصبح الإبادة الجماعية حكراً على اليهود وحدهم.

---

(١) تقرير «سويسرا حديث المحرقة ومعاداة السامية» مخاوف ومحاذير ، د. سعيد اللاوندي ، جريدة الأهرام ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٩ م.

وعن رواية القتل داخل الأفران الغازية يقول إيرفنج: (إن تلك حادثة غريبة لأنه حتى الآن لم يستدل على هذه الأفران، ولم يتم اكتشافها، ولا وجدت جثث الأربعة ملايين من بين الملايين الستة الذين يزعم اليهود أنهم ماتوا على يد الاضطهاد النازي) ولقد اعتمد في ذلك على الصور الفوتوغرافية التي التقطت من الجو لمعسكر (أوسيفيتش) وهي صورة غاية في الوضوح التقطتها الطائرات الأمريكية خلال الحرب وعددها ٤٨ صورة، ولا تظهر في أي منها أي أثر لمقابر جماعية؛ لأن مجموع من لقوا حتفهم في المعسكر في رأي إيرفنج مئة ألف شخص لا غير[١].

وبالطبع فإن ما حدث للفرنسي جارودي في الغرب المدافع عن حرية الفكر حدث أيضاً للبريطاني إيرفنج، فقد اعتدي عليه بالضرب المبرح في أحد المقاهي التي اعتاد أن يتناول فيها غداءه يوم الأحد من كل أسبوع، كما شطب كطبيب أسنان اسمه من قائمة زبائنه، وتراجع أحد الناشرين عن نشر كتاب جديد له عن حياة جوبلز وزير إعلام هتلر، والذي أمضى إيرفنج ثماني سنوات ينقب في تفاصيلها، ومنع إيرفنج من دخول مقر الوثائق الرسمية الألمانية في خطوة غير مسبوقة، وهي معادية لحرية الدراسة والبحث والكشف عن الحقائق، كما منع من دخول كل من كندا والنمسا وإيطاليا وألمانيا بالإضافة لدول الكومنولث.

أما القصة الثانية التي نوردها في هذا الصدد؛ فهي زيارة وزير الخارجية البريطاني «روبين كوك» للأراضي المحتلة في إسرائيل ومناطق سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني في خريف ١٩٩٩ م التي شهدت قمة التناقض، وانتهت حسب وصف صحيفة التايمز إلى فشل ذريع، فبدلاً من أن تكون مناسبة لرد اعتباره وإصلاح ما أفسده نتنياهو في زيارته السابقة التي عاد منها غاضباً بسبب المضايقات التي تعرض لها؛ وإلغاء نتنياهو لمأدبة كانت مقررة أن يقيمها على شرف ضيفه احتجاجاً على زيارته لموقع مستوطنة (أبو غنيم) في

---

(١) جريدة الأهرام ٢٠/ ٢/ ١٩٩٨ م.

القدس، فقد حدث العكس حيث كان (كوك) هو الساعي إلى الترضية، حيث اختار صديقاً لرئيس الوزراء (باراك) لمرافقته ، وبالغ في كسب ود إسرائيل ، وكأنه يريد أن يقول: إنه أخطأ في الزيارة السابقة عندما انتقد إسرائيل ، وأثار غضبها. وقد عبرت تصريحاته أثناء زيارته الأخيرة عن تلمسه للعفو والمغفرة من الدولة الصهيونية ، حيث أقر أنه مع كل عام تتراجع فرص الفلسطينيين في التوصل إلى حل عادل ودائم ، بدلاً من أن يحدد من المسؤول عن تأخر هذا الحل العادل والدائم وحول السلام مع سورية جاءت تصريحاته مطابقة لوجهة النظر الإسرائيلية بتأكيد على ضرورة أن تبدأ المفاوضات دون أفكار مسبقة.

وبالغ (كوك) في استخدامه للعفو والمغفرة الإسرائيلية عندما قامت أسرة الطيار الإسرائيلي المفقود ؛ الذي سقطت طائرته فوق لبنان عام ١٩٨٦ م ، وهو يمطر المدنيين اللبنانيين بقنابله العنقودية تطالبه بالبحث عنه ، ووعد بالتوسط لدى إيران أثناء زيارته لها في نهاية عام ١٩٩٩ م[١] متجاوزاً سيادة لبنان باعتبارها الدولة المعنية.

كما زار النصب التذكاري لضحايا الهولوكوست ، وكرم عميلاً سابقاً في المخابرات البريطانية لدوره ـ كما يزعم ـ في إنقاذ اليهود من المحرقة النازية.

غير أن السلطات الإسرائيلية قد قابلت (كوك) بمزيد من الشراسة والنكران:

فقد ألقت الشرطة الإسرائيلية القبض على اثنين من حرس فيصل الحسيني ، مسؤول ملف القدس في السلطة الوطنية الفلسطينية ؛ في الوقت الذي كان يجتمع فيه مع الوزير (كوك) ، بل أصرت الشرطة على حضور الاجتماع ، وقامت قوات الأمن بقتل شاب فلسطيني دون سبب ؛ مما أدى إلى اندلاع مظاهرات فلسطينية في بيت لحم أصيب فيها أكثر من ٣٠ شخصاً

---

(١) تناقلت الخبر وسائل الإعلام ووكالات الأنباء أثناء الزيارة.

دون أن يسمع العالم احتجاجاً أو شجباً من قبل «روبين كوك».

ومن عجائب القدر أنه في الوقت الذي كان يجامل فيه (كوك) إسرائيل ؛ أصدرت صحيفة الأوبرزيفر البريطانية مؤشرها السنوي عن حقوق الإنسان ، والذي حصلت فيه إسرائيل على المركز الثاني من بين مئة دولة اعتبرها المؤشر منتهكة لحقوق الإنسان في العالم ، والسؤال المطروح هو: هل من شيء تغير في السياسة الإسرائيلية بعد مجيء باراك الذي أعقب نتنياهو؟ وهل انتهج باراك سياسة غير سياسة التملص من تنفيذ الاتفاقات؟ وهل أوقف سياسات إسرائيل الاستيطانية ، وبدأ في حرية التفاوض على الوضع النهائي ، واحترام قرارات الأمم المتحدة؟

الجواب بالطبع: لا، فكل ما كان في عهد نتنياهو باقٍ كما هو في عهد باراك ، بل إن الأخير قد زاد على نتنياهو بأن أمر بتوسيع بعض المستوطنات ، فأمر بتوسيع واحدة منها إلى عشر أضعافها.

والحقيقة إن تصرفات كوك هذه في الزيارة الأخيرة لإسرائيل التي قام بها أوائل نوفمبر ١٩٩٩ م وتناقضها كلياً مع زيارته في أواخر عام ١٩٩٧ م ، غير إرادته إذ لا يمكن أن يتكون الشيء ونقيضه في النفس الإنسانية ذاتها دون أن يكون هناك مؤثر خارجي ، وفي حالة كوك فإن المؤثر الخارجي هو السطوة الشديدة للدعاية الصهيونية ، وقدرتها على إخضاع السياسة البريطانية والغربية لإرادتها وإلزام الناشزين على العودة إلى بيت الطاعة.

*** الدعاية الصهيونية في إيطاليا في التسعينيات:**

تركت الصهيونية وإسرائيل اليهود في إيطاليا كما في كل الدول الأوروبية وفي العالم ، وسمحت لهم بعدم الهجرة إلى فلسطين لاستغلالهم في التأثير على سياسة واقتصاد هذا البلد ، فبعد أن تم تكوين الجالية اليهودية الإيطالية وجمعية الصداقة الإسرائيلية ـ الإيطالية ، أصبح كل منهما يلعب بكلمة الديانة اليهودية والجنسية الإيطالية لتنفيذ كل المطالب الإسرائيلية ، وقد نجح اللوبي الصهيوني الصغير الذي يضم ٣٠ ألف يهودي في فرض صوته

العالي من خلال وسائل إعلامه وأدوات دعائية ، فأصبح مسموعاً وصاحب سيطرة ونفوذ في السياسة الإيطالية ، ويؤثر تأثيراً كبيراً على الرأي العام فيما يخص القضايا والمشاكل العربية ، فقد نجحت وسائل دعايته في التأثير على وسائل الإعلام الإيطالية قبل الأزمة العراقية منذ بدايتها وحتى الآن ، وعلى القضية الفلسطينية وغيرها من المشاكل التي تمس الصراع العربي الصهيوني أو لا تمسه[1] .

لقد ترك الإعلام الإيطالي تناول المواضيع العربية والتعليق عليها لليهود ؛ الذين يحاولون بكل الطرق المباشرة وغير المباشرة التأثير على الرأي العام الإيطالي للوقوف بجانب إسرائيل المظلومة ، ففي الصحافة تغطي المقالات والتعليقات المفروضة مساحة كبيرة في كثير من الصحف والمجلات الإيطالية ، وكلها ممتلئة بالسموم والأكاذيب والادعاءات والتزوير دون خجل أو وَجَل أو خشية من افتضاح هذه الأكاذيب .

أما التليفزيون الحكومي فقد قام بتخصيص برنامج أسبوعي ثابت مدته ٤٥ دقيقة يعرض من خلاله قصة اليهود وحضاراتهم العريقة وعبقريتهم ، ولا يفوته التعرض إلى مسألتي الاضطهاد والتشرد اللتين تعرضوا لهما ، والعذاب الذي قاسوه في الأفران ، ومعسكرات الموت والتعذيب ، مع الإشادة بديمقراطية إسرائيل التي قامت كنظيراتها من الديمقراطيات الغربية ، وتنفي وجود أي مظاهر للديمقراطية في الوطن العربي كله ، ووصل الأمر إلى حد إسناد منصب مدير البرامج إلى أحد اليهود ، على الرغم من أنه شارك في حرب ١٩٥٦ م ضد مصر ، والأمثلة كثيرة ومتعددة على صعود دور اللوبي الصهيوني في إيطاليا في التسعينيات عام ١٩٩٤ م عندما قررت الحكومة الإيطالية أن يكون يوم السبت يوم إجراء الانتخابات العامة التي عادت وتراجعت عن قرارها بعد ساعات فقط لتحدد زمن الانتخابات ، فتشمل السبت والأحد استجابة لضغوط اللوبي اليهودي ،

---

(١) جريدة الأهرام ١٦/ ٣/ ١٩٩٧ م.

واعتراضه على تحديد موعد الانتخابات بالسبت فقط.

ومثال آخر لقوة وتأثير اللوبي الصهيوني في إيطاليا ووسائل دعايته، هو ممارسة قدر كبير من الضغط على الحكومة الإيطالية لاعتقال الضابطين «تريبك» و«هاس» اللذين أصدرت المحكمة العسكرية في روما بحقهما حكم السجن المؤبد لمشاركتهما في مذبحة نفق [أورماتينا] في العاصمة الإيطالية في يوم ٢٤ مارس ١٩٤٤ م حسب زعم وادعاء اللوبي الصهيوني الذي صفق وهلل لإصدار هذا الحكم، وبرغم أن ٣٥٥ قتيلاً راحوا ضحية هذه المذبحة منهم ٦٠ يهودياً فقط، إلا أن اللوبي الصهيوني أقام الدنيا ولم يقعدها.

وقد بدأت القصة بتعرف بعثة المحطة التلفزيونية الأمريكية إيه. بي. سي بالمصادفة، أو عن طريق العمد في مدينة باريلوكي الأرجنتينية على الضابط الألماني «إيريك تريبك» الذي اتهم بمشاركته في المذبحة المذكورة، فكان أن نشط اللوبي الصهيوني الإيطالي، ومارس ضغوطاً مكثفة على الحكومة الإيطالية التي توجهت بطلب تسليم (تريبك) إلى الحكومة الأرجنتينية، فما كان من اللوبي الصهيوني في الأرجنتين إلا أن مارس نفس الضغوط على حكومته التي استجابت للطلب الإيطالي وتم تسليمه في ٢١/ ١١/ ١٩٩٥ م وعمره (٨٢) سنة، وقد قدم للمحاكمة في ٨ مارس ١٩٩٦ م، وأثناء المحاكمة طلب (تريبك) استدعاء زميله السابق (كارل هاس) كشاهد إلا أن المحكمة قد وجهت إليه نفس التهمة، وطالب الادعاء بسجن الاثنين مدى الحياة، وفي أول أغسطس من نفس العام صدر الحكم ببراءة (كارل هاس) وحبس (تريبك) ٣٠ سنة مع تخفيف العقوبة لدواعي كبر سنه، الأمر الذي أغضب اللوبي الصهيوني؛ فقام بالاحتجاج، وتنظيم المظاهرات على الفور والاعتكاف داخل المحكمة، وتمت الاتصالات بالمنظمات الصهيونية في أوربة وأمريكا التي أسفرت عن إعادة القبض على (تريبك) بناءً على طلب السلطات الألمانية لتعاد محاكمته من

جديد في ١٤ أبريل ١٩٩٧ م[١] ، وانضم إليه هاس بعد تبرئته ، وفي ٢٢ يوليو جاء حكم المحكمة بالسجن على «تريبك» ١٥ سنة وعلى «هاس» ١٠ سنوات ، ثم عادت ثورة اليهود من جديد ، فأعيدا للمحاكمة للمرة الثالثة أمام محكمة الاستئناف العسكرية بروما ، ونتيجة للضغط الصهيوني حكم على الاثنين بالسجن المؤبد رغم اعتراض معظم أهالي الضحايا الإيطاليين غير اليهود والوقوف إلى جانب المتهمين ، وإذا ما استثنينا اليهود ؛ فإن ردود الفعل كانت غاضبة لصدور هذا الحكم ، وقد عبر عن هذا الغضب وعدم الرضا الكثير من الساسة ومحامي الدفاع وغيرهم ، وسأكتفي في هذا الصدد بتسجيل شهادة أحد أشهر المحامين في الساحة الإيطالية «تاورمينا» وردِّ فعل (تريبك) نفسه: فقد أدلى تاورمينا بحديث مطول إلى صحيفة «لاروبوبليكا» معلقاً على الحكم بقوله: (لقد بدأ اليسار في إعادة كتابة التاريخ بالقلم الأحمر ، ووصف الحكم بأنه سياسي في المقام الأول ، وقد صدر الحكم لامتصاص غضب اليهود الإيطاليين).

أما «تريبك» الذي لم يحضر جلسة النطق بالحكم ، فقد أدلى بعدها بأحاديث صحفية وتلفزيونية أعرب خلالها عن دهشته الشديدة للحكم الصادر في حقه ، وقال: لقد اختل ميزان العدالة ، وأصبح القانون لا يساوي بين الجميع ، ثم أضاف: لقد كنت ضابطاً صغيراً انفطر قلبه بالمشاركة في هذه المذبحة البشعة التي أصابتني بكابوس طوال أكثر من خمسين سنة ، ولكن كيف تدينوني على عدم إطاعتي الأوامر العسكرية ، وحتى لو فعلت فقد كان مصيري الإعدام ، وهو ما لم يكن له أي تأثير على وقوع ما حدث ، ثم أضاف: يكفي أن يعيش الطيار الأمريكي (بول تيمتس) بالإضافة إلى ١١ من زملائه مطلقي السراح ، وفي حرية كاملة بالرغم من أنهم قد تسببوا في مقتل ٣٠٠ ألف من بينهم ٦٠ ألف طفل عندما نفذوا أمر القادة بإلقاء القنبلة الذرية على كل من هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين ،

---

(١) وكالات الأنباء الإيطالية والعالمية ٢٢ ، ٢٣ يوليو ١٩٩٧ م.

وقد علل فعلته منذ شهور من إصدار الحكم في حديث صحفي بقوله: (لم أفعل شيئاً سوى الواجب وتنفيذ الأوامر).

وكانت المحكمة الإيطالية قد بدأت بمحاكمة ٥٠ نازياً وقائدهم «كوبللر» المسؤول الأول عن المذبحة خلال محاكمة عام ١٩٦٣ م، ثم سمحت السلطات الإيطالية بهروب «كوبللر» منذ أكثر من ٣٠ عاماً وحكمت على ضابطين صغيرين نفذا أوامر كوبللر نفسه.

*** الدعاية الصهيونية في روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في ديسمبر عام ١٩٩١ م:**

تظل روسيا كما كان الاتحاد السوفييتي الهدف الرئيسي لاستراتيجية السياسة الأمريكية في تدمير هذا البلد، فروسيا هي الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي، وهي بلد المليون طبيب ومئات الآلاف من العلماء في كل المجالات، وروسيا هي التي أطلقت أحد أبنائها ليكون أول من يصنع المستحيل بغزوه للفضاء الخارجي والتحليق حول الأرض، وليزيد الجرح الفائر في القلب الأمريكي، ثم إن روسيا هي التي لا تزال تملك أكثر من ٣٣ ألف رأس نووي، لكل هذا وغيره ستظل الهدف الرئيسي للصهيونية والإمبريالية؛ التي لن يهدأ لها بال إلا بعد تدمير هذا الهدف تدميراً كاملاً؛ خاصة وأن الصهيونية تريد أن تنتقم من الشعب الروسي نظير ما لحق بها وباليهود في روسيا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، حيث نظمت لهم القيصرية الروسية المذابح لمحاولتهم اغتيال القيصر الكسندر الثاني عام ١٨٨١م[١].

لذلك فإنه ما إن جاء تفكك الاتحاد السوفييتي والجبهة الاشتراكية الأوروبية بين ١٩٨٩ ـ ١٩٩١ م حتى فرض التحالف الصهيوني الأمريكي هجومه على روسيا مخترقاً كل الجبهات، ومركزاً على الجبهة الاقتصادية التي أدت إلى تجويع المواطن الروسي وتشريده وإلى خفض معدل عمره إلى

(١) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني: ٤٤٠ ـ ٤٤٩.

٥٤ سنة بعد تولي الشاب اليهودي (إيجور جيدار) الذي عينه [يلتسن] أول قائم بأعمال الحكومة الروسية ، وصحب معه اليهودي (أناتولي تشوبايس) الذي تولى عملية الخصخصة وساعد الاثنان على تسلل اليهود إلى المناصب القيادية في السلطة التنفيذية والأجهزة المالية وتحويل وبيع القطاع العام [ممتلكات روسيا والاتحاد السوفييتي بالكامل]. والتي وضعت تحت الأيادي اليهودية الصهيونية تتصرف بها كيف تشاء ، فكان أن استغل تشوبايس ومجموعته اليهودية وضعهم على رأس المؤسسة الاقتصادية وباعوا ٥٠٠ مصنع ومجمع صناعي لا يقل ثمنها الأصلي عن ٣٠٠ مليار دولار بمبلغ ٧ مليار دولار فقط أي ما يوازي ٢٪ من الحد الأدنى لثمنها ، وكشفت التحقيقات نهب مدخرات المواطنين عن طريق السندات التي ابتكرها تشوبايس ، كما أن تشوبايس لعب دوراً خطيراً في هدم اقتصاد روسيا من خلال مسؤوليته وتوليه الاتصالات والمحادثات مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي الخاصة بالقروض والمساعدات ؛ التي ألحقت ضرراً بالغاً بالاقتصاد الروسي ، الأمر الذي دفع بريماكوف بالرد على سؤال أحد النائبات الروسيات بعد تكليفه في شتاء ١٩٩٨ م بتشكيل حكومة جديدة بأنه لا يريد الاستعانة بمن قال عنهم: إنهم سمحوا للبنوك الدولية أن تربح من روسيا ٣٠ مليار دولار أمريكي ، ولم يكن هذا غير (أناتولي تشوبايس).

وقد أدت تلميحات «بريماكوف» هذه إلى تحفيز وسائل الإعلام التي يتحكم فيها اليهود على شن حملات تشهيرية وتشنيعية بهدف الإجهاز عليه ، وتحطيمه سياسياً وإسقاطه من رئاسة الوزارة[١].

وكتحضير لما افتعله اليمين المتطرف الذي يضم حزب الخيار الديمقراطي ، وفلول «تشوبايس» ، و«يمنسرف» نائب رئيس الحكومة ، و«فيدروف» رئيس الضرائب السابق ، وقادة قنوات التلفزيون الأساسية من

---

(١) ألكسندر سميرنوف (كاتب صحفي روسي) في برنامج الرأي والرأي الآخر ، قناة الجزيرة: ٢٤/١٢/١٩٩٩ م.

إعداد المسرح السياسي للانقلاب على «بريماكوف» ، وإسقاطه مع ما يدعو إليه[1].

وبعد إسقاط حكومة «بريماكوف» نتيجة رفضه الخضوع لإرهاب المافيا اليهودية الروسية ، وتشكيل الوزارة الجديدة خرج «بيرزوفسكي» الملياردير الصهيوني ورئيس المافيا الروسي ليعلن في مؤتمر صحفي عقده خصيصاً لإظهار سطوة اللوبي الصهيوني في روسيا ، وقوة اليهود ، وقدرتهم على إعزاز من يشاؤون وإذلال من يشاؤون.

فقال: إنه يأسف لأنه لم يحقق إلا نسبة ٧٠٪ من أهدافه ، ووعد بالعمل على تحقيق الـ ٣٠٪ الباقية من الأهداف المرسومة.

ولأن المستهدف هو غرس الأنياب في جوف روسيا بعد أن انتزعت المخالب الصهيونية والأمريكية منها ، فإن بريماكوف لم يكن الوحيد الذي انتقم منه اليهود ، فقد سبقه الكثير: منهم على سبيل المثال الجنرال (روديونوف) وزير الدفاع الروسي السابق ؛ الذي قام بكتابة تقريرين عن الإصلاح العسكري وإصلاح القوات المسلحة في روسيا ، وهما التقريران اللذان لم يقدمهما اليهودي (يوري باتورين) سكرتير مجلس الدفاع ، وسمح باتورين لنفسه بفتح مظروف التقريرين ؛ رغم أن وزير الدفاع كان قد كتب على المظروفين كلمة [سري للغاية] بما يعني أن ظرفهما المغلق لا يفتح إلا بمعرفة رئيس الدولة ، وكتب وزير الدفاع (روديونوف) تقريراً إلى رئيس الحكومة (فكتور تشرنومردين) خاصاً بإصلاح الجيش الروسي ، وكان مصيره مصير التقريرين السابقين ، لأن «باتورين» كان ينفذ خطة صهيونية تقضي بإضعاف الجيش إلى أقصى حد ممكن ، والعمل على إزاحة «روديونوف» وزير الدفاع و«سمسونوف» رئيس هيئة الأركان اللذين كانا يجاهدان من أجل الحفاظ على كيان القوات المسلحة الروسية ، وقد تحقق هدف الصهيونية العالمية واللوبي اليهودي في روسيا وعميلهم «باتورين»

---

(١) الأهرام: ٢٣/ ١١/ ١٩٩٨ م.

أثناء اجتماع لمجلس الدفاع الروسي في ربيع ١٩٩٧ م ، عندما تم حصر يلتسين بخطاب لروديونوف عن الإصلاح العسكري مدته نصف ساعة ، وطلب منه الرئيس يلتسين أن يختصره إلى ربع ساعة ، فرفض روديونوف أوامر يلتسين، واستمر في الخطاب خاصة وأنه قد لاحظ ورقة مكتوب عليها إشارة بفصل رئيس الأركان (سمسونوف) مما دعا يلتسين لفصله على الفور أمام رئيس الحكومة[١].

وقد صعَّدت وسائل الإعلام الصهيونية من توتر الموقف بين المفسدين والمصلحين في الجيش الروسي وبين روديونوف وباتورين ، وأوحت إلى يلتسين بتجاهل وزير دفاعه عند اتخاذه بعض القرارات في القوات المسلحة ، مثل اتخاذه قراراً بعدم تقليص قوات المظلات التي يعتبرها هراوته الطويلة في ضرب أي قوى تعارضه ، أو مواجهة قلاقل اجتماعية ، أو لضرب البرلمان في حالة الضرورة كما حدث من قبل.

إن الصهيونية ترى تدمير كل شيء في روسيا ، وفي المقدمة المؤسسة العسكرية ؛ التي كانت ولا تزال السهم النافذ إلى صدر الإمبريالية الأمريكية والصهيونية العالمية.

لقد أرادت هذه العصابة الصهيونية ومن خلال يلتسين أن يكف الجيش الروسي عن أن يكون جيشاً ، وبالفعل تحقق لهم الكثير مما أرادوه ، فلم تعد الأساطيل تخرج إلى البحار ، ولا الطائرات تحلق ، وإذا طارت فإن سبعين بالمئة من المطارات غير صالحة لاستقبالها ، وما من أموال لإصلاح المعدات أو شراء معدات جديدة ، والسبب الرئيسي في تدهور أوضاع الجيش هو عجز الميزانية ، ووجود عناصر فاسدة في قياداته تنهب وتسمن على حساب القوت الضروري للجندي الروسي الذي أصبح يتضور جوعاً ، إضافة إلى تعمد الإساءة والمعاملة الغير إنسانية المقصودة للجنود ؛ التي أدت إلى انتشار حالات من التمرد العفوي المصحوب بالانفجارات النفسية.

---

(١) جريدة الأهرام: ٤/٦/١٩٩٧ م.

إذ لم يعد ينقضي أسبوع دون أن تنشر الصحف خبراً عن جريمة قتل ارتكبها داخل الجيش الروسي جندي صغير حصد بمدفعه الرشاش زملاءه، وأحياناً يوجه الجندي المغلوب على أمره فوهة بندقيته الرشاشة إلى صدور ضباطه، كما حدث مع الجندي [يفجيني بابوشكين] الذي نظرت محكمة موسكو العسكرية في قضيته رقم ٦٧٨٩٢ لعام ١٩٩٥ م الذي فتح النار على مجموعة من الضباط، ثم صوب فوهة البندقية إلى صدره، وأمكن إنقاذ حياته بصعوبة[١].

لقد ركزت الصهيونية العالمية وحليفتها الاستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية على ضرورة السرعة أولاً في ضرب وتدمير المؤسستين الرئيسيتين في روسيا: الاقتصادية والعسكرية، فبعد أن تمكن شباب الإصلاح الاقتصادي اليهود من بيع أهم المؤسسات الصناعية وقام رجال الإصلاح في الجيش بتقليصه من ثلاثة ملايين إلى مليون وستمئة جندي، ثم اشترك الجانبان في وضع خطة لتقليص ميزانية الجيش التي أدت إلى تجريحه وهدر معداته وتلفها، إضافة إلى تسريح أعداد كبيرة من الضباط الأمر الذي خلَّف مع إعادة الانتشار أكثر من مئة ألف عائلة مع عوائل الضباط دون مأوى[٢].

لقد امتلك اللوبي الصهيوني في روسيا من القوة ما يمكنه من قمع أي رأس روسية وطنية ترتفع، ومن تكميم أي فم ينطق مطالباً بإنقاذ روسيا من الانهيار، ومن قطع أي لسان يتحرك للنطق ضد ما يجري في روسيا من مصادرة حقوق المواطنين الروس في قيادة الدولة، وتعيين المسؤولين في مراكزها الحساسة التي أصبحت حكراً على اليهود، فكثير من العناصر الوطنية الشريفة تعرضت لحملات التهديد وتسليط وسائل الإعلام الصهيونية بشن الحملات التنسيقية؛ التي تتهم العناصر الوطنية بأنها مجموعة التطرف والعداء القومي ضد اليهود، بل وتحرض قوى الأمن وأجهزة السلطة

---

(١) الجريدة الروسية «أوبشايا جازيدا» ٤/٦/١٩٩٧ م.

(٢) مجلة اليسار، العدد التاسع والثمانون، القاهرة، يوليو ١٩٩١ م.

التنفيذية والرئاسية على التنكيل بهم ومحاكمتهم ، وتقوم وسائل الدعاية الصهيونية بالدعوة علناً إلى التأمل في محاسن ومزايا ووطنية وإنسانية الصهيونية كمذهب وممارسة.

وتشير إذاعة [مياك] الروسية التي يسيطر عليها أغنياء اليهود برئاسة الملياردير بيروزفسكي وإذاعات أخرى إلى أن الصهيونية لم تكن حركة هدامة منذ مئة عام ، بل هي حركة إنسانية ، الغرض منها جمع شمل اليهود من أرض الشتات إلى أرض الميعاد ، ولا ننسى الإشارة إلى القوى الوطنية التي ترفع صوتها ضد من يحملون معاول هدم روسيا ، وإلى اتهامهم بمعاداة السامية وبالحقد على اليهود ، فعندما ضاق الجنرال الروسي (ألبرت ماكاشوف) ذرعاً بتصرفات اليهود صاح في البرلمان قائلاً: فليرحل اليهود من بلادنا إنهم مخربون ، وسوف لا نترك لهم الفرصة ليعبثوا بمقدرات روسيا[1] ، ردت وسائل الإعلام الصهيونية في روسيا بحملات لوبيّة تصور تصريحات النائب البرلماني الجنرال المتقاعد (ماكاشوف) وتقرير الحقوقي والقانوني (الدكتور فيكتور اليوفين) رئيس لجنة الأمن القومي بالبرلمان الروسي ، والذي أشار في تقريره إلى الخطورة التي تتعرض لها روسيا من جراء بعض تصرفات المسؤولين اليهود ؛ كأنها دعوات للتحريض على كراهية اليهود الروس ، والحض على اضطهادهم ، وترتب على ذلك أن أكد يلتسين أنه بنفسه سيقضي على التطرف القومي.

وعلى أثر الزوبعة الضارية التي أثارها الصهاينة على الجنرال ماكاشوف أعلن (الدكتور جينادي زيوحانوف) رئيس الحزب الشيوعي الروسي والجبهة الوطنية الروسية وزعيم الأغلبية في الدوما [مجلس النواب] أن الأجهزة الصهيونية هي المسؤولة عن تحريك العصابات التي دمرت الاتحاد السوفييتي السابق ، ودفعت روسيا منذ عدة سنوات إلى الفقر والضعف والمهانة الاقتصادية والمعنوية ، وذلك في وثيقة رسالة إلى الشعب ، مما أثار غضب

---

(١) جريدة الأهرام: ٢٣/ ١١/ ١٩٩٨ م.

الصهيونية العالمية وانزعاجها ، وقام على الفور الدكتور (يوبيس) رئيس الآلية اليهودية الألمانية وزميل نائب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي بزيارة إلى موسكو على رأس وفد صهيوني كبير ليجري استجواباً وليهدد الزعيم الروسي الكبير في عاصمة وطنه ومكتبه في رئاسة المجلس النيابي الروسي متهمين إياه بمعاداة السامية ، وهدد بالتدخل لدى المؤسسات الأوروبية لتحضيرها ضد روسيا ، وقطع المعونات عنها .

وقد نجحت الأجهزة الصهيونية بالفعل في تعطيل المعونة المالية لروسيا من قبل الاتحاد الأوروبي يوم ١٠ فبراير ١٩٩٩ م بدعوى مزيج من الاتهامات ، تجمع بين سوء التخطيط الاقتصادي إلى رفض رئيس الوزراء (يفجيني بريماكوف) للخضوع لإرهاب المافيا اليهودية الروسية بقيادة (بيريزوفسكي) بعد (توشبايس) و(كوزرييف) وانتهاك حقوق الإنسان ، وهو ما أوضح عنه رئيس الأغلبية المطلقة في روسيا .

إن التغلغل الإعلامي اليهودي في روسيا وغيرها من بلدان رابطة الدول المستقلة ظاهرة تطرح تحدياً كبيراً لمحاولة تحول هذه البلدان إلى الديمقراطية ، ذلك أن التغلغل الإعلامي اليهودي الصهيوني هو أحد جوانب ظاهرة أشمل ، نعني التغلغل اليهودي في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الروسي، فاليهود الروس الذين يحتلون ـ كما قلنا ـ أقل من ١٠٪ من نسبة السكان يحتلون أكثر من ثلث المناصب السياسية المؤثرة في البلاد، وبين أكبر سبعة من رجال الأعمال في البنوك نجد ستة ملياردیرات من اليهود ، أما السابع ـ الروسي ـ فهو شريك للمضارب اليهودي العالمي الشهير (جورج سوروس) الذي اتهمه رئيس الوزراء الماليزي بأنه كان وراء الأزمة الاقتصادية التي حدثت في جنوب شرق آسيا في عام ١٩٩٧ م. واستمرت حتى عام ١٩٩٩ م.

وتكفي نظرة سريعة إلى الإعلام الروسي الذي يوضح خطورة التغلغل اليهودي فيه ، والذي زاد استفحالاً مع توجه أباطرة الاقتصاد والمال اليهود

لبناء إمبراطوريات إعلامية ، فالملياردير (بوريس بيرزوفسكي): [مزدوج الجنسية روسي إسرائيلي] سيطر على أكبر قناة تلفزيونية «القناة الاجتماعية الروسية ORT » وهي أكبر القنوات جذباً للمشاهدين ، وتستحوذ على ٣٧٪ من وقت الذروة ، كما تضم إمبراطوريته الإعلامية كذلك مجلة (أوجونيك) أو [القبس الأسبوعية] واسعة الانتشار. وعندما سئل «بيرزوفسكي» عن جنسيته المزدوجة ، قال: (إن كل يهودي يمكن اعتباره مواطناً إسرائيلياً بغض النظر عن المسائل الشكلية كالجنسية).

أما رئيس المؤتمر اليهودي الروسي (فلا ديمير جوسينسكي) فهو مالك مجموعة [موست المالية العملاقة] وتشمل إمبراطوريته الإعلامية: القناة التلفزيونية المستقلة NTV التي تستأثر على ٢٢٪ من المشاهدين وقت الذروة، وتشمل أيضاً جريدة شيفودنيا (اليوم) واسعة الانتشار ومحطة [يخوموسكفي] (صدى موسكو) بالإضافة إلى صحف وإذاعات محلية أخرى[١].

وينبغي أن نضيف إلى ذلك كله الوجود اليهودي المكثف في الإذاعات والقنوات التلفزيونية الأخرى ، حتى إن زعيم الحزب الشيوعي الدكتور (جينادي ريوجانوف) صرح قائلاً: [نريد أن نرى وجوهاً روسية في التلفزيون الروسي] ، أما الطابع الغالب على تناول هذه الوسائل الإعلامية للقضايا المتصلة بالعالمين العربي والإسلامي والصراع العربي الإسرائيلي ؛ فهو طابع التميز الصارخ ضد العرب والمسلمين ، والوقوف بشدة إلى جانب إسرائيل والصهيونية ، وبروح أكثر يمينية وتعصبية ، فالعرب في كثير من البرامج والكتابات «غير محبين للسلام» أو «ميالون للعنف والإرهاب» أو «متخلفون وأشرار».

أما عن موضوع العراق وصدام حسين فإن وسائل الإعلام والدعاية هذه لا تكل ولا تمل من ترديد وتكرار التشنيع والتزوير والكذب ، ولا يفوت يوم تصدر فيه جريدة أو مجلة دون أن يكون فيها

---

(١) جريدة الأهرام: ٢٧/ ١١/ ١٩٩٨ م.

موضوع أو مقالة عن صدام حسين ، وعن العراق الذي يهدد جيرانه ، ويريد القضاء على إسرائيل .

وتكثف وسائل الإعلام الروسية الصهيونية نشاطها الدعائي الكاذب ، فتصف إسرائيل بأنها واحة الديمقراطية وسط محيط من كثبان الدكتاتوريات العربية .

وتصف الكيبوتزات بأنها نموذج الاشتراكية ذات الوجه الإنساني ، وتصور حرب ١٩٤٨ م بأنها حرب استقلال ، والصهيونية حركة تحرير قومي للشعب اليهودي . . . . إلخ .

ومن لا يوافق على ذلك يوصم فوراً بتهمة العداء للسامية ، أو تلفق له تهمة كما حدث لرئيس الوزراء (يفجيني بريماكوف) الذي اتهمه (ديفيس ماريس) المدير التنفيذي للجنة اليهودية الأمريكية بأنه كان على علم مسبق بالهجومين اللذين استهدفا السفارة الإسرائيلية ومعبداً يهودياً في الأرجنتين عام ١٩٩٢ و١٩٩٤م ، وقال ديفيس : إن بريماكوف اعترف أمام وفد من اللجنة اليهودية الأمريكية في سبتمبر ١٩٩٤ م[١] بذلك .

وفي فبراير قالت الولايات المتحدة : إنها سوف تقيم الرقابة على محاكمة روسيا لمنظمة [شهداء يهوذا] وذلك بوساطة جماعات دينية وجماعات حقوق الإنسان[٢] .

وأثناء زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت ذكرت القادة الروس بأن هناك قانوناً يربط بين المعونة الاقتصادية وبين الحرية الدينية ، وشهداء يهوذا هؤلاء منظمة مقرها أمريكا ، ويقال : إنهم يبشرون بنهاية العالم ، وبدمار الحضارة ، وهي نفس اللوحة التي يقدمها أقطاب سينما هوليود والصهاينة في عهد «ستيفن سبيليرج» ، وقد دلت التحريات في كثير من أقطار العالم على أن «شهداء يهوذا» ينتزعون الأطفال من أسرهم أو من

---

(١) جريدة الأهرام : ٢٥/ ١١/ ١٩٩٨ م .

(٢) صحيفة هيرالدتربيون : ١١/ ٢/ ١٩٩٩ م .

معسكرات الإجازات الرياضية والرحلات ، ويسلطون عليهم الإرهاب النفسي بحيث يزرعون الرعب ومعاني العدمية وثقافة الموت في قلوب الصغار ، مما يجبر الأسر الثرية للقيام بدفع الجزية لهذا التنظيم .

وكانت النيابة الروسية قد أثبتت وقائع انتهاك «شهداء يهوذا» لقانون الأديان لعام ١٩٩٧ م ، بالتمييز بين الأديان وتفكيك العائلات ومنع العلاج الطبي لأنصارهم وذلك باسم دينهم ، وكان القانون الروسي الجديد الذي اعترف بحق جميع الأديان خاصة السماوية الثلاثة ، وكذلك البوذية في ممارسة شعائرها بحرية مطلقة ، مع منح الكنيسة الروسية الأرثوذكسية مكانة الصدارة في دعم الدولة بوصفها المؤسسة الدينية التي منها نبعت روسيا ، وقد رفض القانون نفسه الاعتراف بالتنظيمات التي تدعي صفة الدينية خاصة منظمة «شهداء يهوذا» إياها ، وباختصار شديد فإن ما يجري في روسيا هو تدمير الاتحاد السوفييتي السابق ، والإجهاز النهائي على موروثاته التقنية والعلمية والاقتصادية والعسكرية . . . إلخ .

وفي هذا السياق يزعم الصهاينة في روسيا اليوم أن الاتحاد السوفييتي السابق قد اقترف جريمة نكراء عندما استخدم تأثيره في الأمم المتحدة لاستصدار قرار اعتبر فيه الصهيونية حركة عنصرية ، وبناءً عليه تكون لجنة مناهضة الصهيونية التي كان يرأسها الجنرال اليهودي (دراجوفيسكي) معادية للسامية[١] .

ولا تزال وسائل الإعلام والدعاية الصهيونية في روسيا تكرر التذكير حتى يومنا هذا بأنها إرادة الآلة الجهنمية لمؤسسات الإعلام والدعاية الصهيونية ؛ التي أصبحت تلاحق كل من يميل ، أو يحيد شعرة واحدة عن خدمة الصهيونية العالمية وإسرائيل في غدوه ورواحه .

واستكمالاً لما سبق نذكر بعض الأمثلة على البجاحة والغرور الإسرائيلي

---

(١) السوفييت والصهيونية: من كتابات المستشرقين السوفييت ، ترجمة سعد رحمي ومحمد المهندي: ص ٤٧ .

في التسعينيات بعد أن أصبح العالم ساحة مفتوحة أمام العبث الصهيوني نتيجة حرب الخليج الثانية، وانهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية، فنالت أكثر الشخصيات والحكومات تأييداً للصهيونية، وتعاطفاً مع إسرائيل، منها مثالان من أمريكا والثالث من النمسا:

- **الأول**: الفضائح التي فجرتها وسائل الإعلام والدعاية الصهيونية في وجه الرئيس «كلينتون»، وعلى رأسها الفضيحة التي أصبحت تعرف «بمونيكا ليونسكي» التي هزت كيانه ومكانته العالمية، وكادت تطيح بمستقبله السياسي، لا لشيء إلا لأنه كان ينوي ممارسة بعض الضغوط الخفيفة على رئيس الوزراء الإسرائيلي «بنيامين نتنياهو» لتنفيذ بعض الاتفاقيات التي تم إبرامها بين الجانب الفلسطيني والإسرائيلي، وتخفيف قبضة الجيش الإسرائيلي على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة حتى لا يتفجر الوضع.

ورغم أنها كلها تصب في خانة المصالح الصهيونية والأمريكية، فقد استخدمت إسرائيل اللوبي الصهيوني ووسائل إعلامية في الولايات المتحدة غير ملتفتة إلى خدمات «كلينتون» للكيان الصهيوني، التي لم ينافسه فيها أي رئيس أمريكي سابق، كان أهمها جمع أكثر من ٤٠ رئيس دولة وحكومة من مختلف دول العالم لعقد مؤتمر في شرم الشيخ في ربيع ١٩٩٦ م الخاص بمكافحة الإرهاب الإسلامي كما أطلق عليه «بيريز»، فقد قام «كلينتون» بلبس القلنسوة اليهودية، وذهب بنفسه إلى إسرائيل لإظهار تضامنه إثر العمليات الاستشهادية لعناصر جهادية فلسطينية، وقدم معدات خاصة بمكافحة الإرهاب على حد تعبيره قيمتها ١٥٠ مليون دولار، ومعدات أخرى نقلتها طائرتان أمريكيتان بصحبة فريق كبير، ضم عناصر قيادية في السي آي إي وعناصر استخباراتية من فروع مختلفة في الولايات المتحدة، ناهيك عن المساعدات والمواقف الداعمة لإسرائيل، والتأكيد في كل مناسبة على تفوقها النوعي على كل جيرانها وضمان أمنها، وبالفعل فقد تحول من كان المفروض أن يضغط إلى مضغوط عليه، إذ إنَّ «نتنياهو» أثناء

زيارته لواشنطن وبعد لقائه «كلينتون» ، خرج على العالم في مؤتمر صحفي عقده في العاصمة الأمريكية قال فيه: «إنه قد حاول أن يهدئ من روع الرئيس المأزوم ، ويشجعه على مواجهة العاصفة!!».

ـ **الثاني**: هو موقف زوجة الرئيس كلينتون نفسه التي أعلنت تأييدها عام ١٩٩٧ م لقيام دولة فلسطينية ولحقوق الشعب الفلسطيني في كل الأراضي التي نصت عليها القرارات ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ثم عادت وتراجعت عندما قررت ترشيح نفسها لعضوية الكونجرس عن مدينة نيويورك ، والتي يسكنها أكثر من ٣ مليون يهودي ، فأعلنت أنها لا تؤيد قيام دولة فلسطينية ، وأنها ستطالب الكونجرس في حال نجاحها في عضويته بضرورة الإسراع بالاقتراع على نقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

إنها ضغوط الدعاية الصهيونية والكيد اليهودي ؛ الذي أصبح يغير الآراء والأيدلوجيات ، ويدوس على القيم والأخلاق، ويغتال ما تبقى من الضمائر الحية لدى بعض القادة السياسيين في الغرب ، ويحول الديمقراطية الغربية المزعومة إلى ابتذال ونفاق.

وأعتقد لو أن ما حدث للرئيس الفرنسي جاك شيراك أثناء زيارته للقدس بعد الانتخابات الإسرائيلية ؛ التي أوصلت نتنياهو إلى سدة السلطة كان في دولة عربية لتحركت الأساطيل الفرنسية والغربية لضرب هذا البلد انتقاماً وثأراً لشرف الرئيس ودولته ، فقد شاهد العالم على شاشة التلفزيون انفعال شيراك وهو يشتبك بالأيدي مع الشرطة الإسرائيلية ؛ التي منعته من التحدث مع الجماهير الفلسطينية أثناء زيارته لأحيائهم في القدس الشرقية.

ـ **الثالث**: وقد نبع من صميم سياسة الابتزاز والتبجح الصهيوني في ظل النظام العالمي الجديد ، وبلغ الأمر بالصهيونية الإسرائيلية إلى التدخل المباشر في شؤون داخلية لدولة أخرى ذات سيادة وبعيدة عنها كل البعد.

فبينما أظهرت النتائج شبه الرسمية للانتخابات البرلمانية التي أجريت في النمسا في ٣/ ١٠/ ١٩٩٩ م فوز الحزب الديمقراطي الاشتراكي الحاكم ،

وحصول كل من حزب الأحرار اليمين المتطرف وحزب الشعب المحافظ على عدد المقاعد نفسه داخل البرلمان الجديد (٥٢ مقعداً) وذكرت وكالة أنباء «إيه بي إيه» والإذاعة النمساوية أنه بعد استكمال فرز أصوات الناخبين بالخارج ، والذي وصل عددهم إلى ٢٥٠ ألف صوت خرج الحزب الحاكم بزعامة المستشار النمساوي (فيكتوركليما) بأكبر تكتل داخل البرلمان الجديد ، وشغل ٦٥ مقعداً من بين مقاعد البرلمان البالغ عددها ٨٣ مقعداً ، فقد صرح «ديفيد ليفي» وزير الخارجية الإسرائيلي أنه لا يستبعد قطع إسرائيل علاقاتها الدبلوماسية مع النمسا إذا شارك حزب الشعب اليميني المتطرف في الحكومة[١]. وزعم أن المتحدث باسم الحكومة النمساوية قد رد قائلاً بأن النمسا بلد ديمقراطي يعمل وفقاً للقيم الأوروبية ، إلا أن نوعاً من الارتباك ساد الدولة النمساوية ، فرئيس الدولة لم يكلف (كليما) صراحة بتشكيل الحكومة وفقاً لنتائج الانتخابات ؛ التي تعبر عن رغبات الناخبين ، والذي يفترض أن يشارك فيها حزب الأحرار اليميني الفائز بالمركز الثاني بعد أن تراجع حزب الشعب المحافظ إلى المركز الثالث ، وظلت مسألة تشكيل الحكومة إلى أكثر من شهر تشكل مشكلة لم يبت فيها حتى تاريخ كتابة هذه السطور في ١٢/ ١١/ ١٩٩٩ م وبهذا تكون إسرائيل قد بدأت تتدخل ليس فقط في شؤون الحكومات ، ولكنها تتحكم في إرادة الشعوب.

*** النظام العالمي الجديد والدعاية الصهيونية ضد الإسلام في التسعينيات:**

تعتبر الصهيونية من أخطر أعداء الإسلام بما تفرضه من قهر سياسي وقسر فكري وتمايز عنصري ، وتتضح كل هذه المعاني في «بروتوكولات حكماء صهيون» فهي تعتمد على تقويض المجتمع العالمي ، والزج به في خلافات لا نهاية لها ، وتعمل على إشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية في المجتمع الواحد ، وبين المجتمعات المختلفة والمتباينة في النواحي

---

(١) جريدة الأهرام: ١٣/ ١٠/ ١٩٩٩ م.

العقائدية والثقافية ، وسبيلها إلى ذلك السيطرة على وسائل الإعلام والاتصال في العالم كله ، وفي أوربة وأمريكا بصفة خاصة بهدف تحقيق الدعاية المنظمة التي تتصل بأجهزة الإعلام والاتصال بالجماهير من أجل اغتصاب العقل البشري والسيطرة عليه[1] ، سواء أكانت الأجهزة منظمات يهودية سافرة ، أم منظمات اجتماعية سرية أو علنية ، كالمجتمعات الماسونية ، وفرسان المعبد ، وجماعات الصليب الوردي ، ويهود شهداء يهوه والكياك ، وغيرها من الهيئات والمنظمات والجمعيات التي بثوها في أقطار العالم ، يعملون فيها على وأد الشعور الديني لدى المنتسبين إليها من شتى الأجناس والأديان.

ومن خلال سيطرة اليهود على وسائل الإعلام كالإذاعة والصحافة والتلفزيون والسينما ، ووكالات الأنباء التي يقومون باستخدامها في الحرب النفسية ، وإشاعة الفوضى الشاملة ، وإثارة القتل والوقيعة بين شعوب العالم والدول، والتي هي من الأهداف الأساسية لـ«بروتوكولات حكماء صهيون».

لقد كشف الحاخام عمانوئيل رابينوفش عن خطة الصهيونية في خطاب بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست عام ١٩٥٤ م حيث قال: «هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠ م؟ لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا وعلى الألمانيين في أمريكا ، وهذا ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقد سارعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم ، فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة ، وفي الوقت نفسه أثرنا في الولايات المتحدة شعوراً بالخوف والتوجس إزاء الشيوعية ، ومن شأن هذه الحملات أن تؤدي إلى دفع الدول الصغيرة إلى تحديد موقفها إما مع روسيا أو مع أمريكا».

إن أتباع الصهيونية دائماً ضالعون في كل حركة تخريب في العالم ، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى بإذكاء أوارها انتقاماً من روسيا ؛ التي

---

(١) الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال ، د. عبد العزيز شرف: ص ١٢١.

تصدت لليهود وانتقمت منهم ، وقد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية بإقراض الدول بالربا الفاحش ، وترويج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها ، والقضاء على شعوب أوربة ، وتقويض دولها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً واجتماعياً. أما الجانب الديني فقد أفلح الصهاينة في الإضرار بالمسيحية التي لا يفصلهم عن انهيارها سوى بضع سنوات ـ كما يقول البروتوكول السابع عشر ـ وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك ، ومن هنا كان الإسلام بعد المسيحية المجال الرئيسي الذي كرست له الصهيونية نشاطها للنيل منها بدأب حثيث ، وكانت محاربتهما هدفاً لليهود منذ أزمان سحيقة، ففي التلمود يُعدُّ المسيح كذاباً، وحيث إن محمداً اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول.

ومن هذا المنطلق تأتي الحملة الدعائية ضد الإسلام وترسيمه بديلاً عن الشيوعية في عدائه للمسيحية وللحضارة الغربية بعد انهيار الاتحاد السوفيتيي وحرب الخليج الثانية ، وما أعقبهما من متغيرات على مستوى المنطقة والعالم.

وكانت الكتابات التمهيدية لتنصيب الإسلام في مكان العدو الأول للمسيحية والليبرالية الغربية بصورة غير مباشرة قد ظهرت قبل ظهور نظرية صراع الحضارات ، وصوغها بشكل مباشر في كتاب هنتجتون ، إذ كتب فرانيس فوكوياما في كتابه «نهاية التاريخ وخاتمة البشر» يقول: (في نهاية التاريخ ليس ثمة متنافسون أيديولوجيون للديمقراطية الليبرالية) ، وقد رفض الناس في الماضي هذه الديمقراطية الليبرالية لاعتقادهم أن الملكية والأرستقراطية والثيوقراطية أو الحكومة الدينية والشمولية الشيوعية وسائر الأيدلوجيات التي اتفق أن آمنوا بها أفضل منها ، أما الآن فيبدو أن ثمة اتفاقاً عاماً ـ إلا في العالم الإسلامي[1] ـ على قبول مزاعم الديمقراطية والليبرالية

(١) نهاية التاريخ ، فرانسيس فوكوياما: ص ١٨٩.

بأنها أكثر صور الحكم عقلانية ، وهي صورة الدولة التي تحقق أقصى حد ممكن في إشباع كل من الرغبة العقلانية والاعتراف العقلاني.

أما (هموبل هانتجتون) فيذكر في كتابه [الموجة الثالثة ، التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين] وتحت عنوان (مزيداً من التحول الديمقراطي ، العقبات والفرص) ما يلي:

لم تكن الديمقراطية قائمة في ثلثي دول العالم حتى عام ١٩٩٠ م وهذه الدول تندرج في فئات جغرافية ثقافية أربع هي:

١ ـ أنظمة ماركسية محلية تشمل الاتحاد السوفييتي، حيث حدث التحول الليبرالي في الثمانينيات، وتوافرت الحركات الديمقراطية في العديد من الجمهوريات ، إلا أن القوى المحافظة ظلت على قوتها (ويقصد هانتنجتون بالقوى المحافظة الدول الإسلامية المنفصلة عن الاتحاد السوفييتي).

٢ ـ الدول الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى ، وقد ظلت باستثناءات قليلة إما ديكتاتوريات فردية ، أو أنظمة عسكرية ، أو أنظمة أحادية الأحزاب ، أو مزيج من هذه جميعاً.

٣ ـ الدول الإسلامية الممتدة من الغرب حتى إندونيسيا ، حيث لا تتوافر الديمقراطية باستثناء تركيا[١] ، ومن هنا تصبح نظرية هانتجتون واضحة الأهداف ، من خلال تغييرها للحقائق ؛ إذ أصبح النظام العسكري المتسلط هو الذي غالباً ما يجهز على الحكومات المنتخبة ، ويلغي الأحزاب التي لا تروق له ، إضافة إلى أن حقوق الإنسان السياسية والشخصية ملغاة كما حدث مع النائبة الإسلامية (مروة) التي منعت من دخول البرلمان وعلى رأسها الخمار ؛ الذي ترتديه من باب الحشمة ، ومراعاة للتعاليم الإسلامية ، ثم يضع بين قوسين عبارة: (ولو أن عدداً من هذه الدول اتجه إلى التحول الليبرالي بعد عام ١٩٩٠ م).

---

(١) الوجه الثالث [التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين] ، هاموبل هانتجتون ، ترجمة د. عبد الوهاب غلوب: ص ٣٨٤.

ويعني الدول التي شاركت في التحالف الدولي ضد العراق ، وأيدت مؤتمر مدريد ، وهللت لانهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية ولو دون وعي؛ فمن الممكن أن يترتب على ذلك الانهيار مستقبل العالم ، ومنها الدول التي وصفها هانتجتون بأنها قد تحولت إلى الليبرالية ، ويقول في هذا الصدد: «كانت الأصولية الدينية سائدة كأوضح ما تكون في إيران ، إلا أن كلاً من الحركات الأصولية السنية والشيعية قد تصل إلى السلطة في دول أخرى».

أما في كتابه (صدام الحضارات) فقد وضع [هانتجتون] الإسلام في المواجهة مع الغرب ، وصور الدينين المسيحي والإسلامي بأنهما في حالة صدام حضارات ، ولا يمكن أن يتعايشا معاً على هذا الكوكب ، وإذا ما أريد للحضارة الغربية الاستمرار في النبوغ والازدهار فإن عليها أولاً ـ وقبل كل شيء ـ أن تقضي على خصمها اللدود الإسلام والكونفوشية ، أو أن تجعل حركتهما محدودة غير قادرة على التطور والنمو في أسوأ الأحوال.

ورغم أن التاريخ الأوربي لم يشهد منذ العصور الوسطى أي فترة أتت فيها دراسة ، أو تناول للإسلام بصفة عامة بعيداً عن الإطار الذي فرضته المصالح السياسية والتجهيزات المسبقة ، فإن الدعاية الصهيونية ومن خلال سيطرتها شبه الكاملة على الإعلام الغربي ؛ صارت تنفخ في كير الإعلام الغربي أكثر فأكثر منذ منتصف الثمانينيات ؛ بعد أن بدأت ملامح الانهيار السوفييتي والاشتراكي تلوح في الأفق ، حتى بدأ الاعتقاد يسود عند الكثيرين في الغرب بأن الإسلام دين شيطاني مغلف بالردة والكفر والغموض ، ولم يعد يعرف عن العرب والمسلمين حديثاً إلا أنهم يقتل بعضهم بعضاً ، ويغزو بعضهم بعضاً (وفي هذا يضربون مثلاً باحتلال القوات العراقية للكويت) أو أنهم موردين للنفط ومصدرين للإرهاب ، ويظهر الإسلام في الإعلام الصهيوني والغربي في صورة محدودة ، يتم ترويجها ، ويجري حصر رسالة الإسلام ومعانيه في قوالب جامدة ومشوهة بعيداً عن

الأبعاد الإنسانية التي تميز الدين والحياة في العالمين العربي والإسلامي.

وقد أدت ضغوط الدعاية الإعلامية الصهيونية المستمرة التي تدمغ الإسلام بالتطرف والعنف، ليس فقط إلى ما تمليه المفاهيم المسبقة لدى صانعي القرار السياسي، وإنما أيضاً إلى خلق صورة إعلامية مشوهة، يتم ترسيخها في الثقافة الصهيونية والغربية مع ترويجها جماهيرياً.

وأضحى الإسلام يتعرض لحملة خطيرة من جراء استجابة الإعلام الغربي للدعاية الصهيونية؛ التي حاولت وتحاول أن تخلق إجماعاً على أن الإسلام يمثل تهديداً للحضارة الغربية، كما يروج له الصهيوني هامويل هانتجتون.

وهكذا بدلاً من الخطر الأممي [الشيوعية] في فترة الحرب الباردة، أصبح يزعم أن ما يسمى الخطر الأخضر [الإسلام] هو السرطان الذي ينتشر حول العالم مهدداً القيم الغربية، وممثلاً العدو الطبيعي للغرب.

إن سيطرة الصهيونية العالمية ودولة إسرائيل على القنوات الأساسية للجهاز الثقافي؛ التي تنقل صورة العرب والمسلمين إلى الأوربيين والأمريكيين تتضمن:

شبكات الإذاعة والتلفزيون والصحف اليومية والمجلات الإخبارية سريعة الانتشار والأفلام السينمائية.

وتشكل هذه الآلة الإعلامية الهائلة ـ إضافة إلى الاتصال المباشر النشيط للمنظمات الصهيونية ـ مصدر التفسيرات التي تقدم صورة العرب والمسلمين، وتعكس بلا شك المصالح الإسرائيلية التي تخدمها وسائل الإعلام هذه.

وتتسم بالأهمية عدة موضوعات وقضايا عامة في معالجة الظاهرة الإسلامية في المقالات والتعليقات بمختلف وسائل الإعلام الغربية؛ إذ تنزع إلى المبالغة غير الإنسانية والخطر في وصف الأصولية الإسلامية بأنها تمثل خطراً أكبر من الخطر الأحمر في فترة الحرب الباردة، فهي تردد أن

الخطر الأخضر الذي يقصد به الإسلام ، أصبح يوصف بأنه سرطان ينتشر في العالم مهدداً القيم الغربية ، وبدلاً من موسكو صارت طهران مركز التهديد الأيديولوجي الجديد.

ومثلما وصفت الشيوعية باعتبارها مرضاً ، صارت الأصولية الإسلامية توصف بأنها طاعون يصيب العالم الإسلامي بالكامل من المغرب إلى الهند.

هكذا ـ كما سبق وأن قلنا ـ يحل عداء الغرب لما يسمى بالخطر الإسلامي محل العداء للخطر السوفييتي في زمن الصراع بين الشرق والغرب ، أو بين السوفييت والولايات المتحدة الأمريكية ، ويحل التهديد الإسلامي محل التهديد السوفييتي بعد نهاية الحرب الباردة ، ويشار على الدوام إلى أن الإسلام هو العدو الطبيعي للغرب.

وكما أسلفنا: إن الصهيونية تدفع بشخصيات ثقافية وعلمية لامعة بالترويج لدعايتها ، أو لاستعداء العالم لخصومها ، وحتى يكون رجع الصدى إيجابياً لكتاباتهم أو مقولاتهم أو مقالاتهم التحريضية على العرب والمسلمين ، وبأساليب ملتوية ، فقد ضم هانتجتون في كتابه «صراع الحضارات» الكونفوشية إلى جانب الإسلام في صراعها الحضاري مع الغرب ، ففي مقالته الشهيرة بمجلة Foregnaffairs يشير هامويل هانتجتون: (إلى أن الصراع الإسلامي ـ الغربي سيصبح جزءاً أساسياً من السياسة الدولية في المستقبل المنظور).

ويضع مقال هانتجتون [صدام الحضارات] تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صراع الحضارات محل الحرب الباردة والمعارك الأيديولوجية حول الفاشية ، والشيوعية ، والديمقراطية التي سيطرت على معظم هذا القرن.

ويتوقع هانتجتون أن يميل الناس إلى تعريض أنفسهم وفقاً لانتماءاتهم الحضارية: الغربية ، الإسلامية ، الكونفوشية ، الصينية ، الأمريكية اللاتينية والسلافية الأرثوذكسية. . . إلخ.

وسيظهر الصراع عند نقاط التقاطع ، ويرى هانتجتون أن الصراع

الإسلامي الغربي هو الأكثر استمرارية ، بينما يرى أن الصراعات الحضارية الأخرى مثل الصراع بين أمريكا الشمالية الغربية وأمريكا اللاتينية ، أقل قابلية للتفاهم وأكبر قابلية للحلول الوسط ، هذه الحلول الوسط التي لا يمكن أن يوجد لها مكان مع وجود الأصولية الإسلامية بالذات ، وهو لا يتكلم عن الأصولية المسيحية ؛ التي كانت الأساس لإطلاق هذا التعبير الذي يرجع إلى سلسلة الكرامات الدعائية البروتستانتية التي نشرت في الولايات المتحدة في عام ١٩١٠ م ، واستخدمت التعبير بعد ذلك دول بروتستانتية أخرى للإشارة إلى جماعات معينة انحرفت عن اتجاه الكنائس الرئيسية ، ورفض هذا الاتجاه الفكر الديني ، ونقد الإنجيل ، وأصر على تأليه النص الإنجيلي في الوقت نفسه .

هذا وقد كتبت (جوديث ميللر) من وجهة نظر صهيونية إسرائيلية تحرض الغرب لاستعداء العرب وإيران فتقول : [إن هؤلاء الذين يوقنون بحقوق الإنسان العالمية (وخاصة حقوق المرأة) ، والحكومات الديمقراطية ، والتسامح والتعددية السياسية والسلام بين العرب وإسرائيل ؛ لا يمكن أن يتهاونوا بشأن القوة المتزايدة لحركات العنف الإسلامي في معظم دول الشرق الأوسط ، أو بشأن الروابط المتقدمة والمتزايدة بين هذه الحركات وبين إيران والسودان] .

وتدعو ميللر الحكومات الغربية إلى ضرورة محاربة هذه الحركات [وهو ما يعني الحد من قدرتها الجهادية ، وشل حركتها النضالية ضد الاحتلال الصهيوني] .

وترى ميللر أن هذه الحركات هي حالياً ، وستبقى مستقبلاً ، معادية للغرب ومعادية للولايات المتحدة ومعادية لإسرائيل .

غير أن مفكرين غربيين آخرين يقفون على النقيض من فرضية هانتجتون ورؤية ميللر فيرون أن العلمانية المتطرفة كانت من العوامل الأساسية وراء ظهور الأصولية كرد فعل ، وتعد رؤية الاثنين رؤية متحيزة ضد العالم

الإسلامي ، وتمثل الاتجاه الغربي الإسرائيلي ، وهدفها ترويجي وتحريضي عنصري.

ويقول (جون أسبوزيتو): إن اعتبار الإسلام عدواً للغرب يهدد مصالحه هو مبالغة وتحريف لطبيعة الإسلام ، إلى جانب كونه إنكاراً للحقائق الأساسية للعالم الإسلامي ، وعلاقاته المختلفة بالغرب[1].

ويعتبر شيمون بيريز أكثر الساسة الصهاينة ترويجاً للدعاية التي تصور الإسلام شبحاً يخيف العالم كله ، ومنطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص ، إذ يصف الإسلام بأنه سيف مسلط ضد الحضارة الإنسانية ، ففي أواخر عام ١٩٩٥ م ، عندما كان يشغل منصب رئيس وزراء إسرائيل وقف يتحدث في نادي الصحفيين الأجانب في واشنطن ، وتطرق إلى مفهومه للعدو الجديد إذ قال: علينا أن نحاول إعداد أنفسنا للسُّحُب الجديدة التي تحمل الخطر لسموات الشرق الأوسط ، وهو التطرف الإسلامي ؛ الذي هو واحد من أخطر التحديات في عصرنا الراهن ، وهو أن نسيطر على انتشار الأسلحة النووية حتى لا تسقط في أيدي المافيا أو حكومات المافيا أو أشخاص غير مسؤولين ، ويعني بيريز بالمافيا المنظمات الجهادية مثل حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله ، أما حكومات المافيا فهي إيران والسودان ، وهما الدولتان المتهمتان بدعم المنظمات الإسلامية وإيوائها ، أما مفهومه للعدو الجديد الذي لم يفصح عنه في خطابه هذا صراحة فقد أصبح واضحاً من خلال طروحاته السابقة ، ومما قاله غيره وصرحوا به وكتبوا عنه بأنه حل محل الخطر الشيوعي ، أو كما أطلق عليه البعض: إحلال الخطر الأخضر مكان الخطر الأحمر.

أما [نيوتن بينجرش] رئيس مجلس النواب الأمريكي فقد قال في كلمته: إننا ونحن نتحدث عن عصر ما بعد الحرب الباردة ، نجد أنفسنا نتكلم عن عصر الإرهاب ، ونحن هنا نتساءل عما إذا كان الإرهاب سوف يستخدم في

---

(١) جريدة الأهرام: ١٨/٨/١٩٩٣ م.

وقت ما خلال العشرين سنة القادمة سلاحاً من أسلحة الدمار الشامل ، ولا يبعد مفهوم الرئيس كلينتون في هذا الصدد عن المفاهيم السابقة ، والتي تؤكد وجود تطابق كبير وخيوط تصل بين مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي بمفهوم الأمن القومي الأمريكي.

وفي اعتقادي أن ما حدث في ١٨ أبريل عام ١٩٩٦ م عندما قتل الجيش الإسرائيلي ١١٧ مدنياً في قرية قانا ، وبعد لجوئهم إلى قاعدة قوات الأمم المتحدة في عملية أطلق عليها شيمون بيريز بعملية عناقيد الغضب ؛ كان قد سبق التمهيد لها إعلامياً ودعائياً ، وأن هذه العملية ما هي إلا جزء من محاولة تبديد السُّحُب الجديدة في سماء الشرق الأوسط ، كما سماها شيمون بيريز.

ومن الأمثلة الكثيرة على محاولة الدعاية الصهيونية تشويه سمعة العرب والمسلمين هو حادث (أو كلاهوما) في أبريل عام ١٩٩٥ م فما أن انفجرت السيارة المفخخة في وسط مدينة أو كلاهوما حتى انطلقت هستريا الإرهاب الإسلامي الشرق أوسطي ، وفي خلال ساعات قليلة استدعت شبكة (سي. بي. إس) فؤاد عجمي وستيف إيمرسون للظهور على شاشة التلفزيون ضمن نشرة الأخبار المسائية لكي يعلنا للعالم أن الحادث من صنع إرهابيين من بيروت أو غزة أو الاثنين معاً.

واستمرت وسائل الإعلام بما في ذلك نيويورك تايمز خلال ٤٨ ساعة على الأقل تبث أخباراً حول أن الشرطة تبحث عن رجلين شرق أوسطيين ، وكتب (أي إم روزنتال) رئيس تحرير النيويورك تايمز ـ وهو يهودي صهيوني ـ مقالاً يدعو فيه إلى قصف ليبيا وسورية[١].

وتعرض العرب والمسلمون للمطاردة والإرهاب والهجمات في أنحاء البلاد ، وتم التحقيق مع الكثير منهم ، واتضح أخيراً أن الفاعل شاب من المارينز ضمن منظمة أمريكية دينية.

---

(١) نيويورك تايمز: ١٢/ ٤/ ١٩٩٥ م.

لقد استخدمت الدعاية الصهيونية وبسرعة في خلال الـ ٤٨ ساعة قبل الإعلان عن الجاني الحقيقي كل أساليب التشنيع والتشهير ، وعن طريق كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ، فكما كتب (روزنتال) في النيويورك تايمز بثت قنوات يملكها الصهاينة أخباراً تؤكد أن الفاعلين عرب من الشرق الأوسط ، وبعضها حدد بيروت وغزة ، وبثت قنوات أخرى أفلاماً كرتونية وغير كرتونية تعرف بالنموذج الشرق أوسطي ؛ الذي يحاول أن يقتل كل الأخيار ؛ واشتركت معظم وسائل الإعلام الأمريكية في تعزيز الصورة عن العرب ونماذج شرق أوسطية ، أما السيناتور (ديف ماكوري) فقد ذهب إلى القول بأن أوكلاهوما استضافت لتوها مجموعة من الزعماء المسلمين ، وأنه ينبغي أن يعاملوا كمشتبه بهم ؛ لأنهم كانوا موجودين وقتها في أوكلاهوما[1].

ولم يقتصر الأمر على الأساليب الدعائية التي تبنتها وسائل الإعلام والاتصالات الشخصية ، بل وصل الأمر إلى التطاول على الدين الإسلامي ، والاستعداء لمشاعر العرب والمسلمين ، فقامت إحدى المستوطنات ، وهي قادمة من الاتحاد السوفييتي السابق بنشر ملصقات تسيء للرسول ﷺ وإلى الدين الإسلامي في مدينة الخليل.

وفي عام ١٩٩٦ م قامت مجموعة من الصهاينة بذبح خنزير ورمت رأسه في الحرم الإبراهيمي ، وقبلها قام جنود الاحتلال بمهاجمة مدرسة بالخليل ومزقوا المصاحف وداسوا على بعض أوراقها ، وقد قوبلت كل هذه العمليات الإجرامية بالشجب في كل العواصم العربية والإسلامية كما هي العادة ، والتي لا تؤثر من قريب أو بعيد ، ولا تغير من الأساليب الصهيونية المعادية للإسلام والمستخفة بكل شيء.

إن تحقير الأديان السماوية الأخرى ليست جديدة على اليهود ، بل هي عقيدة تلمودية عنصرية مترسخة في عقول الإسرائيليين جنوداً ومستوطنين

---

(١) نيويورك تايمز : ١٢/ ٤/ ١٩٩٥ م.

ومسؤولين ، وهي نابعة من المفاهيم والكتب المدرسية الرسمية ، ولكن الشيء الذي يؤسف له هو أن المنظمات الجهادية التي تقوم بواجبها نحو أمتها ودينها ، وتقوم بما عجزت عنه الجيوش العربية والإسلامية أصبحت هدفاً للإعلام العربي والإسلامي قبل أن تكون هدفاً للإعلام الصهيوني - الغربي ؛ الذي اختزلها إلى مجرد حركات تمارس القتل وبالذات حركة حماس ؛ التي قام بعض المجاهدين في صفوفها بالتضحية بأنفسهم في عمليات هزت الكيان الصهيوني والإمبريالية الأمريكية ؛ التي سارعت هي وغيرها من الدول الغربية إلى الدعوة إلى مؤتمر شرم الشيخ في مارس ١٩٩٦ م الذي أرادت له أن يكون مؤتمراً لإدانة الإسلام ؛ لولا جهود الرئيس مبارك الذي أصر على أن لا يكون هذا المؤتمر تحت مسمى [مؤتمر مكافحة الإرهاب الإسلامي] بل مكافحة الإرهاب بشكل عام.

إذن: إن الأمة العربية والإسلامية ستظل هدفاً سهل الاصطياد للصهيونية والإمبريالية الأمريكية ؛ طالما ظلت العلاقات بين بعض أنظمتها من جانب وبين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر علاقة السيد والمسود.

وستظل عملية النهوض والارتقاء بالكرامة العربية الإسلامية مرهونة بالندية في التعامل مع الآخرين ، وبالاستخدام بالمثل لما يملكه العرب والمسلمون من طاقات مادية وبشرية وقيمية في تعاملهم مع الدولة الصهيونية ، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: الإعلام الصهيوني وأساليب دعايته ، الدكتور محمد حوات: ص ١٦٠ ـ ٢٠٠.

obeikandl.com

الباب الثالث: نظرية الإعلام في القرآن الكريم

الفصل الأول: القرآن الكريم ونظرية الإعلام الإسلامي.

الفصل الثاني: أساليب الإعلام في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: بعض عناصر الإعلام القرآني.

الفصل الرابع: عقل الإنسان هو هدف الإعلام القرآني.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
القرآن الكريم ونظرية الإعلام الإسلامي

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . ﴾[1] .

بهذه الآيات الكريمة افتتحت الدعوة المحمدية ، أو الرسالة الإسلامية التي حمَّلها الله سبحانه وتعالىٰ لرسوله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ ، وكلفه بتبليغها للناس كافة ، والإعلام عن الدين الحق والإلٰه الواحد الذي لا شريك له ولا ولد .

وكان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[2] .

وكان رسول الله ﷺ قد خرج إلىٰ غار حراء كعادته في تلك الفترة التي كان يعتزل الناس فيها ، ويقضي الليالي ذوات العدد متعبّداً متحنّثاً متأملاً في الكون مناجياً اللهَ سبحانه وتعالىٰ ، ففاجأه جبريل عليه السلام بأمر الله جل جلاله ، قال رسول الله ﷺ :

«فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . . . فقال : اقرأ ،

---

(١) العلق : ١ ـ ٥ .

(٢) القدر : ١ ـ ٥ .

فقلت: ما أقرأ؟ قال: فغطَّني به حتىٰ ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ما أقرأ؟ قال: فغطَّني به حتى ظننتُ أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ما أقرأ؟ فغطني به حتىٰ ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ماذا أقرأ؟ فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ . . .﴾ ، قال: فقرأتها ، ثم انتهىٰ فانصرف عني ، وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً ، قال رسول الله ﷺ: فخرجت حتىٰ إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ؛ فإذا جبريل في صورة رجل صافٌّ قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال ﷺ: فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما أتأخّر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي ؛ حتىٰ بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلىٰ مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني»[1].

وقد أجمع المفسرون علىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: اقرأ مبتدئاً باسم ربك ، و﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ أي الذي لا يُدانى كرمه مهما كان ، و﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ أرشد ووفق إلىٰ الكتابة به ، وفي هذا تنبيه علىٰ فضل الكتابة ، فما دوّنت العلوم ولا ضبطت كتب الله تعالىٰ المنزلة إلا بالكتابة ، ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا و﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أي علمه ما لم يكن يعلم ، أو عرفه ما لا يستطيع معرفته بقواه البشرية المحدودة ، وإن من ينظر إلىٰ الكهرباء واللاسلكي والصواريخ الموجهة بالطائرات التي تخترق حاجز الصوت والإذاعات المرئية المسموعة والأقمار الصناعية ورحلات الفضاء ، وكل وسائل الاتصال وغيرها من خوارق

---

(١) للتوسع يراجع: صحيح البخاري: ٩/ ٣٧ ، صحيح مسلم: ١/ ١٤٠ ، مسند الإمام أحمد: ٦/ ٢٢٣ ، سنن البيهقي: ٧/ ٥١ ، مستدرك الحاكم: ٣/ ١٨٣ ، طبقات ابن سعد: ١/ ١٩٤ ، عيون الأثر: ١/ ٨٣ ، البداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ١٣ ، تاريخ الطبري: ٢/ ٢٩٨ ، سيرة ابن هشام: ١/ ٢٥٧.

الصناعات والمعلومات والتكنولوجيا الحديثة ، يعلم حق العلم أن العقل البشري مهما سما ، وارتفع ، وتوغل في دنيا العلوم فهو عاجز قاصر ؛ لا يستطيع أن يحقق شيئاً من المعرفة بغير إلهام وتعليم من العليم الخبير عز وجل.

ولا شك أن افتتاح الرسالة المحمدية بكلمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ يعني التأكيد علىٰ اقتران العلم بالدين ، وارتباطه بالدعوة والإعلام الإسلامي ، وبيان أن العلم أساس للحقائق الكونية كلها ، وأن العلم بالله أو معرفة الله سبحانه وتعالىٰ هي رأس جميع الحقائق الكونية. إن الله يأمر بالقراءة التي هي أهم وسائل العلم وأولها ، وقد كرر الأمر بالقراءة مرتين ، وذكر العلم ثلاث مرات ، وذكر القلم مرة في هذه السورة ، ثم ذكره بعد ذلك عندما أقسم سبحانه قائلاً: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1].

والعلم في الإسلام من وسائل تثبيت الإيمان ، والعلماء هم أعرف الناس بالله ، وأكثرهم خشية له جل جلاله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2] وللعلماء عند الله مكانة لا يرقىٰ إليها غيرهم ، فهو سبحانه يقول: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[3].

ولقد أمر الله رسوله الكريم ﷺ أن يلجأ إليه داعياً أن يزيده علماً ، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[4].

والآيات القرآنية في فضل العلم ، وفي الحضّ علىٰ التعلّم ، وفي تقدير العلماء كثيرة.

والعلم الذي يدعو إليه الإسلام ليس قاصراً علىٰ الدين وحده ، وإنما هو العلم بمعناه الواسع ، والله سبحانه وتعالىٰ يدعونا إلىٰ التأمّل في خلق

---

(١) القلم: ١ ـ ٢.
(٢) فاطر: ٢٨.
(٣) آل عمران: ١٨.
(٤) طه: ١١٤.

السموات والأرض ، وفيما سخره لنا من بحار وأنهار وجبال وسهول ووديان وأنعام وغيرها ، وهو يقول عز من قائل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

وهكذا اقترن الإسلام بالعلم منذ تلك الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم علىٰ محمد رسول الله ﷺ .

والثابت أن العرب كانوا في جاهليتهم أميين أي بلا كتاب ، ولم يكن فيهم من يعرف الكتابة إلا قلّة قليلة ؛ لعلها كانت ممن تسلسل من ولد إسماعيل عليه السلام ، وقد وردت في القرآن الكريم كلمة الأمي والأميين ، ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام بالنبي الأمي ، وقد وردت هذه الصفة في سور مكية ومدنية ، مثلاً قال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[3] .

وقال عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

ولعل هذا ما جعل بعض العلماء يقولون : إن الأميين من لا كتاب لهم من الناس ، ومن هؤلاء العلماء الإمام الطبري الذي فسّر الآية ١٩ من سورة آل عمران : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ فقد قال : المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالىٰ يقول : يا محمد! قل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارىٰ والأميين الذين لا كتاب لهم من

---

(١) الجاثية : ١٣ .
(٢) الأعراف : ١٥٧ .
(٣) البقرة : ٧٧ .
(٤) آل عمران : ٧٥ .

مشركي العرب: أأسلمتم؟ وهناك تفسير آخر يقول: سُمي بالأميّ لأنه من أمة العرب التي لم تكن تكتب أو تقرأ، وقد بعثه الله بالحق رسولاً وهو لا يعرف القراءة والكتابة، وهذه إحدىٰ المعجزات، لأنه ﷺ تلا القرآن علىٰ قومه كما أُنزل عليه، فلم يغيّر ولم يبدل لفظاً أو حرفاً، وفي ذلك يقول العلي القدير: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

قال العلامة القرطبي: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ الضمير في قبله عائد إلى الكتاب، أي: القرآن المنزل علىٰ محمد ﷺ، أي: وما كنت يا محمد تقرأ قبله ولا تختلف إلىٰ أهل الكتاب، بل أنزلناه إليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك، فلو كنت ممن يقرأ كتاباً ويخطّ حروفاً لارتاب المبطلون، أي: أهل الكتاب ـ وكان لهم من ارتيابهم متعلق ـ وقالوا: الذي نجده في كتبنا أنه أميّ لا يكتب ولا يقرأ...

قال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ، فنزلت هذه الآية.

ولا شك أن نزولها دليل علىٰ نبوة محمد ﷺ لقريش لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب، ومع ذلك فقد جاءهم بأخبار الأنبياء والأمم والأحداث التي وقعت في الأيام الموغلة في جوف الزمان.

وقد تعرّض الجاحظ لهذا الموضوع أيضاً، فسجل مقالاً عن كلام شيخ من البصريين: (إن الله جعل نبيّه لا يكتب ولا يحسب، ولا يقرض الشِّعر، ولا يتكلّف الخطابة، ولا يتعمّد البلاغة، لينفرد سبحانه بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة، ويقصره علىٰ معرفة مصالح الدين، دون ما تتباهىٰ به العرب من قيافة الأثر والبشر، ومن العلم بالأنواء وبالخيل وبالأنساب وبالأخبار وتكلّف قول الأشعار؛ ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم وتكلم

---

(١) العنكبوت: ٤٨.

بالكلام العجيب كان ذلك أدل على أنه من الله).

(وزعم أن الله تعالىٰ لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب الكاتب، ومن الخطيب المناسب، ولكن ليجعله نبياً، وليتولىٰ من تعليمه ما هو أزكىٰ وأنمىٰ، فإنما نقصه ليزيده، ومنعه ليعطيه، وحجبه عن القبائل ليجلّي له الكثير).

وقد ردّ الجاحظ علىٰ كلامه هذا بقوله: (وقد أخطأ هذا الشيخ وإن كان لم يرد إلاّ الخير ـ وقال بمبلغ علمه ومنتهىٰ رأيه ـ ولو زعم أن أداة الحساب والكفاية وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسب قد كانت فيه تامة وافرة ومجتمعة، ولكنه ﷺ صرف عن تلك القوىٰ وتلك القوىٰ وتلك الاستطاعة إلىٰ ما هو أزكىٰ بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلىٰ البلاغة كان أبلغ البلغاء، وإذا احتاج إلىٰ الخطابة كان أخطب الخطباء، وأنسب من كل ناسب، وأقوىٰ من كل قائف، ولو كان في ظاهره، والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب، ومتفرس ناسب، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة.

وما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره علىٰ سخطهم ورضاهم، ومكروههم ومحبوبهم، ولكنه أراد ألا يكون متعلّقاً عما دعا إليه حتىٰ لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رقّ، وليكون ذلك أخفّ في المؤونة، وأسهل في المحنة، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون عليها).

وحديث الجاحظ هذا يذكرنا بالآية الكريمة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[1].

كما يذكرنا بحادثتين وقعتا لرسول الله ﷺ وهو فتىٰ يرعىٰ الغنم، وكان مع زميل له، فحدثته نفسه يوماً أن يلهو كما يلهو الفتيان، فأفضىٰ إلىٰ زميله

(١) يس: ٦٩.

بذلك ذات مساء ، وطلب منه أن يقوم علىٰ حراسة أغنامه ، لكنه ما أن بلغ أعالي مكة حتىٰ استرعىٰ انتباهه حفل زواج ، فوقف عنده ثم ما لبث أن غلبه النوم ، ونزل مكة ليلة أخرىٰ لهذه الغاية ، فامتلأت آذانه بأصوات موسيقية عذبة ، فجلس يستمع ، ثم غلبه النوم حتىٰ الصباح .

وماذا عسىٰ أن يكون الشعر والنثر والموسيقا وكل المغريات بالنسبة لرجلٍ أعدّه الله سبحانه وتعالىٰ ليكون الإعلامي الأمثل ، والداعية الأول إلىٰ دينه الحق؟ نعم لقد عصمه الله ، وصرف اهتمامه إلىٰ ما هو أهم وأعظم ، إلىٰ الرسالة التي أعدّه لحملها والقيام بتبعاتها .

وإذا كان القرآن الكريم قد بدأ بلفظ ﴿ٱقْرَأْ﴾ ، فإن ذلك لدليل علىٰ حكمةٍ بالغة الأهمية ، تهدف إلىٰ حض الناس علىٰ التعلم والتثقف والاستنارة ، فالقراءة تفتح أمام الجاهل صفحات جديدة للحياة الكريمة وتأخذ بيده إلىٰ الحقائق ، بل تصل به إلى جوهر القيم ، وتضعه علىٰ المسار الصحيح ، أو بعبارة أخرىٰ: تضع له المنهج السليم ، والمنهج السليم الذي وضعه الله سبحانه في كتابه الحكيم هو جانب من جوانب الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم ، ذلك الذي يحدد معالم نظرية إعلامية متكاملة تتضمن علم النبوّة أو علم الرسائل الإلٰهية ، كما تتضمن علم المعجزات ، وتشييد المجتمع الإسلامي علىٰ الصورة التي يريدها الله ، فإنها تتضمن عدداً من العناصر الاتصالية المتكاملة المتصلة الحلقات اعتماداً علىٰ نظرية الوحي ، حيث يوحىٰ إلىٰ الرسول ﷺ من عند الله ، فيقوم الرسول بالتبليغ والإعلام ، والرسالة القرآنية تعتمد علىٰ أسس وضعها الله سبحانه وتعالىٰ للتأثير في نفوس الجماهير ؛ الذين يتلقون هذه الرسالة .

فالعنصر الأول وهو الوحي ، أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع ، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾[1] .

---

(١) النساء: ١٦٣ .

وقال سبحانه: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[2].

وقال جل جلاله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[4]. إلى آخره من الآيات. . .

وكل هذه الآيات الكريمة تؤكد أن عنصر الوحي في النظرية القرآنية للإعلام هو العنصر المعجز، لأن ما يوحي به الله سبحانه وتعالىٰ لا يمكن أن يأتي به بشر، ومن هنا كانت معجزة للرسول ﷺ تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين، فإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وغيرهم عليهم السلام كانت معجزاتهم معجزات حسيّة، تراها العين وتَسمعها الأذن وتلمسها الأيدي، ولكن معجزة المصطفى كانت معجزة عقلية تعتمد علىٰ التأمّل ومخاطبة العقل ـ ولله سبحانه وتعالىٰ في ذلك حكمة ـ فالبشرية في عهودها الأولىٰ كانت في مراحلها البدائية التي تحتاج في الإقناع إلى الوسائل الحسيّة الملموسة.

في حين أنها في عهد الرسول ﷺ كانت قد بلغت درجة من الرقي العقلي واللغوي تجعلها في حاجة إلى معجزة عقلية، وبلاغة تبهر عقولهم، وتكسف شمس بلاغتهم، وقد أرسل الله إليهم القرآن الكريم معجزة المعجزات في اللغة والعقل، متحدّياً الأجيال كلها أن يأتوا بمثله: ﴿ قُل لَّئِنِ

---

(١) يونس: ٢.
(٢) يوسف: ٣.
(٣) يوسف: ١٥.
(٤) الرعد: ٣٠.

﴿ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

ومن يدرس القرآن الكريم يجده حجّة الله سبحانه على خلقه ، وحجّة النبي ﷺ في رسالته ، ومرجع الشريعة المحكم في بيانه ، والفيصل عند الاختلاف ، والمنهج السليم عندما تلتوي الطرق ، والسّراج المنير عندما يطبق الظلام.

روىٰ الإمام الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنَّها ستكون فتن كقطع الليل المظلم» قلت: يا رسول الله! وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله تبارك وتعالىٰ فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله ، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضلّه الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعّب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملّه الأتقياء ، ولا يَخْلَق على كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ من علم به سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أُجِر ، ومن دعا إليه هُدي إلىٰ صراط مستقيم»[2].

وفي معنىٰ هذا الحديث الشريف روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن هذا القرآن مأدبة الله تعالىٰ ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، وإن هذا القرآن هو حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة من تمسّك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوّم ، ولا يزيغ

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) الترمذي ، باب ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٨).

فيستوعب ، ولا تنقضي عجائبه ، فاتلوه فإن الله يأجركم علىٰ تلاوته بكل حرف عشر حسنات).

ومن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم نزوله منجّماً علىٰ مدىٰ السنوات الثلاث والعشرين التي هي مدة الرسالة المحمدية ، فقد نزل علىٰ فترات غير محددة الأوقات ، ولم ينزل دفعة واحدة كما نزلت الألواح العشر علىٰ موسىٰ عليه السلام ، وكما نزل الزبور علىٰ داود عليه السلام ، وقد تساءل القرشيون عن السبب في هذا فقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1].

وهذا الردّ الإلهي قد تضمن ثلاث إجابات[2] تفسّر السبب في نزوله منجَّماً:

أولها: تثبيت فؤاد الرسول ﷺ بموالاة الوحي بالقرآن ، فإن موالاته فيها أنس للنبي عليه الصلاة والسلام ، وتثبيت لعزيمته ، وتأييد مستمر له ، فيقوم بحق الدعوة بالجهاد في سبيلها ، وإذا كان المرء يستأنس بوليه إذا داوم الاتصال به ، فكيف لا يستأنس رسول الله ﷺ بلقاء الروح الأمين الذي يجيئه بكلام رب العالمين في موالاة مستمرة؟

ثانيها: أن تثبيت الفؤاد بنزول القرآن يكون بحفظ ما ينزل عليه جزءاً جزءاً.

ذلك أن هذا القرآن نزل ليحفظ في الأجيال كلها جيلاً بعد جيل ، وما يحفظ في الصدور لا يعتريه التغيير ولا التبديل ، وما يكتب في السطور قد يعتريه المحو والتحريف والتصحيف.

ولأن الله تعالىٰ كتب للقرآن أن يُحفظ ، كان رسول الله ﷺ يحفظ جزءاً جزءاً ، ويتعجل حفظه ، وقد قال الله سبحانه لنبيّه في ذلك: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ

---

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) المعجزة الكبرىٰ ، محمد أبو زهرة: ص ٢٢ ـ ٢٥.

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1].

ونرىٰ من هذا النص حرص النبي ﷺ علىٰ أن يحفظ ما يوحىٰ إليه، فيحرّك به لسانه مستعجلاً الحفظ، فينبهه الله تعالىٰ إلىٰ أنه سبحانه يتولّى جمعه والقراءة له، وأنه مبيّنه وحافظه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2].

ثالثها: ترتيل القرآن بتعليم تلاوته، وأن هذا النص يُستفاد منه أن تلاوة القرآن وطريقة ترتيله هي من تعليم الله تعالىٰ، إذ إنه سبحانه وتعالىٰ ينسب الترتيل إليه تعالت قدرته وسمت كلماته وعظم بيانه، فنحن بقراءتنا وترتيلنا إن أحكمناه إنما نتبع ما علّم الله تعالىٰ نبيّه من ترتيل محكم جاء به التنزيل، وأمر به النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[3].

وما كان تعليم هذا الترتيل المنزل من عند الله تعالىٰ ليتوافر إذا لم ينزل القرآن منجّماً، فلو أنه نزل جملة واحدة ما تمكّن النبي عليه الصلاة والسلام من تعليمه لقومه مرتلاً، وهم حَمَلَته إلىٰ الأجيال من بعده.

وهناك سبب آخر يراه الشيخ أبو زهرة لنزول القرآن منجماً نلمسه من حال العرب ومن شؤونهم.

ذلك أنهم كانوا أمة أميّة، والكتابة فيهم ليست رائجة، بل يندر فيهم من يعرفها، وأندر من يتقنها، فما كان في استطاعتهم أن يكتبوا القرآن كله إذا نزل جملة واحدة، إذ يكون بسوره وآياته عسيراً عليهم أن يكتبوه، وإن كتبوه لا يعدموا الخطأ والتصحيف والتحريف.

---

(١) القيامة: ١٦ ـ ١٩.
(٢) الحجر: ٩.
(٣) المزمل: ٤.

ونحن نرىٰ أن التفسير الإعلامي لفائدة إنزال القرآن منجّماً: أنه كان ينزل لمناسبات وأحداث.

فيكون في هذه الأحداث بعض البيان لأحكامه، والمبيّن الأول هو النبي ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

وقد اهتمّت الآيات المكيّة بالعقيدة، وركزت علىٰ عبادة التوحيد باعتبارها العبادة الحقّة، ودعت إلىٰ الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد، ثم بيّنت ضلال الشرك وإثم الكفر، وما حاق بالمشركين والكافرين في مختلف العصور من عذاب أليم مرير، وروت قصص الأنبياء وأخبار الأمم الغابرة، ثم حذرت من المحرمات.

أما الآيات المدنية، فيمكن القول: إنها في مجموعها تشريع شامل كامل، لم يترك صغيرة ولا كبيرة للدولة الإسلامية المثالية كما يريدها الله سبحانه وتعالىٰ للبشر إلا بيَّنها، فقد نظمت فيها العلاقات بين الناس، وشرعت لهم النظم والقوانين التي تضمن لهم الحياة الكريمة المتعاونة، وسنّت الأحكام الفاصلة بين الحقوق داخل الدولة، كما وضعت أسس العلاقات الدولية ونظم الحرب، وروعيت فيها حقوق الإنسان حتىٰ العدو في ساحة القتال وبعده، وأحسن مثل علىٰ هذا ما جاءت به الآيات الكريمة التي تقول: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٢).

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) النحل: ٩٠ ـ ٩٢.

ولقد أحصىٰ القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) السور المدنية ، فقال: عن قتادة: نزل بالمدينة المنورة من القرآن ، البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم إلىٰ رأس العشر ، والزلزلة ، والنصر ، وأما بقية القرآن فقد نزلت سورةُ بمكة في مرحلتي السرّ والعلن.

ولا ندري لماذا جعل سورة النحل من السور المدنية مع أنها نزلت في مكة كما تقول المصاحف التي بين أيدينا؟.

إن المتبع لأسباب نزول الآيات القرآنية يجد ـ مثلاً ـ أن حادثة المجادلة خولة بنت ثعلبة تشكل سبباً قوياً يحتم نزول الآية بذاتها، وتتجلى قصة المجادلة خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت التي نزلت الآيات فيها تقول:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

فقد كان أوس قد حرم زوجته خولة عليه كما حرمت عليه أمه ؛ إذ قال لها: أنت عليَّ كظهر أمي!.

وكان الظهار من أشد طلاق الجاهلية لأنه في التحريم أوكد ، وفي قطع الصلة أبين ، فأسقط في يد خولة وحارت في أمرها ، وعزّ عليها أن تنفصل

---

(١) المجادلة: ١ ـ ٤.

عن أوس ، وهو وزوجها الحبيب إليها وأبو أولادها ، فذهبت إلىٰ الرسول ﷺ تستنجد به ليجد لها مخرجاً.

وانتظر الرسول ﷺ أن ينزل عليه الوحي بشيء في أمرها ليقضي لها ، ولكن الوحي تأخّر عليه ، فأخذت خولة تلح وهي تبكي ، وحار الرسول الكريم ﷺ ماذا يفعل أو يقول لها وهو لم يتلقّ وحياً بشأنها؟! فقال لها: ما عندي في أمرك شيء ، فعادت خولة إلى الرسول ﷺ شاكية متوسّلة راجيةً أن يرحم حالها ، ففتحت لتوسلاتها أبواب السماء ، وسمع الله شكاتها ، فغشي الرسول ﷺ ما كان يغشاه عند نزول الوحي ، ثم نطق لسانه بتلك الآيات الكريمة ، وهكذا حلت المشكلة ، وجعل الله للمسلمين وسيلة يتحللون بها من تلك العادة الجاهلية الذميمة[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية ، أمينة الصاوي: ص ٧٦ ـ ٨٩.

obeikandl.com

الفصل الثاني
أساليب الإعلام في القرآن

المبحث الأول
(الجريمة والجنس) نموذج للإعلام القرآني

أولاً ـ أهمية الآداب القرآنية بالنسبة لقصص الجريمة:

إن ورود قصص الجريمة في القرآن الكريم إنما يدل دلالة قاطعة لا تدع مجالاً للشك أن نشر قصص الجريمة علىٰ جماهير القراء ليس بالأمر الممنوع، كما أنه ليس بالأمر المختلف فيه، وإنما هو أمر يجب أن تضعه وسائل الإعلام المختلفة ـ خاصة الصحف ـ في حسبانها لإفادة الجماهير، والحرص علىٰ وعظهم وتبغيض الجريمة لديهم.

فالجريمة ظاهرة اجتماعية، توجد مع الجماعة وتتطور بتطورها، وتخضع لما تخضع له من مؤثرات وعوامل، فالأمر الذي لا شك فيه أن الظاهرة الإجرامية لا توجد إلا حين يكون هناك مجتمع، ونتيجة لوجود المجتمع[1].

وإذا كانت هذه المهمة هي مهمة وسائل الإعلام المختلفة، علىٰ تنوّعها

---

(١) للتوسع يراجع: الإسلام والإنسان المعاصر، محمد ظفر الله خان: ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

وكثرتها ، المسموع والمرئي والمطبوع منها ، علىٰ اختلاف التقسيمات الداخلية الموجودة في كل وسيلة ، فإن هذه المهمة تعتبر واحدة من أكبر مهام الإعلام الصحفي ، وعلىٰ وجه التحديد الصحف اليومية والأسبوعية ، وذلك نظراً لما تتسم به هذه الصحف من أنها دورية ويُنتظر موعد صدورها ، كما أنها تتسم بأنها إعلام مطبوع ، ولا يخفىٰ تأثير الإعلام المطبوع نظراً لما له من الأهمية ، حيث إنه أكثر ثباتاً وأكثر بقاءً في يد القارئ ، وبالتالي فإن سرعة صدور الصحف اليومية والأسبوعية يميز الصحيفة اليومية عن المجلة ، وإن كان للمجلة في المقابل مميزات أخرىٰ لا يمكن إغفالها.

كل هذا يحتّم علىٰ الصحافة أن تكون وكالات للضبط الاجتماعي ، تماماً كالمدارس والجامعات والهيئات الأخرىٰ للتنشئة الاجتماعية ، والتربية السياسية والثقافية ، كما أنها بممارسات عديدة مؤسسات للوعي والدفاع الاجتماعي ضد السلوك المضاد ، ويؤهلها دورها المجتمعي المميز أن تتوجّه إلىٰ أفراد المجتمع ، لا كمصب جامد لرسائلها الاتصالية ، وإنما كمشارك أصيل في صنعها ، أو علىٰ الأقل كرافد عريض لاستمرارها..[1].

لكن المشكلة أن هناك خلافاً كبيراً بين علماء الاجتماع وبين المسؤولين عن الإعلام حول مدىٰ أهمية نشر قصص الجريمة في الصحافة ، أو عدم نشرها.

فالكاتب جيمس هالوران يقول: (ظهرت في السنوات الأخيرة دلائل وفيرة من تحريات وأبحاث تشرف عليها الحكومات إلىٰ تصريحات من وسائل الإعلام وغيرها ، عن القلق وتشكيل جماعات للضغط ، علىٰ أن العلاقات المفترضة غير الواضحة تماماً بين الإعلام الجماهيري والعنف

(١) أخبار الجريمة في صحافة الإمارات، سالم ساري، مجلة العلوم العدد ٢ عام ١٩٨٣: ص ٦٥.

تعتبر عند الكثير من الناس مهمة ومشكلة مستعصية ، والمشكلة كما يتصورها الناس ليست جديدة ، والكثير مما يُقال الآن عن التلفزيون ، قيل من قبل عن وسائل الإعلام ، وعلى مدار التاريخ كانت المبتكرات في تكنولوجيا الإعلام موضع نقد لأنها تثير التمزّق في المجتمع ، ومع ذلك فإن تصوير وسائل الإعلام ، وبخاصة التلفزيون للعنف يظهره باطراد مشكلة اجتماعية)[1] .

أي : ليست المشكلة حول ماذا يقال؟ إنما الاعتراض علىٰ كيف يقال؟ أي : ما هو الأسلوب ـ أو الأساليب المثلىٰ ـ في تحريرها لإمكان الإفادة منها ، إفادة الفرد وإفادة المجتمع بل وإفادة الصحيفة ذاتها بالتالي ، وذلك في توافر الثقة بينها وبين قرائها ، مما يجعلها مؤسسة ذات احترام وتقدير في المجتمع .

وهناك صعوبة تحديد قواعد للأساليب التحريرية في قصص الجريمة ، فقصص الجريمة ذاتها إنما تتعلق بالنواحي الإنسانية ، وهذه في حدّ ذاتها إنما هي أشياء معنوية لا يمكن تقنينها وتحديدها ، فالأشياء التي يمكن تقنينها وتحديدها بقواعد ثابتة تحكمها إنما هي الماديات ، أما المعنويات فهذه غالباً ما لا يمكن وضع قواعد ثابتة لها .

لكن هذا لا يعني أن يترك الأمر عشوائياً ، بحيث يسير وفقاً لأهواء وأغراض القائمين علىٰ هذه الأبواب في الصحف ، لأن هؤلاء بشر ، لهم ميولهم ، ولهم اتجاهاتهم . . . ، والأجدر من ذلك وجود آداب لعملية النشر ذاتها ، شريطة أن تكون مصدراً ثابتاً راسخاً ، صالحاً لكل جمهور ، مرناً يناسب روح العصر . . . ، وهذا لا يتوافر إلا في كتاب الله تعالىٰ ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ

---

(١) الإعلام الجماهيري ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ٣٧ ، عام ١٩٧٩ : ص ١١٠ .

حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2].

(والقرآن الكريم فيه كثير من الجوانب التي تحتاج في إبرازها إلىٰ جهود العلماء والباحثين، ومع أن هذا واجبٌ لذاته علىٰ العلماء والباحثين أن يؤدّوه للناس، فإن مما يزيد في قوة هذا الواجب، وفي الحاجة إليه أن حياة المسلمين اليوم وصراعهم الحيوي مع أعداء الإسلام في أمسّ الحاجة إلىٰ أن توجّه الأبصار والقلوب والجهود إلىٰ كتاب الله؛ الذي كان ولا يزال وسيظل قلب الإسلام بوصفه ديناً، وقلب المسلمين بوصفهم أمة)[3].

وبالتالي (فالإسلام قد اعتبر الدين والعلم توأمين متلازمين، فمنذ البداية كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التي أمر الله بها الإسلام، وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدّىٰ إلىٰ ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية، تلك التي استفاد منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوربة)[4].

لذلك يجب أن يسير الإعلام الحديث علىٰ هدي من القرآن، وفي ضوئه ونوره، لأنه المنهج الذي لا يخطئ، وحسب تعبير الدكتور محمد صادق عرجون: (القرآن دستور هداية موجّه يرسم للإنسانية طرائق حياتها، ويربّي أفرادها وجماعاتها، وهو قانون يشرع لها أحكام الوقائع والأحداث لتحقيق مصالحها كافة؛ التي تقع بين طرفي العدل والرحمة، وكتاب مؤسس لعقيدتها ونظام تعبّدها، وقائد يسوسها بتعاليمه، أنزله الله للهداية وإقامة العدل والرحمة والمحبة، فإذا تحدّث عن آيات الله في الآفاق والأنفس، فهو لا يقصد إلىٰ تحقيق نظريات علمية قائمة علىٰ التحليل المادي أو

---

(١) فصلت: ٤٢.
(٢) هود: ١.
(٣) أسلوب السخرية في القرآن الكريم، عبد الحليم حنفي: ص ٩ ـ ١٠.
(٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي: ص ١٤ ـ ١٥.

الاختبار التجريبي ، أو قياس المسافات ومعرفة أقدار الأجرام عرضاً وطولاً وسمكاً ، أو تأليف العناصر وتحديد ما ينشأ عن امتزاجها وتركيبها من مواد جديدة ، أو حساب درجة سير الكواكب ومقادير الفضاء بينها ، وما في هذا الفضاء من مخلوقات جزئية ، إلىٰ نحو ذلك من أبحاث علمية يقوم بها العلماء في معاملهم ومدارسهم بوسائلهم الخاصة ، مما لا يمكن القطع بصحة جميع قضاياه ونظرياته ، ولا يمكن التشكيك في آثاره المشهودة.

وإنما يقصد القرآن من ذكر آيات الله في الكون وأسرار الوجود إلىٰ إيقاظ العقول ؛ لتنهض بواجباتها في كشف الحقائق الكونية ، لتصل أولاً وقبل كل شيء إلىٰ معرفة الخالق العظيم ، وإلىٰ معرفة عظمة ملكه وسعة سلطانه ، وصدق أنبيائه ورسله ، وتتحرر من التعبّد للمخلوقين ، لتفرّد الخالق بالتقديس ، وتستخدم هذه الكشوف التي تصل إليها في إنهاض الإنسانية ونفعها وترقيتها في مدارج الكمال البشري حتىٰ تحقق رسالتها في الحياة.

ومن هنا نرىٰ أنه لا ينبغي أبداً أن يعرض القرآن في تفسير آياته الكريمة للهزات التجريبية مثلاً ؛ فتحمل علىٰ نظريات العلم الحديث وكشوفه علىٰ أنها المعنىٰ المراد من الآية ، فيقال: إن النظرية (كذا) أو اكتشاف (كذا) مذكور في القرآن الكريم ، وإن القرآن أراده عينه في آية من آياته ، كما يفعل بعض المتحمّسين في حسن نيّة وقصد بريء.

والذي يجب أن يُقال: إن القرآن الحكيم في جميع ما تحدّث عنه من تشريع وأدب وأخلاق وسياسة واجتماع ، وبرهنة علىٰ العقيدة ، وعرض لجمال الكون وآياته الباهرة ، لا يمكن علىٰ مدىٰ الدهور والأزمان مهما اتسعت دائرةُ العلم والاختراع ، واستجرأت الحضارات أن تصادم آياته الكريمة علماً مقطوعاً بحقيقته ، ولا كشفاً عرفت مبادئه ونهاياته ، وسائر ظروفه التي أحاطت بوجوده ، ضرورة أن القرآن دستور شريعة إلهية عامة

خالدة ، خاتمة للشرائع السماوية ، فهو حق من عند الله ، والحق لا يضاد الحق. . .)[1].

لكن مما يؤسف له أن عموم الصحف والمجلات قد حادت عن وظيفتها الرئيسية ، وهي الإرشاد والتوجيه والتربية ، ووضعت نصب عينها تحقيق الربح المادي. . . !.

عند ذلك سلكت مسالك ملتوية ، بعيداً عن الآداب والقيم والفضائل ، خاصة في مجال نشر قصص الجريمة ، حيث الهدف الأول والأخير هو الإثارة وجذب القرّاء وزيادة التوزيع وزيادة الإعلان ، وبالتالي تحقيق الأرباح الوفيرة ، حتىٰ لو كان ذلك سيوصل إلىٰ هبوط مستوىٰ أذواق القرّاء ، وانحطاط معايير الحكم علىٰ الأمور لديه؛ وشيئاً فشيئاً تُصبح الجريمة محببة لديهم ، بل وربما انحرف بعضهم ، وسلك مسالك غير سليمة ، وذلك نتيجة للتبرير النفسي الذي يلتمسه لنفسه من ناحية ، والذي تلتمسه بعض الصحف للمجرم من ناحية أخرىٰ ، وأيضاً عن طريق اكتساب ومعرفة بعض الجرائم من خلال ما يقرأ القارئ في هذه القصص.

يقول إدرجارديل في ذلك: (إن نشر أخبار الجرائم يحتاج إلىٰ عرض خاص ، ومن الملاحظ أن الصحف اليوم تعرضها عرضاً مثيراً ، بما يعطي القارئ صورة خاطئة عن الجريمة)[2].

إذن: لا بدّ من وجود آداب للنشر فيما يختص بقصص الجريمة في الصحافة حتىٰ تكون بمثابة ضوابط سليمة ، يمكن أن تتم عملية النشر في ضوئها وعلىٰ هدي منها ، وذلك كي تحقق الصحافةُ أهدافها المثلىٰ في خدمة المجتمع ، وحتىٰ تؤدي وظائفها في صورة أفضل وعلىٰ وجه أكمل ، ولا يوجد أفضل من القرآن العظيم لاستخلاص هذه الآداب منه ، فهو المصدر الصادق الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل ، ومعه ومنه يتحقق النفع والإفادة

---

(١) القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين: ص ٣٢١ ـ ٣٢٣.

(٢) كيف تقرأ الجريدة ، كيف تعمل فيها؟: ص ١١٧ ـ ١١٨.

لكل مجتمع ، كما أنه يتّسم بالمرونة وإمكانية الإفادة والمواءمة مع كل مجتمع ، ومع كل زمان من الأزمنة إلىٰ يوم القيامة .

ثانياً ـ اختيار قصة الجريمة الصالحة للنشر :

هناك صحف تهتم اهتماماً بالغاً بأخبار الجريمة ، والذي يحدّد اختيار الصحيفة لأخبار الجريمة عادةً هي المدرسة الصحفية . . . أو السياسة الإعلامية التي تنتمي إليها الصحيفة ، إضافةً إلىٰ مدىٰ درجة اهتمام الصحيفة بمسألة الجرائم . . . ، وهذا يؤدي إلىٰ الاهتمام بأخبار الجريمة من قبل الصحيفة ، وينعكس أيضاً علىٰ أسلوب المحرر لقصة الجريمة وطريقة معالجته لها .

ولذلك لا بدّ للصحيفة أن تكون حرّة غير مرتبطة بمموّل مادي أو جهة ما ، وذلك لتحقق رسالتها السامية ، وتزوّد الجماهير بالحقائق ، وتقدّم لهم النصح والإرشاد ، وغالباً ما يفرض المموّل رأيه ، ويصبح بمثابة وصيّ علىٰ ما يُنشر في الصحيفة . . . ، وهذا ما يؤكد علىٰ ضرورة استقلال الصحيفة استقلالاً مادياً ، وذلك لتأخذ حريتها في الموقف والرأي وأداء الرسالة وممارسة الوظيفة وخدمة الأفراد والمجتمع .

وأهم أهداف اختيار قصص الجريمة المختارة للنشر علىٰ جمهور القراء في المجتمع ـ من خلال الصحافة ـ ما يلي :

١ ـ في الصحافة نفع للمصلحة العامة ، سواء مصلحة الأفراد من حيث كونهم أفراداً ، أو للمجتمع بأكمله ، كأن تكون قصة الجريمة تحذّر من مجرم معين لم تستطع أن تصل إليه يد العدالة بعد ، أو فرّ من يد العدالة ، إضافة إلى اختيار قصص الجريمة التي تحذّر المجتمع من بعض الجرائم المعينة ، أو من بعض الطرق التي ترتكب بها بعض الجرائم ، وذلك لحماية الأفراد والمجتمعات من المجرمين ، ومن جرائمهم التي ربما يستمرّ حدوثها ، أو تكرار حدوثها طويلاً لو لم تنشر في الصحافة .

وهذا يؤدي إلىٰ إلحاق الضرر بالأفراد والمجتمع كله ، أما نشرها في الصحافة فإنه يؤدي إلىٰ حماية المجتمع منها ، وتجنّبه كثيراً من الخسائر المادية والمعنوية.

وفي سبيل تحقيق ذلك يجب أن تختار قصص الجرائم التي يمكن تحريرها وتقديمها عن طريق النشر للقراء في صورة وعظية ، تؤدي إلىٰ إيقاظ الضمائر ، وزيادة الوعي الديني ، والتحذير من الجريمة ، وبيان الجزاء والأذىٰ الذي يمكن أن يتعرّض له المجرم ، كل ذلك لتبغيض الجريمة والتنفير منها.

وقصص القرآن الكريم تحذِّر من قتل النفس ، وتبغض الجريمة ولو لم تكن مقصودة لذاتها ، وتبرز فاعل الفاحشة في صورته الحقيقية ، والصورة السيئة البغيضة ، لينفر الناس منها ويكرهوها.

٢ ـ أن يكون هدف نشر قصة الجريمة إبرازها في صورة سيئة شاذة مستهجنة ممقوتة علىٰ جميع المستويات ، مع ملاحظة الوعظ والتحذير منها ، وبيان عاقبة الجريمة السيئة والوخيمة وما يعقبها من ندم.

مثال ذلك قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) ، حيث تحقق فيها تبغيض الجريمة ، واتضحت صورة المجرم (قابيل) السيئة ، وذلك عندما أصرّ علىٰ قتل أخيه (هابيل) ، بينما كان موقف (هابيل) هو الوعظ والتذكير بما سيلحقه من الآثام إذا هو وقع في جريمة قتل النفس[١].

ومثلها فعل قوم لوط عليه السلام ، حيث ركز القرآن الكريم علىٰ بغض الجريمة وشذوذها بجلاء ، وبيّن عاقبتها الوخيمة[٢].

وهكذا في مسألة قتل موسىٰ عليه السلام لرجل من جماعة فرعون ، من

---

(١) يراجع: سورة المائدة: ٢٧ ـ ٣١.

(٢) يراجع: قصص الأنبياء لابن كثير: ص ٢٠٦ ـ ٢١٨.

غير أن يقصد ذلك، ثم ندم علىٰ ما فعل ، واعتبر ذلك من عمل الشيطان[1].

٣ ـ أن يكون موضوع القصة المختارة للنشر في الصحافة ، والخاصة بالجريمة ، لا يؤدي إلىٰ تمزيق شمل الأسرة ، أو هتك عرض ، أو سرٍّ خاص بأحد الأشخاص!!.

ثالثاً ـ مراعاة القيم الدينية:

لا بد للصحافة من تربية الضمائر وإيقاظها ، والعمل علىٰ زيادة الوعي الديني ، وبث القيم الروحية لدىٰ الأفراد بصورة غير مباشرة ، وذلك كي تنهض الصحافة بمسؤولياتها ، وتؤدي رسالتها السامية في خدمة مجتمعها.

وبالتالي يمكن للصحافة أن تؤدي هذه المهمة من خلال ما تنشر من قصص الجريمة ، حيث تستطيع استثمار المواقف التي تسردها من خلال تلك القصص ، فتعطي جرعة وعظية للقرّاء ، وفي مثل تلك الحالات سوف يكون التأثير مضاعفاً ، لأن الموعظة هنا بأسلوبٍ غير مباشر.

وتؤكد الوقائع علىٰ أن جرعة الوعظ التي تصل إلىٰ القارئ في شكل غير مباشر تكون أكثر إفادة ونفعاً ، وذلك لأنها تُثير تفكير القارئ وتدعوه إلىٰ التأمّل ، وإلىٰ إعادة مراجعة نفسه فيما يفعله وما يتعرّض له من المواقف.

ويمكن للصحافة أن تقدّم للقارئ هذه القيم الدينية فيما تنشره من قصص الجريمة ، وذلك من خلال الموعظة والتحذير والردع والتخويف ، حتىٰ يتجنّب القارئ السلوك الإجرامي ويخافه ويحذره من ناحية ، كما أنها تقدم للمذنب أيضاً طريق الأمل والتوبة والنجاة ، وذلك حتىٰ يستطيع العودة إلىٰ صفوف المواطنين الصالحين ، وأنه يمكنه أن يمارس حياته بصورة طبيعية ، فالخطأ هو شأن البشر ، وخير الخطائين التوابون ، كما تهيِّئ أذهان القرّاء ونفوسهم لعملية تقبّل المذنب وحسن معاملته حتىٰ لا يعود إلىٰ صفوف

---

(١) للتوسع يراجع: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٧ ، تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٦٩ ، تفسير الرازي: ٢٤/ ٢٤١ ، تفسير أبي السعود: ٧/ ١٠ ، فتح القدير للشوكاني: ٤/ ١٧١.

المجرمين مرة أخرىٰ ، وبالتالي فالصحافة بذلك تنتزع المجرم من أوحال الجريمة من ناحية ، وتؤمّن المجتمع من شر مجرم خطير من ناحية أخرىٰ ، وقد فعل القصص القرآني ذلك علىٰ النحو التالي :

١ ـ الوعظ والتحذير والردع :

عرض القرآن الكريم في قصص الجريمة التي نشرها الوعظ والتحذير والتخويف من الله تعالىٰ ، ففي قصة ابني آدم نجد الوعظ في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وذلك علىٰ لسان المقتول الذي يحذر أخاه من هذا الفعل القبيح ، إذ علم منه الإصرار علىٰ ذلك حينما قال له : ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ فأجابه بقوله : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يحذّره من الجريمة قائلاً : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١] .

ثم تبيّن القصة جزاء الجريمة وبغض عاقبتها ؛ ليكون ذلك رادعاً لمن يفكر في الإقبال علىٰ مثل هذاالفعل السَّيِّئ : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[٢] .

وقد تكرر ذلك في قصة قتل موسىٰ عليه السلام لرجل من آل فرعون ، فمع أن القتل لم يكن مقصوداً ، إلا أنه ندم علىٰ هذا الفعل : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] .

ثم يبين عاقبة الجريمة مع كونها غير مقصودة ، إلا أن صاحبها تعرض

---

(١) يراجع : المائدة : ٢٧ ـ ٣١ .
(٢) المائدة : ٣٠ ـ ٣١ .
(٣) القصص : ١٥ ـ ١٦ .

لجزاء مماثل ، فلأنه لم يقصد الجريمة ، كان الجزاء مخففاً: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[1] ، ثم مرة أخرىٰ يخرج من المدينة أيضاً خائفاً يترقب: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

ويتضح الوعظ والتحذير بجلاء في جرائم فعل الفاحشة وهتك العرض ، ففي النهي عن الزنى يأمر الله عز وجل بعدم الرأفة بالزاني عند إقامة الحدّ عليه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾[3] ويأمر بالتشهير بهما ليكون ذلك رادعاً وموضحاً لبعض ما ارتكباه من الإثم: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

والتشهير هنا لفائدة المجتمع ، حيث يحميه من وقوع هذه الجريمة البشعة ، ولا يضر من يُقام عليه الحدّ لأن أمره قد انتهىٰ ولا شيء في ذلك ، فهو يقام عليه حد الزنى وهوالرجم أو الجلد ، والأول ـ أي: الرجم ـ يؤدي إلىٰ الموت ، والثاني ـ أي: الجلد ـ قد يؤدي للموت.

أيضاً في قصة يوسف عليه السلام مع زوجة العزيز بيَّن ما تعرضت له زوجة العزيز ـ التي ارتكبت الجريمة ـ وبيَّن ما تعرّضت له من الخزي: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[5].

ثم تعترف بفعلتها في النهاية ليتضح موقفه البريء الناصع ، وينتصر بعد أن ظُلم: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[6].

وهكذا أوضحت قصص الجريمة التي نشرتها آيات القرآن الموعظة ،

---

(١) القصص: ١٨.
(٢) القصص: ٢١.
(٣) النور: ٢.
(٤) النور: ٢.
(٥) يوسف: ٢٨.
(٦) يوسف: ٥١.

لتربية النفوس ، وبث القيم الصالحة ، وإيقاظ الضمائر ، كما حذرت من الوقوع في المعصية والجريمة ، وبيَّنت مغبّتها وعاقبتها الأليمة الوخيمة ، ليحذرها الناس ، ويبتعدوا عن طريقها وعن التعرّض لها .

ومن خلال ذلك عرضت آيات القرآن أن المجرم مهما أخذ من الحذر والحيطة فلا بدّ من أن ينكشف أمره ، فهذه زوجة العزيز ، هي سيّدة القصر ، ولها حق الأمر علىٰ يوسف ، وهي تراوده عن نفسه ، وتحاول إغراءه بما تمتلك من أساليب الإغراء والقدرة علىٰ الفتنة ، ثم هي تغلق الأبواب عليه ، ومع كل ذلك ينكشف أمرها ، وتنكشف جريمتها وتلوكها ألسنة النسوة في المدينة ، وبعد أن يشهد عليها شاهد من أهلها أمام زوجها ، ثم في النهاية تعترف تفصيلياً بجريمتها ، وتقرّ بذنبها .

إذن يجب أن نوضح أن قصص الجريمة التي تنشرها الصحف لا بدّ من استثمارها لتكون بمثابة الموعظة ، والتحذير من الجريمة والتخويف من عاقبتها ببيان ما لاقاه المجرم من جزاء وعقاب ، ومن عرض لبشاعة فعله السيئ الذي أقدم عليه ، حتىٰ يراجع نفسه من يفكر في ذلك ، وحتىٰ لا ينبهر بعض الشباب أو المراهقين بشخصية المجرم .

لكن ـ مما يُؤسف له ـ أن هذا الأدب مفتقد في صحفنا غالباً ، فالصحف تنشر قصص الجريمة من غير وعظ ولا تحذير ، ودون إشارة من قريب أو من بعيد إلى التخويف من الله تعالىٰ ، ولا من عقاب الآخرة ، وما ينتظر من يفعل السيئات والذنوب والجرائم ؛ إذ هو مذنب في حق الأفراد وفي حق المجتمع أيضاً .

ويجب أن تنشر الصحف العقوبة التي نالها المجرم من سجن أو إعدام أو نحو ذلك حتىٰ يحذر الناس الجريمة ، ويعلموا أن عاقبتها سيئة ، كذلك فإنه لا بدّ من أن يوضح أن المجرم لا يمكن أن يفلت من العقوبة ، وأنه مهما حاول إحكام خطته فلا بدَّ من الوقوع في يد العدالة .

وكثيراً ما نجد الصحف التي تنشر قصص الجريمة لا تنشر ذات الفاعل

المجهول ، وهي بذلك تفعل عكس المطلوب منها ، إذ توضح لضعاف النفوس أو من يفكرون في ارتكاب الجريمة أن بوسعهم الإفلات من العقوبة.

٢ ـ فتح باب التوبة:

من الآداب التي يعلمها القرآن الكريم لكتّاب قصص الجريمة في الصحافة فتح باب التوبة أمام المذنب ليرجع عن ارتكاب الجرائم ، فمن الأشياء التي تهدّد أمن المجتمع وسلامته واستقراره: أن يصرّ المذنب علىٰ ارتكاب الجريمة ، أو أن يصبح محترفاً للجريمة ، ظناً منه أنه لا طريق أمامه غير ذلك ، فكيف يكتسب قوته ولقمة عيشه بعد أن أصبح منبوذاً محتقراً في نظر الناس ، وفي نظر المجتمع؟!

ومن الأخطاء الفادحة التي يقع فيها كتّاب قصص الجريمة في الصحف ـ بحسن نية غالباً ـ فضح المجرم وهتك أسراره وإراقة ماء وجهه ، وذلك بذكر اسمه دون مبرر لذلك.

وعادة ما يؤدي هذا الخطأ ـ الذي تقع فيه الصحف ـ إلىٰ أن يجاهر المذنب بذنبه وجريمته ، ويجعله يائساً من أن يجد طريقاً للنجاة أو الخلاص من احتقار المجتمع له ، وبالتالي فإنه يفكر في احتراف الجريمة ، ويألف حياة السجون والمطاردة ، إذ يظن أنه لا فكاك له من ذلك ، حيث لا يستطيع التفاعل مع المجتمع والعيش بصورة طبيعية فيه ، وقد ضرب القرآن الكريم المثل الأعلىٰ في ذلك ، إذ بيّن العاقبة والجزاء في مثل حالة القتل العمد الذي أقبل عليه ابن آدم ضد أخيه ، من خلال تعقيبه علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

---

(١) المائدة: ٣٣.

ثم يفتح باب التوبة لكل مذنب أيضاً ، قائلاً : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

وفي النهي عن الزنى وبيان حدوده يأمر بعدم الشفقة بالمجرم ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) .

ثم يفتح باب التوبة مع ذلك قائلاً : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) .

كما تبيّن القصص القرآنية أن باب التوبة مفتوح دائماً ، فحينما استغفر موسىٰ عليه السلام ربه كانت الإجابة بالمغفرة فوراً : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾(٤) .

وقد تكرر هذا في كل قصص الجريمة التي نشرها القرآن الكريم ، إذ يعقِّب علىٰ كل قضية بآيات التوبة التي تفتح باب الأمل والرحمة لكل مذنب ولكلِّ مجرم ليرجع عن ذنبه ، وليعود إلىٰ نفسه ويثوب إلىٰ رشده ، وهذا يدفع إلىٰ الندم علىٰ فعل الجريمة ، مما يجعله ينصرف عنها ولا يفكر فيها مرة أخرىٰ ، وبالتالي يصبح المجتمع آمناً من بطش المجرمين وإصرارهم علىٰ ارتكاب الجرائم .

والحقيقة أن صحفنا تخلو تماماً من ذكر التوبة أو التذكير بها ، وهذا الأدب من آداب نشر قصص الجريمة لا بدّ من مراعاته دائماً في كل قصص الجريمة التي تنشرها ، وليس المطلوب أن يكون التذكير بالتوبة بصورة مباشرة ، إذا كان هذا الأسلوب هو شأن الأسلوب القرآني فلأن القرآن الكريم إنما هو كتاب وعظ وتذكير بالله عز وجل وطريقه .

---

(١) المائدة : ٣٤ .
(٢) النور : ٢ .
(٣) النور : ٥ .
(٤) القصص : ١٦ .

أما الصحافة فيمكنها أن تقوم بهذا الدور بصورة غير مباشرة ، حتىٰ يمكن للقارئ أن يُقبل علىٰ قراءتها وفهمها وإعمال الفكر فيها ، ويمكن أن يحدث ذلك بذكر بعض القصص لأفراد قد تابوا بالفعل ورجعوا ليمارسوا حياتهم بصورة طبيعية في المجتمع وبين أفراده ، وكيف أن المجتمع قد تقبّلهم ورحّب بهم ، ويمكن ذلك أيضاً بأن يجيء مثل هذا الكلام علىٰ لسان شخص من المسؤولين ، يتحدث إليه المحرر الصحفي موجهاً أسئلة حول هذا المفهوم ، فيعرض في إجابته لكيفية العودة عن هذا الطريق الخاطئ ، وكيف يمكن للمجرم أن يصبح مواطناً عادياً في المجتمع ، كما يحثّ المواطنين علىٰ تقبّل هؤلاء ومساعدتهم ، وفي هذا فتح لأبواب الأمل لهم ليعيشوا حياة شريفة حرة هانئة هادئة بعيدة عن الجريمة ، حيث يوضح لهم متاعب ومصاعب حياة الجريمة ، وكيف يمكنهم التخلّص منها .

فليس المقصود هنا أن تتم الموعظة أو فتح أبواب التوبة بصورة خطابية أو لهجة وعظية مباشرة ، وإنما المقصود أن يكون هذا الأدب موجوداً في ذهن المحرر خلال تحريره لقصة الجريمة التي سينشرها ، وبالتالي فلن يعوزه أن يوصل ذلك إلىٰ القراء بأساليب شيّقة غير مباشرة مفضلة لديهم ، وبذلك تؤدي الصحافة رسالتها لخدمة المجتمع .

رابعاً ـ مراعاة القيم الخلقية :

تضطلع الصحافة بمهمة حيوية في المجتمع ، وهي رعاية القيم والمثل الخلقية ، وهذه وظيفة ورسالة مثلىٰ من وظائف الصحافة ، وترجع أهمية هذا الدور بالنسبة للصحافة إلىٰ أنها تستطيع أن تؤدي هذه الوظيفة بطريقة بطيئة ومستمرة ؛ مما يؤكد هذه القيم في الأفراد وفي المجتمع ، ويجعل لها صفة الاحترام والقدسية ، ويجعل الأفراد يؤدونها بصورة تقليدية ، إذ يرتضونها ويسلكونها بشكل طبيعي ، ويقفون أمامها بمهابة واحترام .

وتستطيع الصحافة أن تؤدّي هذه الوظيفة المهمة من وظائفها من خلال نشرها لقصص الجريمة كالتي تحدث في المجتمع ، حيث تستطيع التأكيد

علىٰ قيم الاحترام والحياء ، وعدم الإثارة بالألفاظ أو بالصورة ، وهي بذلك تؤكد علىٰ قيمة حيوية ومهمة ، وهي الوقار بين أفراد المجتمع بعضهم البعض ، وذلك من خلال اختيار قصص الجريمة التي تنشرها ؛ بحيث تكون مؤدية لهذه الأغراض ومحققة لرعاية هذه المثل والقيم ، ثم من حيث مراعاة ذلك في أساليب التحرير والمعالجة الخاصة بهذه القصص التي تنشرها ، ومن ذلك :

١ ـ اختيار قصص الجريمة التي ترعىٰ القيم والمثل الخلقية :

يجب علىٰ المحرر أن يختار قصة الجريمة التي تحقق القيم الخلقية الخاصة بالحياء والاحترام والوقار ، وبالتالي فإذا نشرها يجب أن لا تخدش الحياء العام ، ونظرة إلىٰ القرآن الكريم وقصصه نجد : أنها لم تذكر قصة محددة لجريمة الزنى ، وإنما نزلت الآيات التي تنهىٰ عن ذلك وتبغض الجريمة ، وتحدد الحدود الخاصة بذلك ، أما القصص التي وردت فإنها لا إثارة فيها ولا خدش للحياء ، وإنما احترمت هذه القيم وأكدت عليها .

فقصة قوم لوط عليه السلام لا إثارة فيها ، وإنما هي تبغض الجريمة وتنفّر منها ، وتبيّن شذوذ طبيعة هؤلاء القوم ، حيث يأمرهم نبيّهم بترك فعل الفاحشة ، والاتجاه إلىٰ الحلال ، وذلك في قوله لهم : ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(١) .

ولكنهم يرفضون النصيحة قائلين له : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾(٢) .

ويعود فيبين لهم مرة أخرىٰ كراهيته ومقته لفعلهم : ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾(٣) .

---

(١) الشعراء : ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٢) الشعراء : ١٦٧ .
(٣) الشعراء : ١٦٨ـ١٦٩ .

إذن: يجب أن يكون اختيار قصة الجريمة التي تنشرها الصحافة بعيدة عن مجال خدش الحياء العام ، ملتزمة الوقار والاحترام ، ذلك أن الصحيفة توجد في محيط الأسرة ، فيقرؤها الأب والأم والأبناء صغاراً وكباراً ، وإذا ما نظر الأبناء فرأوا إعجاب آبائهم أو أمهاتهم ببعض قصص الجريمة ذات الأسلوب أو الموضوع المبتذل ، فإن ذلك يخدش الحياء وينتزعه من وجوههم ، ويجعل نوعاً من عدم الاحترام في الصغير والكبير ، كما أنه يجعل الجريمة مادة مفضلة للقراءة لدىٰ هؤلاء الأبناء منذ حداثة أسنانهم ، وربما كان لهذا تأثير سيِّئ علىٰ المدىٰ الطويل .

٢ ـ أساليب المعالجة:

وبعد عملية الاختيار يأتي دور المحرر ليقوم بعملية صياغة أو تحرير أو معالجة تلك القصص ، وذلك بأسلوب يحقق هذه القيم أيضاً ويؤكد عليها ، من حيث الأسلوب الوقور الجذّاب البعيد عن الإثارة اللفظية ، والذي يختار الألفاظ الدقيقة التي لا تحتمل المعاني الواسعة المرونة أو التي لا تقبل أكثر من تأويل حولها، كما أنه يجب اختيار الصور اللازمة فقط، والتي لا تُثير القارئ، بل تثري خياله بتوافه الأمور، وذلك على النحو التالي:

أ ـ الأسلوب الوقور الجذاب:

فمثلاً في قصة يوسف عليه السلام مع زوجة العزيز ، يستعمل فيها الوعظ إلىٰ جانب الكلمات التي قد تُثير الفكر ، حتىٰ لا يدع فرصةً لرسم صورة لفظية متكاملة تثير الخيال ، وذلك علىٰ النحو التالي:

لما قالت زوج العزيز ليوسف عليه السلام: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ بعد أن غلَّقت الأبواب ، نجد الموعظة في ذات الآية تنشل الخيال من الإغراق في التخيّل والتفكّر في ذلك: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

ثم لما همّت به، يظهر برهان ربه، وذلك حتىٰ لا تكتمل الصورة الخيالية أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ ، ولما أرادت أن تمسك به عنوة ، تجد زوجها أمامها : ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾[1] .

وهكذا يعلّمنا القرآن الكريم هذا الأدب الجميل الذي يحافظ علىٰ القيم الخلقية ، ويجعل القارئ حريصاً على الوقار ، فإذا ما حافظ الإنسان علىٰ الحياء والوقار والاحترام بينه وبين نفسه ، حافظ عليه بينه وبين غيره ، أما الإغراق في الخيال المُسِفّ والمتدني ؛ فإنه يجعل الفرد يمتهن القيم الخلقية ، ولا يرعىٰ حرمةً لمجتمعه .

ب ـ العناوين والألفاظ الدقيقة :

عبّر القرآن الكريم في قصصه عن المعاني المقصودة بدقة بالغة ، معلّماً ذلك لنا ، فمثلاً في قصة ابني آدم ذكر القتل صراحة ، وذلك لأن القاتل متعمد والقتل مقصود! .

أما في قصة موسىٰ عليه السلام فلأن القتل لم يكن مقصوداً ، عبّر عن الفعل بكلمات دقيقة تدل عليه : ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ ولم يقل : فقتله موسىٰ ، وإنما قال : وَكَزَه ، فترتب علىٰ الوَكْز أن قضىٰ عليه ، ولأن موسىٰ لم يكن يقصد ذلك ، فقال : ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾[2] .

وكثيراً ما تستخدم الصحافة في سردها لأحداث قصص الجريمة كلمات غير دقيقة قد تؤدي إلىٰ اتهام بريء ، أو تبرئة مذنب ، وهذا يؤدي إلىٰ نتائج غير سليمة في النهاية ، كما يؤدي إلىٰ عدم احترام سير العدالة ، وإلىٰ إفلات بعض المجرمين من العقاب ، أو ظلم بعض الأبرياء .

ج ـ الصور :

إن استخدام الصور التي تنشر مع قصص الجريمة في الصحف يجب أن

---

(١) يراجع : يوسف : ٢٣ ـ ٢٥ .

(٢) يراجع : القصص : ١٤ ـ ١٥ .

يتمّ في أضيق نطاق ، لأن ذلك مادة خصبة لإثراء الخيال لدىٰ القرّاء ، فإذا لم يكن هناك ضرورة داعية إلىٰ ذلك ، بمعنىٰ أن نشر الصورة يقدم مصلحة عامة للمجتمع ولأفراده فلا داعي لنشرها، والمصلحة التي يمكن أن تحققها الصورة هي الحذر من مجرم لم يتمّ القبض عليه ، وذلك حتىٰ يتعاون الأفراد مع رجال حفظ الأمن في تقديمه للعدالة ، أو مجرم أفلت من يد العدالة ، حتىٰ يحذره الأفراد ويحذروا جرائمه ، وكذلك بالنسبة لصور الأماكن ونحوها ، ويجب أن يتم ذلك في أضيق نطاق.

خامساً ـ مراعاة القيم الاجتماعية :

تتمثّل القيم الاجتماعية في عدم تبرير مسلك الجريمة ، وذلك عن طريق التعاطف مع المجرم ، أو إظهار أنه لم يكن أمامه طريقة غير ذلك ، وعدم إبرازه من ناحية أخرىٰ أيضاً من موقف الشجاعة أو البطولة ، ومن هذه القيم أيضاً عدم رسم خطط الجريمة ، وعدم المساس بمشاعر وأحاسيس القرّاء برسم الصور اللفظية المقززة أو تحطيم القدوة ، ومنها محاربة الأمراض المتفشية في المجتمع عن طريق إبراز الجرائم المترتبة علىٰ هذه الأمراض الاجتماعية ، وأخيراً المساعدة علىٰ تحقيق العدالة وحفظ الأمن والاستقرار في المجتمع :

١ ـ عدم تبرير مسلك المجتمع أو سلوك المجرم.

٢ ـ عدم ذكر الخطط وتفاصيل ارتكاب الجريمة.

٣ ـ المحافظة علىٰ مشاعر القرّاء وأحاسيسهم.

٤ ـ محاربة الأمراض الاجتماعية المتفشّية في المجتمع :

مثال ذلك محاربة الإسلام لعادة سيئة كانت منتشرة في الجاهلية ، وهي عادة التبني ، قال تعالىٰ في معرض إبطال تلك العادة : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ

لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقد كان أول منفِّذ هو النبي ﷺ، إذ أعاد اسم زيد بن حارثة إلىٰ اسم أبيه (حارثة) بعد أن تبناه في الجاهلية، وسمّاه: زيد بن محمد[2].

٥ ـ المحافظة علىٰ أمن المجتمع: يعتبر هذا واحداً من أهم واجبات النشر الصحفي بصفة عامة، ونشر قصص الجريمة بصفة خاصة، إذ إن قصص الجريمة تتعلق في معظمها بالجريمة والمجرمين والقبض عليهم ومحاكمتهم والعقوبات التي نالوها، ونحو ذلك، وهذا بدوره من أهم واجبات الصحافة لنشر الأمن، وبث روح الطمأنينة والاستقرار في المجتمع.

وبالتالي فواجبات الصحافة في هذا تبغيض الجريمة، ونشر العقاب الذي ناله المجرم وعدم التعاطف معه، أو التجنّي علىٰ شخص قبل صدور الحكم عليه، إذ ربما كان بريئاً...[3].

* * *

(١) الأحزاب: ٤ ـ ٥.

(٢) للتوسع يراجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٣) للتوسع يراجع: الجريمة والجنس، عبد الوهاب كحيل: ص ٢٢٠ ـ ٢٧٧.

المبحث الثاني

أساليب الإعلام في القرآن الكريم

هل يستطيع أحدٌ أن يُحيط بأساليب القرآن الكريم في مجال من المجالات؟!.

أبداً ، فالله تعالىٰ قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1].

وبالتالي ، فإن كل كلمة . وكل آية من القرآن تعتبر نداءً ، أو دعوةً ، أو مناشدةً إلىٰ الرسالة المنزّلة من السماء.

وقد أعدّ الله رسوله ﷺ ، وهيّأه بالعلم والخلق العظيم والحكمة ، وذلك من أجل حمل الرسالة الخاتمة ، وتبليغها للناس كافة.

وكان ذلك حقاً ، فعن طريقه صلوات الله عليه نهض دين التوحيد ، وبه أُخرج الناس من الشرك والجهالة ، والبغي والظلم ، وسعدوا بنور الإيمان ، وتوحيد الله عز وجل.

ولذلك ففضل القرآن علىٰ الناس متّصل بفضل الله العظيم عليهم ، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ

---

(١) الكهف: ١٠٩.

أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[2].

ومصداق ذلك قول المعصوم ﷺ: «إن هذا القرآن أُنزل آمراً وزاجراً وسنّة خالية، ومثلاً مضروباً، فيه نبؤكم، وخبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يَخْلَق علىٰ كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فَلَجَ، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسَّك به هُدي إلىٰ صراط مستقيم، ومن طلب الهدىٰ من غيره أضلَّه الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، عصمة لمن تمسَّك به ونجاة لمن اتبعه»[3].

ومن السمات العامة لأساليب القرآن للدعوة والإعلام ما يلي:

ـ **اليسر والسهولة**: مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5].

وباليسر مضت الدعوة سهلة الفهم سريعة المدخل إلىٰ عقول الناس وقلوبهم، لتخاطب فيهم الوجدان والعقل والفطرة السليمة، وتستجيب لها تلك النفوس.

ولذلك نرىٰ القرآن يخاطب جميع العقول، الحكماء والبسطاء، بعيداً

---

(١) آل عمران: ١٦٤.
(٢) إبراهيم: ١.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) القمر: ١٧.
(٥) مريم: ٩٧.

عن المصطلحات المعقّدة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾(١) .

وقال عز وجل : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٢) .

ويبيّن الله تعالىٰ الأثر الوجداني والحسّي لآياته البينات ، فيقول : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(٣) .

ـ **الجدل والحوار** : وهو الأسلوب الذي يقدّر كرامة الإنسان وحريته وعقله، ويحقق له الاستجابة الذاتية دون ضغط أو إرهاب فكري ، ولذلك قال الله تعالىٰ لرسوله ﷺ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٤) .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٥) .

وبالتالي ، فهداية الناس إلىٰ الدعوة لا ترتبط بحدّة الجدل والضغط والإرهاب ، ولكنها تتعلق بإرادة الله تعالىٰ الذي هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين .

قال تعالىٰ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾(٦) .

---

(١) الأنعام : ١٢٦ .
(٢) الأنعام : ١١٤ .
(٣) الزمر : ٢٣ .
(٤) النحل : ١٢٥ .
(٥) آل عمران : ٢٠ .
(٦) الشورىٰ : ٤٨ .

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

وعلىٰ لسان رسوله ﷺ يقول تعالىٰ وهو يبيّن حقيقة موقف الداعية:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

ولتأكيد حرية المتلقّي للدعوة وحفاظاً علىٰ كرامته واحتراماً لإرادته وعقله؛ يمضي الأسلوب القرآني في طريقه بقول الله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

ويفتح القرآن أوسع الأبواب حتىٰ بالنسبة للذين أغلقوا آذانهم، وصدّوا دعوته، فيقول الله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٤).

وهكذا، يمضي هذا الأسلوب القرآني الآسر للدعوة إلىٰ غايته، بعيداً عن كل عنف، داعياً إلىٰ الأخوّة والمودّة والعقل، يجمع ولا يفرّق دون استعلاء أو ترفّع، فيقول تعالىٰ مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ

---

(١) آل عمران: ٦٤.
(٢) النمل: ٨٩ ـ ٩٣.
(٣) البقرة: ٢٥٦.
(٤) الأنفال: ٣٨.

يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

الأسلوب القرآني في تصنيف الناس:

إذن: تحدث القرآن الكريم إلىٰ عدّة أصناف من الناس ـ وهذه هي رسالته الإعلامية ـ حيث خاطب كلاً منهم بأسلوب معين، لكن من الملاحظ أن الآيات التي تتحدث عن المنافقين هي أكثر الآيات، ويأتي بالدرجة الأقل منها تلك الآيات التي تتحدث عن الكفار، ثم تتلوها الآيات التي تتحدث عن المؤمنين، ومن الأمثلة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

فالأصل أن فطرة الناس واحدة، وكلهم مستعدّون للهدىٰ والضلالة، فمن اختار منهم الهداية هداه الله، والعكس صحيح أيضاً، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5].

---

(١) الأنعام: ٥٠.
(٢) الأعراف: ١٨٨.
(٣) البقرة: ٢١٣.
(٤) النساء: ١٧٥.
(٥) آل عمران: ١١٩. «خلوا»: مَضَوْا، أو انفرد بعضهم ببعض. «من الغيظ»: أشد الغضب والحنق.

وهكذا يتحدث القرآن عن المؤمنين ومنزلتهم وصفاتهم ، فيقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

ويتحدّث القرآن الكريم عن المشركين في آيات كثيرة ، منها قول الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

ويتحدث القرآن الكريم عن المنافقين في آيات كثيرة ، منها قوله تعالىٰ: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ

---

(١) السجدة: ١٥ ـ ١٧. «تتجافى جنوبهم»: ترتفع وتتنحى للعبادة. «عن المضاجع»: الفُرُش التي يضطجع عليها. «من قرة أعين»: من موجبات المسرة والفرح.

(٢) البقرة: ١١٣.

(٣) التوبة: ٢٨. «عيلة»: فقراً وفاقة.

إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[1].

الأسلوب القرآني يخاطب كل ما في الإنسان:

خاطب القرآن الكريم عقل الإنسان وقلبه وجوارحه جميعاً، وبدأ بتوجيه عقل الإنسان إلىٰ التفكّر وإعمال العقل، والالتفات إلىٰ أسس الدعوة وأصولها، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

ومرة تلو مرة يؤكد القرآن الكريم علىٰ استدعاء العقل والفكر والقلب في الأسلوب القرآني للدعوة، وذلك من أجل تحرير العقل من الخرافات والشعوذات، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

وبالتالي، فالأسلوب القرآني للإعلام يعتبر بحق أسلوباً علمياً يدعو الإنسان إلىٰ النظرة الحرة لواقع حياته وحياة مجتمعه؛ علىٰ أساس من العقل والإرادة الحرة، ومن الأساليب المختلفة التي استخدمها القرآن الكريم: أسلوب القصص، وسرد الأحداث الجارية، وضرب الأمثال للمقارنة بين موقف وموقف.

وبذلك تألّقت الغايات الكبرىٰ، والمثل العليا في الجانب الوجداني

---

(١) النساء: ١٣٨ ـ ١٤٣.
(٢) البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.
(٣) الروم: ٢١ ـ ٢٤.

للإعلام القرآني علىٰ نحو معجز ، لا مثيل له في تاريخ الدعوات التي شهدتها البشرية ، لقد فتحت الأبواب علىٰ مصاريعها لينطلق الإنسان المقيّد بأغلال القهر والوثنية ، التائه في بيداء الضياع ، ليخرج إلى الآفاق الرحبة لرحمة الله ورضوانه ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

وهذا الأسلوب القرآني معجز للغاية ، حيث يزرع في وجدان الناس غايات سامية ، ويضع لكل عمل ثمرة وجزاء ، تهفو إليه كل نفس أحسّت في الماضي بالضياع وفقدان الجدوىٰ في كل شيء ، مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(٣).

ولو أخذنا مثلاً سورة البقرة: فقد قسّمت طوائف الناس إلىٰ ما يلي:

أ ـ المتقين: قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) الأعراف: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الحجر: ٤٥ ـ ٤٩. «غل»: حقد وضغينة وعداوة. «نصب»: تعب وإعياء.

(٣) الزمر: ٧٣ ـ ٧٤.

عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ب ـ المعاندين المتبجّحين: وهم الذين قال الله عنهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ج ـ المنافقين: وهم شرٌّ من الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[3].

إذن: يبقىٰ الإنسان بحاجة إلىٰ الوحي، ويبقى الأسلوب القرآني الإعلامي هو الأسلوب المعجز، وإلىٰ يوم الدين[4].

* * *

(١) البقرة: ١ ـ ٥.
(٢) البقرة: ٦ ـ ٧.
(٣) البقرة: ١٦.
(٤) للتوسع يراجع: الإعلام في القرآن الكريم، محمد حاتم: ص ٢١٠ ـ ٢٣٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث
بعض عناصر الإعلام القرآني

حدّد العلماء عدة عناصر للإعلام القرآني ، يمكن حصرها وإيجازها بما يلي :

أولاً : القرآن الكريم عقيدة وأخلاق وشريعة :

وذلك لأنه كتاب من عند الله سبحانه ، فيه العقيدة والشريعة والمنهج .

مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1] .

وفي القرآن تحديد واضح لأهداف الرسالة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[2] .

ولذلك جاء التأكيد في أكثر من مرة علىٰ أن القرآن الكريم هو الرسالة العالمية ، قال تعالىٰ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3] .

والمتدبّر للقرآن يصل إلىٰ قناعة تامة مفادها : أن المنهج الواضح للحياة كلها مبسوط في آيات القرآن الكريم ، وصدق الله القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) الأنعام : ٣٨ .
(٢) إبراهيم : ١ .
(٣) الفرقان : ١ .

﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

ثانياً: إن الرسول ﷺ بصفته الإعلامي الأول يحمل مؤهلات كبيرة:

وذلك لأن الله تعالىٰ قد خصّه بصفاتٍ معينة، وأخلاقٍ قرآنية حميدة، كل ذلك من أجل حمل رسالة السماء إلىٰ الناس كافة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٢).

وبالتالي فقد حُدّدت مهمة الرسول ﷺ بالإبلاغ، حيث لا دخل له بهداية الناس أو ضلالهم، وليست مهمته حمل الناس بالإكراه علىٰ أن يكونوا مؤمنين، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٣).

وقوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٤).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(٥).

ثالثاً: ما يتعلّق بالوسائل الإعلامية:

فقد كانت في عهد المعصوم ﷺ كلها عمل وقول وانتقال وخطابة، مع إرسال المبعوثين والدعاة إلىٰ جهات مختلفة... ، إضافة إلىٰ الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ إلىٰ الملوك والأمراء، مثال ذلك ما ذكره الحافظ ابن قيم الجوزية:

(وكتب ﷺ إلى النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسْلم أنت، فإني أحمد إليك الله

---

(١) يونس: ٥٧.
(٢) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.
(٣) المائدة: ٦٧.
(٤) البقرة: ٢٥٦.
(٥) الغاشية: ٢١ ـ ٢٢.

الذي لا إله إلا هوالملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسىٰ ابن مريم روح الله وكلمته ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلىٰ الله وحده لا شريك له ، والموالاة علىٰ طاعته ، وأن تتبعني ، وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وإني أدعو جنودك إلىٰ الله عز وجل ، وقد بلّغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ»[1] .

رابعاً: أساليب الدعوة التي وردت في القرآن الكريم ، وأهمها:

١ ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2] .

٢ ـ الدعوة ليس فيها إكراه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[3] .

٣ ـ اتباع أسلوب التدرج ، مثال ذلك ما حدث في مسألة تحريم الخمر ، ففي المرحلة الأولىٰ بيّن لهم أن في الخمر بعض المنافع ، ولكن الإثم المترتب عليها أكبر ، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[4] .

ثم صعّد البيان الإلهي مسألة التحريم ، فمنعهم من شرب الخمر قبيل الصلاة ، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[5] .

ثم كانت المرحلة الأخيرة وهي التحريم المطلق ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٦٨٩ ، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ١/ ٢٥٨ ، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٩٧ ، سنن الترمذي: ٥/ ١٢٤ .

(٢) النحل: ١٢٥ .

(٣) البقرة: ٢٥٦ .

(٤) البقرة: ٢١٩ .

(٥) النساء: ٤٣ .

عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

٤ ـ التبسيط في كل الأمور، وعدم التعقيد والتعسير، إنما الشعار الدائم هو «يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، تطاوعا ولا تختلفا»، قال الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2].

٥ ـ أسلوب تصنيف الناس في المجتمع: حيث يجب مخاطبة كل فئة في المجتمع بأسلوب معين يُناسبها، فمخاطبة المؤمنين تختلف عن مخاطبة الكافرين.

٦ ـ أسلوب المجادلة والحوار؛ كما في قول الله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

وبالتالي ليس في الحوار مقدّسات، فلكَ أن تحاور في الدّين والشريعة والمنهج! ولك الحق في أن تحاور حتىٰ في العقيدة، بل وحتىٰ في الأمور المتعلقة بالله سبحانه، وهذا منهج متحرّر يفتح أمام العقول دروب النور والهداية، ولذلك ضرب لنا القرآن مثالاً رائعاً، يحكي فيه عن الحوار الذي تمّ بين الخالق سبحانه، وبين ألدّ أعدائه وهو إبليس!!.

وفي الحكاية يقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[4].

---

(١) المائدة: ٩٠ ـ ٩١.
(٢) البقرة: ١٨٥.
(٣) العنكبوت: ٤٦.
(٤) الأعراف: ١١ ـ ١٧.

٧ ـ كذلك فقد اتبع القرآن أسلوب الثواب والعقاب ، فللمؤمنين الجنة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾(١).

وللكافرين عذاب أليم ، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾(٢).

٨ ـ وأسلوب مناشدة الضمير الإنساني ، بفتح الله لباب التوبة ، فالإنسان فيما يبتلىٰ به من معصية وذنب مرجو للتوبة ، فتكون توبته إقراراً بالذنب وعزماً علىٰ عدم الإصرار عليه ، أو الرجوع إليه ، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٣).

٩ ـ أسلوب استقراء التاريخ وأحداثه ، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾(٤).

١٠ ـ أسلوب الأمثال ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾(٥).

١١ ـ يقدّم القرآن الحديث عن الجنة ، ويردفه بحديثٍ عن النار ، وكذلك في صفات الله ، يورد التوبة ومعها العقاب.

١٢ ـ أسلوب تهذيب الأخلاق ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾(٦).

---

(١) النساء: ١٣.
(٢) هود: ١١٩.
(٣) الزمر: ٥٣.
(٤) الفرقان: ٣٠ ـ ٣١.
(٥) فصلت: ٤٣.
(٦) القلم: ٤.

١٣ ـ آداب الدعوة ، حيث يوجّه القرآن إلىٰ آداب الدعوة وحَمَلَة الدعوة ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١).

١٤ ـ أسلوب الجزاء ، سواءً كان للمحسن أو للمسيء: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

١٥ ـ أسلوب التبشير والإنذار ، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(٣).

١٦ ـ التتابع في الرسالة حسب حاجات القلوب واستعدادها للتلقي: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾(٤). وهكذا تكون أهداف الرسالة الإسلامية: إصلاح العباد أولاً فيما بينهم وبين ربهم ، ثم إصلاحهم في خاصة أنفسهم ، ثم إصلاح حال المجتمع ، وهذا ما اتفق عليه جميع الأنبياء عليهم السلام: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(٥).

* * *

(١) فصّلت: ٣٤.
(٢) غافر: ٦٠.
(٣) الفرقان: ٥٦.
(٤) الفرقان: ٣٢.
(٥) الشورى: ١٣.

الفصل الرابع
عقل الإنسان هو هدف الإعلام القرآني

ميّز الله تعالىٰ الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل ، واعتبر ذلك نوراً منه سبحانه ، ينير للإنسان طريق المعرفة ، ولذلك فالعقل يسيطر علىٰ كل شهوة ، ويتدبّر به الإنسان كل الأمور ، وكما قال أحدهم: لكل شيء أساس ، وأساس الإنسان عقله ، وبقدر عقله يكون دينه وعلمه.

ولذلك فالإعلام القرآني موجّه إلىٰ عقل الإنسان ، ولهذا يحثّنا الله سبحانه وتعالىٰ لأن نستخدم العقل في كل أمورنا ، فأحكام الإسلام لا تتناقض مع العقل ، وواجب الإنسان أن يستخدم كل المعارف ليصلح من أحواله في المجتمع ويتصرّف بعقله ويفكّر ويتدبّر كل أمر. وينمو هذا العقل بالبحث المستمر والاجتهاد في الحياة الدنيا ، وإذا ما أطفأ الإنسان نور عقله فإنه ينساق كالأنعام ويتبع هواه ، ويتعصّب لشهواته وللعادات القديمة الجامدة ويتخبّط في الحياة الدنيا.

ولذلك يعاقب الله الإنسان إذا ما فعل شيئاً يؤثّر علىٰ عقله بالضرر ، مثل شرب الخمر ، فالسُّكْر يفقد عقل الإنسان فيتصرّف في أمور الحياة بلا وعي ولا اتّزان ، وقد ذكر القرآن الكريم ـ وهو رسالة السماء ـ الذين يستخدمون عقولهم في الفكر السليم والعمل الجيد بأنهم عقلاء. . .أولو الألباب: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

---

(١) إبراهيم: ٥٢.

إذن: إن الإعلام في القرآن يدعونا لاستخدام العقل وتنميته بالفكر والمعرفة والاجتهاد؛ ليكون سلوكنا متفقاً مع العقل السليم، والإنسان متكامل بجسمه وعقله.

وكما يقول: إن العقل السليم في الجسم السليم، ولذلك يجب علىٰ الإنسان المحافظة علىٰ صحة جسمه.

وقد ورد ذكر العقل باسمه ومشتقاته في القرآن الكريم نحو خمسين مرة، وذِكْرُ أولي الألباب أكثر من عشر مرات، كذلك ورد في سورة طٰه: ﴿لِأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾[1].

وفي المأثور: ما اكتسب رجل من فضل عقل يهدي صاحبه إلىٰ هدىٰ، ويردّه عن ردىٰ، وما تمّ إيمان عبدٍ ولا استقام دينه حتىٰ يكمل عقله.

ومثله: إن لكل شيء مطية، ومطية المرء العقل، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجّة أفضلكم عقلاً.

ومثله: لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم الفجّار في النار: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

وقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: أثنىٰ قومٌ علىٰ رجلٍ عند النبي ﷺ حتىٰ بالغوا، فقال صلوات الله عليه: كيف عقل الرجل؟

فقالوا: نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟

فقال: «إن الأحمق يُصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفىٰ علىٰ قدر عقولهم».

ولذلك فإن القرآن الكريم ـ وهو المعجزة الخالدة ـ قائم علىٰ العقل،

---

(١) طٰه: ٥٤.

(٢) الملك: ١٠.

بينما معجزات الأنبياء عليهم السلام ـ كانقلاب العصا حيّة ، ـ وإحياء الموتى وما إلىٰ هنالك ـ هي آيات مادية ، ولما شاء الله تعالىٰ بعد بلوغ الإنسان نمواً عقلياً كبيراً أن تكون هناك معجزة خالدة باقية إلىٰ يوم يُبعثون ، أنزل القرآن الكريم علىٰ قلب النبي العظيم ﷺ .

ولذلك حينما طلب الكفار من النبي ﷺ آيات ومعجزات مادية ، وكان هدفهم الاستهزاء والاستخفاف وليس الإيمان ، نزلت آيات الله في القرآن ، تكشف أغراضهم ، من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[1] .

ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾[2] .

وبالتالي فالقرآن الكريم يأخذ بأحكام العقل ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : إن الله تعالىٰ جعل رسالة محمد ﷺ قائمةً علىٰ قواعد العلم والعقل ، وذلك لأن البشر بدؤوا يدخلون بها في سنّ الرّشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه ، ولن تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون ، والقرآن الكريم يتحدّى بمعجزاته قدرات الإنسان والعقل ، قال تعالىٰ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3] .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾[4] ، ولذلك كان القرآن

---

(١) الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣ .
(٢) الحجر : ١٤ ـ ١٥ .
(٣) الإسراء : ٨٨ .
(٤) البقرة : ٢٤ .

معجزة باقية ، ما بقي عقل الإنسان ، بينما معجزات الأنبياء السابقين تظهر في وقت نزولها لا يراها إلاّ من عاشها ، ثم تنتهي بانتهاء الحدث نفسه[1].

. . . ويقول الشيخ محمد عبده رحمه الله: معجزة القرآن جامعة من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله بالفهم ، فهي معجزة عرضت علىٰ العقل وعرَّفته ما فيها ، وأطلقت له حق النظر في أنحائها ، ونشر ما انطوىٰ في أثنائها ، وله منها حظه الذي لا ينتقص.

فهي معجزة أعجزت كل بليغ أن يأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف ، أو حياة ميت ، أو إخراج شيطان من جسم ، أو شفاء علة من بدن ، فهي مما ينقطع عنه العقل ويحمد لديه الفهم ، وإنما يأتي بها الله علىٰ يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضئ عقولهم بنور العلم ، وهكذا يُقيم الله بقدرته من الآيات للأمم علىٰ حسب الاستعدادات[2].

وهكذا ، فقد خلق الله سبحانه الناس متفاوتين في قوة الإدراك بالعقول ، فمنهم من يتبع التعصّب ، ومنهم من يقلّد ، ومنهم من يتبع الظن والهوىٰ.

كل ذلك يعتبر عقبات تقف عثرة أمام التقدم والترقي للإنسان الذي يريده الله للإنسان ، ولذلك نزلت الآيات القرآنية في هذه الأمور كلها.

وقد حكىٰ الله ما قاله الكفار للنبي ﷺ حين دعاهم إلىٰ النور ، فقال: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[3] ، ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[4].

وكان الردّ الإلهي علىٰ افتراءاتهم: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[5]

---

(١) الوحي المحمّدي: ٧٠ ـ ٧١.
(٢) الإسلام والنصرانية: ٣٨ ـ ٣٩.
(٣) الحجر: ٦.
(٤) الصافات: ٣٦.
(٥) الصافات: ٣٧.

وقوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾(١).

ومن الآيات الناهية عن التقليد في جميع مظاهره قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٢).

وقال في شأن الكافرين عند دخول النار، ناقلاً قول الملائكة لزعمائهم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾(٣).

وجاء في شأن السابقين عموماً من آباء وغيرهم: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(٤).

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾(٥).

وفي مشهد آخر يقول الله تعالىٰ عن المقلّدين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ

---

(١) المؤمنون: ٧٠.
(٢) البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٣) صٓ: ٥٩ ـ ٦٠. «مقتحم»: داخل. «صالو النار»: داخلوها ومقاسو حرّها.
(٤) الأعراف: ٣٨ ـ ٣٩. «اداركوا فيها»: تلاحقوا في النار واجتمعوا فيها.
(٥) الزخرف: ٢٠ ـ ٢٤. «يخرصون»: يكذبون. «على أمة»: على دِيْن وطريقة تُؤَمّ وتُقصَد.

مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

ولذلك خاطب الله نبيّه داود عليه السلام بقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[2].

وخاطب خاتم الأنبياء ﷺ بقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾[3].

أما أولئك الحمقىٰ الذين عبدوا الخشب والحجر والشجر ونحو ذلك، وأطلقوا عليها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، فالله تعالىٰ يخاطبهم بقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[4].

وأما الذين أنكروا البعث بعد الموت، فيقول الله تعالىٰ لهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[5].

وأما الذين أشركوا مع الله أنداداً، فالله تعالىٰ يخاطبهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

---

(١) سبأ: ٣١ ـ ٣٣.
(٢) صٓ: ٢٦.
(٣) الشورىٰ: ١٥.
(٤) النجم: ٢٣.
(٥) الجاثية: ٢٤.

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[1].

وهكذا يلتقي الدين مع العقل في محاربة الخرافة والشعوذة وادّعاء معرفة الأمور الغيبية ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2].

حتىٰ الرسول المعصوم صلوات الله عليه فليس لديه معرفة بأمور الغيب أبداً ، إلا ما يطلعه الله عليه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾[3].

وما أكثر الآيات التي تحضّ علىٰ التأمّل والتفكّر والنّظر في هذا الكون الفسيح ، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4].

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[5].

ومما ورد في النعي علىٰ من يهملون عقولهم ، واستحقّوا أن يكونوا

---

(١) الأنعام: ١٤٨. «تخرصون»: تكذبون على الله تعالى.
(٢) الأنعام: ٥٩.
(٣) الأعراف: ١٨٨.
(٤) البقرة: ١٦٤.
(٥) النور: ٤٣ ـ ٤٤. «يزجي سحاباً»: يسوقه برفق إلى حيث يريد. «يجعله ركاماً»: مجتمعاً بعضه فوق بعض. «الودق»: المطر. «سنا»: ضوء.

كالبهائم المجرّدة من هذا الامتياز الكريم ، قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

إذن: خاطب الله تعالىٰ عقل الإنسان ، وذلك من خلال رسالته الإعلامية القرآنية ، وشنّت الشريعة الإسلامية حرباً عنيفة ضد الذين يعطّلون عقولهم ، أو يتبعون الظنون ، أو يقلّدون الآخرين تقليداً أعمىٰ . . . ، ورحم الله الشيخ محمد متولي شعراوي عندما بيّن موقف الإنسان تجاه الحياة والدعوة ، وذلك بقوله: . . . منهج حياة الإنسان الحياة السعيدة . . . الآمنة ، وضعها الله سبحانه وتعالىٰ وقال: هذا منهجي ، وضعته لكم لتطيعوه في الحياة الدنيا ، فتفوزوا في الدنيا والآخرة ، ولقد وضعت لكم في هذا المنهج حرية الاختيار ، وحمّلتكم الأمانة . . . ، فمن جاءني طائعاً مختاراً ، فهو في كنفي ، أدافع عنه وأحميه ، وأوفّيه أجره في الدنيا والآخرة ، ومن لم يأتني وكفر بنعمتي ، فيتحمّل وزر ما فعل.

وكان هذا هو المنهج الذي نزل به آدم إلىٰ الأرض ، والذي أرسل الله الرسل ليذكروا به ، كلٌّ إلىٰ قومه ، بعد أن نسي أولاد آدم منهج الله ، وحرّفوه. وأخفوه ، وأضافوا له أشياء هي من عندهم ونسبوها إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ظلماً وعدواناً ، ولذلك عندما أنزل الله المنهج كاملاً متكاملاً ، وهوالقرآن الكريم ، جامعاً لكل رسالات الأنبياء ، مزيداً عليها ، ومصححاً لما حُرّف ، وجعله خاتم الرسالات في الأرض ، قرّر الله سبحانه وتعالى أن يقوم هو بالحفاظ علىٰ المنهج حتىٰ لا يدخله تحريف بشري ، وظل القرآن طوال أربعة عشر قرناً ، وسيظل إلىٰ قيام الساعة ، محفوظاً من الله سبحانه وتعالىٰ ، مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

---

(١) الأعراف: ٥٩.

(٢) الحجر: ٩.

والله سبحانه وتعالىٰ وضع المنهج ، وخلق الإنسان ، وعلّمه هذا المنهج ، وكيف يطيعهُ برسل أرسلها من البشر لتطبق المنهج تطبيقاً عملياً يكون قدوة وبياناً وبرهاناً لكل من يجيء بعدهم ، وبشرية الرسول ﷺ في الرسالات حتمية ، لأنه لو أنزل الله سبحانه وتعالىٰ رسولاً من الملائكة ، أو من الجان ، أو من جنس غير البشر ، لقال الناس: هؤلاء ملائكة مخلوقون من نور ، ولهم قوانين ، ولا نستطيع أن نفعل ما يفعلونه ، أو: هؤلاء جان مخلوقون من نار ، وقوانينهم مختلفة عنا ، ولا نستطيع أن نفعل ما يفعلونه، أو: هؤلاء ليسوا بشراً ، وقوانينهم تختلف عنا ، وقدراتهم فوق قدراتنا ، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نقوم بما يقومون به ، ولقالوا لله سبحانه: لو كنت قد أرسلت لنا بشراً رسولاً له قدراتنا نفسها ، قوانينا نفسها ؛ لاتبعناه ، ولذلك أرسل الله سبحانه وتعالىٰ رسلاً اصطفاهم من البشر حتىٰ لا يكون لإنسان حجة يوم القيامة في عدم تطبيق منهج الله ، لأنه فوق قوانين البشر وقدراته ، بل تكون بشرية الرسول حجّة عليهم في أنه كان بشراً رسولاً ، وكان يطبق ويقدر علىٰ تطبيق المنهج ، فلا عذر لكم ، وحجتكم مرفوضة .

والحمد لله الذي أرسل منهجه لنا من السماء لنتّبعه ، لماذا؟ لأن الحياة دون منهج من الله فوضىٰ ، حيث يفعل كل إنسان ما يهوىٰ ، ويتّخذ كل واحد إلهاً من دون الله ، وبالتالي فالقوي يقتل الضعيف ، والحاكم يستعبد المحكوم ، وتصبح الأرض أسوأ من غابة مملوءة بالوحوش ، يفتك كل منها بالآخر ، ولا توجد حماية لأحد ، وإن الإنسان حين يفعل ما في هواه دون قيود عليه ، يصبح الحرام عنده حلالاً .

ونجد في القرآن أن كل خير فيه من جنس البشر ، أي كل شيء يكون فيه هوىٰ الإنسان هو الذي يصيب البشرية بشرٍّ ، ولكن الذي يحوّل الشرّ إلىٰ خير ، وينشر السلام والأمان في الأرض ، هو الإيمان .

ويقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

هذا هو حكم الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ البشرية ، فقدان المنهج خسران مبين ، وشرّ وويل وفساد في الأرض ، وقتل لكل ما هو صالح ، ومنع للخير.

ثم يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2].

فالإنسان بلا منهج يحرق الزرع ، ويخرب الأرض ، وينشر الذعر والخوف والفساد ،فهو كالوحش ، أما إذا تمسّك الإنسان بالمنهج كان المجتمع الصالح الذي لا يشقىٰ فيه بشر.

ثم يصف الله سبحانه وتعالىٰ نفسية الإنسان الذي يعيش دون منهج ، فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[3].

أي: إن الله سبحانه وتعالىٰ يقول لنا: إن الإنسان عندما يكون بلا منهج ورأىٰ شرّاً ، أو واجه شراً فهو هلوع خائف يستسلم ولا يقاوم ، فالجبن أساس حياته ، وهذا يفسّر لنا كيف استعبد البشر ألوف السنين ، وكيف كان القوي يستعبد الضعيف ، ولذلك خشي الناس أقوياءهم ، فكان هناك بشر نصّبوه إلٰهاً يسجدون له ، لأنه قوي ، ولأنه ينذرهم بالشر ، فإذا أنذرهم بالشر هاموا وخافوا ، وسجدوا له وعبدوه ، وعبودية الإنسان للإنسان هي أسوأ أنواع العبودية ، بينما عبودية الإنسان لله هي أرقىٰ أنواع الحياة ، لماذا؟ لأن الإنسان إذا استعبدك أخذ منك ولم يعطك شيئاً.

وهكذا يدفعك الهلع والخوف الذي يضعه في نفسك عدم الإيمان ،

---

(١) العصر: ١ ـ ٣.
(٢) العصر: ٣.
(٣) المعارج: ١٩ ـ ٢١.

يدفعك هذا إلىٰ أن تعيش حياة البؤس والشقاء ، ويستعبدك من هو أقوىٰ منك .

ويأخذ منك كل ما تملك ، وإذا اختلفت معه قتلك ، وسلبك الحياة .

وكلُّ عبوديتك لله سبحانه وتعالىٰ هي عطاء بلا أخذ ، فالله يعطيك الحياة ، ويعطيك الصحة ، ويعطيك المال ، ويعطيك الولد ، ويعطيك العافية ، ويعطيك الطمأنينة ، ويعطيك الشجاعة والقوة والقدرة ، ويعطيك الأمن ، ويعطيك المنهج الذي يكفل لك كل حقوقك ، فلا يضيع لك حق ، مهما تكن قوة ذلك الذي يظلمك ، لأن الله أقوىٰ منه ، فمنهج الله مع الضعيف ضد القوي ، ومع المظلوم ضد الظالم .

ولقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : الضعيف منكم قويٌّ عندي حتىٰ آخذ الحق له ، والقوي منكم ضعيف عندي حتىٰ آخذ الحق منه ! ! .

وهكذا منهج الله ، قوة للضعيف ، ووقوف في وجه الظالم ، فأنت حين تتّبع منهج الله تعش حياة كلها عطاء .

وتمضي الآية الكريمة في وصف أولئك الذين لا يتبعون المنهج : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[1] .

أي : إن أولئك الذين لا يتبعون منهج الله ، إذا أصابهم خير ، اغتروا لأنهم في منعة الله ، فاستكبروا ، ونسبوا الفضل إلىٰ أنفسهم وقدراتهم ، فإذا بهم يستخدمون هذا الخير في إفساد الأرض بدلاً من صلاحها ، ويعيشون ظلماً وفساداً فيها ، معتقدين أن مالهم وما أعطوا من خير يجعلهم في منعة ، فيبقون علىٰ هذا الافتراء كله ، وذلك مرجعه إلىٰ إحساسهم بأن الخير يمنعهم من حساب الله ، ويطلق يدهم في ظلم الناس ، وهم بدلاً من أن يعترفوا بفضل الله عليهم يطغون .

أما ذلك الذي يتبع منهج الله ، إذا مسّه الخير يعلم أن ذلك من الله

---

(١) المعارج : ٢١ .

سبحانه وتعالىٰ ، فيحمد الله علىٰ فضله ، وينسب الخير لأهله ، والقدرة لله ، ويستخدم هذا الخير في إصلاح الكون حسب ما يأمر منهج الله ، فيعطي اليتيم والفقير ، ويحسن للمسكين ، ويخاف أن يظلم أحداً فيذهب الله عنه النعمة ، ويرعىٰ الله الذي أعطاه هذا الخير في كل قرش ينفقه ، وكل ما يخرجه ، وهو يصلح ولا يفسد ويقيم ولا يهدم ، ويعمر ولا يخرب ، وبذلك تصبح الأرض كلها خيراً وبركة ، والحياة طيبة آمنة .

وبعد أن يعطينا الله صورة للإنسان الذي بلا منهج ، بأنه إذا أصابه شر ، أو هدده بشر ، خاف وأصابه الهلع وسقط علىٰ ركبتيه مستسلماً ، وإذا أصابه الخير أفسد في الأرض ، وحسب أنه في منعة من الله ، يقول الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ . . . ﴾[1] .

أي : المؤمنين المطبقين للمنهج ، لماذا؟

لأنه يعلم أنه إن كان ضعيفاً يواجه قوياً شرساً ، فإن الله معه ، والله أقوىٰ من خصمه ، والله أقوىٰ من ذلك الذي جاء يتوعّده بالشر ، ولذلك فهو لا يستسلم ، ولا يهلع أبداً ، لأنه حتىٰ لو وقف في مواجهة أقوىٰ الشر ، فإنه يحسّ بقوة الله معه ، وبقدرة الله بنصره ، فيصبح ذلك القوي أمامه ضعيفاً ، ويصبح ذلك الجبّار أمامه بشراً لا يخشاه ، وهكذا يورث الإيمان شجاعة في النفس ، وقوة للوقوف في وجه أي حاكم جبّار مهما بلغ ، فلا تهن النفس حتىٰ ولو واجه الإنسان الموت ، لأنه إذا مات الإنسان مدافعاً عن ماله أو عرضه ، مات شهيداً ، والمؤمن لا يخشىٰ الشهادة ، ولكنه يتمنّاها ، ولذلك فإن المؤمن لا يمكن أن يُستعبد ، ولا أن يهلع ويخاف أمام طاغية جبار ، ما دام في صدره إيمان ، ولا يمكن أيضاً أن يجعله الخير يحسّ بأنه في منعة من الله ، بل إنه يستخدم الخير ليزيد حسناته ، ويتقرّب إلىٰ الله ، فهو يعلم أن الباقي هو الله وحده ، وأن ما يبقىٰ له من عمل ، هو ما قصد به وجه الله .

---

(١) المعارج : ٢٢ ـ ٢٣ .

هكذا نجد أن القرآن الكريم أورد كثيراً من الآيات التي تتحدث عن سلوك الإنسان.. وعن خلقه.. وعن مصيره، مثال ذلك قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[1].

وقوله عز وجل:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[3].

وهكذا، نجد أن القرآن الكريم لا يخاطب الناس بأسلوب واحد، إنما يخاطب المؤمنين بأسلوب، ويخاطب أهل الكتاب ـ وخاصة اليهود والنصارىٰ ـ بأسلوب آخر، ويخاطب المشركين والكافرين بأسلوب ثالث[4].

* * *

(١) الحجر: ٢٨ ـ ٣٥. «ساجدين»: سجود تحية لا سجود عبادة. «رجيم»: مطرود من الرحمة.

(٢) النازعات: ٢٧ ـ ٣٣. «أغطش»: أظلم. «ضحاها»: نهارها المضيء بالشمس. «دحاها»: بسطها.

(٣) التين: ١ ـ ٨.

(٤) للتوسع يراجع: الإعلام في القرآن الكريم ـ مرجع سابق ـ: ٣١٩ ـ ٣٤٤.

obeikandl.com

الباب الرابع: دور الإعلام وتأثيره في الجماهير

الفصل الأول: أهمية الدراسة السيكولوجية لجماهير الاتصال.

الفصل الثاني: مجالات وطبيعة تأثير وسائل الإعلام الجماهيري.

الفصل الثالث: التحكّم في الفكر... وغسيل الدماغ!!.

الفصل الرابع: دور وسائل الإعلام في تدعيم الاتجاهات وتغييرها.

الفصل الخامس: دور الإعلام في نشر القيم والفضائل.

الفصل السادس: بعض أشكال الرقابة علىٰ الإعلام المعاصر.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
أهميّة الدراسة السيكولوجية لجماهير الاتصال

يعلّق رجال الاتصال أهمية كبرىٰ علىٰ معرفة آراء الجماهير ، وذلك فيما يقدّمونه من برامج مقروءة أو مسموعة أو مصورة أو مرئية ، لأن القاعدة الأساسية في المجال الإعلامي هي أن الأجهزة الإعلامية تستمدّ اتجاهاتها السيكولوجية من الدوافع النفسية الأساسية لدىٰ الجماهير ، وبالتالي فجماهير الإعلام هم أصحاب التأثير الأول فيما يقدّم إليهم من برامج ، وهذا هو المقصود بالمبدأ الإعلامي المعروف :

(إن المتلقي هو مَنْ يحدّد اتجاه المصدر الإعلامي ، ومقياس ذلك الدلائل التي تفيد إقباله عليه ، أو إعراضه عنه).

وقد أكدت الدراسات والأبحاث علىٰ النتائج المهمة لقياس اتجاهات الرأي العام ، وذلك للتعرّف علىٰ ميول جمهور الإعلام.

لذلك ، فمن المهم بمكان دراسة الخصائص المميّزة لكل فئة من فئات المجتمع النوعية والعمرية ، ومن البديهي أن معرفة هذه الخصائص مفيدة أعظم إفادة :

أ ـ في الوسيلة : أي الطريقة التي يمكن بها مخاطبة هذه الفئات إعلامياً.

ب ـ في المادة: أي الرسالة التي يمكن توجيهها إليهم في المجال الإعلامي.

جـ ـ في المتابعة: أي معرفة النتائج ، ومواجهة المشكلات التي يمكن أن تحدث أثناء عملية الاتصال ، وبعدها أيضاً.

جمهور الأطفال

من الخطأ أن يظنّ بعضهم بألاّ جدوىٰ من النظر إلىٰ الأطفال (جمهوراً) ، بحيث يمكن أن تقدّم له رسائل إعلامية ، وبالتالي فالواقع عكس ذلك تماماً ، وذلك لأن نتائج قياسات الرأي تشهد بأن الأطفال جمهورٌ جيّد فضلاً عن أنه (جمهورٌ مقلّد) ، وعندما تقوم هذه النتيجة إعلامياً ، نجد أن التقليد يعتبر (ذروة عليا) في نجاح الرسالة الإعلامية ، وهو يبلغ مبلغ التقمّص الشخصي لدىٰ الكبار.

والطفل في المجتمع الحديث ، والذي يتدرّب علىٰ معرفة الظروف المحيطة به يتعلّم بالطريقة نفسها التي تعلّم بها أي عضو من أعضاء مجتمع ما قبل التعليم ؛ من خبرة عينية وأذنية مباشرة. . . دون توسيط ، يتعلّم أولئك الأطفال أن يقرؤوا أيضاً.

ولكن يأتي هذا في المرتبة الثانية وليس في المرتبة الأولىٰ ، كما هو الحال بالنسبة للذين سبقوهم ، والدراسات التي أُجريت علىٰ الأطفال الذين نشؤوا في عصر التليفزيون ، أي: الأطفال من كل الطبقات الاجتماعية الذين اعتادوا الحصول علىٰ معلوماتهم أساساً بوساطة التليفزيون ، تبيّن أن الجيل الجديد لا يركّز علىٰ الصورة كلها ، كما يفعل الفرد المتعلّم الناضج حينما يشاهد فيلم رعاة البقر مثلاً ، بل يمرّون بأعينهم بسرعة علىٰ الشاشة ، ويركزون علىٰ جراب المسدس ، ورؤوس الجياد ، والقبعات ، وكل التفاصيل الصغرىٰ الأخرىٰ ، وحتىٰ في أشدّ معارك المسدسات ، يراقب الأطفال التليفزيون بالطريقة التي يراقب بها الإفريقي القبلي غير المتعلّم السينما[1].

---

(١) للتوسع يراجع: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، الدكتورة جيهان رشتي: ص ٣٥٥.

وقد أكدت الدراسات الميدانية علىٰ أن المرئيات المصوّرة هي أهم ما تتعلّق به عين الطفل في سنواته الأولىٰ ، حيث نجد الأطفال مغرمين في بداية تفتّحهم بمطالعة الكتب والكرّاسات المصوّرة ، وذلك لما فيها من جاذبية تشدّهم بألوانها الزاهية ، وحروفها الكبيرة ، وصورها البرّاقة الخاطفة .

يقول الباحث (بلومر): إن التليفزيون والفيلم يستحوذان علىٰ اهتمام كامل من جانب الجماهير ، خاصة اهتمام الأطفال ، فقد كشفت بعض الدراسات أن جميع المعلومات التي تظهر في الأفلام تبدو واقعية ، والأطفال يتذكّرون تلك المواد بشكل أفضل .

ويمكن إرجاع هذه الخاصة في الأطفال إلىٰ أنهم يستمدّون خبراتهم ومعرفتهم بالأشياء في هذه السنّ المبكرة عن طريق حاستي العين والأذن ، ومن ثمّ تبقىٰ المادة الإعلامية المصوّرة في مقدمة ما يجذب انتباههم ، وإن لم تكن ذات مدلول في أذهانهم الصغيرة .

يلي ذلك في الترتيب ، وبعد أن يتوافر لديهم قسط معقول من الثقافة المبدئية ـ أي في الطفولة المتوسطة ـ اهتمامهم الشديد ، وشغفهم الكبير بالقصص الفكاهية المصوّرة ، ومتابعة المسلسلات المشوّقة ، التي تشبع فيهم ملكة التخيّل ، وترضي لديهم الرغبة في المعرفة ، والإحاطة بأشياء خارج البيئة ، فتجد الواحد منهم يقول في براءة: أنا أعرف أشياء كثيرة ، منها كذا . . . وكذا .

ومن المؤكد أن كثيراً من المصادر الإعلامية تعرف هذه الظاهرة في نفوس الأطفال ، وتعمد قصداً إلىٰ غمر الأسواق بما يُعرف الآن بالقصص والمغامرات الفكاهية .

هذه القصص والمغامرات التي تعرض البطل الذي لا يقهر ، وتقدّم نماذج لإنسان العصر الخرافي الذي يصنع ما يشبه المعجزات في قهر الأعداء ، والسيطرة علىٰ الأجواء ، وكلها نماذج غير واقعية ، محاطة

بمواقف بيئية غريبة كل الغرابة في شكلها ومضمونها عن واقع حياتنا ، ومادة تراثنا ، ومستقبل أطفالنا.

وإن المرء ليقع في شباك الحيرة المرّة إزاء هذا التيار الغامر من الثقافة الوافدة التي لا تسندها أصول ثابتة من ثقافتنا العريقة ، وقيمنا الاجتماعية ، ومبادئنا الدينية ، وخيرٌ لأجهزة الإعلام أن تدرس الموضوع دراسة جذرية خشية أن يضيع الوقت قبل أن يتزوّد أطفالنا بما يسهم في نموّهم العقلي والوجداني عن طرق ثقافة إعلامية مستوحاة من مصادر التراث الإسلامي ، وتتفق مع العادات والاتجاهات الاجتماعية الدينية.

وإن خطورة أجهزة الاتصال علىٰ الطفل ، لا سيما الأجهزة البصرية السمعية منها متأكدة لدينا جيداً باعتبارها أداة تشكيل لنفسية الطفل وتعريفه بنفسه ، ولكي يطوّر فكرته عن ذاته، يجب أن ينظر الطفل أولاً إلىٰ نفسه كشيء ، وأن يتصرّف تجاه نفسه كما يتصرّف تجاه الناس الآخرين ، وبمعنىٰ آخر: فكرة الذات لا تسبق الاتصال ، بل تتطور من خلال الاتصال ، والطفل الصغير يقلّد كثيراً ، فهو يلاحظ سلوك الآخرين ويحاول أن يقلد سلوكهم بقدر الإمكان ، وبعض السلوك الذي يقلّده موجّه إليه[1].

جمهور المراهقين

نظراً إلىٰ أن المراهقة مرحلة زمنية متوسطة ، بين الطفولة المتأخرة والشباب المبكر ، وحيث إن لكل مرحلة من مراحل العمر خصائصها النفسية ، ومتطلباتها المنبثقة من هذه الخصائص.

فإن أهم ما تتميّز به هذه المرحلة في العادة أنها سنّ الخيال الواسع الجامح ، ومرحلة الأحلام الوردية اللذيذة ، والتطلعات النفسية المتنوعة ، حيث يبدأ المراهق في الوقوف علىٰ أعتاب الحياة الاجتماعية ، وما تحمل من مثيرات ومغريات وتناقضات محيّرة ، والمراهق لا يبدأ في الاغتراف من

(١) للتوسع يراجع: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ـ مرجع سابق ـ: ص ٣٧٤.

هذه المثيرات والمغريات ، ولكنه يهيئ نفسه لذلك ، وقد يعيشه في الخيال عن الطرق البديلة التي تحقق إشباعاً مؤقتاً ، ريثما يستكمل الأهبة لأخذ الدور الاجتماعي المناسب.

وتتميز هذه السنّ بالرغبة الشديدة في المسلسلات الضاحكة المنعشة ، التي تدغدغ حواسه وتخاطب أحلامه ، والعنصر الجذّاب في هذه المسلسلات هو (الفكاهة) ، وذلك لأنها تنفِّس عنه كثيراً من مكبوتاته.

وعادةً ما يميل المراهق أيضاً في هذه المرحلة من العمر إلىٰ المواد الإعلامية ذات الصفة الغامضة التي تحرّك ذكاءه ، أو تثير في نفسه التساؤلات الكثيرة عن الأسباب والنتائج ، فهو ينشغل كثيراً بأعمدة الذكاء والكلمات المتقطعة في الصحف ، وبرامج الألغاز والفوازير ، وأخبار الحوادث المثيرة ، وأفلام (الكاوبوي) ورعاة البقر ، وكثيراً ما يجد المراهق نماذجه المحبّبة ـ للأسف ـ في هذه المواد.

ويتعلّق المراهق كثيراً بما يرضيه ، ويملأ إعجاباً بما حصل عليه من معلومات يظنّ أو يتوقع أن غيره لا يعرفها ، ولأنه يجد في الأفق الاجتماعي والفني شخصيات يعجب بها ويتحَّد معها ، ويميل إلىٰ جمع المعلومات الكثيرة عنها ، بحيث يحلو له أن يعتبر نفسه (حجّة) في مثل هذ الموضوعات التي يعلو صوته فيها عند المناقشة كثيراً.

وتعتبر مصادر الإعلام ـ بصفة عامة ـ منابع متدفقة بالمعرفة في حياة المراهق ، حيث إن تعرّضه لها يساعده في تقمص الأدوار الاجتماعية العديدة التي ينتظر منه أن ينهض بها.

(ماذا يفعل المراهق؟ يبدأ في أخذ الأدوار في مرحلة مبكرة، أي: يبدأ في تقليد سلوك الآخرين دون معنىٰ ، وتدريجياً يأخذ أدوار الآخرين من الطلبة والمدرّسين.. إلخ ، ويضع نفسه في مواقف الآخرين ، وينظر إلىٰ نفسه من خلال أعينهم.

وهو إذ يفعل ذلك ، يطوّر مفهوماً جديداً عن الآخرين ، ومجموعة

جديدة من التوقعات عن سلوكه الذاتي ـ وهكذا يعيد تعريف نفسه ـ ويبدأ في التصرّف وفقاً لهذا التعريف الجديد.

وهذه العملية مطلوبة منا أكثر من مرة في مواقف كثيرة من حياتنا، فحينما ندخل في مجتمع جديد، أو ننضم إلىٰ جماعة جديدة، أو نسافر إلىٰ حضارة مختلفة تضعف قدرتنا علىٰ التنبؤ، فحينئذ يصبح من الصعب أن نصنع استنتاجاتٍ أساسها معرفتنا الذاتية.

وإذا كان علينا أن نعمل بفاعلية في تغيير الوضع الاجتماعي، فنحن في حاجة إلىٰ أن نأخذ أدوار الآخرين، ونعيد تعريف أنفسنا.

وعندما يتمّ ذلك، يصبح هذا إلىٰ حدّ ما علامة علىٰ أن الإنسان قد تكيّف)[1].

وهنا تأتي مسؤولية أجهزة الإعلام نحو المراهق:

١ـ من النادر أن توجه إلىٰ جماهير المراهقين برامج معينة ومخططة علىٰ أسس علمية إسلامية.

٢ ـ يحدث كثيراً أن يتخبّط المراهقون في دياجير الحيرة والجهل إزاء التغيّرات النفسية والجسمية التي تعرض لهم ـ دون أن يجدوا تفسيراً وتوجيهاً لذلك كله ـ سواءً من الأسرة بدافع من الحياء والخجل الفطري، أو من المدرسة لاقتصارها علىٰ شحن العقول بالمعلومات العلمية البحتة، أو المجتمع الذي يزدحم بالثقافات الفجّة والناضجة، ويضطرب بالتيارات الصحيحة والفاسدة.

وينتج عن ذلك هذه الانحرافات التي يتردىٰ في مهاويها أبناؤنا الحيارىٰ، بعد أن تخلّىٰ المسجد ـ وهو مصدر إعلامي ديني جامع ومؤثر ـ عن وظيفته الاجتماعية في إصلاح المجمع ـ أو عُزِل عن أداء هذا الدور.

٣ ـ تعريف المراهق بالأدوار الاجتماعية المطلوبة منه، مسؤولية يجب

---

(١) الأسس العلمية لنظريات الإعلام ـ مرجع سابق ـ: ص ٣٧٧.

أن تتحمّلها أجهزة الإعلام بجدية وتخطيط ، لأن الارتجال في أداء هذه المهمة ، بل في أي مهمة علىٰ الإطلاق مآله البوار ، وقد يضرّ أكثر مما ينفع .

جمهور الشباب

١ ـ يهتم الشباب كثيراً بالمشكلات الاجتماعية والعاطفية ، وهو يرىٰ نفسه في الأبواب الثابتة التي يتراسل فيها الشباب من الجنسين ، ويهتم أيضاً بقراءة المشكلات المنشورة في الصحف ، أو المقدمة إلىٰ المختصين بالإذاعة المسموعة أو المرئية .

كما يهتم جداً بمعرفة الحلول المقترحة لعلاجها ، ودوافعه هنا : وجدانية وعقلية .

ـ **وجدانية** : من حيث إن هذه المشكلات تثير في نفسه المرهفة إحساسات رقيقة عطوفة ، وتبعث فيه الميل إلىٰ التقارب والتمازج والتعاطف مع آمال ورغبات الآخرين ، ومشاركتهم مشاركة وجدانية .

ـ **وعقلية** : من حيث إن هذه المشكلات تعتبر بمثابة القضايا ذات الأحداث الاجتماعية التي تلحّ في طلب الحلول العاجلة أو الآجلة ، والشاب في هذا السنّ بحكم ما جمعه من خبرات ثقافية واجتماعية خصيبة ومتنوعة يهمّه أن يدرس حلول هذه المشكلات ، ويزنها بميزان عقله .

٢ ـ من الأمور المتعارف عليها لدىٰ الشباب في هذه المرحلة الاهتمام بما يمكن تسميته (بالظاهرات الشبابية الجماعية) ، تلك الظاهرات التي تجمعه بأنداده من رفاق المدرسة أو النادي أو الحي ، حيث يكون له بهم قوة ، ويأوي بهم إلىٰ ركن شديد ، باعتبار أن (جماعة الرفاق) تعتبر من الحاجات الثانوية أوالمكتسبة في مرحلة الشباب ، ومثل هذه التجمعات الشبابية لها في حياة الشباب نفسه أقوىٰ أثر ، وينطبق عليها المثل المشهور : (أخبرني عن صديقك أخبرك من أنت) ، والأمثلة كثيرة علىٰ هذه التجمعات

التي نذكر منها: تجمعات الرياضة (كرة القدم) مثلاً ، وتجمعات الترفيه (صحبة النادي) مثلاً ، وتجمعات الدراسة (المدرسة) ، وحتىٰ إذا لم ينضم الشباب أو بعضه إلىٰ هذه التجمعات فهو يتوقع أن يجد الكثير من أخبارها عبر أجهزة الاتصال ، ويجب أن يعرف ويشاهد أشهر الشخصيات المسؤولة عنها أو المشاركة فيها.

٣ ـ ومع ارتفاع المستوى العلمي للشباب يتزايد اهتمامه بالمشكلات المحلية والعالمية ، فيقرأ افتتاحيات الصحف ، ويبدي اهتمامه بمعالجة المسائل السياسية ، ويهتمّ بجمع المعلومات عن مختلف المشكلات في مختلف الجهات ، ويحرص علىٰ متابعة تفصيلاتها بعمق.

أما اهتمامه بتحليل الأخبار السياسية فيبدو أقل قليلاً ، ربما لأنه يحتاج إلىٰ خلفية فلسفية ، أو يتعلق بالقوانين الأولىٰ التي تحكم الصراع المحلي أو العالمي ، مما ينأىٰ به هذا الغوص وراء التحليلات السياسية إلىٰ مرحلة أخرىٰ من العمر والثقافة والمزيد من التخصص المعرفي.

وهناك مسألة أخرىٰ لا يهتم بها الشباب لأنه لا يجدها ، وخصوصاً في البلدان النامية ، وهي التعرّف إلىٰ ثمرات العلم التكنولوجية ، والنفاذ إلىٰ أعماقها الآلية ، وهو في الواقع ـ أو الكثير منه ـ إذا تلقىٰ ثقافة علمية ، يستطيع أن يكون برعماً نافعاً يبشّر بالكثير من الخير في المستقبل ، ولكن وسائل الإعلام ـ وحتىٰ وسائل التربية مع أشد الأسف ـ لا تساعده علىٰ ذلك ، رغم أن نوادي العلوم في معظم البلدان المتطورة تكنولوجياً استطاعت أن تفعل الكثيرلتحقيق ميول الشباب العلمية.

وبالتالي لا يسمح لشباب اليوم بالاقتراب من التراث التقليدي للبشرية من خلال باب الوعي التكنولوجي ، فقد أغلق هذا الباب الوحيد الممكن ، ذلك لأن المجتمع ينظر إلىٰ الشباب من خلال مرآة تعكس الأشياء الخلفية ـ الماضي ـ ويعيش الشباب اليوم بعمق في عالم خيالي أو سحري ، بينما يواجه عندما يتعلّم ظروفاً منظمة علىٰ أساس المعلومات المصنفة ، أي:

الموضوعات غير المتصلة التي يتم إدراكها بصرياً علىٰ أساس خطىٰ. . . ولا يجد الطالب أمامه وسيلة للاشتراك ، ولا يستطيع أن يكتشف كيف تتصل المشروعات التعليمية بعالمه الخيالي ؛ الذي تتحرك فيه المادة أو الخبر ألكترونياً.

ولذلك فعلىٰ المؤسسات العلمية أن تدرك بسرعة أننا نعيش في حرب أهلية بين تلك الظروف المحيطة ووسائل الإعلام الأخرىٰ غير الكلمة المطبوعة.

فالفصل الدراسي في كفاح حيوي ، من أجل الحياة في العالم الخارجي الذي أفرزته وسائل الإعلام الحديثة ، ويجب أن ينتقل التعليم من التدريس ، ومن فرض صور مطبوعة أو متماثلة علىٰ الطلبة إلىٰ الكشف والاكتشاف والتعمّق.

جمهور النساء

تهتم النساء كثيراً بمطالعة أخبار المجتمع ، ويقرأنها بشغفٍ شديد ، ولعل السبب في ذلك أن كل أنثىٰ تحمل أملاً جديداً لكل أنثىٰ ، فهن يرين أنفسهن فيما يُنشر من أخبار الزواج ، واحتفالات العرس ، وحفلات الأعياد ، والخطوبة الجديدة ، ونحو ذلك.

وتتسم مثل هذه المواد الإعلامية بالجاذبية الشديدة لهن ، ويتمثّل ذلك فيما يحرصن عليه عادة من تدقيق في قراءة الخبر ، وفحص شديد لمختلف الصور ، وتعليق مستبشر ضحوك علىٰ ما يستخلصنه من فكر وعبر.

ومن المقرر سلفاً أن النساء مغرقات في الخيال كثيراً ، ومن هنا تنجح الرسائل الإعلامية التي توجه قدراً كبيراً من عناصرها إلىٰ إثارة خيال المرأة ، وتوليد حبّ الاستطلاع ، والتأمُّل الخيالي لديها ، وأمثلة ذلك كثيرة ، منها المسلسلات اليومية ، والقصص الرومانسية ، والمشكلات التي تبحث عن حلول. . . إلخ.

ومما يشغل النساء كذلك تلك التي تتصل بحياتهن ، والفائدة هنا مشتركة ، ما بين الاستفادة من الثقافات المنزلية والأسرية بصفة عامة ، وكذلك تحقيق التعاطف مع صاحبات الرسائل الإعلامية ، والمقترحات النسوية ، وذوات الخبرة في شؤون العائلة ، وخبيرات العلاقات الاجتماعية ، والمربيات اللاتي يقدّمن خبراتهن في مجال التربية أوالحضانة.

ومن أمثلة البرامج: برامج الأسرة والمرأة ، والطفل السعيد ، وربّات البيوت ، والاقتصاد المنزلي ، وغير ذلك.

وتكون هذه البرامج ونحوها من التحقيقات الصحفية أكثر نجاحاً إذا كان يقدّمها إعلاميات متخصصات ، شديدات العناية بالطريقة والأسلوب ، ومقبولات اجتماعياً ، ومهتمات بدسامة المادة الإعلامية المقدّمة.

ومن الظاهرات المعروفة لدىٰ الفتيات ، أنهنّ أكثر استماعاً للمذياع من الشباب ، وربما يعود ذلك إلىٰ الوقت الفائض لدىٰ الفتيات من ناحية أنهن يمكثن وقتاً أطول بالمنزل ، ويستطعن مزاولة أعمالهن المنزلية والاستماع إلىٰ المذياع في الوقت نفسه، ويمكن القول أيضاً: إن المذياع أكثر اتساقاً مع طبيعة المرأة التي تحب الانطلاق والتحليق مع الأصوات ؛ التي تساعدها أيضاً علىٰ التأمّل والتحرّر من المكث في مكان واحد ثابت.

ويلاحظ بصفة عامة أن الفتيات أكثر وأعمق قراءة من الفتيان في نفس الفئة من العمر ، لا سيما بالنسبة للقراءات ذات الأثر السريع.

ومن أمثلة هذه القراءات أخبار الحوادث ، وأنباء العلاقات الأسرية والأحوال الشخصية ، والقصص القصيرة ، والأخبار الخفيفة الطريفة.

ويقابل ذلك في الناحية الأخرىٰ كثرة إقبال الشباب من الذكور علىٰ دور الخيالة ، لأنها تشبع فيهم نوازع حسّية أكثر منها لدىٰ الفتيات ، وبالنظر إلىٰ جو الانطلاق المتاح أمام الفتىٰ بصفة خاصة.

والسؤال المُلِحُّ: ماذا تحتاج المرأة المسلمة من أجهزة الإعلام؟

نحن ندعو إلىٰ الاهتمام العلمي والإعلامي ببرامج الاتصال الموجهة إلىٰ المرأة المسلمة بصفة رئيسية، وأسباب ذلك بيّنة لا تحتاج إلىٰ تفصيل.

فالمرأة هي مركز الإشعاع في البيت كله، والمرأة هي صاحبة القسط الأوفر من المهمة التربوية، فهي ذات تأثير عميق لا يقاوم بالنسبة لبنيها وبناتها علىٰ حدّ سواء.

وكلما تقدّمت المرأة في مضمار الثقافة والخبرة بالحياة درجات ودرجات، انعكس ذلك علىٰ أركان بيتها جميعها، وصارت موئلاً حميماً وصديقاً كريماً وقلباً رحيماً لكل من في المنزل.

ولكن المشاهد الآن عكس ذلك، فبرامج الإعلام الموجهة إلىٰ المرأة لا تصل إلىٰ قلبها، وإن كانت تخترق مسامعها لتهذّب بعض شؤونها التي تقوم علىٰ تنفيذها بيدها، من أمور الطهي والغسل والكيّ وتدبير المنزل... إلخ، والأمور المنزلية التي ليست هي الشغل الأساسي الأول والأخير للمرأة في العصر الحديث، وسيدة المنزل العصرية لا بدّ أن تجد في وسائل الاتصال ما يعينها علىٰ:

أ ـ غرس الميول والاتجاهات الخلقية المناسبة لروح العصر في نفوس الأبناء.

ب ـ اكتشاف المواهب الفطرية لديهم، وتنميتها، وتوجيهها، لا طمسها أو كَبْتُها أو تعطيلها ما دامت لا تجلب ضرراً ولا تمنع خيراً.

جـ ـ تفهُّم المشكلات التي تكدّر جو الأسرة، وما أكثرها في هذا العصر.

د ـ حفظ التوازن بين مختلف المستويات الاقتصادية في الأسرة الواحدة، وبين الأسر أو العائلات المتداخلة.

هـ ـ متابعة التطورات المختلفة في النمو الجسدي والعقلي للأبناء ، وملاحقة كل طور بما يحتاجه.

و ـ الاتزان العقلي في مواجهة مبتكرات التكنولوجيا المعاصرة ، وعدم الجري وراء كل صيحة جديدةٍ في عالم الاستهلاك ، لأن سعادة المرأة مرتبطة بالمعنويات لا بالماديات.

جمهور الشيوخ

لا ينبغي أن تتجاهل وسائل الإعلام جمهوراً مهمّاً ، هو جمهور الشيوخ ، ومن عجب أن هذه الفئة لا تنال ما تستحقه فعلاً من تكريم وتقدير للدور الكبير الذي نهضت به طوال سنين متوالية ، شهدت أجيالاً متعاقبة ، وتحمّلت أعباء ما يحسّ بها الكثيرون من أبناء العصر ، حين كانت التكنولوجيا ما زالت تحبو!.

وكانت معظم الأعمال يؤديها هؤلاء الآباء والأجداد بسواعدهم القوية ، دونما حاجةٍ إلىٰ أجهزة آلية ، ولا وسائل حديثة ، لأنها لم تكن قد اكتشفت بعد ، ولا كان يدور بخيال أحدٍ أنها ستكتشف.

ولذلك يجب أن تهتم وسائل الإعلام بأن تدرس ميول جمهور الشيوخ ، وأن تقوم بتقديم ما يشبع هذه الميول ، ذلك أن الدور الاجتماعي الذي لعبه الشيوخ في حياة أبنائهم وأحفادهم لم ينته بعد.

وما دامت أنفاس الحياة تتردد فيهم ، فالسلالات التي أتت من صلب هؤلاء الشيوخ ما تزال تحترمهم وتقدّرهم.

وعلى الرغم من الصراع الدائر بين الأجيال ، فإن أسباط هؤلاء الشيوخ يلجؤون إليهم ليعرضوا مشكلاتهم ، ويستفيدوا بتوجيهاتهم ، ويستمدوا منهم النصيحة ، ويستضيئوا بالخبرات العديدة التي مرّوا بها عبر مراحل حياتهم ، ولهم منها ـ علىٰ كل حال ـ عِبَرٌ مستفيضة ودروس مستقاة ومنتقاة

أيضاً ، وفي هذا دليل واضح علىٰ أن هؤلاء الشيوخ لم ينته دورهم بعد ، لذلك لا بـدّ من دراسة ميولهم الإعلامية .

وعادة ما يميل الشيوخ إلىٰ تتبع المواد الإعلامية الجادة ، ويشتغلون بمتابعة الشؤون العامة في الصحف ، ولهم فيها تحليل ، وتعليل ، ومقارنة ، وهم مع ذلك مهتمون غاية الاهتمام بمطالعة الكثير من المواد الإعلامية ، تلك المواد التي من شأنها أن تفتح شهيتهم الشرائية ، حيث يشعر هؤلاء الشيوخ بأن عليهم تكاليف كثيرة مفروضة نحو الأبناء والحفدة .

والإعلانات تفتح شهيتهم الشرائية لتحقيق هذه المطالب ، والإعلانات تفتح أبواب القلوب الصغيرة لمحبة الأجداد الذين ينفحونهم بين الفينة والفينة بالمنح والتحف والطرف ، ومختلف أنواع الهدايا التي تمتد لتتلقفها جهات مختلفة من ثمرات القرابة والمصاهرة .

ومن المتوقع أيضاً أن نجد الشيوخ مهتمين بمعرفة الجديد في عالم الطب ، ومشاهدة واستماع البرامج الطبية المتنوعة ، ومراسلة مقدميها أحياناً ، إضافة إلىٰ معرفة عناوين الأطباء وتتبّع أحوالهم وأخبارهم ، ومطالعة بحوثهم المنشورة في الصحف العامة ، والدوريات الطبية .

ونجدهم كذلك يهتمّون بالندوات الطبية التي تبثّ أحياناً في أجهزة الاتصال المسموعة والمرئية .

ويتحوّل اهتمام الشيوخ في خريف العمر إلى الجانب الخفيف والمشوّق من الرسائل الإعلامية ، وذلك مثل الأخبار الخفيفة ، والمواد الترفيهية ، والقصص المصورة .

وكأن هذا الاتجاه عودة مخففة إلىٰ اهتمامات الطفولة المتأخرة ، وتتضمن هذه الآية الكريمة توضيحاً بليغاً موجزاً لهذا الاتجاه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ

قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[1]

وهذا هو الحال أيضاً بالنسبة لمن لم يتلقّوا قسطاً وافراً من التعليم ، الذين يكملون هذا النقص بمطالعة المجلات المصوّرة ، والتحدّث بما فيها للغير ، علىٰ سبيل الادعاء الثقافي!![2].

* * *

(١) الروم: ٥٤.

(٢) للتوسع يراجع: أصول الإعلام الحديث ، إبراهيم سرسيق: ص ٤٦ ـ ٥٧.

obeikandl.com

الفصل الثاني
مجالات وطبيعة تأثير وسائل الإعلام الجماهيري

المبحث الأول
مجالات تأثير وسائل الإعلام الجماهيري

أولاً ـ دور الإعلام في تدعيم وتغيير الاتجاهات:

تُعتبر دراسة تأثير وسائل الإعلام من أهم أركان عملية الاتصال ، ولعلها أكثرها صعوبة في الدراسة ، وذلك لأنه قد يتعذر في أحيان كثيرة ملاحظة التأثير بشكل مباشر ، كما تزداد هذه الصعوبة من غير شك إذا حاولنا التعرّف إلى تأثير إحدىٰ وسائل الإعلام كالصحافة مقارنة بتأثير التلفزيون مثلاً ، ذلك لأن هناك صعوبة كبيرة ـ بل واستحالة أحياناً ـ في عزل إحدىٰ الوسائل الإعلامية وفصلها عن غيرها من المؤثرات الأخرى ، ثم قياس الآثار التي تحدثها كل وسيلة من الوسائل.

ولا تعود تلك الصعوبة إلىٰ التأثير غير المباشر أو تداخل تأثيرات وسائل الإعلام مع بعضها البعض فحسب ، ولكن هناك عوامل خارجة عن عملية الاتصال ذاتها ، كالظروف المحيطة ، وهذه الأخيرة قد تكون الحاسمة في عملية التأثير ، وما الوسائل الإعلامية في هذه الحالة إلا مجرّد عامل مساعد أو مكمّل فقط.

وهذا الاتجاه الأخير هو الذي يعبر عنه بالتأثير الوظيفي لوسائل الإعلام، أي: التأثير الذي يأخذ الظروف الأخرى في الاعتبار، وهو الذي يسميه الباحث المعروف (جوزيف كلابر) التأثير الذي يهتم بالظواهر الأخرى.

هذا ولا يتفق الباحثون علىٰ إطارٍ تصنيفي للتأثيرات الخاصة بوسائل الإعلام، فيقسمها بعضهم إلى تأثيرات ظاهرة وأخرى كامنة، ويقسمها آخرون إلى تأثيرات عمدية (كزيادة المعلومات مثلاً) أو تأثيرات غير عمدية (كإمكانية زيادة عدوانية الأطفال عند مشاهدتهم لأفلام العنف مثلاً) ويشير كل من الأزرزفليد وبيرلسون وجوديت في دراستهم الشهيرة حول الانتخابات الأمريكية إلىٰ تأثير وسائل الاتصال علىٰ السلوك السياسي في ثلاثة اتجاهات هي:

أ ـ التنشيط Activation.

ب ـ التدعيم Reinforcement.

ج ـ التحويل Conversion.

وبالتالي، فإن دور الإعلام في تدعيم الاتجاهات يكون أكثر من دوره في تغييرها أو تعديلها، وربما يعود ذلك إلىٰ الاتجاهات المسبقة المترسبة لدىٰ الجمهور، والتي قد تعبر عن نفسها في العمليات الانتقائية، مثل التعرّض الانتقائي لوسائل الإعلام المرغوبة لديه، أوالإدراك الانتقائي للرسالة التي تحملها وسائل الإعلام المخالفة لاتجاهاته، حيث يفسر الرسالة بشكل محرف ليتفق مع اتجاهاته المسبقة، أوالتذكّر الانتقائي، حيث يتذكر فقط الآراء التي تتفق مع آرائه هو، وينسىٰ أو يهمل الآراء المخالفة، وهكذا.

كما يدخل ضمن العوامل الوسيطة أيضاً، والتي تساعد علىٰ قيام وسائل الإعلام بدور التدعيم لا التغيير: تقاليد الجماعة، وقادة الرأي، والاتصال المواجهي الشخصي.

أما بالنسبة لدور وسائل الإعلام في إحداث وتبنّي الجمهور لآراء جديدة ، فإن ذلك قد يتم بالنسبة للموضوعات التي لا يكون الجمهور قد كوّن نحوها آراء مسبقة ، وإذا ما خلق لدىٰ الجمهور هذا الرأي الجديد ، فقد يكون هذا الرأي أو الاتجاه الجديد تحصيناً للجمهور ضد الرسالات التي تأتي بعد ذلك عارضة وجهة نظر مخالفة .

أما في الحالات التي تقوم فيها وسائل الإعلام بتحويل الآراء والاتجاهات ؛ فإن عمليات التعرض الانتقائي والإدراك الانتقائي والتذكر الانتقائي التي سبق ذكرها بالنسبة للتدعيم لا تكون موجودة أو يتوقف عليها ذلك ، وذلك بالإضافة إلىٰ دور الجماعة والتأثير الشخصي واستعداد الأشخاص للاقتناع ، وربما كان تعرّض هؤلاء أيضاً للضغوط المتعارضة من شأنه أن يساعد في عملية التحول هذه .

وأخيراً ، فتضيف الدراسات التي أجريت في الخمسينيات ـ دون أن تقدّم الدليل الكافي ـ إلىٰ أن التحول يمكن أن يتم بسهولة أكبر عن طريق الهجوم الجانبي وليس عن طريق الهجوم المباشر ، فالرسائل التي تحاول أن تخلق اتجاهاً جديداً ، يمكن أن تصل إلىٰ ذلك عن طريق تنمية هذا الاتجاه حيث يطغى علىٰ الاتجاه القديم ، وبالتالي فإن وسائل الإعلام تكون قادرة في بعض الأحيان علىٰ خلق اتجاهات جديدة أكثر من قدرتها علىٰ تحويل الاتجاهات المسبقة الراسخة .

ومعنى ذلك أن درجة التأثير الخاصة بوسائل الإعلام تختلف باختلاف طبيعة التعرّض المباشر وحجمه ، كما يكون التأثير أشد بالنسبة للموضوعات المتفق عليها بصيغة عامة ، وأقل بالنسبة للموضوعات المختلف عليها ، وأخيراً فإن اتجاهات القرّاء والمشاهدين وانحيازاتهم المسبقة والقوالب المصبوبة في أذهانهم سوف تسهّل أو تعوق هذا التأثير .

كما أن التأثير سوف يتناسب مع درجة نفوذ الوسيلة الإعلامية (الصحيفة أو محطة الإذاعة . . .) أو الكاتب أو المتحدث ، وكذلك حجم المعلومات

التي يعرفها القارئ مسبقاً ، والآراء التي يعتنقها صاحبها عن اقتناع ولمدة طويلة ، وكذلك الآراء المبنية علىٰ الحقائق وعلىٰ الخبرات الشخصية ، وهذه وتلك يصعب تغييرها بصفة عامة ، وعلىٰ ذلك فيمكن أن يكون تأثير الصحيفة مثلاً في الأمور التي تتعلق بالاهتمامات المحلية للشخص ، تلك التي تقع ضمن اهتماماته وخبراته ومعارفه اليومية .

هذا وقد يعمد بعض المشتغلين بالوسائل الإعلامية إلىٰ التهوين أو التقليل من الآثار التي تحدثها ، بينما يذهب آخرون إلىٰ المبالغة في مقدار تأثيرات وسائل الإعلام ، وإذا كان بعضهم يتهم السينما والراديو والتلفزيون مثلاً بأنها تحدث تأثيرات ضارة علىٰ الأطفال ، فإن المتحدثين باسم هذه الوسائل الإعلامية يردّون علىٰ ذلك بأن هذه التأثيرات الضارة لا تعود إلىٰ الأوساط الإعلامية ذاتها ، بل تعود إلىٰ استعداد الطفل للسلوك المنحرف ، فالوسيلة الإعلامية أو ما تقدّمه من برامج يمكن أن تكون عاملاً مساعداً وليست عاملاً أساسياً .

وفي الحقيقة فإن أي تغيير في الاتجاه أو تعديل في السلوك إنما ينتج عن عوامل متعددة ، كالأسرة والظروف الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، وتفاعل هذه العوامل مع بعضها البعض ، وما دور وسائل الإعلام إلا كعامل مساعد فقط .

وقد كانت هناك محاولات للقيام بتجارب يتحكم فيها الباحث في مختلف المتغيرات ، وذلك للتعرّف علىٰ ما يمكن أن يحدث عندما يتعرض الجمهور عادة لفترة قصيرة من الزمن إلىٰ إحدى وسائل الإعلام الجماهيري ، علىٰ أن تكون مختلف الأوساط الإعلامية الأخرىٰ ـ إلا الوسط موضع الدراسة ـ بعيدة عن مجال التأثير في الجمهور ، ومن نافلة القول أن نذكر بأن هذه الدراسات محدودة القيمة ، نظراً لأنها لا تمثل ما يحدث في الواقع وفي الطبيعة ، كما أن الدراسة مركزة علىٰ قياس وسط

إعلامي ذي طبيعة خاصة ، وجمهور خاص تتأثر استجاباته بعوامل محدودة ، وهذا لا يمثّل الواقع.

ثانياً ـ التلفزيون وبحوث المستقبل في الاتصال الجماهيري:

يحتل التلفزيون أهمية خاصة بين وسائل الإعلام الجماهيري ، إذ هو ينقل الكلمة والصورة ، مسموعة ومرئية ، فضلاً عن أنه يخاطب الأميين والمتعلمين علىٰ اختلاف مستوياتهم التعليمية.

ويعتبر التلفزيون في نظر الكثيرين وسيلة تسلية وترفيه ، بينما ينظر إليه البعض الآخر علىٰ أنه جهاز له إمكانيات إعلامية وسياسية وتعليمية واسعة ، حيث يمكن أن يلعب دوراً خطيراً في حياة الأمة. ويتميّز التلفزيون عن وسائل الإعلام الأخرىٰ بأنه يُعطي صورة حية أو صامتة مصحوبة بتعليق صوتي يتضمن في ثناياه معالجة فكرة ما ، وذلك هو ميدان اللقاء بين التلفزيون والجماهير ، فمن أجل الصورة تسعىٰ الجماهير إلىٰ مشاهدة التلفزيون.

وقد اعتبرت الباحثة (مارجريت ميدا) التلفزيون قوة يمكنها تغيير طبيعة المجتمع ذاته ، إذ يعتبر اختراع التلفزيون إحدىٰ المنجزات الأساسية في تقدم المجتمع الإنساني ، وإذا كان الإنسان قد استطاع باختراعه الكتابة أن يصل المكان بالزمان ، فإن هذا النجاح الملحوظ قد زاد بدرجةٍ لم يسبق لها مثيل حين أصبح في إمكان الإنسان أن يسمع وأن يرىٰ أحداثاً تحدث في أقصىٰ الأرض في لحظة وقوعها نفسها.

لقد نقل التلفزيون للناس صوراً حيّة عن حياتهم الخاصة وحياة إخوانهم في الوطن الواحد ، وأصبح بإمكان الجمهور أن يشاهد علىٰ الشاشة الصغيرة النشاطات السياسية المختلفة لممثليه السياسيين وللمؤسسات السياسية المختلفة ، كما أمكن للجمهور أن يشاهد علىٰ الطبيعة صوراً واقعية لحياة الشعوب الأخرى ، بدلاً من أن تكون الصورة في إدراكه هي الأنماط الجاهزة الجامدة عن الآخرين ، ولقد أصبحت المعاني الحقيقية لمعسكرات أسرىٰ

الحرب ، وللقنبلة الذرية التي ألقيت علىٰ (هيروشيما) في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبطالة العمال الذين استغنت عنهم المصانع ، ولعمليات الغزو العسكري عبر الشواطئ في بلاد ليس لها شواطئ مثلاً ، ولمناقشات زعماء الدول واجتماعاتهم.

لقد أصبح لدىٰ جمهور المشاهدين لهذا كله إدراك حسي وتصوّر مختلف لهذه الأشياء ؛ نظراً لأن الجمهور يراها بطريقة لم يسبق أن قدّمتها وسيلة أخرىٰ من وسائل الإعلام الجماهيري.

فقد تنقل الصحيفة إليه ذلك ، ولكنه سوف لا يصدق ـ أحياناً ـ ما تكتب له الصحيفة ، كما أن إدراكه الحسي لما يقرأ بالصحيفة سوف لا يصل إلىٰ مستوىٰ هذا الإدراك الحسي الأكثر واقعية حين يشاهد الشاشة الصغيرة.

أي: إن المجتمع يستطيع أن يشكل نوعية جديدة من المواطنين ، وأن يغير أبعاد مشاركة المواطنين في الحياة الاجتماعية بالاستعانة بما يقدمه التلفزيون من الحقائق والوقائع والمعلومات ، ولكن ذلك كله رهن بوضع التلفزيون فعلاً في خدمة هذه الأغراض.

وأما ما يتعلّق بالنظريات الخاصة بتأثير التلفزيون ، فلقد قسّم (وليم نلسون) تلك النظريات إلىٰ مجموعات أربع ، هي:

١ ـ النظريات التي تتعلق بتأثير التلفزيون علىٰ العلاقات الاجتماعية ، بما في ذلك النظريات الخاصة بحياة الأسرة.

٢ ـ النظريات الخاصة بتأثير التلفزيون علىٰ الأحوال العقلية والفكرية ، وما يرتبط بها من سلوك بما في ذلك النظريات الخاصة باهتمامات الجماهير وسلبيتهم ، أو مقدرتهم علىٰ المشاركة الإيجابية والمبادرة والتصوّر.

٣ ـ النظريات الخاصة بتأثير التلفزيون علىٰ المعلومات العامة والتعليم ، بما في ذلك النظريات التي تتعلق باتساع نظرة الجمهور ، وتوسيع أفقه الثقافي العام.

٤ ـ النظريات التي تتصل بتأثير التلفزيون علىٰ المعايير والقيم.

هذا ، وكثيراً ما تتعارض هذه النظريات مع بعضها البعض ، إذ يذهب بعضهم إلىٰ القول: إن التلفزيون قد عمل علىٰ تأكيد الوحدة الأسرية ، وعلىٰ تقليل قابلية بعض المشاهدين للانفعال ، وعلىٰ توسيع الآفاق الثقافية للأمة.

بينما يذهب فريق آخر إلىٰ أن التلفزيون باستغلاله للصورة والصوت قد قضىٰ ـ أو كاد ـ علىٰ توجيه السلوك عند الأفراد ، فقد كانوا قبل ذلك يبذلون جهداً إيجابياً للحصول علىٰ الثقافة ، أما الآن فالأفراد سلبيون قابعون لمشاهدة ما يقدّمه لهم التلفزيون من برامج.

ثالثاً ـ بعض مجالات تأثير التلفزيون علىٰ الأسرة وعلى المجتمع بصفة عامة:

١ ـ في بناء الاتجاهات Attitudes:

كلنا نذكر كيف كنا نندفع بلهفةٍ إلىٰ الالتفاف حول جدودنا ، وعيوننا ترقب أفواههم في شوقٍ لكل ما يصدر عنهم من كلمات وقصص ونصائح ، وكيف أن هذه القصص والنصائح ربما كان لها تأثير قوي في تشكيل معتقداتنا ، بل وشخصياتنا ، وبالمقارنة فما أكثر ما تلتف الأسرة كلها حول أجهزة التلفزيون ، حيث تتم عملية الاتصال عن طريق العين والأذن ، وحيث تكون الحركة في كثير من الأحيان علىٰ الشاشة الصغيرة انعكاساً لوقائع الحياة ذاتها.

وإذا علمنا أن الإنسان في رأي بعض الباحثين يحصل علىٰ معلوماته بنسبة ٩٠٪ عن طريق النظر ، وبنسبة ٨٪ عن طريق الأذن ، تجلّت لنا أهمية التلفزيون وإسهامه في بناء الاتجاهات ، عن طريق البرامج الثقافية والترويحية والتعليمية والسياسية والدينية والنسائية وبرامج الأطفال والمنوعات والتمثيليات والمسرحيات والمسلسلات والأفلام المحلية والأجنبية ، وبالتالي فإن التلفزيون وسيلة إعلامية تستخدم كلاً من النظر

والسمع، أي: إن التأثير هنا مضاعف. وفضلاً عن أن التلفزيون يصل إلىٰ قطاعات عريضة، فقد انتشر استخدامه بشكل ملحوظ، ففي البلاد العربية مثلاً كان مجموع أجهزة الاستقبال لا يزيد علىٰ بضعة عشر ألفاً في عام ١٩٦٠، وفي سنة ١٩٦٨ زاد هذا العدد إلىٰ حوالي ١,٢٥٠,٠٠٠ جهاز!

٢ ـ المعاونة في ترويج بعض البضائع الاستهلاكية:

يرىٰ بعض الباحثين أن تأثير التلفزيون يمكن ملاحظته علىٰ العادات الشرائية للجمهور، ومن المؤكد أن المعلنين مرتاحون إلىٰ ما ينفقونه علىٰ الإعلانات من أموال طائلة، يذهب معظمها لوسائل الإعلام الجماهيري، نظراً لما ينتج عنها من زيادة المبيعات والخدمات.

٣ ـ التغيّر الاجتماعي:

يقدم التلفزيون للأسرة برامج تتعلّق بالتسلية والترويح والثقافة والأخبار.

كما أنه يعمل علىٰ تدعيم ونشر الاتجاهات والاهتمامات السائدة للجمهور، كما أن الجمهور نفسه يميل إلىٰ أن يرىٰ وأن يسمع وجهات النظر التي يؤيدها.

ولا يميل إلى سماع ورؤية وجهات النظر التي تخالف اتجاهاته وآرائه، وإذا كان ذلك صحيحاً فلا ينبغي أن نغفل حقيقة أخرى، وهي أن برامج التلفزيون وبالذات برامج التسلية والترويح، كثيراً ما تحمل انطباعات متباينة حول اتجاهات الجماهير، وعلاقتهم ببعضهم البعض، وعلىٰ الأخلاقيات والقيم وعلىٰ أنواع السلوك الاجتماعي المألوف، ومن هنا كان تأثير التلفزيون في عملية التحويل الاجتماعي تأثيراً لا يتفق عليه أهل السياسة والاجتماع.

٤ ـ التأثير السياسي:

من المؤكد أن للتلفزيون ارتباطاً بمختلف ألوان النشاط السياسي، فهو

يعمل مثلاً علىٰ توعية الجمهور بواجباته في المشاركة السياسية ، خصوصاً في أوقات الانتخابات ، وكثيراً ما يظهر المفكرون السياسيون علىٰ شاشته في برامج وأحاديث وندوات ، فضلاً عن أن كثيراً من البرامج والتمثيليات تتضمن توجيهاً سياسياً ، ويتباين تأثير هذه البرامج باختلاف الفئات المشاهدة للبرامج ، ومدىٰ اهتمامها وانفعالها بالأحداث السياسية ، ومدىٰ معلوماتها المسبقة .

كما يقوم التلفزيون بإذاعة أحاديث المسؤولين الحكوميين ، وبيان وجهات نظرهم بالنسبة للمسائل العامة ، ومن المأمول فيه ألا يعمل التلفزيون علىٰ التركيز على شخصيات المسؤولين والسياسيين الرسميين فقط ، حتى لا يتحوّل اهتمام الجمهور إلىٰ الأشخاص لا إلىٰ المشاكل والمسائل العامة ، وكيفية حلّها بالطرق السليمة .

٥ ـ التذوّق الثقافي والفني :

تؤكد الاستفتاءات والدراسات المختلفة بوضوح دور التلفزيون كوسيلة للترويح والتسلية ، كما أنه يساعد علىٰ نشر المعلومات عن الموسيقا بأنواعها المختلفة ، ورفعت هذه الوسائل من مستوى التذوق الموسيقي لدىٰ كثيرٍ من الناس خصوصاً أولئك الذين لم يكونوا علىٰ إحاطة أو دراسة بالموسيقا من قبل ، وهذا كسب اجتماعي من غير شك ، وإذا كان الراديو والتلفزيون قد قلل من الوقت الذي يمكن إنفاقه علىٰ القراء بصفة عامة ، فهناك من الأدلة ما يشير إلىٰ أن القراءة الجادة خصوصاً في التاريخ والعلوم الاجتماعية قد زادت ، وعلىٰ ذلك فاستخدام التلفزيون قد ساعد على استخدام الوسائل الثقافية الأخرىٰ بالنسبة للموضوع الذي يستحوذ على اهتمام الفرد ، أي : إن الذي يهتم بموضوع معين في مجالات الرياضة أو العلم أو الرحلات أو غيرها ، كثيراً ما يستخدم لإرضاء اهتمامه وسائل الإعلام الأخرى المختلفة .

٦ ـ التسلية والترويح :

تعتبر التسلية جزءاً ضرورياً في حياتنا ، وذلك لأن التسلية والترويح تصرف الإنسان ـ ولو إلى حين ـ عن التوتر النفسي وعن مشاكله الضاغطة ، وتعيد التسلية بناء معنوياته ، كما أن للتسلية أثراً طيباً ـ مع الاعتدال ـ علىٰ صحة الفرد النفسية والبدنية ، ويمكن أن يعتبر الترويح والتسلية من أهم تأثيرات التلفزيون بين الجمهور ، فهو يقوم بالترويح عن ربّة البيت وعن الزوج بعد عناء العمل ومشاكله ، إضافة إلى أن التلفزيون يروّح عن الأطفال ، ويَجعلهم يركنون إلىٰ السكون فترات مناسبة أمام شاشة التلفزيون.

٧ ـ التعليم :

إن الأثر التعليمي لوسائل الإعلام الجماهيري لا يمكن إغفاله أو التقليل منه ، وسواء كان تعريف التعليم مقصوراً علىٰ ما يتلقاه الطلاب في قاعة الدرس ، أو كان تعريف التعليم شاملاً لكل ما يعمل علىٰ زيادة قدرات الإنسان الفكرية ؛ عن طريق المعلومات ذاتها أو القدرة علىٰ استعمالها ، وسواء كان الغرض من التعليم معاونة الناس على الملاءمة مع البيئة ، أو تدريبهم علىٰ التفكير السليم والتصرف الحكيم ، أو بنشر المعلومات: الحقائق أو تنمية المهارات ، فإن وسائل الإعلام الجماهيري لها دور في هذا الذي قيل عن التعليم بمفهومه الضيق أو العريض.

وليس المقصود هنا هو البرامج التعليمية التي تؤدي غرضاً تعليمياً مقصوداً ومباشراً كبرامج تعليم اللغات أو بعض المناهج المدرسية فحسب ، بل المقصود كذلك مختلف البرامج التي يعرضها التلفزيون كالبرامج الإخبارية أو الإعلامية أو الثقافية أو الترويحية ، فهذه كلها تعرض علىٰ الجمهور كمية ضخمة من المعلومات عن الناس ، وعن الأماكن المختلفة بالوطن وبالعالم ، وعن المهارات والمشاكل والمسائل العامة وأسبابها وتفسيرها واقتراح وسائل حلّها.

ودلت الدراسات علىٰ أن المشاهدين المنتظمين للبرامج التعليمية هم حوالي ٢٠٪ من مجموع المشاهدين ، والباقين يبلغون ٨٠٪ فيشاهدون البرامج التعليمية بغير انتظام ، أو لا يشاهدونها علىٰ الإطلاق.

ومن الملاحظ أنه كلما ازدادت طموحات المواطن العادي كلما ازداد المستوىٰ الثقافي والتعليمي ، وازداد بالتالي عدد مشاهدي برامج التليفزيون التعليمي بصفة عامة ، ويجب أن نشير إلىٰ أنه بدراسة صفات جمهور المشاهدين المنتظمين للبرامج التعليمية (الـ ٢٠٪) ، فإننا نجد صعوبة في إدخال جمهور أكبر لمشاهدة هذه البرامج التعليمية ، وهناك من يرى أنه إذا أريد للبرامج التعليمية بالتلفزيون أن تصل إلىٰ قطاعات أكبر من المواطنين ؛ فيجب أن نتبنى أسلوب إذاعة الشؤون العامة والأخبار حتى نجتذب عدداً أكبر من الجمهور ؛ نظراً لإقبال الجمهور علىٰ هذه الألوان من الإنتاج التليفزيوني ، ولكن المشكلة تكمن في كيفية تمويل وإنتاج هذه البرامج التي ترضي أذواق الجماهير المختلفة ، وتعتبر بمثابة جسور تصل الجماهير عن طريقها إلى أهداف البرامج التعليمية نفسها ، مثل الأفلام السينمائية والأحداث الثقافية الهامة والفن والأوبرا ، وهذه البرامج تكلف في تمويلها وإنتاجها مبالغ أكبر كثيراً من تلك التي تنفق علىٰ إنتاج عدة محاضرات تعليمية بالتلفزيون.

ومن جهة أخرىٰ فنظراً للسرعة التي تقدم بها هذه المعلومات في البرامج التعليمية ؛ فيستحيل توقف البرامج مثلاً بغرض مناقشة بعض الأمور المستعصية فيه ، من أجل ذلك فقد ذهب بعض الباحثين إلىٰ أن التلفزيون سوف يُبلّد التفكير ، ويعطّل العقل والإدراك.

وفي الواقع فإن التلفزيون لا يتيح الوقت اللازم للتقييم والتفسير والتحليل واختبار المعلومات ، لأن البرنامج التليفزيوني يعمل بصورة متلاحقة ، وهذا يعني مزيداً من الاهتمام بالتخطيط بين ما تقوم به وسائل

الإعلام الجماهيري وبين المدرسة والمعهد ، بل بينها وبين مختلف أجهزة الثقافة بالدولة.

٨ ـ التوعية الأسرية:

تعتبر برامج التوعية الأسرية من أهم البرامج التي تعالج شؤون الأسرة ؛ من حيث تنظيم شؤونها المختلفة ومراعاة أوجه الصرف بميزانيتها والادخار وغير ذلك ، كما أن التليفزيون يقدّم برامج إلىٰ ربات البيوت توضح دور المرأة في المجتمع الجديد ، ويهتم بحلّ مشكلات الأسرة بطريقة نظرية وعملية ؛ نظرياً عن طريق الرد علىٰ خطابات المستفسرين بعد استشارة المختصين ، وعملياً بالتمثيليات المعبّرة عن المشاكل وكيفية علاجها ، وتتعرض البرامج أحياناً إلىٰ لفت نظر الزوجات علىٰ اختلاف درجاتهن إلىٰ كيفية معاملة الأزواج والأولاد ، وأيضاً لفت نظر الأزواج إلىٰ كيفية معاملة الزوجات لبقاء كيان الأسرة ، كما أنه يفيد ربّة البيت بتقديمه الدروس في كيفية تربية الأطفال وتعليم الأبناء آداب السلوك العامة ، ولا شك أن لبرنامج «لك يا سيدتي» أثراً كبيراً في شؤون المطبخ والبيت والأناقة والتثقيف العام. كما تتعرّض البرامج أحياناً إلى لفت نظر الأسرة لكيفية قضاء وقت فراغها في النزهات ، وكذلك تمضية العطلة الأسبوعية والسنوية ، ومما لا شك فيه أنه كلما زادت ثقافة الأسرة كلما قلّ احتياجها لمثل برامج التوعية هذه.

٩ ـ التجمّع الأسري:

يرىٰ بعضهم أن التليفزيون جمع الأسرة مع بعضها البعض ، فبدلاً من أن يقضي ربّ البيت وقت فراغه في الخارج ، فقد شجعه التليفزيون علىٰ البقاء داخل البيت وبين أسرته، ومع ذلك فيرى آخرون غير هذا الرأي ، فيقولون: إن التليفزيون لم يدع للأسرة فرصة للاجتماع مع بعضها البعض لبحث شؤونها ، لأنه بالرغم من تواجدهم جميعاً في البيت إلا أن التليفزيون استحوذ علىٰ كل انتباههم وصرف كلاً منهم عن الآخر.

رابعاً ـ أثر التليفزيون علىٰ الأطفال :

النقطة الرئيسية هنا هي دور التليفزيون في التأثير علىٰ سلوك هؤلاء الأطفال واتجاهاتهم ، ولذلك يلجأ الباحثون في تحقيق ذلك إلىٰ طرق مختلفة أهمها :

أ ـ مقارنة مجموعة من الأطفال شاهدوا التليفزيون ، وعايشوه ، وتعرّضوا لتأثيره بمجموعة أخرىٰ من الأطفال من جيل المجموعة الأولىٰ نفسه .

ب ـ التعرّف علىٰ أي تغيير يمكن أن يكون قد حدث في المعلومات أو الاتجاهات أو السلوك بالنسبة لمجموعة من الأطفال قبل وبعد تعرّضها لمشاهدة برامج تليفزيونية معينة ، ثم مقارنة هذه المجموعة من الأطفال مع مجموعة أخرىٰ لم ترَ هذه البرامج علىٰ الإطلاق .

وتطرح بعض التساؤلات في هذا المجال ، منها :

ـ ما هي نسبة الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون طبقاً لأعمارهم ، وما هي عدد ساعات المشاهدة؟

ـ ما هي البرامج التي يفضلها الأطفال وما تأثيرها؟

١ ـ البرامج الخيالية .

٢ ـ البرامج الواقعية .

ـ هل يساعد التليفزيون علىٰ تعليم الطفل وزيادة معلوماته؟

ـ هل يصرف التليفزيون الطفل عن استعمال وسائل الإعلام الأخرىٰ؟

ـ هل يؤثر التليفزيون علىٰ الطفل فيكسبه الشخصية السلبية والانعزال عن المجتمع؟

ـ هل يصرف التليفزيون الأطفال عن الاستذكار؟

ـ هل يضرّ التليفزيون بصحة الأطفال؟

- هل يتعلّم الأطفال الجريمة والعنف من قصص الجريمة التي يعرضها التليفزيون؟

وخلاصة القول في هذا:

أ - إن هذه المشاهدة ربما عملت علىٰ زيادة الإثارة لدىٰ الأطفال.

ب - إن هذه المشاهدة ربما عاونت علىٰ بناء عادات العنف والعدوان، كما أن هذه المشاهدة من جانب آخر يمكن أن تقلل من الاندفاع في هذا الاتجاه، خصوصاً إذا استثيرت الكوامن العدوانية في المستقبل.

ج - إن هذه المشاهدة ربما تجعل من الصعب علىٰ الأطفال أن يكبحوا جماح أنفسهم، وأن يؤجّلوا تحقيق رغباتهم التي يطلبون تحقيقها دائماً في الحال.

د - وعندما تُهيِّئ وسائل الإعلام للطفل مسالك الهروب من الضغوط الاجتماعية، فإن هذه الوسائل إنما تعمل علىٰ تأخير تحمله للمسؤولية الاجتماعية.

هـ - تزيد مشاهدة الأطفال للتليفزيون من نزوعهم في المستقبل إلىٰ محاكاة بعض الشخصيات التسلطية التي شاهدوها بالتليفزيون، وذلك كسبيل لإرضاء دوافع القوة والتسلّط لديهم.

و - وربما أدّت البرامج التي يشاهدها الأطفال في التلفزيون إلىٰ التشويه أو التدخّل في بعض المهارات التي يمارسونها في الحياة الواقعية.

إذن: لابدّ من وضع معايير لتقنين برامج التليفزيون والاهتمام به، شأنه في ذلك شأن المؤثرات الاجتماعية الأخرى كالبيت والمدرسة والمسجد، والتي تدخل ضمن حساباتنا الأساسية لتقدير الصالح الوطني العام.

* * *

المبحث الثاني
طبيعة تأثير وسائل الإعلام

عادة ما يبحث الكائن الحي للتعرف على الظروف المحيطة والمتصلة بالحالة التي يعمل في إطارها ، أو يعيش فيها ؛ بصرف النظر عن الطريقة التي تحدد الأهواء ، سواء كان البقاء علىٰ قيد الحياة ، أو التحرر من التوتر ، أو كسب المال ، أو السعادة ، أو أي شيء آخر.

فمثلاً ، قد يكون لدىٰ طالب الجامعة تصوّر عن شكل الحرم الجامعي ، وعن أفضل طريقة للحصول علىٰ درجات جيّدة ، وكيف يمكن أن يتفاعل مع أصدقائه ، وكيف يختار ملابسه ، وعن توقعات والديه نحوه ، وعن الحزب الذي يجب أن يناصره. . . إلخ ، فتشكِّل تصوّراته المختلفة عن الأبعاد المختلفة لكل هذه الرغبات أو المطالب صورةً عامةً عن العالم الذي يعمل فيه.

وبالتالي، فقد تكون هذه التصورات واقعه الذاتي، حيث قد يدرك أي: كائن حي الواقع المحيط به علىٰ أساس التصور الذي بناه لهذا الواقع ، أي: علىٰ أساس إطاره الدلالي.

ويبدو أن أغلب الكائنات الحيّة تفسّر المعلومات عن الظروف المحيطة أساساً معتمدة على ما يسميه (جورج هاربرت) بالعلامات الطبيعية التي تجعل الفرد يربط نتيجة أو علاقة بسبب أو مؤشر ، فالدخان علامة علىٰ النار.

وهكذا فالعلاقة تسبب استجابة معينة في الكائن الحي ، فمثلاً بعد لمس

النار التي تحرق يد الفرد ، وبعد رؤية قوتها المدمرة ، وملاحظة لونها وحرارتها ورائحتها . . . إلخ . بمجرد رؤية الدخان أو شمّ شيء يحترق ، أو الإحساس بحرارة شديدة ، سوف نسترجع الذكريات المختزنة لتجاربنا السابقة ، وكل الاستجابات السابقة ، وبالتالي فإن أغلب الكائنات الحيّة لها قدرات اتصالية محدودة ، لذلك أشار (شرام) إلىٰ ذلك بقوله : بينما يعوي الكلب في ظرف معين لكي يخيف الكلاب الأخرىٰ حتى لا تختطف العظام التي يأكلها ، إلا أنه لا يستطيع أن يشرح مشاعره ، كما أنه لا يستطيع أن يتحدّث عن مبادئ العواء ، ولكنه يستطيع أن يقدم علامة تحمل معلومات في المضمون الذي قدّمت فيه أو حدثت فيه ، علاوة علىٰ هذا ، حتىٰ مع وجود حيوانين في المضمون أو الظرف نفسه، فليس هناك ما يدعو لافتراض أن العواء سيحمل المعنىٰ نفسه عند الكلب الذي تصدر عنه وعند الكلب الذي يوجه إليه أو يقوم بتفسيره ، فهما لا يعطيان المعنى نفسه للرمز ، فبالنسبة للكلب الذي يحمل قطعة العظم ، فإن العواء قد يثير مشاعر القتال والانتصار ، بينما قد يثير في الحيوان الذي يفسّر العواء مشاعر القتال أو الهرب والهزيمة ، أو الانتصار . وذلك بالرغم من أن استجابات الحيوانيين للرمز يمكن التنسيق بينها (أحد الكلاب يعوي والآخر يهرب) فليس هناك حاجة لافتراض أن معنى الرمز مماثل عند كليهما ، وأن لدىٰ أحد الحيوانين تصور أو توقع لمعنىٰ العلامة عند الآخر ، أي تصوّر للطريقة التي سيفسّر بها الطرف الآخر للعلاقة .

وهكذا حال الإنسان ، إلا أنه يزيد عن الحيوان في هذا الجانب ، في أن الواقع البشري يتضمن أكثر من مجرد الجوانب المادية المباشرة للظرف المحيط ، وقد كتب الباحث (فرانكلين فيرنج) مثلاً يقول : إن مجال المنبّه الجغرافي عند الإنسان يشير إلىٰ الواقع المباشر والمادي ، وإلىٰ (مجال منبّه السلوك) عنده ، ويتضمن عوامل كثيرة مثل الاحتياجات البشرية والمعاني والقيم . . . إلخ .

ويصف (فيليب دافينسون) الظرف المحيط بالإنسان بأنه لايتضمن

الأمور أو الخصائص المادية فقط ، ولكن يتضمّن أيضاً الجوانب الاجتماعية المتوقعة والمتخيلة.

ويشير الباحث (ملفن دوفلور) إلىٰ أن لهذه الرموز المهمة أو الأساسية خاصيتين أساسيتين: أولاهما ـ أن الربط بين الرمز والشيء الذي يشير إليه أمر اضطراري.

وثانيهما ـ أن معنىٰ الرمز يقوم علىٰ أساس التقاليد ، وعلىٰ أساس الاتفاق الذي يصل إليه الذين يستخدمونه ، حيث إن رمزاً ما يشير إلىٰ مؤشر ما ، وقد كتب الباحث (ملفن دوفلور) في مناقشته للاتصال البشري يقول: إنه ليس من قبيل المبالغة أن نقول: إن العمل الاتصالي البشري ، أي: التقدّم علىٰ أساس رمز هام هو من القدرات التي تعتبر شرطاً مسبقاً ، ودون هذا الاتصال لا يمكن للإنسان أن يطور مجتمعاته وثقافاته إلىٰ الدرجة المعقدة التي طورها بها ، والواقع أنه لا يمكن أن نتخيّل إمكان وجود أي شكل من أشكال المجتمعات البشرية دون هذه المقدرة ، فالعمل الاتصالي هو الوسيلة التي يتم بواسطتها التعبير عن أنماط الجماعة ، وهو الوسيلة التي تمارس بواسطتها السيطرة الاجتماعية وتوزّع الأدوار ، ويتم بفضلها تنسيق الجهود ، وتصبح التوقعات ظاهرة ، وتنفذ بها العملية الاجتماعية كلها ، ودون ذلك التبادل للتأثير قد ينهار ـ ببساطة ـ المجتمع البشري ، ومن الصحيح أيضاً أن اندماج الفرد في اللغة هو مفتاح هذه الطبيعة السيكلوجية ، فدون أن يتعلّم الفرد استخدام الرموز ومعانيها الداخلية المرتبطة بها ، لن يصبح قادراً علىٰ التأثير علىٰ المعاني وتكوين معتقدات عن نفسه ، ولن يستطيع أن يفكر بعمق في أي مشكلة ، أو يكون عواطف بشرية ، أو يدرك مبدأ ، أو يخطط للمستقبل ، أو يتعلم من دروس الماضي ، أو يؤدي أعمالاً بشرية أخرى.

وبالتالي ، فإن الاتصال بوساطة الرمز الهام يوفّر للناس المعلومات الضرورية لتعريف عالمهم وأنفسهم داخل ذلك العالم ، فالنتيجة الأساسية

والشاملة للاتصال البشري ، إذن هي صنع الظرف البشري نفسه .

وهناك عدة نتائج تترتب علىٰ اعتمادنا علىٰ وسائل الإعلام في بناء صورة للواقع المحيط بنا ، منها :

١ ـ الوسائل الإخبارية لها مقدرة هائلة علىٰ توجيه اهتمامنا .

٢ ـ قد نحصل من وسائل الإعلام علىٰ معلومات غير دقيقة ، وصورة منطبعة ، أو أنماط منحرفة ، أو صورة متحيّزة لجانب معين من جوانب الظرف المحيط .

٣ ـ ما لا تقدّمه وسائل الإعلام من مواد أو معلومات قد يكون له الأهمية نفسها لما يقدّم من مواد أو معلومات .

٤ ـ ولأن وسائل الإعلام ـ خاصة الترفيهية منها ـ يجب أن تتنافس للوصول إلىٰ نسبة كبيرة من الجماهير الغفيرة ، ولكي تحافظ علىٰ دخل الإعلان ، فإنها تتجنّب الجديد ، والأمور التي تثير جدالاً ، أو أي شيء لا يضمن لها جمهوراً كبيراً .

٥ ـ يتفاوت التأثير من فئة عمرية لأخرى ، مثلاً الأطفال الصغار أكثر استعداداً لتقبّل الرسائل الإعلامية من غيرهم .

ولذلك فالهدف من الرسائل الإقناعية مساعدتنا علىٰ تكوين تصوّر واضح للظروف المحيطة بنا ، أي : مساعدتنا علىٰ بناء صورة للعالم الذي نعيش فيه ، فنحن نسعى للحصول علىٰ المعلومات لتقليل عدم يقيننا وتنظيم الجوانب المختلفة للظروف التي تحيط بنا ، ويعتمد أي كائن حي علىٰ العلامات الطبيعية ، أي : الأشياء الملموسة التي تحيط به ، ولكن البشر يعتمدون بالإضافة إلىٰ العلامات الطبيعية علىٰ المعاني المجرّدة أو الرموز المهمة ، التي يعطونها معاني يتفقون عليها ويتصلون وفقاً لها ، وبفضل هذه العلامات الطبيعية والرموز المهمة أو المعاني المجرّدة يكوّن الفرد إطاره الدلالي أو تصوّره لواقعه ، وهذا الواقع يكون فريداً ، وهو مختلف بعض

الشيء عن الواقع المطلق ، فلكل فرد واقع ذاتي يميّزه عن الأفراد الآخرين ، وعلىٰ أساس هذا الواقع الذاتي سيختلف تعرضه للمعلومات وإدراكه لها .

وأخيراً ، فإن طبيعة وسائل الإعلام ، وجمهورها الكبير ، وظروف الاتصال الجماهيري تميل إلىٰ التقليل من احتمال أن الرسائل التي تنقل جماهيرياً بوساطة وسائل الإعلام سوف تجعل المتلقي يعيد تنظيم معتقداته وآرائه وقيمه الموجودة بشكل جذري .

ويشير الباحث (كينيت بولدنج) إلى ثلاث طرق مختلفة ، قد تسبب فيها الرسالة إعادة تعريف المتلقي لتصوره ، هي :

ـ عن طريق الإضافة إلىٰ ما يعرفه .

ـ عن طريق إعادة تنظيم ما يعرفه .

ـ عن طريق التوضيح .

وأما أهم اتجاهات التأثير فقد تكلّم المختصون في ذلك ، ومنها :

١ ـ أننا نتقبل أكثر الرسائل التي تتفق مع تصوّرنا الحالي ، وأما التي لا تتفق مع هذا التصور فستواجه مقاومة ما .

٢ ـ الرسائل التي تتنافر ، أو لا تتفق مع أبعاد قيم تصوّر المتلقّي ، ستواجه عادةً مقاومة أكبر من الرسائل التي لا تتفق مع أبعاد معرفته .

٣ ـ نحن نسبياً أكثر تقبلاً للمعلومات التي تتصل باحتياجاتنا ، مثلاً الأفراد الذين يكرهون الحشرات ينصتوا أكثر من الآخرين .

٤ ـ إن إدراكنا لحدوث تغييرات علىٰ الظروف المحيطة به ، يجعلنا أكثر تقبلاً للرسالة الإعلامية .

٥ ـ إن مصدر الرسالة والوسيلة التي نختارها لنقل الرسالة ، وعناصر

أخرى مثل الجمهور الذي يستمع إلىٰ الرسالة ونحن معه في جو المكان ، وما كنا نفعله قبل تلقي الرسالة ، وما نتوقع أن نفعله بعد ، كل ذلك يؤدي إلىٰ تنشيط احتياجات مختلفة ، وأدوار مختلفة ، وتوقعات التأثير الذي سيكون لهذه الرسالة .

* * *

obeikandl.com

الفصل الثالث

التحكّم في الفكر... وغسيل الدماغ!!

يعتبر الصينيون أول من استعمل مصطلح (غسيل المخ) وذلك حينما اعتبروا أن وسائل الإصلاح الفكري لا ينبغي فهمها إلا علىٰ أساس أنها نوع من السّحر الأسود الذي تمارسه النظم الديكتاتورية علىٰ المواطنين السلبيين الخاضعين. ثم استخدم اصطلاح غسيل الدماغ للدلالة علىٰ الأساليب أو العمليات المطبقة في الدول الشيوعية للوصول إلىٰ الهدفين التاليين:

١ ـ إرغام الشخص البريء علىٰ أن يعترف بكل إخلاص ذاتي، أنه قد ارتكب جرائم خطيرة ضد الشعب والدولة.

٢ ـ إعادة تشكيل معتقدات الشخص السياسية حتى يُنكر معتقداته السابقة، ويصبح داعية للشيوعية.

وعلى الرغم من أن هناك مصطلحات أخرىٰ، استخدمت للدلالة علىٰ هذه العملية، مثل التحكّم في الفكر، الإصلاح الفكري، الإصلاح الإيديولوجي، الاغتصاب العقلي، إلا أن اصطلاح غسيل الدماغ هو أكثرها شيوعاً.

كما تتميّز عملية غسيل الدماغ بالتحويل الإجباري ـ حقيقة ـ للمعتقدات السياسية، وفي الواقع فإن غسيل الدماغ له ارتباط بكل من الدعاية والتنشئة، أو التطبيع السياسي، حيث تهدف العمليات الثلاث إلىٰ

تشكيل الاتجاهات ، وتشريب بعض المعتقدات بدرجات متفاوتة ـ العقل والعاطفة والمنطق والعقيدة ، والاستمالة والقهر ـ.

أ ـ معسكرات الاعتقال النازية والتحويل الفكري:

يحاول (بتيلجم) في دراسته عن معسكرات الاعتقال النازية أن يذكر الخطوات التالية التي يتعرّض لها سجين المعسكرات: فالخطوة الأولىٰ هي ما يسمّيها بالحملة المكثفة علىٰ الشخصية وعلىٰ الجسد ، وهذه الحملة من الناحية النفسية تشلّ ذاته ، وترسي قواعد تحولات جذرية في شخصيته ، فهي نوع من الطقوس التي تتم أثناء الانتقال إلىٰ معسكر الاعتقال ، حيث يتعرّض السجناء لتعذيب عقلي وجسدي مستمر ، وربما توحّد المعاناة بين الرجال عن طريق عملية التقمّص ، ولكن الجستابو يتخذ السّبيل التي تحول بينهم وبين ذلك ، فلا يسمح لسجين أن يهتمّ بجراحه أو بجراح الآخرين ، بل يجيز للمساجين أن يضرب كل واحد منهم الآخر ، وبأن يتهموا أنفسهم والآخرين بالأفعال الحقيرة ، وأن يلعنوا ديانتهم ، وأن يشهروا بزوجاتهم كخائنات وعاهرات ، وعدم الانصياع لهذه الأوامر ، وأي مساعدة تعطىٰ لسجين يتعذّب ، عقوبتها الإعدام في الحال.

وعند دخول السجين معسكر الاعتقال ، يصبح مجرّد رقم من الأرقام ، حيث يناديه سجّانوه برقمه لا باسمه ، كما يضطر إلىٰ أن يصف نفسه برقمه لا باسمه ، ويردّه سجّانوه كذلك إلىٰ حالة الطفولة في تصرفاته وأفعاله ، فهو يأخذ حق الإذن في الذهاب لدورة المياه ، وكثيراً ما لا يستجاب لطلبه ، ويضايقوه بالأسئلة والاستفسارات.

وهكذا ، يتعلم السجين مع الزمن أنه ليس هناك من سبيل لتأكيد إرادته الذاتية ، أو التأثير علىٰ الوسط المحيط به عن طريق أفعاله هو ، إنه كابوسٌ متصلُ الفزع والإرهاب ، ولا أمل فيه للخلاص ، كما لا يسمح للسجناء بحمل الساعات ، كرمز للضياع وخلود الجحيم ، ومن هنا فقد تبقىٰ لهؤلاء حرية أخرى هي حرية الاختيار بين الحياة والموت.

ب ـ التجربة السوفييتية والصينية :

في محاكمات موسكو عام ١٩٣٠ تبيّن أنهم قد اتّبعوا أساليب نفسية عجيبة ، وذلك بهدف الحصول علىٰ الاعترافات الكاذبة .

مثلاً : يحدث القبض في منتصف الليل حيث تصل فرقة إلىٰ المنزل ، ثم يجري البحث فيه ، ثم تقود السجين معصوب العينين إلىٰ المكان الذي سيحتجز فيه ، ثم تلي ذلك مرحلة الحملة العاطفية ، حيث يستجوب بالليل والنهار بصفة متصلة تحت الأضواء الضخمة المسلّطة ، ويعلم السجين بأنه هنا لأنه ارتكب جرائم ضد الشعب ، ويقال له : اعترف وستحل قضيتك علىٰ وجه السرعة وسيطلق سراحك بعد ذلك ، ولا يعطىٰ السجين أي راحة لأيام وليال متعاقبة ، وعندما يقترب من مرحلة الانهيار يؤخذ إلى زنزانته ، ولكنه يستدعىٰ بعد ساعةٍ للاستجواب مرة أخرى وهكذا .

ويضيف الصينيون إلىٰ هذه الطريقة التي اتبعها الروس عنصراً جديداً هو الصراع ، حيث يتخذ الاستجواب شكل الاستجواب الجماعي بوساطة زملائه في زنزانته ، حيث يوضع السجين عادة وسط الآخرين ممن تقدّموا مراحل في عملية الإصلاح ، وتتركز مهمة هؤلاء الآن في حملة من الاعتراف، أي: إنه يستجوب أثناء الليل ، ويتعرّض للصراع مع رفاق الزنزانة أثناء النهار دون أن تترك له لحظة حرية أو تفكير مع نفسه ، كما أنه مقيّد اليدين ، فهو يأكل بأسنانه وفمه كما تأكل الكلاب ، وهو يترك دون اغتسال أسابيع طويلة ، مع القذارة ، والاستجواب مع اليقظة المستمرة مع الإسهال ، وهذه كلها سريعاً ما تؤدي بالشخصية إلىٰ الأزمة ، وإلى تحطيم صورته أمام نفسه ، وإضعاف الحدود بين الذات وبين الحقيقة ، ثم عند لحظة السقوط والانهيار يبدي له سجّانوه شعوراً قريباً من الحب ، ويكون مستعداً في هذه اللحظة للاعتراف، أي: الاعتراف بجرائم لم يرتكبها أبداً ، ولكنه يخترعها لنفسه برسم خيوط مؤامرته في خياله ، مستمداً في ذلك بعض الأحداث أو الشخصيات التي كان يعرفها ، ويحلل بعض

الباحثين عناصر هذه العملية بأن الشخص يموت ثم يولد من جديد، أي: إن الجاسوس الرجعي الذي دخل السجن يجب أن يفنىٰ ويزول، وأن يبعث من مكانه رجل جديد في صورته الشيوعية! وبالتالي فتحطيم الهوية القديمة للشخص قد تمّت كما رأينا بمختلف الأساليب الشبيهة بأساليب معسكرات الاعتقال، وعند لحظة الانهيار والاستسلام الكامل يتم إنقاذ الذات الفانية بالأمل في ميلاد جديد عن طريق الاعتراف، والإصلاح الفكري.

ج ـ الأساليب الفنية المتبعة في عملية غسيل الدماغ:

تختلف الأساليب هنا باختلاف شخصية الفرد، وباختلاف الظروف وأهمية القضية، وعادة ما يكون ذلك عبر عدة إجراءات، أهمها:

١ ـ السيطرة الكاملة: أي التحكم الكامل في كيان السجين، ووجوده، وتصرّفاته.

٢ ـ الضياع والشك: خاصة في المراحل الأولى لاعتقاله.

٣ ـ العزل: أي عن العالم الخارجي تماماً.

٤ ـ التعذيب: سواءً كان تعذيباً نفسياً، أو عقلياً، أو بدنياً.

٥ ـ الإنهاك الجسدي: وذلك جرّاء النوم المتقطع، والتوتر، والفزع، وسوء الطعام.

٦ ـ التحقير الشخصي.

٧ ـ تثبيت الجرم.

وهكذا، فإن أحد أهداف غسيل الدماغ هو تحطيم التمييز بين البراءة والذنب، بين الحقيقة والخيال، وسيحارب السجين بلا أمل ليحتفظ بإيمانه في براءته وبقيمه السابقة. ولكن قوته تضعف رويداً رويداً عن طريق إنهاكه البدني والتعب والألم والحرمان والتحقير والتهوين من شأنه.

د ـ سيكولوجية عملية غسيل الدماغ:

هناك مدرسة تذهب إلىٰ أن هذه العملية هي بالدرجة الأولىٰ امتداد

للعمل الذي قام به (بافلوف) في مجال السلوك المنعكس المشروط.

وترىٰ مدرسة أخرىٰ بأنه يمكن فهم هذه العملية علىٰ ضوء نظرية (فرويد)، لكن الوقائع تؤكد علىٰ أن طبيعة العمليات السيكولوجية المستخدمة في غسيل الدماغ تشمل الآتي:

١ ـ التقمّص: حيث تنشأ هناك علاقة عاطفية بين السجين وسجّانيه، ويعتبر ذلك عاملاً مهماً في تطويع السجين وإخضاعه.

٢ ـ هبوط المقدرة الفكرية: وذلك نتيجة الانهاكات الشديدة، والضعف الصحي وما إلى هنالك.

٣ ـ عدم إمكانية التلاؤم كنتيجة للعزل الطويل.

٤ ـ الإيحاء: حيث تبيّن أن هذه العملية تعتبر من أكثر العمليات فعالية في مجالات غسيل الدماغ.

٥ ـ التكرار.

٦ ـ الشعور بالذنب.

٧ ـ تدمير الذات.

٨ ـ السلوك المشروط.

٩ ـ السلوك غير العقلاني في وجه المثير المفاجئ.

١٠ ـ تناوب الخوف بالأمل.

هـ ـ التأثير السياسي لعملية غسيل الدماغ، وحدود هذا التأثير:

بعد الدراسات أشار (ليبتون) إلىٰ أن نتائج عملية غسيل الدماغ ليست دائمة، وخاصةً إذا أتيح للفرد أن يعود للحياة في مجتمع حرّ.

ولحسن الحظ فإن لعملية غسيل الدماغ كثيراً من العيوب والحدود، منها مثلاً: التكاليف الباهظة لتحقيق الظروف اللازمة لنجاح تلك العملية،

وبالتالي ستكون عملية غير اقتصادية، أي: إن هذه العملية لا يُستطاع تطبيقها علىٰ جمهور كبير.

إضافة إلىٰ أن الوسائل والبرامج الخاصة بالإصلاح الفكري يمكن مقاومتها، فهناك العديد من الرجال والنساء الذين قاوموا بنجاح، واحتفظوا بتماسكهم وشخصياتهم، وحتى أولئك الذين يتم تحويلهم في السجن يمكن أن يزول عنهم هذا التأثير إذا ما خرجوا من السجن إلىٰ ظروف أخرىٰ طبيعية.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل التقدم التكنولوجي والعلمي قادر علىٰ معالجة عيوب عمليات غسيل الدماغ؟!

* * *

obeikandl.com

الفصل الرابع
دور وسائل الإعلام في تدعيم الاتجاهات وتغييرها

قام الباحث (جوزيف كلابر) بعدد كبير من الأبحاث والدراسات حول تأثير الاتصال بالجماهير ، ووصل إلىٰ عدة تعميمات أهمها :

١ ـ إن وسائل الإعلام ليست عادة السبب الكافي أو الضروري لإحداث التأثير على الجماهير ، ولكنها تعمل مع ـ ومن خلال ـ بعض العناصر والمؤثرات الوسيطة .

٢ ـ إن طبيعة العناصر الوسيطة تجعلها تعمل علىٰ جعل وسائل الاتصال عنصراً مساعداً ، وليست السبب الوحيد في تدعيم أو تقوية الاتجاهات الموجودة .

٣ ـ في الأحوال الخاصة التي تساعد وسائل الاتصال فيها علىٰ إحداث التغير ، تسود حالة من حالتين :

أ ـ إن العوامل الوسيطة لا تعمل ، وبذا يصبح تأثير وسائل الإعلام مباشراً .

ب ـ إن العوامل الوسيطة التي تميل عادة إلىٰ تدعيم وتقوية الاتجاهات الموجودة ، تساعد هي نفسها علىٰ إحداث التغيير .

أ ـ دور وسائل الإعلام في تدعيم الاتجاهات :

تشير الدراسات إلىٰ أن حملات وسائل الإعلام الجماهيري تدعم الآراء

الموجودة بين الجمهور أكثر مما يحتمل أن تغيّر تلك الآراء ، وبالتالي فإن فاعلية الاتصال في التأثير علىٰ الآراء الموجودة والاتجاهات يرتبط أو يتماشىٰ عكسياً مع درجة التغيير المطلوبة.

وأهم المؤثرات والقوى الوسطية التي تعاون في عملية التدعيم هذه ، هي:

١ ـ الاستعدادات السابقة وعمليات انتقاء التعرّض وانتقاء الإدراك وانتقاء التذكرة المتصلة بها ؛ ذلك لأن الأفراد عادة ما يعرّضون أنفسهم لوسائل الإعلام التي تقول شيئاً يتفق مع اتجاهاتهم واهتماماتهم ، ويتجنّبون المعلومات التي لا تتفق مع آرائهم! بل وحتى إذا اضطر الفرد إلىٰ الاستماع لوجهات نظر لا يرضىٰ عنها ، ولا ينجح في تحريفها أثناء عملية الإدراك ، فإنه يلجأ إلى نسيانها بسرعة!

٢ ـ الجماعات التي ينتمي إليها الفرد: ذلك لأن الجماعات التي ينتمي إليها الفرد تقوم بدور الوسيط الذي يحمي الفرد من الرسائل الإعلامية المعارضة ، وتساعد علىٰ التدعيم مثل العمليات الانتقائية ، وبالتالي فكل فرد يتأثّر بالجماعات التي ينتمي إليها ، وذلك لأن كل فرد يستمدّ جزاءه وإحساسه بالأمن والطمأنينة من رضاء الجماعة التي هو عضو فيها ، مثال ذلك: إذا كان رب الأسرة مناصراً لناد من النوادي ، فأغلب الأسرة ستناصر النادي نفسه.

٣ ـ نشر مضمون وسائل الإعلام بالاتصال المواجهي: ينقل الأفراد عادة ما يعرفونه من وسائل الإعلام إلىٰ الآخرين الذين يشاركونهم في اهتماماتهم ، مما يزيد عدد الجمهور الذي تصله الرسالة ، ولكن يحتمل أن تتكون الزيادة من أفراد تتفق آراؤهم مع الآراء التي تعرض عليهم.

٤ ـ ممارسة قيادة الرأي: أظهرت الدراسات أن قادة الرأي منتشرون بين جميع الطبقات الاجتماعية ، وأنهم إلىٰ حدّ كبير مماثلون للأفراد الذين

يقومون بالتأثير عليهم ، ولكن إذا قورنوا ببقية السكان ، نجد أن قادة الرأي أكثر تعرّضاً للراديو ، وللصحف والمجلات ، أي لوسائل الاتصال الرسمية ، ولذلك أشار (لزرزفليلد) وزملاؤه إلىٰ احتمال أن الأفكار التي تنتقل من الراديو والمطبوع إلىٰ قادة الرأي ومنهم إلىٰ القطاعات الأقلّ نشاطاً من المواطنين.

وهكذا ، فإن تأثير الأفراد علىٰ بعضهم البعض ـ كما كشفت عنه هذه الدراسات ـ ينعكس في التآلف في آراء وأعمال الجماعات الأساسية ، ووسيلة الاتصال بين الجماعة الأساسية هي الاتصال من فرد إلىٰ فرد ، وتشير الدراستان اللتان أجريتا عن التصويت إلى وجود قدر كبير من التآلف في الرأي السياسي بين أعضاء العائلات نفسها ، وبين الزملاء في العمل والأصدقاء ، وفاعلية تلك الجماعات الأساسية في جذب الذين ينحرفون مرة أخرى إلىٰ الخط السويّ ؛ تظهر حقيقة أن أولئك الذين غيّروا نواياهم الانتخابية ، كانوا أساساً أفراداً عازمين في المراحل الأولى من الحملة على أن يصوّتوا بشكل مخالف لتصويت عائلاتهم أو أصدقائهم... وبهذا نستطيع أن نقول: إن التأثير الشخصي وقيادة الرأي يعملان علىٰ منع أعضاء أي جماعة من الانحراف من البداية.

٥ ـ طبيعة وسائل الإعلام في المجتمع القائم علىٰ نظام المشروعات الحرّة: من الصعب أن نتصوّر كيف يمكن أن يتغير أو يتبدل الوضع خاصة بالنسبة للتلفزيون ، فالطبيعة الاقتصادية لوسائل الإعلام الجماهيرية في المجتمع القائم علىٰ المشروعات الحرّة مقدر لها أن تبرز حتى النهاية الاتجاهات الاجتماعية السّائدة أكثر مما تقوم بخلق الاتجاهات أو تحويلها ، وبهذا تقوم بتدعيم الاتجاهات السائدة.

معنى هذا أن الطبيعة الاقتصادية لوسائل الإعلام هي واحدة من عدة عوامل ؛ تجعل وسائل الإعلام تعمل في خدمة التدعيم ، وليس التحويل وتغيير الاتجاهات ، ولكن يختلف الوضع بالطبع في الدول الأوروبية التي

تخضع فيها وسائل الإعلام الألكترونية لسيطرة هيئة عامة ، ويقتصر المضمون الإعلامي علىٰ دقائق محدودة يومياً ، ولا يسمح بالبرامج المكفولة ، ففي تلك الدولة قد تنجح وسائل الإعلام الألكترونية في تغيير الاتجاهات ، بل وتعمل علىٰ تحقيق ذلك التغيير .

والشيء نفسه ينطبق علىٰ الدول النامية التي تخضع وسائل إعلامها لسيطرة الحكومات ، وتستغل أساساً في تغيير الاتجاهات والعادات السائدة ، لذلك يمكن أن نقول : إن هذا العنصر لا يعتبر في الدول النامية عاملاً وسيطاً يساعد علىٰ تدعيم الاتجاهات .

ب ـ مقدرة وسائل الإعلام على زيادة معلومات الأفراد عن مختلف الموضوعات :

لا شك أن الفرد الذي يتعرّض ست ساعات يومياً لوسائل الإعلام يستوعب ، ويخزّن قدراً كبيراً مما يتعرّض إليه من الحقائق عن الشؤون العامة والأمور الترفيهية ، فهو يعرف مثلاً شكل رئيس جمهوريته وكيف يتكلّم ، ويعرف شيئاً عن رئيس الوزراء وبعض الوزراء ، ويعرف شيئاً عن تنظيم الأسرة ، وعن سياسة الانفتاح الاقتصادي ، وعن الحرب بين الحبشة والصومال ، وأزمة الشرق الأوسط ، وعن هبوط الإنسان علىٰ سطح القمر ، وعلاوة علىٰ هذا فهو يعرف الشخصيات الإذاعية والتليفزيونية والممثلين ونجوم كرة القدم . . . ! وهي أمور ما كان ليعرفها لولا وسائل الإعلام .

ج ـ مقدرة وسائل الإعلام علىٰ خلق آراء عن الموضوعات الجديدة :

كان وزير الدعاية في ألمانية النازية يقول : إن من يقول الكلمة الأولىٰ للعالم علىٰ حق دائماً .

وكأنه بذلك يعبّر عن إيمانه بأن وسائل الاتصال شديدة الفاعلية في خلق اتجاهات عن الموضوعات الجديدة التي تظهر أو تُثار .

وقد أيّد ذلك الاتجاه الباحث الأمريكي (هرتز) ، حيث أكّد علىٰ أن

الدعاية هي أساساً سلاح هجومي ، وليست سلاحاً دفاعياً ، فهي تستطيع أن تصنع الرأي بسهولة أكبر من قدرتها علىٰ تحول الرأي .

وبالتالي ، فإن مقدرة وسائل الإعلام علىٰ صنع آراء حول الموضوعات الجديدة تجعلنا نعتقد أن قدراتها خلال أوقات الثورات وعدم الاستقرار الجماعي قد تكون كبيرة ، فالفرص كبيرة في هذه الظروف ، ليس فقط لتدعيم الأفكار الثورية ، ولكن أيضاً لتقديم أو إعادة تعريف الموضوعات التي لم يعطها الفرد العضو في الجمهور اهتماماً من قبل ، أو لم يهتم بها سوىٰ اهتمام بسيط ، خاصة وأنه في ظروف التغير الاجتماعي أو السياسي يزداد عدم اليقين ، ويزداد احتمال تعرّض الفرد للمعلومات التي تزيد يقينه .

د ـ دور وسائل الإعلام في تغيير الاتجاهات :

يُقصد بالاتجاه : المفهوم الذي يستخدمه عالم النفس الاجتماعي لكي يفسر دون إشارات معقّدة لسيكلوجية الفرد ؛ التي لا يهتم بها أساساً ذلك العالم .

وعلىٰ حدّ رأي (روكيش) : هو تنظيم للمعتقدات يتسم نسبياً بالاستمرار عن شيء أو عن ظرف ما ، يُهيِّئ هذا التنظيم الفرد للاستجابة بطريقة معينة .

وأهم المصادر التي تعمل علىٰ تكوين الاتجاهات هي :

١ ـ تأثير الأسرة : علىٰ العائلة تشكيل الطفل ، حيث يصبح فرداً يرضى عنه المجتمع وأنظمته الثقافية ؛ التي يجب أن يعرف الطفل نفسه معها فيما بعد ، وهذه هي العملية هي التي يطلق عليها العلماء (التأثير الاجتماعي والثقافي) ويتم في إطارها ـ من خلال وسيط ـ نقل مفاهيم معينة ، وهي عملية معقدة جداً ، حيث إن اتجاهات كثيرة غير قيم المجتمع الرسمية تصبح جزءاً لا يتجزأ فيما يمكن أن نسمّيه (حقيقة الذات) أو الشخصية المحورية ، وتعتمد هذه الشخصية المحورية أو تقوم علىٰ الاختلافات الموروثة في المزاج ، وعلىٰ الاتجاهات الفردية للوالدين ، وعلىٰ ما إذا كان الطفل يقاوم محاولات إخضاعه وتثقيفه ، أو يشجع تلك المحاولات ،

ونظراً لأن ما يكتسب أولاً يصبح له تأثير كبير ، فهذه الطبقة من طبقات الشخصية تتكون من اتجاهات شديدة المقاومة للتغير ، ولها تأثيرات مهمة علىٰ علاقة الفرد فيما بعد بالمجتمع ومعتقدات ذلك المجتمع المقبولة بشكل عام ، ولهذا السبب يجب الاهتمام بالأسس التي تتكون في هذه المرحلة الأولى في نطاق الأسرة.

فمثلاً مع المراحل المبكرة جداً للتطور تنبع عاطفتان تتصلان بشكل وثيق باستجاباتنا فيما بعد علىٰ المنبهات الاجتماعية ، وتبقىٰ شديدة المقاومة خلال سنوات الحياة ، هاتان العاطفتان هما: القلق والإحساس بالإثم ، ولذلك يركز رجال الدعاية باستمرار علىٰ التأثير عليهما.

وهكذا تتطور المسألة لدىٰ الطفل ، وذلك حسب سنيّ عمره ، لكن يمكن القول: إنه خلال السنوات الخمس أو الست الأولىٰ يبدأ الطفل في التعلم بنشاط كبير ، أو يبدأ ما يسميه علماء السلوك بعملية (التكيّف) بالتجربة والخطأ ، وباكتساب العادات التي علَّمها له والداه ، وهذه العادات تتحدد بالجزاء والعقاب ، وبالتسامح والحرمان.

٢ ـ تأثير المجتمع: وبعد سنوات الطفولة ، يتصل الطفل بشكل متزايد مع المجتمع خارج منزله ، ويتم تطبيعه عن طريق عملية التأثير الاجتماعي والثقافي المباشر ، وبالتالي فالمجتمع مكون من مجموعات من الناس تتراوح ما بين هيئات كبيرة منظمة بشكل عمدي ، ولها أهداف محددة ، توصف بأنها: مجموعات من الدرجة الثانية ، وتتضمن منظمات سياسية ودينية وهيئات مهنية ونقابات عمال... إلخ. و: جماعات أولية تتجمع بشكل غير رسمي ، وتتكوّن من أفراد معدودين ليس لهم هدف سوىٰ قضاء وقتٍ طيّب في صحبة بعضهم البعض.

٣ ـ التجارب المعزولة ـ المتكررة: من الواقع المعاش نرىٰ أن للتجارب المتكررة أو المعزولة التي تحدث في حياة الفرد ، تأثيراً علىٰ شخصيته المحورية ، فمثلاً إذا اعتدى شخص من الزنوج علىٰ امرأة ، فإن ذلك يؤثّر

في شخصية المرأة إلىٰ حدّ يجعلها تتبنّى اتجاهاً معادياً لكل الزنوج!

وبعضهم يرىٰ أن تلك الانعكاسات الشرطية ـ كما هو رأي بافلوف ـ يمكن تطبيقها علىٰ علاج الاضطراب أو الاعتلال العصبي الوظيفي ، ونحو ذلك.

لكن يبقىٰ للمقاومة أمام ذلك دور كبير ، فمعتقدات الناس بشكل عام واتجاهاتهم وسلوكهم تتسم دائماً بالاستقرار ، والمطالب والحجج التي تعمل علىٰ التغيير ، والحقائق الجديدة غير المريحة التي لا تتفق مع الفئات التي وضعها ذهن الفرد ، سوف تقاوم ، وحينما يحاول الاتصال أن يغيّر المعتقدات الموجودة والاتجاهات والعادات التي تنصب علىٰ أهداف وقيم مهمة ، سوف تظهر مقاومة شديدة في كل مرحلة من مراحل عملية الاتصال.

وبالتالي ، فأهم العوامل الوسيطة التي تغيّر الاتجاهات ، هي:

١ ـ العمليات الانتقائية.

٢ ـ تأثير الجماعات الأساسية.

٣ ـ قيادة الرأي والتأثير الشخصي.

مثال ذلك: خلال الحرب الكورية ، كان الشيوعيون يفرضون علىٰ المساجين الأمريكيين ، أو يحثّونهم علىٰ القيام باستجابات معينة ، علىٰ أمور مختلفة تتفق مع الإيديولوجية الشيوعية ، فكان عليهم أن يكتبوا مقالات وخطباً تعكس وجهات النظر الشيوعية ، وقد أدىٰ هذا إلىٰ إيمان أولئك الأمريكيين ، علىٰ الأقل ، ببعض المادة التي أجبروا علىٰ ترديدها ، وتؤكد نتائج الأبحاث علىٰ أن تلك الأساليب كافية لإحداث تحوّلات نسبية علىٰ الأقل.

ومن ناحية أخرىٰ ، لا يمكن أن نعتبر الظروف الموجودة في معامل إحدىٰ الجامعات مشابهة ـ من الناحية العملية ـ للظروف الموجودة في

السجون الكورية أو الصينية ، فدور الجماعات الأساسية في الحالة الأخيرة هو الجزاء والعقاب المنتظر الذي لا مثيل له ، أو ليس هناك ما يساويه في المعامل الأمريكية التي يتم فيها إجراء التجارب.

إذن: لا يمكن اعتبار الجمهور هدفاً سلبياً غير قادر علىٰ الدفاع عن نفسه ، بل يجب اعتباره جمهوراً عنيداً ونشيطاً وقادراً علىٰ الاعتماد علىٰ نفسه[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ـ مرجع سابق: ص ٦٢٥ ـ ٦٤٤.

obeikandl.com

الفصل الخامس
دور الإعلام في نشر القيم والفضائل

المبحث الأول
الإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية

كما هو مقرّر في القرآن الكريم ، فالإسلام هو الدين العالمي ، والذي أُرسل إلىٰ الناس كافة ، سواءٌ أكان ذلك في المضمون ، أم في الأبعاد ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

ونفس الكلام يُقال عن الرسول الخاتم ﷺ ، فإذا كان كل نبي قد أُرسل إلى قومه خاصة ، فنبينا عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالىٰ للناس كافة ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وشاء الله تعالى أن تكون الدعوة الإسلامية دعوة شاملة ، وأن تتميز بعدّة سمات ، أهمها:

١ ـ الجماعية: وهي سمة تُقابل الفردية البدائية التي لا يقوم بها نظام ،

---

(١) الأنعام: ٩٠.
(٢) الأنبياء: ١٠٧.

ولا تنهض بها حضارة ، ومن المؤكد أن الإسلام قد رفع لواء الجماعية النزيهة لأول مرة في تاريخ الإنسانية ، حين جعلها شعار الوجود الإسلامي كله ، والقرآن الكريم يقرر ذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1] ولا شك أن مفهوم الأمة إنما هو مفهوم ديني ، مصاحب لظهور الأديان ، ولكن هذا المفهوم لم يأخذ عمقه الاجتماعي الكامل إلا في الإسلام ، فهو يتجسّد وحدة مرجوّة للمسلمين ، وهي وحدة «العابدين» في مقابل ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ ﴾ .

أي : إن وجود المسلمين لا يضمّ سوىٰ مفهومين :

ـ مفهوم الألوهية المعهودة بحق .

ـ ومفهوم الأمة الواحدة العابدة .

وإذا صحّ هذا الفهم للآية الكريمة كان من البدهي أن نحمل عليها ذلك الاتجاه الإسلامي الأصيل إلىٰ تحقيق جماعية الأمة في أدائها لشعائرها ، فالجماعة في الصلاة شعيرة من شعائر الإسلام ، والدولة في الإسلام تصلّي جماعة ، لأن الإمام هو الذي يقود المصلّين في المحراب كما يقودهم في ساحة الحرب ، والجماعة في أداء الحج شعيرة ظاهرة مدىٰ الزمان ، والصوم في نظرنا فريضة جماعية تمارسها الدولة ، كما يمارسها الأفراد ، ولا يمكن في المجتمع الإسلامي أن يقبل من مسلم المساس بالمظهر العام للمجتمع الصائم بالتظاهر بالإفطار ، فالمجتمع الإسلامي في رمضان مجتمع صائم ، وبصرف النظر عن إفطار بعض أفراده فيما بينهم وبين أنفسهم .

وفريضة الزكاة فريضة جماعية ، تؤديها جماعة الأغنياء إلىٰ جماعة الفقراء ، ولذلك فإن من سلطة الدولة حمل الممتنعين عن أداء الزكاة علىٰ الوفاء بحقها ، ولقد سجّل التاريخ الإسلامي قيام أخطر الحروب ، وهي

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .

حروب الردّة ، في أول عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ، تأكيداً لمعنى الجماعية في وجوب الزكاة[1] ولعل من الملاحظات القيمة في هذا الصّدد أن نجد أن هذه الفرائض لم تصبح كذلك إلا بعد أن تكوّنت الأمة المسلمة ، ونشأت لها دولة في المدينة ، ففيما عدا الصلاة التي كانت فريضتها ليلة الإسراء والمعراج ، أي عام الحزن ، وهو العام العاشر من عمر الدعوة ، نجد أن الصوم والزكاة قد فرضا علىٰ الأمة المسلمة في العام الثاني من الهجرة ، وأما الحج فقد فُرض في العام السادس من الهجرة ، وذلك عندما أنزل الله قوله : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[2] .

ويؤكد معنىٰ الجماعة علىٰ هذا النحو مشروعية القتال ، وقد كانت إقراراً لحق الجماعة في الدفاع عن وجودها المهدّد ، وعن إيمانها ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[3] .

أي : أُذن القتال لجماعة المستضعفين ، وبالتالي فإن اتجاه التشريع الإسلامي كان دائماً في صف الجماعة ، أي : إن مصلحة الفرد لابدّ أن تكون متوافقة مع مصلحة الجماعة ، فهي تتحقق من خلالها ، لا علىٰ حسابها ، وذلك ما يميّز (جماعية) الإسلام عن (الجماعية) الماركسية ، والتي تُلغي مصلحة الفرد أصلاً ، من الوجهة النظرية علىٰ الأقل .

٢ ـ الغيرية : وهي فضيلة من الفضائل الإسلامية الأصيلة ، في مقابل الأنانية ، ومن الواضح أنها تتناغم مع السمة الجماعية ، فإن الجماعة ليست في التحليل الأخير سوىٰ مجموعة من الأفراد ، لا تستطيع تجريدهم كأفراد من مشاعرهم الخاصة ، التي تقود في أكثر الأحيان إلىٰ الإحساس بالذات ، وإلىٰ طفح الأنانية علىٰ تصرّفات هؤلاء الأفراد .

---

(١) للتوسّع في ذلك يراجع : المسيرة التاريخية لتطبيق الزكاة ، الدكتور محمد عمر الحاجي : ص ٤٧١ ـ ٤٨٩ .

(٢) البقرة : ١٩٦ .

(٣) الحج : ٣٩ .

وأخطر ما يبدّد جماعية الأمة الإسلامية هو هذا الجانب في تصرّفات القادة والأئمة ، وهم مدعوون دائماً إلىٰ أن ينكروا ذواتهم من أجل مجتمعهم ، وإلىٰ أن يذيبوا وجودهم في كيانه ، وبهذا المعنى يموت الشهيد فداءً لدعوته ، ودفاعاً عن جماعته ، فيحقق بذلك أعلىٰ مراتب التحرر عن (الأنا) ، وأسمىٰ درجات الحب (للغير) ، وهو الخُلق الذي مجّده القرآن في قوله تعالىٰ في حق المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[1] .

وقوله سبحانه في حق الأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] ومن هذا الجانب يكون تقديم مصلحة الجماعة على إرادة الفرد الذي يدين بحبّ جماعته ، قبل أن يكون إلزاماً من الدولة أو النظام .

وعلىٰ أساس هذه الغيرية قامت دولة الإسلام الأولىٰ ، حين أرسىٰ أساسها رسول الله ﷺ علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان ، وشرع للناس مبدأ الأخوة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[3] وهذا المبدأ هو الذي بنىٰ صرح الجماعة في أمة الإسلام ، فأحال هذه الأمة جسداً واحداً ، إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمّىٰ ، وبالتالي فالأمة الإسلامية بهذا التكوين تتميز أيضاً عن أيّ أمة ذات كيان رأسمالي ، لأن هذا النظام يضخم وجود الفرد ، ويطلق لغرائزه العنان ، لتشبع علىٰ حساب أي اعتبار آخر فردي أو جماعي .

٣ ـ العلنية : وهذه السمة تكمّل السّمتين السابقتين ، فالجماعة الإسلامية ذات أهداف إنسانية خالصة ، ولذلك يجب أن توضع هذه

---

(١) الحشر : ٨ .

(٢) الحشر : ٩ . «تبوؤا» : توطنوا . «خصاصة» : فقر واحتياج . «شح» : بخل .

(٣) الحجرات : ١٠ .

الأهداف تحت نظر العالم أجمع ، بل أنظار (العالمين).

ومن هنا كانت وظيفة التبليغ التي أمر الله بها رسوله ﷺ ، وذلك في قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] وجاء الأمر بالتبليغ بعبارات أخرى ، كالإنذار ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[2] وكالصدع ، قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3] كل ذلك يستهدف تحقيق العلنية في كل الظروف ، وبجميع الأشكال الإعلانية أو الإعلامية ، ذلك أن الإسلام ليس دعوة سرية ، تستهدف تحقيق مآرب فردية ، أو أنانية ، أو ترمي إلىٰ السيطرة والتسلط الطبقي علىٰ أقدار الناس بالتآمر ، وإنما هي دعوة تمنح العالمين هداية الله ، وتمنح المسلمين عقيدة التوحيد ، وتمنح غير المسلمين حرية الاعتقاد ، وتمنح المجتمع كله حالة من الأمان الكامل ، ودفعة قوية في طريق الحضارة والتقدم ، كما أنها تمنح الفرد حقه من العدالة والكرامة والحرية ، ودعوة هذا شأنها لا حاجة بها إلىٰ السرّية التي تلجأ إليها مذاهب التخريب الجماعية ، وإنما هي العلنية الكاملة المتحدّية.

ولقد كانت كل التعاليم الموحاة إلىٰ الرسول ﷺ دعوة ناطقة مدوِّية في كل الأسماع ، وكانت كذلك خطوات الرسول ﷺ في سعيه للتبليغ.

ولنأخذ مثلاً على اتجاه الإسلام إلىٰ تحقيق (العلنية) طريقته في الدعوة إلىٰ الصلاة ، وكيف استخدم أذاناً ، ذا عباراتٍ قصيرة ، ولكنها تلخيص وافٍ لعبادته الخالدة ، وإعلان رائع عن أهدافه التعبدية ، والاجتماعية ، الدنيوية والأخروية ، فعبارات الأذان في الواقع هي تحدٍّ لكل ما يدبّ علىٰ الأرض بأن الله أكبر منه ، وهو معنىٰ له تأثيره العميق ، ولا سيما في مجتمع كان يعظِّم الأوثان ، ويؤلّه الحجارة.

---

(١) المائدة: ٦٧.
(٢) المدثر: ١ ـ ٢.
(٣) الحجر: ٩٤.

فإذا ذكرنا إلىٰ جانب ذلك أنه أولاً إعلامٌ بدخول الوقت ، وثانياً أنه دعوةٌ للمسلمين إلىٰ الصلاة الجماعية ، أدركنا إلىٰ أي حدٍّ يميل الإسلام إلىٰ تحقيق العلنية في ممارسة فرائضه ، بقدر ما ينفر من انطواء الفرد علىٰ ما يراه لنفسه غرضاً دينياً .

وذلك كما ابتدعت النصارىٰ مسلك الرهبانية ، واعتزل الرهبان حياة الناس ، وآثروا أن يعيشوا في شعب الجبال ، حتىٰ أصبح طابع التعبّد المسيحي ذلك الابتداع الذي يهدم رسالة الدين الجماعية ، ولذلك نعى الله عز وجل علىٰ النصارى مسلكهم في قوله : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1] ومن هنا كانت صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، وكان قائد المسلمين في المحراب هو الإمام أو من ينوب عنه ، وذلك معناه أن الدولة في الإسلام تركع وتسجد في شخص إمامها ، ومن ورائه جماعة المسلمين ، أو الأمة الواحدة ، وعلىٰ هذا قياس أداء الدولة للفرائض الأخرىٰ ، فهذه الدولة تصوم وتزكي وتحج ، وتحيي كل الشعائر من منطلق تحقيق (العلنية) الإعلامية الشاملة .

إذن : هذه السمات الثلاث يجب أن تتم في صورة العالمية ، والتي خصّ الله بها هذا الدّين ، والفرق واضح بين هذه الصفة للإسلام وبين ما عداه . . كل ذلك جعل الإسلام يملك رصيداً كبيراً قادراً علىٰ اجتذاب الجماهير ، وإشباع الرغبات الجامحة في الاقتناع لدىٰ الباحثين عن الجديد ، والطامعين إلىٰ طمأنينة النفس في أرجاء الأرض .

ومن المؤكد أن عالم اليوم يعاني من أزماته الفكرية بقدر ما يعاني من أزماته الاقتصادية علىٰ اختلاف الشعوب ، فالأغنياء الذين استأثروا بخيرات الأرض يعانون من إفلاس النظم والأيدلوجيات التي اخترعوها ، كما يعانون من إفلاس الفكر الديني الذي يجترّه الكبار ويهجره الصغار .

---

(١) الحديد : ٢٧ .

وأما الفقراء في عالمنا فإنهم في شغل بمعركة الخبز ، وهم يقعون دائماً تحت تأثير الإعلام الماركسي ، الذي يزعم لنفسه القدرة على إنقاذ المطحونين من فقرهم وتعاستهم ، ويزين لهم إقامة نظم ماركسية ، ولا سيما في البلاد حديثة الاستقلال علاجاً لمشكلتهم ، وقد يدخل الإعلام المسيحي عن طريق المبشرين ، ليكسب أرضاً في هذه الدول الفقيرة مع وعود بمعونات استعمارية ، أمريكية أو أوروبية ، لكن ليس من الصعب أن يتغلّب الإسلام على خصومه المبشرين في أي مجال ينشطون فيه ، شريطة أن يملك حرية الحركة ، وحرية عرض مبادئه القويمة على الشعوب.

والمشكلة الرئيسية تتلخص بالإجابة عن هذين السؤالين:

ـ هل يكون الدين أيديولوجية للحياة؟

ـ هل يحقق الإيمان بالله عدالة اجتماعية؟

وهذان السؤالان يثيران في الواقع أخطر قضيتين تواجهان الإنسانية في صراعها الراهن ، أيديولوجياً ، وسياسياً ، واقتصادياً.

ولقد عبّر المبشّرون عن وجهة نظر المسيحية في الإجابة عن هذين السؤالين بما مؤدّاه: إن الدين ليس من وظيفته تقدم أيدلوجيات للحياة ، لأن كل همّه تأمين خلاص الإنسان كفرد ، وكل ما تملكه المسيحية مما يتصل بهذا المفهوم جملة من التوجيهات الأخلاقية الرهبانية ، والتي لا تصلح لتحريك جماعة الإنسان. فأما تحقيق العدالة فهو من الاهتمام السياسي الدنيوي ، الذي لا يتدخل الدين في صنعه ، وبذلك ظهرت سلبية المسيحية إزاء قضايا العصر ، ولذلك لم يبق إلا الإسلام ، حيث التوازن بين المادة والروح.

* * *

obeikandl.com

المبحث الثاني
نحو إعلامٍ إسلامي

لا شك أبداً أن لدىٰ المسلمين إعلاميين علىٰ مستوىٰ عالٍ من الكفاءة ، لكن ـ وللأسف ـ ليس لهؤلاء الإعلاميين إطار يضمّهم ، فيما يشبه الرابطة ، ولذلك اختفىٰ عن نشاطهم التخطيط وحسن التقدير .

والمطروح الآن هو ضرورة حشد هؤلاء الإعلاميين لخدمة الدعوة الإسلامية ، وفي نطاق تخطيط إعلامي مدروس .

ترىٰ هل يكون المطلوب حشدهم فيما يشبه المؤسسة التي تضطلع بمهمة الإعلام بالدعوة الإسلامية وبمبادئها عبر الأجهزة المتاحة ، من صحافة وإذاعة وتليفزيون ، وغيرها من وسائل النشر المتطوّرة؟

أم يكون المطلوب هو انتماؤهم إلىٰ ميثاق إعلامي للدعوة الإسلامية ، مخطط المراحل في مرونة وفاعلية؟

والواقع أن كلا الحالين مطلوب من أجل تحقيق تقدّم في ميدان الإعلام الإسلامي ، ذلك أن أعداء الإسلام يتلاعبون الآن بكرته ، ومن الواجب تلقفها من بين أيديهم وأرجلهم ، لتصحيح مسارها ، وإثبات جدّية القضية التي نعيش من أجلها .

نحن المسلمون نملك أسمىٰ دعوةٍ عرفتها الإنسانية ـ ليس في ذلك شك ـ والعالم محتاج إلىٰ مثل دعوتنا العليا ، ونظمها القويمة لعلاج مشكلاته

المزمنة ، ولكن الأرض ليست مفروشة أمامنا بالورود ، وهي لا تستقبلنا بالأحضان ، فإن قوىٰ الشر في العالم ما يزال لديها من السلطان ما يتيح لها أن تعوق مسيرة الخير إلىٰ ضمائر الناس ، وهذه هي المشكلة.

كيف إذن نحقق هدفنا في نشر الدعوة الإسلامية؟ هناك أسس يجب أن تتوافر لبلوغ هذا الهدف ، أهمها:

أ ـ الأساس الأول يتعلّق بالدعوة وصورتها التي تُقدّم للعالم في عصرنا. إن من الضروري أن يكون ما نسوق للإنسانية من مبادئ متناغماً مع حاجاتها المُلِحَّة ، مجيباً عن أسئلتها الكثيرة ، وخاصة في مجال الإنسانيات العامة ، تلك التي أفلست المبادئ الوضعية في علاج مشكلاتها.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك أن كلاً من النظامين الرأسمالي والشيوعي قد أفلس في تحقيق ما يسمّىٰ بالأخوة الإنسانية ، التي تحقق بها المساواة بين البشر ، وقد أفلس النظام الرأسمالي ، وتجلّى إفلاسه فيما أحدث من مآسٍ إنسانية بسبب طبيعته الاستعمارية ، واستعلائه الطبقي العنصري ، ولم تستطع المسيحية ـ وهي الدين السائد في البلاد الرأسمالية ـ أن تخفف من حدّة الطغيان الاستعماري ، وبذلك تحوّل الناس في ظل هذا النظام إلىٰ سادة وعبيد ، وفقدت المسيحية وظيفتها الإنسانية ، لتُصبح دين المستعمرين الأوربيين.

وأفلس النظام الشيوعي في تحقيق هذه الأخوة الإنسانية ، حين افترض الصراع الحتمي بين شقّي العالم ، فأبعد الأخوة عن مجال العلاقات الإنسانية ، ليحلّ محلها الحقد الطبقي والانتقام البروليتاري ، ولا شك أن الخلاف الأساسي بين قطبي الشيوعية في العالم (الاتحاد السوفييتي والصين) إنما يعكس الخراب الأخلاقي داخل الماركسية ، فهي ليست مذهباً إنسانياً ، ولكنها تنظيم قومي عنصري يدعو كل مؤمن أن يحرص علىٰ مصالحه الأنانية كهدف استراتيجي ، ولا بأس في ادعاء الأخوة الإنسانية كأسلوب تكتيكي

عند اللزوم ، أو رفض هذه الأخوة عندما تتصادم مع المصالح القومية ، أو الأطماع الاستعمارية.

وشاهدنا علىٰ ذلك هو النزاع بين روسيا والصين علىٰ قطعة أرض اغتصبها الروس من أرض الصين (منغوليا) إبّان الحرب العالمية الثانية ، ولما قامت الثورة الشيوعية في الصين طالبت الأخوة الماركسيين بردّ الأمانة إلىٰ أصحابها ، ورفض الروس بعد أن جعلوا منغوليا إحدىٰ ولايات الاتحاد السوفياتي ، وسقطت الأخوة الماركسية في أول امتحان ، علىٰ قطعة أرض ، رغم محاولة الجانبين فلسفة الانشقاق الخطير.

إن هذا الإفلاس الذي تسجّله الرأسمالية والشيوعية هو دعوة للإسلام أن يطرح مفاهيمه الرائعة عن قيمة الأخوة الإنسانية ؛ كما أرادها الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1].

والناس في عالم الرأسمالية ، وفي عالم الشيوعية متعطشون قطعاً إلىٰ هذا المفهوم النزيه للأخوة ، ولكن المهم أن يبلغهم بكل أبعاده وتطبيقاته ، وهي مهمة الإعلام الإسلامي الذي يعرف طريقه في هذا الطريق الشائك.

وعلىٰ هذا القياس يملك الإسلام نُظُماً كاملة العدالة ، وقيماً عظيمة الأثر ، وخاصة في جوانب التشريعات الجنائية ، والاجتماعية ، والشخصية ، والأخلاقية ، وهذه هي دعوتنا.

دعوة تحف كثيراً بالمبادئ فلا تفرّط فيها ، ولا تساوم عليها ، ولكنها لا تقف أمام الجزئيات أو التفاصيل ، فإن أمرها هين ، متروك للاختيار ، وهي مجال فسيح لحرية الرأي والاجتهاد.

فالمبادئ يلتزم بها المسلمون ، من حيث هي دينهم الذي يدينون به ، فأما غير المسلمين فإنهم مدعوون إلىٰ الالتزام بها ؛ من حيث هي نظام يكفل

---

(١) الحجرات: ١٣.

العدالة والأمن والحرية للجميع علىٰ السّواء.

ب ـ والأساس الثاني: هو المجال الذي يكون أنسب للقيام بمهمة الدعوة، فإن من الواجب أن توضع خريطة التوزيع البشري تحت أنظارنا، لتقوم بتقسيم البشرية إلىٰ أربعة مستويات رئيسية، هي:

١ ـ المسلمون الملتحمون بالإسلام وبأهدافه.

٢ ـ المسلمون الذين يعيشون علىٰ هامش الإسلام، ويتعرّضون لخطر الانحلال والتبشير.

٣ ـ غير المسلمين ممن يدينون بديانة سماوية، أو وضعية، ويلتحمون بأهدافها.

٤ ـ غير المسلمين من البدائيين والوثنيين في مختلف مناطق العالم.

ومن الطبيعي أن تنصرف جهودنا الإعلامية إلىٰ الفريق الثاني ـ صوناً للمسلمين من الفتنة، وتنويراً لهم في حقيقة دينهم، وإبطالاً لجهودٍ مستميتةٍ يبذلها المبشّرون لتحويلهم عن دين الله، كما يبذلها دعاة الماركسية ليجدوا لأقدامهم موطناً في أرض الإسلام ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، إسهاماً في تحضير هؤلاء البدائيين بالفكر الديني، وإنقاذاً للوثنيين من وصمة الشرك؛ التي لم تعد تليق بإنسان متحضّر في أواخر القرن العشرين.

وأما فيما يتعلّق بالفريق الثالث فإن من الواجب التيقّظ لمخططاته، ومراقبة تحركاته، في أرض الإسلام، والتصدّي لها بالجهد الإسلامي المثقف الواعي الذي يتذرّع بالحكمة، ويجادل كما قال الله تعالى: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، بعيداً عن المهاترات والمشاحنات، التي تعوق كل نشاط، وتعدم كل فاعلية، ودون أن ندخل الإسلام في صراعات لا يملك وسائل التصدّي لها الآن.

ج ـ وأما الأساس الثالث فيتّصل أولاً بالعنصر البشري، كيف نعدّه

---

(١) النحل: ١٢٥.

لتحمّل المسؤولية ، وأداء الأمانة بالصّدق والإخلاص والإيجابية؟

ومن الواضح أن تكوين الدعاة المدرّبين يحتل مكان الصدارة في هذا الأساس ، ولكن الإعلام الحديث ليس مجرّد كلام يلقيه داعية ، بل هو إلىٰ جانب ذلك فكر خلّاق ، وقلم معبّر ، وصوت مؤثر ، وفنان مبدع في التمثيل ، وفي الإعداد ، وفي الإخراج ، ومصمم ناجح للصحيفة والنشرة والكتاب ، ومصوّر لمّاح يلتقط الصور الهادفة ، إلى غيرهم من الجنود العاملين في حقل الإعلام المعاصر ، ولا مناص من تكوين صفوف من هؤلاء ، لينهضوا فعلاً بالجهود الضخمة التي يتطلبها نشر الخبر وإذاعة المقال ، وتبليغ الدعوة إلى جماهير الناس ، والحق أن الداعية الناطق المدرب المثقف هو خير وسائل الدعوة إلىٰ بلوغ أهدافها ، ولكن من المهم أن يكون اختياره وتكوينه بعيداً عن التَّزمُّت والتمسّك بالشكليات ، والتنطّع في الدين لدرجة التنفير من الدعوة ، ذلك لأن فرداً واحداً متنطعاً في دينه يمكن أن يحبط جهود عشرات من الدعاة الناجحين إذا ما نشر تنطعه علىٰ الناس ، فإن دعوة الإسلام لا تقوم إلا علىٰ الحبّ والسماحة ، واليسر الإلهي: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

والتنطع رفضٌ لهذه الروح التي تميز بها الإسلام ، ونجحت بها دعوته إبان ازدهارها. فإذا توافرت هذه الأسس الثلاثة كان من الواجب إقامة مؤسسات إعلامية إسلامية ، تنهض بواجب الدعوة علىٰ وجه التخصص فيها ، كما أنه من الواجب وضع ميثاق شرف الدعوة الإسلامية ، يلتزم بخطوطه كل عامل في حقل الإعلام ، ممن يبتغون وجه الله ، وانتصار دعوته ، وانتشار كلمته في العالم ، وذلك في حدود المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

فإذا تم تنظيم إعلامي علىٰ هذا النحو ، كان من الضروري طرح المضمون السياسي والاجتماعي الذي يلتزم به هذا الإعلام الإسلامي .

ومن ذلك مثلاً : ضرورة التركيز علىٰ وحدة الأنبياء في عقيدة المسلمين : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[1] .

وعلىٰ تكامل الرسالات السماوية في هذا الجانب .

وضرورة التنبيه إلىٰ الخطر الذي يستهدف وجود المتدينين من الإلحاد الزاحف ، الذي لن يفرّق بين أتباع دينٍ وآخر ، فالمعركة بين المتدينين وبين الملاحدة من دعاة المادية في العالمين الرأسمالي والشيوعي معركة شرسة أبدية . وضرورة طرح قضية الوحدة الإسلامية بما يحقق أهداف الأمة الواحدة واجب مُلِحّ ، ولقد كان اختفاء الدعوة إلىٰ الوحدة الإسلامية مخططاً تآمرياً علىٰ وجود الإسلام ذاته . ومن أشكال الوحدة ضرورة تحقيق التكامل الاقتصادي بين البلاد الإسلامية ، وعلىٰ أساسٍ من تعاليم الإسلام الاقتصادية .

ومن الضروري أيضاً أن يتبنىٰ الإعلام الإسلامي الدعوة إلىٰ العدالة الاجتماعية بصورتها الإسلامية ، وإلىٰ مفهوم الحرية الشخصية والجماعية في النظام الإسلامي .

ولا مناص من أن تخوض الشعوب الإسلامية غمار الثورة الأخلاقية على مفاسد الحضارة المعاصرة ، تأكيداً لوجودها ، والتزاماً بقيمها ، ورفضاً لكل ما يشوّه وجه المجتمع الحضاري من المباذل وأشكال الانحلال .

ولا شك أن الممارسة العملية خير ما يهدىٰ إلىٰ ألوان النشاط الإعلامي المتجدد ، وأفضل ما يثريه بالاتجاهات الجادة ، وبالفاعلية الكاملة .

---

(١) البقرة: ٢٨٥ .

ويجب أن نعلم أن الإعلام الإسلامي لا يمكن أن يحقق أهدافه إلا إذا تمتع بالحرية الكاملة في أرضه ، وبالحماية الكاملة من البطش والمصادرة ، حين تتآمر عليه السلطات الحزبية في بعض الأوطان الإسلامية؛ التي منيت بحكمٍ غير مؤمن بأيديولوجية الإسلام ، ولا متعاطف مع رعاياه المسلمين[1].

* * *

(١) للتوسع يراجع مقال الدكتور عبد الصبور شاهين ، في كتاب: الاجتهاد ، نشر: جامعة محمد بن سعود: ص ٣٦٠ ـ ٣٧٧.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس
بعض أشكال الرقابة علىٰ الإعلام المعاصر

١ ـ المؤثرات العديدة علىٰ حرية الصحافة:

هناك ضغوط اجتماعية داخل المجتمع نفسه، والتي كثيراً ما تحدّ من حرية التعبير أكثر مما تفعل القوانين، فضلاً عن أن الصحافة في وقتنا الحاضر هي صناعة، وهي تجارة، بجانب كونها رسالة، وبالتالي فلها مصالحها الخاصة كأي مشاريع صناعية، أو تجارية.

وهناك تفسير السلطة للقانون علىٰ ضوء ما تراه هي معبّراً عن المصلحة العامة، وفي الوجه المقابل هل يمكن للصحافة أن تحتكر لنفسها تفسير الحقيقة؟ وماذا عن محاولة الصحافة نشر الفضائح والصور الخليعة والجرائم.. إلخ؟

هل ذلك بسبب البيع والتوزيع والربح؟ أم هل يُقبل تعليلها لذلك: بالديمقراطية التي تُنادي في رأيهم: بإعطاء الجمهور ما يريد؟!

وهل بعد ذلك كله يظلّ الضمير الصحفي وآداب المهنة وشرفها، والنقد الذاتي هو أقوىٰ ضمانات المسؤولية الاجتماعية في ممارسة الحرية الصحفية في الكتابة والتعبير؛ رغم كل تلك المؤثرات؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة مفتوحة؛ لأنها لا تعتمد علىٰ مجرّد الإجابة النظرية أو الفلسفية أو الأكاديمية، فالحرية ممارسة وإحساس قبل أن تكون مجرّد نصوص.

ومن أهم أشكال الرقابة علىٰ عملية التشهير والقذف ، والرقابة علىٰ الأدب المكشوف والصور الإباحية ، ثم الرقابة علىٰ السينما ، مايلي :

٢ ـ التشهير والحصانة والتعليق المنصف :

علىٰ الرغم من أن معظم الدساتير قد كفلت للصحافة حريتها ـ خصوصاً في البلاد الديمقراطية الدستورية ـ إلاّ أن الصحافة ليست حرّة في نشر البيانات المضلّلة أو المحطمة لكرامة الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات ، سواء كان ذلك عن عمد أو نتيجة إهمال .

والتشهير بالنسبة للكاتب الصحفي هو : أيّ قذف مكتوباً كان أو مطبوعاً ، من شأنه أن يوحي باطلاً ، بأن شخصاً ما قد ارتكب جريمة ، وأن هذا التشهير سيؤدي إلىٰ إلحاق ضرر به ، في عمله أو مهنته ، أو يعرّضه للشماتة ، أو الهزء ، أو البغض ، أو الازدراء .

ويُقال عادة : إن التشهير هو القذف بالواسطة البصرية ، وإذا كانت عبارة (الواسطة البصرية) تنطبق بدرجة رئيسية علىٰ الألفاظ المطبوعة أو المكتوبة ، فإنها تتضمن بالطبع : كل الأشياء المرئية ، كالصور والرسوم البيانية والمسجلات والتماثيل الشخصية وغيرها ، وكذلك النسخ المصورة عن هذه الأشياء .

وعلىٰ الرغم من أن القوانين بصفة عامة تحمي سمعة الفرد العادي ومهنته الشرعية ، فهي لا تعمل علىٰ تحريم النقد الذي يصدر عن القضاة والمحامين والشهود في أثناء سير المحاكمة ، عندما تكون المحكمة منعقدة في جلسة فعلية ، أو المناقشات التي تدور في مجلس الأمة والمجالس التشريعية ، أو كل مادة تُنشر في وثائق عامة .

كما يصون القانون عادة حقَّ النقد العام باعترافه بحق الفرد في (التعليق المنصف) علىٰ فرد آخر ، عندما يتصف التعليق بأمانة الرأي ، متحرراً من سوء النيّة ، ويتعلّق بموضوع ذي طابع عام ، وعلىٰ أن يحاول الكاتب الحصول علىٰ الحقائق المتعلقة بموضوع نقده .

كما أن الصحافة في البلاد الديمقراطية الدستورية عادةً تنقد الأشخاص العاملين ، وفي هذه الحالة هي تنقدُ أعمالهم ذات الاتصال بالصالح العام ، دون التطرّق إلى حياتهم الخاصة .

ويذهب بعض الصحفيين إلىٰ أن حياة الزعماء والمسؤولين الكبار الخاصة ، أمورٌ يحق للجمهور الاطّلاع عليها ، فهم قدوةٌ ومَثَلٌ لعامة الشعب ، أما بالنسبة لنقد الصحافة المحليّة لزعماء البلاد الأخرىٰ ، والمساس بأشخاصهم أو بأعمالهم ، فهو أمر يحتاج إلى نظر .

٣ ـ الأدب المكشوف والصور الفاضحة :

تكاد تجمع الآراء علىٰ أن الحماية الدستورية الممنوحة لحرية الكلام والصحافة لا تشمل حرية الأدب المكشوف ، والصور ، والقصص الإباحية .

ذلك لأن حرية الصحافة قد قصد بها التأكيد علىٰ تبادل الأفكار ونشرها ؛ بغرض إحداث التغييرات السياسية والاجتماعية التي يطلبها الشعب ، وتعبّر عنها الصحافة . وليس هناك تعريف متفق عليه لما يُسمىٰ بالأدب المكشوف ، فقد حاولت ذلك المحكمة العليا الأمريكية ، كما حاول ذلك مؤتمر جنيف للرقابة علىٰ نشر المطبوعات الإباحية ، واكتشف المؤتمر أنه غير قادر علىٰ تعريف هذا المصطلح! وقد عرّفت الدكتورة (مارجريت ميد) الأدب المكشوف بأنه : ذلك الأدب الذي يتضمّن المواد التي قُصد بها الإثارة الجنسية ، وذلك دون وجود الجنس الآخر المحبّب للشخص ، أي : عدم وجود الشخص المختار .

وهناك تساؤل يدور حول سبب قيام المجتمع بمصادرة المواد التي تُثير أفكاره الجنسية ورغباته .

وللإجابة عن ذلك نقول : إن المواد الإباحية تُفسد أخلاقيات الفرد ، وهي بطريقة غير مباشرة تُفسد الأخلاقيات العامة ، وسلطة الدولة في حماية الأخلاقيات العامة أمرٌ لا يناقش .

ولكن هذه الإجابة تعتمد علىٰ أساس أن الصور الفاضحة والأدب المكشوف يفسد أخلاقيات الأفراد ، ويدفعهم إلىٰ ارتكاب أفعال لا يرضىٰ عنها القانون ، ولكن ليس لدينا الدليل الكافي لإثبات هذا الاتجاه ، أو إثبات عكسه .

ومنذ أكثر من ثلاثين سنة أرسل (استبيان) لبعض السيدات خريجات الجامعة والمدارس العادية ، وكان من بين الأسئلة : ما هي أكثر الأشياء إثارة للرغبة الجنسية لديكنّ؟! وكانت النتيجة ما يلي :

٩ منهن قلن : الموسيقا .

١٨ منهن قلن : الصّور .

٢٩ منهن قلن : الرقص .

٤٠ منهن قلن : الدراما .

٩٥ منهن قلن : الكتب .

٢١٨ منهن قلن : الرجل نفسه .

والمجموع كان ٤٠٩ إجابة .

وعلىٰ ذلك فإنه ليس واضحاً ، أو مؤكداً أن المطبوعات الإباحية تمثّل العامل الأساسي في إحداث تغيير ملحوظ من الانحراف عن معايير المجتمع ، وقيمه .

وفيما يلي بعض الأسباب التي تدعو إلىٰ إثارة الشكوك حول سلامة هذا الافتراض :

أ ـ لقد أثبتت الدراسات العلمية عن انحراف الأحداث : أن أولئك الذين يعانون من هذه المشكلة أكثر من غيرهم ، هم أولئك الذين لم يكونوا ميالين للقراءة ، فالفارغون عادة لا يهتمّون بالقراءة والكتابة وغيرها من وسائل التسلية ، لكن ليس هذا الكلام صحيحاً دائماً ، ذلك لأن القراءة نفسها عملية انتقائية ، فمن الممكن أن يكون هؤلاء المنحرفون عديمي الاهتمام

بالقراءة بصفة عامة ، ولكنهم يحرصون علىٰ المطبوعات الإباحية .

ب ـ إن التأثيرات الكثيرة الأخرىٰ ، والتي تُثير الرغبة الجنسية ، يمكن أن تجعل القراءة ـ علىٰ الأرجح ـ أقلَّ أهمية في مجموعة القوىٰ والعوامل التي تؤثّر علىٰ سلوك الفرد ، وتؤدي به إلىٰ الانحراف عن المعايير الجنسية المتفق عليها في مجتمع معين .

كما أشارت دراسات (كينزي) إلىٰ الدور الثانوي ، الذي تؤديه المطبوعات الجنسية ، هذا وهناك دراسات أخرىٰ أيضاً تشير إلىٰ أن المعرفة الجنسية نادراً ما تنتج عن القراءة ، وهذا ما يؤيد عدم الأهمية بالنسبة للمطبوعات في التفكير الجنسي بالمقارنة مع غيرها من العوامل المؤثرة في المجتمع .

ولكن هل تُسهم الرقابة في تشكيل أخلاقيات الشعب؟

إن الرقابة في التحليل النهائي ـ سواء كانت حكومية أو خاصة ـ تعتبر سلاحاً دفاعياً فقط ، وهي لا تسهم إلا بالقليل في تشكيل الجو الأخلاقي العام للأمة ، وإن الاعتماد الزائد علىٰ الرقابة من شأنه أن يضعف الغاية الأخلاقية .

وإن التنشئة الاجتماعية ، والتربية السليمة ، والضمير الحي الواعي ، ما زال أقوىٰ الدعامات ضد الإباحية والتحلل .

ولذلك فإن عملنا الرئيس ينبغي أن يكون في مجال تشجيع قراءة الإنتاج الفكري الجيد ورعاية الأفلام والبرامج الجيدة ، ولقد وضعت الكتب الفن والأدب الجيد في متناول أبنائنا وشبابنا كما لم يسبق لنظرائهم من قبل .

وعلىٰ الرغم من أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ، كما يذهب (جراشام) ، وأن هناك شيئاً قريباً من ذلك بالنسبة للمطبوعات الإباحية التي قد تطرد المطبوعات الجيدة ، إلا أن المشكلة في نظرنا لا ينبغي أن تحلّ عن طريق زيادة رقابة الإنتاج الفكري ، بل عن طريق المزيد

من الإنتاج الفكري الجيد ، الذي يستجيب للاحتياجات الفعلية المتباينة لأكبر عدد من الناس.

وأخيراً فإن ثقتنا بقدرة الناس علىٰ رفض المطبوعات الضارة المؤذية ، مثل قدرتهم علىٰ تمييز الخبيث من الطيّب ـ مع أقلّ قدر ممكن من التوجيه ـ بالنسبة للمطبوعات الدينية والاقتصادية والسياسية الأخرىٰ.

٤ ـ الرقابة علىٰ السينما:

لقد تعرّضت السينما لرقابة متعددة الأشكال ، واجتازت السينما بذلك مراحل متعددة حتىٰ أصبحت في الوقت الحاضر كالصحف والكتب والمجلات ، ينسحب عليها ما ينسحب علىٰ هذه الوسائل الإعلامية ، وتدخل ضمن حرية الصحافة التي كفلتها معظم الدساتير.

لقد كانت السينما تخضع لرقابة الشرطة المسبقة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم تلت ذلك مرحلة ضغط الكنيسة الكاثوليكية ، وأصبح للسينما جهاز خاص للرقابة ، ثم واجهت السينما بعد ذلك مرحلة أخرىٰ تتمثل في عملية التقويم ، التي حملت مسؤوليتها ما سمي (بعصبة الوقاء الوطنية) وصنفت هذه العصبة الأفلام حسب الأقسام التالية:

A - 1 : وهي الأفلام التي لا اعتراض عليها من الناحية الأخلاقية بصفة عامة.

A - 2 : وهي الأفلام التي لا اعتراض عليها من الناحية الأخلاقية للبالغين والمراهقين.

A - 3 : وهي الأفلام التي لا اعتراض عليها بالنسبة للبالغين.

B : وهي الأفلام التي عليها اعتراض أخلاقي جزئي لجميع الأشخاص.

C : وهي الأفلام المرفوضة تماماً.

وهناك في السنوات الأخيرة اتجاه متنام لإبعاد الأطفال عن مشاهدة المناظر والصور التي يرىٰ البالغون أن الأطفال ينبغي ألا يروها ، وذلك

بمحاولة تصنيفها ، ولكن ما هو المقصود من التصنيف؟!

التصنيف: هو الوسيلة التي تقيم بها الأفلام بناءً علىٰ محتواها المعنوي والعاطفي (لا صفاتها الفنية) ، ثم بيان درجة صلاحية هذه الأفلام لجميع الأشخاص أو لأشخاص فوق سنّ معينة ، وهكذا.

والتصنيف يمكن أن يكون علىٰ نوعين ، والفروق بينهما تمثّل مدى واسعاً من التعارف الفلسفي ، الأول ـ هو التصنيف الإجباري ومسؤولية تقريره وتطبيقه علىٰ الدولة ، وهذا النوع من التصنيف هو أقرب ما يكون للرقابة.

أما النوع الثاني من التصنيف ـ وهو الذي تميل إليه معظم الهيئات في أمريكا ـ فهو التصنيف الاختياري ، حيث تقوم به وكالة أو هيئة ممن يعلمون في صناعة السينما نفسها علىٰ أن ينشر تصنيفها وتقييمها له من الناحيتين المعنوية والعاطفية ، ليفيد من ذلك الآباء بالنسبة لأطفالهم ، وفي حالة السماح بعد ذلك للأطفال بدخول الفيلم ، فلا تتعرّض دور العرض إلى عقوبة. وقد اعترض بعضهم علىٰ هذا التصنيف أصلاً ، علىٰ اعتبار أن السن عامل غير واقعي وشكلي ، إذ لا يدلّ علىٰ النضج الفكري أو العاطفي أو الاجتماعي ، فهناك مثلاً من هم في سن السادسة عشرة فقط ، ويتمتعون باتزانٍ ورجاحة عقل أكثر ممن هم في سن الحادية والعشرين!

وأخيراً ، فليس هناك طريقة علمية موثوق بها لقياس تأثير الدراما أو التسلية مثلاً علىٰ عقول الأطفال ، كما هو الحال بالنسبة للتأثيرات التي أمكن قياسها كشرب المراهقين للخمر ، وارتكابهم لحوادث السيارات ، فهناك دلائل طبية أو إحصائية بذلك.

وأما النظام البريطاني لرقباء الأفلام فهو الذي يقوم بتصنيف الأفلام في إنجلترا ، وهذا المجلس هو هيئة غير حكومية ، تموّلها صناعة السينما ، وقد درج المجلس الأفلام في أقسام ثلاثة هي:

U : هي الأفلام المناسبة للجميع (Universal).

A : هي الأفلام المناسبة للبالغين (Adultós) ، ويدخلها من تحت ١٦ سنة برفقة البالغين.

X : هي الأفلام التي لا يدخلها إلا البالغون ؛ أي لا يسمح بدخولها لمن هم أقل من ١٦ سنة.

وهذه التدريجات تمرّ علىٰ السلطة المحلية التي تقرّر الموافقة أو عدم الموافقة عليها ، وبالتالي عرض الأفلام ، أو عدم عرضها في الأحياء التابعة لها.

وهناك الكثير من السخرية في تطبيق هذا النظام ، فإذا منعت إحدىٰ المقاطعات مثلاً عرض الأفلام المدرجة تحت (X) مثلاً ، فإن أي شخص يزيد عمره علىٰ ١٦ سنة يمكنه ركوب القطار إلىٰ مدينة قريبة تعرض هذا الفيلم ، بل وأحياناً كثيرة يعرض التليفزيون في إحدى المقاطعات هذا الفيلم، ويغطي الإرسال التليفزيوني في المقاطعات الأخرىٰ الممنوع منها ، وهكذا!! ومن الطريف أن بعض الإعلانات عن الأفلام تفاخر بأن الفيلم المعروض ، هو أكثر الأفلام المعروضة علىٰ الشاشة إباحية (The X-iest).

وعلىٰ كل حال ، فيقع على الآباء عادة عبء توجيه أبنائهم بطريقة ذكية إلىٰ الأفلام التي تناسبهم؛ مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

ذلك لأن قلب الأبوين مفطور علىٰ محبة الولد ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾[2].

* * *

(١) التحريم: ٦.
(٢) الكهف: ٤٦.

الباب الخامس
نظرات في إعلام الآخرين... وفي واقع إعلامنا

الفصل الأول: نظرات في الإعلام الصهيوني.

الفصل الثاني: تأمّلات في الإعلام الشيوعي.

الفصل الثالث: الإعلام الغربي.. والإسلام.

الفصل الرابع: إعلامنا المعولم إلىٰ أين؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
نظرات في الإعلام الصهيوني

المبحث الأول
مدىٰ نفوذ الإعلام اليهودي في العالم

لقد كانت أولىٰ الطرق عند اليهود لإقامة دولتهم التي يريدون ، وعزّتهم التي يحلمون بها ، هو إفساد فهم الأمم ، وإثارة الفتن والأكاذيب والشائعات داخلها ، وما دام لخصومهم صوت يُسمع أو فكر يُقرأ ، أو وسائل تُعرضُ وتنشر ، فقد يقف ذلك حائلاً دون ما يأملون ، لذلك قررت اليهودية العالمية السّيطرة علىٰ وسائل الإعلام كافة ، لتخرس صوت المعارضة ، وتلوث فكر الناس ، وتعشي أبصارهم عن رؤية الحقيقة ، بما تريهم في وسائلها من معروضات ، وما تنشره في ساحاتهم من أباطيل وترّهات ، فلا يسمعون إلا صوتها ، ولا يرون إلا من خلال ما تحبّ أن يُرىٰ ، ولا يفكرون إلاّ بما ملكت ، وأنتجت عقولها ، أمّا ما يعادي مبادئها ، فسبيله الخنق والكتمان ، وأن يبقىٰ رهين الظلمة لا يرىٰ النور ، مهما كلّفها ذلك من جهد ، وما حمَّلها من تكاليف ، وقد بدأت نذر ذلك التخطيط اللعين في أواخر القرن التاسع عشر ، إذ جاء في بروتوكولاتهم ما يلي :

١ ـ أن نكمّ أفواه كل المطبوعات ، ونشدّ وثاقها ، حتىٰ لا يبقىٰ شيء من الكتب والنشرات حرّاً في الحملة علينا .

٢ ـ لن يكون أحدٌ ناشراً أوراقاً أو طابعاً ، إلا إذا حصل علىٰ شهادة أو رخصة ، وتكون معرّضة للإلغاء ، إذا وقعت منه مخالفة للقانون .

٣ ـ لا ريب أن الأدب والصحافة أعظم قوىٰ التثقيف ، وهذا ما يحمل حكومتنا علىٰ امتلاك أكثر الدوريات ، ليكون في وسعنا إبطال التأثير السيئ الذي تحدثه كل صحيفة فردية مستقلة[1] .

كل ذلك كان في القرن الماضي ، فإلىٰ أي مدىٰ وصل تخطيطهم ، وهم مصمّمون مثابرون جادّون ، لا يدعون فرصة تمرّ إلا أفادوا منها ، ولا يتركون موجةً إلا ركبوها ، واعتلوا قاربها ، علىٰ تحقيق السؤال المنشود وبلوغ الأمل المرتجىٰ ، وفي هذا القرن الذي شارف علىٰ النهاية ـ بل وانتهىٰ منذ سنوات ـ لا سيما بعد أن قامت دولتهم وقويت شوكتهم ، وباتت كلّ الأموال اليهودية مجنّدة لخدمة ذلك الهدف ، إضافة إلىٰ ذلك ، أنَّ الأمة التي تقف في مواجهتهم كسيحة العزم ، مشلولة الإرادة ، وقد وصل بها تخاذلها في كل الميادين إلىٰ ذروة المذلة والاسترخاء والهزيمة ، وما أظن إلا أن هدف اليهودية قد تحقق بأكمله ، وبلغ قمته وبدر تمامه ، وأقرب مثل علىٰ ذلك ، أمريكا والتي هي أعظم دولة في العالم في هذه الأيام ، استطاع اليهود باتباعهم لجميع الأساليب الملتوية الماكرة ، أن يسيطروا عليها ، ومعها هيئة الأمم ، التي يشغلون فيها أهم المناصب ، وينتفي العجب إذا علمنا (أن المرشحين لرئاسة الجمهورية في أمريكا ، يتبادرون لكسب ودّ أصغر يهودي ، وقد لا نغالي إذا قلنا : إن الولايات المتحدة (ربيبة إسرائيل) وليس العكس ، وإن رئيس وزراء إسرائيل ، هو الذي يرجّح كفّة المرشح ليغدو رئيساً ، والرئيس الأمريكي ما هو إلا أفضل قارئ لما يكتبه مستشاره اليهودي ، هذا مع أن معظم الأمريكيين يكرهون اليهود ، لكن اليهود هم

---

(١) للتوسع يراجع : مؤامرة الصهيونية علىٰ العالم ، أحمد عطار : ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

الذين يضعون الرأي العام ، عن طريق الإذاعة ، والتلفزيون ، والصحف ودور النشر والسينما ، وما يزالون يجهدون للإجهاز علىٰ المجتمع الأمريكي ، بترويج الشذوذ الجنسي ، والحشيش ، والأفيون ، وجميع (الصرعات) التي تظهر متلاحقة في المجتمع الغربي)[1] .

ونتيجة هذه السيطرة فإن من يحاول الوقوف في وجه اليهودية ومطامعها ، يتعرّض لسيل عنيفٍ من الاتهامات والانتقادات والاضطهاد والسخرية ، عبر وسائل الإعلام كافة ، وكمثال على ذلك : ما حدث مع أحد المسؤولين الكبار في أمريكا ، وهو (جيمس فورستال) الذي كان وزيراً للحربية في أمريكا ، فقد رأى الرجل في انقياد بلاده لليهودية خطراً على مصلحتها وسمعتها ، وحاول إقناع رئيس الجمهورية بالعدول عن سياسة التحيّز المطلق لليهود ، وكانت النتيجة أن تعرّض لحملة تشهير عاتية ، نُعت فيها بكل صفة مزرية ، وألصقت به تهمة مشينة ، فلم تستطع أعصابه احتمال كل هذه الإهانات ، فتدهور واختل توازنه ، وانتهى به الأمر إلى الانتحار!![2] .

وبالتالي فالتعبئة الإعلامية اليهودية تعتبر بحق من أفتك الأسلحة في العالم ، خاصة وأنه في المقابل تقف الأمة الإسلامية مكتوفة الأيدي ، غير مدركة تمام الإدراك لأهمية هذه المعركة ، وكذلك فهي غير مستعدة للتصدّي والمقاومة .

وقد أثبتت الوقائع أن لليهودية آلاف الصحف والمجلات ، فضلاً عن تأثيرها على الصحف غير اليهودية ، التي تستقي منها المعلومات ، وتنقل وجهة نظرها في معظم الأحيان ، دون أن تدري ، ولليهودية السيطرة الكاملة على صناعة السينما ، ولليهودية وكالاتها الإخبارية ، ولها أفلامها وكتّابها ،

---

(١) حكومة العالم الخفية ، شيريت سبيريد وفيتش : ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) الدعاية الصهيونية ، حامد محمود : ص ٤٧ ـ ٤٨ .

كل ذلك جعل وسائل الإعلام الغربية نفسها تشتكي من هذا التسلّط اليهودي.

اشتكت بعد مقتل اللورد (مين) صحيفة إنكليزية، من عدم اطّلاع الجمهور البريطاني على الحركة الإرهابية اليهودية، وعَزَتْ ذلك إلى سببين:

أولهما ـ انشغال الناس بشؤون الحرب.

ثانيهما ـ كون معظم مراسلي الصحف هم من اليهود، الذين لا يصوّرون أهوال الحركة الإرهابية على حقيقتها[1].

ومما يصوّر مدى سيطرتهم على وسائل الإعلام الغربي امتلاكهم لشبكات التلفزيون الرئيسية في الولايات المتحدة، فهناك ثلاث شبكات تلفزيونية أساسية في الولايات المتحدة، وهي (سي. بي. أس) و(إن. بي. سي) و(أي. بي .سي)، وتمتلك الأولى خمس محطات يتبعها٢٠٠ محطة، والثانية يتبعها ١٨٧ محطة، والثالثة يتبعها ١٢٧ محطة!![2].

ومن نظرة سريعة على إدارة شبكات التلفزيون الثلاث الرئيسية هذه، نجد أسماء مثل:

(ليونارد جولدنسون): مدير محطة (أي. بي. سي).

و(وفرد سلفرمان): مدير محطة (إن. بي .سي).

و(ليام بالي): مدير محطة (سي. بي. سي).

وهؤلاء كلهم يهود!![3]

وصدق بطل الطيران الأمريكي (جارلس لندبيرغ) عندما أعلن قائلاً: إن أعظم خطر يهدّد هذه البلاد هو ملكية اليهود ونفوذهم في الإخراج السينمائي

---

(١) الخطر الصهيوني، محمد فاضل الجمالي: ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية ـ مرجع سابق: ص ٨٤ ـ ٨٥.

(٣) مجلة البلاغ الكويتية، عدد ٥١١، سنة ١٣٩٩هـ: ص ٣٧.

والصحفي والإذاعي ، وكذلك داخل الحكومة!

وبنظرة سريعة إلى أسماء المراكز الإعلامية وإلى المؤسسات ، يتبيّن للإنسان مدى قوة الأخطبوط الإعلامي اليهودي في العالم ، فلإسرائيل أكثر من مركز إعلامي في الخارج ، وهي :

- مركز الإعلام الإسرائيلي في نيويورك ـ الولايات المتحدة .
- مركز الإعلام الإسرائيلي في باريس ـ فرنسا .
- مركز الإعلام الإسرائيلي في بيونس آيرس ـ الأرجنتين .
- مركز الإعلام الإسرائيلي في زيورخ ـ سويسرا[1] .

ومن الدراسات المهمة في هذا المجال دراسة قام بها الدكتور (ألف كرو) عن الصهيونية والصحافة الأمريكية ، وقد حلّل فيها بطريقة إحصائية علمية ما نشرته خمس من الصحف الأمريكية الكبرىٰ ، وهي :

(النيويورك تايمز) و(النيويورك هيرلد تربيون) و(الكريستيان سبنس مونيتور) و(شيكاغو تربيون) و(يترديت بنوز) خلال فترة محدودة وعن واقعة محدودة ، وهي عدوان الإسرائيليين علىٰ (قبية) في ١٤ تشرين١ ١٩٥٣ م ، وهي واقعة وضح فيها جانب الحق ، وأدانت الأمم المتحدة إسرائيل إدانة صريحة ، ومع ذلك فقد أظهرت الدراسات ، أنه من بين مجموع (١٠٣) نشرات إخبارية ، لم يتجاوز ما اعتمدوا فيها علىٰ مصدر عربي سوىٰ (١١) ، بينما بلغت الأخبار الصادرة عن تل أبيب (٣٢) ، وبلغ عدد الأخبار الواردة من مصادر أخرىٰ ، كالأمم المتحدة ولندن وواشنطن ومصادر أخرىٰ غير معروفة (٦٠) .

وأما بالنسبة للمقالات التي نشرتها تلك الصحف فمن بين (١٠٢) مقالاً ، انتصر (١٩) فقط للعرب ، و(٣٧) لإسرائيل ، واتخذ (٤٦) الحيدة ، أما تحليل الحجج فمن بين (٢١) حجة وردت في التعليقات ،

---

(١) أضواء علىٰ الإعلام الإسرائيلي ، منذر غيتاوي : ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

كانت أربع فقط تعبّر عن وجهة النظر العربية!![1].

وجدير بالذكر أن هنالك (٧٠٠) ألف فرنسي يعتنقون الديانة اليهودية فقط ، ويقول المراقبون في باريس: إن الجالية اليهودية الفرنسية أصبحت موضوع اهتمام خاص من جانب المرشحين الرئيسيين في انتخابات الرئاسة الفرنسية الأخيرة ، دون أن يبرز علناً مع ذلك التحدث عن (تصويت يهودي) في فرنسا ، وقد عيّنت كل الأحزاب السياسية الكبرىٰ مسؤولاً مختصّاً بالعلاقات مع الطائفة اليهودية ، علىٰ الرغم من أنه ليس هنالك ما يمكن أن يسمىٰ تصويتاً يهودياً في فرنسا ، وإنما فقط (محاسبة يهودية في الاقتراع)!!

وهنالك مثل آخر نتبيّن منه مدىٰ نشاط اليهود الإعلامي في العالم، وهو أنه حسب الإحصاء الرسمي الذي أعد عام ١٨٨٧ م لمدينة بيونس أيرس عاصمة الأرجنتين ، من بين ٤٣٣ ألفاً (عدد السكان) ، ٣٦ ألف يهودي. . وبعد ثلاثة وسبعين عاماً جاء في الدليل الإسرائيلي الصادر ١٩٦١ م ، أنه أصبحت نسبة المجتمع اليهودي في عاصمة الأرجنتين ٢٥٠ ألف نسمة ، لهم ٥٠ ألف خط من الخطوط التليفونية ، ويملكون ١١٩ جمعية خيرية وثقافية ورياضية. ويملكون أيضاً:

(٧) معاهد ثقافية ، تجمع رجال الفكر والعلم من غير اليهودية ، لتسخيرها لخدمتهم.

(١٣٥) حديقة أطفال ومدرسة ابتدائية.

(١١٤) اتحاداً وجمعية دينية.

(٤٠) جريدة ومجلة ، وثماني دور نشر.

(٣٨) معبداً ، وثلاث محطات إذاعية مرئية.

(١) نقابة للمؤلفين اليهود[2].

---

(١) الدعاية الصهيونية ـ مرجع سابق ـ: ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) اليهودية العالمية ، عبد الله رشيد حلاق: ص ٥٧ ـ ٥٩.

هذه نماذج من الواقع ، تبيّن مدىٰ نفوذ الإعلام اليهودي في العالم ، والسؤال المُلِحُّ: أين دور الإعلام العربي والإسلامي ؟ وما هو تأثيره ونفوذه في العالم؟!!

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثاني

الإعلام اليهودي في تركيا ـ نموذجاً ـ

عندما طُرد اليهود من إسبانيا ، امتنعت كل الدول الأوروبية عن قبولهم في تلك البلاد ، وذلك لسمعتهم السيئة .

فما كان من السلطان العثماني محمد الرابع إلا أن وافق علىٰ استيطانهم في الدولة العثمانية ، تحت طائلة أنهم من أهل الذمة .

وبالفعل ، بدأت تظهر رجالات كبار من اليهود في تركيا ، سواء كان ذلك علىٰ الصعيد السياسي أو علىٰ الصعيد العسكري ، أمثال: المشير مدحت ، والأستاذ جاويد ، وقره صو . . . وغيرهم .

وشاء الله أن يعتلي العرش العثماني عام ١٨٦١ م السلطان عبد العزيز ، الذي اشتهر بفطنته وذكائه ، فهاله ما وصلت إليه الأمور ، فسنّ تشريعاً ، حفظ بموجبه حقوق الأقليات ، ومنع اتصال الأمراء العثمانيين بالدول الأجنبية ، وحدّ من نفوذ الأمراء المتسلطين ، أمثال الأمير (مراد) الذي كان يدور في فلك الماسون ، والمشير (مدحت باشا) الهنغاري الأصل ، الذي كان يتزعّم الحركات اليهودية في الدولة العثمانية ، والذي منح (كاموندو) واساسون) و(سيمون دوتش) رخصة فتح المدارس اليهودية ، وإقامة المحافل الماسونية في تركيا ، وخشي اليهود مغبّة مسلك السلطان ، وعقدوا العزم علىٰ الإطاحة به ، فاتصلوا بالسفارات الأجنبية ، ليضمنوا

مساعدتها وأوعزوا إلىٰ المشير (مدحت باشا) بالقيام بانقلابه الشهير انقلاب ٣٠ أيار ١٨٧٦ م ، الذي أسفر عن تولّي (مراد باشا) عرش البلاد ، رغماً عن إرادته ، وتحت ضغط (حسين عوني) باشا الماسوني ، وزملائه من قادة الانقلاب ، وذلك بعد أن اغتالوا السلطان (عبد العزيز) الذي سقط قتيلاً ، تحت طعنات خناجر المارقين ، بعد أن دافع عن نفسه أروع دفاع[١] . إن تاريخ اللدغات اليهودية في معقل الخلافة الإسلامية قديم ، بدأ منذ عهد السلطان (مراد الثاني) ، ومن بعد السلطان العظيم (محمد الفاتح) ١٤٨١ م الذي اغتاله طبيبه اليهودي (مياسترو جاكوب) (يعقوب باشا) ، كما ثبت أن اغتيال أولاد السلطان (سليمان القانوني) وأحفاده الصغار ، قد دبّرته خليلة (سليم الثاني) ١٥٢٠ م نوربانو اليهودية ! ![٢] .

ودار الزمن دورته ، وكان عام ١٨٩٧ م فعقد اليهود مؤتمرهم العالمي الأول ، وذلك في بال بسويسرا ، وكان قرار المؤتمر أن أماني الصهيونية هي إنشاء وطن للشعب اليهودي ، يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ، ويصبح الشعب اليهودي بإنشائه في مأمن من الاضطهاد ، علىٰ أن يكون هذا الوطن هو فلسطين ، وعقّب (هرتزل) علىٰ هذا القرار بقوله :

أستطيع أن أقول : إنني وجدت الدولة اليهودية ، سواء قامت هذه الدولة بعد خمس سنين ، أو بعد خمسين سنة !

وحاول هرتزل أن يتصل بالسلطان عبد الحميد ، وأن يأخذ منه إذْناً بالسّماح لليهود بالهجرة إلىٰ فلسطين ، وتمكّن هو والحاخام (موشي ليفي) بتوسّط السفارة الألمانية ، من مقابلة السلطان عبد الحميد ، ثم تقدّم هرتزل إلىٰ السلطان بالرشوة قائلاً : مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان ، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمىٰ آيات التبجيل والرجاء ، عبيدكم المخلصون اليهود يقبّلون التراب الذي تدوسونه ، ويستعطفونكم الهجرة

---

(١) التحركات اليهودية عبر التاريخ ، سليمان ناجي : ص ٢٥٢ .

(٢) الخطر المحيط بالإسلام ، جواد آتلخان : ص ٦٧ ـ ٦٨ .

إلىٰ فلسطين المقدسة ، ولقاء أوامركم العالية الجليلة ، نرجو التفضّل بقبول هديتهم ، خمسة ملايين ليرة ذهبية .

وبعد أن استمع إلىٰ العرض بكل هدوء أمر مرافقه أن يطردهم من القصر ، وأصدر علىٰ الفور أمراً بمنع الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين[١] .

وبعد ذلك قام هرتزل برفع تقرير مفصل إلىٰ لجنة الأعمال الصهيونية ، جاء فيه : أقرر علىٰ ضوء حديثي مع السلطان ، أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا ، إلا إذا تغيّرت حالتها السياسية ، بدخولها في حرب ، أو وقوعها في مشاكل دولية ، وأعتقد أنه لابدّ من كسب عطف الحكومة الإنجليزية علىٰ المسألة الصهيونية[٢] وبدأت الحملات الإعلامية علىٰ السلطان عبد الحميد ، واستخدم اليهود كل ما يملكون في سبيل تشويه صورة السلطان ، وتحركت الأيدي الخفية في أوربة . . . والذي زاد الطين بلّة أن السلطات التركية قامت باعتقالِ الصحفي اليهودي (توفيق نوزت) ، وذلك لنشره مقالات عديدة ، دفاعاً عن اليهودي الإفرنسي (بارلي) الذي اعتقل أيضاً لتهجّمه علىٰ السلطان ، ونشره مقالات تحرّض الشعب على التمرّد والعصيان .

وبعد أن زجّ توفيق في السجن أربعة أيام ، اغتيل ليلاً في سجنه ، من قبل سجين يوناني ، ولما ذاع خبر موته في اليوم الثاني ، قامت قيامة الصحافة اليهودية في سالونيك ، والصحافة المهوّدة في أوروبة ، وفرّ شقيقه (نورث) إلىٰ فرنسا ، حيث عقد اجتماعات عديدة ، ومؤتمرات صحفية ، بالاشتراك مع أبناء جلدته من يهود فرنسا ، وندّد بالسلطات التركية علناً ، ودُعي من قبل محفل الشرق ، لإلقاء محاضرات عن مظالم عبد الحميد ، والتشنيع بالدولة العثمانية[٣] . . . وهكذا استغلت الأوساط اليهودية

---

(١) أسرار الانقلاب العثماني ، مصطفى طوران : ص ٨ ـ ٩ .

(٢) الأفعىٰ اليهودية في معاقل الإسلام ، عبد الله التل : ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٣) التحركات اليهودية ـ مرجع سابق ـ : ص ٢٩٧ .

الحملات الدعائية الواسعة ، فغَرَّرَت بعدد من ضباط الجيش ، ودفعت بهم للسير خلف الضباط الماسون ، الذين غَرَّروا بقائد موقعهم (محمود شوكت باشا) ، وأقنعوه بضرورة إزاحة السلطان فاقتحم محمود عاصمة بلاده ١٩٠٨ م ، واعتقل السلطان عبد الحميد ، وساقه إلىٰ سالونيك!![1].

وبعدئذٍ اعتمد الصهاينة علىٰ تشجيع الدعوة المغرضة للقومية العربية ، فجنّدوا لذلك نصارىٰ عرب ، وبالفعل راح شعراؤهم وكتّابهم ، يمجّدون الفكرة القومية ، ويندّدون بالدولة العثمانية المستعمرة ، ومن هؤلاء (إبراهيم اليازجي) و(رزق الله حسون) الذي نقرأ له شعراً مفعماً بالفرحة لهزيمة تركيا أمام الروس :

كم حروب للروس دارت على الترك ... رحـاهـا فغـادرتهـا طحينـا
هكـذا هكـذا تـدور علىٰ البـاغـي ... الليـالـي ويهلـك المجـرمـونـا

وإيليا أبو ماضي الذي قال :

وقـد انجلـت فـإذا الهـلال منكّـس ... علـم طـوتـه رايـة الصّلبـان

إضافةً إلىٰ ذلك ، فقد قام بعض الكتّاب اليهود بتقديم النصائح لحكام السلطنة العثمانية ، فمثلاً يوصي (فالح رفقي أتاي) اليهودي ، بكمّ أفواه المتدينين ، وقطع طرقهم ، وإعطاء الخطب والمواعظ مطبوعة للأئمة منهم ، وإلحاق المعاهد الدينية بوزارة التعليم ، ليُشرف عليها الكماليون ، لينشئوا جيلاً يدين بالولاء والإخلاص لمبادئ أتاتورك وثورته!!

وقد أضفىٰ الإعلام اليهودي ـ ولا يزال يُضفي ـ علىٰ أتاتورك جميع صور البطولة والتضحية والعبقرية ، حتى إننا لنجد من حكام المسلمين من يصرّح بأن قدوته المثلىٰ في هذا العصر ، والرجل العبقري في نظره ، هو مصطفى كمال أتاتورك!!

فما الذي فعله أتاتورك لينال رضا اليهود ، ويصبح قدوة أذنابهم؟ لقد بدأ

---

(١) التحركات اليهودية : ص ٢٩٨ .

هذا الرجل يكشف عن وجهه الحقيقي ، بعد أن كان يتظاهر بالإسلام ، ويلبس الجبّة ، ويحمل المسبحة الأنيقة أول أمره ، ليحشد المسلمين خلفه ، فلما رُتِّب له الأمر ، بدأ بتنفيذ خطته ، فأبطل السلطنة ، وألغىٰ الخلافة ، وأبطل المحاكم الشرعية ، وألغىٰ وزارة الأوقاف ، لذلك استحق مدح دائرة المعارف الماسونية ، التي وصفته بالعظيم ، وأن انقلابه أفاد الأمة[1].

أجل!

لقد ساهم (يهود الدونمة) بإضعاف الدولة العثمانية ، ولعبوا دوراً خطيراً في تحطيمها ، وزاد نشاطهم بعد انقلاب ١٩٠٩ م ، وأسهموا عبر عملية التغريب الثقافي والحضاري والاقتصادي ، والتحكّم في أكبر دور النشر والصحف في تركيا ، إذ امتلكها اليهود ، أمثال (أحمد أمين بالمان) و(عبدي أبيكحي) و(نوري قوري) وغيرهم ، حيث بلغ عدد هؤلاء اليهود (٣٠) ألف نسمة ، يسيطرون على جلّ وسائل الإعلام هنالك!![2].

ويشير (جواد رفعت آتل خان) إلىٰ دور الصحافة منذ أيام أتاتورك وكيف تخدم مصالح اليهودية ، التي تتعارض مع مصالح تركيا ، ويحمل علىٰ (أحمد بالمان) زعيم الصحافة اليهودية ، الذي يجنّد كل الطاقات لخدمة اليهود ، ومحاربة الإسلام ، ويندّد بمنظمة الصحافة التركية ، التي تأسست في ١٩٦٣ م ، وانتخبت (بالمان) رئيساً لها ، و(سامي كوهين) من أعضائها البارزين! ومن أشهر الصحف التي يمتلكها اليهود في تركيا:

١ ـ جريدة (حرّيت) ، التي توزع يومياً مليون نسخة تقريباً ، وهي تصدر عن مؤسسة (دار حريت للصحافة والنشر) ، وهذه المؤسسة تملك دار نشر ، وعدة مجلات دورية ، أسبوعية وشهرية وسنوية ، مثل هفته ـ صونو بيللربويه.

---

(١) دائرة المعارف الماسونية: ص ١٦٢.

(٢) الأفعىٰ اليهودية ـ مرجع سابق ـ: ص ١٠٦.

٢ ـ جريدة (كون إيدن) أي: صباح الخير ، وهي جريدة يومية تطبع خمسمئة وسبعين ألف نسخة يومياً ، وهي ثاني صحيفة في تركيا.

٣ ـ جريدة (ملّيت) التي تتبع مجلة الفن الأسبوعية ، وتصدر عن (دار نشر ملّيت) المعروفة بسلاسلها المشهورة.

٤ ـ جريدة (جمهوريت اليسارية) والتي يُطلق عليها اسم (برافدا التركية).. وهكذا (قامت المنظمة الصهيونية بتمويل صحيفة (التركي الفتي) ، وعمد الصهيونيون إلىٰ وضع رئاسة تحريرها بيد ناشر اسمه (جلال نوري بك) أحد الوجهاء النافذين ، وابن وزير تركي ، وحين انضمّ (فلاديمير جابوتنسكي) إلىٰ مكتب الآستانة ، بناءً علىٰ توجيه من (جاكوبسن) كانت شبكة الصحف التي يسيطر عليها الصهيونيون في منتصف ١٩٠٩ م تضمّ بالإضافة إلى صحيفة التركي الفتي مجلة أسبوعية بالفرنسية ، اسمها الفجر يرأس تحريرها (لوسيان سيوتو) ، ومجلة أسبوعية باللغة العبرية والإسبانية يرأس تحريرها (دايفيد الكاتون) ومجلة أسبوعية بالعبرية ، وبالطبع كانت أهم إنجازات الثورة المباشرة ، وقف العمل بقرارات منع الهجرة الجماعية ، والاستيطان اليهودي في فلسطين ، وسرعان ما فتحت المكاتب الصهيونية في فلسطين ، وبدأت زراعة الوطن الإسرائيلي كما يقول (أسعد زريق) وسط مظاهر الفرح ؛ بتدشين الدستور العثماني)[1].

* * *

(١) القومية والغزو الفكري ، محمد جلال كشك: ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

المبحث الثالث

النشاط الإعلامي اليهودي في مصر ـ نموذجاً ـ:

ركّزت اليهودية علىٰ مصر ، وذلك لمكانتها الكبيرة في بلاد المسلمين ، وتجلّىٰ نشاط اليهود الإعلامي في مصر في مظاهر عدّة ، أهمها :

١ ـ المؤسسات الثقافية :

حرص اليهود جهدهم علىٰ تأسيس الجمعيات الثقافية ، لإحياء الثقافة العبرية ، ودراسة العلوم المتصلة بتاريخ اليهود في الشرق ، ومن أبرز هذه المؤسسات : (جميعة مصر للدراسات التاريخية اليهودية) التي قام بتأسيسها سنة ١٩٢٥م مجموعة من المثقفين اليهود لدراسة تاريخ اليهود الشرقيين ، وعلىٰ الأخص دراسة تاريخ الأدب اليهودي في مصر ، وكان رئيسها (يسوف قطاوي باشا) ، وقد كان من أبرز أهداف هذه الجمعية : إجراء البحوث والدراسات ، ودراسة المخطوطات التي تتعلق بتاريخ اليهود ، إلىٰ جانب إعداد قائمة مصنفة تضمّ أعمال ونشاطات الطائفة اليهودية في مصر ، مع العمل علىٰ إعداد ندوات ومحاضرات شهرية ، وقد أقامت هذه الجمعية سنة ١٩٥٣ م سلسلة احتفالات بمناسبة مرور (٨٠٠) عام علىٰ مولد (ابن ميمون) ونشرت كتاباً عن أفكاره وتاريخه[١] .

٢ ـ الالتفاف حول كبار الكتّاب والأدباء المصريين :

لقد نجح اليهود بالفعل في اكتساب ثقة وتعاطف ومشاركة كبار الكتّاب، والأدباء المصريين ، مثل : طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، ولطفي السيد وغيرهم ، وفيما يتعلّق بطه حسين ، فقد تتلمذ علىٰ يديه كثير من الطلبة اليهود، أمثال (إسرائيل ولفستون) الذي أعدّ رسالة الدكتوراه عن

---

(١) الصحافة العبرية في مصر ، عواطف عبد الرحمن : ص ١٨ .

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، وقام بالإشراف عليه الدكتور طه حسين ، وقد ركّزت هذه الرسالة علىٰ إظهار فضل اليهود علىٰ العرب!![1].

وقد ألقىٰ الدكتور طه حسين ـ مراقب الثقافة في وزارة التربية في المدرسة الإسرائيلية بالإسكندرية ـ محاضرة عن اليهود والأدب العربي ، في ٢٤ أيلول ١٩٤٤ م ، فذكر العلاقات بين اليهود والعرب ، منذ الجاهلية ، وأي أثر كان لليهود في تحضير سكان الجزيرة العربية ، ثم تكلّم عن انتشارهم في أفريقية الشمالية وإسبانيا ، حيث إنّ لهم خدمات في سبيل الثقافة ، وكيف نافسوا العرب أنفسهم علىٰ أكثر مناصب الدولة ، وقوبل كلامه بالتصفيق ، وقرّر المجلس الملتي الإسرائيلي إنشاء جائزتين باسم طه حسين ، يمنحان لألمع طالبين في المدرسة الإسرائيلية!![2].

وقد استكمل المثقفون اليهود نجاحهم في هذا الصّدد ، وذلك بإسناد رئاسة تحرير مجلة (الكاتب المصري) إلىٰ طه حسين ، كما حشدوا إلىٰ جانبه عدداً كبيراً من الكتّاب المصريين ، ويُجمع معظم المعاصرين لهذه المجلة علىٰ أن الهدف من إنشائها: كان لضمان إسكات الأقلام والألسن المصرية الممثلة في القيادات الفكرية والثقافية عن محاولة توجيه اللّوم أو الهجوم علىٰ اليهود ، أو إثارة القضية الفلسطينية على صفحات الجرائد المصرية ، لأن ذلك كان سيجرّهم إلى مهاجمة اليهود، وكشف أهداف الحركة الصهيونية!

وقد كتب طه حسين في تلك المجلة مقالاً يصوّر حالة مجموعة من اليهود ؛ الذين جاؤوا ليستوطنوا في فلسطين ، بأسلوب يثير الشفقة ويوقظ الأسىٰ ، يقول: (فقد كانت السفينة تحمل ألفاً أو نحو ألف ، من ضعاف اليهود المهاجرين ، من الأطفال والصبية ، الذين لم يبلغوا الحلم ، ومن النساء الأيامىٰ ، منهن من فقدت كل شيء ، ولم تحتفظ حتى بهذا الأمل الضئيل ، الذي يرسم علىٰ الثغور هذه الابتسامة الحزينة ، ومنهنّ من فقدت

(١) الصحافة الصهيونية في مصر ـ مرجع سابق ـ: ص ١٩ .

(٢) طه حسين ـ حياته وفكره ـ أنور الجندي: ص ١٢٦ .

كل شيء ، ولكن بين أحشائها حياة تُثير في قلبها الحزين المكلوم ، أملاً ويأساً ، ورضا وسخطاً ، ولذّة وألماً . . .)[1] .

وهكذا استطاع اليهود ـ بنشاطهم الثقافي ـ أن يوجدوا بين الكتّاب في مصر من يتعاطف معهم ، ويقتنع بقضيتهم ، فإذا ما جاءت الطّامة الكبرىٰ ، وهتك السّتر عن الخبيء ، وكانت اتفاقية (كامب ديفيد) رأينا زمراً من الكتّاب والشعراء يباركون هذه الخطوة الملهمة ، ويشيدون باليهودية ودولتها ، ومن هؤلاء مثلاً : (نجيب محفوظ) الكاتب القصصي المعروف ، الذي أدلىٰ بأحاديث إلىٰ صحافة إسرائيل وإذاعتها ، تشيد بالصلح مع إسرائيل، ويهاجم فيها المناهضين للصلح ، ويدعو للتنازل عن جزء من التراب الوطني ، في سبيل السلام مع إسرائيل!

و(أمينة السعيد) رئيسة مجلس إدارة (الهلال) ، ورئيسة تحرير مجلة (المصور) القاهرية ، التي زارت إسرائيل ، وقامت بإجراء اتصالات مع الصحفيين والكتّاب السياسيين اليهود!

و(موسىٰ صبري) رئيس مجلس إدارة جريدة (الأخبار) ، الذي كان من أكبر المدافعين عن سياسة التعاون مع إسرائيل!

و(أنيس منصور) رئيس تحرير مجلة أكتوبر ، ورئيس مجلس إدارة (دار المعارف للنشر) في القاهرة ، الذي نظّم حواراً بين ممثلي الحزب الوطني الحاكم في مصر، وبين ممثلي حزب العمل الإسرائيلي برئاسة (شيمون بيريز)!!

ومثلهم (توفيق الحكيم) و(إبراهيم البحراوي) و(سهير القلماوي) و(ثروت أباظة) و(زكي نجيب محمود) وآخرون . . .

وفي عام ١٤٠١ هـ يوم أُقيم معرض الكتاب في مصر ، اشتركت فيه إسرائيل ، فاستغلّت الفرصة لغرض الغزو الثقافي دون قناع .

ولقد عرض (شايلوك انترناشيونال) الكتب التي تمجّد الإسرائيليين ، وتعتبرهم شعب الله المختار ، وتُشيد بدورهم في الذبح والقتل والتشريد ،

---

(١) يراجع مقاله في (الكاتب المصري) ، مجلد ٣ ، عدد ٩ ، ١٩٤٦م.

واعتبار هذا كله تحريراً لمملكة داود من المسلمين الغزاة ، وقد وضع (شايلوك) أسعاراً تتفوّق علىٰ غيرها من أسعار الناشرين ، وكان عارضاً للكتب التي تتجنّىٰ علىٰ الحقيقة ، وتُزوِّق الكذب ، وتروّج الباطل ، خاصةً كتب التاريخ التي كتبها الدجّالون من المعاصرين اليهود ، عن الدولة العثمانية ، والمدن الفلسطينية ، ومصر .

ومما يُؤسف له أن تقوم هيئة الاستعلامات في حكومة مصر المسلمة بنشر (مذكرات رابين) وتوزيعها علىٰ المواطنين ، بكل ما فيها من استعلاء يهودي مزيّف، وكذب واضح ، فقد وصف (رابين) الجندي اليهودي بأنه لا يُقهر ، بينما يصف الجندي المصري بأنه لا يُجيد سوىٰ الجري والهروب!!

٣ ـ الصحافة اليهودية في مصر:

للأسف يوجد في مصر العربية الإسلامية صحف يهودية تدعو لإقامة دولة إسرائيل، وتحضّ اليهود علىٰ الهجرة إليها ، وتدافع عن الصهيونية بكل قوة ، منها:

ـ العائلة: وهي مجلة أسبوعية ، صاحبتها (استيرمويال).

ـ أبو نظارة: وهي جريدة تصويرية فكاهية ، مديرها (أبو نظارة).

ـ الاتحاد الإسرائيلي ، وهي مجلة علمية أدبية أسبوعية مصوّرة ، ومديرها (باروخ ليتومنجوبي) ، ناطقة بلسان جمعية اتحاد القرائين بمصر.

ـ الأخبار الماسونية: وهي مجلة شهرية للمحافل المصرية ، علمية أدبية ، صاحبا الامتياز فيها: (موسىٰ جردنشتين) و(إسكندر فرح).

ـ الأطفال المصورة: وهي مجلة أسبوعية فكاهية ، صاحبها (يعقوب ليسكوفتشي). هذا إضافة إلىٰ مجلات وجرائد يملكها الإسرائيليون ، منها: مجلة المنصف، ومجلة الكليم، وجريدة الشمس، وجريدة الشجاعة، ومجلة الشبان القرائين، وجريدة التمييز المصري، وجريدة التهذيب ، وجريدة التسعيرة ، وما إلىٰ هنالك!![1]

---

(١) للتوسع يراجع: الصحافة الصهيونية في مصر ـ مرجع سابق ـ: ص ١٦٢ ـ ١٦٥.

المبحث الرابع
النشاط الإعلامي اليهودي في فلسطين ـ نموذجاً ـ

في ظلال الاستعمار البريطاني تحرّكت النشاطات اليهودية في فلسطين ، وكانت البدايات سقوط السلطان عبد الحميد ، ومن تلك النشاطات المسمومة :

صحيفة صوت العثمانية : وهي جريدة عبرية ، يحررها شمعون مويال ، تأسست في عام ١٩١٤ م ، وهي لسان حال اليهود والصهاينة .

بريد اليوم : وهي جريدة صهيونية سياسية ، تصدر باللغة العربية ، ويحررها (أ ، سفير) تأسست في عام ١٩٢٠ م ، ومركزها في القدس .

السلام : يحررها (نسيم ملول) ، وهي جريدة سياسية صهيونية ، تأسست في عام ١٩٢٠ م ، تصدر في يافا .

هادار : يحررها (روكاخ ويريفر) وهي جريدة تبحث في جميع الأمور المتعلقة بالصناعة الفنية ، وتجارة الحمضيات ، تصدر مرة واحدة في الأسبوع ، باللغات الإنكليزية والعربية والعبرية ، وقد صدرت عام ١٩٣٣ م .

ذي بالستين ديكلي : يحررها (روكاخ ويريفر) وتصدر مرتين في الشهر ، باللغات الإنكليزية والعربية والعبرية ، وقد صدرت عام ١٩٤٤ م .

عين دافار : يحررها (دافيد زاكاي) وهي جريدة تبحث في الموضوعات

الاقتصادية والأدبية والسياسية ، تصدر مرة في الأسبوع ، باللغات العبرية والإنكليزية والعربية والألمانية والجوكونية من تل أبيب ، وكان صدورها عام ١٩٣٤ م.

هادوار هاككاي في هاكسبي: يحررها (أفنر أبو العافية) وهي جريدة تبحث في الموضوعات الاقتصادية والعالمية ، وتصدر ست مرات في الأسبوع ، باللغات العبرية والإنكليزية والعربية ، وكان صدورها في تل أبيب عام ١٩٣٤ م.

أومر: وهي جريدة عبرية ، ويحررها (إسحاق يازيف) تبحث في السياسة والاقتصاد ، وتصدر مرة في الأسبوع ، باللغات العبرية والإنكليزية والعربية والألمانية والجوكونية.

إسرائيل: جريدة يحررها الدكتور (الفونسو باسيفكي) تبحث في حياة إسرائيل وغيرها من الأمم ، تصدر مرة في الأسبوع ، باللغات العربية والعبرية والإنكليزية والطليانية والفرنسية والألمانية والبولونية والإسبانية والروسية ، وقد صدرت في القدس عام ١٩٣٥ م.

تلاميم: جريدة تحررها (ناديا يهودا) تبحث في الشؤون الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، تصدر مرة واحدة في الشهر ، باللغات العبرية والعربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية ، صدرت في تل أبيب عام ١٩٣٥ م.

نيف هاقافير: يحررها (لباآريه كانين) وهي جريدة تبحث في الاقتصاد والاجتماع والآداب ، تصدر مرة واحدة في الشهر باللغات الألمانية والفرنسية والجوكونية والعربية ، وقد صدرت في تل أبيب عام ١٩٣٩ م.

هذا إضافة إلىٰ بعض المجلات والجرائد الأخرىٰ ، أمثال:

ها عينون هاديمقراطي ، وهيكه ، ولفانت راديو. . .

وكل هذه الصحف والمجلات كانت تسعىٰ جادّةً لتؤدّي رسالتها في

جميع المجالات السياسية والاقتصادية والأدبية ، مركزة على هدف واحد هو إقامة دولة إسرائيل ، وطرد المسلمين من فلسطين .

وللأسف لم يكن للإعلام الإسلامي المعارض تجاه اليهود ، صوتٌ يُسمع ، أو حرف يقرأ!!

وقد تمّ لليهودية هدفها ، وتحققت غايتها ، ليبوء المسلمون بذلّ الهزيمة وغضب الله[1] .

* * *

(١) للتوسّع يراجع : الصحافة العربية في فلسطين ، أحمد خليل العقاد : ص ١٢٧ ـ ٢٣٩ .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الخامس

الكتاب اليهودي

أدرك اليهود مدىٰ التأثير الذي يحدثه الكتاب في الرأي العام العالمي ، لذلك أتقنوا فنّ إخراجه وطباعته.

وبالفعل استطاعوا إغراق الأسواق العالمية بالكتب المتنوعة ، في شتىٰ الموضوعات ، وكل هذه الكتب تخدم باطلهم ، وتؤيّد ظلمهم ، وتهاجم خصومهم ، وكل ذلك يحدث في غفلةٍ من الناس ، الذين يجدر بهم أن يكونوا بحقّهم أولىٰ بخدمة قضاياهم ، وكشف أباطيل أعدائهم.

وهكذا كانت الاتجاهات التي يمثلها كتّاب اليهود ومفكّروهم ، تسير في اتجاهات مختلفة ، تلتقي كلها علىٰ خدمة اليهود وترسيخ بنيانهم ، وهي:

١ ـ الاتجاه المعادي للأديان السماوية كافة:

وعلىٰ رأس هذا الاتجاه اليهود الأربعة: ماركس وفرويد ودركايم وداروِن ، وهؤلاء الذين يعترف اليهود بأنهم أوجدوهم ليفسدوا بهم أمم الأرض ، مصداق ذلك ما ورد في أمهات كتبهم:

(تفكّروا واذكروا نجاح داروِن وماركس ونيتشه ، فنحن الذين أوجدناهم ، وتعلمون جميعاً ما كان لسموم هذه المذاهب في أخلاق الأمم وعقولهم ، ولكيلا يتدسّس الخطأ إلىٰ سياستنا وعملنا الإداري يجب أن

ندرس بعناية ودقة آراء الشعوب وأخلاقها وميولها)[1].

وهكذا جاء كارل ماركس (ومعه التفسير المادي للتاريخ ، فهو يقول: إن العفّة الجنسية من فضائل المجتمع الإقطاعي البائد ، كقيمة موقوتة ، لابدّ أن توجد في هذا الطور الاقتصادي ، لا كقيمةٍ ذاتية ، ينبغي أن تتبع بصرف النظر عن الظروف الاقتصادية ، لأنها مرتبطة بكيان الإنسان ذاته المتميّز عن الحيوان).

أما فرويد فإنه يقول: إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي ، وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمّر لطاقات الإنسان ، وهو كبت غير مشروع!

ودركايم يقول: إن الأخلاقيين يتخذون واجب المرء نحو نفسه أساساً للأخلاق ، وكذا الأمر فيما يتعلّق بالدين ، فإن الناس يرون أنه وليد الخواطر التي تثيرها القوىٰ الطبيعية الكبرىٰ ، أو بعض الشخصيات الفذّة لدىٰ الإنسان!

ويقول دارون: إن تفسير الحياة بتدخل الله يكون بمثابة إدخال عنصر خارقٍ للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت ، وإن الطبيعة تخلق كل شيء ، ولا حدّ لقدراتها!

وهكذا ، فهؤلاء اليهود كتبوا في ميدان الجنس ، لينفذوا منه إلىٰ الطعن بالدّين ، وليجعلوا أباطيلهم ومروقهم أشياء حقيقية ، لا يمكن تجاهلها أو معارضتها ، أمّا هم أنفسهم فهم علىٰ تعاليم دينهم ، الذي يُبيح لهم أن يضلِّلوا الناس ويفسدوهم ، لأن في فسادهم مصلحة لليهودية ودينها الفاسد!

لقد جعلوا من كل ذلك الفساد نظرية يسندها العلم ، ويعطيها قوة الحقيقة العلمية في أنظار الجماهير ، فلا يعود الأمر مزاجاً شخصياً يحتاج

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون: ص ٤١.

الإنسان إلىٰ الاعتذار عنه ، وتلمّس المبرّرات له ، وإنما يعود واجباً يقتضيه التقدّم العلمي ، لا يحتاج إلىٰ مبرّرٍ آخر ، فهو يبرّر نفسه بنفسه ، ولا يُعتذر عنه فهو في غير حاجةٍ إلىٰ اعتذار[1] .

إذن: قام اليهود بدور خطير ، حيث هاجموا الدّين ، ولم يهاجموا الانحراف الذي كانت تمثله الكنيسة في ذلك الحين ، وقالوا: إن الدّين هو الانحراف ، وقالوا: إن الأخلاق ليست قيمة حقيقية ، ولا حاجة للتمسّك بها .

ومما يُؤسف له أنه وُجد في ديار المسلمين من يؤيّد أباطيلهم ، ويتحمّس لآرائهم ، فيقوم الواحد منهم بتوجيه النقد اللاذع للدين الحق ، مبرراً ذلك بما برّر به أسياده من قبل!!

٢ ـ الاتجاه المعادي للإسلام خاصة :

قام المستشرقون بوضع كتبٍ عن الإسلام ، نشروا من خلالها الأكاذيب والزّيف ، وطعنوا من خلالها بالرسول ﷺ وبالقرآن وبالإسلام .

من ذلك ما فعله المستشرق (جولد تسيهر) في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) .

و(صموئيل مرجليوث) حيث شكّك بالشعر الجاهلي ومصادره ، ثم توجّه إلى القرآن الكريم ليشكّك في إعجازه ونحو ذلك . . . ، وأخيراً توجّه إلىٰ نسب المصطفىٰ ﷺ ليشكك في نسبه، وقال: إن لفظة عبد الله معناها: الشخص المجهول!![2] .

ومما يُؤسف له أن نجد من أبناء المسلمين من يسير علىٰ خطا المستشرقين ؛ أمثال طه حسين ؛ والذي كتب كتابه (الشعر الجاهلي) ،

---

(١) للتوسّع يراجع: جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب: ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٢) للتوسع يراجع: المستشرقون والإسلام ، حسين الهراوي: ص ٦٧ ـ ٦٨ .

ومراد فرج الذي أطلق فريته الشهيرة (الإسلام انتشر بالسيف) وذلك في كتابه (اليهودي معنىٰ وعقيدة).

إضافة إلىٰ ما شهدته مصر وغيرها ، من معركة عنيفةٍ لمحاربة الفصحىٰ والتّرويج للعامية ، ورأس ذلك: باول ، ويعقوب بن صنوع ، ولكوكس ، وغيرهم![1].

٣ ـ الاتجاه اليهودي الواضح:

هناك ثلاثة من الكتب ، كان لها أثر بالغ في قيام دولة إسرائيل ، وتدعيم أركانها ، أولها: روما القدس لموسى هيس ، والثاني: الدولة اليهودية لهرتزل ، والثالث: كتاب الخروج.

وقد قامت الدعاية الصهيونية بنشر وتوزيع تلك الكتب ، في القطارات والطائرات. وقُدّم لها في الإذاعات والتليفزيونات.

إضافةً إلىٰ ذلك مدىٰ سيطرة اليهود علىٰ دور النشر في العالم.

أما في مجال الكتاب الأدبي ، فقد استطاعوا تجنيد ثلّة من الكُتّاب ، ركزوا علىٰ فضل اليهود علىٰ العرب ، وتحدّثوا علىٰ أن الشعوب العربية متخلّفة ، وهي في أمسّ الحاجة إلىٰ حضارة اليهود ، ولكن العقبة التي تقف في وجه تحقيق ذلك هي الإسلام ، مصداق ذلك ما كتبه اليهودي (أيرل برغو) تحت عنوان (العهد والسيف) جاء فيه: (إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية ، هو أن العرب لابدّ أن يبادروا ذات يومٍ إلىٰ التعاون معنا ، ولكن هذا التعاون ، لن يتحقق إلاّ بعد القضاء علىٰ جميع العناصر التي تغذّي شعور العداء ضدّ إسرائيل ، في العالم العربي ، وفي مقدمة هذه العناصر رجال الدّين المتعصّبون!!)[2].

---

(١) للتوسع يراجع: جذور البلاء ـ مرجع سابق: ص ٢٢١ ـ ٢٢٥.

(٢) للتوسّع يراجع: عداء اليهود للحركة الإسلامي ، زياد أبو غنيمة: ص ٢٢ ـ ٢٧.

وأما في مجال الكتاب المدرسي فإن الدولة الإسرائيلية تتبع سياسة ذات شقين:

الأول: التضييق علىٰ المواطنين، وعدم تقديم الدعم لمدارسهم وجامعاتهم.

الثاني: تحريف المناهج وتحويرها، حيث عمدوا إلىٰ التشكيك في صحة القرآن، وفي صحة الأحاديث النبوية، وإلىٰ تشويه المبادئ والعقائد الإسلامية، وحذفوا آيات الجهاد.

واستبدلوا عنها بآيات تدعو إلى الرهبنة، وإقناع المسلمين بواقعهم المرير، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[2].

* * *

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) آل عمران: ١٤٠. «قرح»: جراحةٌ. «نُداولها»: نُصرِّفها بأحوال مختلفة.

obeikandl.com

المبحث السادس
الصحافة اليهودية

يمكن تصنيف الصحافة اليهودية إلىٰ عدة أصناف ، أهمها :

أ ـ الصحافة اليهودية في العالم : حيث اهتمّ اليهود اهتماماً كبيراً بهذا المجال ، ففي عام ١٩٦٧ م كان وضع الصحافة اليهودية كالتالي :

ـ (٢٤٤) صحيفة في الولايات المتحدة الأمريكية ، منها (١٥١) دورية بالإنجليزية .

ـ (٣٠) دورية في كندا .

ـ (١١٨) صحيفة في أمريكا اللاتينية ، منها (٤٧) صحيفة باللغة الإسبانية .

ـ (٣٤٨) دورية تغطي القارة الأوروبية .

ـ (٣) دوريات في الهند ، و(٥) دوريات في تركيا .

ـ (٤٢) دورية في قارة إفريقية .

وهكذا استخدمت اليهودية السلاح الإعلامي كمؤثر كبير علىٰ مجريات التطورات والأحداث الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وهذا ما جعل إسرائيل تُعلن أن الصهيونية لها في العالم (٨٨٩) صحيفة ! بل وعمدوا إلىٰ شراء كبريات الصحف في العالم (كمجموعة صحف التايمز

البريطانية) حيث انتقلت ملكيتها من اللورد (طومسون) إلىٰ التاجر اليهودي الكبير (روبرت مردوخ) (في الثامن من آذار عام ١٩٨١ ، ثمَّ انتقلت ملكيتها ؛ أي: (مجموعة صحف التايمز البريطانية) من (روبرت مردوخ) إلى مالك جديد ، حيث انتهت بذلك أقدم الدور الصحافية ، وربما أهمّها في العالم ، والعجيب أن أول متقدّم للشراء صهيوني ، وأن الثاني صهيوني ، وأن تجارة بيع (التايمز وصنداي تايمز وملاحقها الثلاثة من الوقوع في براثن اليهود ، لن يتمّ إلاّ بمعجزة!!).

وهكذا (فقد عرضت مجلة نيوزويك الأمريكية المشهورة للبيع ، فاشترىٰ أكثر أسهمها أحد اليهود بمبلغ (٨٠٠) ألف دولارٍ ، وأصبحت هذه المجلة التي لها شهرتها وانتشارها وتأثيرها ، سلاحاً دعائياً جديداً في يد الصهيونية!

أما عن الصحافة داخل إسرائيل:

فيبلغ عدد المجلات والنشرات والصحف الأسبوعية ونصف الأسبوعية حوالي (٥٠٠) ، منها: هآرتس ، ودافار ، وهموديغ ، وحد شوت هسبورط ، وشعاريم ، وأوي كلط ، وجدشوت إسرائيل ، ومعاريف وحيروت ، وهابوكو.

لكن كل ذلك الكمّ الهائل من الصحف والمجلات يلتقي علىٰ محور واحد هو محاربة الإسلام ، وخاصةً الإسلام الحركي والجهادي.

مثلاً: نشرت صحيفة (عال همشمار) مقالاً مطوّلاً جاء فيه: إن خروج مظاهرة تضمّ عدداً كبيراً من الشباب من المسجد ، وترديدها لهتافات دينية ، يشكّل بادرة خطيرة ، يجب التنبّه إليها وكبحها ، قبل أن تستفحل ، وتعمّ جميع المناطق العربية!

وقالت صحيفة (هآرتس) في عددها الصادر في ١٩٧٩/٢/٢ م: إن خطراً حقيقياً بدأ يهدّد الاستقرار في الشرق الأوسط ، وقسماً كبيراً من

أفريقية ، هذا الخطر هو انتشار ثورة إسلامية شاملة يقوم بها متديّنون متطرّفون!!

لقد اهتمّوا كثيراً بمسألة الصحوة الإسلامية ، وركّزوا الأضواء علىٰ أفكار الجهاد والمقاومة ، والشهادة والاستشهاد.

وحذّروا الأمريكيين والأوربيين من خطر الإسلام والمسلمين ، ودعوا إلىٰ دعم إسرائيل التي تقف في خطّ الدفاع الأول عن الحضارة الغربية أمام الهجمة الإسلامية المتوقعة!![1]

* * *

(١) للتوسع يراجع: الدعاية الصهيوني ، حامد محمود: ص ٢٣٧ ـ ٢٤٥ وعداء اليهود للحركة الإسلامية ـ مرجع سابق ـ: ص ٤٩ ـ ٥٣.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث السابع
بعض وسائل الإعلام اليهودي الأخرىٰ

لم يترك اليهود وسيلةً إعلامية إلا اتخذوها مطيّة لخدمة يهوديتهم ، مثلاً :

ـ السينما : استطاعوا أن يسيطروا علىٰ صناعة الأفلام العالمية فـ: (هوليود المدينة السينمائية في أمريكا ، غارقة في بحر اليهود ، لا تحرّك ساكناً ولا تجري لقطة سينمائية واحدة ، دون رقابة اليهود الصّارمة ، التي لا تسمح بإخراج أي فيلم لا يخدم أهداف اليهود من زاوية معينة ، فهم في هوليود من وراء أفلام الإجرام ، التي تساعد علىٰ خلق جيلٍ من الشباب متشبّع بالروح الإجرامية ، وهم من وراء أفلام الدعارة السافرة ، وأفلام الجنس التي توزّع في قصور الطبقات الأرستقراطية في العالم ، وهم من وراء أفلام الدعاية اليهودية التي تخدع الشعوب ، وتبعدهم عن إدراك حقيقة المشكلة اليهودية ، التي تسبِّب الصّداع المزمن للعالم كافة ، ولم يكتف اليهود بإدارة صناعة السينما في أوربة وأمريكا ، وإنما شرعوا في غزو تلك الصناعة في هوليود خاصة ، وأخذوا يزوّدون أمريكا بالممثلين والممثلات اليهود ، الذين يسهمون في صنع الأفلام المدمّرة ، ويشرفون في الوقت نفسه علىٰ جمع الملايين وتحويلها لدولتهم المجرمة) وتؤكّد الوقائع أن اليهود يدعمون السينما دعماً لا حدود له ، حتىٰ إنهم أقاموا مهرجاناً ضخماً

علىٰ المستوىٰ الدولي ، وفي القدس تحديداً ، أُطلق عليه (المهرجان اليهودي للسينما والتليفزيون) عرضوا فيه أكثر من ثلاثمئة فيلم عن قضيتهم!![1].

ـ وأما الإذاعة: فصنّفها اليهود في مقدّمة أحسن وسائل الاتصال بالجماهير ، ولذلك أتبعوا الإذاعة الإسرائيلية لمكتب رئيس الوزراء مباشرة.

وتستغل إسرائيل الإذاعة لرفع معنويات السكان ، وتضخيم الخطر الذي يهددهم ، من قبل الدول العربية ، وذلك لكي ينسوا الخلافات الداخلية ، ويجمعوا صفوفهم ، ويلتفّوا حول الحكومة التي توجههم.

إضافة إلىٰ ذلك ، فهي تقوم بدور كبير في تكذيب المحطات المعادية ، والتعليق علىٰ كل ما يهمّ إسرائيل.

ومن هنا فقد حددت برامجها علىٰ الشكل التالي:

منها برنامج يُذاع باللغة العربية ، وموجّه لجميع المستمعين في إسرائيل.

وبرنامج آخر ، مخصص للإذاعة التجارية ، ويُذاع باللغة العبرية ، وبعشر لغات أخرى.

وبرنامج ثالث ، وهو خاص بالإذاعات الموجّهة ، ويُذاع بإحدىٰ عشرة لغة.

وبرنامج رابع: وهو خاص بالإذاعة العربية ، ويذاع لمدة (٥٢) ساعة في الأسبوع.

وبرنامج خامس: وهو خاص بالجيش.

وهكذا استغلوا كل ما له علاقة بالمسرح ، وبالخطابة اليهودية ، والحاخامات ، وبالدوائر التربوية التي تربي الأطفال والشباب... ، بل

---

(١) للتوسع يراجع: أزمة الإعلام العربي ، عبد الرحمن الزامل: ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

وقاموا بعمليات ضخمة لإفساد الفن وتشويهه بين الناس ، حتى إن **(خروتشوف ـ الزعيم السوفياتي السابق) قال ذات يوم وقد شاهد بعض** لوحات هذا الفن: تبدو لي هذه اللوحات كالشعوذة ، كالتهريج ، مرسومةً بذيل حصانٍ أو حمار ، لا تمتُّ إلى المشاعر الإنسانية بصلة[1]!!

* * *

(١) للتوسّع يراجع: الإعلام اليهودي ، يوسف أبو هلالة: ص ٤٥ ـ ٨٢.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني
تأملات في الإعلام الشيوعي

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، نادىٰ (ماركس) بالاشتراكية العلمية ، وكان محورها إنكار الغيب ، ومحاربة الأديان ، والحتمية التاريخية ، وصراع الطبقات ، ولم تنزل تلك الأفكار إلى أرض الواقع إلا عندما قامت ثورة ١٩١٧ م والتي تزعمها (لينين).

ومن أهم كتب (ماركس) التي أرست قواعد الشيوعية:

١ ـ الميثاق الاشتراكي: وهو الأساس الأهم للشيوعية.

٢ ـ النقد لنظام الاقتصاد: حيث انتقد النظام الاقتصادي الرأسمالي.

٣ ـ رأس المال: والذي اعتبره الاشتراكيون في العالم بمثابة صحيفة سماوية! ويمكن تسليط الأضواء على أهم النقاط المتعلقة بالإعلام الشيوعي.

* * *

obeikandl.com

المبحث الأول

النظرية الإعلامية الشيوعية

اعتبر الشيوعيون وسائل الإعلام الجماهيري بمثابة سلطة رابعة ، تراقب السلطات الثلاث ، التشريعية والتنفيذية والقضائية .

وأهم من ذلك كله أن تكون أداةً للدعاية والترويج للفكرة الشيوعية ، وبالتالي فالإنسان ليس إلا رقماً في مجموعة أرقام ، أو آلةً بين مجموعة من آلات يُديرها الحزب الحاكم!

من هنا اعتبر لينين أن الجريدة ليست إلا أداة دعاية ، ومثيرة جماعية للفتن ، وأنها أداة تنظيم جماعي أيضاً!

وأما السينما في رأيه ، فهي مدخلنا الثقافي والفني إلى الجماهير ، وعشرة سينمائيين مَهَرَة ، يدعمون الحزب في حقلهم ، يرجّحون بعملهم هذا تأثير مليون كتاب!

وأما الصحافة في رأي ستالين ، فهي: السلاح الوحيد ، الذي يستعين به الحزب ، للتحدث إلى الطبقة العاملة بلغتها ، كل يوم وكل ساعة![1]

---

(١) للتوسّع يراجع: مدخل إلىٰ الصحافة ، ف فريرز بوند: ص ٦٧ ـ ٦٩ ، الإعلام في ضوء الإسلام ، عمارة نجيب: ص ٩٣ ـ ٩٩ .

obeikandl.com

وهكذا ، فالإعلام الشيوعي يعد إعلاماً موجّهاً ، إضافة إلىٰ كونه إعلاماً مراقباً بدقة عجيبة ، حيث الحزب هو كل شيء في حياتهم ، أما المعارضة فلا وجود لها أبداً ، وأما النقد ، وما إلىٰ هنالك فهو من الممنوعات .

* * *

obeikandl.com

المبحث الثاني
وسائل الإعلام الشيوعية

تفتقر كل وسائل الإعلام الشيوعي إلى الحرية والصدق والتجرد ، وهي ليست إلا أدوات لخدمة الحزب أولاً وأخيراً ، ويمكن تسليط الأضواء علىٰ بعضها :

ـ الصحافة : بلغ عدد الصحف اليومية في الاتحاد السوفياتي (٦٣٩) يومية و(٨٠٥٥) غير يومية ، ومن أشهر تلك الصحف :

(البرافدا) : وهي صحيفة يومية تابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي .

(ازفستيا) : وهي تابعة لجهاز الحكومة .

(كولولسكيا برافدا) : ناطقة باسم جهاز الشباب الشيوعي .

(ثرود) : جهاز النقابات .

(رابوتنكيا) : جريدة شهرية للنساء .

(ذودو وفي) : شهرية تعالج مشاكل الصحة .

لكن بعض الصحف خُصصت لمحاربة الإسلام ، كصحيفة (الأخزيسلار) الشهرية ، وهي مخصصة لشعوب التتار والأوزبيك ، وصحيفة (فينيم دين) وصحيفة (دين زسلار)!!

هذا ، إضافةً إلىٰ كثيرٍ من المقالات اللاذعة التي تسخر بالدين وتنتقده في كثيرٍ من الأمور ، مثلاً نشرت جريدة البرافدا الرسمية في ٢٨/ ٢/ ١٩٥٢

مقالاً طويلاً جاء فيه: (إن عيد الأضحىٰ ، يُعتبر من مخلّفات قرون بعيدة عنا ، فهو عدوّ للعمال يضرّ بمصالحهم ، لذا فقد وجب إلغاؤه ، فالشعب السوفياتي أنجز البرنامج العظيم للبناء الشيوعي ، ولا يمكنه العودة إلىٰ العادات والطقوس الدينية الرجعية ، التي وُلدت يوم كان الإنسان ضعيفاً أمام قوة الطبيعة ، التي كان يستسلم إليها ، اعتقاداً منه بأن هذه الأعمال السحرية تساعد علىٰ التودّد إلىٰ الأرواح الشريرة ، لكي يأمن على نمو زرعه وضرعه!!).

إضافة إلىٰ ذلك ، فالخبر بالنسبة إلىٰ الصحافة الشيوعية ـ وبقية وسائل الإعلام له وظيفة اجتماعية معينة ، ولذلك لا يقصد السبق الصحفي لذاته ، ولا ينشر خبرٌ من الأخبار إلا بعد التأكّد من فائدته للحزب ، فمثلاً:

ألقىٰ (أيزنهاور) خطبةً مهمة ، طالب فيها بعقد اتفاق عالمي للسلام ، وكان ذلك في ١٦/ ٤/ ١٩٥٣ م ، غير أن الصحافة السوفييتية لم تنشره إلا في ٢٥/ ٤ ، أي: بعد تسعة أيام تقريباً!

كذلك فإن أخبار انتخاب (نيكسون) لم تجد طريقها إلى الصحف الاشتراكية ، إلا بعد فترة من الزمن ، بل وكان الخبر بسيطاً في ذيل آخر الصفحات!

ويرىٰ السوفيات أن السبق الصحفي عادة برجوازية سيئة ، ويعلل (جوكوف) نائب رئيس تحرير (البرافدا) سبب التأخّر في النشر والتعليق علىٰ بعض الأحداث العالمية ، يومين أو ثلاثة بقوله: إن النجار الماهر ، يقيس سبع مرات ، ويقطع مرة واحدة!!![1].

ـ وأما ما يتعلّق بالكتاب الشيوعي:

فمما يُؤسف له أن الحزب الشيوعي كلّف لجنة العقيدة والدعوة ـ وهي

---

(١) للتوسع يراجع ، شهر في روسيا لأحمد بهاء الدين: ص ١٠١ ـ ١٠٩ ، والإعلام الدولي ، محمد علي العويني: ص ٣٠٢ ـ ٣٠٨.

تابعة مباشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي ـ وأوكل إليها مهمة تأليف الكتب التي تتجنّىٰ علىٰ الإسلام ، وتشكّك بنزول القرآن الكريم ، وتهزأ بالرسول ﷺ وكان يرأس تلك اللجنة يهودي حاقد اسمه (رايزنر) فقام بوضع أكثر من مئة كتاب ، ومن عناوين مؤلفاته السخيفة والسامة :

(محمد خرافة رجل لم يكن).

(الحج دسيسة استعمارية).

(رجعة الإسلام).

(دراسة في عقائد الشرق)[1].

ومن الكتب التي قُررت علىٰ الطلاب كتاب (الإسلام) لكيموفيتشي ، ومما جاء فيه :

(يعتبر الإسلام أحد الأديان التي ما زالت خرافاتها تحتل بلادنا ، وللإسلام تاريخه وعقائده وعاداته ، ولكي نلمّ بروحه ، علينا أن نعي العوامل التاريخية التي ارتكزت عليها تعاليمه ، شأننا في ذلك شأن من يودّ الخوض في أيّ دين من الأديان ، فنقوىٰ عند ذلك علىٰ محاربة الإسلام ، واستئصاله من الأذهان)!!

ثم يقول: (كتاب القرآن الذي ينظر إليه المسلمون باحترام ، علىٰ أنه كتابٌ مقدّس مع الأحاديث والشريعة الإسلامية ، في أثناء إقطاعية القرون الوسطىٰ ، اتسمت الأحكام التي نصّ عليها الكتاب والأحاديث بطابع اضطهاد الطبقات الشعبية ، وبررت ـ من جهة ثانية ـ أعمال العنف التي تعرضت لها الشعوب المستعبدة)!

ثم يقول: (إن طقوس الإسلام وعقائده وأعياده ، والصوم والحج مستمدة من الرواسب البشرية المتفسّخة ، التي تتجلّىٰ في الأديان الشرقية

---

(١) للتوسع يراجع: دور الماركسية في الاشتراكية العربية ، عمر حليق: ص ١٠٥ ـ ١٠٦

القديمة)!! ومما يظهر مدىٰ الحقد الذي يُعمي علىٰ الشيوعيين وجه الحقيقة ، ويبعدهم عن ساحتها تجاه الإسلام ، ما جاء في دائرة المعارف السوفياتية ، لدىٰ تعريفهم للقرآن: (القرآن: الكتاب المقدّس الأساسي للمسلمين ، مجموعة من المواد الدينية المذهبية والأسطورية القانونية ، وقد وضع القرآن ، وشهر خلال حكم ثالث الخلفاء العرب (عثمان) ثم أُدخلت عليه فيما بعد ، حتى بداية القرن الثامن ـ وفق ما بلغنا من معلومات ـ بعض التغييرات ، ووفقاً للتراث الإسلامي للتاريخ الديني ، ويعتبر محمد هو مشرّع القرآن ، كما يُعتبر مؤسس الإسلام ، علىٰ أنه وفقاً للتحليل الموضوعي للقرآن ، هنالك نظرية تقول: إن جزءاً معيّناً منه فقط ، ينتمي لعصر محمد ، أما الأجزاء الأخرىٰ من هذه المجموعة ، فلابدّ أنها تنتمي لعصورٍ متقدمة أو متأخّرة عنه ، ويمكن أن يتبين هذا ، من وجود عددٍ من الأساليب المختلفة في القرآن ، يمكن أن تُعزىٰ لتطوّر اللغة العربية ، ولزمن ظهور السور ومكانها ، وتستخدم الطبقات الاستغلالية القرآن ، ورجال الدين الإسلامي الرجعيين سلاحاً لخداع الجماهير الكادحة وكبحها)!![1].

وهكذا ، فالشيوعية وقفت كعدوٍ شرس أمام الأديان والشرائع ، وخاصةً أمام الإسلام ، بحيث اعتبروا (الدين أفيون الشعوب) وقد جاء في الموسوعة السابقة ما يلي:

هل يمكن قبول عضوية متديّن في الحزب الشيوعي؟

الجواب: كلا ، لا يمكن ذلك ، فإن لينين مؤسس الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، كتب في عام ١٩١٥ م يقول: نُصرُّ علىٰ اعتبار الدين

---

(١) دائرة المعارف السوفييتية: ١٢/ ٥٦٤.

مسألة خاصة ، فيما يختصّ بالدولة ، ولكننا لا نستطيع أبداً أن نعتبر الدين مسألة خاصة ، بالنظر إلىٰ حزبنا[1] .

وهكذا ، استطاع المستشرقون القيام بمهمة خطيرة ملخّصها : الحرب علىٰ الإسلام ، فتارةً عن طريق تأليف الكتب ، وأخرىٰ عن طريق إلقاء المحاضرات ، وأخرى عن طريق إعداد الموسوعات .

وتفنّنوا بإلقاء التّهم والشكوك في نفوس المثقفين ، والمهّم نقد الإسلام في كل جوانبه ، وكان من أبرزهم :

(كراتشكوفسكي) : حيث ترجم (كليلة ودمنة) و(الأيام) وترجم القرآن إلىٰ اللغة الروسية ، وكتب عدة كتب كلها تدور في فلك الطعن بالإسلام والمسلمين

(فينكوف) : من آثاره : (عادة الافتضاض في الجزيرة في الإسلام) و(وحي النبي في ضوء علم السلالات) و(حزن الأرملة) وغير ذلك .

(زاخوذير) دكتوراه في التاريخ ، من آثاره : التاريخ الماركسي ، الإمبراطور تيمور ، الدولة السلجوقية .

وهكذا كان حال الإذاعات السوفياتية ، ومثلها السينما ، ووكالات الأنباء ، والمدارس والجامعات ، والمعارض والمتاحف ، والأحزاب الشيوعية ـ في الداخل وفي الخارج ـ مثال ذلك :

في متحف مدينة (شكودرا) توجد خريطتان كبيرتان لمدينة شكودرا : الأولىٰ كُتب فوقها سنة ١٩٣٨ م ، وهي تظهر أنه كان في المدينة في ذلك الوقت ، مئة وأربعة وأربعون مسجداً وكنيسة ، وأربع ثلاثون مدرسة ، ومستشفىٰ واحد .

---

(١) دائرة المعارف السوفييتية ـ مرجع سابق : ١/ ٤٨ .

وإلىٰ جوارها الخريطة الثانية للمدينة نفسها ، وقد كتب فوقها ١٩٧٣ م ، وهي تظهر أن المدينة قد أصبحت خالية من أي دار من دور العبادة الإسلامية أو المسيحية ، بينما أصبحت تشتمل علىٰ ثلاثمئة وسبع مدارس ، وثلاثمئة وواحد وسبعين عيادة ومستشفىٰ!![1].

* * *

(١) للتوسّع يراجع: المسلمون أمام التحدّي العالمي ، إحسان حقي: ص ٣٩ ، الإعلام الدولي ، أحمد بدر: ص ٢٣٦ ، الشيوعية والأديان ، طارق حجي: ص ٤٣ ـ ٥٤ .

obeikandl.com

المبحث الثالث

أساليب الشيوعية

استخدمت الشيوعية كل الأساليب الدنيئة من أجل محاربة خصومها ، وخاصةً الإسلام والمسلمين ، وعمدت إلىٰ أسلوب الترغيب تارة وإلىٰ الترهيب أخرىٰ ، مثال ذلك :

في صيف عام ١٩٦٥ م زار الاتحاد السوفييتي وفدٌ من المسلمين الليبيين بدعوةٍ رسمية ، وفي (سمرقند) طلبوا إلىٰ رئيس الوفد الليبي أن يُلقي خطاباً في الإذاعة ، عن سماحة العهد السوفياتي نحو الإسلام .

فقال الشيخ (منصور المحجوب) وهو أحد أقطاب المدرسة السنوسية ، بأنه يأمل أن تقوم الحكومة السوفياتية بالسّماح للمسلمين بفتح مدارسهم لتعليم أبنائهم الدين والقواعد الإسلامية ، فالتعليم الديني محرّم هنالك .

ولما انتهىٰ الشيخ من إذاعته ، سارت في البلد مسيرة تطالب بالتنفيذ ، فسلّطت عليها السلطات رجال البوليس ، ورجال الحزب الشيوعي ، والفتوة ، من (نادي الإلحاد العلمي) التابع للحزب ، لأن الإلحاد العلمي هو الدين الرسمي المقرر في الميثاق العقائدي للحزب الحاكم ، ففتكوا بالمسلمين وأحرقوا مسجداً قديماً اعتصم به المسلمون ، هرباً من البطش ، ونشرت جريدة (البرافدا) الرسمية هذا النبأ ، وعنها أخذته جريدة (كرستثن سانيس مونيتير) أوسع الجرائد البروتستانتية رواجاً في الولايات المتحدة ،

لكن هذا الحادث لم يظهر له أي نبأ في العالم العربي!![1].

أما ما يتعلّق بالإعلام والدعاية وما إلىٰ هنالك ، فقد استخدم ذلك لكبت الرأي العارض ، وكتم أنفاس الآخرين ، (لقد وجّه ستالين وأعوانه ، الدعاية الكاذبة بشكل متواصل ، ودون انقطاع أو أي مراعاةٍ للحقيقة والصّدق ، واستعملوا أسلوب التكرار والسخرية حتىٰ أصبح هذا الأسلوب ميكانيكياً ، بالنسبة لهم ، ولم يُستعمل هذا الأسلوب علىٰ النطاق المحلي ، بل تمكنّت الدعاية السوفييتية من توسيعه إلىٰ نطاق دولي ، فما أن تطلق (الازفستيا) أكذوبة في (فلنتيا) حتىٰ تتناقلها مباشرةً الصحف في باريس ، واستوكهولهم ، وبروكسل ، ولندن ، ونيويورك ، ومالبورن ، وهكذا يتمّ توزيع الملايين من النسخ التي تحمل الأكاذيب المضللة ، وهي المعلومات الوحيدة التي يتلقاها الملايين من العمال السوفييت ، ولا يبقىٰ أمام المثقفين ثقافة واسعة ـ الذين يعادون الفاشية ـ إلا تصديق الصحافة ، لأنها الوسيلة الأولىٰ لاستقاء المعلومات ، ومن هنا يشعر المرء بأن العالم اليوم يُعاني من عملية ضخمة للتضليل اللاأخلاقي ، وهذا ما يجعلنا نقرّ ونحن نشعر بالأسىٰ ، بصدق كلمات (تروتسكي) عندما اعتبر دعاية الكومنترن الستاليني ، زُهري الحركة العمالية)[2].

والحقيقة التي لا مراء فيها أن الدعاية والإعلام السوفييتي كان له دور كبير في تزييف الحقائق ، وتلبيس الحق بالباطل ، وهذا ما جعل الكاتب الإنجليزي (كاريوهنت) يقول في مقدمة كتابه: (النظرية والتطبيق في الشيوعية): (إنه بسبب الدعاية الشيوعية المتدفقة كالسّيل ، والتي هي أقوىٰ أسلحة الشيوعية ، لا يكاد الباحث يعرف من أين يبدأ ، وبالردّ علىٰ أي المزاعم يستهلّ تفنيده لطوفان الدعاية الشيوعي.

فالدعاية الشيوعية تعمل بكل السّبل الشريفة ، وغير الشريفة ، في كل

---

(١) دور الماركسية في الاشتراكية العربية ـ مرجع سابق: ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غاري كار: ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

مجال ، وتقول كل شيء وأي شيء يخدم الدعوة للشيوعية ، والشيوعيين ، وفي كل موضوع ، حيث يجد الباحث نفسه في مواجهة خضم من الأقاويل والمزاعم والبيانات ، وفي مواجهة سيلٍ جارف من الدعاية ، يحتاج لمراكز متخصصة في البحث ، لإثبات أن السواد الأعظم من هذه الأقاويل والبيانات والدعايات هو نسيج خالص من التلفيق والكذب ، وابتداع ما ليس بحقيقي ولا بصدق في شيء ، وحتىٰ إذا وُجد في كل دولة جهاز للبحث ، ينهض بهذا العبء ؛ فإن ما سيخرجه من دراسات ممحصة لبيانات الدعاية الشيوعية ، لن يقرأ من طرف الذين وجهت إليهم تلك الدعاية ، لأن أولئك يندر بينهم من يقرأ شيئاً يمتّ للبحث العلمي العميق ، فعقولهم تتناسب مع تلك الكتيبات المبسّطة المخلّة بالمنطق والواقع في آن واحد . .)[1] .

ولذلك ورد في الوثيقة التي أعدّتها الجهات المعنية في الاتحاد السوفييتي بمحاربة الدّين عام ١٩٦٥ م ، توجيهات للشيوعيين في سائر أرجاء العالم ، التي لا زال للدّين فيها قدسيته ونفوذه ، وتأثيره علىٰ نفوس الشعوب ، وبالذات في البقاع الإسلامية ما يلي :

أ ـ تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدّين الصحيح ، والدين الثوري ، والدين المتطوّر ، ودين المستقبل ، حتىٰ يتمّ تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ، لأن العرب ـ إلا القليل ـ مسلمون بطبيعتهم ، فليكونوا الآن مسلمين اسماً ، اشتراكيين فعلاً ، حتىٰ يذوب الإسلام لفظاً ، كما ذاب معنىٰ .

ب ـ الاهتمام بالإسلام مقصود منه ـ أولاً ـ استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام .

ثانياً : استخدام الإسلام للدخول في شعوب العالم الإسلامي ، ومع أنّ

---

(١) الشيوعية والأديان ، طارق حجّي : ص ٨٥ .

القوىٰ الرجعية في العالم الإسلامية قوىٰ يقظة ، إلا أن الخطّة التي اتخذناها ستضعف هذه القوىٰ ، حتىٰ تجرّدها من عناصر احتفاظها بمقوّماتها ، فتذوب علىٰ مرّ الأيام ، وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتنقيتها من الشوائب ، وتحت ستار الإسلام ، يتمّ القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية!![1]

أما مراحل الغزو الإعلامي الشيوعي فيمكن تصنيفها في مرحلتين ، هما:

ـ المرحلة الأولىٰ: وهذه المرحلة تتميّز بهجوم عنيف علىٰ كل ما يتعلّق بالدّين ، ويمتّ إليه بسبب ، مع التمسّك الحرفي بالمبادئ الماركسية ، وعدم التزحزح عنها قيد شعرة ، وتحمل هذا الوزر الدولة الشيوعية الكبرىٰ ، ويقوم بترديده ، ورفع رايته أذنابها من الأحزاب الشيوعية في كل بقاع الأرض.

ـ المرحلة الثانية: وتتميز هذه المرحلة برفض الدّين حقيقة ، وعدم الهجوم عليه مباشرة ، وقبوله رياءً وخديعة ، لفترة معينة. ولقد أدرك الشيوعيون أن أفكارهم وانتشار دعوتهم ، بارتداء ثوبٍ جميل ، أمرٌ مهمّ ، وهذا الثوب يبدو جميلاً ، لكنه ينطوي علىٰ نيوبٍ وأظفار:

كالقبر حفّته الزهور وتحته عفنٌ دفين

وبدأت الكتابات التي تبيّن الشيوعية ، مذهباً سياسياً واقتصادياً ، والدين عقيدة فقط ، لا مجال لإقحامها فيما لا يعنيها ، ولا تعارض بين الاثنين ، ومجال اللقاء بين الشيوعية والدين مجالٌ واسع فسيح ، وهذا الأمر لا يعدو كونه تخطيطاً ماكراً وتكتيكاً خبيثاً ، استطاعوا من خلاله أن يحققوا ما لم يحققوه فيما عداه من الأساليب.

لقد كان لوسائل الإعلام الشيوعي دور كبير ومؤثر ـ سواءً كان ذلك في

---

(١) الشيوعية والأديان ـ مرجع سابق ـ: ص ٤٨ ـ ٤٩.

الداخل ، أو في الخارج ـ إلىٰ درجة أن الدولة الشيوعية قد استخدمت إلىٰ جانب ذلك القوة والحديد والمعتقلات والسجون!!

أما تأثير ذلك علىٰ الإسلام والمسلمين ، فذاك أمرٌ فيه من الظلم والإجرام ما لم يحدث في جميع أرجاء المعمورة ، حيث اقتصر الدين علىٰ بعض الشكليات والقشور ، بعيداً عن فهم جوهر الإسلام ، وروح الشريعة ، وحقائق العبادات. مصداق ذلك قول القاضي (شاكل خيال الدنّوف) مفتي القسم الأوروبي في روسيا وسيبريا: (نحن نقيم شعائرنا الدينية العامة دون عراقيل ، فكثيراً ما يُدعىٰ أئمة المساجد إلىٰ بيوت المؤمنين ، وذلك لتأدية الدعاء الخالص بمولد طفل ، وإبرام عقد قران ، ثم إن المسلمين يقومون بالختان بحرية ، وفي عددٍ من المدن ، بما في ذلك موسكو ، كما توجد لنا مقبرة خاصة بالمسلمين!!)[1].

إضافة إلىٰ ذلك فقد عمدوا إلىٰ تفتيت الجبهة الإسلامية في روسيا ، خاصةً عن طريق إنشاء مكاتب للدعاية ، وعن طريق إلقاء محاضرات ضد الإسلام ، أو تأليف كتب وما إلى هنالك.

أما التضييق الذي مُورس ضد المسلمين هناك ، فحدّث ولا حرج ، مثال ذلك:

(في عام ١٩١٢ م كان في روسيا وحدها ـ باستثناء بخارىٰ وخيوه ـ (٢٦٢٧٩) مسجداً يقوم عليها (٤٥٣٣٩) رجلاً بين واعظٍ وإمام ومؤذّن ، وكان يوجد مركز ديني لكل (٧٠٠) إلىٰ (١٠٠٠) مسلم؛ وكانت نتيجة تلك الحملة قاسية ومؤلمة ، إذ لم يبق سنة ١٩٤٢ م من جميع مساجد الاتحاد السوفييتي إلا (١٣١٢) مسجداً باعتراف الصحيفة السوفييتية (سوفيتو ريزوا) لكن يبقىٰ الأمل بالله أولاً ، وبهذه الأمة ثانية. وقد كتب فهمي هويدي يقول: (هذا الجيل المدهش ، الذي أفلت من كل الشباك ، وصمّ أذنيه عن

---

(١) للتوسع يراجع: الإعلام الدولي ـ مرجع سابق: ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

كل ما يتردد حوله ، وتحصّن ضد كل المغريات ، ومضىٰ يبحث عن حقيقة دينه ، ويلمّ أشتاته المبعثرة ، هؤلاء علىٰ قلّتهم ، تمرّدوا على أسلوب توظيف الإسلام واستخدام شيوخ الإسلام ، وكرّسوا أنفسهم من أجل فهم الإسلام الحق ، يتخاطفون النسخة الوحيدة لكتاب (معالم في الطريق) الذي اعتبر دستوراً لدعاة الإسلام الحركي الانقلابي ، حتىٰ كان تداوله تهمة في بعض بلادنا العربية في الستينيات ، ولا يعرف أحدٌ كيف وصل إلىٰ مكتبة أفدارة الدينية في طشقند . . . !!)[1] .

* * *

(١) مقال لفهمي هويدي في مجلة العربي الكويتية ، عدد ٢٥٤ : ص ٣٧ ـ ٣٩ ، وللتوسّع يراجع الإعلام الشيوعي المعاصر ، يوسف أبو هلالة : ص ١١ ـ ٤٧ .

obeikandl.com

الفصل الثالث
الإعلام الغربي والإسلام

المبحث الأول
موقف الإعلام الغربي من الإسلام

مما لا شكّ فيه أن من ميزات الإعلام الغربي العداء السافر والحقد الصريح الواضح للإسلام ، وهذا ما نراه بشكل لا لبس فيه ولا ريب في كثيرٍ من مصنفاتهم ، وتعود بدايات ذلك إلىٰ القرون الوسطىٰ ، حيث الحملات الصليبية علىٰ بلادنا الإسلامية .

مثال ذلك ما صدر في واشنطن تحت عنوان (أجهزة الإعلام الأمريكية والعرب) والكتاب بإشراف الدكتور (مايكل هرسون) وهو مدير دراسات الشرق الأوسط المعاصرة ، في جامعة (جورجتاون) ، و(رونالديف) وهو باحث في اللغة العربية في الجامعة نفسها ، ويتحدث الكتاب عن مواقف بعض الصحف الأمريكية ، ويصنفها كالآتي :

١ ـ مجلة مثل تايم ـ نيوزويك ـ لايف ، كانت في الماضي كثيرة الانحياز إلىٰ إسرائيل ، ومؤخراً تعمل على تقديم تغطية محايدة للأحداث ، وإن كانت معاداة العرب لا تزال موجودة. فيا عجباً لهذا الحياد المزعوم ،

كيف يكون؟ ما دام الحقد موجوداً ومتأصّلاً ضد العرب والمسلمين في نفوس هؤلاء.

٢ ـ مجلات رأي ، مثل: كوفتري ، التي تسيطر عليها اللجنة الأمريكية اليهودية ، و(نيوزويك) ، وانحيازها إلىٰ جانب إسرائيل لا يحتاج إلىٰ دليل ، وإذا كان الشوك فلا تنتظر العنب!

٣ ـ وكالات الأنباء ، والتي تعتمد عليها كثير من الصحف الأمريكية ، مثل وكالة يونايتدبرس ـ وأسيوتشيتد برس ، تغطي أحداث إسرائيل بعدد من المراسلين يساوي الذين يغطّون لها أحداث كل دول الشرق الأوسط الأخرىٰ.

٤ ـ نيويورك تايمز ـ واشنطون بوست ، تملكها أسرتان يهوديتان ، إلىٰ جانب صحف أخرىٰ رئيسية تميل إلىٰ جانب إسرائيل.

و(نفوبوست) لوس أنجلوس تايمز (لويفيل كامير جورنال) و(دالاس نيوز) (شيكاجو) (تريدون) (أطلانطا) (كونستثيوشن) (سنت لويس ديباتش) هذا الأمر بالنسبة للصحافة ، وأما الوسيلة الأخرىٰ وهي التلفزيون الأمريكي، فبعض العاملين فيه يقولون: إنه لأسباب فنية، فإن إرسال الأفلام التلفزيونية من إسرائيل إلىٰ أمريكا ، أسهل من إرسالها من الدول العربية ، وإن هذا يساعد علىٰ تغطية أكثر ، لكن حتىٰ عرض الأفلام الوثائقية ، فإن التلفزيون لا يقف منها على الحياد ، ولعل أهم مثال هو فيلم (المذبحة) الذي قدّمه التلفزيون الأمريكي كثيراً ، وأعيد عرضه عدة مرات. وهناك انحياز آخر ضد المسلمين من جانب التلفزيون الأمريكي يتمثّل في البرامج والأفلام الترفيهية ، التي تقدّم العربي في صورة غير المتحضّر ، قذر الملابس ، ثري بترول ، زير نساء ، مقامر.. إلخ.

و(جيمس بيرق) مدير البرامج في شبكة (سي بي إس) لا ينفي ذلك ويقول: أعتقد أن عامة المشاهدين يسرّهم رؤية المناظر التي توضّح العربي في صورة غير لائقة ، هذا عامل يضعه مخرج البرنامج في ذهنه ، كشيء

مهم مثل تقديم منظر جنسي ، أو إطلاق رصاصٍ عنيف أثناء الفيلم لشدّ انتباه المشاهد.

أ ـ ما هي عوامل الحملة المعادية للإسلام؟!

يمكن إجمال أهم العوامل بما يلي :

١ ـ الحقد القديم : ويعود ذلك إلىٰ عصر الصراع الإسلامي مع الروم ، حيث اكتسح الإسلام إمبراطوريتهم العتيدة ، ثم جاء الغزو الصليبي لبلادنا الإسلامية ، وشاء الله النصر للإسلام فطردوا من بلادنا شر طردة.

كل ذلك أدىٰ إلىٰ تأجيج نار العداوة ضد المسلمين ، (وإذا كان للدعوة إلىٰ حملة صليبية أن تحتفظ بصحتها ، فقد كان من الواجب والضروري أن يوسم نبيّ الإسلام بعدوّ المسيح ، وأن يصوّر دينه بأكلح العبارات ، كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق ، وفي أيام الحروب الصليبية تخلّلت العقل الأوروبي وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة بأن الإسلام إنما كان ديناً يدعو إلىٰ عبادة الشهوة ، وإلىٰ القوة الوحشية ، ديناً يدعو إلىٰ إقامة الشعائر الدينية بدلاً من تطهير القلب.

وفي إبّان تلك الحروب أيضاً حُرّف اسم النبي محمد ﷺ (ما هاوند) احتقاراً له وازدراء ، وهكذا لم يكن من قبيل الاتفاق أن ينظّم نشيد (رونالد) الذي يصف انتصار المسيحية علىٰ المسلمين الوثنيين في فرنسا الجنوبية ، ليس في إبان تلك المعارك بل بعدها بثلاثة قرون ، ليصبح فوراً ضرباً من (النشيد الوطني) لأوروبة كلها ، كذلك لم يكن من قبيل الاتفاق أن يعتبر هذا الشعر الحربي الحماسي بداية بزوغ فجر الأدب الأوروبي ، تمييزاً له من الآداب المحلية السابقة ، لأن العداوة للإسلام إنما صاحبت ظهور المدنية الأوروبية.

وقد يبدو من سخرية التاريخ أن يظلّ هذا الحقد الغربي القديم ضد الإسلام قائماً ، بطريقة لا شعورية ، في زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره في مخيّلة الغربي ، بيد أن هذا لا يبعث علىٰ الدهشة ، فنحن

نعرف أن شخصاً ما ، يمكنه أن يفقد بالكلّية المعتقدات الدينية التي لُقِّنها في طفولته ، ومع ذلك فإن انفعالاً معيناً ذا صلةٍ بتلك المعتقدات أصلاً يستمر دونما وعي في حالة العمل إبّان حياته فيما بعد ، وهذا بالذات هو ما حدث لتلك الشخصية الجماعية : المدنية الغربية .

وإن خيال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب ، حتىٰ يومنا هذا ، كما وأن جميع اتجاهاتها نحو الإسلام والعالم الإسلامي لا تزال تحمل آثاراً واضحةً جلية من ذلك الشبح العنيد الخالد)[1] .

٢ ـ رفض المسلمين للاستعمار الغربي في هذا القرن : بعد انهيار الدولة العثمانية ، تمت عملية توزيع تركة تلك الدولة بين فرنسا وإنجلترا ، وألقت هذه الدول المستعمرة بكلكلها علىٰ ديار المسلمين وأوطانهم أعواماً طويلة ، إلا أن المسلمين قاموا يحاربون الاستعمار ، ويرفضون وجوده ، واستبسلوا في جهادهم ضد الغزاة الكفرة ، فقتل منهم من قتل في هذا السبيل ، يضاف إلىٰ ذلك تلك الدولة المسخ ، التي قامت دول الغرب الصليبية بغرسها في قلب العالم الإسلامي (فلسطين) ، ورفض المسلمين لهذا التحدي الكبير ، وجهادهم ضد إتمامه ، كل هذه الأمور كانت عاملاً في إضرام العداوة والحقد من جديد ضد الإسلام والمسلمين .

٣ ـ الأزمات الاقتصادية التي تظهر في الغرب : ومن المؤسف له أن يقوم عتاة الغربيين بإلقاء التبعة ـ تبعة هذه الأزمات ـ علىٰ الدول العربية التي تصدّر النفط ، وكأن الدول العربية هي وحدها في هذا العالم التي تنتج النفط وتصدّره ، مع أن مردود النفط لا يعود إلاّ إلىٰ جيوب الغرب وبنوكه في النهاية!

ومع ذلك فإن هذا الأمر دافع ومصدر لتلك الحملة الشائنة الظالمة ، وبعد كل ذلك يطلع علينا البابا يوحنا ، والمتربّع علىٰ عرش الفاتيكان ، والذي يعدّ أغنىٰ أغنياء العالم ، ليتحدث عن جشع الدول المصدّرة للنفط ،

---

(١) أثر الحروب الصليبية علىٰ الفكر الغربي الحديث، محمد أسد: ص ١٢ ـ ١٣ .

واستغلالها للإنسان ، ويذرف دموع التماسيح علىٰ الإنسانية المعذّبة الفقيرة ، ونسي جشع نفسه ، وهو يمتلك البلايين لحسابه وحساب دولة الكرادلة ، التي أثار فضائحها الإعلام الغربي نفسه!![1].

٤ ـ الصحوة الإسلامية المعاصرة: لم يعد خافياً علىٰ ذي عينين هذه الصحوة المباركة ، التي تشهدها أمة الإسلام في هذا القرن ، ورفض الأفكار والمعتقدات شرقية أو غربية ، والعودة إلىٰ الأصالة ورفض التبعية ، كل ذلك أيضاً يزيد حدّة الحملة وشدَّة نقمتها ، فبعد قيام الثورة الإيرانية تفجّرت مكامن الحقد في صدور بعض الكُتَّاب والصحفيين والرؤساء ، فانطلقوا في حملة مغرضة ومسعورة ، ضد الدين الإسلامي ، باعتباره ـ في نظرهم ـ عامل تخلّف لدىٰ الشعوب التي تدين به ، فمثلاً نرىٰ أن أديباً ومفكراً فرنسياً كبيراً هو (بيار إيمانويل) يقتنص هذه الفرصة ليهجم مباشرةً علىٰ القرآن الكريم ، في مقالٍ حاقدٍ أبرزته إحدىٰ كبريات الصحف الفرنسية علىٰ صفحاتها الأولىٰ ، تحت عنوان: (طغيان القرآن)!![2].

ونرى الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية (ريغان) يصرّح قائلاً: (لقد شهدنا في الآونة الأخيرة احتمالات نشوب حرب دينية ، من خلال عودة المسلمين إلىٰ فكرة أن الطريق إلىٰ الجنة يكون بفقدان المرء حياته ، وهو يقاتل المسيحيين واليهود)!![3].

ب ـ مضامين الحملة الإعلامية الغربية:

يمكن إجمال مضامين الحملة الإعلامية تجاه الإسلام والمسلمين بعدّة أمور ، أهمها:

١ ـ التشويه: ابتداءً من القرآن الكريم ، ومروراً بالسنّة المطهّرة ، ثم التاريخ الإسلامي والتراث ، وشخصية الرسول ﷺ.

---

(١) جريدة المدينة ، عدد ٤٧٩٩ ، ١٤٠٠هـ: ص ١٢.

(٢) مجلة المجلة ، عدد ٤٧ ، ١٩٨١ م: ص ٧٨.

(٣) جريدة الشرق الأوسط ، ١٩٨١ م: ص ٩.

وقد استخدموا لذلك كل الأساليب والسّبل ، فمثلاً هناك دعاية في السينما ، وهو عبارة عن إعلان عن مثلجات (بوظة) ، يظهر فيها رجل على هيئة بدوي ، يرتدي ثياباً رثّة ، ويمتطي جملاً في صحراء قاحلة ، في حين تقود الجمل وبهدوء فتاة بدوية ، يغطي وجهها حجاب سميك ، لا يُبدي من وجهها سوىٰ العينين ، وتسير أمامه وهي حافية القدمين ، وفجأة يخرج الرجل قطعة (البوظة) من تحت إبطه ، ويلتهمها بنهمٍ شديد ، علىٰ أنغام موسيقا تصويرية مفرحة!!

أما المقصود في هذه الدعاية ، فلا يخفىٰ علىٰ أحدٍ أنها تُظهر عبودية المرأة المسلمة لرجلها المستبد ، وهم في ذلك إنما يرمون للنيل من الإسلام كنظام اجتماعي ، يجحف بحق المرأة لصالح الرجل . . . !

وقد ألقىٰ السفير الأمريكي لدىٰ المملكة السعودية ، محاضرةً في جامعة البترول والمعادن ، اعترف خلالها بالحملة الإعلامية التي تهدف إلىٰ تشويه صورة المسلمين في الغرب ، ومما قاله : (إن حملة إعلامية شرسة ، توجّه إلىٰ العرب وخاصةً السعودية ، وإنها تتحمّل نصيب الأسد في هذه الحملة والهجوم . . .

ويقول : إنه ليس هنالك سبب للهجوم علىٰ السعودية ، لأنها نفّذت كل ما طلبته منها الولايات المتحدة ، ثم يقول : وإن الشخصية المناوئة للعرب في الوقت الراهن ، هو البروفيسور (كلي) الذي عمل لسنواتٍ عديدة ، مستشاراً للشيخ زايد!

وقد ظلّ هذا الرجل يثير الكراهية ضد العرب ، ويتجلّىٰ ذلك واضحاً في كتابه (الجزيرة العربية) الذي جاء فيه : (إن الغرب قد بالغ في تقدير دول شبه الجزيرة العربية ، وإننا لسنا بحاجةٍ إلىٰ نفط العرب ، والحلّ بسيط وهو أن نحتلّ منابع النفط!!)[1] .

---

(١) وقد نشرت المحاضرة كاملة في جريدة (المدينة) ١٤٠١هـ : ص ٩ ـ ١٠ .

. . . ويقول السفير (إيكنز) في مقابلة أجرتها معه (المدينة) ، ونشرت في ٢٠ رجب ١٤٠١ هـ ، وهو يوضّح موقف (كسينجر) من العرب الذين كانوا يستقبلونه بالأحضان: إن لكيسنجر وجهة نظر محدودة تجاه العرب ، وقد قال في جلساتٍ خاصة بأنهم مثل الكلاب ، كلما ضربتهم لحسوا يديك!

وليس كيسنجر هو الوحيد من ساسة الغرب ممن وصفوا العرب بأنهم كلاب ، فقد سبقه السير (ونستون تشرشل) عندما اعترض أحد الوزراء البريطانيين على سياسة الدعم لإيجاد إسرائيل ، وبأن ذلك سيثير العرب ، ومصالح بريطانيا معهم ، فقال: (إن العربي مثل الكلاب ، إذا رفسته لعق حذاءك)!![1].

٢ ـ التعتيم: إذا كان الضحية من العرب والمسلمين فلا بأس. . . ولا أحد يتكلّم. . . ولا حقوق للإنسان. . . ولا. . !!

وأما إذا كان الضحية من إسرائيل أو الأمريكيين أو الأوروبيين قامت الدنيا ولم تقعد ، فمثلاً يوم احتجز الثوار الإيرانيون مجموعة من الأمريكيين في صورة رهائن ، قامت كل أجهزة الإعلام الأمريكي ، وتحرّكت أوروبة بحماسة بالغة ، ومشت الدول العربية والإسلامية في الركب صارخة محتجّة ، حتى منظمة التحرير الفلسطينية تباكت علىٰ الدم الأمريكي الغالي!!

أما ما يحدث يومياً في العراق. . . وفلسطين. . وكشمير. . والشيشان. . وما إلىٰ هنالك حيث تُدمَّر البيوت وتهدّم فوق الآمنين!. . . وتُقلع الأشجار! ويُذبح الأطفال والنساء والشيوخ! وتُنهب الخيرات والأموال! وتنتهك الأعراض. . ويُعتدى جنسياً علىٰ الأولاد والرجال!!

فتقوم وكالات الأنباء عندهم بالسكوت علىٰ ذلك كله ، ويَشغلون العالم

---

(١) المدينة المنورة ، مقال للدكتور محمد علي البار: ص ١٥، ١٤٠١هـ.

بالمباريات وعروض الأزياء ، وآخر الصرعات.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣ ـ التحريض: حيث لا يمرّ يوم إلا ونرىٰ تحريضاً قوياً في وسائل الإعلام علىٰ فظاعة الإسلام ، ووحشية المسلمين.

فتارةً يظهرون المسلمين علىٰ أنهم جماعة يعشقون مناظر القتل... والدماء ، وتارةً أخرى يسلّطون الأضواء علىٰ التسليح في بلدٍ إسلامي ما ، كإيران مثلاً ، ويتناسون مثلاً ترسانة السلاح في إسرائيل وغيرها.. ، وتارة يتحدّثون عن القنبلة النووية الإسلامية ، ويصوّرونها علىٰ أنها مصدر قلق للعالم و.. ويتناسون المفاعلات النووية ، والقنابل الذرية وأحدث الأسلحة التي تمتلكها إسرائيل ومن لفّ لفّها!!

حتىٰ الأمور العادية في حياة المسلمين ، كالحجاب للمرأة ، فقد سُلّطت الأضواء عليه ، حتىٰ أصبح مشكلة قائمة بذاتها.

* * *

المبحث الثاني
وسائل الإعلام الغربي

من أهم الوسائل الإعلامية الغربية المستعملة في هذا العصر ما يلي:

١ ـ الصحافة:

فيما يتعلّق بالصحافة الأمريكية: فهناك عدد كبير من الجرائد والمجلات، من أشهرها (نيويورك) و(تايم) و(لايف) و(دول استريت جيرنال) و(ديلي نيوز) ومنها ما هو متعلّق بالأمور الدينية حصراً، مثل (ذي كريستيان هيرالد) و(ذي ناشيونال ريجستر).

لكن المشكلة في المسألة أن غالبيتها تحمل حقداً علىٰ الإسلام والمسلمين، مثال ذلك ما نشرته مجلة (كريستان سبينس مونيتور) بقلم (جون كوني)، حيث قام الرجل بتفريغ سمومه وحقده الدّفين علىٰ الحركات الإسلامية، ومما قاله:

إن الأنظمة السابقة في مصر، قد أحسنت صنعاً بمعاملتها للمسلمين بالشدّة والقسوة، لأن ذلك هو الطريق الوحيد، للتقليل من خطرهم. ويعترف بأن جميع حملات البطش والإرهاب لم تستطع القضاء نهائياً عليهم، ثم يعود ليؤكّد أنه لابدّ من استعمال الشدة والبطش معهم، للتقليل من خطورتهم، ولعدم إعطائهم الفرصة ليحققوا أهدافهم!![1].

---

(١) عداء اليهود للحركة الإسلامية، زياد أبو غنيمة: ص ٢٣.

وأما الصحافة الفرنسية: فيبلغ عدد الصحف الفرنسية مئات الصحف، وأشهر المجموعات الصحفية في فرنسا، مجموعة (هاشيت) وتتولىٰ طبع ونشر جرائد (فرانس سوار) و(لي جورنال دي مانش) و(فرانس ديمانس) و(مجموعة آموري)، وتسيطر علىٰ جرائد (البارزيان لبيريه) و(لي فين للبر) و(كازفورد).. ولفرنسا مجلات خاصة بالاستشراق، أو وثيقة الصلة به، تصدر في باريس وشمال أفريقية، والشرق الأدنىٰ، خلا المجلات التي أنشأتها جمعيات المستشرقين باللغة الفرنسية، وتعنى جميعها بالعرب في تحقيق تاريخهم، وجغرافيتهم وأنسابهم، وبحث أديانهم، ومذاهبهم وأخلاقهم ولغتهم وتقاليدهم، ومن أشهر هذه المجلات: (صحيفة العلماء) و(المجلة الأسبوعية) و(المجلة التاريخية) و(مجلة العلوم الدينية) وأما الصحف الدينية، فهنالك (مجموعة الحياة الكاثوليكية) وتتولىٰ نشر الحياة الكاثوليكية المصوّرة، وعدد من المجلات الشهرية[1].

لكن يبقىٰ العداء للعرب والمسلمين سمةً بارزة لتلك الجرائد والمجلات، من ذلك ما جاء في صحيفة الليموند الفرنسية، بصورة تحليل سياسي كتبه مراسلها (جان هوجو)، وفي هذا المقال يؤكد الكاتب أن الذين يشكلون الخطر الحقيقي علىٰ النظام في مصر هم المتشدّدون المسلمون!![2].

ونشرت صحيفة (الفيغارو) الفرنسية مقالاً حول الأفكار الإسلامية المتطرفة التي غزت المجتمع بصورة كبيرة، وتتمنىٰ هذه الصحيفة علىٰ المسؤولين في البلاد الإسلامية أن يركّزوا جهودهم بشكل أساسي لمواجهة التطرّف الإسلامي المناخي!![3].

وأما الصحافة البريطانية: فتعتبر النظام الإعلامي البريطاني من أهم

---

(١) المستشرقون ـ مرجع سابق ـ: ص ١٦٠ ـ ١٦١.
(٢) الإعلام الدولي ـ مرجع سابق: ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
(٣) جريدة القبس الكويتية، عدد (٣٣٨٧): ١٩٨١م.

النّظم في العالم ، نظراً للعوامل التي ساعدته علىٰ ذلك ، ولا سيّما الاستعمار وانتشار اللغة الإنكليزية ؛ باعتبارها اللغة العالمية الأولىٰ من حيث الانتشار.

ومن أشهر الجرائد والمجلات البريطانية (الديلي) و(الإيفنيج نيوز) و(الديلي ميرور) و(التايمز) و(سكوتمان) وغيرها.

ومن النماذج التي تنشرها الصحف البريطانية تجاه الإسلام والمسلمين ، ما جاء في صحيفة (صنداي ميرو) : أن قادة الحركة الإسلامية يحاولون إقناع العرب بأنهم أسمىٰ الشعوب علىٰ وجه البسيطة ، وأن الإسلام هو خير الأديان جميعاً ، وأفضل قانون تحيا عليه شعوب الأرض كلها ، والآن قد أصبح قادة الحركة ينادون بالاستعداد للمعركة الفاصلة ، التي توجّه ضد التدخّل المادي للولايات المتحدة في شؤون الشرق الأوسط ، وأصبحوا يطلبون من كل مسلم ، أن لا يتعاون مع هيئة الأمم المتحدة ، فقد حان الوقت لكي يعرف الشعب الأمريكي أيّ حركة خطرة هي حركتهم!![1]

٢ ـ الراديو والتلفزيون :

هناك محطات إذاعية كثيرة ، وهناك قنوات تلفزيونية فضائية أكثر ، ولكن غالبيتها موجّهة ومملوكة لليهود ، مثال ذلك ما ورد آنفاً (سي. بي. س) و(إن. بي. إس) و(أي. بي. سي).

وهناك محطات دولية دينية مسيحية ، تُذيع برامجها بعدد من اللغات الحيّة ، مثال ذلك محطة الإذاعة الدولية (كيجل).

وفي عام ١٩٢٦ م ، أنشئت هيئة الإذاعة البريطانية ، وفي عام ١٩٣٢ م تمّ افتتاح خدمة إذاعية للإمبراطورية ، موّلتها الحكومة البريطانية ، وفي عام ١٩٣٨ م تمّ إرسال برامج باللغة العبرية والإسبانية والبرتغالية ، وفيما يتعلق بالتلفزيون ، فإن هيئة الإذاعة البريطانية (أي. بي. سي) بدأت إرسالها

---

(١) عداء اليهودية للحركة الإسلامية ـ مرجع سابق ـ: ص ١٥ ـ ١٦.

التلفزيوني عام ١٩٣٦م ، وفي عام ١٩٥٤ م تمّ إنشاء هيئة عامة أخرىٰ للتلفزيون ، هي هيئة التلفزيون المستقلة[١] .

وأما ما يتعلّق بوكالات الأنباء: فهناك خمس وكالات كبيرة وشهيرة دولياً ، منها اثنتان في أمريكا ، هما (أسوشيتد برس) و(يونايتد برس) ، حيث إن الأولىٰ منها لها (١٦٥) مكتباً خارجياً ، ويعمل بها (١٨٠٠) موظفاً ، ولها (١٧٠٠) واسطة اتصال ، وهذا يدلّ علىٰ مدىٰ إمكانياتها ، ومدىٰ تأثيرها أيضاً .

وفي فرنسا: تعد وكالة الأنباء الفرنسية (أي أف بي) أقدم وكالات الأنباء الدولية ، وتقدّم خدماتها لأكثر من (١٢) ألف صحيفة . . . ولها ممثلون في (١٦٦) دولة خارج فرنسا .

وفي بريطانيا هنالك وكالة (رويتر) ، لها (٥٥) مكتباً خارجياً ، و(٤٤٥٠) واسطة اتصال ، وبها (١٦٦٠) موظفاً .

والسؤال المُلِحُّ: أين موقع المسلمين بين هذا الكمّ الهائل من وسائل الإعلام؟!

٣ ـ المسرح:

يعتبر المسرح الغربي صدىٰ للحالة التي يعيشها الغربيون ، وبالتالي فهناك من كتّاب المسرح عندهم ـ كسارتر مثلاً ـ من يقف من القدر والدين موقف الرفض التام ، ويؤكّد علىٰ حرية الإنسان في تشكيل مصيره وصنع قدره!

كما أنه من الملاحظ أن كثيراً من المسرحيات الغربية من تجعل من العرب والمسلمين أداة ومادة للسخرية والنقد اللاذع[٢] .

---

(١) الإعلام الدولي ـ مرجع سابق ـ: ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) للتوسّع يراجع: فوضىٰ العالم في المسرح الغربي المعاصر ، عماد الدين خليل: ص ١٥ ـ ١٦ .

٤ ـ الجامعات:

تُشنُّ الحرب علىٰ الإسلام والمسلمين من خلال بعض جامعات الغرب الشهيرة ، مثل: (أكسفورد) و(السوربون) و(هارتفورد) و(جامعة القديس يوسف في لبنان) و(الجامعة الأمريكية في بيروت) و(الكلية الفرنسية في لاهور) ، وغيرهم.

(وقد أكدت الجامعة الأمريكية خطتها عام ١٨٧١ م ، علىٰ لسان راعيها (دانيال بلس) حين قال: إن هذه الكلية مفتّحة الأبواب لكل الناس علىٰ اختلاف ظروفهم وطبقاتهم ، دون أيّ اعتبار للون أو لتابعية أو لجنس أو لدين ، ويستحيل على أيّ إنسان يعيش بيننا مدة طويلة من الزمان ، دون أن يعرف ما هي الحقيقة التي نؤمن بها ، وما هي أدلتنا وحججنا التي نبني علىٰ أساسها إيماننا هذا)[١].

ثم يصل كاتب المقال إلىٰ القول بأن الجامعة الأمريكية هي في وقت واحد مسيحية وأمريكية وعربية.

فهي مسيحية ، من حيث إنها كانت ولا تزال تعبيراً حيّاً عن الخدمة والتضحية المسيحية ، ومن حيث سعيها لخدمة الله عن طريق خدمة عباده.

وهي أمريكية ، من حيث كون معظم ماليتها تعتمد علىٰ المساعدة الأمريكية ، بل لكونها التعبير الحيّ عن خير ما في التراث الأمريكي من مُثل عليا ، أساسها خدمة المجتمع وإشراك البشرية في الخيرات ، التي ينعم بها الأمريكي.

وهي عربية ، ليس من حيث وجودها في بلدٍ عربي ، بل لأنها كرّست حياتها لكي يكون للعرب حياة ، ولكي تكون حياتهم أفضل!![٢].

---

(١) للتوسع يراجع: التربية وبناء الأجيال ، أنور الجندي: ص ٢٥.

(٢) مقال أمين فارس ، في مجلة الأبحاث ، الصادرة عن الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٥٨م.

وهذا لعمري هو الغزو الفكري بعينه ، لكن تحت لبوس العلم والثقافة . .

٥ ـ الابتعاث :

أي : بعث الطلاب إلىٰ الدول الغربية ، وذلك بهدف إكمال دراساتهم ، ولعلّ من أولىٰ البعثات التي ذهبت إلىٰ ديار الغرب وجامعاته من أبناء المسلمين ، ما حدث في زمن (محمد علي باشا) والي مصر ، وذلك في عام ١٨١٣ م .

ومثال ذلك ما جرىٰ لطه حسين عندما أُرسل إلىٰ الغرب ، حيث لما عاد دعا إلىٰ أن تكون مصر قطعة من الغرب ، وذلك في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)!

ومثله ما حدث لرفاعة الطهطاوي حيث عاد من دول الغرب ليصرّح بأن الرقص الغربي الذي تتلاصق فيه الأجساد لون من الشلبنة ، وينادي بالفرعونية!![1] والأنكى من ذلك ما حدث لرئيس جمهورية السنغال (سنغور) ، حيث ذهب إلى محاضن الكفر طفلاً مسلماً ، ليعود بعد التخرّج من جامعاته نصرانياً حاقداً ، يحمل على صدره صليباً ، وفي قلبه لأمته ودينه حقداً عجيباً ، وبالتالي غيرّ اسمه إلى (سانجور) والتي تعني (القديس جورج)[2]!!

٦ ـ المستشرقون :

بدأ الاستشراق أكثر ما يكون نماءً وانتشاراً بالفاتيكان ، باباوات وأساقفةً ورهباناً ، حيث كان الفاتيكان يحرص على مقارعة المسلمين بكل السّبل[3] .

---

(١) الابتعاث ومخاطره ، محمد الصباغ : ص ١٨ ـ ١٩ .
(٢) مجلة روز اليوسف ، عدد ١٨٤٧ ، ١٩٧٣ : ص ٢٦ .
(٣) يراجع : المستشرقون ـ مرجع سابق ـ : ١/ ١٣ .

(وقد نشأ أساتذة الاستشراق والتبشير في محاضن أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية والأمريكية ، فقد أنشئ أول كرسي للغة العربية في جامعة كامبردج ، في أوائل القرن السابع عشر ، وذكر في المراجع الأكاديمية المسؤولة في الجامعة في تبرير إقامة ذلك الكرسي ، أن من جملة أهدافه تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة ، والدعوة إلى الديانة المسيحية)[1] .

وما فعله بعض المستشرقين لدليل كافٍ على المخططات الرهيبة التي حيكت في الخفاء لتشويه أفكار المسلمين ، مثال ذلك ما فعله (فبرخارت) و(لورنس) وتبعهم في ذلك بعض العرب والمسلمين ، مثال ذلك قول (علي عبد الرازق): فليس بنا من حاجةٍ إلىٰ تلك الخلافة ـ أي الخلافة الإسلامية ـ ، لأمور ديننا ، ولا لأمور دنيانا ، ولو شئنا لقلنا أكثر من ذلك ، فإنما كانت الخلافة ـ ولم تزل ـ نكبة علىٰ الإسلام وعلىٰ المسلمين ، وينبوع شرٍّ وفساد)[2] .

ومن أهم الدوافع الكثيرة التي دفعت المستشرقين إلىٰ ذلك:

أ ـ الدوافع الاستعمارية.

ب ـ الدوافع السياسية.

ج ـ الدوافع التبشيرية.

ومن أبرز المستشرقين: مرجريت سميث ، وفيلبي ، وصمويل زويمر ، وبابردرودج ، وآرثر جفري ، وجورج رنس ، وليفي بروفنسال ، وغيرهم.

٧ ـ الكتاب:

يمكن تقسيم الكتاب الغربي إلىٰ قسمين لا ثالث لهما ، من حيث المضمون والرسالة:

---

(١) يراجع: الله أو الدمار ، سعد جمعة: ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) الإسلام وأصول الحكم: ص ٣٨ ـ ٣٩ .

أ ـ كتب العلوم البحتة والتطبيقية.

ب ـ كتب العلوم النظرية، كالفلسفة وعلم النفس والتربية، ونحو ذلك، وبالتالي فمضمون الكتاب النظري في الغرب لا يتجاوز أحد أمرين، هما:

ـ الإباحية: وعلىٰ حدّ تعبير (تولستوي): (لقد أصبح المقياس الوحيد للفن الجيّد والفن الرديء، هو اللذة الشخصية، فالخير هو ما يبعث اللذة في نفوسهم، وهذا هو الجميل، وبذا ارتدّوا إلىٰ تصوّر الإغريقيين البدائيين الذين أدانهم أفلاطون).

ثم جاء (فرويد) فأبدع في ذلك إبداعاً لا مثيل له!

ـ الضياع: حيث ظهرت للعيان أهم مدارس الضياع، وهما: الوجودية، والرمزية؛ فمثلاً يقول (سارتر الوجودي): (إن الإنسان لا يستطيع أن يوجد لذاته إلاّ إطلاق العنان لرغباته وشهواته، بحيث يفعل ما يشاء، ويترك ما يشاء، غير مبالٍ بعرف أو دين، وعجباً بعد ذلك أن يخدع بالوجودية بعض المسلمين، فلا يدركون حقيقتها الملحدة، وينطلي ضلالها عليهم، فلا يبصرونه)[1]!!

ومجمل آراء (سارتر) ـ كما في نصوص وجوديته ـ مايلي:

ـ الله: افتراض غير نافع، وهو يكلّفنا كثيراً، فنحن نلغيه!

ـ هذا العالم: وُجد بغير داعٍ، ويمضي لغير غاية!

ـ العالم: كله خداع في خداع، إننا موجودون دون سبب عقلي، وبلا داع، والعالم يمضي لغير غاية!![2].

---

(١) للتوسّع يراجع: عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس العقاد: ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) قضايا العصر في ضوء الإسلام، أنور الجندي: ص ١٥٤.

٨ ـ مناهج التعليم:

كما هو معروف، فقد قامت حرب عنيفة بين الكنيسة وبين الحركة العلمية في الغرب، إلىٰ درجة أن المتعلم لكي يصبح عالماً، لابدّ أن يكون عندهم ملحداً! وعلىٰ حدّ تعبير (أميل بوتور): إذا جاز لرجل العلم اعتقاد شيء من الدّين، فعليه ترك هذه المعتقدات الدينية خارج المعمل، ويستعيدها عند الخروج[١]!! وللأسف سار في ذاك الركب كثير من المبرزين العرب والمسلمين، وحاولوا إسقاط ذلك علىٰ الإسلام، وذاك ظلمٌ ما بعده ظلم.

٩ ـ المؤتمرات:

خاصةً المؤتمرات التبشيرية، ومؤتمرات الحوار المسيحي الإسلامي وغيرها.

١٠ ـ الجمعيات التبشيرية:

وهي تقوم بالدعوة المباشرة للنصرانية، وترك الإسلام[٢].

* * *

---

(١) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) للتوسع يراجع: الإعلام الغربي، يوسف أبو هلالة: ص ٤٥ ـ ٧٦.

obeikandl.com

الفصل الرابع
إعلامنا المعولم ... إلىٰ أين؟!

من أهم خصائص الإعلام الإسلامي ما يلي:

١ ـ عقيدي مسلكي: أي إنه قائمٌ علىٰ العقيدة والإيمان، مرتبط بأحكام الإسلام وتعاليمه، وهديه وأخلاقه، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

٢ ـ واجب علىٰ كل مسلم بقدر طاقته: مصداق ذلك قول المعصوم ﷺ: «ليبلّغ الشاهدُ الغائب، وربَّ مُبلَّغٍ أوعىٰ من سامع»[٢].

ومما يؤكد وجوب الإعلام والتبليغ قوله ﷺ: «من سئل عن علمٍ فكتمه، ألجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة»[٣].

٣ ـ إنه حسبةٌ لله عز وجل: مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له»[٤].

٤ ـ موضوعي: لا يتأثّر بميل أو هوىٰ.

٥ ـ موثّق: مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ

---

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي: ١/ ٢٣.
(٣) مسند الإمام أحمد: ٥/ ١٤.
(٤) المسند: ٤/ ١٢٦.

فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

٦ ـ منهجي هادف: فهو يهدف إلىٰ إقامة شرع الله، تحقيقاً لاستخلاف الله تعالىٰ عباده، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[2].

٧ ـ عام وشامل.

٨ ـ بابه مفتوح لجميع المسلمين.

٩ ـ إعلام منظم مسؤول: حيث تشرف عليه الدولة، بما يحقق إقامة شؤون الأمة.

١٠ ـ يقوم علىٰ جميع الوسائل المشروعة.

١١ ـ تنوّع أساليبه على مختلف وسائله.

لكن ـ مما يُؤسف له ـ أن المسلمين تخلّفوا عن ركب التطوّر، وأصبحوا في غالبية أمور حياتهم مستهلكين ومتلقين، بينما استطاع أعداؤهم استخدام وسائل الإعلام علىٰ أكمل الوجوه، وسخّروها لخدمة قضاياهم، مثال ذلك: عشية حرب حزيران عام ١٩٦٧ م رفع أصحاب المحلات التجارية في مدن سويسرية عديدة يافطات كُتب عليها: (سويسرة علىٰ الحياد، ولكنها مع إسرائيل!!) بل وقبلها بسنوات عديدة، نال طالب غير يهودي من المكسيك عام ١٩٤٦ م شهادة دكتوراه تحت عنوان: لماذا يجب علىٰ جميع الدول المتمدّنة الاعتراف بإسرائيل؟!

ولذلك ركّز الأعداء علىٰ كل ماله علاقة بالإعلام، وصولاً إلىٰ الحال العجيب: (إن المرشحين لرئاسة الجمهورية في أمريكا، يتبادرون لكسب ودّ أصغر يهودي، وقد لا نُغالي إذا قلنا: إن أمريكا (ربيبة إسرائيل) وليس

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الحج: ٤١.

العكس ، وإن رئيس وزراء إسرائيل ، هو الذي يرجّح كفّة المرشح ليغدو رئيساً ، والرئيس الأمريكي ما هو إلا أفضل قارئ لما يكتبه مستشاره اليهودي. هذا مع أن معظم الأمريكيين يكرهون اليهود ، لكن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العام ، عن طريق الإذاعة ، والتلفزيون ، والصحف ، ودور النشر ، والسينما ، وما زالوا يجهدون للإجهاز علىٰ المجتمع الأمريكي ، وذلك بترويج الشذوذ الجنسي ، والحشيش والأفيون ، وجميع الصرعات التي تظهر متلاحقة في المجتمع الغربي)[1].

هكذا حالهم ، فماذا فعلنا نحن المسلمين أمام تلكم الحملات المخططة المدروسة؟! لقد هبّت رياح العولمة بكل أشكالها: الاقتصادية والعسكرية ، وعولمة الإعلام والثقافة ، وعولمة القهر ، وعولمة الإرهاب و... علىٰ العالم ، فأصابت نقاط الضعف فينا!

وتمّ اختراق ثقافتنا إلىٰ حدٍّ عجيب ، وانقلب الحال إلىٰ التقليد ومحاكاة الأقوياء، ورويداً رويداً أصبح المثقف ـ وفي غالبية أنحاء العالم ـ وفي جميع الميادين ، الفكرية والاجتماعية والأدبية ، بل وحتىٰ في مسألة الأزياء واللباس... أصبح مقلّداً ، لما يخترق بصره وسمعه وحواسه كلها من نشر الثقافة الأمريكية.

أجل! إن ما تفعله اليوم أمريكا هو تحريك الثقافة والإعلام ، والذي ساعد علىٰ ذلك كله تسارع التقنيات الإعلامية ، وامتلاك أمريكا لأكبر نصيب من شبكات الإنترنيت ، ووكالات الأنباء ، والحواسب المتقدمة ، ونحو ذلك.. وهذا هو الذي يُطلق عليه (ثورة المعلومات) أو (الانفجار المعلوماتي). وبالتالي فالهدف الواضح من ذلك كله ، لا يبتعد عن كونها سياسةً إمبريالية ، نشأت من رحم الاقتصاد ، ودُرست بعنايةٍ فائقة ، ووضع لها الهدف المحوري ، وهو تسويق النموذج الرأسمالي الليبرالي ، حتىٰ لو كان ذلك علىٰ حساب صهر خصوصيات الشعوب الأخرىٰ ، في بوتقة

---

(١) حكومة العالم الخفية ـ مرجع سابق ـ: ص ٣١ ـ ٣٢.

الرأسمالية ، أو علىٰ حساب التبعية للأنموذج الأمريكي .

وهذا ما صرّح به (بريجنسكي) : إن السيطرة الأمريكية علىٰ العالم تستند إلىٰ هيمنتها علىٰ الاتصالات ، و(٨٠٪) من عدد الكلمات والمشاهد والصور التي تدور حول العالم تأتي من الولايات المتحدة الأمريكية!!

وهكذا ، فالقضية : (نكون أو لا نكون) فإما إعلام قوي ، وثقافة تستند إلىٰ الأصول ، وسلوكيات لها جذور تراثية ، وتقنيات تساير العصر ، . . . وإلاّ فالعولمة الثقافية والإعلامية ، وعندئذٍ ستكون الغلبة للقوي حتماً ، أي : الغلبة لليبرالية الجديدة المتمثّلة بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهذه هي (الأمركة)! . والطامة الكبرىٰ أن الذين يمتلكون وسائل الإعلام في ظل هذه العولمة المعاصرة هم أصحاب رؤوس الأموال ـ المليارديرات ـ وهنا : ما هو دور الصحفي أو الكاتب العادي ، في هذه المعمعة الإعلامية؟![1] .

يرىٰ الدكتور عبد الإلٰه بلقزيز أن العولمة الثقافية هي : فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي علىٰ سائر الثقافات ، وبالتالي فهي رديف الاختراق الذي يجري بالعنف ـ المسلّح بالتقانة ـ فيهدّد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها العولمة .

لكن هذا لا يعني رفض العولمة بكلّيتها ، إنما الأفضل من ذلك أن نتحصّن بثقافاتنا الصافية ، وأن نتمرس وراء الحقائق الساطعة ، وأن ننطلق إلىٰ الآخرين ونحن نرفع شعاراً قرآنياً واضحاً : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2] .

ذلك لأن المؤمن كالنحلة ، تنتقل من زهرة إلىٰ زهرة ، فتأخذ من هذه وتلك ، لكن في النهاية يخرج العسل الصافي الذي ينفع الناس ، مصداق

---

(١) للتوسع يراجع : عولمة الإعلام والثقافة ، الدكتور محمد عمر الحاجي : ص ١١٧ ـ ١٦٦ .
(٢) آل عمران : ٦٤ .

ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

أجل!

لقد وصل بنا الحال إلىٰ ما قاله (شيللر): إن العولمة في مجالات الإعلام والاتصال تعني تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية (عابرة الجنسيات) التي تستخدم وسائل الإعلام كحافز للاستهلاك علىٰ النطاق العالمي، وبالتالي فإن أسلوب الإعلان الغربي ومضمون الإعلام يدفع إلىٰ التوسّع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية، تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية.

وهكذا يزاوج كل من (شيللر) و(تشومسكي) بين عمليات العولمة وبين استخدام وتوظيف الإعلان عبر وسائل الإعلام المعولم لنشر ثقافة الاستهلاك، ومثل هذه المزاوجة تعني أمرين اثنين هما:

ـ الأول: أن الإعلان باعتباره صيغةً عصرية للدعاية قد أصبح وسيلة برّاقة، وسلطة رمزية لا تقاوم لتفعيل عولمة الاقتصاد وفتح الأسواق وتنشيط التجارة، من خلال نشر ثقافة الاستهلاك والتنميط الحصري لاحتياجات وأذواق البشر.

ـ الثاني: أن اقتصاديات الإعلان هي العمود الفقري لنمو وانتشار الشركات متعددة الجنسية في قطاع الإعلان والاتصال والمعلومات والترفيه، وفي الوقت نفسه فإن التنافس بين هذه الشركات علىٰ الحصول علىٰ حصة أكبر من كعكة هذا الإعلان المعولم، هو أحد أهم آليات الاحتكار والتركيز بين هذه الشركات.

ولدىٰ تحليل ثقافي لإعلان من الإعلانات المعروفة، يتبيّن إلىٰ أي مدىٰ تُنشر ثقافة الاستهلاك وتمجّد بين الناس، إضافةً إلىٰ فرض الهيمنة علىٰ

---

(١) النحل: ٦٨ ـ ٦٩.

الأسواق ، وتسليع القيم والأفكار والمعاني ، بل وحتىٰ الأحاسيس والمشاعر ، مع كثيرٍ من طمس الخصوصيات الثقافية ، والدعوة إلى التغريب. . . ، كل ذلك يقابله إعلاء شأن القوة الأمريكية ، وتمجيد نمط الحياة الأمريكية. . !!

إعلان عن سيارات (كيّا Kia): حيث يتكوّن الإعلان من جزئين متساويين ، في الجزء الأعلىٰ والذي يحتل ٦٠٪ من مساحة الإعلان تقريباً ، صورة لاستاد رياضي يتوسطه ملعب كرة قدم ، والاستاد مزدحم تماماً بالجمهور ، ولكن ماذا يشاهد الجمهور؟ إن هناك قطعة قماش بيضاء ضخمة أقرب إلىٰ الخيمة ، تغطي أرض الملعب وقد كُتب علىٰ القماش (Kia) الكل يفضلونها ، مع ملاحظة أن الكلمة كتبت بالإنجليزية ولم تكتب بالعربية ، بمعنىٰ أنها علامة معلومة تتجاوز كل ثقافة!

والجمهور في الصورة جمهور كبير للغاية ومتنوّع ، يشاهد فريقاً واحداً في الملعب هو منتجات (كيّا) من السيارات المختلفة ، والتي ظهر منها أنواع مختلفة في الجزء الثاني ، أسفل صورة الاستاد. وتعني أن منتجات (كيا) هي اللاعب الوحيد ، والناس يفضلونها لأنها اللاعب الوحيد.

والسؤال هنا: لماذا قُصد تغطية أرض الملعب؟ إنه يرمز بداية لنوع من المساواة بين كل منتجات شركة (كيّا) ثم إنه يقدّم ثانياً نوعاً من الوعد للقارئ المستهلك بإمكانية أن يختار بين أكثر من نوع ، وإمكانية أن يُطلق لخياله العنان لكي يتصوّر ماذا تحت الغطاء ، وماذا يمكن أن يشتريه ، ولا شك أن عملية الاختيار والتخيّل لما تحت الغطاء ، ولما قد يستطيع القارئ المستهلك شراءه لا تخلو من دلالة جنسية ، فهناك إمكانية لفضّ هذا الغطاء ، لتعرية الملعب للوصول إلىٰ الأرض ، أو حتىٰ السيارة ، وكل من الأرض والسيارة تدخل في إطار الرموز الأنثوية ، والأنثىٰ كامنة في هذا الإعلان ، رغم أن الموضوع عن منتجات (كيّا) من السيارات، ولا غرابة في ذلك ، فكل الجمهور في الاستاد يفضّلون الأنثىٰ ، أي أنثى ، بل الأنثىٰ

بمقاييس كل رجل ، كذلك الحال بالنسبة لمنتجات (كيا) ، فالكل يفضلونها سيارة بمقاييس كل منهم[1]!!

* * *

(١) للتوسع يراجع مقال الدكتور محمد شومان في كتاب الإعلام والثقافة والهوية: ص ٢٢٧ ـ ٢٣٩.

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة
اقتراحاتٌ وتوصياتٌ

بعد هذه الجولة الممتعة فيما يتعلّق بأمور الإعلام ، وخاصةً :

ـ ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي .

ـ المسيرة التاريخية للإعلام .

ـ نظرية الإعلام في المنظور الشرعي ـ خاصةً القرآن الكريم .

ـ الدور الكبير ـ والخطير ـ الذي يمارسه الإعلام .

ـ مقارنة بين إعلامنا المعولم وبين إعلامهم الموجّه .

بعد ذلك لابدّ من بعض التوصيات والاقتراحات ، عسىٰ أن يكون في ذلك فائدةٌ للجميع ، متمثلين قول خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام :

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1] .

ـ الأفضل إدخال مادة الإعلام الإسلامي في غالبية الجامعات ، أو إفراد ذلك بكليات خاصة .

ـ تنظيم ندوات ومحاضرات ومؤتمرات تعتني بالجوانب الإعلامية ،

---

(١) هود: ٨٨.

حيث يتم الحوار بين متخصصين في مجالات الشريعة مع متخصصين في المجالات الإعلامية.

ـ مراقبة وسائل الإعلام ـ خاصة المرئية منها ـ بأن تنضبط بالضوابط الشرعية، وإلا فليس من المعقول أن يُصاب الإنسان بالتناقض، حيث يسمع في المسجد أمراً، ليرى نقيضه على شاشات وسائل الإعلام!

ـ الاهتمام كثيراً بالبرامج التي تُقدّم للأطفال، خاصةً في الأمور التي تتعلّق بالعقيدة، لأن ما يراه الطفل، أو يسمعه، يرسخ في ذهنه حتى الموت.

ـ التوجه نحو دراسات مستفيضة وأكاديمية علمية لما في القرآن والسنة من الأمور التي تتعلّق بالإعلام.

ـ إرسال بعثات إلى أنحاء العالم، وذلك بهدف الاطلاع على أحدث وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة.

ـ توجيه عدد من الفتيات ـ وخاصة طالبات الجامعة ـ لدراسة كل ما يتعلّق بدور المرأة الإعلامي، وذلك لشرح مكانة المرأة في الإسلام.

ـ التأكيد على مسألة تفرّغ ثلة من الشباب والفتيات لدراسة اللغات الأجنبية، بغية تقديم ما عندنا من تراث إسلامي عبر القنوات الفضائية، شريطة أن تكون موجّهة للناطقين بغير العربية.

ـ الابتعاد عن إلصاق التّهم جزافاً لكل ما له علاقة بالفيديو والتلفزيون والفنّ...، على أساس أن ذلك حرامٌ، وما إلى هنالك من الفتاوى المعلّبة، والتي أكل عليها الدهر وشرب، والنظر إلى المسألة من باب: الحكمة ضالة المؤمن.

ـ تكاتف كل القوى الإسلامية لإنشاء قنوات فضائية إسلامية هادفة، تستخدم كل ما توصل إليه العلم الحديث، وذلك جزءٌ لا يتجزأ من الدعوة إلى الله سبحانه.

ـ أن يكون دور أجهزة الإعلام في البلاد الإسلامية التوحيد لا التفريق ، والتعليم لا التجهيل ، والفن الهادف الواعي ، لا السطحية والابتزاز والاستهلاك!

ـ أن تركز وسائل الإعلام الإسلامي على الجوانب الخدمية الاجتماعية.

ـ ألا تُوجِدَ وسائل الإعلام ثغرة بين الأصالة والمعاصرة ، بل عليها أن تنظر إلى التراث الإسلامي بعين ، وتنظر إلى العصر الحالي بعين أخرى.

ـ التكاتف على إخراج موسوعات معارف إسلامية ضخمة ، حيث تشمل أمهات العلوم ، وبلغة مبسّطة ومعاصرة.

ـ التصدّي لكل المشاكل والصعوبات ، والإسهام الكبير في حلّها وتبيان الحكم الشرعي فيها.

ـ البُعد عن الخطابات الإنشائية عبر وسائل الإعلام ، وخاصةً ما فيه تكلّف وسجع وتقعّر ، واستبدال ذلك بما يُناسب لغة العصر ، وخاصة الإعجاز العلمي ونحو ذلك، فالمسألة كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

(١) البقرة: ٢٨٦. «إصراً»: عبئاً ثقيلاً.

obeikandl.com

الفهارس العلمية

* فهرس الآيات القرآنية .
* فهرس الأحاديث النبوية .
* فهرس القوافي الشعرية .
* فهرس القبائل والأمم والفِرَق والمذاهب .
* فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب .
* فهرس الأماكن والبلدان والبقاع .
* فهرس الأعلام .
* فهرس المصادر والمراجع .

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(١) سورة الفاتحة		
﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢	١٩
(٢) سورة البقرة		
﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ... لِّلْمُتَّقِينَ﴾	١ ـ ٢	٣٨٥ ، ٦٣٨
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ... يُوقِنُونَ﴾	٣ ـ ٤	١٩٧ ، ١٩٨ ، ٦٣٨
﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	٥	٦٣٩
﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ... عَظِيمٌ﴾	٦ ـ ٧	٦٣٩
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ ... مُهْتَدِينَ﴾	١٦	٦٣٩
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ ... صَٰدِقِينَ﴾	٢٣	٦٣٧
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ... لِلْكَٰفِرِينَ﴾	٢٤	٦٣٧ ، ٦٤٩
﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٨٨
﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤٢	٢٠
﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	٤٤	٤٣١
﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ ... يُنصَرُونَ﴾	٤٨	١٩٩
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ... يَظُنُّونَ﴾	٧٧	٦٠٠

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ . . .
تَعْمَلُونَ﴾ ٨٥ .... ١٥٣ ، ١٦٥
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ . . .
يَخْتَلِفُونَ﴾ ١١٣ .... ٣٨٧ ، ٦٣٦
﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ١٢٥ ..... ٤٤٠
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا . . . ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ١٢٦ ..... ٢١٨
﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ . . .
ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٣٥ ..... ٣٨٧
﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن . . .
مُّسْتَقِيمٍ﴾ ١٤٢ ..... ٣٨٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ . . .
شَهِيدًا﴾ ١٤٣ .... ١٨٥ ، ٢١٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ . . . ٱللَّهُ﴾ ١٥٩ ..... ١٩٥
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ . . .
يَعْقِلُونَ﴾ ١٦٤ ..... ٦٥٣
﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ . . .
ٱلنَّارِ﴾ ١٦٦ـ١٦٧ .... ٦٥١
﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ . . .
وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ١٧٧ ..... ٥٨
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ١٧٩ ..... ٢٢٢
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ١٨٥ ١٨٥ ، ٦٤٤ ، ٧٢٣
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ . . .
ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ١٩٠ ..... ٥٠٧
﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ . . .
ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ١٩١ .... ٤٤٠ ، ٥٠٤
﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٩٢ ..... ٥٠٤

obeikandl.com

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ . . . ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٩٣ ..... ١٦٧
﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ١٩٦ ..... ٧١٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ . . .
مُّبِينٌ ﴾ ٢٠٨ ..... ١٧٣
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .
مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٢١٣ ..... ٦٣٥
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ . . .
ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ ٢١٧ ..... ٥٠٤
﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ . . .
لِلنَّاسِ ﴾ ٢١٩ ..... ٦٤٣
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ . . .
عَلِيمٌ ﴾ ٢٥٦ ١٦٧، ٦٣٤، ٦٤٢، ٦٤٣
﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ ٢٧٩ ..... ١١
﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ ٢٨٥ ..... ٧٢٤
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا . . .
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٢٨٦ .... ٦١، ٨١٧

(٣) سورة آل عمران

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ . . .
وَٱلْحَرْثِ ﴾ ١٤ ..... ١١١
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ . . . ٱلْعِلْمِ ﴾ ١٨ ..... ٥٩٩
﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ . . . بِٱلْعِبَادِ ﴾ ٢٠ .... ٦٠٠، ٦٣٣
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا . . .
بَعِيدًا ۚ ﴾ ٣٠ ..... ١٩٧
﴿ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا . . . ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٦١ ..... ٣٨٨

obeikandl.com

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ . . .
مُّسْلِمُونَ﴾ ٦٤ ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٦٣٤ ، ٨١٠
﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ٧١ ..... ٣٨٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ . . . يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥ ..... ٦٠٠
﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ . . .
يَعْلَمُونَ﴾ ٧٨ ..... ١٧٧
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ . . . تَدْرُسُونَ﴾ ٧٩ ..... ٣٨٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم . . . ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ٨١ ..... ٣١٢
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ . . . ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ٨٥ ..... ٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا . . . كَٰفِرِينَ﴾ ١٠٠ ..... ٣٩٠
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ . . .
ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ١٠٤ ٢١ ، ٦٣ ، ١٣٠ ، ٧٢٣ ، ٨٠٧
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ . . . بِٱللَّهِ﴾ ١١٠ . . . ٢٠ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ٥٠٥
﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ . . .
ٱلصُّدُورِ﴾ ١١٩ ..... ٦٣٥
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ . . .
ٱلنَّاسِ﴾ ١٤٠ ..... ٧٦٣
﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .
ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ١٤٥ـ١٤٦ .... ٤٩٢
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ . . .
ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ١٥٩ .... ٩٢ ، ٢٧٩
﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ ١٦٠ ..... ٤٤٥
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ . . . مُّبِينٍ﴾ ١٦٤ ..... ٦٣١

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ . . . عَظِيمٍ ﴾ ١٧٣ ـ ١٧٤ . . . . ٤٨٨
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ . . . ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ١٨٠ . . . . . ٢٢ ، ٣٠
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ . . . أَغْنِيَآءُ ﴾ ١٨١ . . . . . ٣٩١
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ . . . يَشْتَرُونَ ﴾ ١٨٧ . . . . . ٢٣ ، ٦٠

(٤) سورة النساء

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ . . . ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ١٣ . . . . . ٦٤٥
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ . . . نَقُولُونَ ﴾ ٤٣ . . . . . ٦٤٣
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا . . . ٱلسَّبِيلَ ﴾ ٤٤ . . . . . ١٧٧
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ . . . سَبِيلًا ﴾ ٥١ . . . . . ٣٩٢
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ . . . بَصِيرًا ﴾ ٥٨ . . . . . ٩٦ ، ١٩١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ . . . تَأْوِيلًا ﴾ ٥٩ . . ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٨
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا . . . تَسْلِيمًا ﴾ ٦٥ . . . . . ١٧١
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ . . . مِنْهُمْ ﴾ ٨٣ . . . . . ١٤٦
﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ . . . وَأَنفُسِهِمْ ﴾ ٩٥ . . . . . ٧٠
﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ٱللَّهِ ﴾ ١٠٠ . . . . . ٤٣٦
﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ . . . خَبِيرًا ﴾ ١٣٥ . . . . . ١٩٢
﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . . . سَبِيلًا ﴾ ١٣٨ ـ ١٤٣ . . . . ٦٣٦
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ . . . وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ ١٦٣ . . . . . ٦٠٣

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ
... شَهِيدًا﴾ ١٦٦ ..... ٣٩٢
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ
... مُّسْتَقِيمًا﴾ ١٧٥ ..... ٦٣٥

(٥) سورة المائدة

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ ... دِينًا ﴾ ٣ ..... ١٨٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ ... تَعْمَلُونَ ﴾ ٨ ..... ١٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ...
عَنكُمْ ﴾ ١١ ..... ٣٩٢
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ... بِذُنُوبِكُم ﴾ ١٨ ..... ٣٩٢
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ... وَلَا نَذِيرٍ ﴾ ١٩ ..... ٣٩٣
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى ... ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٢٨ .... ٢٠١ ، ٦٢٠
﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ... ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٢٩ ..... ٦٢٠
﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ... ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ ٣٠ ـ ٣١ ..... ٦٢٠
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... عَظِيمٌ ﴾ ٣٣ ..... ٦٢٣
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ ... رَّحِيمٌ ﴾ ٣٤ ..... ٦٢٤
﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ٤٩ ..... ٣٩٤
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن ... ٱلنَّاسِ ﴾ ٦٧ ١٨٧ ، ٦٤٢ ، ٧١٥
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ... يَقْتُلُونَ ﴾ ٦٨ ـ ٧٠ ..... ١٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ... وَلَعِبًا ﴾ ٥٧ ..... ٣٩٤
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ... ٱلسَّبِيلِ ﴾ ٧٧ ..... ١٧٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ... مُّنتَهُونَ ﴾ ٩٠ ـ ٩١ ..... ٦٤٣
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ... ٱلْمُبِينُ ﴾ ٩٢ ..... ٢٢
﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ ٩٩ ..... ٢٢
﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ... ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ١٠٧ ..... ٧٥

(٦) سورة الأنعام

﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ . . . وَٰحِدٞ﴾ ١٩ . . . . ٣٤٦ ، ٣٩٤

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ ٣٨ . . . . . ٦٤١

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ . . . تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٥٠ . . . . . ٦٣٤

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ ٥١ . . . . ٢٠١ ، ٣٤٦

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ . . . مُّبِينٖ﴾ ٥٩ . . . . . ٦٥٣

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ . . . مُّهۡتَدُونَ﴾ ٨٢ . . . . ٢٠٣ ، ٢١٨

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ . . . لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ ٩٠ . . . . . ٧١١

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ ٩٢ . . . . . ٣٤٦

﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ . . . تَزۡعُمُونَ﴾ ٩٤ . . . . . ١٩٩

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ . . . غُرُورٗاۚ﴾ ١١٢ . . . . . ١٧٧

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ . . . بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ١١٤ . . . . . ٦٣٣

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ ١١٦ . . . . . ١٧٥

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ . . . بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ ١١٧ . . . . . ٢٢

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ ١٢١ . . . . . ٣٤

﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ . . . رِسَالَتَهُۥۗ﴾ ١٢٤ . . . . ٢٨٠ ، ٢٨٥

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا . . . يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٢٦ . . . . . ٦٣٣

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ . . . تَخۡرُصُونَ﴾ ١٤٨ . . . . . ٦٥٢

﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ ١٥١ . . . . . ٢٠

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ . . . تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣ . . . . . ١٧٤

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ . . . ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ١٦٢ . . . . . ٢٠٢

(٧) سورة الأعراف

﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ . . . سَٰجِدِينَ﴾ ١١ ـ ١٧ . . . . . ٦٤٤

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ . . . ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ ٣١ . . . . . ١٨٧

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ . . . ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ ٣٢ . . . . . ١٨٧

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم . . . تَكۡسِبُونَ﴾ ٣٨ ـ ٣٩ . . . . . ٦٥١
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ . . .
تَعۡمَلُونَ﴾ ٤٢ ـ ٤٣ . . . . . ٦٣٨
﴿ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ . . . لِلۡمُتَّقِينَ﴾ ١٢٨ . . . . . ١٥٩
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ . . . ٱلۡمُنكَرِ﴾ ١٥٧ . . . ١٥٢ ، ٦٠٠
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ . . .
تَهۡتَدُونَ﴾ ١٥٨ . . . . ١٩ ، ١٥١
﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا . . . يَتَّقُونَ﴾ ١٦٤ . . . . . ١٥٢
﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ . . . شَهِدۡنَآ﴾ ١٧٢ . . . . . ٢٠
﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ . . .
ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ . . . . . ٦٥٤
﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا . . . يُؤۡمِنُونَ﴾ ١٨٨ . . . . . ٦٣٥ ، ٦٥٣

(٨) سورة الأنفال

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ . . . ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ ١٥ . . . . . ٢٠٩
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم . . .
ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ٣٨ . . . . . ٦٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ . . . تُفۡلِحُونَ﴾ ٤٥ . . . . . ٤٩٠
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ ٤٦ . . . . . ٤٩٠
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً . . . بِأَنفُسِهِمۡۙ﴾ ٥٣ . . . . . ١٥٨
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ . . . حَكِيمُۢ﴾ ٦٢ ـ ٦٣ . . . . . ٤٨٩

(٩) سورة التوبة

﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ ٣ . . . . . ١٢
﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ . . . مَرۡصَدٖۚ﴾ ٥ . . . . . ٨٢ ، ٥٠٧
﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ . . . ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ١٨ . . . . . ٤٣٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ . . . حَكِيمٌ ﴾ ٢٨ ..... ٦٣٦
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ٣٠ ..... ٣٨١
﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ٤١ ..... ١٥٤
﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا . . . ٱلْفِتْنَةَ ﴾ ٤٧ ..... ٧٨
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا . . .
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ٥١ ..... ٤٩٠
﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ
. . . مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ ٥٢ ..... ٤٩١ ، ٥٠٣
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ . . .
مُجْرِمِينَ ﴾ ٦٥ـ٦٦ ..... ٢١٥
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ . . . وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ ٧١ ..... ١٦١
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ . . . ٱلْعَظِيمُ ﴾ ٧٢ ..... ٥
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ . . . إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ ٧٤ ..... ٣٩٤
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ . . .
ٱلْعَظِيمُ ﴾ ١١١ ..... ٥٠١
﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ ١٢٠ ..... ١٥٤
﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ . . . يَحْذَرُونَ ﴾ ١٢٢ ٢١ ، ١٥٤ ، ١٥٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ . . . ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٣ ..... ٥٠٧
﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ . . . رَّحِيمٌ ﴾ ١٢٨ ..... ٢٧٩

(١٠) سورة يونس

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ . . . ٱلنَّاسَ ﴾ ٢ ..... ٦٠٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ٢٢ ..... ٤٩٠
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ . . . تَحْكُمُونَ ﴾ ٣٥ ..... ١٧٨

obeikandl.com

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ . . . لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٧ ..... ٦٤٢

(١١) سورة هود

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ . . . خَبِيرٍ﴾ ١ ..... ١٥١ ، ٦١٤
﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ . . . كَبِيرٍ﴾ ٢ ـ ٣ ..... ١٥١
﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ﴾ ١٢ ..... ١٤
﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ . . . أُنِيبُ﴾ ٨٨ ..... ٧ ، ٨١٥
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ . . . أَجْمَعِينَ﴾ ١١٩ ..... ٦٤٥

(١٢) سورة يوسف

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ . . . ٱلْقُرْءَانَ﴾ ٣ ..... ٦٠٤
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٥ ..... ٦٠٤
﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ . . . ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ٢٣ ..... ٦٢٧
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا . . . ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ٢٤ ..... ٦٢٧
﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ . . . عَظِيمٌ﴾ ٢٨ ..... ٦٢١
﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ . . . ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ٥١ ..... ٦٢١
﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ . . . قَبْلُ ۖ﴾ ٦٤ ..... ٢٠٤

(١٣) سورة الرعد

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ ١١ ..... ١٥٨
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا . . . ٱلْأَرْضَ ۚ﴾ ١٧ ..... ١٥٩
﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ . . . بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ ٣٠ ..... ٦٠٤
﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ ٤٠ ..... ١٦٦

(١٤) سورة إبراهيم

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ . . . ٱلْحَمِيدِ﴾ ١ ٣٢٥ ، ٦٣٢ ، ٦٤١
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ ٧ ..... ١٢

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ . . . وَعِيدِ ﴾ ١٤ ..... ٢٠١
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً . . . رَبِّهَا ﴾ ٢٤ ـ ٢٥ ..... ١٧٩
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ . . . ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ٥٢ ..... ٢١ ، ٦٤٧

(١٥) سورة الحجر

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ ٦ ..... ٦٥٠
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ٩ ..... ٦٠٧ ، ٦٥٤
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ . . . مَّسْحُورُونَ ﴾ ١٤ ـ ١٥ ..... ٦٤٩
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ . . . ٱلدِّينِ ﴾ ٢٨ ـ ٣٥ ..... ٦٥٩
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ٱدْخُلُوهَا . . . ٱلرَّحِيمُ ﴾ ٤٥ ـ ٤٩ ..... ٦٣٨
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ٧٥ ..... ٤٧١
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ٩٤ ... ١٦٦ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٧١٥
﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ ٩٥ ..... ٣٤٠

(١٦) سورة النحل

﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ٣٥ ..... ٢٢
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ٣٦ ..... ٢٠
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ . . . يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٤٤ ..... ٦٠٨
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ . . . يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٦٨ ـ ٦٩ ..... ٨١١
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ . . . تَخْتِلُونَ ﴾ ٩٠ ـ ٩٢ ... ٦٠٨
﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ ١٠٦ ..... ٣٥٥
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً . . . وَٱلْخَوْفِ ﴾ ١١٢ ..... ٢٠٣

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ . . . بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٥ . . . ٦ ، ٢١ ، ٦٣٣ ، ٦٤٣ ، ٧٢٢

(١٧) سورة الإسراء

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ . . . مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ . . . . . ٢٥

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن . . . غَفُورًا﴾ ٤٤ . . . . . ٢٠

﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ . . . عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ ٥٧ . . . . . ٢٠١

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ . . . ظَهِيرًا﴾ ٨٨ ٣٩٥ ، ٦٠٥ ، ٦٤٩

(١٨) سورة الكهف

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ . . . وَجْهَهُۥ ۖ﴾ ٢٨ . . . . . ٧٦٣

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ . . . أَمَلًا﴾ ٤٦ . . . . . ٧٣٤

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ . . . هُزُوًا﴾ ٥٦ . . . . . ١٧٧

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ . . . مَدَدًا﴾ ١٠٩ . . . . . ٦٣١

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ . . . أَحَدًۢا﴾ ١١٠ . . . . . ١٨٤

(١٩) سورة مريم

﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ ٩٧ . . . . ٣٤٦ ، ٦٣٢

(٢٠) سورة طه

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ قَالَ . . . كَثِيرًا﴾ ٢٤ ـ ٣٤ . . . . . ٣٢٢

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ . . . يَٰمُوسَىٰ﴾ ٣٥ ـ ٣٦ . . . . . ٣٢٣

﴿ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ ٥٤ . . . . . ٦٤٨

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ١١٤ . . . . . ٥٩٩

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ١٢٤ . . . . . ١١٨

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ . . . تَرْضَىٰ﴾ ١٣٠ . . . . . ٦

(٢١) سورة الأنبياء

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ . . . حَٰسِبِينَ ﴾ ٤٧ ..... ١٩٩
﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ ٤٩ ..... ٢٠٠
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ ٩٢ ..... ٧١٢
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ . . . ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ ١٠٥ .... ٥٩
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ١٠٧ .... ٢٧١ ، ٧١١
﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ ١٠٩ ..... ١٢

(٢٢) سورة الحج

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ . . . ٱلسَّعِيرِ ﴾ ٣ـ٤ ..... ١٧٧
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ . . . لَقَدِيرٌ ﴾ ٣٩ . ٩٠ ، ١٥٩ ، ٥٠٧
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ . . . عَزِيزٌ ﴾ ٤٠ . ٩٠ ، ١٥٩ ، ٥٠٧
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ . . . ٱلْأُمُورِ ﴾ ٤١ .... ٩١ ، ١٥٩ ، ٥٠٦ ، ٨٠٨
﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ ٧٧ ..... ١٩٥
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ٧٨ ..... ١٨٥

(٢٣) سورة المؤمنون

﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ ٧٠ ..... ٦٥١

(٢٤) سورة النور

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ . . . ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢ ..... ٦٢١ ، ٦٢٤
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ . . . ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ٤ ..... ٧٥
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ . . . رَّحِيمٌ ﴾ ٥ ..... ٦٢٤
﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ١١ ..... ٥٢٢
﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم . . . مُّؤْمِنِينَ ﴾ ١٥ ـ ١٧ ..... ٢٢٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى . . . تَعْلَمُونَ ﴾ ١٩ ..... ٢٥ ، ٢٢١

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ . . . وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ ٢١ ..... ١٨٨
﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ ٣٣ ..... ١١٨
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ . . . بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ ٢٣ ـ ٤٤ ..... ٦٥٣
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ . . . ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ٥٥ ..... ١٥٢

(٢٥) سورة الفرقان

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ . . . نَذِيرٗا﴾ ١ ..... ٦ ، ٦٤١
﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ . . . وَأَصِيلٗا﴾ ٥ ..... ٢٦٢
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ . . . وَنَصِيرٗا﴾ ٣٠ ـ ٣١ ..... ٦٤٥
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ . . . تَرۡتِيلٗا﴾ ٣٢ .... ٦٠٦ ، ٦٤٦
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ ٥٦ ..... ٦٤٦

(٢٦) سورة الشعراء

﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ وَتَذَرُونَ . . . عَادُونَ﴾ ١٦٥ ـ ١١٦ .... ٦٢٦
﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ ١٦٧ ..... ٦٢٦
﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ رَبِّ . . . يَعۡمَلُونَ﴾ ١٦٨ ـ ١٦٩ .... ٦٢٦
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ ٢١٤ .. ٢٨٧ ، ٣٢٤ ،
٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٤٢٨
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ٢١٥ ٣٢٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٦
﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ ٢١٦ ..... ٣٤٦

(٢٧) سورة النمل

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا . . . تَعۡمَلُونَ﴾ ٨٩ ـ ٩٠ ..... ٦٣٤
﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ . . . ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ ٩١ ـ ٩٢ . ١٦٤ ، ٦٣٤
﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ . . . تَعۡمَلُونَ﴾ ٩٣ ..... ٦٣٤

(٢٨) سورة القصص

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا . . . مُّبِينٞ﴾ ١٥ .... ٦٢٠ ، ٦٢٨
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ﴾ ١٦ .... ٦٢٠ ، ٦٢٤

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ ١٨ ..... ٦٢١
﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ ... ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٢١ ..... ٦٢١
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ... بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ٥٦ ..... ٢٢

(٢٩) سورة العنكبوت

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٣٥ ..... ٤٧٢
﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي ... مُّسْلِمُونَ ﴾ ٤٦ ..... ٦٤٤
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ
... ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ ٤٨ ..... ٦٠١

(٣٠) سورة الروم

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ... مُحْضَرُونَ ﴾ ١٤ـ١٦ ..... ٢٠٠
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... يَعْقِلُونَ ﴾ ٢١ـ٢٤ .... ٦٣٧
﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ ... ٱلْقَدِيرُ ﴾ ٥٤ ..... ٦٧٥

(٣٢) سورة السجدة

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ ... يَعْمَلُونَ ﴾ ١٥ـ١٧ ..... ٦٣٦
﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ ١٨ ..... ٧٠

(٣٣) سورة الأحزاب

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ... ٱلسَّبِيلَ ﴾ ٤ ..... ٦٢٩
﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن ... رَّحِيمًا ﴾ ٥ ..... ٦٣٠
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ٱلْءَاخِرَ ﴾ ٢١ .... ١٦٦ ، ٤٣٢
﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ ... تَبْدِيلًا ﴾ ٢٣ ..... ٤٨٩
﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ٤٠ ..... ٢٧١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ... مُّنِيرًا ﴾ ٤٥ـ٤٦ ..... ٦٤٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ .... وَجِيهًا ﴾ ٦٩ ..... ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٣٤) سورة سبأ

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا . . . لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ٢٨ ..... ١٦٥

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ . . . مُؤۡمِنِينَ﴾ ٣١ ..... ٦٥١ ـ ٦٥٢

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ . . . يَعۡمَلُونَ﴾ ٣٢ ـ ٣٣ ... ٦٥٢

(٣٥) سورة فاطر

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ٢٨ ..... ٥٩٩

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا . . . ٱلۡكَبِيرُ﴾ ٣٢ ..... ١٦٠

(٣٦) سورة يسٓ

﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ ٦ ..... ٣٤٦

﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ . . . مُّبِينٞ﴾ ٦٩ ..... ٦٠٢

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن . . . تُوقِدُونَ﴾ ٧٨ ـ ٨٠ ..... ٣٥٤

(٣٧) سورة الصافات

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ ٣٦ ..... ٦٥٠

﴿ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . . . صَٰدِقِينَ﴾ ١٥٤ ـ ١٥٧ .... ١٧٨

(٣٨) سورة صٓ

﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ ٢٤ ..... ١٢٥

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ . . . ٱلۡهَوَىٰ﴾ ٢٦ .... ١٠٥ ، ٦٥٢

﴿ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ . . . ٱلنَّارِ﴾ ٥٩ ـ ٦٠ ..... ٦٥١

(٣٩) سورة الزمر

﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ ٩ ..... ١٩٦

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا . . . هَادٖ﴾ ٢٣ ..... ٦٣٣

﴿ ۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ . . . جَآءَهُۥٓۚ﴾ ٣٢ ..... ٢٤

﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ . . . ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ ٣٣ ..... ٢٤

﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ . . . ٱلرَّحِيمُ﴾ ٥٣ ..... ٦٤٥

﴿ وَسِيقَ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . . . ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ ٧٣ ـ ٧٤ . . . . . ٦٣٨

(٤٠) سورة غافر

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ . . . لِّلْعِبَادِ﴾ ٣٠ ـ ٣١ . . . . . ٢٠١
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . . ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ٥١ . . . . . ٤٤٦
﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا . . . حِسَابٍ﴾ ٤٠ . . . . . ٦٤٦

(٤١) سورة فصلت

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . . . عَٰمِلُونَ﴾ ١ ـ ٥ . . . . . ٣٥٩
﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ . . . وَثَمُودَ﴾ ١٣ . . . . . ٣٥٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ . . . تَحْزَنُوا۟﴾ ٣٠ . . . . . ٢٠٤
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ . . . ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٣ . . . . . ١٦٧
﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ٣٤ . . . . . ٦٤٦
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ . . . حَمِيدٍ﴾ ٤٢ . . . . . ٦١٣
﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ . . . أَلِيمٍ﴾ ٤٣ . . . . . ٦٤٥

(٤٢) سورة الشورى

﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ٧ . . . . . ٣٢٥
﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ ١٣ . . . . . ٦٤٦
﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ . . . بَيْنَهُمْ﴾ ١٤ . . . . . ١٧٨
﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ١٥ . . . . ١٧٨ ، ٦٥٢
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ٣٨ . . . . . ٩٢ ، ١٩٠
﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ . . . ٱلْبَلَٰغُ﴾ ٤٨ . ١٤ ، ١٦٦ ، ٦٣٣
﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ . . . . . ٢٢
﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى . . . ٱلْأُمُورُ﴾ ٥٣ . . . . . ٢٢

(٤٣) سورة الزخرف

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ . . . مُّسْتَمْسِكُونَ﴾ ٢٠ ـ ٢١ . . . . . ٦٥١

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ . . . مُّهْتَدُونَ ﴾ ٢٢ .... ١٧٨ ، ٦٥١
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ . . . كَٰفِرُونَ ﴾ ٢٣ ـ ٢٤ .... ٦٥١
﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ . . . عَظِيمٍ ﴾ ٣١ ..... ٣١٧

(٤٥) سورة الجاثية

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ . . . يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ١٣ ..... ٦٠٠
﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ . . . يَظُنُّونَ ﴾ ٢٤ ..... ٦٥٢

(٤٧) سورة محمد

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ . . . أَقْدَامَكُمْ ﴾ ٧ ..... ٤٩٠

(٤٨) سورة الفتح

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ . . . قَرِيبًا ﴾ ١٨ ..... ٥٠٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ . . . بَصِيرًا ﴾ ٢٤ ..... ٤٤٤

(٤٩) سورة الحجرات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ . . . نَٰدِمِينَ ﴾ ٦ ..... ١٧٥ ، ٨٠٧
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ . . . ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ٩ ..... ١٥٦
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ . . . تُرْحَمُونَ ﴾ ١٠ .... ١٥٦ ، ٧١٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا . . . إِثْمٌ ﴾ ١٢ ..... ١٧٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ . . . أَنقَىٰكُمْ ﴾ ١٣ .... ٥٠٥ ، ٧٢١

(٥٠) سورة قٓ

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ . . . شَهِيدٌ ﴾ ٣٧ ..... ٤٦

(٥١) سورة الذاريات

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ٥٦ ..... ٥٨

(٥٣) سورة النجم

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ . . . ٱلْهُدَىٰ ﴾ ٢٣ ..... ٦٥٢

(٥٤) سورة القمر

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ ١٧ ..... ٦٣٢

(٥٧) سورة الحديد

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ ٧ ..... ١١٩

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ . . . بِٱلْقِسْطِ ﴾ ٢٥ ..... ١٧٩

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا . . . فَٰسِقُونَ ﴾ ٢٧ ..... ٧١٦

(٥٨) سورة المجادلة

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا . . . أَلِيمٌ ﴾ ١ ـ ٤ ..... ٦٠٩

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ . . . دَرَجَٰتٍ ﴾ ١١ ..... ١٩٦

(٥٩) سورة الحشر

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ . . . ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ ٨ .. ٣٧٧ ، ٧١٤

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ . . . ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ٩ ... ٣٧٧ ، ٧١٤

(٦٢) سورة الجمعة

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ . . . مُّبِينٍ ﴾ ٢ ..... ٤٢٧

(٦٣) سورة المنافقون

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ . . . يَعْمَلُونَ ﴾ ١ ـ ٢ ..... ١٧٦

﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ ٤ ..... ٣٧

(٦٦) سورة التحريم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ . . . مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ٦ ..... ٧٣٤

(٦٧) سورة الملك

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا . . . ٱلسَّعِيرِ ﴾ ١٠ ..... ٦٤٨

(٦٨) سورة القلم

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ١ ـ ٢ .... ٢٧٦ ، ٥٩٩

obeikandl.com

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ٣ ..... ٢٧٦
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ . ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٦٤٥

(٦٩) سورة الحاقة

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤ ..... ٢٤
﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ ٤٥ ..... ٢٤
﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ٤٦ ..... ٢٤

(٧٠) سورة المعارج

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩ ..... ٦٥٦
﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ٢٠ ..... ٦٥٦
﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٢١ .... ٦٥٦ ، ٦٥٧
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ٢٢ ـ ٢٣ ..... ٦٥٨

(٧١) سورة نوح

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ ١٠ ..... ١٥١
﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ ١١ ..... ١٥١
﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ . . . أَنْهَٰرًا﴾ ١٢ .... ١١٨ ، ١٥١

(٧٢) سورة الجن

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ ١ ـ ٢ ..... ٦٠٥
﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ ٢٣ ..... ١٣

(٧٣) سورة المزمل

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ ٤ ..... ٦٠٧
﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ٥ ..... ٢٧١

(٧٤) سورة المدثر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ١ ـ ٢ .... ١٦٦ ، ٧١٥

(٧٥) سورة القيامة

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . . . بَيَانَهُۥ﴾ ١٦ ـ ١٩ . . . . . ٦٠٧

(٧٩) سورة النازعات

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ . . . وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ ٢٧ ـ ٣٣ . . . . . ٦٥٩

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى . . . ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ٤٠ ـ ٤١ . . . . . ٢٠١

(٨١) سورة التكوير

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ٢٧ . . . . . ١٦٦

(٨٨) سورة الغاشية

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . . . سُطِحَتْ﴾ ١٧ ـ ٢٠ . . . . . ٤٢٩

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ٢١ ـ ٢٢ . . . . . ٦٤٢

(٩٥) سورة التين

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا . . . ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ ١ ـ ٨ . . . . . ٦٥٩

(٩٦) سورة العلق

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ . ١٩٦ ، ٣١٤ ، ٥٩٧

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ . . . . . ٣١٤ ، ٥٩٧

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ ٣ . . . . . ٥٩٧ ، ٥٩٨

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ ٤ . . . . . ٥٩٧ ، ٥٩٨

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥ . . . . . ٥٩٧ ، ٥٩٨

(٩٧) سورة القدر

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ . . . ٱلْفَجْرِ﴾ ١ ـ ٥ . . . . . ٥٩٧

(١٠٠) سورة العاديات

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٨ . . . . . ١١١

(١٠٣) سورة العصر

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ١ ـ ٢ ..... ٦٥٥

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... بِٱلصَّبْرِ﴾ ٣ ..... ٦٥٥ ، ٦٥٦

(١٠٦) سورة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ ١ ـ ٢ .... ٢٠٣ ، ٢٤٧

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ ٣ .... ١٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٤٤٤

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ ٤ .... ١٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٤٤٤

(١١٠) سورة النصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ... تَوَّابًۢا﴾ ١ ـ ٣ ..... ٤٠٩

(١١١) سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ١ .... ٣٤٦ ، ٤٢٨٢

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ ٢ ..... ٤٢٨

(١١٢) سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ... أَحَدٌۢ﴾ ١ ـ ٤ ..... ٤٢٩

* * *

obeikandl.com

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	رقم الصفحة
ـ آ ـ	
ـ آمركم بأربع: بالإيمان بالله وحده، وإقام....	٤١٣
ـ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد...	٧٤
ـ أ ـ	
ـ أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد...	٣٥٢، ٣٥٣
ـ اجتنبوا السبع الموبقات...	٢٠٨
ـ اجلس فقد آذيت وآنيت	٥٢٨
ـ إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع	٥٢٧
ـ إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل	٥٢٧
ـ إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع	٥٢٨
ـ أرأيتم لو أخبرتكم أن فيلاً بسفح الجبل	٢٨٧
ـ أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه	٦٩
ـ ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري	٣٣٥
ـ أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك	١٤٣
ـ ألا إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم	٦٠٥
ـ إلا محدوداً في فرية	٧٥
ـ أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي	٣٠
ـ أما بعد، فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول	١٤٣
ـ أما والله إنكم لتعلمون أني رسول الله إليكم	٣٩٢

obeikandl.com

ـ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ٥٨
ـ إن ابني هذا سيد ، ولعل الله تعالى أن يصلح به ١٥٦
ـ إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ٦٤٨
ـ إن أَمَنَّ الناس يحل في صحبته وماله أبو بكر ٣٢٩
ـ إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من ٣٧١
ـ إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس ٣٤٤
ـ أن رسول الله ﷺ رد شهادة الخائن والخائنة ٧٥
ـ إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان ٤٢٣
ـ إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت ٥٢٩
ـ إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديياركم ٣٧٩
ـ إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ٣٨٤
ـ إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له ٨٠٧
ـ إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ٤٤٠
ـ إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ٩١
ـ إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ٢٨٣
ـ أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر ٤٣٠
ـ إن هذا الرجل هو رجل غادر ٤٥٧
ـ إن هذا القرآن أنزل آمراً وزاجراً وسنة خالية ٦٣٢
ـ إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا ٢٦٠
ـ إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي ..... ٤٦٢ ، ٤٦٥
ـ أنا أعربكم ، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد ٢٩٥
ـ أنا أعربكم ، أنا من قريش واسترضعت في بني سعد ٣١٩
ـ إنا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا لنطوف ٤٤٩
ـ أنا النبي ٣٣٦
ـ أنتم خير أهل الأرض ٥٠٠
ـ إنها لرؤية حق إن شاء الله ٣٨٠

- إني أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت في غنمك ٣٠
- إني خشيت على نفسي أن أكون شاعراً ٢٨١
- إني رسول الله أدعوك إلى الله ٣٢٩
- إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أجدها إلا يثرب ٣٣٥
- إني نهيت أن أمشي عرياناً ٢٨٢
- إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً ، وإنما ١٢٢
- إني والله لا أعطي أحداً ، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت ١٤٣
- أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ٣١٣
- ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين ٣٨٨
- أي رجل ابن سلام فيكم؟ ٣٨٣
- أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ ٣٤٥
- أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج ٤٠٨
- أيها الناس، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن ٣٧١
- أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ٣٢

- ب -

- باسمك اللهم ، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله ٤٠٤
- بعثت إلى الناس كافة ، فإن لم يستجيبوا لي فإلى العرب ٣٢٤
- بكيت من صنيع عمران ، دخل حصين وهو كافر ٣٦٣
- بلِّغوا عني ولو آية ..... ٢١ ، ١٦٠

- ت -

- تآخوا في الله ، أخوين أخوين ..... ٣٧٦ ، ٣٧٨
- ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ٩١

- ج -

- جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ٦٣

- ح -

- حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ٥٩

obeikandl.com

ـ حق المسلم على المسلم خمس ٦٥
ـ الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله ٤٢٤
ـ د ـ
ـ دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج ٣١١
ـ الدين النصيحة ..... ٦٥ ، ١٠٨
ـ س ـ
ـ السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ١٠٨
ـ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها ٦١
ـ ص ـ
ـ صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة ٣٥٥
ـ صبراً آل ياسر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت ٣٥٥
ـ صلوا كما رأيتموني أصلي ٦٢
ـ ع ـ
ـ عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره ٣٤١
ـ عليك بالرفق والقول السديد ولا تكن فظاً ٣٣٨
ـ غ ـ
ـ الغضب من الشيطان والشيطان خلق من نار ٢٠٢
ـ غِفَار غفر الله لها وأسْلَم سالمها الله ٣٣٥
ـ ف ـ
ـ فإن فعلوا فأخبرهم فإن أطاعوك فخذ منهم ٢٧
ـ فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ٥٩٧
ـ ق ـ
ـ قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ١٨٤
ـ قد أبدلكم الله خيراً منهما : يوم الفطر ويوم الأضحى ٢٥٥
ـ قد سبقك بذلك الوحي ٣٨١
ـ قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك ٣٦١

ـ قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك ٤١٥
ـ قل يا أبا الوليد أسمع ٣٥٩
ـ قم فاركع ٥٢٧
ـ قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال ٤١١
ـ قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه ٤٣٩

ـ ك ـ

ـ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه ..... ٨٩ ، ٩٦
ـ كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ٧٩
ـ كلكم راع فمسؤول عن رعيته ..... ١٠٥ ، ١٢٩ ، ١٥٤
ـ كلكم راع ومسؤول عن رعيته ١٧٠
ـ كنت أنبل على أعمامي ٢٩٤
ـ كيف تجد قلبك؟ ٣٥٥

ـ ل ـ

ـ لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره ١٢٥
ـ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم ٢١
ـ لتأخذوا مني مناسككم ٦٢
ـ لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى ٤١٦
ـ لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ٢٨٢
ـ لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان ٢٩٥
ـ لقد كان مَنْ قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ٣٥٦
ـ لن تراعوا لن تراعوا ٢٧
ـ لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل ١٥٣
ـ الله لا إله إلا هو بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو ٣٩٤
ـ اللهم اكفني عامراً ٤١٢
ـ اللهم إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله ٥٠١
ـ اللهم اهد دوساً. ارجع إلى قومك ٣٣٣

- ليبلغ الشاهد الغائب ورُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع ٨٠٧
- لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم إلى السماء في الصلاة ٥٣١

- م -

- ما أحب أني لم أكن ٢٩٤
- ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم ٢٩٣
- ما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ٣٦٨
- ما بعثت إليكم من الله ، إنما جئتكم من الله ٣٦٦
- ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ٣٦٥
- ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ... ٤٣٩ ، ٤٤٠
- ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ٣٢٦
- ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحته ..... ٩١ ، ١٢٩
- ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه ١١٩
- ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ٢٨٤
- المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ١٩٤
- المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدوداً ..... ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥
- معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة ٤٢٥
- من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول ١٧٦
- من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل ١٧٦
- من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله ١٣٣
- من أصبح آمناً في سربه معافى في جسده ٢٠٧
- من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له ٤٣٥
- من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار ٣٠
- من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ١٠٩
- من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ٢١
- من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ..... ٦٣ ، ١٥٧
- من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار ..... ١٥٥ ، ١٩٦

ـ من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار ٨٠٧
ـ من قتل دون ماله فهو شهيد ٥٠٧
ـ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ٤٠٥
ـ من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك ٤٠٤
ـ من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ..... ٣٩٩ ، ٦٤٢
ـ من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن كلال ونعيم ٤١٨
ـ من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ٤٠٣
ـ من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك ٤٢٠
ـ من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين إن ٤٠٦
ـ من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو ٧٥
ـ من ولى رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة ٧٥
ـ من ولي يتيماً له مال فليتجر له ١٢٠

ـ ن ـ

ـ الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار ١٤٠
ـ نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وبلغها كما سمعها ٢١
ـ نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ٦١
ـ نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ٣٥٣
ـ نعم أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير ٤١٤

ـ هـ ـ

ـ هذا كتاب من محمد لبني ضمرة بأنهم آمنون ٤٠٥
ـ هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش . ٣٧٢
ـ هلموا إلي ثوباً ٢٧٨

ـ و ـ

ـ والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل ١٨٥
ـ والذي نفس محمد بيده لا تدعون قريش اليوم إلى خطة ٤٤٠
ـ ورجل قلبه معلق في المساجد ٤٣٥

obeikandl.com

- ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ١٥٧
- وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ٦٣
- وما يمنعني وأنا من قريش ورضعت في بني سعد ٢٩٧
- ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ٦٦
- ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ٦٠

- لا -

- لا أُكره منكم أحداً على شيء من رضي الذي ٢٥٧
- لا ألفين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته شاة ١٤٢
- لا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا ننتفين من أبينا ٤١٧
- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم ٨١
- لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم ١٧٥
- لا تمسه ٢٧٥
- لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً ١٥٥
- لا ضرر ولا ضرار ..... ١٩٢ ، ١٩٣
- لا نبرح حتى نُناجِز القوم ٥٠٠
- لا يحتكر إلا خاطئ ١٣٠
- لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق ٧٧
- لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ٤٠٧

- ي -

- يا أيها الناس ، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ..... ٢٥٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
- يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً من العرب ٣٤٣
- يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي ، أرأيتم .. ٢٨٧ ، ٣٤٦
- يا بني فهر ، يا بني عدي ، أرأيتكم لو أخبرتكم ٤٢٨
- يا بني فهر ، يا بني نوفل ، يا بني عبد شمس ، لو أخبرتكم ٢٤
- يا حصين ، كم تعبد من إله ٣٦٣

obeikandl.com

ـ يا علي ، إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين ٣٤٢
ـ يا عمرو بن مرة ، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ..... ٣٠٨ ، ٣٣٧
ـ يا معشر قريش ، اشتروا لأنفسكم لا أغني عنكم من الله ... ٣٢٤ ، ٤٢٨
ـ يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ..... ٣٢٤ ، ٣٤٧
ـ يا معشر المسلمين ، الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ... ٣٩٠
ـ يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فو الله إنكم ٣٩١
ـ يا معشر يهود ، أخرجوا إليّ علماءكم ٣٩٣
ـ يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب ٣٨٩
ـ يسِّرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، تطاوعا ، و لا تختلفا ٦٤٤
ـ يقول الله : أنا ثالث الشريكين ١٢٥

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس القوافي الشعرية

القافية	الشاعر	رقم الصفحة
	ـ قافية الدال ـ	
صلددِ	مالك بن نمط	٤٢١
قرددِ	مالك بن نمط	٤٢١
مهتدي	مالك بن نمط	٤٢١
محمَّدِ	مالك بن نمط	٤٢١
المهنَّدِ	مالك بن نمط	٤٢١
	ـ قافية الراء ـ	
الموفورُ	ـ	٢٤٥
خفيرُ	ـ	٢٤٥
سابورُ	ـ	٢٤٥
مذكورُ	ـ	٢٤٥
الخابورُ	ـ	٢٤٥
وكورُ	ـ	٢٤٥
مهجورُ	ـ	٢٤٥
السديرُ	ـ	٢٤٥
يصيرُ	ـ	٢٤٥
	ـ قافية العين ـ	
البيعُ	الزبرقان بن بدر	٤١١

obeikandl.com

تتبعُ حسان بن ثابت ٤١١
يصطنعُ حسان بن ثابت ٤١١
نفعوا حسان بن ثابت ٤١١
البدعُ حسان بن ثابت ٤١١
تبعُ حسان بن ثابت ٤١١
الشيعُ حسان بن ثابت ٤١١

ـ قافية الكاف ـ

تاركِ ـ . . . . . ٣٠٩ ، ٣٣٧
الدكادكِ ـ . . . . . ٣٠٩ ، ٣٣٧
الحبائكِ ـ . . . . . ٣٠٩ ، ٣٣٧
حلالكْ ـ ٢٩٧
محالكْ ـ ٢٩٧
لكْ ـ ٢٩٧

ـ قافية اللام

أحوالا ـ ٢٤٦
سالا ـ ٢٤٦
المالا ـ ٢٤٦
أجيالا ـ ٢٤٦
صالا ـ ٢٤٦
أمثالا ـ ٢٤٦
أشبالا ـ ٢٤٦
محلالا ـ ٢٤٦
إسبالا ـ ٢٤٦
الفضلُ حسان بن ثابت ٤٠٨
أهلُ حسان بن ثابت ٤٠٨
عدلُ حسان بن ثابت ٤٠٨

obeikandl.com

حصلُوا حسان بن ثابت ٤٠٨
خذلوا حسان بن ثابت ٤٠٨
دخلُ حسان بن ثابت ٤٠٨
عدلوا حسان بن ثابت ٤٠٨
عجلوا حسان بن ثابت ٤٠٨
الأولُ حسان بن ثابت ٤٠٨
أتصلُ حسان بن ثابت ٤٠٨
قتلوا حسان بن ثابت ٤٠٨
هلالِ أبو قيس بن قيس الأنصاري ٣٨١
بضلالِ أبو قيس بن قيس الأنصاري ٣٨١
الأبابيلِ معبد ٤٨٣
معازيلِ معبد ٤٨٣
مخذولِ معبد ٤٨٣
بالجيلِ معبد ٤٨٣
معقولِ معبد ٤٨٣
بالقيلِ معبد ٤٨٣

ـ قافية الميم ـ

التعليمُ ـ ٣٣
سقيمُ ـ ٣٣
حكيمُ ـ ٣٣
حذامُ ـ ٤٩٥
تعلمِ ـ ٤٥
ألمِ حسان بن ثابت ٤٠٩
الظلمِ حسان بن ثابت ٤٠٩
أقمِ حسان بن ثابت ٤٠٩
قيمِ حسان بن ثابت ٤٠٩

فاحتكمِ حسان بن ثابت ٤٠٩
تحتشمِ حسان بن ثابت ٤٠٩
تستعجمِ حسان بن ثابت ٤٧٢
المتهدمِ حسان بن ثابت ٤٧٢

ـ قافية النون ـ

مغلبينا فروة بن مسيك ٤١٦
بقينا فروة بن مسيك ٤١٦
طحينا رزق الله حسون ٧٤٨
المجرمونا رزق الله حسون ٧٤٨
دفينُ ـ ٧٨٦
الصلبانِ إيليا أبو ماضي ٧٤٨

ـ قافية الهاء ـ

بأحلاسها ـ ٣٠٤
كأنجاسها ـ ٣٠٤
بنوهُ ـ ٢٧٤
مقلدوهُ ـ ٢٧٤
أدبوهُ ـ ٢٧٤
أبوهُ ـ ٢٧٤
أحلّهْ ـ ٢٨٣

ـ قافية الياء ـ

أسماعي أبو قيس بن الأسلت السلمي .. ١٣
مواتيا أبو قيس بن قيس الأنصاري . ٣٨١
راضيا أبو قيس بن قيس الأنصاري . ٣٨١
باديا أبو قيس بن قيس الأنصاري . ٣٨١
المناديا أبو قيس بن قيس الأنصاري . ٣٨١

* * *

obeikandl.com

فهرس القبائل والأمم والفِرَق والمذاهب

الاسم	رقم الصفحة

ـ آ ـ

آل فرعون ٦٢٠
آل ياسر ٣٥٥

ـ أ ـ

الأحباش . ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٩٨
الأخلاف ٢٤٥
الأزد ..... ٤١٧ ، ٤٢٢
الإسرائيليون ..... ٥٥٠ ، ٥٩٢ ، ٧٤١ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤
أسلم ..... ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٤٢٣ ، ٤٣٩
الإغريق ..... ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٨٠٤
الأقباط ٥٥٠
الألمانيون ٥٨٣
الأمريكيون ٤٨٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٧٠٩ ، ٧٣٨ ، ٧٦٧ ، ٧٩٥ ، ٨٠٩
الأمويون ٥٣٧
الأنباط ٢٦٩

obeikandl.com

الأنصار .. ٩٦ ، ١٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٤٢٤ ، ٥٠٦ ، ٥٢١ ، ٧١٤
أهل السنة والجماعة ..... ٥٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢
الأوربيون ..... ٥٨٧ ، ٧٢٠ ، ٧٦٧ ، ٧٩٥
الأوزبيك ٧٧٧
الأوس ..... ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٥١٩
إياد ٢٤٤
الإيرانيون ٧٩٥
الإيطاليون ٥٦٩

- ب -

البابليون ..... ٢٣٨ ، ٢٤٣
البصريون ٦٠١
البلاشفة ٢٤٤
بلي ..... ٤١٥ ، ٤٢٢
بنو أسد ..... ٢٩٦ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣
بنو إسرائيل ..... ٨٩ ، ٩٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣٩٣ ، ٤٣٩
بنو الأصفر ..... ٢٤٥ ، ٤٠٣
بنو الأوس ٣٧٣
بنو البكير ٣٧١
بنو تميم ..... ٣٠٨ ، ٤٢٣
بنو تيم بن مرة ..... ٢٩٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
بنو ثعلبة ٣٧٥
بنو جحش ٣٧١
بنو جديس ..... ٤٩٤ ، ٤٩٥
بنو جذام ٣٩٧
بنو جشم ٣٧٣

obeikandl.com

بنو جهينة ٤٩٥
بنو الحارث ٣٧٣
بنو الحارث بن كعب ..... ٤١٩ ، ٤٢٠
بنو الحارث بن مناة بن كنانة ٤٦٢
بنو حنظلة ٤٢٣
بنو حنيفة ٤١٤
بنو الديل ٣٤٨
بنو ذبيان ٤٢٣
بنو زهرة ٢٩٥
بنو ساعدة ٣٧٣
بنو سعد ٤٢٣
بنو سعد بن بكر ..... ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣١٩
بنو سعد بن هذيم بن قضاعة ٤٢٢
بنو سلمة ٥٠٣
بنو سهم ٣٠٢
بنو الشطيبة ٣٧٥
بنو شيبان ٢٦٣
بنو ضمرة ٤٠٥
بنو عامر ٤١٢
بنو عامر بن لؤي ..... ٤٤٩ ، ٤٥٦
بنو عبد الدار ٢٧٨
بنو عبد شمس ..... ٢٤ ، ٣٢٤
بنو عبد القيس ٣٩٨
بنو عبد المطلب . ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
بنو عبد مناف ..... ٣٢٤ ، ٣٥١ ، ٤٢٨

obeikandl.com

بنو عدي بن كعب بن لؤي ..... ٢٧٨، ٤٢٨
بنو عذرة ٤٩٥
بنو علاج ٣٠٢
بنو عمرو بن عوف ٣٧٣
بنو عوف ٣٧٣
بنو غفار ..... ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٤٢٣
بنو فزارة ٤٢٢
بنو فهر ..... ٢٤ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ، ٣٤٦ ، ٤٢٨
بنو قريظة ..... ٢٦٦، ٣٠٤، ٣٠٥
بنو قيلة ٣٩٠
بنو قينقاع ٢٦٦
بنو كعب ٤٢٣
بنو كنانة ..... ٤٥٠ ، ٤٦٢
بنو لؤي ..... ٢٨٧ ، ٣٤٦
بنو مالك بن حطيط بن جشم ٤٩٣
بنو مخزوم ٣٥٥
بنو المصطلق ٥٢١
بنو مظعون ٣٧١
بنو المنتفق ٤٢٢
بنو النبيت ٣٧٣
بنو النجار ٣٧٣
بنو النضر بن كنانة ٤١٧
بنو النضير ..... ٢٦٦ ، ٣٧٩ ، ٣٩٢
بنو نوفل ..... ٢٤ ، ٣٢٤
بنو هاشم ..... ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٢٤ ، ٣٤١
بنو هدل ٣٠٤

obeikandl.com

بهراء ٤٢٢
البوذيون ..... ٢٤٠ ، ٥٥٢

- ت -

التتار ..... ٥١٣ ، ٧٧٧
الترك ..... ٥١٣ ، ٥٣٩ ، ٧٤٨
تميم ..... ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١
تنوخ ٢٤٥

- ث -

ثقيف ... ٣٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧

- ج -

جديلة ٢٧٧
جذام ٤٦٧
جفنة ٣٧٥
جنب ٣٠٢
الجهمية ..... ٦٨ ، ٧٣
جهينة ..... ٣٠٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٤٢٣

- ح -

الحمس ..... ٢٧٧ ، ٢٨٣
حمر ..... ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٦٧ ، ٤٩٥
حولة طيء ٢٥٦

- خ -

خثعم ٤١٨
خزاعة ..... ٢٨٤ ، ٤٢٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٤٦١
الخزرج .. ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٣٣ ، ٥١٩
خندف ٣٠٨

obeikandl.com

الخوارج ..... ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨
خولان ٤٢٢

- د -

دوس ..... ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٤٢٠

- ر -

الرافضة ٧٣
الروس ..... ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٦٩٩ ، ٧٢١ ، ٧٤٨
الروم .... ٣١ ، ١٥٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٧٩١

- ز -

زبيد ٤١٧
الزرادشتية ٢٤٥

- س -

سعد بن بكر ٤١٢
سلامان ٤٢٢
السوفيات ..... ٧٧٨ ، ٧٨٤

- ش -

الشيعة ٥٣٧
الشيوعيون ٧٠٩

- ص -

الصابئة ٢٤٥
صداء ٤٢٢
الصليبيون ٥٣٩
الصينيون ..... ٦٩٧ ، ٦٩٩

obeikandl.com

- ط -
الطروادیون ٤٨٣
طيء ..... ٤١٥ ، ٤٢٣
- ع -
عامر ٤٢٢
عامر بن لؤي ٤٧٩
العامريون ٤١٢
العباد ٢٤٥
عبد القيس ..... ٤١٣ ، ٤١٤
عبس ٤٢٢
العثمانيون ٧٤٥
العجم ..... ٣٢ ، ١٥٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥
عذرة ٤٢٢
العرب ٣٢ ، ٩٦ ، ١٥٢ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٨٤ ، ٤٩١ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٧٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٧ ، ٧٤١ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٦٢ ، ٧٨٠ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٣
عيلان ٢٩٤

obeikandl.com

-غ-
الغساسنة ..... ٢٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣٠٨ ، ٤٢٢
-ف-
الفاطميون ٥٤٠
الفراعنة ٢٣٤
الفرس .. ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٤٠١ ، ٥٣٩
الفلسطينيون ..... ٥٥٠ ، ٥٦٥ ، ٥٨٠
فهر ٤١١
-ق-
القبط ٤٠٣
القدرية ..... ٥٧ ، ٧٣
القرشيون/ قريش ... ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤٢٨ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٢٢ ، ٦٠١ ، ٦٠٦
قضاعة ٤١٥
قيس ٢٩٤

obeikandl.com

- ك -
الكرَّامية ..... ٥٧ ، ٦٨
كعب بن لؤي ..... ٣٠٢ ، ٤٤٩ ، ٤٧٩
كلب ٢٥٦
الكلدانيون ٢٤٣
كنانة ..... ٢٧٧ ، ٢٨٣
كندة ..... ٤١٦ ، ٤١٧
- ل -
اللبنانيون ٥٦٥
لخم ..... ٣١٠ ، ٤٦٧
الليبيون ٧٨٣
- م -
الماركسيون ٧٢١
المانوية ٢٤٥
المجوس ٤٠٥
مجوس هجر ١٥٣
محارب ٤٢٢
مذحج ٤١٧
مراد ٤١٦
المرجئة ..... ٥٧ ، ٦٨
مزينة ٤٢٠
المسيحية ٢٤٥
المصريون ..... ٢٣٣ ، ٢٣٤
مضر ..... ٢٤٤ ، ٣٠٨
معد ٤٠٨
المعتزلة ..... ٥٧ ، ٦٨

obeikandl.com

المغول ..... ٥١٣ ، ٥٣٩
المهاجرون ٩٦ ، ٢٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٥٢١

- ن -

النخع ٤٢٢
النساطرة ٢٦٧
النصارى .. ٢٣ ، ١٧٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣٨٠ ،
٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٦٠٠ ، ٧١٦
نصارى نجران ٣٨٧
نهد ٤٦٧

- هـ -

همدان ..... ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠

- ي -

اليعاقبة ٢٦٧
اليمنيون ٢٦٩
اليهود ... ٢٣ ، ١٧٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٣٣ ،
٥١٩ ، ٥٤٧ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ،
٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ،
٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٩٢ ، ٦٠٠ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ،
٧٤٠ ، ٧٤٢ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ،
٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ،
٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٩٣ ، ٧٩٩ ، ٨٠٩
يهود بني الأوس ..... ٣٧٥ ، ٣٧٦

obeikandl.com

يهود بني ثعلبة ٣٧٥
يهود بني جشم ٣٧٥
يهود بني الحارث ٣٧٥
يهود بني ساعدة ٣٧٥
يهود بني عوف ..... ٣٧٤ ، ٣٧٥
يهود بني النجار ٣٧٥
يهود الدونمة ٧٤٩
يهود المدينة ٣٧٨
اليونانيون ٤٨٣

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

اسم الكتاب	المؤلف	رقم الصفحة
الأحكام السلطانية	الفراء	٨٧
الأحكام السلطانية	الماوردي	٨٧ ، ١٤٨
الإسلام والعولمة	د. عمر الحاجي	٥٥٣
الإمامة	سيف الدين الآمدي	٨٧
الإمبراطور تيمور	زاخوذير	٧٨١
الأيام	د. طه حسين	٧٨١
بروتوكولات حكماء صهيون	ـ	٢٤٣
تاريخ الطبري	الطبري	٣٢٨
التاريخ الماركسي	زاخوذير	٧٨١
تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة	أبو نعيم الأصبهاني	٨٧
تفسير ابن كثير	ابن كثير	٥١٩
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	٦٠٩
الجزيرة العربية	كلي	٧٩٤
جواسيس جدعون	جوردون توماس	٥٥٥
حزن الأرملة	فينكوف	٧٨١
الدولة السلجوقية	زاخوذير	٧٨١
روما القدس	موس هيس	٧٦٢
السنّة	عبد الله بن أحمد	٨٧

obeikandl.com

السنّة ابن مخلد الشيباني ٨٧
السنّة أبو بكر محمد بن هارون الخلال ٨٧
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ابن تيمية ٨٥
سيرة ابن هشام ابن هشام ..... ٢٦٢ ، ٢٨٠
السيرة الحلبية الحلبي ٣٢٤، ٤٦٧، ٤٩٨ ، ٥٠١
شرح مسلم النووي ٥٨
الشفا القاضي عياض ٣٢٣
صحيح البخاري البخاري ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٥٦
صحيح البخاري برواية المازني البخاري ٣٠
صحيح مسلم مسلم ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ٣٣٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩
صدام الحضارات هموِيل هانتجتون .. ٥٥٦ ، ٥٨٦
الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ابن القيم ٨٥
عادة الافتضاض في الجزيرة في الإسلام فينكوف ٧٨١
غياث الأمم في التياث الظلم أبو المعالي الجويني ٨٧
فجر الإسلام أحمد أمين ٢٦٥
كفاحي أدولف هتلر ٢٤٤
كليلة ودمنة ابن المقفع ٧٨١
مستقبل الثقافة في مصر طه حسين ٨٠٢
مسند الإمام أحمد أحمد بن حنبل ١٧٤
المعجم الكبير الطبراني ٥٣١
مغازي الواقدي الواقدي ..... ٤٤٠ ، ٤٥١
المغني والشرح الكبير ابن قدامة ٥٢٧
مقدمة ابن خلدون ابن خلدون ٩٣
الموجة الثالثة التحول الديمقراطي هموِيل هانتجتون ٥٨٥

النبوة والسياسة	جريس هاسل	٥٥٢
النظرية والتطبيق في الشيوعية	كاريوهنت	٧٨٤
نهاية التاريخ وخاتمة البشر	فرانيس فوكوياما	٥٨٤
وحي النبي في ضوء علم السلالات	فينكوف	٧٨١

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الأماكن والبلدان والبقاع

اسم المكان — رقم الصفحة

ـ آ ـ

الآستانة ٧٥٠

آسيا ..... ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٥١٣ ، ٥٣٥

آسيا الصغرى ٢٣٨

آشور ..... ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

ـ أ ـ

أبانج ٢٤٤

الاتحاد السوفييتي ٢٧٤ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ ، ٥٥٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٢ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٧٧ ، ٧٨١ ، ٧٨٣ ، ٧٨٥ ، ٧٨٧.

أُحد ..... ٣٠٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٤٨٣ ، ٤٩٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

الأرجنتين ..... ٥٦٨ ، ٥٧٨ ، ٧٤١ ، ٧٤٢

إسبانيا ..... ٧٤٥ ، ٧٥١

استراليا ٥٦١

استوكهولم ٧٨٤

إسرائيل . ٢١١ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٣٨ ، ٧٤١ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٦٢ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٧٠ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩

obeikandi.com

الإسكندرية ..... ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٣٩٧ ، ٧٥١
أطلانطا ٧٩٠
إفريقية ..... ٥٣٥ ، ٥٣٩ ، ٧٦٥ ، ٧٦٧
إفريقية الشمالية ٧٥١
ألمانيا ..... ٥١٦ ، ٥٤٣ ، ٥٦٤ ، ٥٨٣ ، ٧٠٦
أمريكا .. ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٦٩ ، ٧٩٠ ، ٨٠٠ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩
أمريكا الشمالية ٥٨٩
أمريكا اللاتينية ..... ٢١٩ ، ٥٨٩ ، ٧٦٥
إنجلترا ..... ٥٤٤ ، ٧٣٣ ، ٧٩٢
الأندلس ٥٣٩
أندونيسيا ..... ٥٤٠ ، ٥٨٥
أنغرس ٥٤٣
إنيزي ٥٤٣
أوربة ... ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ ، ٥٣٥ ، ٥٣٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٦١٤ ، ٧٤٧ ، ٧٦٩ ، ٧٩١ ، ٧٩٥
أوربة الغربية ..... ٢١٩ ، ٥٤٣
أورماتينا ٥٦٨
أوسلو ٥٤٩
أوكلاهوما ..... ٥٩١ ، ٥٩٢
أوكيناوا ٢٤٢
إيران ..... ٥١٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٩٦
إيطاليا ..... ٥١٦ ، ٥٤٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨
الأيلة ٢٤٤
إيلياء ٤٠١

- ب -

باب السلام ٣٩٣
بابل ٤١٦
باريس .. ١٨٦، ٢٣٥، ٥١٦، ٥٤٤، ٥٦١، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٨٤، ٧٩٨
باريلوكي ٥٦٨
بازل ٧٤٦
البحر الأحمر ..... ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤
البحر الإيجي ٢٣٨
البحرين ..... ١٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٢٣
بخارى ٧٨٧
بدر ..... ١٤ ، ٣٠٢ ، ٣٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٩٧ ، ٥٢١
بروكسل ٧٨٤
بريطانيا ..... ٥٥٢ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٧٩٥ ، ٨٠٠
بصرى ..... ٣٩٨ ، ٤٠١
البقيع ٤٢٣
البلاد الأوربية ٢٦٥
بلاد الديلم ٥٣٩
البلاد العربية ..... ٦٨٤ ، ٧٥١
بلاد ما وراء النهر ..... ٥١٣ ، ٥٣٩
بلدح .... ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
البلقاء ٣٠٩
بودابست ٥٨٣
بولندا ٥٦٣
البيت الأبيض ..... ٥٥٢ ، ٥٥٣
البيت الحرام ... ٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٩٧ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٩٧ ، ٥٠٤

بيت لحم ٥٦٥
بيت المقدس ٤٠١
بيروت ..... ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٨٠١
بيلجيكا ٥٤٣
بيونس آيريس ..... ٧٤١ ، ٧٤٢

- ت -

تاورمينا ٥٦٩
تبوك ..... ٧٨ ، ١٥٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٨ ، ٤٢٠
تركيا ..... ٥٨٥ ، ٧٤٥ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٦٥
تل أبيب ..... ٧٤١ ، ٧٥٦
التنعيم ٤٣٨
تهامة ..... ٣٠٦ ، ٤٤٩

- ث -

ثبير ٢٩٥
ثنية المرار ٤٣٩

- ج -

جامعة أكسفورد ٨٠١
الجامعة الأمريكية ٨٠١
جامعة باريس ١٨٦
جامعة بيل ٤٦٦
جامعة جورجتاون ٧٨٩
جامعة السوربون ..... ٥٥١ ، ٥٥٧ ، ٨٠١
جامعة القديس يوسف ٨٠١
جامعة كامبردج ٨٠٣
جامعة هارتفورد ٨٠١
جبل يثرب ٣٣٧

obeikandl.com

جرش ٤١٨
الجزر الأندونيسية ٢٤٠
جزر الفليبين ١٧٠
الجزيرة العربية .. ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٣٠٩ ، ٥٢٢ ، ٧٨١ ، ١٥٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٦٧ ، ٤٤٤ ، ٤٦٩ ، ٧٥١ ، ٧٩٤
جنوب شرق آسيا ..... ٢٤٢ ، ٥٧٦
جنيف ٧٢٩

-ح-

الحبشة .. ١٥٣ ، ٢٦٨ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦ ، ٦٤٢ ، ٧٠٦
الحجاز ..... ٢٤٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢
الحجر الأسود ..... ٢٧٧ ، ٢٩٢
الحِجر (حجر إسماعيل) ٣٥٢
الحديبية .. ٨٢ ، ٣٧٠ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣
حراء ..... ٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٣
حران ٢٤٥
الحرم ..... ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧
الحرم الإبراهيمي ٥٩٢
الحرم الشريف ..... ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٤٦١ ، ٤٧٧
حصن كسرى بن تميم ٢٥٦
حضرموت ..... ٢٦٤ ، ٤٢٣
حمص ٤٠١

obeikandl.com

حنين ..... ٤١٠ ، ٥٢١
الحيرة ..... ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣٠٨ ، ٣٣٧

-خ-

الخابور ٢٤٥
خراسان ٥٣٩
الخليج ..... ٢٦٤ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٦ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤
الخليج العربي ..... ٢٤٨ ، ٢٤٩
الخليل ٥٩٢
الخندق ..... ٥٢١ ، ٥٢٢
خوارزم شاه ..... ٥١٣ ، ٥١٤
خيبر ..... ١٥٢ ، ٤٢٠
خيوه ٧٨٧

-د-

دار الأرقم بن أبي الأرقم ..... ٣٢٦ ، ٣٣١
دار كبشة بنت الحارث الأنصارية ٤١٤
دار الكتب الأهلية بباريس ٢٣٥
دار الندوة ..... ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٤٣٧
دجلة ..... ١٤١ ، ٢٤٥
دمشق ..... ١٩٦ ، ٣٩٨
الدول العربية ..... ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٧٧٠ ، ٧٩٠ ، ٧٩١
دومة الجندل ..... ٣١ ، ٢٥٦

-ذ-

ذات أنواط ٢٥٥
ذات عرق ٢٤٣

-ر-

روسيا .. ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٣ ، ٧٢١ ، ٧٨٧

روما ..... ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٧٦٢

- ز -

زيتونفن ٥٤٣
زيورخ ٧٤١

- س -

سالونيك ٧٤٨
ستر سبورغ ٥٤٤
سقيفة بني ساعدة ٩٦
السكون ٤٢٢
سمرقند ٧٨٣
سنداد ٢٤٤
السنغال ٨٠٢
السودان ..... ٥٦٠ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠
سورية ..... ٥٦٥ ، ٥٩١
سوق بني قينقاع ..... ٣٨٤ ، ٣٨٩
سوق دومة الجندل ٢٥٦
سوق ذي المجاز ..... ٢٥٨ ، ٣٤٨
سوق الشجر ٢٥٨
سوق صنعاء ٢٥٨
سوق ضمار ٢٥٨
سوق عكاظ ..... ٢٥٦ ، ٢٥٧
سوق عمان ٢٥٨
سوق مجنّة ٢٥٨
سوق المشقّر ٢٥٦
سوق هجر ..... ٢٥٦ ، ٢٥٨
سويسرا ..... ٧٤١ ، ٧٤٦ ، ٨٠٨

obeikandl.com

سيبيريا ٧٨٧
سيلان ٢٤٠

- ش -

الشام ... ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٣٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٥٣٩
الشرق الأدنى ..... ٢٣٨ ، ٧٩٨
الشرق الأقصى ٥٤٠
الشرق الأوسط .. ٢١٩ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٧٠٦ ، ٧٦٦ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩٩
شرم الشيخ ..... ٥٨٠ ، ٥٩٣
شكودرا ٧٨١
شمال إفريقية ٧٩٨
الشيشان ٧٩٥
شيكاغو ٧٩٠

- ص -

الصحراء الكبرى ٥٨٥
الصفا ..... ٢٤ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٤٢٨
صنعاء ٤٢٣
صور ٢٦٤
الصومال ٧٠٦
الصين ..... ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٥٤٠ ، ٥٥١ ، ٧٢٠ ، ٧٢١

- ط -

الطائف .. ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥١ ، ٤٩٨
طشقند ٧٨٨

obeikandl.com

طهران ٥٨٨
طوكيو ٥٦١

-ع-

العالم العربي ٧٦٢
العراق ... ١٥٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٣٦٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٨٦ ، ٧٩٥
عرفة/ عرفات ..... ٢٧٦ ، ٢٧٧
عسفان ٤٣٨
عفراء ٤١٩
العقبة ٤٣٣
عكاظ ٤٧٥
عُمان ٣٩٨

-غ-

غار حراء ٥٩٧
غرب آسيا ٢٣٨
غزة ..... ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٢

-ف-

الفاتيكان ..... ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٧٩٢ ، ٨٠٢
فارس .... ١٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٤٠٥ ، ٤٣٠ ، ٥٣٩
الفرات ..... ١٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
فرنسا ... ٥١٦ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٧ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٨ ، ٨٠٠
فلسطين . ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٦ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢ ، ٧٥٥ ، ٧٥٧ ، ٧٩٥
فلنتيا ٧٨٤
فيتنام ٢٤٢

obeikandl.com

- ق -
القادسية ٤١٦
القارة الأوربية ٧٦٥
قانا ٥٩١
القاهرة ٧٥٣
قباء ..... ٣٧١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤
قبية ٧٤١
القدس ..... ٥٦٥ ، ٥٨١ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٦٢ ، ٧٧٠
القسطنطينية ..... ٢٤٧ ، ٢٤٨
- ك -
كامب ديفيد ٧٥٢
كداء ٣١٧
كراع الغميم ٤٣٧
كشمير ٧٩٥
الكعبة .. ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٩٤
كندا ..... ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٧٦٥
كوريا ٢٤٢
الكونة ٢٤٥
الكويت ٥٨٦
- ل -
لاهاي ١٨٦
لاهور ٨٠١
لبنان ..... ٥٥٥ ، ٥٦٥ ، ٨٠١
لندن ..... ٥٦١ ، ٧٤١ ، ٧٨٤

obeikandl.com

لوس أنجلوس ٧٩٠
ليبيا ٥٩١

- م -

مالبورن ٧٨٤
المحيط الهندي ٢٦٤
المدائن ..... ٣٠٨ ، ٣٣٧
مدريد ..... ٥٤٩ ، ٥٨٦
المدينة المنورة ١٢ ، ٢٧ ، ٨٢ ، ١٤٥ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٥٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٨٣ ، ٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٦٠٩ ، ٧١٣
المزدلفة ..... ٢٧٦ ، ٢٧٧
المسجد الحرام ..... ٣٢٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٤٣٧
مسجد الضرار ٥٢١
مصر ٣١ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٥١٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٦٧ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٦٢ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٨٠٢
معان ..... ٣٩٩ ، ٤١٩
المغرب ٥٨٨
المكسيك ٨٠٨
مكة .... ١٥٢ ، ١٩٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ،
٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ،
٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥١ ،
٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ ، ٤٩٤ ،
٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥ ، ٥٢٢ ، ٥٩٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٣ ، ٦٠٩
المملكة العربية السعودية ..... ١٣٨ ، ٧٩٤
المملكة المتحدة ٥٦٢
منغوليا ٧٢١
منى ٤٠٧
مؤتة ٣٩٨
موسكو ..... ٥٥١ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٨ ، ٦٩٩ ، ٧٨٧
الموصل ٣٠٩
مونتريال ٥٦١

- ن -

ناجازاكي ٥٦٩
نجد ٤١٥
نجران ..... ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣
النجف ٢٤٥
النمسا ..... ٥٦٤ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢
النيل ٢٣٨
نيويورك ..... ٥٦١ ، ٥٨١ ، ٧٤١ ، ٧٨٤

- هـ -

هجر ..... ١٥٣ ، ٢٥٦

obeikandl.com

الهند ..... ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٥٨٨ ، ٧٦٥
هوليود ٧٦٩
هونج كونج ٢٤٢
هيروشيما ..... ٥٦٨ ، ٦٨٢

- و -

وادي بلدح ٤٤٤
وادي القرى ٢٦٧
واشنطن ..... ٥٨١ ، ٧٤١ ، ٧٨٩
الوطن العربي ..... ٢١٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٧
الولايات المتحدة الأمريكية .... ٢١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٣ ، ٧٣٢ ، ٧٣٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٦٥ ، ٧٨٣ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٩ ، ٨١٠

- ي -

اليابان ..... ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٥٦٢
يافا ٧٥٥
يثرب ..... ٢٦٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٣٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥
اليمامة ..... ٣٦٧ ، ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٩٤
اليمن .... ٢٧ ، ١٩٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤
اليونان ..... ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الأعلام

الاسم	رقم الصفحة

ـ آ ـ

آدم عليه السلام ..... ٣٩٩ ، ٦١٨ ، ٦٥٤
آرثر جفري ٨٠٣
الآلوسي ٢٥٨
الآمدي ..... ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠١
آمنة بنت وهب ٣٠٧

ـ أ ـ

أ. سفير ٧٥٥
إبراهام فيرهوتن ٥٤٣
إبراهيم بن رسول الله ﷺ ..... ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٥٣٠
إبراهيم إمام ..... ١٤ ، ٤٥٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣
إبراهيم البحراوي ٧٥٣
إبراهيم عليه السلام ٢٧٧ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٥ ، ٤٢٥ ، ٦٠٤
إبراهيم اليازجي ٧٤٨
أبرهة ٢٩٧
ابن أُبي ٣٩٦
ابن أبي حاتم ٢٣

obeikandl.com

ابن الأثير ١٢
ابن إسحاق ٢٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٣
ابن أم مكتوم ١٤
ابن تيمية .. ٥٦ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ٥١٩
ابن جرير ٢٣
ابن جفنة ٣٠٨
ابن حجر ٣٢٤
ابن الخطاب ١٧٥
ابن خلدون ..... ٨٦ ، ٩٣
ابن ذي يزن = سيف بن ذي يزن
ابن سعد ٤٣٧
ابن سلام ٣٩٣
ابن عباس .. ٢٣ ، ٣٠ ، ١٥٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣١٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٤٢٨
ابن عقيل ٨٦
ابن قدامة ٥٢٧
ابن قيم الجوزية ..... ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٥ ، ١٣٠ ، ٢١٣ ، ٥١٩ ، ٦٤٢
ابن كثير ..... ٦٣ ، ١٥٤ ، ٣١٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ٥١٩
ابن الكلبي ١٠٨
ابن اللتبية الأزدي ٤٢٣
ابن ماجه ٥٢٨
ابن مخلد الشيباني ٨٧
ابن مسعود = عبد الله بن مسعود

obeikandl.com

ابن ميمون ٧٥١
ابن هشام . ٢٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٢٥ ، ٣٧٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٦٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٣
ابن الهيّبان ..... ٣٠٤ ، ٣٠٥
أبو أمامة ..... ٣١١ ، ٣٣٦
أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ٢٧٨
أبو البختري بن هشام ٣٦٥
أبو بكر بن أبي شيبة ٥٢٩
أبو بكر الصديق . ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٤٠٧ ، ٤٢٥ ، ٦٥٧ ، ٧١٣
أبو بكر محمد بن هارون الخلال ٨٧
أبو بكرة ١٥٦
أبو جبير ٢٧٧
أبو جهل ..... ٣١٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥
أبو حارثة بن علقمة ..... ٣٨٧ ، ٤٢٠
أبو حذيفة بن عتبة ٣٧٧
أبو الحسن الصالحي ٥٧
أبو حميد الساعدي ١٤٣
أبو الدرداء الخزرجي ٣٧٧
أبو داود ٧٥
أبو ذر الغفاري .. ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٣٧٧
أبو رويحة الخثعمي ٣٧٧
أبو زهرة ٦٠٧

obeikandl.com

أبو زيد ٤٢٤
أبو سعيد الخدري ٣٠
أبو سفيان بن حرب ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥٢٣
أبو سلمة بن عبد الأسد ٣٣٠
أبو الصلت ٢٤٦
أبو طالب ..... ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ..... ٣٩٥ ، ٣٩٦
أبو عبيدة ..... ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٤٢٥
أبو عبيدة بن الجراح ٣٣٠
أبو عبيدة محمد بن عمار بن ياسر ٣٥٥
أبو قحافة ٣٣٠
أبو قراط ٢٣٥
أبو قيس بن الأسلت السلمي ١٣
أبو قيس بن قيس بن صرمة بن أبي أنس الأنصاري ٣٨١
أبو لهب ..... ٢٥٧ ، ٢٨٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٤٢٨
أبو مسلم الخولاني ٢٠٢
أبو المعالي الجويني ..... ٨٧ ، ٨٨
أبو نافع القرطبي ٣٨٩
أبو النضر ٣١١
أبو نظارة ٧٥٤
أبو نعيم الأصبهاني ٨٧
أبو هريرة . ٢٣ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٣٤٧ ، ٤٢٨
أبو ياسر ٣٨٤
أبو ياسر بن أخطب ..... ٣٨٥ ، ٣٨٦

أبو يعلى ٩٩
أبو يعلى الفراء ..... ٨٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٤٨
أبو يوسف ..... ١٤١ ، ١٤٤
أُبي بن خلف ٣٥٣
أُبي بن كعب ..... ٣٧٧ ، ٤٢٤
أتوجرت ١٣
الأجدع بن مالك ٤١٦
أحمد أمين ٢٦٥
أحمد أمين بالمان ٧٤٩
أحمد [بن حنبل] .. ٣٠ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣١١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
الأخنس بن شريق ..... ٣٥٠ ، ٣٥١
إدرجارديل ٦١٦
أدولف هتلر ٢٤٤
أربد بن قيس ٤١٢
أرسطو ..... ٢٣٥ ، ٢٣٦
الأرقم بن أبي الأرقم ٣٣٠
أزرز فليد ٦٧٨
أسامة بن زيد ٣٩٦
أسامة بن مالك بن جندب بن القعيد ٣٠٨
أستيرمويال ٧٥٤
إسحاق يازيف ٧٥٦
أسد بن عبيد ٣٠٤
إسرائيل ولفستون ٧٥١
أسعد زريق ٧٥٠
الإسفرائيني ..... ٩٨ ، ١٠٠

obeikandl.com

إسفنديار ٢٦٢
إسكندر فرح ٧٥٤
الإسكندر المقدوني ..... ٢٤٨ ، ٢٤٩
أسكورس ٢٤٧
إسماعيل عليه السلام ..... ٢٧٧ ، ٦٠٠
الأسود بن المطلب بن أسد ٣٦٥
الأسود العنسي ٤٢٣
أسيد بن سعية ٣٠٤
إسيفيتش ٥٦٣
الأشتر النخعي ١٤٨
الأشعث بن قيس ٤١٧
الأصم ٩٥
الأعشى ٢٥٧
الأعمش ..... ٢٨٧ ، ٥٣١
أفلاطون ..... ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٨٠٤
أفتر أبو العافية ٧٥٦
أفي بريمو ٥٥٨
أقرطليس ٢٣٦
الأقرع بن حابس ..... ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١
أكيدر دومة الجندل ..... ٣١ ، ٢٥٦
البرت ما كاشوف ٥٧٥
ألف كرو ٧٤١
ألفونسو باسيفكي ٧٥٦
ألكسندر الثاني ٥٧٠
أم جميل ٣٤٨
أم جميل بنت الخطاب ٣٣٠

obeikandl.com

أم الخير ٣٣٠
أم سلمة ٣٥٦
أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ٤٢٣
امرؤ القيس ..... ٢٤٧ ، ٢٥٦
أميل بوتور ٨٠٥
أميل دور كهايم ٣٤
أمينة السعيد ٧٥٣
أمية بن خلف ٣٦٥
أناتولي تشوبايس ٥٧١
أنس ..... ٦٣ ، ١١٩ ، ٤٣٠ ، ٦٤٨
أنيس ٣٣٥
أنيس منصور ٧٥٣
أورلان هابند نبرج ٥٥٧
أوس بن خولي ٤٤٧
أوس بن الصلت ..... ٦٠٩ ، ٦١٠
أي إم روزنتال ..... ٥٩١ ، ٥٩٢
إيجور جيدار ٥٧١
أيرل برغو ٧٦٢
إيريك تريبك ٥٦٨
أيزنهاور ٧٧٨
إيسكيلوس ٢٣٥
إيكنز ٧٩٥

- ب -

بابردرودج ٨٠٣
باتورين ٥٧٣
باذان ٣٩٨

obeikandl.com

باراك ..... ٥٦٥ ، ٥٦٦
بارلي ٧٤٧
باروخ ليتومنجوبي ٧٥٤
بافلوف ٧٠١
باول ٧٦٢
بتيلجم ٦٩٨
بحيرى الراهب ..... ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٠١
البخاري ٣٠ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٤٣ ، ١٥٦ ، ٣١٣ ، ٣٣٤ ، ٣٥٦
بختنصر ٢٤٣
بدر الدين بن العميد ٥١٤
بديل بن ورقاء الخزاعي .. ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٧٥ ، ٤٩٦
برسد ٢٣٧
بريجنسكي ٨١٠
بريماكوف ..... ٥٧١ ، ٥٧٢
بسربن سفيان الخزاعي ٤٤٤
بكر بن وائل ٤٢٠
بلال ..... ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٥٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
بلفور ٥٤٧
بلومر ٦٦٥
بنيامين نتنياهو ..... ٥٨٠ ، ٥٨١
بوذا ٢٤٠
بوريس بيرزوفسكي ٥٧٧
بول تيمتس ٥٦٩
بولارد ..... ٥٥٠ ، ٥٥١

obeikandl.com

بيار إيمانويل ٧٩٣
بيرزوفسكي ..... ٥٧٢ ، ٥٧٥
بيرلسون ٦٧٨
بيريز ٥٨٠
البيهقي ..... ٢٧٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢

- ت -

تراجان ٢٦٩
الترمذي ٦٠٥
تروتسكي ٧٨٤
تريبك ..... ٥٦٨ ، ٥٦٩
تشومسكي ٨١١
تميم بن طرفة ٥٣١
توشبايس ٥٧٦
توفيق الحكيم ٧٥٣
توفيق نوزت ٧٤٧
تولستوي ٨٠٤
تيمور ٧٨١

- ث -

ثابت بن قيس الأنصاري الخزرجي ٤١٠
ثروت أباظة ٧٥٣
ثعلبة بن سعية ٣٠٤
ثمامة بن أثال الحنفي ٣٩٨

- ج -

جابر بن سمرة ٥٣١
جابر بن عبد الله ..... ٣٠ ، ١٧٤ ، ٣٦٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣ ، ٥٢٧
الجاحظ ..... ٢٣٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٢

obeikandl.com

جارلس لندبيرغ ٧٤٠
الجارود بن بشر بن المعلى ٤١٤
الجارود عبد القيس ٤١٤
جاك توبون ٥٥٦
جاك شيراك ..... ٥٥٦ ، ٥٨١
جاكوبسن ٧٥٠
جان هوجو ٧٩٨
جاوتامابوذا ٢٣٩
جاويد ٧٤٥
جبار بن سلمى ٤١٢
جبلة بن الأيهم الغساني ٣٩٨
الجد بن قيس الأنصاري ..... ٥٠٠ ، ٥٠٣
الجذامي ٣٩٩
جراشام ٧٣١
جريس هاسل ٥٥٢
جعفر بن أبي طالب ..... ٣٧٦ ، ٣٩٩
جلال نوري بك ٧٥٠
جيمس بيرق ٧٩٠
جنكيز خان ..... ٥١٣ ، ٥١٤
الجهم بن صفوان ٥٧
جواد رفعت آتل خان ٧٤٩
جوبلز ..... ٢٦ ، ٥١٦ ، ٥٦٤
جوتنبرج ٥٤٣
جوديت ٦٧٨
جوديث ميلر ٥٨٩
جورج ٨٠٢

obeikandl.com

جورج دانسكو ٥٥٧
جورج رتس ٨٠٣
جورج سوروس ٥٧٦
جورج هاربرت ٦٩١
جورج كلابر ..... ٦٧٨ ، ٧٠٣
جوستاف لوبون ..... ٢٣٥ ، ٥٢٤
جوكوف ٧٧٨
جولد تسهير ٧٦١
جون أسبوزيتو ٥٩٠
جون كوني ٧٩٧
جيفر بن الجلندى ٣٩٨
جيمس برستد ٢٣٣
جيمس فورستال ٧٣٩
جيمس هالوران ٦١٢
جينادي زيوحانوف ..... ٥٧٥ ، ٥٧٧
جيهان رشتي ..... ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠

-ح-

الحارث ٢٤٧
الحارث بن أبي شمر الغساني ٣٩٨
الحارث بن جبلة ٢٤٧
الحارث بن زيد ٣٨٩
الحارث بن عبد كلال الحميري ..... ٣٩٩ ، ٤١٨
الحارث بن عمير ٣٩٨
الحارث بن مارية الغساني ٢٦١
حاطب بن أبي بلتعة ..... ٣٧٧ ، ٣٩٧
الحاكم ٧٥

obeikandl.com

الحبحاب بن يزيد ٤١٠
حذام ..... ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
حذيفة ٨٨
حذيفة بن اليمان ..... ٣٧٧ ، ٥٢٤
حسان ٣٩٧
حسان بن تُبَّع الحميري ..... ٤٩٤ ، ٤٩٥
حسان بن ثابت ..... ٢٥٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤٢٨
الحسن ..... ٢٣ ، ١٥٦
الحسن بن رزاح ٢٦١
الحسن بن علي ١٥٦
حسين عوني ٧٤٦
الحصين بن عمران ..... ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤
الحكم بن العاص ٤٥١
الحليس بن زبان . ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٩٨
الحليس بن علقمة ..... ٤٥٠ ، ٤٦٢
حمزة ..... ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٧٦
حمزة بن عبد المطلب ٣٣١
حنظلة بن أبي سفيان ٣١٥
حيي بن أخطب ..... ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦

-خ-

خارجة الخزرجي ٣٧٦
خالد بن سعيد بن العاص ..... ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٧
خالد بن الوليد ... ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣
خالدة ..... ٣٨٢ ، ٣٨٣

obeikandl.com

خباب بن الأرت ..... ٣٥٦ ، ٣٥٧
خديجة ٥٩٨
خديجة بنت خويلد ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٣
خروتشوف ٧٧١
الخطابي ٥٨
خفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري ..... ٣٣٥ ، ٣٣٦
الخليل ٢٠٤
الخنساء ٢٥٧
خولة بن ثعلبة ..... ٦٠٩ ، ٦١٠
خويلد بن أسد ٢٩٠

- د -

دافيد زاكاي ٧٥٦
دانيال ٣٤
دانيال بلس ٨٠١
داود عليه السلام ..... ٦٠٦ ، ٦٥٢
دايفيد الكاتون ٧٥٠
دحية الكلبي ..... ٣٩٧ ، ٣٩٨
دراجوفيسكي ٥٧٩
دركايم ..... ٧٥٩ ، ٧٦٠
ديف ماكوري ٥٩٢
ديفيد أيرفنج ..... ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤
ديفيد ليفي ٥٨٢
ديفيس ماريس ٥٧٨

- ذ -

ذو نواس ٢٦٧

obeikandl.com

- ر -

رابين ٧٥٤
رافع بن أبي رافع ..... ٣٨٢ ، ٣٨٨
رافع بن حريملة ..... ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢
رافع بن خارجة ..... ٣٨٢ ، ٣٨٩
رافع بن مكيث ٤٢٣
رايت ١٦
رايزنر ٧٧٩
الربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ..... ٣٨٢ ، ٣٨٨
ربيعة بن الحارث ٤١٧
ربيعة بن عباد ٣٤٨
رزق الله حسون ٧٤٨
رستم السنديذ ٢٦٢
رفاعة بن زيد ..... ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٤٢٠
رفاعة بن قيس ..... ٣٨٢، ٣٨٨
رفاعة الطهطاوي ٨٠٢
رؤوف شلبي ..... ٣٢٣ ، ٣٢٥
روبرت مردوخ ٧٦٦
روبر مردوك ٥٦١
روبين كوك ..... ٥٦٤ ، ٥٦٦
روجيه جارودي ..... ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤
روديونوف ..... ٥٧٢ ، ٥٧٣
روكاخ ويريفر ٧٥٥
روكيش ٧٠٧
رونالد ٧٩١
رونالد ريجان ٥٥٢

obeikandl.com

رونالديف ٧٨٩
ريغان ٧٩٣
ريفرز شرام ٤١

- ز -

زاخوذير ٧٨١
زايد ٧٩٤
الزبرقان بن بدر ..... ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٣
الزبير بن عبد المطلب ٢٩٥
الزبير بن العوام ..... ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٧٧
الزَّجَّاج ١٢
زرز فليلا ٧٠٥
زكي نجيب محمود ٧٥٣
زمعة بن الأسود ٣٦٥
زهير ٥٣١
زهير بن أبي سلمى ٤٥
زهير بن جناب ٢٦١
الزهري ..... ٤٥٢ ، ٤٧٥
زياد بن لبيد الأنصاري ٤٢٣
زيد بن ثابت ٤٢٤
زيد بن حارثة ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٧٦ ، ٦٣٠
زيد بن عمرو بن نفيل ٣٠٩
زيد بن اللصيت ٣٨٤
زيد الخيل (زيد الخير) ٤١٥
زين العابدين الركابي ٤٧٢
زينب بنت جحش ٥٢١

obeikandl.com

- س -

سابور ٢٤٥
سارتر ..... ٨٠٠ ، ٨٠٤
سامي كوهين ٧٤٩
سانجور ٨٠٢
ستالين ٧٨٤
سترابون ٢٤٧
ستيف إيمرسون ٥٩١
ستيفن سبيليرج ٥٧٨
سعد بن أبي وقاص ..... ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦
سعد بن حنيف ٣٨٤
سعد بن الربيع الخزرجي ..... ٣٧٦ ، ٣٧٩
سعد بن عبادة ..... ٣٩٢ ، ٣٩٦
سعد بن معاذ ٣٧٦
سعيد بن جبير ٣٨٧
سعيد بن زيد ..... ٣٧٧ ، ٥٠٧
سفيان ٢٧٧
سفيان بن مجاشع بن دارم ٣٠٨
سلام بن أبي الحقيق ٣٨٢
سلام بن الربيع ٣٨٢
سلام بن مشكم ٣٨٢
سلمان الفارسي ٣٧٧
سلمة ٣٥٦
سليط بن عمرو العامري بن عامر بن لؤي ٣٩٨
سليم الثاني ٧٤٦

obeikandl.com

سليمان ٢٩٨
سليمان القانوني ٧٤٦
سمسوتوف ..... ٥٧٢ ، ٥٧٣
سمية زوجة ياسر ٣٥٦
سنغور ٨٠٢
سنيغرا ٢٣٥
سهل بن رزاح ٢٦١
سهير القلماوي ٧٥٣
سهيل بن عمرو ٤٠٤
السهيلي ٢٩٣
سواد بن قارب الدوسي ٣٠٣
سوفكليس ٢٣٥
سويد بن الحارث ٣٩٤
سويد بن صامت ٢٦٠
سويلم اليهودي ٧٨
سيبويه ١٢
سيد قطب ١٩٨
سيرين ٣٩٧
سيف بن ذي يزن ..... ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧
سيف الدين الآمدي ٨٧
سيمون دوتش ٧٤٥

- ش -

شارل ساتشي ٥٦٢
شاس بن قيس ٣٩٠
الشافعي ..... ٥٦ ، ١٢٦
شايلوك أنترناشيونال ٧٥٣

obeikandl.com

شجاع بن وهب الأسدي ٣٩٨
شرام ٦٩٢
شرحبيل بن عمرو ٣٩٨
شرويه ٣٩٨
شريك ٢٦٣
شعبة ٥٢٧
شعيب عليه السلام ..... ٧ ، ٨١٥
شلمنصر الثالث ٢٤٢
الشوكاني ..... ٢٣ ، ١٤٦
شيبة بن ربيعة ٣٦٥
شيللر ٨١١
شيمون بيريز ..... ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٧٥٣
شيمون فايل ٥٥٦

- ص -

صدام حسين ..... ٥٧٧ ، ٥٧٨
صرد بن عبد الله الأزدي ..... ٤١٧ ، ٤١٨
صفية ٤٢٨
صفية بنت حيي بن أخطب ٣٨٤
صفية بنت عبد المطلب ..... ٣٤٤ ، ٣٤٥
صلاح نصر ..... ٤٨٠ ، ٤٨١
صموئيل مرجليوث ٧٦١
صمويل زويمر ٨٠٣

- ض -

الضحاك بن سفيان ٤٢٣
ضمام بن ثعلبة ..... ٤١٢ ، ٤١٣

obeikandl.com

- ط -
طارق بن عبد الله ٤٢٢
الطبري ..... ٣٢٨ ، ٥٠٠ ، ٦٠٠
الطبراني ..... ٣٣٧ ، ٥٣١
الطفيل بن عمرو الدوسي .. ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨
طلحة بن عبيد الله ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٧٨٦
طه حسين ..... ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٦١ ، ٨٠٢
طومسون ٧٦٦
- ع -
العاص بن وائل ٣٦٥
عاصم بن عمر بن قتادة ٣٠٤
عامر بن الطفيل ٤١٢
عائذ بن عبد الله ٤٢٤
عائشة رضي الله عنها ..... ٣١٣ ، ٣٢٩ ، ٥٢٩
عباد بن بشر ..... ٣٧٧ ، ٤٣٧ ، ٤٤٧
عبادة ٤١٩
العباس بن عبد المطلب .. ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٨
عبد الإله بلقزيز ٨١٠
عبد بن الجلندى ٣٩٨
عبد الحميد ..... ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٥٥
عبد الرحمن بن حسان ..... ٣٩٧ ، ٤٠٨
عبد الرحمن بن عوف ..... ٩٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩
عبد الرحمن السعدي ٩٢
عبد الرزاق نوفل ١٧٠
عبد العزيز ..... ٧٤٥ ، ٧٤٦

obeikandi.com

عبد العزيز شرف ..... ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥
عبد القادر حاتم ..... ٤٨٠ ، ٤٨٧
عبد الله بن أبي بكر ٢٧٧
عبد الله بن أُبي ابن سلول ..... ٣٩٥ ، ٥١٩
عبد الله بن أبي أمية ٣٦٥
عبد الله بن أحمد ٨٧
عبد الله بن جدعان ٢٩٥
عبد الله بن حذافة السهمي ..... ٣٩٧ ، ٣٩٨
عبد الله بن رواحة ٣٩٦
عبد الله بن الزبير ٣٨١
عبد الله بن زيد ..... ٣٨٠ ، ٤١٩
عبد الله بن سلام ..... ٣٨٢ ، ٣٨٣
عبد الله بن صوريا الأعور ..... ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٣
عبد الله بن عبد المطلب ٢٩٦
عبد الله بن عمر ١٠٨
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٥٢
عبد الله بن كعب ٣٠٣
عبد الله بن مسعود ..... ٣٧٧ ، ٤٢٥ ، ٦٠٥
عبد الله بن نمير ..... ٢٨٧ ، ٥٢٩
عبد المطلب ..... ٢٧٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٦
عبد الملك بن مروان ٢٩٨
عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ٤٠٥
عبدي أبيكجي ٧٤٩
عتبان بن مالك الخزرجي ٣٧٦
عتبة بن ربيعة ... ٣٣٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

obeikandl.com

عثمان بن أبي سليمان ٢٧٧
عثمان بن أبي العاص ٤٠٦
عثمان بن أوفى ٣٨٤
عثمان بن الحويرث ..... ٢٤٧ ، ٢٤٨
عثمان بن عفان .... ٩٨ ، ٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٧٨٠
عثمان بن مظعون ٣٣٠
عدي بن حاتم الطائي ..... ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٣
عدي بن زيد ٢٤٤
عروة بن مسعود الثقفي .. ٤٠٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨
عزير ٣٨١
عطارد بن حاجب ..... ٤٠٩ ، ٤١٠
العقاد ..... ٤٩٩ ، ٧٥١
عقبة بن نمر ٤١٩
عكرمة بن أبي جهل ..... ٣١٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
العلاء بن الحضرمي ..... ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٢٣
علقمة بن علاثة ٣٩٦
علي بن أبي طالب . ٩٨ ، ١٤٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٤٠٧ ، ٦٠٥
علي بن أبي طلحة ١٥٤
علي بن نافع الجرشي ٣٠٢
علي عبد الرزاق ٨٠٣
عمار بن ياسر ..... ٣٥٥ ، ٣٧٧
عمانوئيل رابينوفش ٥٨٣

obeikandl.com

عمر بن الخطاب . ٧٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ ، ٣٥٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٥٠٠ ، ٥٣٥
عمر بن عبد العزيز ٥٣٧
عمران ٣٦٣
عمران بن الحصين ٣٥٧
عمرو ..... ٢٧٧ ، ٥٢٧
عمرو بن أمية ..... ٣٠٢ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
عمرو بن الأهتم ٤١٠
عمرو بن حزم ٤٢٠
عمرو بن سالم الخزاعي ٤٥٠
عمرو بن شعيب ٧٥
عمرو بن العاص ..... ٣٩٨ ، ٤٢٣
عمرو بن عبسة السلمي ..... ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٤١
عمرو بن كلثوم ٢٥٧
عمرو بن مرة الجهني ٢٨٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨
عمرو بن معد يكرب الزبيدي ٤١٧
عنترة بن شداد ٥١٣
عويم بن ساعدة ٣٧٧
عياش بن أبي ربيعة المخزومي ٣٩٩
عياض ٥٩
عيسى عليه السلام . ٣١ ، ٢٤٠ ، ٣١١ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٥٥٢ ، ٥٨٤ ، ٦٠٤ ، ٦٤٣ ، ٧٩١
عيينة بن حصن الفزاري ..... ٤١٠ ، ٤٢٣

-غ-

الغرور بن المنذر ٤١٤

obeikandl.com

الغيطلة ٣٠٢

ـ ف ـ

فاطمة بنت محمد ﷺ ..... ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٤٢٩
فالح رفقي أتاي ٧٤٨
فبرخارت ٨٠٣
فتاحوتب ٢٣٥
فرانكلين فيرنج ٦٩٢
فرانيس فوكوياما ٥٨٤
الفرج بن فضالة ٣١١
فرعون ..... ٥٧ ، ٦١٨
فروة بن مسيك المرادي ..... ٤١٦ ، ٤١٧
فروة الجذامي ٤١٩
فرويد ..... ٧٠١ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٨٠٤
فريناند تونيز ٣٤
فكتور تشرنومردين ٥٧٢
فلاديمير جابوتنسكي ٧٥٠
فلاديمير جوسينسكي ٥٧٧
فلندر زتبري ٢٣٤
فنحاص ..... ٣٩٠ ، ٣٩١
فهمي هويدي ٧٨٧
فؤاد عجمي ٥٩١
فولتير ٢٤٢
فيدروف ٥٧١
فيصل الحسيني ٥٦٥
فيكتور اليوفين ٥٧٥
فيكتور كليما ٥٨٢

obeikandl.com

فيلبي ٨٠٣
فيليب دافينسون ٦٩٢
فينكوف ٧٨١

- ق -

قابيل ٦١٨
قتادة ..... ٢٣ ، ٦٠٩
قتيبة بن سعيد ٥٢٩
القرافي ١١٢
القرطبي ..... ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٤٦ ، ٦٠١ ، ٦٠٩
قره صو ٧٤٥
قس بن ساعدة الإيادي ٣٠٩
قصي بن كلاب ٣٦٦
قمبيز ٢٤٤
قورش ..... ٢٣٨ ، ٢٤٤
قيس بن الحارث ٤١٠
قيس بن الحصين ٤٢٠
قيس بن عاصم ..... ٤١٠ ، ٤٢٣
قيصر .... ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٠
قيل ذي رعين ٤١٨

- ك -

كارل ماركس ..... ٧٦٠ ، ٧٧٣
كاريوهنت ٧٨٤
كاكمنا ٢٣٥
كاموندو واساسون ٧٤٥
كراتشكوفسكي ٧٨١
الكرماني ٥١٩

obeikandl.com

كريم المخزومي ١٧٠
كسرى .... ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤٣٠ ، ٤٩٦
كسينجر ٧٩٥
كعب ٣٧٩
كعب بن أسد ٣٩١
كعب بن الأشرف ..... ٣٨٢ ، ٣٨٨
كميل منصور ٥٥١
كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ٣٨٢
كنانة بن عبد يا ليل ٣٩٦
كلي ٧٩٤
كلينتون ..... ٥٥٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٩١
كوبللر ٥٧٠
كوربهوزن ٣٤
كوزرييف ٥٧٦
كوك ٥٦٥
كيموفيتشي ٧٧٩
كينزي ٧٣١
كينيت بولدنج ٦٩٥

ـ ل ـ

لباآريه كانين ٧٥٦
لبيد ٤١٢
لبيد بن أعصم ٣٨٢
لطفي السيد ٧٥١
لقمان ٢٦٠
لقمان بن عامر ٣١١
لكوكس ٧٦٢

لورنس ٨٠٣
لوسيان سبوتو ٧٥٠
لوط عليه السلام ..... ٦١٨ ، ٦٢٦
ليام بالي ٧٤٠
ليبتون ٧٠١
ليفي بروفنسال ٨٠٣
ليتين ..... ٧٧٣ ، ٧٧٥ ، ٧٨١
ليوبولد أيميري ٥٤٧
ليونارد جولدنسون ٧٤٠

-م-

ماتيوس ..... ٥٥٥ ، ٥٥٦
مادلين أولبرايت ٥٧٨
مارجريت ميدا ..... ٦٨١ ، ٧٢٩
ماردوخ ٥٦٠
ماركس ٧٥٩
ماركو بولو ٢٤٢
مارية ٣٩٧
المازني ٣٠
ماكاشوف ٥٧٥
ماكسويل ٥٦١
ماكويل ٥٦٠
مالك بن أنس ٥٢٩
مالك بن مرة الرهاوي ٤١٩
مالك بن نمط ٤٢٠
مالك بن نويرة ٤٢٣
ماندال ٥١

obeikandl.com

الماوردي ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٨
مايكل هرسون ٧٨٩
مبارك ٥٩٣
المتجردة زوج النعمان ٢٦٣
المحلق ٢٥٩
محمد أبو زهرة ١٩٥
محمد بن إسحاق ٢٧٧
محمد بن بشار ٥٢٧
محمد بن جبير بن مطعم ٢٧٧
محمد بن جعفر ٥٢٧
محمد بن سرور ٥١٨
محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن قثعم بن سعد ٣٠٧
محمد بن عمرو بن خالد الحراني ٥٣١
محمد بن كعب ٢٣
محمد بن مسلمة الأنصاري ..... ٤٤٧ ، ٥٠٠
محمد حسين هيكل ٧٥١
محمد الخضري ١٠٥
محمد الرابع ٧٤٥
محمد رشيد رضا ٦٤٩
محمد السماك ٥٥٢
محمد صادق عرجون ٦١٤
محمد عبده ..... ٥١٥ ، ٦٥٠
محمد علي باشا ٨٠٢
محمد غنيمي هلال ٤٥٥
محمد الفاتح ٧٤٦
محمد متولي شعراوي ٦٥٤

obeikandl.com

محمد الهواري ..... ٤٦٨ ، ٤٧٣
محمود شوكت باشا ٧٤٨
محمود شيت خطاب ..... ٤٤٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩١
مختار التهامي ..... ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦
مخيريق ٣٨٤
مدحت ٧٤٥
مدحت باشا ..... ٧٤٥ ، ٧٤٦
مراد باشا ..... ٧٤٥ ، ٧٤٦
مراد الثاني ٧٤٦
مراد فرج ٧٦٢
مرجريت سميث ٨٠٣
مرغريت تاتشر ٥٦٢
مروة ٥٨٥
مريم البتول ٣٩٩
مسعود بن سعد ٣٩٩
مسلم ٣٠ ، ٣١ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨
المسيب بن رافع ٥٣١
المسيح = عيسى عليه السلام
مسيلمة الكذاب ..... ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤١٥
مصعب بن عمير ..... ١٦٧ ، ٣٥٦
مصطفى كمال أتاتورك ..... ٧٤٨ ، ٧٤٩
المظفر ١٠٨
معاذ بن جبل ٢٧ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
معافر ٤١٨
معاوية ٤١٠

obeikandl.com

معاوية بن أبي سفيان ٢٠٢
معبد ٤٨٣
المعتصم ١٠٨
معد بن عدنان ٢٤٣
المغيرة بن شعبة ..... ٤٠٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣
المقوقس ..... ٣١ ، ١٥٣ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣
مكرز بن حفص ..... ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١
ملتون حبيب ٤٣٢
ملفن دوفلور ٦٩٣
منبه بن الحجاج ٣٦٥
المنخل اليشكري ٢٦٣
المنذر ٢٦٣
المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر ٢٦١
المنذر بن ساوى ..... ٢٥٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤١٤
المنذر بن عمرو الخزرجي ٣٧٧
منصور المحجوب ٧٨٣
المهاجر بن أبي أمية المخزومي ..... ٣٩٩ ، ٤٢٣
موريس سانشي ..... ٥٦٠، ٥٦٢
موسى جردنشيتن ٧٥٤
موسى صبري ٧٥٣
موسى عليه السلام . ٥٨ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨
موسى هيس ٧٦٢
موشي ليفي ٧٤٦

obeikandl.com

موليير ٤٦
مونيكا ليونسكي ٥٨٠
مياسترو جاكوب ٧٤٦
ميخائيل جورباتشوف ٥٤٨
ميرلو ٥١١
ميسرة ٢٩٠
ميشال لولونج ..... ٥٥٥ ، ٥٥٦
ميللرفيرون ٥٨٩
مين ٧٤٠

- ن -

النابغة ٢٥٦
النابغة الذبياني ٢٥٧
نابليون ١٠٣
ناديا يهودا ٧٥٦
نافع بن جبير بن مطعم ٢٧٧
نبيه بن الحجاج ٣٦٥
نتنياهو ..... ٥٥٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦
النجاشي ..... ١٥٣ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٠ ، ٤٩٦ ، ٦٤٢
نجيب ٤٢٢
نجيب محفوظ ٧٥٣
الندوي ٥٢٣
نسيم مسلول ٧٥٥
النضر بن الحارث ..... ٢٦٢ ، ٢٨٩ ، ٣٦٥
النعمان ٤١٨
النعمان بن امرئ القيس ٢٤٥
نعمان بن أوفى ٣٨٤

obeikandl.com

النعمان بن عمرو ٣٨٩
النعمان بن المنذر ٢٤٥
نعيم بن عبد كلال ..... ٣٩٩ ، ٤١٨
نعيم بن كلال ٤١٨
نعيم بن يزيد ٤١٠
نوح عليه السلام ..... ١١٨ ، ١٥١ ، ٣٨١
نورث ٧٤٧
نوري قوري ٧٤٩
النووي ..... ٥٨ ، ٦٥
نيتشه ٧٥٩
نيكسون ٧٧٨
نيوتن بينجرش ٥٩٠

- هـ -

هاجمان ٢٦
هادي نعمان الهيتي ١٥
هارتمان ٤٧
هارديان ٢٦٧
هاس ..... ٥٦٨ ، ٥٦٩
هتلر ..... ١٠٣ ، ٥١٦ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤
هرتز ٧٠٦
هرتزل ..... ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٦٢
هرقل ..... ٣١ ، ١٥٣ ، ٣١٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٩٦
هشام بن عروة ٥٢٩
هموبل هانتجتون ..... ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩
هنري هايدنج ٥٥٨
هوذة الحنفي ٣٩٨

obeikandl.com

هوفلاند ٥١
هوفلايد ٤٦٦
هوميروس ٢٣٥
هيرودوت ٢٣٤

- و -

الواقدي . ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠
والزرز فيلد ٥٢
ورقة بن نوفل بن أسد ..... ٣٠٩ ، ٣١٤
وفرد سلفرمان ٧٤٠
ولبور شرام ١٥٩
وليام يحسي ٥٥٠
الوليد ٢٩٨
الوليد بن المغيرة ٣٦٥
وليم نلسون ٦٨٢
ونستون تشرشل ٧٩٥
وهب بن زيد ٣٨٥
وهب بن يهوذا ٣٨٢
وهرز ٢٤٦

- ي -

ياسر ..... ٣٥٥ ، ٣٥٦
يحيى بن عروة ٣٥٢
يزيد بن الحصين ٤٢٣
يزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ٣٠٨
يسوف قطاوي باشا ٧٥١
يعقوب ٢٧٧

obeikandi.com

يعقوب باشا ٧٤٦
يعقوب بن صنوع ٧٦٢
يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ٣٠٢
يعقوب ليسكوفتشكي ٧٥٤
يعمر بن عبد الله ١٣٠
يفجيني بابوشكين ٥٧٤
يفجيني بريماكوف ..... ٥٧٦ ، ٥٧٨
يلتسن ..... ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥
يمنسرف ٥٧١
يهوذا ..... ٥٧٨ ، ٥٧٩
يوبيس ٥٧٦
يوحنا ٧٩٢
يوحنا بولس الثالث ٥٥٣
يوربيدس ٢٣٥
يوري باتورين ٥٧٢
يوسطنيوس ٢٤٧
يوسف بديوي ١٠٥
يوليو رويتر ٥٥٩
يوليوس قيصر ٢٣٧
يوسف القرضاوي ١٣٦
يوسف عليه السلام ..... ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٧

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المصادر والمراجع

- **تفسير القرآن العظيم** ، الحافظ ابن كثير الدمشقي ، ط ١ ١٩٩٦ م ، دار الأندلس ، بيروت.
- **الجامع لأحكام القرآن** ، للإمام عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط ١ ١٩٨٨م ، دار الفكر ، بيروت.
- **البحر المحيط في التفسير** ، للإمام محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي) ، ط ١ ١٩٩٢ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ، عبد الرحمن مخلوف الثعالبي ، تحقيق محمد الفاضلي ، ط ١ ١٩٩٧ م ، المكتبة العصرية ، بيروت.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل** ، للعلامة جار الله الزمخشري ، ط ١ ١٩٩٨ م ، مكتبة العبيكان ، الرياض.
- **تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور** ، للحافظ عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط ١ ١٩٨٣ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، علاء الدين علي البغدادي الشهير بالخازن ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق السيد عبد العال السيد إبراهيم ، ط ١ ١٩٩١ ، مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بقطر.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، للعلامة شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ، ط ١ ١٩٩٣ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، تحقيق محمد حلاق والدكتور محمود الأطرش ، ط ١ ٢٠٠٠م دار الرشيد ، دمشق.
- **أحكام القرآن** ، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** ، أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي ، تحقيق الدكتور أحمد الخراط ، ط ١ ١٩٩٣ م دار القلم ، دمشق.
- **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم** ، لقاضي القضاة أبي السعود محمد العمادي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، الإمام عبد الله بن أحمد النسفي ، تحقيق مروان الشعار ، ط ١ ١٩٩٦ م دار النفائس ، بيروت.
- **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، للإمام محمد الرازي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، الفضل بن الحسن الطبرسي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، محمد علي الشوكاني ، ط ٢ ١٩٩٨ م ، دار الكلم الطيب ، دمشق.
- **تفسير الشعراوي** ، للشيخ محمد متولي شعراوي ، ط أخبار اليوم.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **تفسير التحرير والتنوير** ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ط ١ ٢٠٠٠م ، مؤسسة التاريخ ، بيروت.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، ط ١ ١٩٨٩ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **سنن الدارمي** ، الحافظ عبد الله بن بهرام الدارمي ، تحقيق حسين سليم أسد ، ط ١ ٢٠٠٠م ، دار المغني ، الرياض.
- **صحيح ابن خزيمة** ، للعلامة محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، تحقيق الدكتور محمد الأعظمي ، ط ٢ ١٩٩٢م ، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- **كتاب السنة** ، الحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٤ ١٩٩٨ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- **صحيح مسلم بشرح النووي** ، تحقيق الدكتور مصطفىٰ البغا ، ط ١ ١٩٩٧ م ، دار العلوم الإنسانية ، دمشق.
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم** ، للقاضي عياض اليحصبي ، تحقيق الدكتور يحيىٰ إسماعيل ، ط ١ ١٩٩٨ م ، دار الوفاء ، مصر.
- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** ، الحافظ ابن العربي المالكي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- **بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود** ، المحدث خليل أحمد السهارنفوري ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه** ، الحافظ شهاب الدين أحمد الكناني ، البوصيري ، ط ١ ١٩٨٦ م ، دار الجنان ، بيروت.
- **السنن الكبرىٰ** ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق حسن شلبي ، ط ١ ٢٠٠١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق لجنة دار النشر بإشراف الدكتور عبد الله التركي ، ط ١ ١٩٩٨ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- **أوجز المسالك إلىٰ موطأ مالك** ، العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ، ط دار الفكر ، بيروت.

- **السنن الصغير** ، الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ١٩٨٩م ، دار الوفاء ، مصر.
- **مسند أبي يعلىٰ الموصلي** ، الحافظ أحمد بن علي التميمي ، تحقيق حسين سليم أسد ، ط ١ ١٩٨٦م ، دار المأمون للتراث ، دمشق.
- **مسند أبي عوانة** ، للإمام يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني ، ط ١ ١٩٩٨ م ، دار المعرفة ، بيروت.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، الحافظ نور الدين علي الهيثمي ، تحقيق عبد الله الدرويش ، ط ١ ١٩٩٤ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **المعجم الأوسط** ، للحافظ الطبراني ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ١٩٨٥ م ، مكتبة المعارف ، الرياض.
- **المستدرك علىٰ الصحيحين** ، للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، ط دار المعرفة بيروت.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير** ، للعلامة محمد عبْد الرؤوف المناوي ، ط ١ ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول** ، للإمام ابن الأثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط ٢ ١٩٨٣ م ، دار الفكر ، بيروت.
- **نيل الأوطار من أسرار منتقىٰ الأخبار** ، محمد بن علي الشوكاني ، ط ١ ١٩٩٩ م ، دار الكلم الطيب ، دمشق.
- **العواصم من القواصم في الذبِّ عن سنة أبي القاسم** ، للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ١ ١٩٩٢ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل** ، للإمام ابن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور محمد نصر وعبد الرحمن عميرة ، ط ١ ١٩٨٥ م ، دار الجيل ، بيروت.
- **شفاء العليل** ، للحافظ ابن قيم الجوزية ، ط ٢ ١٩٩٥ م ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدّة.

- **العقيدة الإسلامية وأسسها**، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ط ٧ ١٩٩٤ م، دار القلم ، دمشق.
- **شرح المقاصد** ، للعلامة مسعود بن عبد الله الشهير بالتفتازاني ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ط ١ عالم الكتب ، بيروت.
- **شرح العقيدة الطحاوية** ، القاضي علي بن علي المعروف بأبي العز الدمشقي ، تحقيق الدكتور عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط ، ط ١٣ ١٩٩٨ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- **الموسوعة الفقهية** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط ٢ ١٩٨٦ م ، دار ذات السلاسل ، الكويت.
- **الموافقات في أصول الشريعة** ، للإمام أبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق عبد الله دراز ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، للإمام أبي الحسن علي البصري البغدادي الماوردي ، تحقيق عصام الحرستاني ومحمد الزغلي ، ط ١ ١٩٩٦ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- **المستصفىٰ من علم الأصول** ، للإمام محمد الغزالي ، ط ١ دار الأرقم بن الأرقم ـ بيروت.
- **المحصول في علم أصول الفقه** ، للإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق الدكتور جابر العلواني ، ط ٢ ١٩٩٢ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- **التشريع الجنائي الإسلامي ، مقارناً بالقانون الوضعي** ، عبد القادر عودة ، ط ٤ ١٩٨٥ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- **الموسوعة الجنائية في الفقه الإسلامي** ، الدكتور أحمد فتحي بهنسي ، ط ١ ١٩٩١ م ، دار النهضة العربية ، بيروت.
- **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام** ، الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق فواز زمرلي وإبراهيم الجمل ، ط ١١ ١٩٩٨ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

- **الاستذكار** ، تصنيف الحافظ ابن عبد البر ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، ط ١ ١٩٩٣ م ، دار الوعي ، حلب.
- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** ، القاضي ابن رشد القرطبي ، تحقيق ماجد الحموي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار ابن حزم ، بيروت.
- **كتاب المبسوط** ، شمس الدين السرخسي ، ط ١ ١٩٨٦ م ، دار المعرفة ، بيروت.
- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق** ، الإمام عثمان الزيلعي ، ط ١ ١٣١٥هـ ، المطبعة الكبرىٰ الأميرية بولاق مصر.
- **الفقه الإسلامي وأدلته** ، الدكتور وهبة الزحيلي ، ط ٤ ١٩٩٧ م ، دار الفكر دمشق.
- **المدونة الكبرىٰ** للإمام مالك بن أنس ، ويليها مقدمات ابن رشد ، ط ١ ١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **كتاب مواهب الجليل لشرح مختصر خليل** ، للإمام محمد المغربي ، المعروف بالحطاب ، ط ١ ٢٠٠٢م ، دار الفكر ، بيروت.
- **موسوعة الإمام الشافعي** ، الكتاب الأم ، محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق الدكتور أحمد حسون ط ١ ١٩٩٦ م ، دار قتيبة ، دمشق.
- **المهذب في فقه الإمام الشافعي** ، لأبي إسحاق الشيرازي ، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ، ط ١ ١٩٩٦ م ، دار القلم ، دمشق.
- **كتاب المجموع للإمام النووي** ، تحقيق محمد بخيت المطيعي ، ط مكتبة الإرشاد ، جدة.
- **المغني** ، للإمام ابن قدامة ، ويليه الشرح الكبير للإمام ابن قدامة المقدسي ، ط ١ ١٩٩٦ م ، دار الحديث ، مصر.
- **المحلىٰ** ، للإمام ابن حزم الأندلسي ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، بيروت.

- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ، للحافظ ابن قيم الجوزية ط ١ ١٩٩٧ م دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، للحافظ ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط ٤ ١٩٩٧ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- **تربية الأولاد في الإسلام** ، عبد الله علوان ، ط ٣ ١٩٩٦ م ، دار السلام ودار الفكر ، دمشق والقاهرة.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ** ، القاضي عياض اليحصبي ، تحقيق عبده كوشك ، دار الفيحاء ، بيروت ، ط ١ ٢٠٠٠م.
- **السيرة النبوية** ، ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط دار القلم بيروت.
- **لسان العرب** ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين ، ابن منظور ، ط ٦ ١٩٩٧ م ، دار صادر ، بيروت.
- **القاموس المحيط** ، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط ١ ١٩٩٧ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- **الإعلام في القرآن الكريم** ، محمد عبد القادر حاتم ، ط ٢٠٠٣م الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
- **الإعلام والدعاية** ، عبد اللطيف حمزة ، ط ٢٠٠١م دار الفكر العربي ، القاهرة.
- **وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة** ، عبد العزيز شرف ، مكتبة الدراسات الإعلامية ، القاهرة ط ١٩٩٩ م.
- **الإعلام له تاريخه ومذاهبه** ، عبد اللطيف حمزة ، ط ٢٠٠٢م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
- **المدخل إلىٰ وسائل الإعلام** ، عبد العزيز شرف ، ط ٢٠٠٠ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

- **الإعلام وهموم مشروعات الشباب** ، نجوىٰ عبد الهادي تركي ، ط ٢٠٠٣م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
- **الإعلام العربي وتحديات العولمة الإعلامية** ، الدكتور عبد الملك رومان الدناني ، أطروحة غير منشورة.
- **الأمن فطرة الحياة والإعلام سمة العصر** ، عبد الرحمن الياسين ، ط ٢٠٠٤م ، دار طويق ، الرياض.
- **مدخل إلىٰ وسائل الإعلام** ، فرانسيس بال ، ترجمة عادل بوراوي ، ط ١٩٩٦ م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس.
- **الإعلام الإسلامي النظري في الميزان** ، سعيد صيني ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط ١٩٩٧ م ، الرياض.
- **الإعلام العربي ، تحديات الحاضر والمستقبل** ، تيسير أبو عرجة ، ط ١٩٩٦ م ، دار مجدلاوي ، عمان.
- **الإعلام العربي علىٰ أبواب القرن الواحد والعشرين** ، أديب خضور ، ط ١٩٩٧ م ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، دمشق.
- **الإعلام العربي وتحديات العولمة** ، تركي صقر ، ط ١٩٩٨ م ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق.
- **نظريات الإعلام** ، م. دي فلور ، وس. بال روكاخ ، ترجمة محمد ناجي الجوهر ، ط ١٩٩٤ م ، دار الأمل ، الأردن.
- **الإعلام الدولي (دراسة في الاتصال والدعاية الدولية)** ، أحمد بدر ، ط ٤ ١٩٩٨ م ، دار قباء ، القاهرة.
- **الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ** ، محمد إبراهيم محمد إبراهيم ، ط ١٤٠٦هـ ، المكتب الإسلامي بيروت.
- **مدخل إلىٰ الإعلام والجهاد من المنظورين الإسلامي والوضعي** ، نور الحق إبراهيم ، ط ١ ١٤٠٩هـ ، مكتبة الإيمان المدينة المنورة.

- **الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي** ، علي رضوان الأسطل ، ط ١ ١٤٠٤هـ ، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن.
- **الشخصية الإسلامية مؤسسة إعلامية** ، زهير الأعرجي ط ١ ١٤٠٢هـ ، دار المعارف ، بيروت.
- **أصول الإعلام الإسلامي** ، إبراهيم إمام ، ط ١ ١٩٨٥ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
- **النظرة الإسلامية للإعلام ـ محاولة منهجية ـ** محمد كمال الدين إمام ، ط ١ ١٩٨٠ م ، دار البحوث العلمية ، الكويت.
- **الموقف من السينما الإسلامية** ، محمد وليد جدّاع ، ط ١ ١٩٧٠م ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر.
- **نحو إعلام إسلامي: إعلامنا إلىٰ أين؟** علي جريشة ، ط ١ ١٤٠٩هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة.
- **منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية** ، سليم عبد الله حجازي ، ط ١ ١٤٠٦هـ ، دار المنارة ، جدّة.
- **الإعلام له تاريخه ومذاهبه** ، عبد اللطيف حمزة ، ط ١ ١٩٦٥هـ ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
- **الصحافة في ضوء الإسلام** ، مصطفىٰ الدميري ، ط ١ ١٤٠٨هـ ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة.
- **أصول الإعلام الإسلامي وتطبيقاته** ، إبراهيم محمد سرسيق ، ط ١ نادي مكة الثقافي الأدبي ، مكة المكرمة.
- **التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام** ، محمود كرم سليمان ، ط ١ ١٤٠٩هـ ، دار الوفاء ، المنصورة بمصر.
- **وظيفة الإخبار في سورة الأنعام** ، سيّد محمد ساداتي الشنقيطي ، ط ١ ١٤١٠هـ ، دار عالم الكتب ، الرياض.
- **الإعلام الإسلامي: الأهداف والوظائف** ، سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ط ١ ١٤١١هـ ، دار عالم الكتب ، الرياض.

- **نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية** ، أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف ، ط ١ ١٩٨٥ م ، مكتبة مصر ، القاهرة.
- **السيرة النبوية والإعلام الإسلامي** ، عبد العزيز شرف ومحمد الخفاجي ، ط ١ ١٩٨٦م ، مكتبة مصر ، القاهرة.
- **الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية** ، محيي الدين عبد الحليم ، ط ١ ١٩٧٩ م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- **دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية** ، محمد فريد عزت ، ط ١ ١٤٠٤هـ ، دار الشروق ، جدة.
- **الرقابة في الإعلام الإسلامي ـ دراسة مقارنة ـ** محمد أحيدب عمر ، ط ١ ١٤١٢هـ ، دار عالم الكتب ، الرياض.
- **عولمة الإعلام والثقافة** ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط ١ ٢٠٠٣م ، دار المكتبي ، دمشق.
- **وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة** ، محمد موفق الغلاييني ، ط ١ ١٤٠٥هـ ، دار المنارة ، جدّة.
- **مقومات رجل الإعلام الإسلامي** ، تيسير محجوب الفتياني ، ط ١ ١٤٠٨هـ ، دار عمار ، عمان الأردن.
- **الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون** ، مروان كجك ، ط ١ ١٤٠٧هـ ، دار الكلمة الطيبة ، القاهرة.
- **الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي** ، عبد الوهاب كحيل ، ط ١ ١٤٠٦هـ ، عالم الكتب ، بيروت.
- **الإعلام في العصر الحديث ودوره في تبليغ الدعوة الإسلامية** ، محمد محمود متولي ، ط ١ ١٤٠٦هـ ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت.
- **الإعلام الإسلامي والرأي العام** ، محمد محمود متولي ، ط ١ ١٩٨٧ م ، شركة سعيد رأفت ، القاهرة.
- **الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية** ، مرعي مدكور ، ط ١ ١٩٨٥ م ، دار المعارف ، القاهرة.

- **الوظائف الإعلامية في آفاق القصة القرآنية** ، محمد ناجي مشرح ، ط ١ ١٤١٢هـ ، دار المجتمع ، جدّة.
- **الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها** ، محمد إبراهيم نصر ، ط ١ ١٣٩٨هـ ، دار اللواء ، الرياض.
- **الدعوة إلىٰ الإسلام: تاريخها في عهد النبيﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة**، محمد أبو زهرة، ط ١ ١٩٧٢ م ، دار الفكر العربي ، القاهرة.
- **الإعلام التعاوني في ظل عالم متغير** ، نوال عمر وعبد الحميد شعري ، ط ١ ١٩٩٣ م ، دار العربي ، القاهرة.
- **ملكية وسائل الإعلام وعلاقتها بالوظائف الإعلامية في ضوء الإسلام** ، محمد الخرعان ، ط ١ ١٩٩٦ م ، دار عالم الكتب ، الرياض.
- **المسؤولية الإعلامية في الإسلام: النظرية ـ واقع التطبيق** ، **محمد سعود البشر** ، ط ١ ١٩٩٦ م ، دار عالم الكتب ، الرياض.
- **حكم الإسلام في وسائل الإعلام** ، عبد الله علوان ، ط ٦ ١٩٨٦ م ، دار السلام القاهرة.
- **العولمة والتبادل الإعلامي الدولي** ، صابر فلحوط ومحمد البخاري ، ط ١ ١٩٩٩ م ، دار علاء الدين ، دمشق.
- **لعبة وسائل الإعلام: السياسة الأمريكية في عصر التليفزيون** ، **ستيفن إينزلابير** ، ترجمة فاروق منصور ، ط ١ ١٩٩٩ م ، دار البشير ، عمان.
- **دراسات في الإعلام الدولي: مشكلة الاختلال الإخباري** ، راسم محمد الجمال ط ١ ١٩٨٥ م ، دار الشروق ، جدّة.
- **المال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية** ، عثمان زادة وغريس هالسل ط ١ ١٩٩٩ م ، دار النفائس ، بيروت.
- **أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية** ، جابر قميحة ، ط ١ ١٩٩٨ م ، نادي المدينة المنورة الأدبي.
- **أساليب القرآن الكريم في الردّ على الحملات الإعلامية** ، نعيم رزق الدردساوي ، ط ١ ٢٠٠٠م ، دار الفرقان ، إربد.

- **الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة** ، علي محمود العائدي ، ط ١ ١٩٩٩ م ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، أبو ظبي .
- **الإسلام والفن** ، الدكتور يوسف القرضاوي ، ط ١ ١٩٩٦ م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- **الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي** ، مرعي مدكور ، ط ١ ١٩٨٨ م ، دار الصحوة ، القاهرة .
- **الإعلام الشيوعي المعاصر وأثره في الأمة الإسلامية** ، الدكتور يوسف أبو هلالة ، ط ١ ١٩٨٧ م ، مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن .
- **الإعلام الغربي المعاصر وأثره في الأمة الإسلامي** ، الدكتور يوسف أبو هلالة ، ط ١ ١٩٨٧ م ، مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن .
- **الإعلام اليهودي المعاصر وأثره في الأمة الإسلامية** ، الدكتور يوسف أبو هلالة ، ط ١ ١٩٨٧ م ، مكتبة الرسالة الحديثة ، الأردن .
- **الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي** ، الدكتور عبد القادر طاش ، ط ١ ١٩٩٥ م ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
- **الإعلام ونظرياته في العصر الحديث** ، الدكتورة جيهان رشتي ، ط ١ ١٩٧١ م ، دار الفكر العربي ، بيروت .
- **الإعلام: قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي** ، الدكتور محمد سعيد الدين ، دار بيروت المحروسة ط ١ ١٩٩١ م .
- **الحرب النفسية ضد الإسلام ـ العهد المكي** ـ الدكتور عبد الوهاب كحيل ، ط ١ ١٩٨٦ م ، مكتبة المقدسي ، بيروت .
- **الدعوة إلىٰ الإسلام** ، توماس أرنولد ، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ، ط ٣ ١٩٧٠ م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- **حرب المعلومات بين العرب وإسرائيل** ، يوسف أبو بكر ونبيل سالم ، ط ١ ١٩٨٩ م دار الجليل ، دمشق .
- **عالمية الدعوة الإسلامية** ، الدكتور علي عبد الحليم محمود ، ط ٢ ١٩٧٩ م ، دار عكاظ السعودية .

- **قراصنة وأباطرة** ، ناعوم تشومسكي ، ط ١ ١٩٩٦ م ، دار حوران للدراسات ، دمشق .
- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** أبو الحسن الندوي ، ط ١١ ١٩٧٨ م ، دار السلام ، حلب .
- **إضافة إلىٰ بعض المقالات والجرائد والمجلات** ، ذُكرت في حينها .

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتوى

تمهيد ٥

الباب الأول
ومضات من الحديث عن الإعلام الإسلامي

الفصل الأول
مفهوم الإعلام الإسلامي

أ ـ الإعلام لغة ١١
ب ـ الإعلام اصطلاحاً ١٣
ج ـ تعريف الإعلام الإسلامي ١٧

الفصل الثاني
مشروعية الإعلام في الإسلام

١ ـ أن الإسلام دين أنزله الله تعالى لهداية البشرية كافة ١٩
٢ ـ إن كل من اعتنق هذا الدين مسؤول عن إبلاغه لغيره ٢٠
٣ ـ مهمة النبي ﷺ والدعاة من بعده منحصرة في الإعلام دون الهداية . ٢٢
٤ ـ إن التقصير في الإعلام بالإسلام والدعوة إليه معصية ٢٢

obeikandl.com

(١) صدق المحتوى أو المضمون ٢٤
(٢) شرف الغاية والمقصد ٢٥
(٣) قوة الرصد والتوجيه والمتابعة ٢٦
(٤) سلامة الوسيلة أو الوساطة ٢٨
١ ـ الأذان ٢٩
٢ ـ الخطبة ٣٠
٣ ـ الرسالة المكتوبة ٣١
٤ ـ الاتصال الشفهي ٣١
٥ ـ القدوة الشخصية ٣٢
ـ ما المقصود بالثقافة الجماهيرية ٣٣
ـ مزيد من التعريف بالثقافة الجماهيرية ٣٥
ـ مكمن الخطر في الإعلام الجماهيري ٣٥
الإعلام تربية ٣٦
الإعلام الجماهيري لا يعبر عن الجمهور ٣٨
دور الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام الجماهيري ٤١

الفصل الثالث
خصائص الرسالة الإعلامية الناجحة

أ ـ ما المقصود بالرسالة الإعلامية؟ ٤٣
ب ـ الخصائص الإعلامية للرسائل الناجحة ٤٤
١ ـ أن تكون ذات معنى في حياة المتلقي ٤٤
٢ ـ أن تكون قادرة على كسب ثقة المتلقي ٤٥
٣ ـ أن تتبع الترتيب السيكلوجي لا الترتيب المنطقي ٤٦
نصيحة لرجل الإعلام ٤٧
٤ ـ ألا تعارضها رسالة إعلامية أخرى ٤٨
٥ ـ أن يكون للرسالة الإعلامية مطلب واضح ، وهدف محدد ... ٥٠

obeikandl.com

الفصل الرابع

مدى تأثير ملكية وسائل الإعلام على الوظائف الإعلامية

المبحث الأول: الجانب الإيماني طبيعته وأثره في تجديد نمط الملكية ٥٥
مدخل: ٥٥
أولاً: تعريف الإيمان ٥٥
ثانياً: حكم الإيمان ٥٨
ثالثاً: أثر الإيمان في ملكية وسائل الإعلام ٥٩
المطلب الأول: أثر الواجبات الإيمانية في تقرير حق ملكية وسائل الإعلام ٦٠
أولاً: واجب نشر الدين والدعوة إليه والدفاع عنه ٦٠
ثانياً: واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٦٣
ثالثاً: النصيحة ٦٥
رابعاً: واجب التكافل بين المسلمين ٦٦
المطلب الثاني: منازل الناس في الإيمان وأثرها على تملكهم وسائل الإعلام ٦٧
أولاً: معيار تحديد درجات الناس في الإيمان ٦٧
ثانياً: منازل الناس في الإيمان ٦٩
أولاً: المؤمنون ومن في حكمهم ٦٩
ثانياً: الكافرون ٦٩
ثالثاً: أثر منازل الناس في الإيمان على حقوقهم المدنية ٧٠
رابعاً: أثر منازل الناس في الإيمان على تملكهم وسائل الإعلام ٧١
المنزلة الأولى: منزلة المؤمنين ٧١
١ ـ أصحاب العدالة ٧٢
٢ ـ من جرحت عدالته ٧٤
أ ـ أصحاب الكبائر ٧٤
ب ـ المخذلّ والمرجف ٧٨

ج ـ المبتدع ٧٨
١ ـ المحاربون ٨٢
٢ ـ المرتدون ٨٢
٣ ـ المعاهدون ٨٢
المبحث الثاني: الجانب السياسي طبيعته وتأثيره في تحديد نمط الملكية ٨٣
تمهيد ٨٣
أولاً: المعنى اللغوي ٨٤
ثانياً: المعنى الاصطلاحي للسياسة ٨٤
المطلب الأول: طبيعة النظام السياسي الإسلامي وأثرها في ملكية وسائل الإعلام ٨٩
أولاً: الطاعة لله عز وجل ٨٩
أصول الدين: ١ ـ الأصل الأول: القرآن الكريم ٩٠
٢ ـ الأصل الثاني: سنة رسوله ﷺ ٩٠
٣ ـ الأصل الثالث: إجماع أولي الأمر ٩٠
٤ ـ الأصل الرابع: عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والأحكام ٩٠
ثانياً: قائمة على مبدأ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ٩٠
ثالثاً: العلاقة فيما بين الحاكم والمحكوم قائمة على أساس من مبدأ الجسد والبنيان الواحد ٩١
رابعاً: المبدأ السياسي الذي يحدد صلة الفرد بالدولة في الإسلام ... ٩٢
خامساً: في دولة قائمة على الشورى ٩٢
سادساً: أنها تستوعب جميع الناس على اختلاف أديانهم ٩٢
سابعاً: حقوق الناس في الدولة الإسلامية مرتبطة بالدين الذي يعتنقونه ٩٣
ثامناً: أن الإمامة بمثابة الخلافة عن الرسول ﷺ في أمته ٩٣
تاسعاً: أن مهمة الإمام مهمة تنفيذية ٩٤
المطلب الثاني: أحكام الإمامة وأثرها في ملكية وسائل الإعلام ٩٥

obeikandl.com

أولاً: حكم الإمامة وطرق انعقادها ، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام ٩٥
١ ـ حكم عقد الإمامة ٩٥
٢ ـ طرق انعقاد الإمامة ٩٧
ثانياً: شروط الإمام وواجباته وحقوقه وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام ١٠٠
١ ـ شروط الإمام ١٠٠
٢ ـ واجبات الإمام ١٠٣
٣ ـ حقوق الإمام ١٠٧
المبحث الثالث: الجانب الاقتصادي وتأثيره في تحديد طبيعة الملكية ١١١
المطلب الأول: الملكية في الإسلام ١١١
أولاً: حكم الملكية ١١١
ثانياً: أسباب التملك ١١٣
ثالثاً: تقسيمات الملكية ١١٤
١ ـ أقسام الملكية باعتبار محلها ١١٤
الأول: ملكية العين والمنفعة ١١٤
الثاني: ملكية العين دون المنفعة ١١٤
الثالث: ملكية المنفعة دون العين ١١٥
الرابع: ملكية الانتفاع ١١٥
الخامس: ملكية الدِّين ١١٥
٢ ـ أقسام الملكية باعتبار صاحبها ١١٦
٣ ـ أقسام الملكية باعتبار صورتها ، ولها قسمان فقط ١١٧
الأول: الملكية المتميزة ١١٧
الثاني: الملكية الشائعة ١١٧
رابعاً: قواعد الملكية ١١٨
القاعدة الأولى: المال مال الله ١١٨

obeikandl.com

القاعدة الثانية: الإنسان مستخلف في هذا المال ١١٩
القاعدة الثالثة: العمل على استثمار المال وتنميته ١١٩
الركيزة الأولى: الترغيب في العمل والتجارة ١١٩
الركيزة الثانية: وجوب الزكاة في المال ١١٩
القاعدة الرابعة: الالتزام فيه بحدود الشرع وأحكامه ١٢٠
القاعدة الخامسة: عدم الإضرار بالغير ١٢٠
المطلب الثاني: صور الملكية في الإسلام، وأثرها في ملكية وسائل الإعلام ١٢١
أولاً: الملكية الخاصة، أنواعها، وأحكامها ١٢٤
١ ـ أنواع الملكية الخاصة ١٢٤
أ ـ الملكية الفردية ١٢٤
ب ـ الملكية المشتركة ١٢٥
١ ـ شركة أملاك ١٢٥
٢ ـ شركة عقود ١٢٥
٢ ـ أحكام الملكية الخاصة ١٢٦
أ ـ مكانة الملكية الخاصة في الإسلام ١٢٦
ب ـ حدود الملكية الخاصة ١٢٧
ج ـ ضوابط الملكية الخاصة وأثرها في ملكية وسائل الإعلام ١٢٨
الأول: ضوابط الملكية الخاصة ١٢٨
الثاني: أثر هذه الضوابط في ملكية وسائل الإعلام ١٣١
أحدهما: إذا كان الغالب على الظن وقوع التجاوز في نشر قضية ما . ١٣٣
الآخر: إذا ما عرف من مالك الوسيلة الإعلامية عدم أمانته الشرعية . ١٣٤
٢ ـ أثر الملكية الخاصة في الإسلام على ملكية وسائل الإعلام ١٣٦
ثانياً: الملكية العامة، أنواعها وأحكامها، وأثر ذلك في ملكية وسائل الإعلام ١٣٩
١ ـ أنواع الملكية العامة في الإسلام ١٣٩

obeikandl.com

أ ـ ما يملك جميع الناس حق الانتفاع به ، لا الاختصاص به دون إذن ابتداء ١٤١
ب ـ بيت المال ١٤١
٢ ـ حرمة الملكيات العامة ١٤٢
٣ ـ أثر الملكية العامة في الإسلام على تملك الدولة وسائل الإعلام . ١٤٤
أ ـ حق الدول في تملك ما هو من لوازم السلطة ١٤٥
ب ـ الدفاع عن سياسات الدولة الإسلامية وبيان مواقفها ١٤٥
ج ـ إباحة الإسلام قيام الدولة ببعض الأعمال الاقتصادية ١٤٦
المبحث الرابع: الجانب الاجتماعي وتأثيره في تحديد الملكية ... ١٤٩
المطلب الأول: أثر الجانب الاجتماعي في تملك وسائل الإعلام .. ١٤٩
أولاً: طبيعة الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام في الإسلام ١٥٠
ثانياً: التغير الاجتماعي في الإسلام ١٥٨
ثالثاً ـ مسؤولية التغيير الاجتماعي في الإسلام ١٥٩
المبحث الخامس: ملكية هيئات وسائل الإعلام في الإسلام ١٦١

الفصل الخامس
أهم ميّزات الإعلام الإسلامي

المبحث الإول:
أ ـ كونه ديناً للناس أجمعين ١٦٥
ب ـ عمومية الأحكام الإسلامية ١٦٦
ج ـ عمومية الجزاء ١٦٦
د ـ عمومية التبليغ ١٦٦
أولاً: على النطاق العام ١٦٧
١ ـ المقرئون ١٦٧
٢ ـ الجهاد في سبيل الله تعالى ١٦٧
٣ ـ المساجد ١٦٧
٤ ـ خطبة الجمعة ١٦٨

٥ ـ الأذان ١٦٨
٦ ـ الحج ١٦٨
٧ ـ الجامعات والمنظمات والمراكز والجمعيات والمعاهد ونحو ذلك ١٦٨
٨ ـ المؤتمرات والندوات ١٦٩
٩ ـ وسائل الإعلام ١٦٩
ثانياً: الإعلام على النطاق الجماعي ١٦٩
١ ـ الدعوة الجماعية ١٦٩
٢ ـ الدروس والمحاضرات ١٦٩
٣ ـ الاحتفالات ١٦٩
ثالثاً: على النطاق الفردي ١٦٩
١ ـ الدعوة الفردية ١٦٩
٢ ـ مسؤولية الأب تجاه الأسرة ١٧٠
المبحث الثاني: استقلالية الإعلام الإسلامي ١٧٣
١ ـ المصدر الرئيس للتشريع ١٧٤
٢ ـ الإسرائيليات ١٧٥
٣ ـ بين الإعلام الإسلامي والإعلام المضلّ ١٧٧
المبحث الثالث: ثبات الإعلام الإسلامي ١٨١
١ ـ المسائل التشريعية القابلة للتجديد ١٨٢
٢ ـ المسائل التشريعية القابلة للتبديل ١٨٢
٣ ـ المسائل التشريعية الثابتة غير القابلة لتجديد ولا تبديل ١٨٣
المبحث الرابع: إيجابية الإعلام الإسلامي ١٨٩
١ ـ المرونة والتكييف في الأحكام ١٨٩
أ ـ مبدأ الشورى ١٩٠
ب ـ مبدأ العدالة والمساواة ١٩١
ج ـ قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) ١٩٢
٢ ـ المخالطة والمعاشرة والخدمات الاجتماعية ١٩٤

obeikandl.com

٣ ـ العناصر الحيوية في العلم والدعوة ١٩٥
أ ـ الترغيب في العلم ١٩٥
ب ـ المراكز العلمية ١٩٦
ج ـ الوسائل والأساليب الإعلامية في الدعوة الإسلامية ١٩٦
المبحث الخامس: دافع المسؤولية في الإعلام الإسلامي ١٩٧
أ ـ الإيمان بالغيب ١٩٧
ب ـ الجزاء في الإسلام ١٩٨
ج ـ الإيمان باليوم الآخر ١٩٩
د ـ حاجة الإنسان إلى عقيدة اليوم الآخر ١٩٩
هـ ـ آثار الإيمان باليوم الآخر ـ إعلامياً وخلقياً ٢٠٠
و ـ خشية الله في السرّ والعلن ٢٠٠

الفصل السادس
علاقة الإعلام بالعلوم الأخرى

١ ـ مفهوم الأمن ٢٠٣
٢ ـ أهم المدارس والاتجاهات التي تعنى بالأمن وفلسفته ٢٠٥
أ ـ الاتجاه الأول (الاتجاه الغربي) ٢٠٥
ب ـ الاتجاه الثاني (الاتجاه الوسط) ٢٠٦
ج ـ الاتجاه الثالث ٢٠٦
٣ ـ فماذا عن الأمن العربي؟ ٢١٠
٤ ـ في رحاب الحديث عن الأمن الفكري ٢١٢
٥ ـ ما العلاقة بين الإعلام وبين الأمن؟ ٢٢٠
٦ ـ أهم الضوابط الإعلامية الأمنية ٢٢٣
أ ـ الضوابط الرقابية الدينية ٢٢٣
ب ـ الضوابط السياسية ٢٢٤
د ـ الضوابط الأمنية ٢٢٥
هـ ـ الضوابط المتعلقة بالإعلانات التجارية ٢٢٦

الباب الثاني
المسيرة التاريخية للإعلام

الفصل الأول
الإعلام في الزمان القديم قبل الإسلام

المبحث الأول: الإعلام في الزمان القديم ٢٣٣
أ ـ الإعلام في مصر القديمة ٢٣٣
ب ـ الإعلام عند الإغريق ٢٣٥
ج ـ الإعلام عند الرومان ٢٣٧
د ـ الإعلام في حضارة الفرس ٢٣٧
هـ ـ الإعلام في الهند ٢٣٩
و ـ الإعلام في الصين ٢٤١
ـ اتصال العرب بالحضارات القديمة ٢٤٢
المبحث الثاني: مجالات الإعلام في الجزيرة العربية ٢٥١
المسألة الأولى: الإعلام عند العرب أنفسهم ٢٥٢
١ ـ القصيدة الشعرية ٢٥٢
٢ ـ الخطبة والخطباء ٢٥٤
٣ ـ المناداة ٢٥٤
٤ ـ الأعياد ٢٥٥
عيد الشباب ٢٥٥
٥ ـ الأسواق ٢٥٥
أ ـ سوق دومة الجندل ٢٥٦
ب ـ سوق المشقَّر ٢٥٦
ج ـ سوق هجر ٢٥٦
د ـ سوق عكاظ ٢٥٦

obeikandl.com

هـ ـ أسواق متفرقة ٢٥٨
١ً ـ سوق عمان ٢٥٨
٢ً ـ سوق ضمار ٢٥٨
٣ً ـ سوق الشجر ٢٥٨
٤ً ـ سوق صنعاء ٢٥٨
٥ً ـ سوق مجنّة ٢٥٨
٦ً ـ سوق ذي المجاز ٢٥٨
٦ ـ الندوة ٢٥٨
٧ ـ إشعال النار على رؤوس الجبال ٢٥٩
٨ ـ الكتب الدينية ٢٦٠
٩ ـ العهود والمواثيق والأحلاف ٢٦٠
١٠ ـ الرسائل الخاصة ٢٦٠
١١ ـ بيوت العبادة ٢٦١
١٢ ـ القصص ٢٦٢
١٣ ـ الأمثال ٢٦٣
المسألة الثانية: الإعلام بين العرب وغيرهم ٢٦٤
١ ـ التجارة ٢٦٤
٢ ـ إنشاء المدن والإمارات المجاورة للفرس والروم ٢٦٦
٣ ـ اليهودية والنصرانية ٢٦٦
أ ـ اليهودية ٢٦٦
ب ـ النصرانية ٢٦٧
٤ ـ الغزوات ٢٦٨

الفصل الثاني

الإعلام في العهد المكي

المبحث الأول: إعداد الرسول ﷺ ليكون الداعية الأول ٢٧١

obeikandl.com

أولاً: الإعداد قبل البعثة ٢٧١
١ ـ رجاحة العقل ٢٧٤
٢ ـ حسن الخلق ٢٧٨
٣ ـ الصدق والأمانة ٢٨٦
٤ ـ الشجاعة ٢٩١
نسبه وأصالته ٢٩٥
ثانياً: الإعداد في بداية البعثة ٢٩٩
١ ـ تهيئة البيئة المناسبة والمناخ الملائم ٣٠١
٢ ـ الإعداد الشخصي للرسول في بداية البعثة ٣١٠
المبحث الثاني: رسول الله ﷺ ودوافع الإعلام في مكة ٣٢١
أولاً: الرسول يمارس الإعلام سراً في مكة ٣٢١
ثانياً: الرسول يمارس الإعلام جهراً في مكة ٣٤٠

الفصل الثالث
الإعلام في العهد المدني

المبحث الأول: توسّع دائرة الإعلام في المدينة المنورة ٣٦٩
أ ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ في المدينة ٣٧١
ـ خطبة ثانية ٣٧١
ب ـ موادعة رسول الله ﷺ لليهود ٣٧٢
ج ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ٣٧٦
د ـ الأذان ٣٧٩
هـ ـ اليهود يظهرون العداوة للإسلام ٣٨٢
و ـ دعوة رسول الله ﷺ الملوك والأمراء إلى الإسلام ٣٩٧
١ ـ بعث رسول الله ﷺ في ذي الحجة عام ستة من الهجرة رسله إلى الملوك ٣٩٧
٢ ـ فبعث حاطب بن أبي بلتعة في وفد إلى المقوقس ٣٩٧

obeikandl.com

٣ ـ رسالة رسول الله ﷺ إلى النجاشي ٣٩٩
٤ ـ وكتب ﷺ إلى هرقل ملك الروم ٤٠٠
٥ ـ رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس ٤٠٣
٦ ـ وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش ٤٠٤
٧ ـ كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى ٤٠٤
٨ ـ كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز ٤٠٥
٩ ـ كتابه ﷺ لبني ضمرة بالموادعة ٤٠٥
ز ـ وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ في ٢١ رمضان من العام التاسع ... ٤٠٥
حج أبي بكر بالناس سنة تسع ٤٠٧
الأنصار وجهادهم في سبيل الله ٤٠٨
سنة الوفود وهي السنة التاسعة من الهجرة ٤٠٩
العرب يدخلون في الدين أفواجاً ٤٠٩
وفد تميم ٤٠٩
وفد العامريين ٤١٢
وفد سعد بن بكر ٤١٢
وفد عبد القيس ٤١٣
وفد بني حنيفة ٤١٤
وفد طيء ٤١٥
وفد مراد ٤١٦
وفد زبيد ٤١٧
وفد كندة ٤١٧
وفد الأزد ٤١٧
رسول ملوك حمير في رمضان من السنة التاسعة ٤١٨
رسول فروة الجذامي ٤١٩
إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد ٤١٩
رفاعة بن زيد الجذامي ٤٢٠

obeikandl.com

وفد همدان ٤٢١
وفد مزينة ٤٢١
وفد نجران ٤٢١
وفد دوس ٤٢١
وفاة إبراهيم بن رسول الله ﷺ ٤٢٢
عمال الصدقات لرسول الله ﷺ ٤٢٣
المبحث الثاني: أساليب الإعلام في صدر الإسلام ووسائله ٤٢٧
١ ـ القصيدة الشعرية ٤٢٨
٢ ـ الخطبة ٤٢٨
٣ ـ القرآن الكريم ٤٢٩
٤ ـ الحديث الشريف ٤٣٠
٥ ـ القدوة الحسنة ٤٣١
٦ ـ الاتصال الشخصي والجمعي ٤٣٢
٧ ـ المسجد ٤٣٤
٨ ـ الهجرات ٤٣٦
المبحث الثالث: صلح الحديبية نموذج إعلامي رائع ٤٣٧
المطلب الأول: خطبة إعلامية هادفة ٤٣٧
١ ـ خطة تهدف إلى أمور مهمة ٤٣٧
٢ ـ الأثر الإعلامي الناتج عن تغيير خط سير الرحلة ٤٤١
معجزة للرسول ﷺ في الحديبية ٤٤٥
سرايا للحراسة والاستطلاع ٤٤٦
المطلب الثاني: الوفد الإعلامي الأول يصل الحديبية ٤٤٩
١ ـ مجيء الوفد إلى رسول الله ﷺ ٤٤٩
بديل بن ورقاء في معسكر قريش ٤٥١
٢ ـ التحليل الإعلامي لرسالة بديل بن ورقاء ٤٥٣
قريش تبعث بأحد زعمائها إلى الحديبية ٤٥٧

obeikandl.com

المطلب الثالث: الوفد الإعلامي الثاني برئاسة الحليس بن زبان ... ٤٦١
١ ـ مجيء الوفد ورجوعه إلى قريش منكراً عليها اعتراضها على
النبيﷺ وأصحابه ٤٦١
التحليل الإعلامي للعملية ٤٦٤
٢ ـ الوسيلة الإعلامية ٤٦٩
المطلب الرابع: الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود ... ٤٧٧
١ ـ عروة بن مسعود يفاوض النبي ﷺ ويعود إلى قريش معظماً النبيﷺ ٤٧٧
٢ ـ الحرب النفسية ٤٧٩
ـ أهداف وأساليب الحرب النفسية ٤٨١
عناصر الحرب النفسية ٤٨٤
أولاً: الإشاعات ٤٨٥
ثانياً: افتعال الأزمات ٤٨٥
ثالثاً: إثارة الرعب ٤٨٦
تسمية الحرب النفسية ٤٨٦
توقيت الحرب النفسية ٤٨٧
٣ ـ هل نجحت الحرب النفسية أمام العقيدة الإسلامية ٤٨٨
عروة بن مسعود يحذر قريش ٤٩٦
الانشقاق يدبُّ في معسكر قريش ٤٩٨
٤ ـ بيعة الرضوان ٤٩٩
مراحل تشريع القتال في الإسلام ٥٠٦
١ ـ المرحلة الأولى ٥٠٦
٢ ـ المرحلة الثانية ٥٠٧
٣ ـ المرحلة الثالثة ٥٠٧
٤ ـ المرحلة الرابعة والأخيرة ٥٠٧
المبحث الرابع: الحرب النفسية في عهد النبوة ٥٠٩
مفهوم الحرب النفسية ٥١٠

obeikandl.com

ـ النماذج التاريخية ٥١٣
ـ جنكيز خان والحرب النفسية ٥١٣
ـ إعلام الاستعمار والحرب النفسية ٥١٤
ـ في الحرب العالمية الأولى ثم الثانية ٥١٦
ـ جهاز كشف الكذب ٥١٧
ـ المنافقون ٥١٨
ـ وقائع الحرب النفسية في عصر النبوة ٥٢١
ماذا تقول لنا أساليب ووقائع الحرب النفسية في عصر النبوة؟ ٥٢١
المبحث الخامس: الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ ٥٢٧
الخطبة الأولى ٥٢٧
الموضوع: صلاة ركعتين عند دخول المسجد والإمام يخطب ٥٢٧
تعقيب ٥٢٨
أ ـ الشرط الأول ٥٢٨
ب ـ الشرط الثاني ٥٢٨
ـ الجانب الإعلامي ٥٢٨
الخطبة الثانية ٥٢٩
ـ الموضوع « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد» ٥٢٩
ـ الجانب الإعلامي ٥٣٠
الخطبة الثالثة ٥٣١
الموضوع: النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ٥٣١
ـ تعقيب ٥٣١
ـ الجانب الإعلامي ٥٣١
ما تميزت به الخطب النبوية الطارئة ٥٣٢
ـ الجوانب الإعلامية في الخطب الطارئة ٥٣٢

obeikandl.com

الفصل الرابع

الإعلام في عهد الصحابة رضي الله عنهم ٥٣٥

الفصل الخامس

الإعلام في العهد النبوي ٥٣٧

الفصل السادس

الإعلام في العهدين: العباسي والفاطمي ٥٣٩

الفصل السابع

الإعلام في العصور الوسطى ٥٤٣

الفصل الثامن

الإعلام في العصر الحديث ٥٤٧

ـ تطور أساليب الدعاية الصهيونية في ظل النظام العالمي الجديد .. ٥٤٧
ـ نشاط الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة في التسعينيات ... ٥٤٩
نشاط الدعاية الصهيونية في فرنسا في التسعينيات ٥٥٤
العامل الأول ٥٥٥
العامل الثاني ٥٥٦
ـ الدعاية الصهيونية في بريطانيا في التسعينيات ٥٥٩
أ ـ ماكسويل ٥٦٠
ب ـ شركة «نيوكوربورشين» ٥٦١
ج ـ شركة ساتشي وساتشي بلس ٥٦٢
الدعاية الصهيونية في إيطاليا في التسعينيات ٥٦٦
الدعاية الصهيونيـة في روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في
ديسمبـر ١٩٩١ م ٥٧٠

obeikandl.com

النظام العالمي الجديد والدعاية الصهيونية ضد الإسلام في التسعينيات ٥٨٢

الباب الثالث
نظرية الإعلام في القرآن الكريم

الفصل الأول
القرآن الكريم ونظرية الإعلام الإسلامي ٥٩٧

الفصل الثاني
أساليب الإعلام في القرآن ٦١١
المبحث الأول: (الجريمة والجنس) نموذج للإعلام القرآني ٦١١
أولاً: أهمية الآداب القرآنية بالنسبة لقصص الجريمة ٦١١
ثانياً: اختبار قصة الجريمة الصالحة للنشر ٦١٧
ثالثاً: مراعاة القيم الدينية ٦١٩
١ ـ الوعظ والتحذير والردع ٦٢٠
٢ ـ فتح باب التوبة ٦٢٣
رابعاً: مراعاة القيم الخلقية ٦٢٥
١ ـ اختيار قصص الجريمة التي ترعى القيم والمثل الخلقية ٦٢٦
٢ ـ أساليب المعالجة ٦٢٧
أ ـ الأسلوب الوقور الجذاب ٦٢٧
ب ـ العناوين والألفاظ الدقيقة ٦٢٨
ج ـ الصور ٦٢٨
خامساً: مراعاة القيم الاجتماعية ٦٢٩
١ ـ عدم تبرير مسلك المجتمع أو سلوك المجرم ٦٢٩
٢ ـ عدم ذكر الخطط وتفاصيل ارتكاب الجريمة ٦٢٩
٣ ـ المحافظة على مشاعر القراء وأحاسيسهم ٦٢٩
٤ ـ محاربة الأمراض الاجتماعية المتفشية في المجتمع ٦٢٩

obeikandl.com

٥ ـ المحافظة على أمن المجتمع ٦٣٠
المبحث الثاني: أساليب الإعلام في القرآن الكريم ٦٣١
ـ اليسر والسهولة ٦٣٢
ـ الجدل والحوار ٦٣٣
الأسلوب القرآني في تصنيف الناس ٦٣٥
الأسلوب القرآني يخاطب كل ما في الإنسان ٦٣٧

الفصل الثالث

بعض عناصر الإعلام القرآني ٦٤١
أولاً: القرآن الكريم عقيدة وأخلاق وشريعة ٦٤١
ثانياً: إن رسول الله ﷺ بصفته الإعلامي الأول يحمل مؤهلات كبيرة ٦٤٢
ثالثاً: ما يتعلق بالوسائل الإعلامية ٦٤٢
رابعاً: أساليب الدعوة التي وردت في القرآن الكريم ٦٤٣
١ ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ٦٤٣
٢ ـ الدعوة ليس بها إكراه ٦٤٣
٣ ـ اتباع أسلوب التدرج ٦٤٣
٤ ـ التبسيط في كل الأمور ٦٤٤
٥ ـ أسلوب تصنيف الناس في المجتمع ٦٤٤
٦ ـ أسلوب المجادلة والحوار ٦٤٤
٧ ـ كذلك فقد اتبع القرآن أسلوب الثواب والعقاب ٦٤٥
٨ ـ أسلوب مناشدة الضمير الإنساني ٦٤٥
٩ ـ أسلوب استقراء التاريخ وأحداثه ٦٤٥
١٠ ـ أسلوب الأمثال ٦٤٥
١١ ـ يقدّم القرآن الحديث عن الجنة ، ويردفه بحديث عن النار ... ٦٤٥
١٢ ـ أسلوب تهذيب الأخلاق ٦٤٥
١٣ ـ آداب الدعوة ٦٤٦

١٤ ـ أسلوب الجزاء ٦٤٦
١٥ ـ أسلوب التبشير والإنذار ٦٤٦
١٦ ـ التتابع في الرسالة حسب حاجات القلوب ٦٤٦

الفصل الرابع
عقل الإنسان هو هدف الإعلام القرآني ٦٤٧

الباب الرابع:

دور الإعلام وتأثيره في الجماهير

الفصل الأول
أهمية الدراسة السيكولوجية لجماهير الاتصال .. ٦٦٣
أ ـ في الوسيلة ٦٦٣
ب ـ في المادة ٦٦٣
ج ـ في المتابعة ٦٦٤
جمهور الأطفال ٦٦٤
جمهور المراهقين ٦٦٦
جمهور الشباب ٦٦٩
جمهور النساء ٦٧١
جمهور الشيوخ ٦٧٤

الفصل الثاني
مجالات وطبيعة تأثير وسائل الإعلام الجماهيري ... ٦٧٧
المبحث الأول: مجالات تأثير وسائل الإعلام الجماهيري ٦٧٧
أولاً: دور الإعلام في تدعيم وتغيير الاتجاهات ٦٧٧
ثانياً: التلفزيون وبحوث المستقبل في الاتصال الجماهيري ٦٨١
ثالثاً: بعض مجالات تأثير التلفزيون على الأسرة وعلى المجتمع .. ٦٨٣
١ ـ في بناء الاتجاهات ٦٨٣
٢ ـ المعاونة في ترويج بعض البضائع الاستهلاكية ٦٨٤

obeikandl.com

٣ ـ التغيير الاجتماعي ٦٨٤
٤ ـ التأثير السياسي ٦٨٤
٥ ـ التذوق الثقافي والفني ٦٨٥
٦ ـ التسلية والترويح ٦٨٦
٧ ـ التعليم ٦٨٦
٨ ـ التوعية الأسرية ٦٨٨
٩ ـ التجمع الأسري ٦٨٨
رابعاً: أثر التلفزيون على الأطفال ٦٨٩
المبحث الثاني: طبيعة تأثير وسائل الإعلام ٦٩١

الفصل الثالث

التحكم في الفكر وغسيل الدماغ ٦٩٧
أ ـ معسكرات الاعتقال النازية والتحويل الفكري ٦٩٨
ب ـ التجربة السوفييتية والصينية ٦٩٩
ج ـ الأساليب الفنية المتبعة في عملية غسل الدماغ ٧٠٠
د ـ سيكولوجية عملية غسيل الدماغ ٧٠٠
هـ ـ التأثير السياسي لعملية غسيل الدماغ ٧٠١

الفصل الرابع

دور وسائل الإعلام في تدعيم الاتجاهات وتغييرها .. ٧٠٣
أ ـ دور وسائل الإعلام في تدعيم الاتجاهات ٧٠٣
ب ـ مقدرة وسائل الإعلام على زيادة معلومات الأفراد عن مختلف الموضوعات ٧٠٦
ج ـ مقدرة وسائل الإعلام على خلق آراء عن الموضوعات الجديدة . ٧٠٦
د ـ دور وسائل الإعلام في تغيير الاتجاهات ٧٠٧

الفصل الخامس
دور الإعلام في نشر القيم والفضائل ٧١١
المبحث الأول: الإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية ٧١١
المبحث الثاني: نحو إعلام إسلامي ٧١٩

الفصل السادس
بعض أشكال الرقابة على الإعلام المعاصر ٧٢٧
١ ـ المؤثرات العديدة على حرية الصحافة ٧٢٧
٢ ـ التشهير والحصانة والتعليق المنصف ٧٢٨
٣ ـ الأدب المكشوف والصور الفاضحة ٧٢٩
٤ ـ الرقابة على السينما ٧٣٢

الباب الخامس
نظرات في إعلام الآخرين وفي واقع إعلامنا

الفصل الأول
نظرات في الإعلام الصهيوني ٧٣٧
المبحث الأول: مدى نفوذ الإعلام اليهودي في العالم ٧٣٧
المبحث الثاني: الإعلام اليهودي في تركيا ـ نموذجاً ـ ٧٤٥
المبحث الثالث: النشاط الإعلامي اليهودي في مصر ـ نموذجاً ـ ... ٧٥٠
١ ـ المؤسسات الثقافية ٧٥٠
٢ ـ الالتفاف حول كبار الكتاب والأدباء المصريين ٧٥١
٣ ـ الصحافة اليهودية في مصر ٧٥٤
المبحث الرابع: النشاط الإعلامي اليهودي في فلسطين ـ نموذجاً ـ . ٧٥٥
المبحث الخامس: الكتاب اليهودي ٧٥٩
١ ـ الاتجاه المعادي للأديان السماوية كافة ٧٥٩
٢ ـ الاتجاه المعادي للإسلام خاصة ٧٦١
٣ ـ الاتجاه اليهودي الواضح ٧٦٢

obeikandl.com

المبحث السادس: الصحافة اليهودية ٧٦٥
المبحث السابع: بعض وسائل الإعلام اليهودي الأخرى ٧٦٩

الفصل الثاني

تأملات في الإعلام الشيوعي ٧٧٣
المبحث الأول: النظرية الإعلامية الشيوعية ٧٧٥
المبحث الثاني: وسائل الإعلام الشيوعية ٧٧٧
المبحث الثالث: أساليب الشيوعية ٧٨٣

الفصل الثالث

الإعلام الغربي والإسلامي ٧٨٩
المبحث الأول: موقف الإعلام الغربي من الإسلام ٧٨٩
المبحث الثاني: وسائل الإعلام الغربي ٧٩٧
١ ـ الصحافة ٧٩٧
٢ ـ الراديو والتلفزيون ٧٩٩
٣ ـ المسرح ٨٠٠
٤ ـ الجامعات ٨٠١
٥ ـ الابتعاث ٨٠٢
٦ ـ المستشرقون ٨٠٢
٧ ـ الكتاب ٨٠٣
أ ـ كتب العلوم البحتة والتطبيقية ٨٠٤
ب ـ كتب العلوم النظرية ٨٠٤
٨ ـ مناهج التعليم ٨٠٥
٩ ـ المؤتمرات ٨٠٥
١٠ ـ الجمعيات التبشيرية ٨٠٥

obeikandl.com

الفصل الرابع

إعلامنا المعولم إلى أين؟ ٨٠٧
الخاتمة: اقتراحات وتوصيات ٨١٥

الفهارس العلمية

* فهرس الآيات القرآنية ٨٢١
* فهرس الأحاديث النبوية ٨٤٣
* فهرس القوافي الشعرية ٨٥٢
* فهرس القبائل والأمم والفرق والمذاهب ٨٥٦
* فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب ٨٦٧
* فهرس الأماكن والبلدان والبقاع ٨٧٠
* فهرس الأعلام ٨٨٣
* فهرس المصادر والمراجع ٩١٦
المحتوى ٩٢٨

obeikandl.com